

سر البيلسانا دجى فم الأوركيدا

الأزهار و الزمن
(الجزء الثالث)

منى لطيفي نصر الدين



رواية :

* سنا البيلسان في دجى الأوركيدا *

ج 3 من سلسلة :

الأزهار والزمن

الكاتبة :

منى لطيفي نصر الدين

التدقيق اللغوي والاملائي :

شكر خاص للأستاذة نهى

الغلاف الخارجي :

رشيدة صادق

التصميم الداخلي :

شيء جونة

التعبئة والكتاب والرابط الالكتروني :

ضحى حماد

المقدمة

النفس البشرية تركيبة معقدة ومجموعة من الأحاسيس والصفات المتناقضة حيث أنها قد تشعر بالفرح والحزن في آن واحد، الحب والكره بصدر نفس الشخص والأنس والوحشة الخ. تلك الازدواجية في التصرفات والمشاعر تجهز على النفس البشرية حين تفتقد لحكمة استيعابها وحسن تسييرها لتدخلها في سلسلة أمراض قد تبدو عضوية والحقيقة بعد التحاليل والفحوصات أن ما بها من ألم مصدره النفس التي خرجت أخيرا من صمتها وقررت التمرد والاعتراض وهذا يوصلنا إلى حقيقة أخرى أن النفس لا تكون شريرة بالكامل ولا

خيرة بالكامل ولا يوجد فاشل إلى الأبد ولا ناجح مستمر لكن
 حتما في النهاية هناك خاسر و فائز، فلا تدع نفسك تغلبك ،
 داويها و اجعل لها حيزا في تفكيرك و أجمعها حين تتهور، كافئها
 حين تحسن التصرف و لمها حين تخطئ و لا بأس بالتحدث
 معها، حاورها، أدبها و تعلم كيف تتحكم بها كي لا تفاجأ بها
 حين تواجه امتحانك الحقيقي فبدل أن تعينك تكون عبئا
 تسحبك إلى الأسفل حتى تنتهي خاسرا، فأكبر جهاد هو جهاد
 النفس.

إن النفس أمانة بالسوء، فإن عصتك في الطاعة فاعصها أنت في

المعصية، الحسن البصري

• قبل سنوات •

استقامت واقفة تفرك يديها ببعضهما، تهز طرف رجلها اليسرى
من فرط التوتر، تغرز سبابتها بين أسنانها وصوت مهتز يتردد
وسط رأسها، (لدي أخت... لدي أخت... مستحيل...
توءم!... كيف؟... لم يخبرني!.... لدي أخت).

رفعت رأسها بحدة حين فتح باب إحدى غرف التحقيق فشلت
أطرافها لتستكين أخيرا من اهتزازها تترقب بوجل .

أما الأخرى فتفكر بأنها لم تكد تعي من صدمة لتغرق في أخرى،
قاتل إبراهيم يكون والدها وليس ذلك فقط بل ولديها أخت
توءم، ليكتمل حالها الغريب بكونها حاضرة وستقابلها.

تأملت الباب حيث وجهوها لتلتقي بتوءمها أخت لها 'هي' من
دمها ولحمها ومن عرفته عما لها طوال حياتها ليس عمها،
الحقيقة هي ممتنة لذلك فلطالما تسألت هل من الممكن أن
يعامل إنسانا قريبه من دمه بتلك القسوة؟ لتكتشف بأنه كان
ينتقم لأخته التي قتلها والدها... والدها قاتل نساء محترف (يا
الهي كم من امرأة قتل؟ كم من أناس غيره يبحثون عن
الانتقام؟). هزة من رأس المحقق أعلمتها بضرورة فتح الباب
لتدخل (هل تفتح الباب؟ هل هي بحاجة لأخت؟ هناك واحدة

تنتظرها هناك في مكتب المحقق منهارة، ماذا لو علمت بأن من
قتل شقيقها هو والدها هي؟ كيف ستشعر؟ هل ستظل على
حبها لها أم أنها ستطردها أو الأسوأ تسعى للانتقام منها، أسئلة
والمزيد من الأسئلة، توقفوا!! أمرت الأصوات المجلجلة بقاع
رأسها ثم تنفست مجددا لتقول بنبرة مسموعة

_ أنت بيلسان، قوية، واثقة ستعاملين مع كل موقف على حدة،
أدخلي وقابلي شقيقتك ثم بعدها لكل حادث ... حديث .

-الى أين يا أسد؟

انتصب أمام رئيسه، يرمقه برسمية كما رد عليه

- تحياتي سيدي، نسيت الملف بركن المراقبة لغرفة التحقيق .

هز الضابط ممتاز ليث رأسه بتفهم، يجيبه وهو يتعد عبر أحد

أروقة بناية المديرية

- تمام، الحق بي حين تنتهي أنت وزميلك نوفل، لدي مهمة

جديدة لكما .

رد منتصبا بحاضر سيدي ثم انصرف هو الآخر .

ولجت الغرفة تتلفت باحثة عنها قبل أن تتسمر أنظارها على
انعكاس لها مثير للضحك، يراودها خاطر مستهزئ بأن
صورتها تطل عليها من فيلم أجنبي هابط، شعر قصير جدا
مصبوغ بالأسود بحواف فوضوية كأنها كانت في مشاجرة
ضارية لولا تلك الزينة المتقنة الفاقعة تذكرها شفيتها
الحمراوين بمصاص دماء انتهى من وجبته للتو فاقشعر بدنها
ولسان حالها يتساءل مجددا (هل يا ترى هي ابنة أبيها؟ فهي
تربت على يديه وقد تكون....) في خضم انشغالها بأفكارها لم
تلاحظ نفس التوتر والارتباك لدى الأخرى تحاور نفسها بنفس
الطريقة (إنها تشبهنى لكنها بسيطة... بسيطة للغاية، كيف
كانت تعيش؟ هل حظيت بحياة أفضل منى؟ لكنها هزيلة مثلي

تماما وهيئتها مزرية أكثر مني، يبدو أنها فقيرة، هل قالت شيئاً
ما؟).

أمرحبا.

أعادت بيلسان التحية مدركة لشروود توءمها وكانت محقة حين
رمشت بجفنيها مرات عدة قبل أن تجلي حنجرتها لتجيبها
باقتضاب

أمرحبا.

تفاجأت بلكنتها لتذكر أنها نصف أجنبية عاشت حياتها ببلد
أجنبي، ابتسمت بتوتر لم تتحكم به تضغط على عينيها لتنفض

عنها التعب من البكاء ثم اقتربت من الطاولة الوحيدة بالغرفة

وسحبت الكرسي لترتمي عليه متنهدة تقول

«سأجلس لأنني تعبت، اليوم كان حافلا جدا من الجحيم

مباشرة وما زال مستمرا لا يريد أن ينتهي.

تحركت أوركيدا وسحبت الآخر تجلس عليه، سبابتها بين

فكيها لا تفارقهما، فضمت بيلسان شفيتها بتردد قبل أن تسألها

«أهل كنت تعيشين معه؟»

فهمت مغزى كلامها، فأجابتها ببرود والسبابة المسكينة عالقة

بين أسنانها

«لا! كبرتُ بمدرسة داخلية يتكفلون بطلابهم من الحضانة إلى

الثانوية، كان يزورني فقط ولمرات قليلة، وليته لم يفعل.

ضمت بيلسان حاجبيها بحيرة، فأخرجت الأخرى سبابتها من

فمها تستطرد بنبرة مهتزة لكن جامدة

«وأنت؟ مع من كنت تعيشين؟ ولماذا لم يخبرني بوجودك؟

ردت بحزن وهي تضم يديها على سطح الطاولة

«مع عمي الذي ليس بعمي.

كان دورها لتضم حاجبيها المنمصين بإتقان كصبغتهما

السوداء، فتابعت بيلسان متهكمة

أكنت أعيش طوال حياتي مع رجل كبرت على أنه عمي،
لأكتشف اليوم بأنه لم يكن، رغم أنني كنت أشك في ذلك .

ثم هزت كتفيها، تكمل بسخرية مريرة

أعلى الأقل وجدت تبريرا لتصرفاته ال.....

قطعت حديثها بألم، فاستفسرت منها أوركيدا

أهل هو نفسه الذي خطفك؟

هزت رأسها إيجابا

أبلى..... خطفني كي ينتقم لأخته.

عادت أوركيدا لتغرز سبابتها بقوة علّ الألم بإصبعها يلهيها عن
التوتر والخوف والمرارة المشتعلة بأحشائها بينما بلسان
تمسح دمعين قبل أن تجدا طريقهما إلى الحرية، تقول بوجوم
«أخبرني المحقق عن أهل والدتي».

اهتز رأس أوركيدا وأظلمت مقلتيها بحقد أسود، تجيب من
بين أسنانها

«سأنتقم منهم يوما ما، سأدمرهم واحدا، واحدا».

أجفلت بلسان من نبرتها الهجومية والحقد المشع من عينيها
بينما الأخرى تضيف بكره

أهم السبب بكل ما نعيشه، هم من باعوها لذلك المجرم
الحقير .

فغرت بيلسان فمها ببلاهة، تفكر في معنى لكلماتها الحاقدة
لقد قرأت التقرير بنفسى، رغب بها فحاصرها إلى أن حقق
مأربه بالزواج منها والتمن صفقة ذهب سهلها لشقيقها النذل
الذي زوجها له بالغصب .

وقفت بحدة تدفع بالكرسى خلفها ثم خطت نحو النافذة المرأة
تحقق إلى انعكاسها وهي تسترسل بمرارة

والآن هم يبحثون عنا لأجل حصتها الكبيرة من أسهم
الشركات، لأنها سنّت وصية ثابتة تقتضي بتسلمنا حصتها مما

تمتلك بالتساوي وإن لم يحدث ذلك يتبرع بها إلى جهات
معينة، لذا هم مضطرون للبحث عنا وهذه الوصية عقدت
بقوانين البلد الأجنبي بشهود لم يستطيعوا شراءهم.

ضحكت بحقد لنفسها في المرأة، تكمل بتشفي

«الن يسمحوا للأغراب بالتدخل في أسهم العائلة... ونصينا منها
لا يحق لهم لمسه ولن يحصلوا عليه .

نهضت بيلسان بدورها ترمق ظهرها بحيرة، تتساءل

«ماذا تقصدين؟ هل سنطالب بحصصنا؟

التفت إليها واقتربت منها ترد بعصبية

|| لا أعلم عنك أما أنا فلن أظهر الآن، سأدعهم يجمعون لي
المال إلى أن أكون جاهزة ثم أعود إليهم لأحصل على ما هو
لي لأدمرهم به هذا ما سأفعله .

شعرت بيلسان برعشة خوف سريعاً ما تجاوزتها تسألها بحيرة
وشيء من الرجاء المتقهقر

||ومتى ستكونين جاهزة؟

حكّت جبهتها بأظافرها المقلّمة السوداء ثم ردت عليها

||حصلت على منحة لدراسة الأعمال سأنتهي دراستي لأكون
جاهزة، هدفي أمامي و سأحققه.

رفعت بيلسان رأسها كأنها تتفقد السقف بينما تعقب بخفوت

سمعته شقيقتها

«أنت تعلمين ماذا تريدينه هنيئاً لك.

اقتربت أكثر، تحاول تركيز مقلتيها المتزعزعتين عليها وهي

تسألها بفضول

«ماذا تعنين؟ أنا لا أفهمك.

صمتت ترمقها بحيرة، ماذا ستقول وماذا ستحكي لها؟ تأملت

سروالها الجلدي المبرز لنحافة ساقها ثم كنزتها الزرقاء

الشاحبة ذات الحاشية المدرجة عليها سترة جلدية من نفس

نوع السروال ثم فكرت بأن قلبها أسود كثيابها، فبلعت ريقها
ترمق عينها المهترتين لتستشعر ضياعها.

فتحت فمها لتحدث حين لاحظت ارتفاع حاجبيها انتظارا
«اسمعي...»

وقطعت حديثها تكتشف بأنها نسيت اسمها الذي أخبرها به
المحقق، تكمل بنبرة معتذرة
«عذرا نسيت اسمك.»

فعاجلتها بالرد

«أوركيدا، لكن لا تناديني بذلك الاسم أبدا، ناديني أور.»

تعلقت بثغر بيلسان بسمة مرتعشة سريعا ما اختفت لتجيبها

[[اسمك جميل ... أنا اسمي...]]

قاطعتها بنبرتها الواضحة

[[أعلمه، بيلسان ... أخبرني المحقق ... ماذا كنت تقولين؟]]

عضت بيلسان شفتها السفلى توتر اثم قالت باستسلام تعب

[[لقد عشت حياتي كلها في عذاب استنزفني لأكتشف بأن

السبب انتقام حقير والمشكلة أنني لا أستطيع لومه .

ثم رفعت أنظارها إلى مقلتي توءمها تكمل

[[فلقد رأيتك بعيني كيف قتل إبراهيم أمامي بأعصاب باردة.

ثم دمعت عيناها، تكمل برعشة ظهرت على يدها التي رفعتها

خلف رقبتها

إبراهيم إنسان جيد، علمني أن كل ظلمةٍ سوداء تساعد العين على الصفاء والاتساع لكي ترى بوضوح ما لا تراه غيرها من الأعين، علمني كيف يكون المرء شعلة تنير ظلمته ولا ينتظر أحدا لينيرها له، أبحث عن سعادتي وأخلقها من قتامة ظروفى.

تنهدت تمسح عينيها بينما الأخرى ترفض إحساسا يتسلل إلى قلبها، فالتفت عائدة إلى المرأة ترمق انعكاسها ليذكرها بحياتها وظلامها الدامس الذي مهما اتسع فيه بؤبؤيها لن تلمح شيئا لأن ظلمتها، ظلمة أعمى لا يرى سوى الحقد والكراهة والانتقام.

أخذت نفساً تُثبت به أعصابها المهتزة، لتسأل بصراحة

«ماذا تقصدين، أنا لا أفهم شيئاً؟»

رمقت ظهرها تتساءل هي عن مصدر قسوتها تلك، فحياتها
 أيضا لم تكن سهلة، لماذا لا تأخذان مالهما وتعيشان به حياتهما
 في رخاء، وتتعلمان كيف تكونان شقيقتان؟ ثم تسيان كل ما
 يتعلق إن كان بوالدها أو والدتها... والدتها؟ ترى هل عاشت
 في عذاب هي الأخرى؟ وهل كتب على نسلها نفس عذابها؟

نفضت عنها عاصفة أفكارها، تقول بإنهاك

«أنا منهكة بما فيه الكفاية، اكتفيت من كل الكره والانتقام
 ألا تفكرين بأن هناك ضحايا تركهم في كل مكان قد يبحثون
 عن انتقامهم؟ لا! أنا أريد حياة طبيعية، أسأل الله الستر، حتى
 تلك الأموال التي تقولين عنها من حقنا، إن رفضت البقاء
 لنستلمها معا، أنا لا أريدها .

لم تلتفت إليها رغم استغرابها تركز بأنظارها التي أصبحت ثابتة
على المرأة، فاستطردت بيلسان

﴿ بما أنك لا تريدين الظهور الآن، فلا ضرورة لظهوري أيضا،
سأحاول تعويض صديقتي بشكل ما عن موت شقيقتها.

أصدرت ضحكة مستهزئة سوداء تردف بوجوم

﴿ مع أنني لا أعلم كيف سأعوضها عن موت شقيقتها؟ لكن ليس
عليها أن تعلم بأن المجرم يكون والدي، لا! سأحتفظ باسم
الرجل الذي اختطفني وأسكن معها، فهي الآن وحيدة مثلي
تماما....ل....

رفعت رأسها بسرعة مجفلة من استدارة شقيقتها بعصبية،
تضرب الأرض برجليها خارجة من الغرفة وقد شحبت وجهها
أكثر من العادة، فأسرعت في أثرها لتلمحها تفتح بابا قرب
غرفتهما وتسمع نبرتها الصارخة

_من أنت؟ وكيف تسمح لنفسك بالتنصت علينا؟

بهتت بيلسان فتقدمت داخله إلى تلك الغرفة لتبين بأنها ركن
مراقبة لغرفة التحقيق التي كانتا تحتلانها قبل قليل.

تأملت الشاب بإشفاق يرمق توءمها بصدمة وهي تصيح بكل
قوة غضبها

_ماذا تظنون؟ أننا مجرمين مثله؟ أننا كنا نخطط معه جرائمه؟

حاول الشاب أن يرد لكنها لا تمهله تتابع صراخها

_أنا الملامة لأنني وثقت بكم ... أنتم....

قطع صراخها حين رفع ذراعيه أمام وجهها وقد تركز العسل

بمقلتيه يغلي من غضب يكتمه بصعوبة لأنه نطق بعدها من بين

أسنانه المطبقة

_أنا لم أكن أتصت عليكما جئت لأخذ ملف قضية نسيتته هنا،

فاهدئي وتمالك أعصابك وكفي عن الصراخ.

حل عليهم الصمت سوى من لهاث أوركيدا حتى الشاب تسمر

ينظر إلى مقلتيها كأنه يحاول حصر تزعزعهما، فتحنحت

بيلسان لتهتز شقيقتها تتراجع خطوة وهو يلتفت الى الأولى التي

تحدثت بوهن وقد استبد بها التعب

_أور؟ اهدئي، لقد أخبرك لم يكن يتنصت علينا.

_ماذا يحدث هنا؟

استداروا إلى الوافد عليهم، يتساءل بفضول

_أسد؟ الرئيس في انتظارنا، لماذا تأخرت؟

استقام في وقفته وتقدم نحو صديقه دون أن يغير ملامحه

المتغضنة يزفر بخفوت، ليهمس له الآخر بتسلية

_الشبح البارد يغضب ويزفر أيضا؟ ستمطر اليوم بالتأكيد.

لم يجبه مستمرا بزفيره بينما يغادران، فانتزعت أنظارها من
مراقبة مكان اختفائه وزميله ثم استدارت إلى شقيقتها،
تخاطبها بجفاء حائق

إذن! ستنتظرين إلى أن أعود؟

هزت بيلسان كتفيها تومئ باستسلام، فاستدركت بينما تسحب
هاتفها صغيرا من جيب سروالها الخلفي

ما هو رقمك؟

ردت عليها بينما ترفع حاجبيها البنين دهشة، ترمي سروالها
الضيقة بنظرات مستغربة

من أين أخرجته؟

هزت شقيقتها رأسها حيرة، فأومأت بيلسان بلا معنى تكمل
بتهمك مرير

_ ليس لدي هاتف ولا أحلم بامتلاك واحد، بالكاد جمعت مالا
لألحق بمعهد الفندقية، مصاريف السنة الأولى فقط والهاتف
يعتبر من الرفاهيات بالنسبة لي.

تجهمت بينما تدفع بالكلمات من بين أسنانها غلا وبيلسان
تنتقل بعينيها من اهتزاز ركبته إلى شفيتها تتحركان ثم ركزت
سمعتها لتبين فحوى حديثها المتأثر بلدغة

_ لا أملك مالا أنا الأخرى، أخبرتك بأنني حصلت على منحة
لإتمام دراستي العليا، أما أموال المجرم فقد جمدوا أرصدته.

حركت بيلسان يدها بعجالة، تهتف بسخط

_لا! لا! أنا لا أريد منه شيئاً.

دخلت أوركيدا ركن المراقبة بينما بيلسان جامدة تراقبها بحذر حتى عادت بيدها ورقة مطوية ناولتها إياها، تخبرها بنفاد صبر كأنها تتحرق للمغادرة.

_هذا رقمي، إذا حصلت على هاتف فأرسلني إلي رقمك وسأهاتفك، إلى اللقاء.

ظلت بيلسان مكانها تتأمل ابتعادها ومن ثم وقوفها قبل استدارتها عائدة إليها بسرعة لتضمها بتردد التمسته من اهتزاز أطرافها فأمسكت بها وأحكمت الطوق حولها كأنها تناشدها

البقاء وعدم المغادرة، فلا واحدة منهما تعلم ماذا ستواجه
 بحياتها لحالها؟ وإن كانتا ستلتقيان مرة ثانية؟ لكن يبدو أنها لم
 تشعر بما تريده شقيقتها منها أو أن سواد قلبها الذي يملأه الكره
 والانتقام أعمى بصيرتها من الإحساس بنصفها الثاني لأنها
 سحبت نفسها برفق، تهمس قبل أن تختفي كالسراب أو
 كمجرد خبر سمعت عنه ولم تعشه.

اعتني بنفسك.

شعرت برجليها لم تعودا تحملانها فجرّتهما إلى الغرفة حيث
 هوت على الكرسي تسمح لنفسها بالنحيب والبكاء مجددا
 عسى الدموع تغسل عنها قليلا من هموم أثقلت كاهلها الفتى
 قبل أن تعود إلى صديقتها التي قدر لها أن تحمل عبئها هي

الأخرى وتواجه حياة لا تعلم ماذا تحمل لها من أقدر، فترفض
حتى التكهن لأنها إن فعلت لن يعجبها أبدا ما سيحود به خيالها
البائس.

وتعاقبت الأيام والشهور لتشكل السنون، فوُلد من وُلد ومات
من مات فهي الحياة بتعاقب دقائقها لا تنتظر أحدا ولا تتوقف
من أجل أحد، لذا وجب على النفوس الفطنة أن لا تتعمق بحزن
ولا تغتر بفرح وتوازن حياتها على اتخاذ الاعتدال سنة لها.

*

الفصل الأول

{يا عجباً لقوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وحبس أولهم على

آخرهم وهم قعود يلعبون ... الحسن البصري}

بيلسان! قومي حبييتي.

حركت جفنيها بثقل تفتحهما بمشقة وكل طرف بجسدها

يطالبها بالعودة للنوم كي تنال مزيداً من الراحة لكنها ككل يوم

تتجاهل رغبتها وتتحامل على نفسها قائمة تشد جسدها لتتزرعه

من على السرير اليتيم في الغرفة الوحيدة بتلك الشقة الحقيرة

التي تسكنانها.

تابعت جنات المستلقية على نفس الفراش جوارها بنبرة مشفقة

على هيئتها التعب

_عودي للنوم بيلسان، أنت متعبة.

مسحت على وجهها براحتي كفيها، ترد بصوت ناعس وهي

تستقيم واقفة

_لا أستطيع التغيب ثم ألا يكفي أنك مريضة ولن تذهبي

لعملك؟ على الأقل واحدة منا تحتفظ بعملها.

استدارت جنات على شقها الآخر، تدير لها ظهرها بينما

تجيبها بوجوم لم تره بيلسان

_لن أفقد عملي بيلسان، لا تخافي.

تمطت بيلسان بجسدها، ترد عليها

_ هذا صحيح، لأنني سأعود من عملي باكرا وأنوب عليك في

عملك ف....

_ لا!

أجفلت بيلسان من نبرتها الحادة، فقطبت بريبة والأخرى تفسر

بتوتر لم يخفى عليها

_ أقصد.... أنا استأذنته ومنحني الإذن يعلم بأنني سأتغيب، لا

تقلقي، لن أفقد عملي.

تناولت المنشفة من على طرف السرير تبتعد مجيبة بعدم اقتناع

_صحيح أنا لم أكن موافقة على عملك لدى شاب في شقة بمفرده لكن هدأت حين قلت بأن طاقم الحراسة والخدم حوله ومعه في بيته فلم أرد أن نفقد مدخولك الثمين.

لم تجبها تمرغ وجهها في مخدتها تحبس دموعا لا تريد أن تراها صديقتها، فهي خير من يقرأ أحوالها فقط من ملامحها.

انتعشت بيلسان وارتدت فستانا فضفاضا يخفي قوامها حتى إن كان نحيفا لكنه يشير لأنوثه ناضجة، لفت الطرحة على رأسها وأحكمت شدها ثم التقطت كيس حاجياتها قبل أن تتجه إلى صديقتها تحمل بيدها الحرة صينية فطور متواضعة وضعتها بجانبها على السرير، تخاطبها بحنو وهي تنحني لتقبل رأسها.

_كلي جيدا حببتي وخذي الدواء، سأحاول العودة باكرا،
أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

هزت رأسها بوجوم تتأملها إلى أن اختفت من أمامها لتعود
لبكائها الصامت بينما بيلسان ما إن فتحت الباب قابلت وجهها
تمقته، فتنهدت بنزق تسأله بفضاظة لا تخفيها عنه

_ما الذي جلبك في هذا الوقت الباكر؟ ألا تنام لا ليلا ولا نهارا؟
ابتسم يجيبها مرققا الحديث، يقلد دلال النساء فيراود أحشاءها
الغثيان ككل مرة تقابله فيها

_بیسو جمیلتیألن تعقلی وترحمی جمالك هذا من العذاب
كل يوم في المواصلات العامة والعمل الدؤوب دون مقابل
يستحقه؟

نفخت بضجر تتجاوزہ، فیتابع بنبرته المتمیعة
_أطیعینی وسأجعل منك ملكة لن تتعرفی حتی علی نفسك بدل
هذه الأسمال التي تسمینها ثيابا.

تسمرت مكانها، تجیبه بنفس همسه لكن بنبرة مغیظة
_جنات مریضة، ارحمها من ثرثرتك، فهي لن تطیعك أبدا مثلی
بالضبطاتقی الله یا دیدو.

نطقها بغیظ متهمك قبل أن تنصرف بعصبية لم تغير "فيها" عفوا
 ، بل "فيه" شيئاً من ملامحه، يتسم بميوعة مسخت محياه وعاد
 أدراجه إلى البيت، يهمس بتسلية

بل ستقتنعين تماماً كجنات... فأنت كنز ثمين لن أفلته من بين
 يدي أبدا.

ثم رفع صوته ينادي بينما يمسك خصره النحيف بيده الحرة
 والأخرى يشير بها مقلبا شفثيه بقرف من وضع الشقة الحقيرة
 -جيجي، أين أنت يا قمر؟ آه "لا أعلم كيف تعيشان في هذا
 الجحر الحقير حتى كلمة جحر قليلة على هذا المكان الحقير.

تأمل الساحة الرياضية الممتدة أمامها، متنفسه بحرية تفتقدها
 داخلها، جالسة على إحدى الدرجات الثلاث الاسمنتية المبنية
 على طول السور المحيط بثانوية "الحسن البصري" أجدد
 ثانوية للقطاع العام تضاف إلى مجموع ثانويات متعددة
 للمدينة الكبيرة، تتوسط ريفيتها في منظر يستغربه كل من يلمح
 صحبتهن الأغرب حيث لا يجمعهن لا الهيئة ولا حتى
 الشخصية المتشابهة سوى نفس القسم والمستوى " شعبة
 الآداب" المستوى الثالث ثانوي.

تحدثت الفاقدة لصبرها دائما *خنساء* والتي تعتبر واجهتهن
 والناطقة باسمهن ليس لأنها الأذكى بل لهيئتها الجذابة بجمال
 رباني يعكس سريرتها ليس أن زميلتها لا تتمتعان كل واحدة

بحقها من الجمال إنما لأنها تفوقهما جرأة وتسرعاً مع أن ذلك
كثيراً ما يوقعها بالمشاكل، وجهها ممتلئ بوجنتين مكتنزتين
كجسمها الذي يفوق وزنه الطبيعي بكيلوجرامات قليلة،
قمحية البشرة كغالبية أبناء شعبها، مليحة ومتحجبة بملابس لا
تظهر اختلافها عن صديقاتها، نظراً للرداء الموحد الذي يلبس
فوق الثياب على شكل وزرة بيضاء مصنوعة من قماش رقيق
وقصير قد لا يلامس الركبتين.

_أف! أنا سئمت، سمرا! دعينا نغادر، قلبي سينفجر من الملل.

ضمت الفاقدة لحريتها شفيتها بحنق طفولي، يحمر له وجهها
حتى أضحي كحبة كرز، فربها حباها بشرة تحمر لأبسط
الأسباب، متوسطة الطول وشعرها أسود تجمعه على شكل

ديل حصان منسدل من أعلى قمة رأسها ليضرب أسفل رقبتها
بأطرافه.

_خنساء! لا نستطيع الذهاب الآن، ليس قبل انتهاء وقت الدوام،
لن أشرح لك من جديد.

مطت الثالثة شفيتها بنزق تحرك عونيتها السميكة لدرجة تجعل
مقلتها تضيقان لمن يركز عليهما فيختفي لونهما الفريد، حظها
من شقيقتها الاثنتين كان كبيرا إذ كما ورثت لون عيني سلوى
المختلف حظيت بشكل وجه القلب كشقيقتها الكبرى فاتن
وشعرها البني الغامق الطويل تجمععه هي الأخرى أعلى قمة
رأسها فيظهر كالقبة لولا تلك الشعيرات المنفلتة منه بفوضوية

منحت صاحبها هيئة منفردة يضاف على طولها الفاره بالنسبة
لقريناتها فيتعرف عليها كل من يعرفها حتى عن بعد
_خنساء! دعيها تتمتع بحريتها الواهمة، على العموم لم يبق
على انتهاء الدوام سوى ربع ساعة.

ثم زفرت بملل تكمل

_لا أعلم إلى متى ستظل حصتا التربية الإسلامية والاجتماعيات
شاغرتين، إنه الشهر الثاني من السنة الدراسية.

أسندت خنساء نفسها إلى كتف صديقتها بكوعها، تجيب
بسرور خفي

_ سمعت جارنا أمين يخبر أخي بأن الأساتذة الجدد سيلتحقون
بعملهم مطلع هذا الأسبوع وهو من بينهم.

ابتسمت مروة تهز كتفها بخفة، تجيبها بتسلية لتناكف صديقتها
_ أمين ها؟ تخرج أخيرا وسيصبح أستاذا علينا.

قلبت خنساء شفيتها بينما سمرا تفتح فمها ضاحكة ببلاهة،
فمدت مروة كفها تقفل فم صديقتها تنهرها بامتعاض

_ للمرة المليون أخبرك لا' تفتحي فمك هكذا حين تضحكين،
تبدين ك...

قطعت حديثها حين لمحت صفحة وجه سمرا المتهجمة،
تكمل عنها بعبوس مستاء

_أعلم! كالبلهاء، أعلم عن لقبى الذي يتهامسون به خلف
ظهري، سمرا الساذجة.

رمقتها مروة بأسف بينما خنساء، تعقب بإهمال

_لا يهم، كل واحدة منا لها لقب بل الأغلبية ممن أعرفهم، أنا
خنساء البرميل وهي مروة قاع الكأس

التفتا إليها ترمقانها بحنق، فتكمل بارتباك

_ماذا؟ أنا أخبركن بواقع الأمر، نكرانه لا يمحيه بل نتقبله ثم لا

نهتم، فلينعتنونا بما يشاؤون، هم من يتحملون السيئات لا
نحن.

همت مروة بالرد حين هتفت سمرا بينما تنظر لمكان ما على
السور بالجهة المقابلة

_انظرا! إنها تلك الفتاة صاحبة العينين الزرقاوين تتسلق الجدار.
استدرن جهتها، فقالت مروة تومى بأسف

_لا أعلم هذه الفتاة أين تذهب في كل يوم تتغيب عن الحصص.
تدخلت خنساء، تعقب بسخط

_تعود دائما مع موعد نهاية الدوام لأن والدها يكون في انتظارها
على باب الثانوية ليقبّلها.

فقالت سمرا تومى باستغراب

_ألا تخشى أن يعلم والدها بأي طريقة؟ قد يقتلها.

هزت مروة رأسها برفض ترد

_ لا أظن والدها بتلك الصرامة.

نظرتا إليها بحيرة وتساؤل، فاستطردت مفسرة

_ حسنا أنا أعرف والديها بشكل سطحي من خلال الدار التي

أكلمكما عنها دائما.

عبستا بحيرة وخنساء تتساءل

ماذا يفعلان في الجمعية بالضبط؟

ردت وهي تتوسطهما لتدفع بهما نحو البوابة حين صدح

صوت جرس نهاية الدوام يجلجل المكان وما حوله

_والدتها نائبة رئيسة جمعية حنين المراعية للدار، ووالدها
صاحب وكالات (SD) للسيارات.

هتفت سمرا باستغراب

_تلك الفتاة غنية!؟

فعبت خنساء تعود لامتعاضها

_حمقاء! ستضيع نفسها.

هزت سمرا رأسها بموافقة بينما مروة تراقب أمل بغموض

واجم وهي تركب سيارة والدها

_تحركي مروة! ما بك؟ هيا!

أجفلت تستدير إلى صديقتها ثم غادرت برفقتها بين حشود
الطلاب المغادرين بدورهم.

حرك رجلية بسرعة لم تنهك من بدنه القوي، بل من أعصابه،
يعلم بأنه تأخر عن مناسبة مهمة مع أن خوفه ليس من صاحب
المناسبة بل ابنته، حبيبة قلبه ووالدة ولديه.

عبست بخفة حين لمحته تلومه بعينها دون أن يخفى عليه
سعادتها التي لم تعد تفارق محياها حتى أسكنها بقلبه، فلم
يعد يكدر فرحته سوى خوف داخلي من الفقد.

_لماذا تأخرت؟

همست بها ورد بتأنيب وهي تميل نحوه لتعدل ربطة عنقه
 المعوجة جراء استعجاله بينما يهمس لها باسمها بأسف
 أسف حبيتي، قضية...

لا أريد أن أعلم، وأبي سيؤدي معهم اليمين الدستوري.

ردت بنفس همسه ثم التفت إلى المنصة حيث يؤدي والدها مع
 بقية الوزراء اليمين الدستورية، فسكن يتأمل صفحة وجهها، لا
 يمل من تشرب قسماتها المتصفة بالسعادة، حلمه الذي لطالما
 لاحقه و تمناه، يعيشه الآن بل يتحسسه بكفيه كل يوم، إن كانت
 هي أو ثمرتي حبهما ونتيجة عشقهما، 'أحمد وعلي'. اتسعت
 ابتسامته السعيدة حين صفقت بحرارة تتقافز بحماس كطفلة
 صغيرة تعبر عن فرحتها فخرا واعتزازا بوالدها قبل أن تتسمر

مكانها ترمق مراقبته لها بحاجب مرفوع، فضم كتفيها وقد
عبثت بخفقاته بنظراتها المرححة التي تذكره بمشاكستها وكل
لمحة سعادة عاشها معها.

_ لا تنظري إلي هكذا أو آخذك من هنا وانسي أمر المدير العام
للأمن الوطني وحفل تتويجه الوزاري.

_ إن فعلتها يا ولد، سرحتك من وظيفتك، لا تنس أنني عينت
وزير الداخلية قبل دقائق!

بلعت ورد شهقتها مستديرة إلى والدها تضمه كي تخفي حمرة
خديها بينما ليث يتسم بمكر، يجيبه بمرح

_تستطيع فعلها من قبل فأنت المدير العام للأمن الوطني لكن
 لن تكون مصطفى الشهدي الذي علمنا الواجب والنزاهة.

هز رأسه وهو يبعد ابنته برفق بعد أن قبل رأسها وليث يتصنع
 العبوس بحزن، يضمه بدوره مستطردا

_وهل يهون عليك أمر حفيديك حين تطرد والدهما ويتشردا؟

أبعده بحنق مزعوم يجيبه بنفس المزاج الساخر

_التشرد وعائلة الجندي؟ نحن نعلم جيدا من تكون، فمرتبك

لعشرة أشهر لا يساوي ربع ثمن سيارتك، واترك حبيبا جدهما
 خارج مناقشتنا.

ثم نظر إلى ابنته متابعا

_بالمناسبة لماذا لم تحضرا حفدي؟ كنت أريد أن يريا بطلهما
يؤدي اليمين.

تأبطت ذراعه، تجيبه بتعب

_أرجوك أبي! دعني أهنا بهذه اللحظات لو كنت أحضرت علي
لظلت أطارده هنا أما أحمد، فيرفض ترك جدته يلازمها طوال
الوقت.

قبلها على رأسها مجددا، يرمي ليث بنظرات ماكرة من طرف
عينه بينما يعقب

_طبعا، فوالدهما دائما مشغول ولا يساعدك أبدا، أباء آخر زمن!

ضحكت ورد بمرح يشاركها والدها دون أن يخفيها وليث
يرمقهما بحنق مزعوم.

_انتبه نوفل!

هتف بها أسد وهو يدفع زميله مطلقا رصاصات من مسدسه
ليردي أحد أفراد العصابة قتيلا، ليتحرك نوفل بسرعة يجر ساقه
المصابة، يختبئ خلف براميل مرصوفة لا تعد من كثرتها تملأ
المخزن الكبير الذي اكتشفاه بعد تحريات وأبحاث سرية
مضنية ليعلما أخيرا بأنه أحد أوكار صنع نوع مخدرٍ أضحى
آخر صيحة رائجة في عالم المخدرات.

همس أسد بغل حين انضم إليه في مخبئه

_تأخرت الدورية، يا الله!

رد عليه بحزم، دون أن ينظر إليه يتفقد جروحه.

_يجب أن نخرج من هنا، تعلم جيدا ماذا سيفعلون ونحن لم

نجلب معنا الأقنعة ولقد أغلقوا الأبواب سالفًا.

هز أسد رأسه مؤكدا وهو يتلفت متفقدا المكان حوله علّه يجد

مخرجا، فهما حين تسللا إليه للتفتيش لم يكونا متأكدين من

كنهه، ليُفاجئا بعصابة منظمة ومسلحة اشتبكا معهم في قتال غير

عادل ليجدا نفسيهما محاصرين مع ذخيرة أوشكت على النفاذ.

لفت نظره نافذة بعيدة أعلى الجدار، فأدار رأسه إلى صديقه
يهمس له

_كيف هي جروحك؟

رمقه بتساؤل فأشار له إلى النافذة ليومئ نوفل، يجيبه بخفوت
_أنا بخير، سأتحمل ... لنخرج من هنا.

تحركا بخفة وكل واحد منهما يحمي ظهر الآخر بحرص ثم
توقف نوفل مشهرا بمسدسه يراقب كالصقر بينما أسد يرص
البراميل على بعضها كي يتساقها إلى النافذة، أنهى عمله
واستدار إلى زميله يشير له بأن يسبقه ليساعده ويخرجا من
النافذة.

سحب أسد نوفل يزيد من سرعته لأن جروحه تستقر في ساق
رجله بسبب رصاصةٍ اكتفت من حسن حظه بشق اللحم مسببة
له جرحا عميقا نازفا.

لم يتعدا بما يكفي لأن موجة من الانفجار المهول أَلقت بهما
كلُّ في جهة وبعد برهة تململ أسد في مكانه يطبق على أذنيه
ليحد من طنينهما هاتفا بحقد

لعنة الله على الظالمين!

حرك أطرافه المنهكة لبحث عن صديقه، فجلس يتلفت حوله
وحين لمحه مسجى على الأرض دون حركة اهتز قلبه جزعا
ناسيا آلامه ليصبح بجانبه في ثانية، يهزه برفق يحاول إيقاظه

_ نوفل ... أفق يا صاح ... نوفل!

تشكلت ملامح وجهه بين الوجوم والخوف على صديق عمره
وزميله وأحنى عنقه يقرب أذنه من فم الآخر عسى أن يشعر
بأنفاسه، لبيتسم زافرا براحة حين تناهى إلى سمعه المتضرر
همس نوفل الوهن

_ أبعد وجهك عني وإياك حتى التفكير بالنفخ في فمي.

ربت عل صدره ضاحكا يلقي بنفسه على الأرض جواره يجيبه
بمرح

_ مع أنني سعيد جدا بنجاتك لكن لم أصل لذلك المستوى من
اليأس.

ظهرت ابتسامة واسعة على شفثيه تحت شاربه الذي استطال

مع نضجه، يرد وإن كانت نبرته تدل على مدى تعبته

_ لا تخف أنا لن أموت وأتركك تواجه لوم ضرغام بمفردك.

لم يعكر من مرحة اللحظي وحقيقة نجاتهما من موت محقق

مرة أخرى، فقال باسم

_ ضرغام يضغط علينا، يريد أن يترقى ويلحق بصديقه العميد

ليت في رتبته.

حرك نوفل رأسه بضعف، يتحدث بمشقة متحاملا على ألم

قاتل يلم برجله

_ عليه أن ينتظر قليلا، فنحن عدنا إلى نقطة الصفر ثم ليث يكبر

ضرغام

علا رنين هاتف أسد، فسحبه من جيب سرواله يرد بتهكم

_ لقد أتيتم باكرا، لماذا العجلة؟ لم نمت بعد.

ضحك نوفل رغم ألمه بينما أسد يكمل بحزم

_ نحن في الجهة الشرقية، أسرعوا فالضابط نوفل مصاب

التفت إلى صديقه ليجده باسمه رغم وضعه المزري، فاقرب

منه حتى أصبح يشرف عليه لا يفصل بين وجهيهما سوى

سنتمترات ثلاث على أقل تقدير، يهمس له بجدية غلف بها

خوفه

_لقد كانت وشيكة يا نوفل، ماذا حدث؟

تأمله نوفل بألم يكتبه دون أن ينبس بحرف، فتابع أسد بجدية

_حسنا لا تخبرني، فأنت صرت صامتا مؤخرا، لكن أن يصل بك

الأمر إلى التشتت الذهني أثناء تأدية وظيفتك التي يصادف

كونها خطيرة؟ لا! لن أسمح لك.

تلکاً قليلا يرمق مقلتيه بحيرة لما قد يكون ألم بصديقه مؤخرا

ثم تابع بتردد

_لن أتوانى عن حمايتك يا صديقي حتى إن اضطررت إلى إخبار

ضرغام..

أجفل نوفل من ذكر اسم ضرغام، فهم بالتحديث في نفس
اللحظة التي وصلت فيها الدورية إلى مكانهم برفقة الإسعاف،
ففضل الصمت الذي أصبح ونيسا له في أيامه تلك.

_مرحبا بني... شكرا على حضورك.

صافحه ضرغام بحرارة، يرد عليه باحترام

_مبارك عليك سيدي... أنا سعيد جدا من أجلك ومن أجلنا
أيضا.

ضحك مصطفى بشاشة، ليستديرا كلاهما إلى الفتاة التي
أهلت عليهما، تقول باسمه بلطف

_سيدي أنا لبنى، الكاتبة الخاصة بك، عينني مدير مكتبك
وأتيت لأتعرف إلى معاليك وأخبرك بأن الفريق اكتمل
وستجده جاهزا غدا إن شاء الله في مكتبك الجديد.

تأمل مصطفى حماس الفتاة المتقد كما ثققتها بنفسها بإعجاب،
طويلة نوعا ما ذات قوام عادي يلائم قامتها، وقورة بملامحها
الصارمة، بشرتها بيضاء ووجنتين تميلان للاحمرار مع عينين
تختفيان تحت النظارة الطبية الأنيقة كبديلتها النسائية المحتشمة
السوداء بقميص كريمي كطرحتها.

تحدث الوزير باسمما يرد برسومية

_جيد آنسة لبنى، فأنا أثق بمحسن لذا أوكلت إليه إدارة المكتب
ولم يخيب ظني ... إن كان الفريق بأكمله من عينة حماسك فأنا
متفائل.

أطرقت برأسها حياء لتسع ابتسامة الوزير، يتأكد له طبيعة
وجهها السريع الاحمرار تكسر الصرامة التي تتصف بها،
فتوهج بالمشاعر الطبيعية كباقي الفتيات.

أجفلوا على رنة هاتف ضرغام الذي تبدل وجهه إلى حزم حين
رد بكلمات مقتضبة ثم استأذن لينصرف.

البلد الأجنبي

_سيمون انتظري! لماذا العجلة؟

رمقتها بضجر تنفخ بنفاد صبر ثم ردت

_أنت تبحثين عن المشاكل أورا أنا خائفة على نفسي.

أمسكتها من ذراعها تتصنع الود؛ مخفية توترها الذي أصبحت

بارعة في طمسه والتحكم به

_سيمون حبيبتى، أنا اخترتك من بين كل الصحفيات، لأنك

بارعة في مجالك وطموحة.

لمعت عينيها بغرور تبسم بفخر، فابتسمت أور بظفر تزيد من
جرعة المدح لتصل لمبتغاها

_أخبروني بأنك محترفة ولا تخافين، لذا تكونين دائما سبابة إلى
الأخبار الساخنة.

أنزلت كتفيها استسلاما، تتساءل

_ماذا تريدن بالضبط أور؟

اقتربت منها تخفض من نبرة صوتها لتجيبها بجدية نطقت بها

عينيها البنيتين تسودان بكحل ثقيل وحقد أسود

_أريد فقط التأكد من اسم وكيل المافيا في بلد(....)

طغى الوجوم على ملامحها وهي تجيب بخوف

_أعطيني الاسم وسأحاول التقصي حوله مع أن الموضوع
خطير، فتلك المجموعة منظمة ومدعمة.

هزت رأسها بامتنان ومدتها بورقة مطوية، فتحتها الأخرى لتقرأ
الاسم المكتوب "تهامي القناص".

الوطن

دخلت البيت كعادتها ترمي بمحفظة كتبها على أريكة البهو
الصغير، لتتجه نحو غرفة المعيشة بشكل آلي، تحفظ المشهد
المتكرر الذي ستجده ولم يخب ظنها حين لمحت والدتها
تتابع مسلسلها بدقة و تركيز كأن حياتها تتوقف على أحداثه.

مطت شفيتها بضجر تلقي السلام

_السلام عليكم أمي! هل جهزت الغداء أم أجهزه قبل أن يعود

أخي؟

زفرت بيأس حين لم يجبها سوى حوار مشهد في المسلسل

يصدح وسط الغرفة لتنده عليها بصوت أعلى علّها تنبه من

غفلتها

_أمي! أجيبني!

قفزت من مكانها مجفلة، لتنقلب ملامحها من المفاجأة إلى

الامتعاض، تصيح بسخط

بسم الله الرحمن الرحيم، متى وصلت يا فتاة؟ ولماذا
تصرخين؟

همت بالتحدث، فقاطعتها ترفع يدها تكمل بنفس سخطها
وهي تعود بأنظارها إلى التلفاز

شششش! لا أريد تفويت هذا المشهد وأخيرا سينكشف
الشرير، الغداء في المطبخ اذهبي!

التفتت خنساء إلى الشاشة تحرك رأسها باستياء قانط، تلعن
التلفاز ومن اخترعه ثم استدارت تخطون نحو المطبخ.

_السلام عليكم ماما.

رفعت السيدة حليلة رأسها من على أوراقها المرتبة أمامها على
طاولة الأكل التي تتوسط غرفة الضيوف المفتوحة على باقي
البيت ثم أزالته نظارتها الطبية، تجيب بابتسامة رسمية

_عليكم السلام سمرا، ضعي حقيبتك في غرفتك واغسلي يديك
لنتغدى.

بلعت ريقها، تسأل بتوتر من أذنب وقد احمرت وجنتيها

_لماذا؟ ألن ننتظر لبنى؟

شع الفخر من مقلتها تبسم بسعادة استشعرتها سمرا ليغرق
قلبا في هوة حزن لم يكن سببها غيرة من شقيقتها على الأقل
ليس كرها أو حقدا.

_لبنى ستنشغل بعملها أكثر خلال الأيام القادمة، عُينت كاتبة
خاصة لدى وزير الداخلية الجديد ويجب أن نساندها لتنجح في
عملها و ترتقي.

اغتصبت ابتسامه لا معنى لها وهي تجيب
_مبارك عليكما ماما.

هزت رأسها برزانة، لتعود إلى ابتسامتها الرسمية بينما تجيبها

_ اذهبي واستعدي للغداء كي ترتبي المطبخ قبل أن تعودى
للدوام المسائي، فأنا مشغولة اليوم لذا سأعود أنا الأخرى إلى
عملي مبكرا.

كان دورها لتهز رأسها موافقة، تستدير لتقف حين تابعت
والدتها بنظرة مدققة

_ سمرا؟ هل تخفين عني شيئاً ما؟

أخفت توترها تجيب بإهمال قبل أن تكمل خطواتها إلى
وجهتها

_ لا أخفي شيئاً ماما، أنا فقط تعب و ما يزال ينتظرنى دوام مسائي.

زمت شفيتها بتركيز لكن سعادتها بأحد أكبر إنجازاتها الذي
تحقق في ابنتها الكبرى طغى على أفكارها، فأهملت شعورها
أو أرجأت البحث خلفه إلى وقت لاحق.

_مروة حبيتي؟ الغداء جاهز.

أقبلت عليهما باسمه لترفع حاجبها ريبة حين لاحظت الأجواء
المكهربة بشرارات تلمع من عيني والدها، فقبلت وجنته
تخاطبه بمشاكستها المعتادة علها تخفف من التوتر حول
المائدة، فهي تعلم تماما سبب اختلال هدوء بيتهم مؤخرًا

_ها أنا ذا أحصل على قبلي التي حرمتني منها اليوم.

التفت إلى والدتها المشفقة من حالته تتساءل بهزة رأس حانقة
حين لم يُحد بنظراته المحتدة من على نقطة معينة تبعثها
لتلاحظ شروده نحو الهاتف بترقب مركز، فمالت عليها
والدتها تهمس باسم شقيقتها لتزفر بضجر ترد

_أمي! أقنعه أن يألف الأمر، بما أنه سمح لها منذ البداية بمهنة
المحاماة يجب أن يعتاد على تجولها بين مراكز الشرطة
والسجون أيضا.

انتفضتا حين هتف العم سعيد بغیظ

_أنت محقة، أنا من سمح لها منذ البداية لكن ماذا أقول؟ فقد
حشدت فريقا ليقنعني ولم أقدر على ردهم.

تجاوزت اجفالهـا سريعا واقتربت من والدها تربت على كفه

قائلة بحنو

_أبي حبيبي، أنت ربينا على الخوف من الله زد على ذلك سلوى

أقوى واحدة فينا لا تخف عليها وثق بها.

نظر إليها أخيرا يجيبها بلين مشوب بضيق

_مشكلتي ليست الثقة أبدا، أنا أعلم بأخلاقك فأنتن تربية يدي

لكني أخاف عليها ممن تحاربهم لتحقيق العدالة التي ربيتكن

على أن الله يحبها، أخشى أن تصاب بأذى و هذا ما يجعل

أعصابي تحترق طوال الوقت.

ضمت مروة شفيتها ترمق والدها بفخر وحب بينما والدتها
تلهج بدعاء ليحفظ لها ذريتها حتى أجفلاوا على رنين الهاتف
لينقض عليه والدها بلهفة يرد

_ أين أنت سلوى؟ لماذا لم تحضري للغداء؟ ألم نتفق؟

صمت قليلا لتقلب ملامحه من دهشة إلى حيرة ثم قلق
يستفسر منها

_ وكيف حاله الآن؟

هز رأسه بتفهم يجيبه

_ لا مشكلة إذن، حين أنهى عملي سأمر على المستشفى برفقة
والدتك لنطمئن عليه.... استودعك الله يا ابنتي.

هتفت زوجته سيدة بقلق

_من بالمستشفى؟

ذكر اسم الله وبدأ بالأكل بينما يجيب بانزعاج ظاهر على نبرته

_نوفل، أصيب اليوم في عمله وهو بالمستشفى.

شهقت سيدة، تسأله برعب

_كيف حاله الآن؟

أوما يرد عليها بضيق

_بخير، هذا ما أخشاه من عملهم الخطير، فمن يحاربهم نوفل

هم من تدافع سلوى عن ضحاياهم ضدهم، إذا كانت الشرطة

لا تخيفهم، فما بالك بفتاة!

زاد قلق سيدة تلهج من جديد بأدعية الحفظ بينما مروة تطرق
برأسها تتناول طعامها محتفظة برأيها لنفسها كما تفعل دائما.

_لقد انتهيت يا سيدة حليلة.

رفعت السيدة الخمسينية رأسها من على أوراق الحسابات
لتلتفت إلى الرفوف المبردة، تتأكد من بالبضاعة اليومية بينما
بيلسان تنهي كلامها

_تبقى شكل واحد، وضعته في المجمد وسامية ستخرجه بعد
ساعة.

حركت يدها في الهواء، ترد ببرود تتصف به ملامحها الوقورة
التي حفرها الزمن معلنا عن سيدة كافحت لتؤمن لنفسها
ولبنتيها حياة مستقرة

_ أنت تعلمين بيلسان بأنك أهم عاملة هنا ولا أحبذ غيابك لذا لا
تعتادي على ذلك.

هزت رأسها ممتنة تتمم بكلمات شكر قبل أن تنسحب
مغادرة، فهي أبدا لن تسمح بأن تفقد صديقتها عملها، لذا
قررت أن تنوب عنها وبذلك تضرب عصفورين بحجر واحد،
تتأكد من مكان وصاحب عملها والأهم تحافظ لها على
عملها.

تذكرت كيف تبعتها حين لم يعجبها تهربها من اخبارها عن
 تفاصيل مُشغلها، تتحجج بكونه رجل مهم فتتكم عن هويته
 بأمر منه كشرط للعمل لديه، كانت تنوي التقصي عن هويته
 لكنها تفاجأت بملكيته للبناية كلها يربض على بابها كومة من
 حراس الأمن، لا تنكر إحساس الراحة الذي تخلل خلايا
 صدرها، على الأقل لم تكذب عليها لكن هناك ما يقض
 مضجعها، تشعر بصديقتها تخفي عنها شيئاً ما، فهي خير من
 يعرفها جيداً ولا يخفى عنها كآبتها التي تحاول جاهدة طمسها
 ومهما حاولت تفر بين الفينة والأخرى لتطغى على عينيها بلون
 الذهب كشقيقتها فينطفئ وهجهما.

سحبت البطاقة التي أخذتها من بين أغراض جنات دون أن
تشعر بها حين وصلت باب البناية حيث تحدثت مع رئيسهم
تشرح له ظروف صديقتها المريضة ليسمحوا لها بالدخول.

مجموعة القناص

مال على ابن عمه يسأله بهمس واجم

_ما سبب هذا الاجتماع الطارئ؟

ابتسم صهيب بحنوه المعتاد الذي يعتبر نادرا لمن ينمو وسط

تلك العائلة، يرد وهو يقدم له كأس عصير في يده بعد أن دس

هاتفه في جيبه

إنها الأسهم من جديد، ألم يخبرك نضال؟

لام غباءه حين لمح سواد ملامحه، فربت على يده يستطرد

أسف نزار.

قاطع مغمما ب * لا عليك * ثم ألقى عليه سؤالا آخرًا.

نضال هنا؟ ثم لماذا لم يجتمعوا في المنزل، لماذا الشركة؟

ابتسم بتجهم أضفى على وجهه نضوجا أكبر من سنوات عمره

الفتية، يخبره

أظن بأنهم علموا شيئا جديدا عن التوءم المفقود.

نطق آخر جملته بتهمك غير مزاج نزار العكر، فرسم على شفثيه

ابتسامة أنارت ملامحه السمحة معقبا بمرح

_ كأنك تتحدث عن التاج المفقود في رواية هاري بوتر ، الجزء
الأخير أليس كذلك؟

انتقل إليه مرح ابن عمه، أقرب شخص إلى قلبه، فتنبسط شفتاه
المائلتين إلى الاحمرار دوما مما يستجلب عليه الكثير من
السخرية من أصدقائه غيرة، خصوصا مع بشرة وجهه البيضاء
وعينه ذواتا اللون البني اللامع برموش طويلة يظللها حاجبين
من نفس لون العينين وشعره الكثيف الحريري المنساب على
جبهته، لوحة ربانية بديعة.

تحدث صهيب باسم

_ إنه التاج الضائع يا زيزو وليس التاج....

قطع حديثه ساهما بوسوسة 'عفوا' وشوشة والدته لأبيه وتلك
ال نظرة تلمع من عينيها وكم يكره مقلتها حين توامضان بقسوة
تخفيها بين شفيتها المزينتين باغواء لتضلل فريستها.

تجمد نزار بريبة لسكون الفتى جواره غافلا عن لسان حال
الأخير الذي يصرخ متوسلا والده أن يرفع أنظاره إلى زوجته
وهي تحدثه، لا يعلم صهيب لماذا يظن بأنه لو نظر إلى عيني
والدته وهي تحشر أذنيه بوسوستها كان ليدرك مدى حقدتها و
كذبها، ألا يعلم هو؟ منذ نعومة أظافره وهو يكتشف وجوه أمه
المتعددة وكم كان عليه صعبا استيعاب كم اختلافاتها، ليعي
بعقله الصبى براعة والدته بالتمثيل وليصل للحقيقة الكامنة في
النهاية بأنه نفاق.

جفل على ربة نزار، ليستدير إليه مصغيا لهمسه القلق

_ماذا فعلت بشأن خطتك؟

تفقد الوجوه أمامه، فلاحظ انشغال كل فرد منهم بشحن
أسلحته ضد بني دمه من أجل حرب شعواء كانت وستبقي من
حروب بني البشر الأزلية، المال والسلطة.

لاح شبح ابتسامة على جانب ثغره وهو يشبههم بطغاة
يجتمعون حول طاولة مستديرة تختلف عن طاولات
الاجتماعات في الشركات الأخرى ذات الشكل المستطيل،
يتقاسمون المال والسلطة.

شملت البسمة المستهزئة وجه صهيب بينما يفكر بوالده "فؤاد
القناصر" * متخصص الصيد والرماية لكن بتخطيط من زوجته
"قائمة" التي تهوي الحرب والتخطيط دون أي علاقة تربطها
بالحكمة ثم تحرك بنظره قليلا إلى عمته "فريدة القناصر"
الخنوعة والمستسلمة التي تنازلت عن منصبها لابنها
* رضوان * تاجر الفن والشعر والموسيقى.

انتقل إلى الأخير، فتحجرت مقلته يرمق عمه "تهامي
القناصر" بقسوة حولتهما إلى شبيهي والدته يكمل حديثه
لنفسه "عمي العزيز، أنت أشع مما تبديه واجهتك الوسيمة
والأنيقة هذه!"

_ أنا أحدثك على فكرة، ما الذي يشغل بالك؟

أجفل على ضغطة من يد نزار، فأجابه ساخرا

_هراء.....دعك مني، ماذا قلت؟

أعاد نزار سؤاله متجاهلا مزاج صهيب الفريد كهيئته التي يسمع

عنها ولم يوفق لرؤيتها، ليرد عليه صهيب بقلق

_سجلت أخيرا بتلك الثانوية "الحسن البصري" فتهددي أتى

بنتيجة، صدق أو لا! لي سطوة خفية لا أفهمها على والدي ولن

أنكر بأنه فاجأني حين أقنع والدتي.

هز رأسه موافقا لكن بإدراك ثم قال بدعم وتشجيع

_أتمنى لك التوفيق.

لمعت مقلتاها البنيتين بتصميم ضاعف من بريق لونها ورد عليه

يجب أن أتعرف عليها وأتقرب منها.

ثم قلب شفتيه، لينفخ مطيرا الخصلات الحريرية من على
جبهته بينما يهز كتفيه استخفافا وهو يستطرد

المهم أن أجاورها وسأتعرف عليها بطريقتي، فهي لا تعرفني
ولم يسبق لها رؤيتي من قبل وسأجد طريقي للأخرى.

لم يأتيه الرد منه ليلتفت إليه فيلمح أنفه المجددة قرفا، يهتف
بخفوت ممتعض

وصلت الصاعقة.

أدار صهيب وجهه إلى الوافدة عليهم تضرب الأرض بكعبها
الحاد كأنها تملكها بمن عليها، يسبقها عطرها الفواح الغالي

الثلث كسترة الفرو على كتفيها، تبخرت برشاقة جسدها، فهي
 عارضة الأزياء الأولى في البلاد كونها بدأت مشوارها في كندا
 بغض النظر عن قيمة تجربتها، منحها صيتاً صُقل بمال والدها
 ونفوذها ليُعبدها الطريق أمامها مفروشا بورود تسحقها بكعوب
 أحذيتها الفاخرة، لم تحيي أحداً تخطو رأساً إلى جوار والدها،
 تتدلل عليه كعادتها حتى تسأم من تجاهله لتزفر بحنق وتلتفت
 إلى هاتفها الذكي تتشاغل به كأن لا أحد حولها.

قرر نزار التحدث يناكف دليلاً بينما يوجه حديثه لرضوان

رضوان؟ سمعت بأن نضال يحوم حول نجمتك الجديدة
 ويبدو بأنها تقع في الفخ إن لم تلحق بها.

رفعوا رؤوسهم مجفلين كأنهم الآن تذكروا وجوده ليبتم
صهيب بمرح ماكر، يرمق اصطكاك أسنان دليلة البيضاء
ورضوان يلقي بثقله على الكرسي يتشوق بتشفي بعدما التقط
مغزى حديث ابن خاله

ـ يحق له، فتلك الفتاة فاتنه ثم من يستطيع مقاومة أوسم شباب
القناصر؟

ـ إنه يتسلى كعاداته.

ألقها دليلة بتساؤل أكثر منه تقرير تقنع نفسها قبلهم ليضحك
نزار بخفة، عكس رضوان الذي جاهر بضحكته غير مكترث
لسخط نظراتها مع والدها وسخرية البقية، ليهدف تهامي
بانزعاج

إنه قليل التهذيب، أين هو؟ تركنا ننتظره هنا كرعيته، لا يحترم حتى مواعيده.

وحدت كلماته النظرات الساخرة حتى من ابنته المتجهمه ليجيبه نزار بغموض

أرجوك عمي، دعنا من حديث قلة الأدب والاحترام.

هتف بغضب يرمي نظارته على الأوراق قبالة

ماذا تقصد يا ولد؟

لم يجبه متشاغلا بالتمسيد على لحيته الخفيفة والمشدبة، فتدخلت عمته فريدة لتهدئ النقاش قبل أن يصل إلى الحدة المعتادة

_اهدئوا ولا تفضحونا نحن في الشركة.

هم تهامي بالرد لكنه تراجع والجميع يصمت، فتلمع مقلتا دليلة
ذواتا العدسات اللاصقة الزرقاء بلهفة وهو يهل عليهم بوهج
غريب ينشئه حوله في أي مكان يحل عليه وقد ازداد نضجا
أضاف إلى هيبته رزانة وجدية تخيف من يقف أمامه، ليساعده
طوله الفاره و قداه الرشيق فيتجسد في بدلته الأرماني السوداء
عليها معطف كشمير من درجة أولى إلى حدود الركبتين كأحد
عارضى الأزياء قفز مباشرة من مجلة مشهورة.

خطا إلى مكانه المعهود الذي انتزعه نزعا من العائلة رغم أنه
كان لوالده، رأس الطاولة، مكان القائد وقد استحقه عن جدارة
بعد أن أثبت بأنه سليل الهاشمي القناص، رجل الأعمال

المحنك الذي بنى مع إخوته شركات عدة كان أساسها شركة المعادن، لتنمو وتكبر إلى أن شملت فروعاً أخرى عدة كالنقل والتجهيز.

تناقش بخفوت مع مساعده وحارسه الشخصي الذي انصرف بعد ذلك مغلقاً الباب خلفه ثم ألقى تحية شاملة مهمة و كعادته لم يدقق بالوجوه، فهو يعلم سالفاً ماذا سيجد، تأملات عمته وعمه فؤاد الممتعضة أو خاصة تهامي الساخطة حتى شقيقه لا يستطيع أن ينظر نحوه كي لا يلمح الخيبة أو أسوأ.

تحدث تهامي بنزق

هلا تشرفت وتكرمت وبدأت الاجتماع؟ فلكل منا مشاغله.

رمقه بحدّة جمدته وإن لم يظهر ذلك، فان اعترف أو لا " نضال
نسخة من والده وعلى مر الزمن أفلح في هز جبروت عمه
وزعزعة العرش من تحت قدميه.

رد عليه بعجرفة بينما يرفع رأسه بأنفة يرمق مقلتيه رأسا بحزم
وجرأة

_ لا تنس بأنكم من طلب هذا الاجتماع، فوقتي أضيق كما تعلم
يا... عمي.

هتف صهيب ببلاهة مازحة

_ أنا لم أطلب شيئاً.

ابتسم نضال يغمزه بخفة لم يلاحظها إلا الفتى لتموت ابتسامته

حين عقب شقيقه نزار بتهكم

_صيغة الجمع لا تشملنا يا عزيزي، لا أعلم حقيقة ما الذي أتى

بي؟

زفر يائسا بخفوت، لتتدخل قائمة تجيبه بنزق

_أنت هنا لأنك صاحب أسهم كالجميع.

أضحت لضحكة نزار الناقمة صوتا يرد بنفس السخرية

_أسهمي أصبحت لأخي العزيز.

لم يجبه، يرمق الأوراق أمامه بينما يخفي ألما جارفا لتتدخل

فريدة تهادنه كالعادة

إنه فقط يراعي أملاكك بني.

حينها رد عليها بمرارة

أعلم كصهيب، إلا أنه قاصر وأنا في مثل عمر الوصي علي.

التفتوا إليه يتأملونه بشفقة سوى عمه تهامي الذي تجاهل

الحوار كلياً، يقول بحدة جازره لكل تدخل لا يمت للموضوع

الأساسي بصلة

سمعنا بأن هناك أخباراً جديدة عن الفتاتين.

حمر نضال نفساً ساخناً محبوساً في قلب صدره وعمه فؤاد

يعقب قبل أن ينطق بكلمة

هذا الموضوع يجب أن نجد له حلاً.

أوما نضال بسأم ليؤكد تهامي على قوله وقد لمعت بنيتيه بطمع
 _فؤاد محق، يجب أن ننهي هذا الموضوع، لا أظن بأن للفتاتين
 أثر نتعقبه.

ما زال نزار على صمته الساخر يشاركه رضوان الذي أسكت
 والدته فريدة عن أي تدخل ليتولى نضال الرد بسخط متشفي
 _لقد وجدت واحدة منهما.

شهقتين خفيفتين صدرتا من فم فريدة و قائمة بينما باقي الأفواه
 المفجرة باستثناء فم دليلة الغير مبالي إطلاقا.

ترقب بهوتهم ولم يرضه سوى صدمة تهامي وقائمة زوجة عمه
 فؤاد الذي سأل بفضول

_تحدث نضال، التفاصيل.

أخذ نفسا ثم أخبرهم بما تحصل عليه من معلومات

_هي ببلد والدها، وصل إليها المحقق الذي كلفته قبل سنوات

عبر تقفي معلومات عن نسينا العزيز.

اهتزت مقلتا تهامي حين ومضت عيني نضال بحقد تجاهه وهو

يكمل بجفاء

_تفاجأت حين علمت بأنه قبض عليه أخيرا في نفس الرحلة التي

كنت حاضرا فيها قبل سنوات وقد اختطف زوجتي شرطين،

واحدة منهما كانت معنا في الرحلة، ما زلت أتذكرها جيدا، ثم

قتل شابا من الطلبة بكل برود.

التفت رضوان يضم والدته التي كمت فمها بكفها وقد
اغرورقت عينيها بدموع الحسرة على توءمها، تلك التي قتلت
ظلما وثأرا من زوج مجرم حقير، تقول بنشيج
_المجرم سببُ حرماننا من أختي.

فكان نزار من تدخل بسخط يعبر عن الحقيقة بصراحة

_بل عائلتها التي باعتها السبب!

_أسكت يا ولد!

_وهل ما قاله كذب؟ أحذرك! لا تحدث أخي مرة أخرى بتلك

الطريقة!

ثار نضال ولم يتحمل إهانة شقيقه الصادق بقوله وممن؟
شخص كتهامي.

لمست قائمه كف زوجها ليتدخل بالمفيد فقال الأخير
_دعونا من هذا النقاش العقيم، أكمل نضال!

مط جانب فمه بتبرم يكمل حديثه

_المهم أنه تتبع أثر احدى ابنتيه تلك التي ساعدت الشرطة
ليقبضوا عليه وقد وجدها في مدينة جنوبية لبلد والدها،
سأحدثها لأقنعها بالعودة حتى تتسلم نصيبها.

قلب تهامي فمه بانزعاج يستفسر

_وماذا عن الأخرى؟

نظر إليه بتهديد صريح بينما يرد عليه

_لم يجد المحقق أي شيء جديد، سوى أنها اختطفت على يد

من قتل عمتي لذا صعب علينا ايجادها.

تدخلت قائمة تقول بنبرتها المدعية دوما

_هل تظن بأنه سيترك فتاة صغيرة قتل والدتها حية؟

ازداد نشيج فريده وابنها يهدئها بلطف بينما يرمي زوجة خاله

بلوم ساخط، ليقوم نضال واقفا ينهي الاجتماع بقوله الحازم

_حينما تأتي شقيقتها سنرى والقانون واضح بما أننا لم نثبت

وفاة احدهما بدليل قاطع، لا يمكن التصرف بأسهمهما.

قاموا بدورهم وانصرف نزار برفقة صهيب بعد أن أعاد الأخير
 غمزة ابن عمه نضال ليغادر الكبار تباعا دون نقاش ممتعنين
 من نتائج الاجتماع الغير المجدية، فودع رضوان والدته بعدها
 بالعودة باكرا إلى المنزل قبل أن تفرق شفتاه عن ابتسامة ماكرة
 يرمق تملق دليلة لابن خاله الذي لا يقيمها من على أرضها،
 يتأفف متمللا في وقفته، فعلم بأنه يحتاج للإنقاذ السريع
 _إنها سهرة جميلة لافتتاح ناد ليلي راق سيعجبك، أرجوك
 رافقني.

اغتصب ابتسامة باردة، يجيبها بجمود

_لا أستطيع دليلة لدي موعد سابق، أنا آسف.

استنكرت بدلال، فتدخل رضوان بينما يكتم ضحكته

_دعيه يا دليلة، لديه موعد مع الفنانة دنيا ولن يستطيع التملص منه.

استدارا إليه كل واحد منهما يرمقه بإحساسه الخاص، نضال

بامتنان ودليلة بسخط تنصرف غاضبة، فتعلو ضحكاتها بينما

يتدخل مساعد نضال الشخصي غير آبه لها، فهو تقريبا على

علم بجمل تعقيدات عائلة مستخدمه وصديقه في آن واحد

تحدث رضوان بجدية بعد انضمام محمد إليهما يتساءل

_نضال، ما الموضوع؟

رد عليه بنفس جديته القلقة

إنه موضوع مقلق ولست متفائلا.

عقد رضوان حاجبيه البنين، فأشار نضال إلى محمد الذي تحدث بحزمه الذي فرضه عليه عمله كحارس أمني تدرّب على يد أمهر متقاعدي الجيش، أسسوا بعدها شركات للأمن في خضم تحقيقي بحثا عنها علمت بأنها أيضا تقوم بنفس الشيء عنكم، وبالتالي هي على علم بأن من زوج والدتها من والده السيد تهامي، فأصبح تحقيقها منحصر حوله ولقد تمادت كثيرا، مع أنها ذكية.

هز رضوان رأسه تفهما ونظر إلى نضال يخاطبه بتجهم

_ أنت محق لا مجال للتفاوض، ما الذي يجبر فتاة على إخفاء

نفسها بدل المطالبة بحقوقها، وهي ليست بهينة؟

عض نضال أسفل شفته السفلى، يهز كتفيه بحركة تدل على

جهله ثم قال

_ سأعلم ذلك الليلة، سأكلمها ومن خلال جوابها سأصرف.

ثم التفت إلى محمد يخبره

_ محمد جهز السيارة سنذهب إلى البيت.

حرك رأسه بطاعة وانصرف بعد أن ألقى التحية على رضوان

الذي أعادها عليه قبل أن يسأل نضال

_ ألن تعود إلى المنزل الليلة؟

أوما نضال سلبا، فأكمل رضوان بود

_اقترب من شقيقك نضال، لا تتركه للوحوش تفترس أذنيه!

رمقه بحدة يعلم محدثه جيدا بأنها غلاف بلاستيكي لماع
لآلامه التي تنهش أحشائه

_فات الأوان رضوان فات الأوان! كل ما أستطيع تقديمه له
هي الحماية من تلك الوحوش حتى وإن رغما عنه.

اقترب يربت على كتفه مجيبا بصدق

_لم يفت الأوان بعد، إنه معنا ويعرف جيدا من على الحق
والعكس، إنه فقط مجروح منك.

زفر نضال بقوة يهز رأسه بلا معنى وهما مغادرين كل إلى
وجهته.

الفصل الثاني

{ ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو
مغمومالحسن البصري }

_ظهور الفتاة يغير كل خططنا.

أرتمى فؤاد على مقعد مكتبه يهز رأسه مؤكدا قول زوجته التي
تسند بكفيها على سطح المكتب، فتنحصر تنورتها القصيرة
الرمادية اللون عن ساقها كلون سترتها على قميص ذهبي
كشعرها الحريري المعتنى به جيدا، فتحقق بمظهرها المغوي
مآربها التي لا تنتهي أبدا.

اهتز هاتفها فالتقطته من على المكتب بينما تستقيم وتكمل

حديثها

يجب أن نجد حلا قبل أن يتواصل معها نضال.

شبك كفيه مع بعضهما، يسند بهما رأسه بينما يحط بمرفقيهما

على سطح المكتب، يرد بتحذير تشع به نظراته من تحت

عويناته

وماذا تقترحين قائمة؟ أن نقتلها مثلا؟ أحذرك حبيبتى، لقد

أخبرتك من قبل، لأطماعي حدودا صارمة، وبما أن الفتاة على

قيد الحياة سنغير اتجاهنا.

أخفت جمودها بكل براعة وهي تشد الهاتف بين ثنايا كفها
تعتصره بينما تقترب منه مستغلة تأثيرها عليه، تعقب بنبرة ناعمة
_أعلم حبيبي، فأنت طيب القلب وأنا مثلك، قصدي هو
استمالتها إلى جانبنا، لذا يجب أن نصل إليها قبل نضال.
انجذب إليها كالمسحور يهم بها، فابتعدت عنه في آخر لحظة،
تستدير مغادرة وهي تستدرك بابتسامة لعوب على ثغرها
_هناك عملاء ينتظرونني في مكنتي، أراك لاحقاً حبيبي.
تنهد يريح رأسه على المقعد خلفه، يراقب انصرافها بتأمل
غامض كغموض نظرتها التي تغيرت حين أقفلت باب مكتب
زوجها، تهمس بحنق

إن كان لطمعك حدود، فهناك من لا حدود لطمعه وأنت دائماً
من ترميني إليه.

أطبقت خنساء على أذنيها مغمضة عينيها حين بدأت وصلة
الصراخ اليومية بين شقيقها وأمها

ـ كم من مرة سأعيد كلامي.... هذه المسلسلات حرام وكل ما
تفعلينه حرام!

حركت رأسها بيأس تنتظر صراخ الأخرى الذي سيعلو على
نبرة الأول

_وأنا للمرة المليون أجيبك بلا تتدخل في ما أفعله، أتفرج على
المسلسلات، أسمع أغاني... أحترق! لا شأن لك!

نقد صبرها فرمت الكتاب من يدها على سريرها وخطت في
اتجاههما، تعلم جيدا كيف سينتهي الأمر، فالطرف الثالث لم
يصل بعد لتكتمل وصلة كل يوم.

_لا أستطيع رؤيتك تحترقين وأسكت!... أنت أُمي وأخاف
عليك!

زمجرت بسخط ترد عليه بينما تشير إليه بسبابتها

_اسمع يا ولد!... أنا ربيتك واعتنت بك إلى أن أصبحت أطول
مني، لن أسمح لك بتقليل أدبك معي، تشدق بأقوالٍ لا أعلم

من أين تحضرها، هذا وذاك حرام... ألم يعلموك أن الصراخ
على الوالدين حرام؟

زفر بسخط يهم بالرد فقططعتهما خنساء بمهادنة

_أخي؟ هل أجهز لك العشاء؟ أنت لم تتغدى معنا اليوم.

لوحت والدته بيدها تهتف بعصبية وهي تنصرف إلى غرفتها
لتقفل عليها الباب كالعادة.

_حياة بائسة!

التفت يجيب شقيقته بوجه يحمل علامات الضيق

_أجل، أنا جائع.

تبعها إلى المطبخ وجلس إلى المائدة المربعة، يراقبها ترص

الاطباق أمامه فسألها

_متى عدت اليوم من المدرسة؟

بلعت ريقها ترد عليه بوجل أضحى ينتابها منذ تغير حال

شقيقتها

_ينتهي الدوام عند السادسة مساءً، نصف ساعة بعدها كنت في

البيت.

مد يده بعد أن ذكر اسم الله يلتقط طرفاً من الخبز، يغمسه في

مرق الدجاج ثم يدسه في فمه، يقول بينما يلوكه بين أسنانه

_على العموم، أمين سيلتحق بثانويتك مطلع هذا الأسبوع
وسيكون عيني عليك فلا تحاولي الكذب علي.

تملكها إحساس يدغدغ صدرها بذكر اسم ابن جيرانهم
ليختفي ذلك الشعور حين أصابها الإحباط من تكملة حديثه،
فردت عليه بحزن

_متى كذبت عليك أخي؟

هم بالرد قبل أن يتسمرا بينما ينساب إلى مسامعهما صوت
والدهما يطرب الجيران بنبرته النشاز يترنح على سلم البناية.
انتفض سالم من مكانه مسرعا إلى الخارج بخطوات غاضبة،
فنفخت خنساء بملل وضجر يأس من حياتها اليومية التي لا

يتغير نمطها وحركت رجليها هي الأخرى لكن بثقل غير
مستعجلة

_يا إلهي أبي، ألا تمل أبدا؟ أصمت ودع ليلة واحدة تمر دون
فضيحة بين خلق الله.

نفض يدي ابنه من عليه يصرخ بامتعاض

_ابتعد عني! أنا لست ثملا، ابتعد! وإن كنت تخجل بي... تبرأ
مني!

ثم ضحك بصخب يكمل وهو يستند بالحائط

_فالأولاد في هذا الزمن من يتبرؤون من آبائهم.

اشتد الغضب بسالم يقبض عليه بذراعيه وقد بدأت الأعين
بالتلصص، يهتف بغل مرير

_أصمت! الجيران تتلصص علينا.

صرخ بأعلى ما استطاعت حنجرتة، فأمسكت خنساء بصدرها
خوفا وقلقا تدعو الله خروج أمين إليهما علّه يفلح في احتواء
المشاجرة كالعادة

_المتلصصون؟ ألا يملون من نفس المشهد كل يوم؟ إنه
مسلسل رديء على قول والدتك لا يستحق المتابعة.... أين
هي على فكرة؟... آه لا تخبرني، هل تراقب مشهد انكشاف
الشرير؟ أو مشهد حب البطلين؟

توالت الأنفاس خانقة تندفع من صدر سالم، يسحب والده في

اتجاه شقتهم بينما الأخير يكمل بغير اتران

_مع أنها لا تحتاج إلى مشاهدة الحب بين البطلين، فأنا أستطيع

أن أقدم لها مشهدا مبهراف...

_أصمت أبي! يا إلهي ما هذا البلاء؟

صاح سالم في نفس الوقت الذي فتح فيه باب بيت أمين، يطل

عليهم بابتسامة سمحة لا تفارق ثغره أبدا، فيوحي لجميع من

يراه بأن كل شيء بخير مهما حدث، أسرع دقات قلب

خنساء تتأمل كيف همس لشقيقها بشيء ما وهو يشير إلى باب

شقته قبل أن يدفعه برفق بينما يستدير إلى والدها يخاطبه بلين

مؤدب

_عمي كامل؟ ما رأيك لو أشرب معك كأس شاي تعده لنا

خنساءك المدللة؟

ابتسم كامل، يومئ بطاعة وتقدمه يتخبط في خطواته، فيسنده

أمين رافعا حاجبيه لخنساء التي انتفض قلبها قبل جسدها تهرع

إلى المطبخ لتحضر له فنجان قهوة، فهي تعلم بأن قصده القهوة

لكنه لم ينطقها كي لا يرفض والدها احتساءها.

حملت الصينية إليهما وقد أجلسه أمين على أريكة البهو

الصغير والتقطها منها باسماء، يهمس

_ابقي بجانبه، سيستفيق بعد لحظات من شرب القهوة أما أنا

فسألحق بأخيك قبل أن يعود.

أومات بحياء لا يصيبها سوى أمامه تتمسك بطرفي وشاح
رأسها، فاستدار مغادرا بعد أن تأكد من احتساء والد صديقه
للقهوة.

زفرت براحة تقترب من أبيها تمسد على رأسه بينما تغمغم
بحزن

_هداك الله يا أبي وأصلح حالنا.

_اهدأ يا صديقي، ماذا بك؟ أصبحت قليل الصبر يا سالم.

تنهد سالم بسأم يرد بانزعاج تجلى في مقلتيه السوداوين
كشقيقته

_وتسأل عن السبب يا أمين؟ أنت حاضر معنا كل يوم تشهد
على فضائحه وأنا تعبت.

ربت على كتف، يحثه على ارتشاف بعض من العصير

_سالم، نحن لسنا فقط جيرانا بل تربينا معا وتعلم جيدا بأن ما
تمر به مررت به قبلك.

ترك الكأس على سطح مكتب صديقه بقلب غرفته بينما يرد
عليه بحزن غامض دفين

_أعلم يا أمين... لكن الله لطف بكم وأخذه.

ضحك بخفة يدفع بكتفه مازحا

_هل تتمنى موت والدك يا أخي؟

ثم تغيرت ملامحه من مزاح إلى وجوم، يكمل

_ ثم أنت تعلم بأن مشكلة والدي ليست فقط السكر وشقيقتي

خير دليل على أكبر مصائبنا.

رفع رأسه بحدة، يسأل بلهفة لم يستطع مداراتها

_ كيف حالها؟ وذلك الوغد زوجها؟

عادت ابتسامته وإن كانت حزينة، يجيبه

_ لا شيء تغير يا سالم، أعلم بأنها في عذاب مستعر، لكنها تتكتم

خوفا على من جبروته وأنا لا أستطيع التدخل إن هي لم

تشتكي.

قبض على يده حتى ابيضت سلامياته، يهمس من بين فكيه بغل

إنه بائع خمر يجوز قتله.

دهش أمين من كم الحقد يقفز من عينيه كالسهم ومن قوله
أكثر، فيستفسر منه بحذر

من أين أتيت بتلك الفتوى؟

تدارك نفسه يجيبه بتوتر لم يخف عنه

لا!...أنا أقصد بأنه بائع سموم تقتل الناس ببطيء دون
التحدث عن فقدانهم لعقولهم كالحيوانات أعزك الله.

فيعقب أمين بكياسة ملتزما بنفس حذره

وإن يكن؟ جزاءه عند خالقه ثم أولياء الأمور مسئولون عنه.

ضحك بسخرية، زادت من مخاوف صديقه فاستطرد بجدية

_سالم! لم أعد أراك في مسجد حينا، أين تقيم صلواتك؟

تهرب بعينه، يرد باستخفاف مزعوم

_بالمسجد قرب عملي، فنحن في موسم الذروة والمحل يأتيه
زبائن كثير.

أوما بعدم اقتناع وتجاهل الأمر، فقام الاخر يستأذن ليغادر.

تململ نوفل في مكانه يمط شفثيه بحنق بينما يرمي تلك
المنزوية بنظرات مشتاقة ومتوارية، فتبتسم بنفسج بمكر تلمس
تترت بكوعها تمرر لها نفس مزاجها حتى استدرن إلى ضرغام
الذي ولج متنحنحا يقول

_المرجو المعذرة، الرجال خارجا يريدون الدخول....أظن بأنه
من الأفضل أن تغادرن إلى البيت...هذا الثور سيخرج غدا
صباحا.

هتفت بنفسج مستنكرة، بينما شهقات خفيفة انطلقت من أفواه
الحاضرات وكانت إحداهن من زعزعت قلب نوفل
_ماذا تقول يا ضرغام؟ حفظه الله من كل سوء.

لمعت عينيه بظلمة تدركها جيدا، فاحمرت خجلا لبيتسم
بغموض يجيبها

_هيا تفضلن لأن الوقت متأخر والرجال مشغولون.

قبلت تتريت وجنة شقيقها، فسحبها تفاوت تودعه بدعوات
السلامة والشفاء، تبعها ساجدة والجدتين برفقة جليلة،
فاقتربت بنفسج من زوجها حين لاحظت انزعاج نوفل ينظر
إلى الأخرى التي لا تعلم ماذا تفعل؟ أترحل أم تبقى مع
بنفسج؟ فهمست الأخيرة لضرغام بينما سلوى تخطو تجاه
نوفل

_سأنتظرك أنا وسلوى حتى نوصلها إلى بيت أهلها، فلقد
وعدت والدها بذلك.

ابتسم يرمقها بهيام يجيبها بنفس همسها لكن بنبرته الخاصة لها
وحدها.

_أنا تحت أمرك، أنت وضيوفك.

ارتبكت بخفة تتهرب من نظرات ظلمتية تبثانها وعودا تعلم
 فحواها جيدا، وعودا وفاها على مدى السنوات المنصرمة،
 عاشاها بمرها وحلوها، بمشكالها اليومية كزوج و زوجته،
 يتشاجران كالعادة هو لإثبات القوامة وهي لإثبات الأحقية،
 ليتصالحا بعدها يتحدان ككيان واحد أنتج ثمرات عشرة طيبة
 كللها الحب "ياسمين و ليلي"

_حمدا لله على سلامتكَ.

همست بها بجمود اعتلى ملامح وجهها لا يفضحه سوى لمعة
 أمواج خضراء متشابكة بأخرى بنية دون أن يكدر احداهما
 صفاء الأخرى بعينها، فرد عليها بوجوم
 وهل حقا تهملك سلامتي؟

رفعت رأسها بأنفة يمقتها بينما تجيبه

_ طبعا يهمني، فأنت شرطي ملتزم وصادق، قليل ما هم مثلك
والمظلومين بحاجة إليك.

أسدل جفنيه بيأس يلتفت إلى الجانب الآخر دون أن يجيبها،
فتدخلت بنفسج تميل على أخيها تهمس له قبل أن تسحب
سلوى خارج الغرفة

_ سنعود حين ينصرف الشباب، حفظك الله لي أخي.

أجلستها على كرسي وجلست جوارها تقول بمرح بعد أن
تركتهن تفاوت، تتعذر بإحضار ماء من المقهى فهي الأخرى
تنتظر ياسين ريثما ينهي زيارته مع الشباب.

_لماذا تعذبين أخي العزيز، والظاهر أيضا أنك تتعذبين معه؟

تفقدت حجابها تسوي ثناياه على جانبي رأسها وهي تبلل

شفتيها بعد أن بلعت ريقها، فاستطردت بنفسج

_الجواب صعب لهذه الدرجة؟ فأنا لم آلفك خجولة أو خائفة.

نظرت إليها تجيبها بصراحتها المعتادة، منفضة عنها أي لف أو

دوران

_لا أستطيع القبول بما يريد بنفسج.

عادت ابتسامتها ترد بصدق

_أخي يريدك أنت يا سلوى.

احمرار طفيف علا وجنتيها الأقل بياضا من شقيقتها فاتن
خلاف جديتها التي واجهت بها بنفسج

_ لا تعلمين ما بدلته من جهد لأقنع والدي بمهنة المحاماة
وسمح لي بعد أن تدخل طه ووالدته وورد، مع ذلك كل يوم
يحرص على إثبات مدى خطأه حين وافق، هذا دون قيوده التي
تمنعني عن مزاوله مهنتي بشكل متقن.

ثم أدخلت نفسا لصدرها بينما بنفسج صامته تمنحها مساحة
لتعبر وتفصح عن مخاوفها رغم معرفتها بمشكلة أخيها ومن
يحبها وطوقها باهتمامه منذ تعرف إليها.

_ نفس نظرة الرفض الساكنة بعيني والدي تنطق به عيناه كلما
صادفني داخل أروقة المراكز أو المحكمة، لست غبية كي لا

أفهم ماذا سيفعل حين أوافق عليه! أول شيء سيطلبه مني هو
ترك مهنتي وصدقيني أبي سيكون أكثر من مرحب وحينها
سأخسر مستقبلي الذي لم أبدأه بعد.

ضحكت بنفسج بمرح تهون عليها كآبة حالها بينما تحرك كفها
في الهواء

أجرنا الله من محاضراتك حين تبدئين.

زفرت سلوى بغیظ، فأومأت بنفسج باعتذار، تكمل

كل ما قلته الآن، أنا أفهمه قبل حتى أن تنطقي به.

لفت انتباهها، فاستطردت

_اسمعيني سلوى...لطالما أحببت صراحتك وعدم تنميقك
للأمور وهذه الصراحة تكدر على أخي، لأنه بذلك يدرك
أفكارك بوضوح دون مجال للافتراض وكما تعلمين أنا أيضا
صريحة.

رفعت حاجبيها تساؤلا، فتابعت بحزم لكن هادئ

_بالنسبة لمهنتك التي اخترتها لا مشكلة لدي بها مع أنني لا
أتمناها لنفسي ولا من أحب من النساء لكن المشكلة الحقيقية
في الطريقة التي تزاولينها بها وهذا ما يؤرق كل من يحبك.

تجهمت سلوى، فأمسكت يديها بحنان تكمل

يجب أن تقبلي رأي حبيبي ولا ألزمك به، بسبب اجتهادك
 حصلت على فرصة التدريب عند محام معروف وبدل أن
 تفعلي كزملائك و تبقي نفسك في الظل حتى تتعلمي نصبت
 نفسك مدافعة عن المرأة والمشكلة أنك تجاوزت النساء
 المعنفات والمغتصابات إلى مشاكل أكبر حتى اشتكى منك
 المحامي بنفسه.

بهتت سلوى، فأومات بنفسج مؤكدة

علمت بالصدفة وهو يحدثه في الهاتف قرب الحديقة يقنعه
 بعدم طردك، فنوفل تغير ولم يعد يحكي ما يؤرقه لأحد حتى
 ضرغام، أليس من حقه أن يخاف عليك عزيزتي؟

_لا تجيد دور المريض يا رجل.

ضحكوا بصخب ونوفل يرمي صديقه بعلبة شوكولا فارغة،

فتدخل ليث يقول بمرح

_المدير يبلغك سلامه وينصحك بأن تكف عن تهورك وتعود

بسرعة إلى عملك.

ابتسم نوفل بامتنان فقال أسد بمكر

_معالي الوزير بنفسه يطمئن عليك.

فتدخل ضرغام بحنق ساخر

_بلى، يبلغك أنت سلامه ويؤنّبني أنا لعودتنا إلى نقطة الصفر.

سكن مرحهم وعلا الوجوم ملامحهم، فتحدث صوان بحقد
 زاد من اتساع مقلتيه التين تخفيان لونهما البني القاتم بسواد
 الغضب.

_لم نعد لأي صفر.

التفتوا إليه باهتمام كأنه جبل نجاتهم، فعقب ياسين بجدية
 تمكنت منهم جميعا

_كنت متأكدا من انشغالك بشيء ما مؤخرا.

هز رأسه، يخبرهم : _أخبرتكم من قبل عن عدوي وبحثت
 وراءه دون ملل، حتى يئستم أنتم ولم أفعل أنا... خصوصا
 بعدما اكتشفه ضرغام عن أهل زوجة ذلك السفاح.

قُطبت جباههم والحيرة تتألق على وجوههم بينما ضرغام
يعقب

_ كنت نوهت سابقا بأن عدوك يكون خال التوأم؟

أوماً مؤكداً يفضي بما بجعبته

_ بلغني عن أوركيدا شيئاً مهماً سمحتُ بوصوله لنضال القناص
تمهيدا لما سيحدث.

تأمل ترقبهم، فاستطرد يفسر

_ الفتاة تحقق في تاريخ العائلة أيضاً هناك ببلد والدها، لتكتشف
بأن تهامي القناص على علاقة بمافيا المنظمة (..) وهو وكيلهم
هنا.

جحظت أعينهم، فهتف ضرغام بغضب

_وماذا كنت تنتظر صوان لتخبرنا؟

زفروا جميعا ليزداد حنقه، فقال ليث بمهادنة

_ضرغام اهدأ، هذا لا يعني أي شيء، فلا تستعجل!

رد بغيظ وذهول

_كيف لا يعني شيئاً؟ بل نقطة مهمة لنبدأ منها.

تدخل ياسين مفسراً وجهة نظر ليث

_ليث يقصد وجوب حسن التخطيط لنوقع به يا ضرغام ونترت

لأن الموضوع ليس سهلاً.

مسح ضرغام على وجهه، ينفض عنه غضبه الذي أصبح يتحكم به بسبب بنفسجته التي تعلمه الصبر بفصولها اليومية.

لاحظ نوفل سهو صديقه أسد، فربت على يده الموضوعه على السرير بجانبه يجفله من أفكاره التي أعادته سنوات من الزمن إلى مقلتين مزعزعتين تنشدان الأمان بيأس مقيت، بنيتين فقدتا الثقة وأي شعور آدمي، تنظران إليه رأسا كأنهما تحدثانه هو، ناسيا بأن بلورا سميكا يحول بينهما باطنه يظهرها له على حقيقتها بعيدا عن هيئة المهرجين التي تتخذها كذراع للصد بهيئة لم تفلح بإخفاء حقيقتها عن نفسها وهي تناظر انعكاسها على مرآة كانت ظاهر البلور الفاصل بينهما.

هز رأسه بلا معنى ثم أوليا اهتمامهما لمناقشات الرجال حول
خطتهم للإيقاع بمن يروجون السموم وينشرون الفساد في
البلاد.

_وماذا يفترض بي فعله يا بنفسج؟ ثم أنا أقوم بنفس ما يفعله
لكن بطريقة أخرى.

تنهدت بنفسج، ترد برفق علّها تفلح بإقناعها

_هو رجل يا سلوى، قادر على مواجهة المخاطر كما أنه يبذل
مجهودات جبارة في التدريب ولسنوات طويلة، ومع ذلك ها
أنت ترين بنفسك يصاب بين الفينة والأخرى... أما أنت فتاة،

هل تتصورين لو لا قدر الله مجرم من أولئك المغتصبين أو المتاجرين بأعراض الناس تعرض لك؟ كيف ستتصرفين؟ فما الذي سيمنعه من اغتصابك أنت أيضا أو حتى خطفك وقتلك؟ الفتيات يتخذن الحيلة والحذر ليحمين أنفسهن لا أن يركضن خلف المخاطر والأذى.

للحظة دب الرعب في عينيها لكنها تماكنت نفسها بينما بنفسج تختم حديثها حين لمحت الشباب يخرجون من غرفة نوفل
_فكري جيدا سلوى ولا تضيّعي من بين يديك رجلا يحبك
بحق من أجل أمور ليست بأولوية في حياتك، لا أمنعك عن
مساعدة المحتاجين لكن دون أن تلقي بنفسك إلى التهلكة.

ثم ربت على كتفها بعد أن قامت واقفتين تردف

_ناقشتك في قضية العمل فقط بينما هناك أموراً أخرى يجب أن تعلميها عن نوفل عزيزتي.

انتابتها الحيرة من قصد بنفسج وهما عائدتان إلى الغرفة بعد أن ودعتا تفاوت التي رحلت برفقة زوجها، فتستغرب سلوى كيف لفتاة كتفاوت أكملت دراستها الجامعية وعلى وشك إنهاء الماجستير الزواج والاكتفاء بالدراسة دون عمل، تبدو السعادة ظاهرة على محياها كلما قابلتها تتباهى بزوجها وهي تتأبط ذراعه بفرح يغشى ملامحه هو الآخر يرمقها بفخر واهتمام.

أيقظه حضورها من عبارة صديقه التي ألقاها على مسامعه بخفوت يحذره للمرة الثالثة بوجوب تسوية أموره التي تشغل

بأله، فنظر إلى مقلتيها بتحد يدري أنها ستبادله إياه ولا يعترض،
 يتنعم بجمال نظراتها الملونة، فيغرق بغرام عينيها أكثر قبل أن
 يلوم نفسه على أنها لم تصبح حلاله بعد وهذا يذكره برفضها
 مباشرة ليغوص في بئر من الغضب والحزن دائرة كهوة سراب
 لا يجد منها مفرا يريح قلبه.

تنحنحت بنفسج تقول بلطف

تصبح على خير أخي الحبيب، نراك غدا إن شاء الله، نم جيدا
 وارتاح.

هز رأسه بتوتر كالذي تلبس سلوى وضرغام يسحبها هامسا لها
 بغيرة

_ من هذا حبيبك؟ ستدفعين ثمن مناداتك لغيري بلفظ التحبب.

سلكت سلوى حنجرتها تملع ريقها ثم قالت بخفوت

_ سأغادر، اعطني بنفسك.

أمال رأسه بتمعن، يرد عليها

_ حاولي أن لا تتهوري حتى أشفى بإذن الله وأعود للعمل.

ضمت حاجبيها تجيبه بينما تسوي ثنايا حجابها في حركة مألوفة

_ أنا أكثر من قادرة على حماية نفسي، لست من تلقى رصاصة

بساقه؟

عبس بما يخالف دقات قلبه الصاخبة، يستفزها

_لو تعرضتِ لربع ما تعرضتُ له لترحمنا عليك الآن، أم نسيت

حين تحرشوا بك شفها فأغمي عليك؟

زمت شفيتها، فأخذ نفسا عميقا ليثبت قلبه عن تأثره، تهتف

بعبوس حائق

_لن تنسى أبدا! يا إلهي! لقد مرت سنوات وأنا كبرت وأستطيع

حماية نفسي.

هم بالتحدث، فدقت بنفسج على الباب الذي تجاوره، تقول

باسمة بمرح

_سلوى؟ هل سنقضي الليلة هنا؟

ألقت عليه نظرة أخيرة قبل أن تنصرف متلافية شابا يتنهد بشجن

ووجوم يرتمي على سريره بتعب، يغمغم بحنين للماضي

و كيف أنسى؟ كيف أنسى؟

رمقت الساعة الأنيقة على شكل بطيخة نصف مفتوحة، فأزالت

وزرة المطبخ تتأمل نظافته الناصعة ثم ابتسمت ساخرة، تهمس

لنفسها

كان يلمع قبل أن أقوم بتنظيفه مثل كل ركن هنا، لم أتصور أبدا

بأن هناك بيوتا مثل هذه إلا في التلفاز.

رفعت رأسها إلى الثريا فوق رأسها تتفقد قطع الكريستال على شكل الفراولة، معلقة كأنها قطرات المطر سقطت من السماء وتجمدت في الهواء ثم تنهدت بحسرة تتذكر وسع الشقة لكنها سرعان ما عادت تبسم بسخرية تسأل نفسها (هل من العدل تسمية هذا البيت شقة؟ لا جحرها الذي يزاوي ذاك المطبخ مساحة يستحق أن يسمى شقة ولا هذا البيت الفاره) وهذا الخاطر الأخير يعود بها للتساؤل عن أنواع البشر الذين يعيشون بمثل تلك الرفاهية، فهي لم تستطع معرفة أي شيء يشفي فضولها تجاه مستخدم صديقتها، حتى في الغرفة بين مثيلاتها الثلاث حيث لم يعلمها بأنها التي يقطنها صاحب الشقة إلا كمّ الملابس الفاخرة المرتبة بأناقة وتنظيم كما حمامه

الملحق الذي لا يدل على استعماله سوى مجموعة من
شامبوهات وكريم قبل الحلاقة مع عطر رجالي أصلي.
ما تزال البرودة تتخلل عظامها ولم تفارقها منذ بدأت بالتجول
وتنظيف أركان البيت الغامض.

كم يفتقد للحميمية والدفء كتلك التي تشعرها في جحرها
الصغير برفقة جنات وقبل ذلك تحت سقف ذلك الرجل الذي
خطفها رغم معاملته القاسية، لكنها تعودت عليه وعلى تلقي
الأوامر والطاعة دون سؤال وكلما تأكدت من مدى كرهه لها
كان يرميها بنظرة غامضة تقسم بأنها تلمح بين طياتها تأنيب
ضمير سرعان ما يتغلب عليه لتقسو ملامحه من جديد.

شعرت بخطوات وحركة في ظل السكون الذي يحيط بها
لتشهو قبل أن تستدير تشعر بنفسها مطوقة بين ذراعين قويين
ترفعانها في الهواء، لتصغي بعدها لصوت أجش مألوف يهمس
لأذنيها

_اشتقت إليك يا جميلة.

قبل دقائق

تنهد بتعب يلقي بنفسه على ظهر المقعد المريح في سيارته
الفارهة التي غالبا ما يُسلم محمد مهمة قيادتها، أدار هاتفه على
الصامت ثم دسه في جيبه ليلتفت إلى الطريق أمامه يغوص في
بحر أفكاره الفوضوية حتى أجفله محمد ينتزعه من سهوه
بقوله

إذن سترحم نفسك من السهر الليلة.

للحظة ظن أنه لم يسمعه ليجيبه أخيرا مع شبح ابتسامة يلوح
بضعف على جانب ثغره

سأحدث الفتاة، لن أترك لهم مجالا للدخول على الخط.

هز محمد رأسه بتأكيد ينصحه بحزم

لكن يجب عليك تحذيرها، من تبحث وراءه لا يلعب ولن
يرحمها إن شك فيها.

اشتد فكه بصلافة ليتجدد أنفه الشامخ باحتقار ترجمته حدة
مقلتيه البنيتين إلى حقد أسود بينما يجيبه

_سأفعل! أرجو أن تثق بي الفتاة، لا تنس مراقبة جاسوسه محمد، أو لا بأول، لنرى من سيضحك أخيرا أو من سيُعدم.

نزل نضال من سيارته وترك محمد في الطابق الثاني من البناية المخصصة له ليكون قريبا من مستخدمه بينما الأخير توجه إلى المطبخ بشقته باسم يفكر بأنها أفضل وسيلة لتلهيه عن همومه التي تكالبت على مزاجه لتعكره، فيكفيه اللقاء بأفراد عائلته لتسود أفكاره من أساسها.

تقدم بخفوت، تتسع بسمته الماكرة قبل أن يسرع من خطواته الأخيرة ليختطفها من على الأرض يلف بها بينما يهمس لها
بعث

_اشتقت إليك يا جميلة.

انطلقت من حلقها صرخة انتفض لها جسده فأطلق سراحها
 مبهوتا يتفقد تفاصيلها وهي ترتب هدامها بكفيها المرتعشين،
 تهتف بجزع

ماذا تفعل؟ يا إلهي! هل جنت؟ لقد أفزعتني... أنت...

قطعت حديثها حين رفعت إليه أنظارها لينتقل بهوته إليها،
 تتأمل ملامحه التي لم تنساها، كما لم تنس كل أحداث ذلك
 اليوم الذي حفر ذكرى بشاعته في خلايا عقلها ولم يكن بأفضل
 منها، إذ أن الصدمة شلت أطرافه بين حضور فتاة غريبة في بيته
 بدل جنات وكون هذه الفتاة مألوفة لدى نفسه دون أين يتوصل
 عقله لنتيجة محددة تشفي حيرته.

نسي أمر جنات فوراً يشغل تفكيره بالبحث عن ذلك الوجه أين سبق ورآه؟ موقف غريب امتد لدقائق كاملة، كل واحد منهما جامد مكانه يتفحص الآخر، كأنه يبحث في ملامحه عن أجوبة لأسئلة كثيرة، فيلسان تجاوزت كون الفتى المدلل في الرحلة والذي اتضح لاحقاً بأنه من عائلتها يكون رب عمل صديقتها إلى موضوع آخر زعزع قلبها وأعاد عليها شعور الشك يهجم على أحشائها، فتلك الطريقة التي عاملها بها والجملة الحميمة الموجهة لصديقتها لم تكن أبداً بريئة لتؤكد ظنونها بشأن صديقتها وما تخفيه عنها أما التمثال أمامها فما يزال يبحث بين خلايا عقله ليزحف الإدراك عبرها بوجه آخر يملك ملامح لا تختلف كثيراً عن هذه أمامه، لكن بزينة فجأة وقصة شعر قصيرة

سوداء لا تتجاوز نصف عنقها، تلك التي تمعن في صورها التي
صاحبت ملف التحقيق حول ابنة عمته أوركيدا.

فتح فمه من وقع الصدمة وتنامي أفكاره إلى نتائج ينكرها في
نفس الوقت التي جحظت فيه مقلتها خوفا على صديقتها،
فشحذت عزيمة الدفاع لديها تهتف بغضب أجفله حتى اهتزت
مقلتيه الذاهلتين

_ماذا فعلت بصديقتي؟

ضم حاجبيه حيرة من سؤالها الذي لم يتبينه، فاقتربت منه تكمل
هتافها الغاضب

_تحدث! ماذا بينك وبين جنات؟

تذكر أمر صديقتها، فرد ببرود فرضته عليه صدمته

_من أنت؟ وماذا تفعلين هنا؟

تحولت ملامحها من غضب إلى نسيج حزين، ترجوه بخوف
وهلع على صديقتها

_أرجوك أخبرني بأن جنات لم تفرط في نفسها، لن أسامح نفسي
إن صح ما أظنه.

تفاجأ من دموعها التي أكملت على بؤس هيئتها، فتوتر يبلع
ريقه بينما يرمق ملامحها المتشنجة يتيقن من صدق إحساسها،
فتنحج يجلي حنجرتة ليجيبها بارتباك لم يسبق أن انتابه منذ
مدة طويلة جدا لدرجة أنه لم يعد يتذكر متى أو السبب؟!

_حممم! هل يمكنك الكف عن البكاء؟ ثم بعد ذلك أخبريني

من أنت؟ وماذا تفعلين هنا؟

حركت رأسها لتتزع مقلتيها من على عينيه ورفعت كفها

تمسح دموعها، تحاول حصر شهقاتها لتجيبه بثبات احتاجته

لحظتها

_أنا صديقة جنات بل أختها وأسكن معها، مرضت اليوم، فأتيت

أقوم بعملها كي لا تفقده... لكن...

انقطعت كلماتها لتبدأ دموعها في التدحرج على وجنتيها من

جديد، فمط شفثيه بضجر لعدم تركيزه، فهو في أشد الحاجة إلى

صفاء الذهن ليتأكد من صدق ظنونه.

مسح على وجهه بكفه اليمنى بينما اليسرى يمسك بها جانب
 خصره وعندما لاحظ تماسكها لأعصابها وانحسار شهقات
 دموعها استدعى كل خلية صبر تختفي بين جنبات جسده
 ليقول بهدوء حذر متنازل عن عجرفته في سبيل غاية في نفسه
 _اسمعي... لم لا نجلس لتحدث بروية... لكن قبلا، أنا في
 أشد الحاجة لفنجان قهوة.

قطبت بريبة، فرفع حاجبيه تساؤلا لتتهد مستديرة عنه تمسح
 بقايا الدموع على خديها ثم توجهت إلى المغسلة بينما هو
 يسحب كرسيه يجلس عليه إلى المائدة الرخامية للمطبخ
 يراقب حركاتها المتخبطة، تحاول الوصول للوازم القهوة ولا

يعلم حقيقة ما الذي استجلب البسمة على شفثيه ليرحمها من
تخطها

_أنا أشربها سريعة التحضير من آلة القهوة.

التفت إليه حين تحدث وتذكرت الآلة الحديثة التي صادف
وشاهدت لها إعلانات في التلفزيون لتندهش من ثمنها ثم
توجهت نحوها تستدعي طريقة استعمالها كما في الإعلان
ونجحت بشيء من الحنكة والذكاء تتصف بهما منذ الصغر
لتنقذ نفسها من المآزق.

ظل على صمته الظاهر خلاف صخب الأفكار بقاع رأسه
يخطط لطريقة مناسبة يتأكد بها من شكوكه التي ستثبت إن
صحت بأن الصدف ليس لها وجود والقدر نافذ، مع أن هناك

شعورا آخر يفرض نفسه على كيانه بأن تلك الملامح الشاحبة
التعبة قد سبق وقابلها، نهى نفسه عن التعمق في أفكاره بدل أن
يجهز ردوده خصوصا في ما يتعلق بصديقتها كي يحوز على
ثقتها، شاكرا ربه على عدم تماديه مع جنات، فقد كان هناك
دائما شيئا خفيا يمنعه عن تلك الفتاة، هل هو صدق نظراتها
الشبيهة بهذه قبالتة؟ أم حياؤها الغالب مهما حاولت جاهدة
إخفاءه أمامه، تدعي شخصية ليست لها؟

وضعت الفنجان أمامه بهدوء ثم قالت بعبوس

_تفضل.

وعى من تحديقه بها على عبوسها المعبر عن سخطها، فأشار
إلى الكرسي قبالتة كي تجلس عليه لكنها ردت تومىء سلبا

_شكرالك، سأظل واقفة.

تناول رشفة من الفنجان متلذذا بها كأنها منقذته من آلام رأسه

ثم قال بإلحاح

_إن لم تجلسي لن أتحدث.

زفرت بخفوت حائق قبل أن تمد كفها تسحب الكرسي

لتجلس عليه لولا قوله الذي سمّرها مكانها

_اجلبي شيئاً لنفسك تشربينه أولاً.

استغفرت متنهدة بغیظ فاتسعت بسمته المرححة على وجهها

الشاحب الذي استحال إلى أحمر من الحنق وأسنانها المطبقة

على بعضها، فيتابع بينما يهز كتفيه بإهمال مغيظ

لن أفتح فمي بكلمة قبل أن تحضري لنفسك شيئاً تشربينه.

رفع الفنجان إلى فمه يخفي بسمته الماكرة بينما تشتعل نظراتها

وتتشنج صفحة وجهها الصغير ولم تتحرك إلا حين يئس من

طاعتها لطلبه، ليتنفس براحة لحظية وهي تخطو بألية لا تفكر

سوى بصديقتها، أمانة إبراهيم وقلبها بل كل أعضائها ترتعش.

التقطت علبة عصير لا تدري ماهية محتواها حتى لم تنظر إليها

ثم وضعتها على المائدة وجلست أمامه تنتظر حديثه لكنها لم

تحصل سوى على تأمله المستغرب المتمثل في ارتفاع حاجبيه

الكثيفين ذوا اللون البني الغامق المظللين لمقلتين لامعتين

ببريق حاد يضيء عليهما ألقا خاصا وما استحوذ على تركيزها

حقا نقطة بيضاء تكاد تلمح في بؤبؤ عينه اليمنى.

اهتزت حين تنحني باسمها بغموض لتكتشف بأنها كانت تحرق
بمقلة عينه اليمنى تحديداً، فبلعت ريقها تستغفر محبطة قبل أن
تسأله بهدوء

_هل تجمعك علاقة بجنات؟

رمقها بغموض ثم رد عليها

_جنات عاملة مسؤولة عن هذا البيت وأنا رب عملها.

استفزها ببرود جوابه، فهتفت ببلاهة

_وهل رب العمل يحمل خادمته ويلف بها بينما يهمس بشوقه
إليها؟

زاد بریق مقلتيه وحدّتهما، فوعت على ما تفوهت به لتعود إلى
الانكماش على نفسها بينما هو يتنفس بعمق قبل أن يرد عليها
بجدية

_ سأخبرك الصراحة لترتاحي ومنتقل لموضوع آخر.

قطبت تضم شفيتها، فاستطرد

، أنا أتعامل مع مكتب توظيف خاص، يرسل خادما ت عملن
على نظافة البيت وراحة المستخدم.

رمته بنظرات تدل عن الجهل بما يقصده بينما هو يسترسل
مفسرا

_بالعادة كنت أقبل بكل الخدمات المقدمة من الفتيات قبلها
لكن..._

قطع حديثه حين همست بسداجة

_مكتب توظيف خاص؟ راحة المستخدم؟ ماذا تقصد؟

زفر بحنق، يرد بارتباك يغمره للمرة الثانية وفي أقل من ربع ساعة

_أقصد تدليك وأشياء أخرى.

جعدت ما بين أنفها وشفتها العلوية تتساءل بسخط ساذج

_ألا يوجد مراكز صحية متخصصة في التدليك؟ فجنات خريجة

معهد الفندقية مثلي وبالكاد أنهيناه، من أين لها المعرفة بتلك

الأموور؟

زفر بصخب حانق وهتف بغیظ استبد به من غباءهما معا

_ لا أقصد التديك الصحي، بل تديك خاص!

شهقت بيلسان ما إن فهمت قصده لتكمم فمها جزعا تتهرب

بعينها خجلا، فأضاف بعجالة ليهدئ من روعها

_ اهدئي يا آنسة.

لكنها اهتزت تهذر كأنها لم تسمعه

_ لقد تمكن من إقناعها... ما كان يجب أن أتركها معه

لوحدهما، ذلك الحقير!

سألها نضال بينما يتفحص آثار الصدمة على وجهها وجسدها

المرتعش هلعا بنظراته القلقة

_ماذا تقولين؟ أنسة هل أنت بخير؟

أجفلت تنظر إليه بغضب، تجيبه من بين أسنانها المطبقة غلا

_ذاك المائع النذل، عار على صنف الذكور وليس حتى الرجال،

تمكن من إقناعها، فجنات ليست من ذلك النوع من الفتيات،

ما كانت أبدا لتفعل ما تخبرني به الآن.

راقب انفجارها وتوحش مقلتها بصمت، تكمل بجزع

_يا إلهي ارحمني!.... رحمتك ربي.

نحبت تغطي وجهها بيديها، فقال يهدئ من روعها

_صديقتك لم تفعل شيئاً.

تجمدت ترفع وجهها لتنظر إليه برجاء وقد أضحت ملامحها

كلوحة تجريدية من البكاء والاحمرار يضاف إلى الزرقة تحت

العينين التعبيتين، فتابع بعدم كياسة

_على الأقل معي.

شردت عيناها تفكر في معنى قوله قبل أن تصيح بغضب حين

فهمت قصده

_جنات لم تعمل خادمة من قبل، كانت مثلي تصنع الحلوى في

المخابز.

ضم حاجبيه حيرة يتساءل

_أنت تعملين في مخبزه؟

ردت عليه بملامح محذرة

ـ بلى! هل لديك مانع؟

رفع يديه استسلاما ومذهولا من نفسه، فهو أبدا ما كان ليقبل

بأن تخاطبه فتاة بتلك الطريقة مهما كانت لكنه يذكر نفسه بغاية

يجب أن يصل إليها فتعينه على الصبر والمزيد من الصبر

ـ لا... اطلاقا، أنت حرة لكن كما أخبرتك، لم يحدث شيئا!

كسا الاشمئزاز محياها تجيبه باحتقار

ـ وهل من المفترض أن يرضيني ما تقوله؟ يا إلهي إن هذا

لمنكر؟ إن كنت تريد فتاة بحياتك، تزوج وحصن نفسك يا

رجل.

ارتبكت حين لمحت قبضتيه اللتين ابيضتا، فرفعت أنظارها إلى
وجهه المشدود لتشهق بخفوت تدرك بأنها تجاوزت خطا ما
كان يجب أن تدوسه بطرف قدمها، فاستقامت واقفة تتمم
بارتباك

_أنا سأذهب. ...الأكل في الجهاز المبرد، سررت بمعرفتك
سيدي ...إلى اللقاء.

_توقفي!

نطقها بحزم جعلها تتسمر مكانها ثم التفت إليه، فأشار إلى
مكانها بعينه فأطاعته دون نقاش، فهي ذكية و تعرف قدرها
جيذا وأنها أبدا ليست بند لهذا الشاب قبالتها.

ارتشف آخر ما في الفنجان وأعادته أمامه بأناقة تليق بفخامة هيئته

ثم تحدث بهدوء أبرز بحة صوته الرجولية

_ بما أنك اطمأنت على صديقتك، هلا أخبرتني باسمك

ولقبك؟

قطبت حاجبيها، ترد بريبة حين فقدت دقة من دقائق قلبها خوفا

ليس إلا!

_ أخبرتك من قبل، أنا بيلسان..

هز رأسه يجيبها بجدية

_ أعلم لكن لم تذكر اسم عائلتك.

تنحنحت وريبتها تزداد كما دقات قلبها، فارتأت الإجابة على

أية حال باسم شهرتها المزيف

ـبيلسان الراوي.

إن كانت ذكية فهو داهية، لم يفته ارتباكها ولا رعشة شفيتها

المصاحبة لسرعة تنفسها، فأصبحت مكشوفة لديه ليلقي عليها

بسؤال آخر فقط ليرى ردة فعلها

ـهل تعرفين فتاة اسمها أوركيدا لوغان؟

احساس بالنصر غمر صدره من جمود ملامحها كأطرافها،

تنظر إليه بصدمة، حاولت، يعلم بأنها حاولت جاهدة لعدم

الإتيان بأي تصرف يفضحها لكنه حصل على جوابه وفي تلك

اللحظة لم يتردد عن رفع هاتفه تحت أنظارها الجامدة
والمرتابة ليطلب رقما ما ثم وضعه على الطاولة بينهما ينتظر
بينما يحاصرها بنظراته الكاشفة لما تخفيه حتى صدح صوت
فتاة تعرفها حق المعرفة، فقد كانت تتواصل معها بين فترات
متباعدة.

_ هالو.... من معي؟

تحدث نضال بلغتها دون أن يحيد بمقلتيه من على عيني بيلسان
المرتعتشتين.

_ آنسة أوركيدا لوغان، معك نضال القناص، ابن خالك.

الفصل الثالث

{ ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

.....الحسن البصري }

ألقي بالمفاتيح على الطاولة الرخامية الحاملة لمرآة كبيرة تزين بهو بيته حيث استقبلته رائحة زكية كالعادة، معطر اللجو ساحرا من عبير الزهور وتلك الرائحة الأخرى التي تنبئ بعشاء لذيذ. نزع ربطة عنقه ورمى بها على كرسيها المفضل ليتبعها بسترته بينما يكتم ابتسامة ماكرة تلمع بها مقلتيه السوداوين ثم توجه إلى غرفة النوم، مدركا انشغالها في المطبخ تكمل تجهيز العشاء والصغيرة تلون رسومها المفضلة على طاولة المطبخ

_ كيف حال صاحبة البدرين الزرقاوين؟ ألم تشتاقي إلي؟

قلبت شفيتها بعبوس طفولي وهي تجيبه

_ خالد اتركني! الطعام سيحترق والصغيرين في المطبخ.

انسلت من بين يديه وانسحبت تهروول ليزفر بحسرة وضجر

بينما يلحق بها ليداعب الصغيرين منضما إليهما حول المائدة،

فيرمقها بنفس نظراته الولهة مذ رأها أول مرة في شركة أهلها

قبل سنوات، دق قلبه للون البحر الصافي في مقلتها ليعترف في

تلك اللحظة بأن شعور الحب أصاب قلبه بسهم عشقها.

صُدم بعدها حين ظن بأنها بعيدة عنه بعد السماء عن الأرض،

كيف لا! وهي ابنة يوسف الجندي سليل العائلة العريقة وأغنى

أغنياء المدينة وأصحاب المجموعة التي هو مدير أحد أقسامها
الإدارية في إحدى شركاتها لذا قرر نسيان الموضوع واكتفى
بتمنيها من بعيد حتى تفاجأ برحمة القدر حين أرسلها والدها
لتدرب في قسمه وتحت امرته وبعد مدة صغيرة لم يستطع كبح
جموح مشاعره الجارفة نحوها ليعترف لها يوماً في مكتبه بحبه
لها ورغبته الحارقة في الاقتران بها، هنالك تجمدت أوصاله
منتظراً جوابها كما تجمدت هي الأخرى دهشة قبل أن تطلب
منه مهلة للتفكير فأشعلت جذوة الأمل في صدره وبلغت فرحته
عنان السماء حين أخبرته بموافقتها.

يتذكر يوم حدث والدها بتوتر بالغ بسبب الفارق الشاسع بين
مستواه المادي وبين مستوى أهلها، فهو شاب من أسرة

متوسطة كافح في دراسته وتفوق فيها ليحصل على منحة دراسية
 أكمل بها دراساته العليا في الخارج ثم عاد ليعمل في بلده مؤمناً
 بأن الكفاح وسعي العبد لتحصيل الرزق تحت كنف الرزاق
 الكريم لا يواجه خيبة أبداً وكان الله عند حسن ظنه، تحسن
 وضعه الاجتماعي لكن رغم ذلك يظل نقطة في بحر ثروة
 الجندي.

أجفل على أصوات الأطباق الشهية التي ترص أمامه ليتوه من
 جديد في سيل ذكرياته معها، ذكريات كلها مفاجآت، ابتدأت
 بترحيب أهلها إذا استثنى والدتها المتحفظة لتتوالى بعدها
 المفاجآت الأخرى حين أخبرته إسرائاً بأنها ستعيش معه
 بمستواه المادي ولا تريد حياة الترف، انقبض قلبه خوفاً من أن

يكون لعبة مختلفة تسلي المدللة لمدة ثم يسقط القناع لكن ما
 واجهه بعدها ذهول على نحو مده بالقناعة وليس الرضا، إذ أنها
 صدقت بقولها واقرن بأكثر النساء جدارة بلقب الزوجة
 الصالحة.

ابتسم بحزن وهو يتأمل كيف تطعم ولديها مبتسمة بسرور
 حقيقي، فاستحكمت بحنجرته غصة تهبط بكومة الشوك عبر
 أحشائه، فالسرور تشعر به مع الجميع دونه هو، لن ينكر بأنها
 كانت تتصرف معه برسومية منذ خطوبتهما وكان قانعا بذلك
 متأملا تأجيج نيران المشاعر بينهما حين تصبح زوجته وفي بيته
 وكم كان متلهفا سعيدا ومترقبا خصوصا حين أخبرته بأنها لا
 تنوي العمل بعد الدراسة بل ستهتم بعشهما وتكتفي

بالدراسات العليا وبعد الزواج "لا شيء" وبعد مرور السنوات ما تزال كما هي، ربة بيت من الدرجة الأولى، تجيد الاعتناء بكل شيء دون تدمير، رفضت إدخال خادمة إلى بيتها مما سبب شجارات بينها وبين والدتها تخرج منها منتصرة دوماً، مستغرباً دوماً من إصرارها الغامض وشراستها في ما يخص ما تريده، المشكلة أن ما تصر عليه دائماً يصب في مصلحة البيت وأي زوج عاقل كان سيحمد ربه ليلة نهار على نعمته.

تنهد بخفوت يفكر بأنه فعلاً يحمد ربه كل لحظة لكن لماذا هذه الحيرة التي تكاد تفتك به؟ لماذا يستشعر خطأ ما لا يعلم ما هو بالضبط؟ فيظل باحثاً عنه يريد وضع يده عليه؟ لا يعلم كنهه تحديداً، فهي تحترمه، تعتنى به بل وتحرص على أناقته

ملبسه ونظافة بيته وأولاده إلى حد الهوس أحيانا. وأولاده! هذا الأمر أيضا يحيره، كيف أصرت على الإنجاب سريعا، رافضة نصيحته بالتنعم بفترة راحة بين الولادتين، فتجاهل الأمر هو الآخر.

أنهى عشاءه ثم تحرك من مكانه نحوها يسبقه قلبه العاشق إليها حتى يقبل جانب رأسها، فلم تسعده استجابة أطرافها لأن رفضها سيطفو إلى السطح بعد ذلك حين تبتعد عنه بحركة مدروسة مقنعة لعقله لكن ليس لقلبه.

_خالد، الصغيرين معنا.

أصابه الوجوم من جديد وذلك الضجر من كونه دائما من يطلب ودها، قربها وحبها وهي لا ترفض مده بحقه لكنه

شعوره المقيت بالنقص، أجل ناقص بالنسبة إليه حين يكون هو
طالبه وتستجيب بآلية كأنها تتصرف بروتينية تخلوا من
الأحاسيس والمشاعر.

أطلق سراحها يقول مبتعدا بوجوم دون انتظار لجوابها الذي
يعرفه مسبقا

_سأقابل سامي على سطح البناية.

إذن أنت مُصر.

قالها نزار بينما يعلق المنشفة في مكانها ثم سار نحو سريره الذي
يجلس على طرفه صهيبا يبسط كفه نحو فم نزار بحبة دواءٍ
التقطها الأخير باسم بحنان، يصغي لنبرته المرححة

طبعاً زيزو... كنت جادا وسأمضي في الخطة.

هز نزار رأسه بتفهم وقال مشجعاً بعد أن بلع الدواء

إذن بالتوفيق وأتمنى أن لا تعلم والدتك بأمر خطتك لأنها
ستفترسك دون أي شعور بالذنب.

ضحك صهيب بصخب يعقب

أنت محق، ستجعل مني عبرة لمن لا يعتبر.

قطع ضحكته يتابع بوجوم التمسه نزار من نبرة صوته الحزينة
 _ لكنه الشيء الصحيح الذي يجب علي القيام به وبهذا
 الخصوص أنا شاكر لك زيزو.

كان قد أمسك بكفيه بين يديه وهو ينهي جملته، فقال نزار
 بحيرة

_ لم أفعل شيئاً يا صهيب.

ثم تلكاً يرفع كفه ليلمس موضع قلب الآخر بسبابته، يستطرد
 _ أنت ولد طيب في الأصل، وما كنت لأسمح بأن تتربى على
 يدي قائمة، تكفي مرام.

تجهم صهيب بحزن، يسأله

_ألن تعود أبدا؟ لقد مرت سنوات طوال ...أمي غاضبة منها
جدا.

ربت على وجاته قبل أن يتركه ليندس داخل فراشه الوثير
المتوسط للغرفة الكبرى في جناحه بمنزل المنشاوي سابقا
والذي أصبح لعائلة القناص حاليا، يجيبه بنبرة هادئة

_ستعود حين تشعر بأنها مستعدة، ستعود إن شاء الله، هيا! اذهب
للنوم ولا تنس إخباري بكل تطوراتك.

_آنسة أوركيدا لوغان، معك نضال القناص.

حل الصمت قاتلا بينما يحاصر نظراتها الحائرة المترقبة

ليصدح أخيرا صوت شقيقتها باقتضاب جاف

_ماذا تريد يا سيد؟

أطلق سراح مقلتيها لينظر إلى الهاتف مجيبا بلهجة مستدرجة

_أ تعلمين؟ أنا حائر بالفعل، كونك تعلمين بشأن عائلتك

وبحجم حقك في ثروة القناص وتكتفين بالمراقبة من بعيد.

قاطعته أور بجفاء حاد

_إذن؟! وها أنتم وجدتموني.

تبسم بعجرفة يريح ظهره على كرسيه، يجيبها بتسلية

_ قبل ساعة فقط، ظنت بأنني أتممت نصف المهمة ولم أكن أدري بأن النصف الثاني ينتظرنى في بيتي.

قطبت بيلسان من مغزى حديثه وأور تسأله بريبة

_ ماذا تقصد؟

لم يجبها يرمق الأخرى بحاجب مرفوع وهو يشير إلى الهاتف لكنها خذلته حين استسلمت للصمت، فهمس إليها قبل أن يرفع نبرة صوته لتسمعه الأخرى

_ سنرى لكم من الوقت ستصمتين...؛ أنسة أور! من تبحثين خلفه خطير ولا تعلمين ماذا فعلتُ كي لا يكتشف بحثك خلفه.

تحدثه بجرأة قاسية

هتفت بغضب مغيظ

_ أنا لا أحتاج لحمايتك، أنتم عائلة مجرمين!

لم يجبها يزفر بغضب استبد بأعصابه من حمقها، لتهتف
بيلسان أخيرا بخوف تتدحرج الدموع على وجنتيها من جديد

_ أور؟ أرجوك كفي عن البحث وراءهم، أتوسل إليك، أنا تعبت
ولا أستطيع التحمل أكثر، دعينا نعيش بسلام.

_ بيلسان.... ما.... هل أنت حقا بيلسان؟

تجمد نضال يراقب الأمور تسلك طريقا يريد بينما بيلسان
تكمل ببكاء حارق

إنها الصدفة أور، أتيت للعمل مكان صديقتي ولم أعلم بأنه صاحب العمل، من فضلك عودي! يكفيننا ما فات أختي.

حل الصمت من جديد ليتكلم نضال بجدية

لست بحاجة لأدافع عن نفسي أمامك، فما وصل إليه بحثك أبلغك بأن عدونا واحد، والقتال وسط حلفاء يحمون ظهر بعضهم أفضل بكثير من القتال وحدك.

صمت ينتظر وكل ما حصلنا عليه بعد أن تمكن منهما اليأس من استجابتها قولها الحازم قبل أن تغلق

أنا آتية غدا... سأرسل إليك الموعد لتبعث لي بسيارة إلى المطار.

ضحك بخفة يعقب ساخراً

إنها فعلا من آل قناصر، فهي تجيد التأمّر.

نظر إليها حين لم يلقى صدىً لتهكمه، ليجدها تائهة ترمق

السراب وبقايا الدموع تتشبث بشرتها الشاحبة عنوان الحزن

الكئيب، فانتقل بأنظاره إلى علة العصير بين يديها ليعض

شفته مكرًا قبل أن يخاطبها بتسلية

هل ستشربين العصير أم ماذا؟

ها!

ردت ببلاهة مجفلة من بين أفكارها ثم رفعت العلة لتنظر إليها

وهو يستطرد بلهجة مازحة

_مع أنني استغرب كيف لفتاة متحجبة تلقي المحاضرات عن الأخلاق والمنكر ثم تشرب الجعة.

جحظت عيناها دهشة ثم قرأت الكلمات على ظهر العلبة قبل أن تنتفض واقفة ترميها بفرع بينما هو يضحك بصخب، فالتفت تبحث عن كيسها والتقطته من على العلاقة تغمغم بتوتر

_أنا راحلة... لقد تأخرت!

هرولت فخطف هاتفه من على سطح الطاولة وتبعها بنفس سرعتها ليقف بينها وبين الباب حيث تلاحقت أنفاسها وهي ترفع رأسها إليه يشرف عليها بطوله تكاد تبلغ كتفيه بينما هو يتأمل ضالة حجمها قبل أن يسألها بجدية

_الى أين؟ ابقى هنا إلى الغد ونذهب لإحضار شقيقتك.

ضمت حاجبها مقطبة، ترد عليه

_قطعا لا! أنا لذي بيت و حياة و صديقة تنتظرنى.

شردت عيناه تفكيرا ثم قرر مستسلما وهو يرفع هاتفه

_لا مشكلة، إذن سأوصلك وغدا سأمر عليك لنقل شقيقتك من

المطار.

أومات بلا، فقاطع رفضها بحزم لا يقبل النقاش مشيرا بيده وهو

يحدث محمد

_جهز السيارة محمد... حالا!

_ كيف حالك يا بطل؟

أغلق وائل الباب متوجها إلى السرير ليجلس بجانب شقيقه

يستطرد بمرح

_ أخيراً غادر الجميع ولم يبق سواي.

ربت على فخذه، يجيبه بمزاح

_ كان عليك المغادرة أيضاً، لست بحاجة لجلسة أطفال.

ادعى وائل الحزن بينما يضع كفيه على قلبه بشكل استعراضى

_ لقد جرحتنى يا ابن أمي وأبي... أنت ناكر للجميل.

ضحكا بخفة ثم سأله عن آخر تطورات عمله

_ متى ستلتحق بعملك يا أستاذ؟

مسح على خصلاته البنية التي حرص على تقصيرها حتى
 اختفت تموجاتها فبدى كرجل ناضج وسيم بلحية خفيفة
 مشدبه، يرتدي سروالا من خامة الجينز أسود كلون كنزته لينهي
 مظهره الأنيق بستره زرقاء تبرز رشاقة جسده النحيل، فالفارق
 بينه و بين أخيه المعضل بارز بوضوح.

بعد غد بإذن الله.

تأمل سعادة شقيقه الظاهرة على محياه، يفكر بأنه أصبح شبيه
 بنفسج بشخصيته السمحة البشوشة كما أنه سعيد بالتزامه
 المعتدل الذي أسبغ عليه حكمة وهدوء نفسي يفتقده هو منذ
 دخلت سلوى حياته لتخل بتوازن أعصابه حتى كاد أن يؤثر
 على عمله

_هل أقنعت أمين بالعمل في المعهد؟

ابتسم بهدوء يرد عليه بينما يتكىء بيده على حافة السرير

_أجل، وبإذن الله بعد أن نستقر بالعمل ونطلع على أوقات

الدوام، سنقوم بالتنسيق مع بنفسج كي نبدأ العمل في المعهد

أيضا.

أوماً نوفل يبادلُه بسمته الهادئة وهو يخاطبه بنبرة عادية

_ظننت بأنه لن يقتنع بما أنه أستاذ مادة الاجتماعيات ولا دخل

له بالشرع كتخصص ليدرّسه.

أمال وائل رأسه يفسر بينما يحرك أصابعه النحيلة في الهواء

كعادة تصدر عنه بتلقائية كلما تحدث

إنه رجل متواضع، فهو طالب علم الشرع وذو حكمة، على العموم أنا عرضت عليه تجهيز دروس شاملة في التاريخ خلال السنوات ما قبل ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وفاته كبداية وهكذا يعمل في مجال تخصصه والمعهد سواء.

عاد نوفل لهز رأسه صامتا، فراقبه وائل قليلا قبل أن يلفت

انتباهه

أخي؟

رفع رأسه متسائلا بصمت، فاستطرد برجاء صادق

ألن تخبرني ما بك؟

قطب حاجبيه الكشين السوداوين، ليتابع وائل حديثه وهو يضم
كتفيه، مريحا رأسه على القريب منهما

_أنا أشعر بك أخي وأعلم تماما متى لا تكون بخير ولن أخفي
عليك، لقد اهتز قلبي اليوم كما لم يفعل منذ وفاة أمي بعدها
جدي زاهر رحمهما الله وسائر موتى المسلمين.

استسلم نوفل لحضن أخيه شاكرا ربه على وجوده في حياته،
فمن المميزات التي اكتسبها وائل مع التزامه بطريق خالقه،
الحنان والرأفة في معاملاته خصوصا هو، يهتم به كثيرا ويحيطه
بمشاعر دافئة وصادقة.

تنهد نوفل بنبرة مسموعة فأضاف وائل بينما يضمه إليه أقرب

_أبي حدثني بشأنك، فهو أيضا يشعر بك، لذا سألت أختي،
فالنساء حتى إن لم يعجبنا الأمر حسهن الفضولي يلمهن بما
خفي عنا نحن الرجال.

أبعده قليلا لكن نوفل لم يسمح له وثبته على نفس الوضعية،
يهمس إليه بحنو

_وماذا أخبرتك به تترت؟

شقت البسمة طريقها إلى ثغر وائل بينما يرد عليه
_ابنة العم سعيد.

شعر بتصلب أخيه، فرفع كف يده التي يضمه بها إلى خلف
رأسه، يربت على خصلاته السوداء بحنو، يستطرد

لماذا لا تطلبها من والدها بشكل رسمي وتنهاي حيرتك؟

أسدل جفنيه بأسى حتى ظن الآخر بأنه لن يجد لسؤاله جوابا،

فهمس أخيرا بقنوط

_استأذنتها كي أحدث والدها لكنها رفضت.

استغرب محمد حين طلبه رئيسه وقد أخبره أنفا بأنه لن يسهر

تلك الليلة، ليسرع مسابقا فأر الريبة بأحشائه حين لمح الفتاة،

فتاة يعرفها جيدا لذا استدار إلى نضال يرمقه بتساؤل لم يستطع

كتمه، فيhez الآخر برأسه تأكيدا لما ظن بأنه استنتجه محمد من

ملامح بيلسان، ثم أشار له بأن يصبر حتى يشرح له لاحقا.

فتح لها الباب الخلفي، فركبت بصمت تضم الكيس بين يديها
تطبق عليه من فرط توترٍ لا حظه الآخر، فاعتلى المقعد الأمامي
بجانب حارسه.

وقفت السيارة أمام البناية المتهاكّة كباقي بنايات الحي أجمع،
فتساءل نضال باشمئزاز لم يداريه

_تسكنين هنا؟

أومأت بوجوم، فاستطرد مذهولا

_أنت وشقيقتك فعلا غريبتان، تتركان ثروة تسكنك في القصور
و....

علق جملته محقرا ما حوله بوجوم ليستطرد بعدها

_سأمر عليك غدا عند الساعة التاسعة.

كانت خارجة حين التفت إليه ترد عليه بجدية

_لا! أنا لذي عمل يجب أن أقوم به ولا ينتهي إلى حدود الرابعة
زوالا!

اجابها مبهوتا

_هل بك جنون؟ ألا تفهمين؟ أنت ثرية وباستطاعتك شراء
مخابز المدينة بأكملها.

تضايقت من عجرفته، فردت عليه بحنق لا يزعجه بشكل
يستغربه، حين تتكوم ملامح وجهها فيكاد يختفي من فرط
تشنجه

_ أنت لا تفهم يا سيد، هناك شيء اسمه مسؤولية ومعاملة بحسن
الخلق.

رمى محمد الباسم بنظرة جازره بينما هي تكمل حجتها

_ السيدة تعتمد علي، لذا سأقوم بأشغالي ثم أعلمها بقراري كي
تدبر أمورها... السلام عليكم!

لفظتها بغيظ ونزلت تصفق الباب بحدة ارتجت لها السيارة،
ليزيل نضال حزام السلامة بسرعة غاضبة وفي ثانية وجدته
أمامها بطوله الذي يفوقها، يحول بينها وبين باب البناية

_ لم أكمل حديثي بعد!

بلعت ريقها خوفا من سواد ملامحه كالأجواء حولهما لتغمغم
بقلق

_من فضلك لا تحدث ضحيجا، لا أريد فضائح هنا.

فرد عليها بخفوت ساخرا

_فضائح هنا؟... لا تظني بأني لا أعلم عن هذا الحي حتى إن

لم أزره يوما، فأنا أعلم بشاكلته ولقد أخبرتك قبلا، أنت فعلا

غريبة وأنا الذي استغربت كيف لفتاة كجنات الوقوع بفتح

مكتب التوظيف ذاك.

ثم تلفت حوله مستطردا بجفاء

_الآن فهمت.

لمح نظرة انكسار ممزوجة بذنب يجهل أسبابه وتابع على أي
حال

_ سأرسل إليك سيارة باكر لتكون تحت تصرفك.

أومأت قبل أن تتحرك جانبا، لتهرول فارة منه بينما هو يراقبها
إلى أن اختفت في العتمة ثم عاد أدراجه إلى السيارة لينطلق بها
محمد وهو يعيد طرح سؤاله المحير له، ليخبره عن الصدفة
التي خدمته بشكل كبير وحين افترقا رفع محمد هاتفه إلى أذنه
داخل شقته يبلغ مخاطبه بجدية واقتضاب.

_ أوركيدا لوغان ستعود غدا بإذن الله وهناك شيء آخر، توءمها
كشفت عن نفسها هي الأخرى.

صمت ثم رد

_حاضر سيدي.... تحياتي سيدي!

مساحة واسعة تحت سطح الأرض جُهزت بأحدث
الديكورات والتصاميم بالإضافة إلى أنوار شتى موزعة في
جميع أركانه، تارة تومض بقوة وتارة أخرى تخفت أو حتى
تنطفئ كمهرجان ألوان صاخب يماثل ضجيج الموسيقى
المنبعث من مكبرات الصوت المنتشرة بالزوايا هي الأخرى،
تتراقص على نغامته السريعة كالزمن الذي يسرع بهم دون
ملاحظته أو حتى الاكتراث به، أجساد كثيرة منها للرجال
بملابسهم الساترة وإن اتصفت سراويل بعضهم باتساع أحرق

حد السقوط عن خواصرهم، ومنها لفتياتٍ ونساءٍ كاشفات
عن معظم أطرافهن، والغالبية يتوسطون حلبة الرقص الدائرية،
تطوقها أرائك جلدية مستطيلة الشكل من كل جهة والنُدل
يحمون حولهم بالمشروبات "الروحية" كما أصبحت
تسمى الخمر من كل الأنواع وبكل النكهات.

_اضحكي قليلا يا فتاة!

زمت شفيتها المصبوغتين بلون قرمزي، فاستطردت الأخرى
تقول بسمه مهدئة

_على الأقل أنت تعلمين بأنه ليس معها.

رمت دليلة الفنانة البعيدة عنها بنظرة حاقدة قبل أن تلتقط

الكأس بين كفيها، تجيب صديقتها

_هي لا تهمني من الأساس، تهربه مني ما سيطير بأبراج عقلي.

ابتسمت صديقتها بدلال تعودن عليه، تلقي بنفسها على

الأريكة خلقها بينما تقول بشكل مستعرض

_آه... إنه الحب... أنت تحبينه.

ثم اقتربت منها تهمس لها والنظرة الشيطانية تعطي مقلتها بينما

تشير إلى يدها تحت الطاولة

_أحضرتك لك يا حُبي.

ابتسمت بتسلية تتلقف منها الشريط ثم ألقته إليها بحقيبة يدها

متشداقه بعجرفة

_الحقبة الأصلية وما فيها لك يا جميل.

نتشتها الأخرى بسعادة لا توصف، تتفقدتها مدركة بالمبلغ

داخلها إن كانت هي بنفسها غالية الثمن بينما دليمة تسحب حبة

من الشريط لتتناولها.

مسكينة هي لا تري أنها وقعت بين أيدي أصدقاء السوء يزينون

لها المعصية طمعا في أموالها وهي تنساق ورائهم ببلاهة.

أشار واحد منهم لمنسق الأسطوانات، فصدحت أغنية شعبية

معروفة فيهتفون باسمها ليحثوها على أن تتوسط ساحة الرقص

فيختلط الحابل بالنابل يهتزون بتناغم مجنون، فاشتعلت عينيه
غضبا أحالت لون القهوة في مقلتيه إلى ضباب أسود وتحرك
من فوق الكرسي على البار الذي كان يتظاهر باحتساء
المشروب عليه وخطا نحو أحدهم في الزاوية لينقض على هاتفه
بغضب، يهشمه بين كفيه الضخمين أمام مقلتي الآخر
الشاخصتين بهلع، يخاطبه بخفوت مخيف قرب أذنه.

_ أ لم تقرأ الإعلان خارجا؟ ممنوع التصوير هنا.

رمقه الآخر بتوجس وقلق يطغيان على رفضه لما فعله هذا
الوحش وليس الرجل بكمية العضلات الضخمة التي يحملها
بجسده ومع شعره القصير الذي يبرز ضخامة وجهه يبدو شديد

الخطورة، دون ذكر آثار جرح يمتد من بداية ذقنه إلى وسط
عنقه أعلى الترقوة بالضبط.

استطرد بتهديد مخيف

إن أعدتها سيكون مصيرك كهاتفك.

ثم استدار خارجا يرمي بأنظار أخيرة نحو الأخرى اللاهية،
يهمس لنفسه بوعيد

الصبر جميل يا صوان، الصبر جميل.

منزل القناص

لمحته خلال تسللها، فارتسمت بسمه لعوب على شفيتها ثم

تقدمت نحوه بجرأة اكتسبتها حتى برعت بها

_ألا تمرر ليلة من دون سهر؟

وبجرأة تتعدى خاصتها تمعن بها بينما يجيبها بنفس ابتسامتها

اللعب

_إنها بعض الأعمال يا قائمة، لا تُقضى سوى في الليل.

ضحكت تعقب بنعومة

_أدرك فحوى تلك الأعمال، وماذا عن اتفاقنا؟

اقترب منها بطريقة مدروسة لتسع ابتسامته الخبيثة بينما

يهمس لها بسخرية

_ كما هو، لكن التمهل والحرص مطلوبان في وضعنا.

لم تكن تنصت لكلمات يطغى عليها ذات الشعور البائس الذي
كلما ظنت بأنها نجحت بنسيانه يعود بقوة عن ذي قبل،
فاقتربت منه كالمسحورة تظن بأنها ظفرت به ليبعد عنها في
آخر لحظة يتابع باسماء بلؤم

_ قائمة، قائمة! مع أنني أشهد لك بالجمال الطاغي كما دائماً،
لكن للأسف.

حرك رجليه ليتجاوزها ثم توقف وهمس بجانب أذنها بوقاحة
_ لست صنفي المفضل! تصبحين على خير.

تسمرت للحظة تتمالك فيها نفسها وتسيطر على أنفاسها قبل

أن تزمجر بغل مكتوم، تهمس بحقد وهي تغادر إحدى أوراقه

المنزل الأشبه بقصر ملعون

_تُهامي، يا بن ال.*****

الفصل الرابع

{ ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل الحسن البصري }

بخطوات خافتة تكاد تلمس بهما الأرض تلج بيتها داعية الله أن
تجد صديقتها قد غابت في بحر الأحلام ولم يخب دعائها، فقد
غرقت الشقة في سكون الليل وظلمته لذا تلمست بيلسان
طريقها بخفوت إلى السرير دون أن تغير ثيابها شاكرة ربها على
قضاءها لصلاة العشاء في وقته في بيت نضال.

استلقت على ظهرها دون أن ترفع الغطاء، فحرارة الأفكار
أضرمت نار الخوف والريبة في أحشائها وامتدت أصابعها إلى
الطرحة تفك عقدها لتزيله على الهواء يجد طريقا إلى صدرها

وثبتت أنظارها على السقف تفكر وتفكر كل صوت يسبق
 الآخر بسؤاله (ماذا سأفعل؟ ماذا سأقول لجنات؟ كيف ستكون
 الحياة بعد اليوم؟ كيف ستعاملني أوركيدا؟ كيف ستعاملنا
 عائلتنا؟ و جنات يالهي! ...ماذا إن علمت عن والدي؟ هل
 ستأخذني بذنبه؟ هل ستكرهني لما وصلت إليه بسبب ذلك
 الرجل الذي لا يربطني به سوى الدم؟)...التفتت إليها فلم
 يظهر منها شيء بسبب العتمة، فعاد فكرها للتحدث لكن بحزن
 (آه يا جنات كنت ستفقدين أعز ما لديك، عفتك! هل نسيت
 ما علمه لنا إبراهيم؟ هل نسيت وصاياها لنا دائما؟ هل نسيت
 الحديث الشريف الذي كان يلقيه على مسامعنا كلما وجدنا
 نتحدث ونثرثر " قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((مَنْ

يُضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ)) []

البخاري، الترمذي، أحمد،... كان من الممكن أن يختار أي

حديث آخر من أجل الغيبة لكنه في كل مرة يخبرنا عن نفس

الحديث، كان يدس رسالة العفة والشرف في أذنيننا دون أن

يخجلنا). عادت تنظر أمامها والنوم أقسم على أن لا يزورها

الليلة، ليكمل على بؤس حالها قطرات تسقط من صنوبر اهترأ

من بطش الأيادي على مر الزمن، ليصدر صوتا كأنين عجوز

تحتضر..... "آه"!، تنهدت من جديد تخرج أنفاسا حارة

كحرارة جوفها قبل أن تجفل من نبرة جنات الناعسة

_ ما كل هذه التنهدات بيلسان؟

تنفست بعمق على إثر المفاجأة، فأمسكت صدرها جزعا
 وجنات تتحرك لتشعل المصباح جوارها ثم التفتت تتأمل حالة
 صديقتها بينما تستدرك

لم أكن نائمة، انتظرت مجيئك واستغربت حين استلقيت دون
 تغيير ملابسك، فتوقعت بأنك متعبة للغاية، لذا حافظت على
 صمتي كي أدعك تنامين لكنك لم تفعلي وأنت تلتفتين كل
 لحظة وتتنهدين، ما بك بيلسان؟ و لماذا تأخرت كل هذا
 الوقت؟

بللت شفيتها تشعر بعطش شديد لتتذكر أنها لم تأكل أو تشرب
 منذ الصباح في المخبز حتى حين جهزت عشاء نضال فضلت

الانتظار حتى يأكل، فتوضب ما تبقى وتحضره معها كما تفعل

جنات

_هيبه! بيلسان أنت تقلقيني.

أدارت جسدها على شقها المقابل لجنات وتأملتها لبرهة ثم

أخبرتها بخفوت واجم

_جنات؟ هل أنت عذراء؟

كان دورها لتجفل وتشهق ببهوت من سؤالها الذي لم تتوقعه

ليحل الصمت من جديد حولهما سوى من قطرات الماء

تتوالى هاربة من سجنها دون انقطاع.

وجه جنات الأسمر جامد يعلوه الشحوب والبؤبؤ بلون الذهب
يتسع ويظلم، ليظهر كالبدر وسط بحر أبيض محمر تعباً،
يظللهما حاجبين سوداوين يمتدان حتى بعد حد العينين كأنهما
يعلنان عن حراستهما الشامخة، شفتها السفلى بارزة عن
العلوية بشكل ملفت تحت أنف بارز قليلاً وسط وجنتين
ممتلئتين بتناسق مع وجهها الدائري، رفعت كفها لتعيد إحدى
خصلاتها السوداء التي تجعدت من إهمالها له في أيام مرضها
إلى الخلف بينما عينيها الجامدتان تتبعان دمعة يتيمة تتدحرج
على وجنة بيلسان تتلمس مسارها عبر بشرة صاحبها التي
تنافس الأموات شحوباً لتعود إلى مقلتها حين نطقت بشجن

—رحم الله ابراهيم يا جنات، تعلمين أنني لا أحلف إلا بالله وهذا
ما علمه لنا، فاصدقيني القول بالله عليك وأريحي قلبي.

ذكرها لإبراهيم كسر آخر حاجز بنته في أيامها الأخيرة لتخفي
عن صديقتها لا! بل أختها بل نفسها، حقيقة إحساسٍ أضعفها
رغما عنها أو أضعف عزيמתها بسب كل مِحنها لترى في نضال
مهربا أو متنفسا يعوضها عن حنانٍ فقدته منذ فقدت شقيقها مع
شعورٍ آخر يعوض حبه وعطفه.

تحدثت بنبرة بكاء حارقة وهي تمسك جانبي الشرشف
بقبضتها

—أنا عذراء يا بيلسان، عذراء! لكن أعترف بأنني ضعفت،
ضعفت وكدت أستسلم لولا..... لولا!

قاطعتها بيلسان تقول بنفس مرارتها دون أن تذرف دمعة أخرى
 _لولا أنه لم يتمادى معك.

جحظت عيني جنات ترمقها بريبة مندهشة تلهث من فرط
 نحيبها لتكمل بيلسان عن صديقتها التي تحفظها جيداً
 _لم تكثرني يوماً لرجل ولا للمال، لم تستسلمي يوماً لكلمات
 ديدو عن الأغنياء والثراء... لم تكوني يوماً منفلته ولا لعوبة أو
 حتى طماعة.

تسمرت جنات كما تجمدت الدموع على وجنتيها بينما بيلسان
 تتابع حديثها كأنها تلفظ كلمات تحوم في صدرها تحرقه منذ
 مدة ولم تتجرأ على مواجهتها

_ لماذا هو جنات؟ لماذا نضال القناص بالذات؟

تأملتها قليلا قبل أن تنفجر باكية من جديد ترتمي عليها، فقالت

بيلسان بجمود شارد وهي تمسد على شعرها

_ أنت أحببته جنات... أحببت نضال القناص، ابن خالي يا

جنات!

أخذ نفسا عميقا من أريج زهور الياسمين التي تصطف بشكل

مبهج في أوعية الزرع المزينة للسور المحيط بالسطح وشرد

فكره كما تاهت أنظاره نحو أضواء المدينة بينما شبح ابتسامة

يتعلق بثغره حين زارت أفكاره بعطرها المستوحى من

الياسمين لينسى ما كدر صفو مزاجه

يا سلام على البسمة الرائقة.

استدار سامي إلى صديقه الضاحك ساخرا، يتأرجح على

الكرسي المعلق، فخطا إليه ينفض كفه بكفه الآخر ثم جلس

جواره يتأمل السطح المصمم على شكل حديقة مبهجة،

خصوصا في الليل حين تكتمل زينته بالأضواء الخافتة الملونة

المنتشرة بين أرجاءه.

حلّ الصمت عليهما يسبحان بأفكارهما كأن الصمت

يساعدهما أكثر على تصفية ذهنهما، خالد وسامي شابين

جمعتهما ظروفهما المتشابهة التي أوصلتهما إلى الشراء في

تلك البناية الأنيقة التي تجمع بين الرقي والمنطقية في القيمة
المادية ولكونها السباقين إليها نشأت بينهما صداقة كللت
بالتفاهم والثقة.

أجفلهما صوت رسالة على هاتف سامي أهملها بضجر، فعقب
خالد بمزاح

إعلام بالوصول!

هز رأسه بوجوم صامت، فاستطرد خالد مغيرا الموضوع

كيف حال التدريس معك؟

أفلتت دقة من عقالها رغما عنه وقد اختصر له هواه الثانوية في
وجه واحد أضحي كثير الزيارات لأفكاره مؤخرا لكنه كالعادة

وبجدية ينفض عنه أفكاره المحرمة ويرسلها بعيدا إلى زاوية
مهملة، مانعا عنها الجموح الذي سيعيث بأحشائه فسادا
_كالعادة، الأمور تمر بروتينية وكل شيء بخير الحمد لله، ماذا
عنك؟

ابتسم مريحا جسده إلى الخلف

_تمام، نفس الروتين، لم أسألك عن والدتك، كيف هي؟

غطى الوجوم وجهه وهو يرد عليه

_لا أعلم ما بها يا صديقي؟ كأن الدواء لا يأتي بنتيجة.

أدار خالد رأسه إلى سامي، يسأله بقلق

_هل استشرت طبيها؟

أوما بإيجاب

يقول بأن الأمر نفسي.

ثم استدار إلى خالد يستطرد بلوعة

لا أعلم ماذا بها؟ أحدثها طويلا محاولا سبر أغوارها لكنها

دائما تطمئني وتتحجج بكبر سنها.

ثم رفع رأسه إلى السماء متنهدا، يكمل

لقد تعبت، أشعر بثقل على صدري لا ينزاح ولا أعلم ماذا

أفعل؟

تغضنت ملامح خالد حامدا ربه على مشاكله الهينة أمام مشاكل

صديقه، ينظر إليه بإشفاق وتراوده فكرة عمن قد يكون سبب

شقائهم لكنه طبعاً لا يستطيع قول شيء، فما هو سوى إحساس
لا دليل عليه.

صباحا

(بيت أسد)

_السلام عليكم... صباح الخير على أم الخير كله.

ادعت العبوس بشكل مضحك، ترد عليه بينما تضع إبريق

الشاي على المائدة المربعة في الشرفة المطلة على الشارع بينما

تتملص من بين يديه

_ابتعد عني يا ولد واحترمني قليلاً أنا والدتك.

ابتعد عنها يتسم بمرح واتخذ كرسيه المعتاد مجلسا له كما
 جلست قبالة محافظة على جمود وجهها تصب الشاي لنفسها
 بغیظ مزعوم ثم بدأت الأكل دون أن تدس بعض اللقيمات في
 فمه كما تفعل عادة، فمد يده وصب لنفسه هو الآخر حين علم
 بأنه لن يحظى بتدليلها اليومي واكتفى به دون أن يمس الأطباق
 المتراسة أمامه.

رمته بنظرات حانقة، تهتف بنزق

_ كل شيئا، فموعد عملك قريب وستركض هنا وهناك طوال
 اليوم دون أكل صحي.

اتسعت بسمته المرحلة حين أخذت قطعة خبز لتغمسها بالعسل
 ثم دستها في فمه بغلظة مفتعلة، تكمل هتافها

_لم ترث منه سوى عناده... رحمه الله.

بلع ما في فمه يرد عليها بفكاهة بينما يسبل لها أهدابه البنية
ببراءة مزعومة

_فقط؟ وماذا عن مقلتي العسلتين؟ ألم تخبريني مرارا بأن ما
أوقعك في حب والدي هو لون العسل الصافي في عينيه؟

كتمت ابتسامة فرضت نفسها عليها، تجيبه بتأنيب مضحك

_تأدب يا ولدا! الحق علي لأنني أخبرك بكل شيء.

قام عن مكانه ليجلس بجانبها يضمها من كتفيها ومقبلا رأسها
يخاطبها بحب

_حفظك الله لي يا أعز ما أملك.

ضحكت أخيرا تقبل كتف أسد كما تعودت الفعل، فأضاف

بحنو

_أمي، أنا لم أتعمد إغضابك، أنت تعلمين بأنني لا أستطيع
الإقدام على تلك الخطوة حاليا لكن أرجوك اسمعيني
وافهميني.

نظرت إليه بتمعن بينما هو يكمل مفسرا

_أنا لست مستعدا لزواج الآن، عملي في أوجه، أتورط بعمليات
سرية، ولا أستطيع ربط فتاة بي وأنا لا أجد وقتا حتى لك أمي،
من فضلك امنحيني بعضا من الوقت حتى أرتب حياتي وأصل
إلى هدفي بعدها سأطلب منك بنفسى البحث عن عروس لي.

ابتسمت برضا تعود لتقبيله ثم سألته بريبة

_هل هذا يعني أنك لست مشغولا بإحداهن؟

لمع العسل بريق خاطف لبرهة قبل أن يرد بتصميم

_لا يشغل بالي سوى عملي، أما قلبي فلا يشغله سواك يا
صفصف.

ضربته على كتفه بكفها تهتف بحنق

_صفصف هذه لا أحبها.

قبل رأسها ضاحكا وقال قبل أن يقوم من مكانه

_أحلى صفة في الوجود.

ثم انصرف إلى عمله تشيعة والدته بدعوات الحفظ واليسير.

صباح الخير يا نرمن، كيف حالك؟

سلمت عليها مقبلة وجنتيها قبل أن ترمي حقيبة يدها على أريكة

مهترئة ككل شيء في تلك الشقة ثم قالت بعد أن لاحظت

شحوب بشرة بيلسان أكثر من العادة والزرقة تحت عينيها

الذابلتين، تتساءل بريبة بينما تشير إلى وجهها

_ظننت بأن جنات المريضة لذا جئت لزيارتها.

قاطعهما صوت جنات خارجة من غرفة النوم الوحيدة هناك،

تجيب بتعب : _كيف حالك نرمن؟...لماذا أتعبت نفسك

بالزيارة باكرا؟...أنا متأكدة من أنك تشاجرت وديدو ليدعك

تخرجين في هذا الوقت.

زفرت نرمين بينما تسلم عليها لتجلسا على الأريكة اليتيمة
 وبيلسان تجهز فطورا في المطبخ الضيق جدا والمفتوح على
 المساحة الصغيرة التي تحوي تلفازا قديما وأريكة يتيمة أمامها
 طاولة صغيرة مستطيلة الشكل

_لقد مللت من ديدو ومن تلك الفيلا بمن فيها وأمقت اليوم
 الذي تعرفت فيه عليه.

ربت جنات على كتف نرمين بإشفاق، تسألها بحيرة
 _لماذا لا تتركينهم وتنفذين بجلدك؟

زمت شفيتها بضيق ثم ردت بحزن مشوب بغل

_ كيف يا جنات؟ أنتما تعلمان بأن من يدخل عالمهم لا يستطيع الخروج منه إلا إلى المقبرة أو السجن.

تدخلت بيلسان بينما تضع براد الشاي وطبقين صبت فيهما زيت زيتون ومربى على الطاولة.

_ لا تيأسي من روح الله يا نرmin ولا تقبلي بأن يهزمك الشيطان، باب التوبة مفتوح دائما ولا تنسي قول سيدنا يوسف {ربي السجن أحب إلى} يعني السجن أهون من الزنى والفحش، السجن تنقضي أيامه أما الجحيم في الآخرة فلا يطاق.

دمعت عينا نرmin كعادتها كلما سمعت عن الله والحق، يعذبها ضميرها الذي ما يزال يقظا رغم كل ما واجهته وضحت به وهذا ما يجعل بيلسان وجنات يتقبلن صداقتها وإن كانت من

جماعة ديدو، مدركتين قصتها المكررة بين الكثير غيرها من
الفتيات، الفقر والجهل حين يتصف بهما الجمال تكون العاقبة
استغلالاً فانحراف.

تجهمت بيلسان واقتربت من نرمين، تمسح دموعها تخاطبها
بمواساة

إذا قررت يوماً تركهم أخبريني، فأنا على معرفة بمن يستطيع
مساعدتك.

هزت رأسها بحزن، فقامت بيلسان من مكانها تودعهما
_أستاذنكما لقد تأخرت.

سألتهما جنات ترمقها بغموض لم تفهمه نرمين

_ستأخرين ككل يوم، أم ستعودين باكرا؟

رمت نرمين بنظرة خاطفة قبل أن تجيبها

_سأكمل عملي لدى السيدة حليلة ثم أقضي أشغالا ما

وسأحاول العودة باكرا.

خرجت بيلسان من البناية لتلمح سيارة أنيقة سوداء، يتكئ

عليها رجل ينتظرها، فسعت نحوه بتردد تسأله بتوتر حين

وصلت أمامه

_هل السيد نضال من أرسلك؟

انتفض الرجل من مكانه يفتح باب السيارة الخلفي يهتف

باحترام

بلى يا آنسة، تفضلي!

استقلت السيارة بوجل تفكر بأن حياتها ستقلب رأسها على عقب، لكن على غرار صديقتها التي بعد أن تجاوزت صدمتها حين أخبرتها بأنها وجدت أهل والدتها ونضال يكون منهم تحمست وسعدت كثيرا ليس لأنها ورثت مالا كثيرا بل لكون حبيبها يقرب لصديقتها، سعادة لم تستطع بيلسان الإحساس بها وكل ما تشعر به الخوف والترقب.

_ صباح الخير سيدي!

تبسم المدير بوجهها الصارم الذي لا يليق لا بملامح ولا ببشرة

وجهها التي تحمر دون سبب

_ صباح الخير لبنى... كيف حالك؟

فتحت باب مكتبه ليدخل بينما تجيبه برسمية واحترافية

_ الحمد لله سيدي... قهوتك جاهزة مع أنني أنصحك بعدم

شربها على الريق.

جلس على المقعد خلف مكتبه الكبير، يجيبها بمرح

_ تلك الجملة تلقيها ابنتي على مسامعي كل صباح توقظني فيه

بمكالمتها الهاتفية.

ثم اتسعت ابتسامته بدفء مع ذكر ابنته، يكمل بحنان لمعت به
مقلتيه

_مع أنني لا أحب الأكل إلا بعد شرب القهوة لكنني تجاوزت
عادتي من أجل حبيبة قلبي ورد.

اختفت ابتسامته حين لاحظ تأملها والدموع تتحجر على
ضفاف مقلتيها خلف عوينتيها الطيبة الشفافة قبل أن تنتفض
على إثر رنين هاتف المكتب، لتستعيد جمودها وتخطو إليه
تجيب برسمية

_مكتب معالي وزير الداخلية نعم؟.....انتظر لو سمحت.

مازال يرمقها بحيرة حين التفتت إليه تخبره

_استقبال الوزارة يقول بأنها مكالمة من المركز الرئيسي، العميد
ليث الجندي.

هز رأسه يقول بينما يسحب هاتفه الشخصي من جيب سترته
_أخبريه بأنني سأحدثه من هاتفي، أدرته على الصامت ونسيته،
يمكنك الانصراف لبني وسأطلبك بعد أن أنهى اتصالي كي
أطلع على مواعيدي.

فعلت ما أمرت به وانسحبت في نفس الوقت الذي رد فيه ليث
بمرح معتاد بينهما

_معالي الوزير بدأ فعلا بتجاهلنا.

أنبه بحنق عكس بسمة وجهه الرائقة

_ لا أعلم إلى ماذا تُلمح بالضبط؟ لكنني لن أبرر لك، أخبرني!

لماذا تزعجني في أول يوم لي بعملتي كوزير؟

صدحت ضحكته عبر موجات الأثير قبل أن يجيبه بمرح

_ مدير الأمن مصطفى الشهدي يتخلى عن العمل الميداني

ويكتفي بالمكتب الفاخر ومجموعة من الموظفين تحت إمرته،

لن أصدق حتى أرى بنفسي.

ضحك مصطفى بنفس المزاج المنعش بينما يجيبه

_ لا تصدق يا ولد! هي أيام أدلل فيها نفسي قليلا ثم تجدونني

فوق رؤوسكم، هيا! أخبرني أين وصلتكم؟

استعاد ليث الحزم في حديثه وهو يخبره

_ جميعهم في قاعة العمليات، فاتصلت بك كي تحضر معنا لكن

سنكتفي بهاتفينا، يمكنك سماع كل شيء.

رد عليه بنفس حزمه

_ لا ليث، تعلم بأن المكتب جديد ولم أؤمنه كفاية، لذا أبلغني

بكل التطورات حين نلتقي مساء إن شاء الله.

أغلق الهاتف بعد أن سمع التحية ثم التفت إلى هاتف مكتبه

ليطلب مساعدته.

يا إيمان ما تفعلينه اسمه جنون، دعيني أبلغ شقيقك على الأقل.

لا!

نطقها إيمان بجزع وهي تضم ابنتها الصغيرة إلى صدرها وسط ردهة الاستقبال بالمستشفى، كي تؤمن لها شيئاً من أمانها المفقود على يد أقرب شخص إليها....والدها.

أتوسل إليك سلوى، لا أريد لأخي أن يعلم... لقد هددني بأنه سيقتله، أمين ما تبقى لي من عائلتي، سأصبر على كل شيء من أجل أخي.

زفرت سلوى بشدة تتأمل الزرقة المحيطة بعينها اليسرى،
الكدمة الوحيدة الظاهرة من بين أخريات تحت ملابسها واشتد
غضبها منها قبل أن يكون من زوجها الوحش، لتقول بغیظ
_أقسم يا إيمان إن سمحت لي بمساعدتك، سأحميك وألقنه
درسا لن ينساه حتى يتعلم كيف يحترم النساء.
أطلقت العنان لدموعها ذلا، تقول بلوعة أليمة
_لا تصعبها علي سلوى، طلبتك كي ترافقني إلى المستشفى،
لا أريد لأحد أن يعلم حتى هو! لا أريده أن يعلم عنك وأمين
دعیه خارج الموضوع، لا أريده أن يعلم، لا هو ولا أحد آخر في
الحي!.... أرجوك افهميني!

بكت صغيرتها ريفان تواسي والدتها البائسة، فهي الوحيدة
الشاهدة على معاناتها مع زوج ما كانت اختارته عن طيب
خاطر إلا غصبا من والدها السكير، هذا ما كانته، صفقة لضمان
الكحول وليته استفاد منها فقد راح ضحية حادث بعد زواجها
بسنة لتركها لمعاناة وعذاب لا ينتهي. أخذت سلوى نفسا
عميقا تهديء به غضبها وقالت بينما تسحب الصغيرة ريفان
برفق إلى صدرها

أنت حرة إيمان، أنت أكبر مني، يعني أنضج مني وبيدك قرار
نفسك، هيا لنغادر!

حركت رجلها ببطء تكتم آهة ألم قبل أن تنظر إلى سلوى
المراقبة لمعاناتها بغل واشفاق تحذرهما

_أتمنى أن لا تندمي يا إيمان.

قاعة العمليات ، المركز الرئيسي

هلّ عليهم العميد ليث حين اكتمل أفراد الفرقة المختارة
للعملية الخاصة الجديدة المكونة من متابع العملية الضابط
ال ممتاز ضرغام والمكلفين الضابط ممتاز صوان والضابط
أسد.

تحدث ليث يشملهم بنظراته الحازمة

_السلام عليكم.

ردوا عليه التحية، فتابع بفضول

_هناك فرد غائب.

جلس ليث بينما أسد يجيبه بحيرة

_نوفل سيلحق بنا إن شاء الله بعد ثلاثة أيام كي يلتئم جرحه
جيدا.

أوما ضرغام سلبا، يصحح له قصد ليث

_لم يقصد نوفل يا أسد بل....

قطع حديثه حين دخل عليهم شاب من عمر أسد لكن أضخم
منه، بل أقرب إلى صوان في هيئة جسده وحتى شبه في ملامح
الوجه حيث أنهما لا يتصفان بوسامة بارزة لكن جذابة بشكل
غامض، فملامحهما عادية بشعر قصير كقصة الجنود وشكل

وجه دائري، عينين بنيتين مائلتين للسواد وحاجبين خفيفين مع
 أنف متوسط غير بارز إلا أن صوان ملامحه تميل إلى الصرامة
 أكثر من "زيد" وإن كانت النظرة بعينيهما الحادة متشابهة،
 يرتدي سروالا بتصميم شبيه بسراويل الجيش مع كنزة سوداء
 بكمين وقلنسوة.

قام ليث بفرح صادق يستقبله ضاماً إياه بخفة يتلقى منه نفس
 الود والاحترام قبل أن يبعده قليلاً، يخاطبه بمزاح بينما يشمل
 هيئته بنظرة مرحة

ما شاء الله، يبدو أن جو الجنوب ناسب صحتك. كيف نميت
 كل هذه العضلات؟ ما أذكره عنك النحافة وصفرة البشرة.

ضحك زيد يرد عليه بمرح سُر له ليث، سعيدا بتبدل نظرة النعمة
والبؤس وفقدان الثقة في عينيه

_أنا متفاجئٌ مثلك، يبدو أن كل ما كنت أحتاجه، التمارين
الصارمة والأكل المناسب لأتضخم على هذا النحو.

علت ضحكة ليث الرائقة والتفت إلى الباقي يعرفهم إليه

_أقدم لكم الضابط زيد، كان من المفترض به التخرج مع دفعتك
أنت ونوفل يا أسد لكن الظروف أخرته سنة، خيرا إن شاء الله،
فبسبب تأخر تسجيله اضطررنا لإرساله إلى مدينة أخرى وها
هو عاد إلينا مستعدا وجاهزا، محملا بتجربة ليست بهينة.

تقدم زيد وسلم على ضرغام ثم أسد الذي يقبع جواره ليستدير
إلى الجامد مكانه، يرمقه بتأمل مريب، فبسط كفه إليه يهز له
رأسه مبتسما برسمية، أجفل صوان من شعور لا يعلم كنهه
يأخذه إلى ماضٍ سحيق ثم نظر إلى كفه الممتدة، فاستلمها
بخاصته لتزداد ريبة زيد يستشعر غرابة نظراته ما إن لمس كفه
هو الآخر وللحظة لم يشاء انقطاع تلك اللمسة التي أعادت
عليهما ذكرى مفقودة يستشعرها باطنهما دون عقليهما لكن
الموقف فرض سلطته لينتهي اللقاء ويتخذ زيد الكرسي
بجانب صوان مقعدا للجلوس.

عاد ليث إلى مقعده يستفسر منهم بجدية

إذن ما هي الخطة؟

_ لا تقوليها يا بيلسان.

أطرت بيلسان بعينها حرجا من السيدة حليلة بينما هي تتابع
بقلق استبد بها، فلا ترغب حقا بفقدان عاملة مخلصه وبارعة في
نفس الوقت

_ لماذا يا ابنتي؟ هل هناك ما يزعجك هنا؟

ربت على ذراعها ترد بحزن وهما واقفتان قرب حاجز عبارة
عن فترينا زجاجية لعرض الحلوى وأنواع من المخبوزات

_ لا سيدتي، كنت محظوظة بالعمل تحت امرتك، ولم أرى منك
سوى المعاملة الحسنة لكن أنا لم أعد بحاجة للعمل، لذا

أعلمك بعد أن أكملت بضاعة اليوم والغد أيضا وسأعود من
أجل كعكة الزفاف التي التزمنا بها.

زفرت بخفوت، تجيئها بحزن

شكرالك، على الأقل بقيت على العهد إلى أن تنهي التزاماتك،
غيرك لم يكن ليكثرث وقد ينسحب دون حتى إعلامي، سأتدبر
أمري بزميلاتك إلى أن أوظف أخرى مع أنني لا أظن بأنني
سأجد مثلك.

ابتسمت بيلسان برقة، فسحبتها السيدة حليلة وأجلستها على
أريكة الانتظار، ثم جلست جوارها تطمئن عليها

_هل ستتزوجين؟ إن كان الحال كذلك، أنصحك بعدم ترك
عملك من أجل رجل، فأغلبهم ليسوا أهلاً لثقة.

ردت بيلسان تومى سلبا

_لا سيدتي ليس من أجل الزواج.

قطبت حليلة بحيرة، فتابعت بيلسان بتردد

_ل... لقد وجدت عائلة والدتي التي تركت لي ولشقيقتي
أموالاً.

اندهشت حليلة، تتساءل باستغراب

_لديك شقيقة؟ لم أرها من قبل، أشعر كأنني لا أعرفك حقاً يا
بيلسان.

ضمت شفيتها بتوتر قبل أن تجيبها محرجة

_إنها قصة طويلة سيدتي، شقيقتي نشأت وتسكن ببلد أجنبي

وستعود اليوم بالتحديد لتستلم حصتها أيضا.

علت الحيرة وجه حليلة، ما تزال تستفسر لتفهم فهي تخشى

على الفتاة بصدق وتود الاطمئنان عليها

_كيف لم تعلمي عن أهل والدتك قبلا؟ وكيف افترقت عن

أختك؟ اشرحي بيلسان، أنا لا أفهم شيئا.

حررت نفسا حارا من صدرها الضائق، غير راغبة في التحدث

عن شيء خصوصا ما يتعلق بموضوع والدتها لكنها قالت

مجبرة

_والدتي قُتلت على يد خاطفي الذي رباني، فلم أعلم شيئاً عن
أهلها إلى أن كبرت ولا عن شقيقتي التي نشأت بكنف وا.....

تلكأت ثم أكملت

_الرجل الذي أنجبنا.

بلعت السيدة حليلة ريقها تسترجع ومضات من ماض لا تحب
حتى ذكره، لكن الفضول غلب على سخطها وكرهها تستفسر
منها

_بيلسان؟ ما اسم عائلة والدتك؟

ردت عليها بريبة من ملامحها المتغيرة

_القناص.

شهقت حليلة مدهوشة تحرق بها كأن بها مس، فسألتها بقلق
من حالتها

_سيدة حليلة ما بك؟ هل تعرفينهم؟

لمعت عيناها بدموع حبيسة ولدتها مشاعر شتى بين سخط
وحقد وغضب لكن حين نظرت إلى بيلسان لم يغمرها سوى
الحزن والاشفاق بينما تسألها بذهول

_أنت ابنة فادية القناص؟

تضرب الأرض بقوة كأنها ستشقها رغم ارتدائها لحذاء رياضي
 إلا أنها لفتت انتباه من حولها بحضورها الغاضب دون ذكر
 هيئتها الأجنبية بطلتها، جينز أزرق شاحب ذي شقوق على
 ركبتها وكنزة سوداء، عليهما سترة مفتوحة بنفس طول ولون
 الكنزة وشعر استطال عما كان عليه قبل سنوات إلى منتصف
 عنقها أما زينة وجهها فقد خفت قليلا خصوصا الكحل حول
 العينين وإن ظل أحمر الشفاه فاقعا

تلقت حولها تبحث عن الوجه المتعجرف الوسيم العائد لابن
 خالها وقد أرسل لها صورة سابقا على هاتفها لتلمحه يشير لها
 باسم ببرودة

يعلم بأن هذه تختلف كل الاختلاف عن توءمها البسيطة
والطيبة لذا وجب عليه الحذر.

وقفت أمامه تفرد قامتها بينما ترمقه بتحد أن يفكر ولو لحظة
بأن قصر قامتها عنه نقطة لصالحه، فتحولت ابتسامته الباردة إلى
أخرى مرحة بينما يبسط يده إليها ليصافحها، فتضاعف من
تسليته حين شدت على كفه بقوة، تأمره دون مقدمات وبشكل

حازم

خذني إلى شقيقتي.

إذن، هل انتهينا؟

حرك الجميع رؤوسهم موافقين، فاستطرد ليث ناظرا نحو

ضرغام

بلغ نوفل بكل التطورات كي يبدأ مباشرة ما إن يلتحق بعمله.

ثم التفت إلى أسد، يكمل بجدية

جهز نفسك يا أسد لأن الفتاة لا بد على أرض الوطن الآن، يعني

قد تطلبك للعمل في أي وقت.

أوما يسأله بامتعاض يخفيه

لماذا أعلمتموها سيدي؟

رد عليه ليث بتفهم لما يعنيه

_ كانت على اتصال بالمدير طوال السنوات الماضية وحتى إن لم يعجبنا الأمر هي من ساعدتنا بمعلومات كثيرة، لذا يا أسد ستلازمها كظلمها، فهي معتوهة ترمي بنفسها في الجحيم ولا تكثر.

علق ضرغام بتهكم

_ ابنة أبيها، لكن حمدا لله في الاتجاه المعاكس.

انتقل إليهم حس الفكاهة، فاستطرد بجدية

_ صوان فكر جيدا فيما ستفعله، فأنت من سيتعامل مع الهدف مباشرة.

تحرك بمكانه ينفض عنه ذلك الإحساس الذي يستولى على
أعصابه كلما بقي مع زيد مدة أطول

_ لا تقلق ضرغام، استغرقني التدريب والتخطيط سنوات من
عمرى لأواجهه وأتعامل معه بصبر وأنت خير من يعلم حين
يكون الجاني عدوك في نفس الوقت

ضم شفتيه يهز كتفيه مشيراً بأنه محق، فتدخل ليث يحذره

_ لكن لا تنس بأن الحق قد أحياناً يعمي الإنسان فيضله عن طريقه
الصحيح.

رفع زاوية فمه ساخراً بينما مقلتيه تلمعان بإصرار مخيف،
يقول بهدوء خطير

_ لا تخف علي، فلقد ظل ذلك الحقد أطول من اللازم يغلي علي
 نار هادئة، سنوات وسنوات تعدت فيهم مرحلة الغضب
 والعمى والآن كل ما أشعر به الهدوء ونشوة الفرح لقرب
 تحقيق العدالة.

لقد كان هدوءه فعلا مخيفا ليكمل علي هيئته الخطيرة، فتدخل
 زيد يستفسر منه بريئة

_ هل بينك وبينه ثأر شخصي؟

لا يعلم حقا لماذا سعد بسؤاله، فهو عادة منغلق ووحيد لا يثق
 بأحد، ولولا متطلبات العمل الذي أجبره علي الاحتكاك
 بزملائه ليتأكد من مدى رجولتهم ووفائهم لما سمح لهم

بالخوض بحربه التي شاء القدر بأن تصبح حرب الوطن ضد
الأعداء.

نظر رأسا في عينيه ليشعر بألفة دفينه ودفء لأول مرة منذ زمن
بعيد، لا يعلم حتى متى! يسري عبر عروقه وأخبره بحزم لا يقبل
الجدال

بلى، ثأر لن تكون نهايته سوى الموت.

الفصل الخامس

{تفقدّ الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة والقرآن والذكر ،
فإن وجدت ذلك فأمضي وأبشر ، وإلا فاعلم أن بابك مغلق
فعالج فتحه.....الحسن البصري}

خرجت من السيارة تائهة، ساهمة ومبهوتة مما أخبرتها به
السيدة حليلة وهمست بخفوت (يا إلهي إلى أي مدى قد تصل
بشاعة البشر؟!) توقفت حين لمحت المدخل الكبير أمامها
لترفع نظراتها تقرأ اليافطة الكبيرة ورغما عنها فغرت شفتاها
عن ابتسامة هادئة صادقة وهي تقرأ اسم مكانها المفضل الذي
لطالما كان ملجأها من بشاعة الدنيا "معهد فضل الله لتحفيظ

القرآن الكريم" أنزلت أنظارها قليلا، تحديدا تحت سطر
الاسم لتسع ابتسامتها بأمل مشرق وهي تقرأ الآية التي
ترسخت بروحها على مدى الثلاث سنوات التي ترددت فيها
على المكان " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ
أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {الطلاق: 2-3}."

أشارت للحارس بالتحية المعتادة وهي تعبر المدخل متجهة
إلى رفيقتها السرية منذ أن التقت بها بالرحلة إياها قبل سنوات
والتي أسست المكان قبل ثلاث سنوات فقط، تتوقع وجودها
في فصل الصغار لأنها الفترة المسائية.

تأملت الصف عبر نافذته، فأثرت الصمت تستمع إلى تلاوة
أحد التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين الست والثمان
سنوات

وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10)؛ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (11)
؛*سورة القلم*

قطع تلاوته بأمر من بنفسج التي قالت بهدوء ولطف
_حسبك صغيري.... إذن من يخبرني معنى حلاف مهين.

رفعوا أيديهم بحماس، ينادونها

_أستاذة...أستاذة.

أشارت لواحد بينهم باسمه بحنو، فقال بفخر طفولي جميل

ـ يعني كثير الحلف كذبا.

ردت عليه بنفسج بحبور

ـ أحسنت يا ولدي ومن يخبرني معنى هماز مشاء بنميم؟

تعالت النداءات، فاختارت صبيا آخر، يرد عليها

ـ هماز تعني أكل لحوم الناس بالغيبة أي التحدث عنهم بالسوء

خلف ظهورهم والاستهزاء والطعن بهم، أما مشاء بنميم،

فتعني من يمشي بين الناس ينقل أحاديث بعضهم على بعض

ليفسد بينهم.

ـ أحسنت بني.

ثم بسطت يديها تسألهم مرة أخرى، لترسخ دمامة الخلق
السيء بأذهانهم

وما حكم ذلك في الشرع.

نطقوا جميعا مرة واحدة

من كبائر الذنوب.

تحدثت بنفسج قبل أن ترمي ساعة يدها بنظرة خاطفة

بارك الله بكم، هناك هدية لمن يأتيني بعد غد بإذن الله حافظا

سورة القلم بأكملها وسأتجاوز عن بعض الأخطاء بالقواعد

ونصححها معا.

تهللت أساريهم، فتابعت بحنو

_هيا يا أبطال يمكنكم المغادرة، لا تنسوا النظام والجميع ينتظر ذويه في قاعة الاستقبال، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

لمحت بنفسج بيلسان تستند بمرفقيها إلى حافة النافذة ترمقها بحزن مشوب بقلق، فابتسمت لها بترحيب وهي تشير لها بالدخول، بادلتها بسمتها وإن لم تخلُ من الحزن، محرّكة رجليها في اتجاهها وسلمت عليها مقبلة وجنتيها وجلست على أحد مقاعد التلاميذ في حين جلبت بنفسج كرسيها وجلست عليه أمامها، تخاطبها بمرح

_أين غبت يا صديقتي الغريبة؟

ردت عليها محافظة على ابتسامتها الواجمة

_أعلم بأنني مقصرة لكن عملي متعب ويأخذ الكثير من الوقت.

ربت على ذراعها تجيبها بحنو

_لن أعيد عليك اقتراحي مرة أخرى، لكنني مستعدة في أي وقت
تريدينه.

نظرت إليها بامتنان حزين، تجيب والدموع على أعتاب
الانهمار من عينيها التعبتين

_لم يعد مهما يا بنفسج، لم يعد يهم!

ضمت بنفسج حاجبيها الكثيفين بريبة تميل نحوها، متسائلة
بقلق

_ماذا حدث حببتي؟ هل أنت بخير؟

لم تتحمل، فأطلقت سراح دموعها تشهق بألم وهي تقول

_عائلة والدتي وجدتنا وشقيقتي عائدة اليوم وجنات تحب

نضال، أنا خائفة، بل مرعوبة من كل شيء.

قامت من مكانها بسرعة لتجاورها على المعقد وسحبت منديلا

ورقيا من جيب فستانها تجفف لها دموعها بينما تواسيها

_اهدئي حبيبتى، اهدئي واشرحي لي كي أفهمك.

أمهلتها إلى أن تماكنت نفسها وأخذت أنفاسا تهدئ بها

أعصابها الثائرة، لتحكي لها عن الأحداث التي ألمت بحياتها

مؤخرا وحين صمتت بعد أن لهثت تعبا قالت بنفسج تهدئ من

روعها

ـ بالنسبة لجنات، الحمد لله الذي حماها من طيشها ولطالما أنت
 بجانبها، تذكريها بالله وتدعين لها بالحفظ فلا تخافي! رب
 العالمين معكما أما بالنسبة للعائلة، حبيتي أنت تعلمين بأن
 ذلك سيحدث إن آجلا أو عاجلا.

تدحرجت دمعة أخرى على خدها تعبر عن همها بشجن

ـ أخشى أن تعلم جنات بحقيقة والدي، لن أتحمل نظرة الاتهام
 واللوم منها... ثم ماذا إن خرج منتقمون آخرون من العدم؟ أنا
 تعبت ولم أعد أتحمل عذابا جديدا، يكفي ما عانيته في صغري.
 هزت بنفسج رأسها تخاطبها برقة

_أخبرتكَ من قبل، من الأفضل لو أخبرتها بنفسك، أن تعلم منك خيرا من أن تعلم من غيرك، لكنك رفضتِ ولم تعلميها حتى بكوني صديقتك مخافة أن تعلم بأي طريقة ما حدث يومها ثم حبها لذاك الشاب، أنا آسفة بيلسان لكن أنا و أنت نعلم جيدا حقيقته وأنا بالفعل أستغرب كونه لم يمسها بسوء، كان الله رحيفا كريما بها وعليها التوبة من التجاوزات التي سمحت بها.

رمقتها بحيرة، تخبرها بهم

_آه يا بنفسج، أنا خائفة من احتمال فقدانها، حينها ستبتعد عني وقد يحدث لها خطب وهي أمانة إبراهيم عندي ولن أتخلى

عنها، يجب أن أرها وأحافظ عليها حتى أزوجها ممن يحبها
ويقدرها.

ضحكت بنفسج تتأملها بفخر وإعجاب بينما تجيبها

_تحدثين كالأمهات لا تخافي! بإذن الله سيكون كل شيء
بخير، أنت تمسكي بالله ولن تخسري، فإن كان الله معك من
عليك حبيتي؟

ابتسمت بيلسان أخيرا بأمل وطمأنينة بينما بنفسج تتابع بنصح

_ولا تنسي شقيقتك هي الأخرى، كوني لهما المشكاة في طريق
العتمة دائما، وحين تحتارين أو تتوهين اسألني ربك وهو
سيجيبك ويهديك إليه إلى الحق.

لم تفارقها حتى دب الأمل والأمن بصميم صدرها، شاحده
همتها لتواجه المستقبل بقوة إيمانها بربها.

قام من على مقعده حين أزعجه اهتزاز رجلها واقترب منها
يضمها من كتفيها يهمس قرب أذنها

_حببتي اهدئي، أنت حامل لا يجوز اضطرابك هذا، إنها بخير،
مفيد حدثني وسيحضرها بنفسه.

التفت إليه شاهي ليغوص قلبه في وجوم وله من زرقتيها
الدامعتين التعبتين، ترد بتحسرج خافت

بماذا أخطأنا يا سمير؟ لماذا لم نفلح في دمع إحساس اليتيم
لديها؟ أعلم أن لو الداي الفضل في ذلك لكن ماذا أفعل؟ يا إلهي
إنهما والداي وهي ابنتي، حبيبتى.

قبل خدها بخفة، مجيبا بحنو

لم نقصر بشيء حبيبتى، إنها مرحلة صعبة كما يقولون عنها،
سنجتازها إن شاء الله بنجاح كما نفعل مع كل عقبة فلا تخافي!
أمل فتاة ذكية وصاحبة قلب كبير، بريئة إلى أبعد حدود، هي
فقط تائهة وستجد نفسها.

رمقته برجاء تتمسك بيديه، فشد عليهما بعد أن قبلهما مسدلا
جفنيه هنيهة يبثها إحساس الأمان علّه يريح بالها، فأخذت نفسا
عميقا ثم قالت وهي تقوم عن أريكة غرفة الجلوس

ـ ساوي إلى فراشي فأنا تعب، من فضلك حبيبي تأكد من أنها
أكلت شيئاً قبل أن تغلق عليها باب غرفتها.

قام سمير هو الآخر يرافقها إلى غرفتها حيث قبل رأسها بعد
أن دثرها جيداً، يهمس لها بكلمات مهدئة ثم أقفل الباب بهدوء
واستدار في اتجاه غرفة أخرى، فتح بابها بخفوت وألقى نظرة
على السرير ليبتسم بمكر مرح ثم عاد لإقفاله متوجهاً إلى
الصالون ينتظر عودة أمل برفقة الدكتور مفيد.

_جنات؟ هل انتهيت من توضيب حقيبتك؟

ابتسمت بحماس لم تلق له صدئ لددئ بيلسان الجالسة على

الأريكة المهترئة بينما تجيبها

بلى لقد جمعت كل شيء.

صاح صوت دقات على الباب، فأسرعت جنات تفتح بلهفة

ليخيب ظنها حين قابلها وجه ديدو يتسم لها بميوعة قائلًا

_أهلا يا قلبي... هل اشتقت إلي؟

فتحت الباب على وسعه ليدخل، فنفخت بيلسان بحنق، تهمس

بسخط

_أنت من ينقصني.

دنا عليها ليقبلها على وجنتها، فعادت بيلسان إلى الخلف ترمقه
 بحدة زاجرة ليستقيم واضعا إحدى يديه على خصره والأخرى
 يربت بها على شفته بينما يخاطبها بتهكم مائع
 _آه، نسيت أنكما لا تصافحان الرجال لكن حبي، أنا لست رجلا
 غريبا.

رفعت حاجبا واحدا، تعقب بنفس تهكمه لكن بنبرة جامدة
 وجافة : _أنت محق لكن بالشق الأول من جملتك فقط.
 ضحكت جنات وديدو عديم النخوة لم يتلقاها إهانة يلوح بكفه
 بمعنى على أي حال، ثم جلس ليبدأ وصلة الإلحاح اليومية
 ليقنعها بما يريد منها

_ لا يهم يا جميلتي وأنا جئتك بفرصة مهمة جدا اليوم.

قلبت بيلسان عينيها بضجر وزفرت بغل، تجيبه بنفور واضح

_ أفضل فرصة تأتيني بها، أن ترحمني من طلتك البهية ولا أريد

أن أراك بعد اليوم، فقم حالا واخرج من هنا!

تفاجأ من هجومها الغير معتاد، فهي لطالما عبرت عن كرهها

له لكن لم تكن عدوانية مثل اليوم لذا التفت إلى جنات، يسألها

بريبة : ما بها صديقتك؟ هل جئت؟ ألم تخبريها عن عمك وما

يفوتها؟

اشتاطت أعصاب بيلسان وقد وجدت متنفسا لغضبها وخوفها،

فهمت باحتقار

_ عمل؟ تسمى الدعارة التي تمتنها عملا؟

بهت ديدو بينما هي تكمل بكره

_ كدت تدمر جنات لولا رحمة ربي بها، تطلقون على الدعارة

اسما منمقا تلبسون عليه لباسا أنيقا كي تقنعوا به الفتيات

المسكينات فلا يُدركن حقيقة الأمر حتى يتورطن ويضعن

ويفقدن شرفهن وعفتهن، مهما فعلتم وأمثالكم من ظهير

الشیطان ومهما غلفتموها بأسماء جديدة تظل حقيقتها الدعارة

والزنا.. فاحشة وأنتم لستم سوى تجار رقيق، تبيعون وتشترون

الفتيات والأطفال وحتى لن أقول الرجال فالكلمة أبعد عن

أمثالكم إنما ذكور عديمي النخوة وممسوخي الفطرة!

تجمد كلاهما، ديدو بدهشة من شجاعتها وقسوتها المستحدثة
وجنات بصدمة، لتوها تستوعب حقيقة ما كانت ستقترفه
بيديها، لا تنكر بأنها عانت من تأنيب الضمير حتى مرضت
لكنها لم تُقدر داخليا حجم الخطر الذي أَلقت به نفسها، فلو
حدث وأخذ منها نضال عفتها كان سيرميها حين يمل منها وأبدا
لن تكون زوجة له بل العكس، كان سيطردها ويطلب أخرى
كأي غرض حقير يستغل ثم يلقي به في القمامة ومن سيخسر
حينها؟ هي من ستعود ذليلة بل عاصية بذنب عظيم من الكبائر،
في تلك اللحظة ومضت صورة إبراهيم في عقلها ليهتز قلبها
بجزع يصرخ بأحشائها (كيف كنت ستقابلين شقيقك بذلك

الذنب؟ وبماذا ستخبرينه؟ أن تربيته لك راحت سدى؟ بل ماذا ستقولين لربك؟ خالك؟).

أجفلتها مثلها دقائق الباب فلم تتحرك عن مكانها، تشعر بشلل يثقل قدميها وقد تبخر حماسها الذي اكتسح قلبها منذ أن أخبرتها بيلسان، فقامت الأخيرة متلافية تمثالين متسمرين على هيئة الصدمة.

شكرا لك مفيد... ألن تدخل لتعشى معنا؟

أوماً مفيد سلبا وابتسامته المعتادة ترسم على جانب فمه بينما يجيبه بود

_أعتذر إليك لكن شقيقتك تنتظرنى وهي حانقة هذه الأيام،
فلجین تفقدها صوابها وحذيفة لا ينام أبدا بسبب نمو الأسنان.

بادله بسمته بواحدة صادقة، يعقب بخفوت

_حفظهم الله لك يا صديقي.

ثم نظر تجاه باب المنزل، يردف بتساؤل

_هل أخبرتك بشيء؟

حرك مفيد رأسه بمهنية ذكرته بكونه طبيبا كان السبب بفضل

الله بمعافاته بالماضي.

_إنها كتومة، حاولت لكن يبقى سنها حاكم بعنفوان، لذا يجب

أن نمنحها الوقت... على العموم لا شيء خطير لحد الساعة.

هز سمير رأسه بتفهم، فالتفت مفيد مغادرا يضيف بغموض قبل
أن يخطو نحو سيارته

لكن هذا لا يمنع ممارسة أبوتك واستغلال سلطة الوالد من
أجل التقويم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عاد وتوجه رأسا إلى غرفتها ووقف أمام بابها حيث تنفس بعمق
ثم رفع قبضته يدق عليه بهدوء، فسمعها تهتف

أبي تصبح على خير، لدي مدرسة باكرا.

فتح الباب ليجدها جالسة على المقعد المطاطي تضم إليها
ساقها تبدو في منامتها الزهرية الساترة لكامل جسدها، أمل
الصغيرة التي أغرما بها هي وزوجته ليكفلاها ويعتبراها ابنة

لهما حتى قبل زواجهما، نزعت السماعات من أذنيها ثم جمعت خصلاتها البنية الغامقة لتطوقها أعلى رأسها، فانسابت غرتها تعود مكانها متمردة على سجن صاحبها بينما هو ظل واقفا مكانه متكئ على دفة الباب ومربعا يديه إلى صدره، يرمقها بعتاب مشوب بحنان، فلم تستطع رفع أنظارها إليه تتهرب بها بتفقد أركان غرفتها.

_لماذا لم تحضري حفلة الصغيرة؟

نظرت إليه أخيرا كأنها تلومه على سؤاله بينما يتابع متجاهلا ذلك

_إلى متى ستستمر حالتك هذه؟ والدتك متعبة تحتاج للراحة وأنت لا تساعدين أبدا.

أسر فرحة عابرة من لمعة الحنان التي برقت بعمق زرقتيها قبل
أن تتداركها، تتصنع البرود بينما تجيبه بنبرة جامدة
_أعلم بأنني مصدر تعب للجميع.

زفر بحنق، يقول وهو يلوح بكفه في الهواء
_هذه المرحلة المتعبة سنجتازها بأي طريقة كانت!

حدقت فيه بحيرة، ليكمل بعبوس ممتعض

_المراهقة أو مهما كان اسمها، إن لم تعتذري إلى والدتك غدا
وتقبلها كما تحب سأعتمد طريقة والدي رحمه الله مع أنني
كنت أصغر منك حينها لكنها أتت بنتيجة جيدة وتعلمت كيف

أحترمه ووالدتي، فيبدو أن المعاملة المتحضرة والحوار
الآدمي لم يأتي بنتيجة.

استقامت تقف على أقدامها مقطبة باندهاش من نبرته الجديدة
عليها كليا، تتساءل بحذر

_وما هي طريقة والدك؟

_جدك!

عدل لها بانزعاج، يشير إليها متابعا بعتاب جاف

_اسمه جدك رحمه الله... وطريقته، تعليقك من رقبة قميصك

على باب البيت حتى تتأدبين وتعودين لرشدك.

لم يندهش حين انفجرت ضحكا ولم يتمالك نفسه وضحك
 معها يخطو نحوها ليربت على رأسها بتحفظ بدأ يتتهجه منذ
 بلوغها مدركا بأنه أيضا أحد الأسباب بما يحدث معها لأنه هو
 الآخر يعاني من عدم قدرته على ضمها وتقبلها كما كان يفعل
 معها بصغرها لكن لا بأس مادام يراعيها ويتأكد من أمانها
 وسلامتها.

توقفت عن الضحك حين واجهها بجدية وحزم

ـ انظري إلي واسمعيني جيدا، ابتداء من الغد لن تتغيبي عن
 صفوفك.

بهت أمل تحمر خجلا لبيتعد هو خارجا يضيف بينما يلتفت
 إليها عند الباب

_ لا مساعدة للمتشردين إلا بعد دوام المدرسة، إلا، سأحزن جدا
يا صغيرتي، جدا! الطعام في المطبخ ولا تنسي صلاتك إن لم
تكوني قد قضيتها بعد. تصبحين على خير.

انسحب فأسقطت قناع الجمود، تتساقط من عينيها دموعا
رفضت ذرفها وألقت بالهاتف والسماعات على المنضدة
لتندس تحت الغطاء تنشد النوم فتتخلص من أفكار معذبة
تهولها لها نفسها، كيف لا! وحادثة سنها تجعل من أعصابها
كما عقلها يتأرجحون على عتبتين تشوشان عليها مسار الطريق
الصحيح.

سمعت صوت محاولات لفتح الباب، فابتسمت بدفء للحظة
ثم اتخذت قناع الجمود من جديد وهي تنظر لكومة الشعر

الذهبي المنفوش تدفع الباب بكل ما أوتيت من جهد
 وبحركات تحاول جعلها خافتة، تحمل بكفيها الصغيرتين علبةً
 ما قبل أن تتسمر مكانها حين لمحت تحديق أمل المدعي
 للسخط، فقالت بنبرة طفولية متزعزعة

_أحضرت لك نصيبك من كعكة حفلي، لم تحضريها فخبأته
 لك.

نفخت أمل بضجر تضيق عينيها عليها، فتابعت ببراءة وهي
 تتقدم نحوها

_كان حفلا كبيرا حضر فيه مهرج أخافني يصيح بأنني جميلة
 وذكية وأناس كثر لا أعرفهم، فانتظرتك طيلة الحفلة وكان
 هناك أولادا ضايقوني. لماذا لم تحضري؟

شمل العبوس وجه أمل فتراجعت الصغيرة ليس خوفا إنما
 إدراكا بأن لأختها أوقاتا تجن فيها وتصيح بغضب ثم سرىعا ما
 تهدأ لتأخذها بين أحضانها لكن أمل تحدثت بهدوء
 _دعاء؟ إلى غرفتك حالا ودعيني أنام.

نظرت الصغيرة إلى العلبة بين يديها ثم إليها بتردد، فتابعت
 الأخرى

_وخذي كعكتك معك، هيا!

تكومت ملامح الصغيرة بحزن وإحباط، تلتفت إلى الباب
 لكنها ما لبثت أن تراجعت تسألها برجاء طفولي مشير للرافة
 وهي تمسد بإحدى كفيها على شعرها المشعث

_أختي؟

فكرت أمل بأن كومة الشعر الذهبي تعرف جيدا كيف تؤثر بها،

فهممت بنفاد صبر لتستدرك الصغيرة بتوسل رقيق

_هل يمكنني النوم بجانبك؟ المهرج كان مخيفا.

حين تتأصل الرقة بالقلب تغلب وتطفو على السطح بكل قوة،

رفعت أمل الغطاء إشارة لها، فهرولت بفرح والشعر الذهبي

الكثيف يهتز حول وجهها الصغير حتى توقفت فجأة قرب حافة

السريـر تتساءل بريبة

_و الكعكة؟

تصنعت العبوس بينما ترد عليها

إن كنت تريد النوم جوارى أبعدني عنى ذلك الشيء .

وضعتة بسرعة فوق المنضدة وتشبثت بذراع أمل كي ترفع نفسها ثم استلقت كما تفعل عادة حين تتسحب إلى سرير أختها حيث تندس بحضنها، مديرة ظهرها إليها لتطوقها أمل من كلا الجانبين، فتسعد الصغيرة وتشعر بأمان يغمرها براحة تفر عينها.

ساد الصمت حولهما لبرهة قبل أن تهمس الصغيرة بنبرة ناعسة _ كانت الحفلة سيئة بدونك وأولئك الأطفال سيئون، واحد منهم خطف دميتي وألقى بها على الأرض .

تنفست أمل بغضب، ترد عليها

ولماذا لم تلجئي إلى أبي؟

ردت الصغيرة بإحباط

بابا لن يفعل شيئاً سوى إخبار والده لذا كنت أنتظرك أنت لكي

نتقم منهم بمقابلنا معا.

ابتسمت أمل بمرح اختفى حين استرسلت الصغيرة ببراءة

ثم بابا كان غاضباً من جدتي وكان سيرحل لولا أن ماما تعبت.

تشنجت أطراف أمل تسألها حين صمتت الصغيرة

ماذا قالت هذه المرة؟

لم تجبها الصغيرة تستشعر بفطرتها النقية أن الكلام سيجرحها

لكن أمل أصرت لا تدري لماذا؟ هل تريد تذكير نفسها

بحقيقتها المؤلمة كل مرة تنساها في قلب هذا البيت الذي
 يحتويها أفراده قبل جدرانها أم هي هواية جديدة للتعذيب
 يفرضها عليها سنها الفتى كما قال والدها
 _أخبريني دعاء أو سأرسلك لغرفتك حالا!

تكومت على نفسها في حزن أمل وهي تلفظ الكلمات التي
 سمعتها مستشعرة مدى قساوتها حتى وهي لا تفهم أغلب
 معانيها

_سألت عنك الخالة بيان.

ثم تلكأت قليلا فحشتها أمل بالشد على ضمها أكثر كأنها تستمد
 منها القوة لتحمّل ما ستسمعه

_أخبرتها ماما بأنك ستأتين بعد انتهاء دوام المدرسة، فقالت
جدتي..._

عادت للصمت قبل أن تكمل أخيرا الجملة كما نطقها جدتها
_تلك اليتيمة يجب أن تعيدوها من حيث جلبتموها فقد كبرت،
لديكما ابنة وتنتظران آخر لستما بحاجة للتبني وإن أردتما
التصدق عليها، افعلنا ذلك وهي في الملجأ لا تحضروها إلى
البيت.

أنت دعاء من الضغط القوي على ضلوعها الصغيرة، فأرخت
أمل أطرافها والدموع تظفر من زرقتيها لتستحيل إلى سواد،
فاستدارت الصغيرة تتطلع إلى دموعها بحزن، تستفسر منها
بجهل

_ماذا تعني يتيمة؟

أنزلت أنظارها إلى مقلتي الصغيرة الشبيهتين بعيني والدها بينما

هي تتابع بحزن

_لا بد وأنها كلمة سيئة لأن بابا وماما غضبا جدا حتى الخالة بيان

وعمي ناصر.

أخذت أمل نفسا مرتعشا دون أن تمسح دموعها ثم قالت بألم

ارتسم على قسماتها التي نضجت لتزداد فتنة على جمال

طفولتها

_لا حبيبي، اليتيمة ليست بكلمة سيئة، فهي تطلق على ابنة لا

تملك بابا وماما.

دهشت أمل من ابتسامة الصغيرة الواسعة تملأ وجهها المستدير
وهي ترفع كفها الصغير تمسح به دموعها، قائلة بانتصار طفولي
صاـدق شع من رماديتها

إذن أنت لست يتيمة، لديك ماما وبابا وأنا وولد آخر قادم.
وكنسيم حريري ساحر، اكتسحت البسمة الدافئة المتأثرة
أحشاءها قبل شفيتها وسحبها لحضنها تضمها بقوة، تهمس
لها بشجن

بلى، ماما وبابا وأختي وأخي، خاصتي.

فتحت بيلسان الباب لاهثة من فورة أعصابها قبل أن تتجمد
 أنفاسها أمامهما، لم تكن على علم بأنهما سيقصدان بيتها
 مباشرة رغم انتظار جنات الملهوف وفكرت بأنهما سينشغلان
 بأي شيء سواها.

انحنت شقيقتها عليها مقبلة إياها على وجنتها ببرود ثم
 تجاوزتها داخلة دون كلمة، فتحولت ببصرها إلى الآخر
 المبتسم بمكر يهز كتفيه بخفة متجاوزا إياها هو الآخر.

رمت أور ديدو وجنات بنظرات تقييمية بينما الأخيرة تتأمل
 ملامحها المشابهة لبيلسان والآخر يتحدث بذهول وانبهار وهو
 يلف حولها

_والو! يا للروعة! نسخة أخرى عن الجميلة!

ثم حرك كفه بشكل دائري يستطرد برضا

_لكن نسخة أنيقة وفائقة الجمال!

بسط يده ليلمسها، فأمسكت رسغه بقوة تلوي يده خلف ظهره،

تحدجه بنظرات حارقة بينما هو يتمتم بخوف حقيقي

_اهدئي! أ..... أنا لم..... لم أنوي سوء... أنا..... آآآه....

ألقت برسغه بقسوة فارتد جسده واستضم بالحائط، فقالت

بيلسان بمرح غمر ملامحها بتشفي

_مرحبا أختي، حمدا لله على سلامتك.

هزت رأسها تفهم قصد ترحيبها، فعقب نضال باحتقار لم

يخفيه

_هل فعلا كنت تسكنين في هذا الجحر؟ كيف تحملت؟

انتفضت جنات على نبرة صوته يحمر وجهها تأثرا وخبلا من

مسكنها لكن بيلسان ردت عليه بجفاء

_لا يهم السكن على قدر ما يهم الأمان والسعادة.

صدرت عنه ضحكة ساخرة وهو ينظر إلى ديدو الممسك

برسغه يعبر عن ألمه كفتاة مدللة، ثم قال بتهكم

_ونعم الأمان الذي أوصلكن إلى أمثاله.

كتم ديدو غيظه، فهو يعلم من يكون منذ لمح هيئته الفخمة

مسرا لنفسه استغرابه قدومه ومع تلك الفتاة الشبيهة ببيلسان،

لكنه قال ليستدرجهم حتى يفهم ما يحدث

لم أكن أعلم بأن تأثير جنات عليك سيجلبك إلى جحرها،

ماذا؟ ألا يكفيك ما تقدمه لك في شقتك، لتأتي طلبا للمزيد؟

صدرت شهقتين عن جنات و بيلسان بينما أوركيدا تراقبهم

بحيرة وترقب، فتقدم نضال متجاهلا دموع جنات التي تدفقت

بغزارة إلى أن وقف أمامه، يخاطبه بحزم هادئ خطير

إن لم تختفي من أمامي اللحظة لن تخرج من هنا إلا على نقالة

وانس بأنك رأيت هاتين الفتاتين من قبل، تحرك!

صاح بأمره، فارتعد ديدو وانطلق بخوف ممتعض، ليتجمد

مكانه قلقا حين صاح من جديد: -توقف عندك!

ارتعشت أطرافه حين خطا نحوه، ينظر إلى مقلتيه بتهديد قاسي

إن صادفتها يوما وتذكرتهما، سأخفيك من على وجه
الأرض، وأنت تعلم بأنني قادر على ذلك....والآن، انصرف!
هز رأسه بجزع وهرول بخطوات متوترة بينما بيلسان تضم
جنات بحنو لا يخلو من الحزم، فما اقترفته ليس بالهين.

تحدثت أور بجمود توجه لها الحديث

_هل جهزت نفسك لنغادر؟

نظرت إليها بتهكم بينما تسألها بوجوم

_هل يعرفك المكان أنت أيضا؟

قلبت شفيتها بعدم اهتمام تهز كتفيها استخفافا

ـ بالعكس يبدو أنظف من آخر مكان قطنته قبل أن يصرفوا لي
المنحة.

أصابتهم الدهشة بالخرس قبل أن يهتف نضال باستغراب
ـ أنتما حقا غريبتان.

ارتعد قلب بيلسان حين لمحت الحيرة في عيني جنات، لتغير
حديثهم لآعنة غيابها، فهي لم تحدث نضال بخصوص ما لا
تريد لجنات أن تعرفه : - لم العجلة إذن أور؟

ابتسمت بلؤم أسبغ على ملامحها شقاوة طفولية بعيدة كل
البعد عن دواخلها السوداء، ونطقت بلهجتها المتأثرة باللغة
الأجنبية

_لأنني أريد اللحاق بالعائلة المبجلة قبل موعد النوم.

كان نضال الوحيد الغير مدهوش من قولها، ولماذا سيفعل وهو الآخر لا يستطيع كتم سعادته لمجرد تخيل وجوه عميه وقائمة حين يدخل بهما القصر، موضحا لهم بعجرفة أنهما تحت جناحه.

هتفت بيلسان بتوجس

_سنذهب هناك الآن؟ في هذا الوقت؟

اتسمت ضحكة أور بلمحة شر برقت لها عينيها، ونضال يخبرها بنفس شقاوتها وكم بديا شبيهين ببعضهما في تلك اللحظة

_ لا تخافي بيلسان العائلة المبجلة لا تنام باكرا.

ثم ألقى نظرة على ساعة يده الماسية قبل أن يستطرد

_ إن استعجلتن قليلا سنلحق باجتماعهم حول مائدة الطعام،

فالعشاء يقدم بعد ساعة من الآن.

التفت إليه أور مقطبة تتساءل

_ لماذا بعد ساعة؟ هل المنزل بعيد لهذه الدرجة؟

خطا نحو الباب يفتحه قائلا بينما يشير لهن كي تتقدمنه.

_ لا! لكن سنمر بمكان ما قبل المنزل.

_ شكرا لك سيدي.

ارتفعت زاويتا فمه بما يشبه البسمة، يجيبه بألفة استغربها في
نفسه

_ لا داعي للشكر يا زيد، ولا داعي لسيدي هذه أم تحب أن
أناديك يا ضابط ثم أنا سأترك هذه الشقة حين أبدأ بالمهمة لذا
يمكنك استعمالها إلى أن تدبر نفسك دون استعجال.

هز زيد رأسه بامتنان صادق وإحساس بالثقة يتعزز في قلبه تجاه
هذا الرجل الذي شعر نحوه بالأمان منذ أول مصافحة بينهما
بخلاف عادته الحذرة دوما، غافلا عن كون شعوره متبادل وأن
صوان الصخر اسم على مسمى، تكونت قساوته على إثر الآم
تقلبات الدنيا، فاستحال إلى صوان لا يكسره أحد قد تخلى عن

ذلك كله حين قابله حتى أنه تمادى وطالع ملفه لتزداد حيرته
وريبته بما أنه تربي في دار للأيتام.

تقدم صوان يريه أرجاء بيته ثم استأذنه ليأوي إلى غرفته لكنه
استوقفه متسائلاً بقلق

_سي... أقصد صوان... هل أنت متأكد مما ستقدم عليه؟

تصلب وجهه واسودت عيناه، يرد بتصميم بعث برعشة إلى
قلب زيد

_كل التأكيد يا زيد... كل التأكيد.

أوماً بتفهم ثم قال باسمه بود

_تصبح على خير وشكرالك من جديد.

لكن قبل أن يفتح باب غرفته سمعه يضيف بتردد يشبه تردده

يوما ما، قد أحكي لك عن حياتي يوم ما.

الفصل السادس

{ لكل أمة وثن، وصنم هذه الأمة الدرهم والدينار.....حسن

البصري }

كان يوما من الأيام منزلا يحوي عائلة أخرى بمشاكلها
وبأسرارها وها هو اليوم يحوي أناسا آخرون، لكن هل
مشاكلهم وأسرارهم تختلف حقا؟ وحتى إن كانت كذلك، ما
مدى اختلافها؟ هل هي أقل بشاعة أم أنها ألعن؟ بل هل هناك
دركات في سلم البشاعة؟ أم أن الشر وجه القباحة فيه واحد؟
فالجدران لم تتغير ولا الأثاث الذي بيع في المزاد، بذكرياته
المرّة، الحلوة، المزعجة و..... المخيفة.

_لماذا لم نبدأ بتناول الطعام بعد، هل نسيتم بأن لدي مدرسة
غدا؟

نطقها صهيب بضجر، يلقي بنفسه على الأريكة بجانب نزار
الغارق بشروود وعى منه حين شعر باهتزاز الأريكة ليصغي
لصوت من أكره الأصوات إلى قلبه، يجيب بجفاء

_إنه الأمير طلب من رضوان إبلاغنا بانتظاره مع ضيوفه المهمين
على العشاء.

تدخلت قائمة الجالسة على كرسي من الكراسي المنتشرة
بغرفة الجلوس الواسعة، تضع رجلا على رجل، تقول بانزعاج
_كان عليه أن يخبرنا باكرا، سيبقى دائما قليل تهذيب.

زفرات خافته نفخت بها أفواه عديدة ليتدخل فؤاد معقبا بهدوء
_ ليس من عادته، أظن بأن هناك أمرا مهم حقا.

هزوا رؤوسهم بريبة، فتبادل رضوان النظرات المطمئنة مع أمه
القلقة بينما صهيب يميل على نزار، يهمسه بمكر مرح
_ لا أعلم لماذا لست متفائلا!

ابتسم يجيبه بنفس مرحة الخافت

_ ما رأيك إن أخبرتك بأني لم أشعر بمثل هذا التفاؤل من قبل؟
أشعر بأن هناك أمرا جللا أستبشر به.

ضحك صهيب ينهي الحديث الذي لفت الأنظار إليهما
_ بشرك الله بالخير.

لم يكد ينهي جملته حتى سمعوا ضجة وقع الأقدام، فاجتمعت
الأنظار على المدخل الضخم للبهو الكبير.

تقدمهن نضال بزهو وفخامة كديك فخور، منتفخ الأوداج
يلحق به قطيعه من الدجاجات وكان البهوت السمة الأولى التي
اكتسحت الملامح حين لمحوا الفتيات الثلاث.

الدهشة تحولت لبداية الاستيعاب مع الكثير من الريبة والتوتر
بينما من يُعتبرون أساس العائلة الذين عايشوا أحداث الماضي
يلمع الإدراك في أذهانهم حين التقطت أعينهم قسما التوءم
المتشابه المختلف، متشابهتان بملامحهما المتسمة بالبياض
الشاحب والعينين البنيتين الغامقتين، مختلفتان بمظهريهما بين
البساطة والهدوء وبين الكيان المتكلف الصارخ.

حل الصمت كأن على رؤوسهم الطير، كل واحد منهم يتمعن
 في ملامح المستقبل المجهول وقد اكتملت أحجار الرقعة
 ووضحت التحالفات وحن وقت الحرب ليظهر كل فريق
 مدى براعته.

حمدت بيلسان ربها سرا على نباهة ابن خالها الذي صاحبهن
 لمحل ثياب لم تكن لتحلم بالوقوف أمام واجهته قبلا، فما بالها
 باقتناء ليس فقط ثوب أو اثنين بل خزانة كاملة، فثيابها القديمة
 كانت ستظهرها ليس فقط فقيرة هنا بل متشردة مقهورة بالعمل
 داخل منجم للفحم.

كانت تعلم بأن عائلتها يملكون منزلا فخما لكن أبدا لم يخطر
على بالها بأنه بهذه الفخامة، الضخامة والبرودة أيضا إنه أشبه
بقصر وليس بيتا.

اكتسح الخوف والرغبة قلبها المنقبض، كيف لا وقد حكت لها
بنفسج قصة الفتيات اللاتي قتلهن صاحب هذا المكان السابق
ودفنهن بدماء باردة في القبو. لم يهون عليها حالة التخبط بالأم
الأحاسيس الحارقة والمستنزفة لأعصابها سوى فرحة جنات
وبلاهة ابتسامة ولها لوجود نضال معهن، على الأقل تتمتع
بشعور إسعادها مع أنها ما تزال غير متقبلة لفكرة ما تشعر به
تجاه ابن خالها الذي تعرف مدى تلاعبه بالفتيات مع اعتراض
آخر يفرض نفسه عليها لا تعلم لماذا؟ لكنها تخرسه بكل

سهولة وجبروت، فقد تدربت طوال حياتها على التحكم
بنفسها وأصبح الأمر بسيطاً جداً بالنسبة لها "على كل حال"
مادام بصدرها نفس ستحمي أمانة إبراهيم بكل ما أوتيت من
قوة.

نار.... نار أضرمت بأحشائها واختفت الوجوه من حولها بل
انطفأت الأنوار إلا مصباحاً واحداً فوق رأسه مباشرة، ليرسل
سهم الحقد إلى كبد قلبها وهي تميز قباحة وجهه الوسيم الذي
يغطي به قذارة جوفه، سبب مجيئها وهدفها الأكبر في حياتها،
العملة السوداء التي بقيت حين غربلت أعضاء عائلة والدتها،
لينسلوا فرداً، فرداً ومن أضيق ثقوب المناخل ليبقى هو! باب
الجحيم بل قعر الجحيم، لكنها لن تكون سلية السفاح إن لم

تدخله جحيمه بنفسها، فعلى غرار شقيقتها بيلسان لا يهملها لا
عائلة ولا مبادئ ومستعدة للانحطاط إلى أدنى المستويات فقط
لتنقم منه لآلامها، لشياطينها اللعينة ولأمها ولحياتها البائسة
التي عاشتها تتجرع مراراتها بين غربة ونبوذ.

تحدثت فريدة أول من كسرت الصمت وتقدمت بعينين
دامعتين نحو الفتاتين، تتكلم بتقطع مدهوش

هل؟ يا الله! أنتما؟

بسطة كفها لتلمس الأقرب إليها فتراجعت بعنف غاضب لم
ولن تخفيه خصوصا وقد ذكرها وجه خالتها بأساس حربها
وهي والدتها، تقدم رضوان بانفعال حين لاحظ عدوانية الفتاة
ككل شيء فيها، ملبسها وقصة شعرها القصيرة كما زينتها

الصارخة، رفعت والدته يدها إشارة له ليتوقف، فهي لم تكن تتوقع منها الاستجابة والله أعلم بها أين كبرت أو كيف؟ لكنها التفت إلى نسختها المتحجبة ولم تياس تستشعر حنانا تشع به مقلتها مع رأفة افتقدتها الأخرى، فخطت إليها تخاطبها بنبرة متحشرة

_ أنت ابنة فاديا، توءمي أليس كذلك؟

ابتسمت بيلسان بتردد تخبطت فيه بكل كيائها وكم هي بحاجة لترتيب الفوضى في رأسها، زوبعة كبيرة تختلط فيه أمور متشعبة ومتذبذبة، تحرمها الثقة والأمان، ليصبح المرسى والبر حُلما بعيدا المنال، تلك هي قصة حياتها، انعدام أي إحساس جميل في حياتها، الحنان، الحب، الاحتواء، الرأفة والرحمة إلا القليل

الذي كان وجود به إبراهيم عليها والمطوق بحدود كان يضعها
بصرامة لم تكن تستوعبها في صغرها إذ أن عطشها للعواطف
الدافئة تدفع بها لطلب المزيد، لتدرك بعدها أنه لا يستطيع كونه
ليس من محارمها، فلولا صحبتها لشقيقته وجيرتها لما
تعلمت على يديه الخوف من الله وبعضا من الشرائع الأساسية
في حياة الإنسان، لا تنكر بأن حالها كيفما كان أفضل بكثير من
شقيقتها لسبب واحد..... كونها توحد الله.

بلى سيدتي، أنا بيلسان و هذه شقيقتي أور.

ردت بينما تتأمل توءم والدتها تفكر بأنها لا بد نسخة عنها،
فتمعت بقسماتها بلهفة درأتها بهدوئها المعتاد ورزانتها، تنشد
إحساسا من بين الأحاسيس الكثيرة التي لم تعرفها من قبل وهي

التي لطالما تساءلت كيف يكون حظوة الإنسان بأم، تشجعت
السيدة فريدة وقد أعادها الموقف لأيام خلت حين كانت
شقيقتها حية، طفولتهما السعيدة ثم مراهقتهما بداية المآسي،
فتجرعت شقيقتها أقسى مرارتها كونها حظيت فوق جمالهما
بجاذبية انفردت بها شخصيتها ولو كانت تعلم ما ينتظرها
لكانت دفنت رأسها في واحات الوحل فقط لتطفئ وهج نجمها
البراق.

_مرحبا بالغاليات، الحمد لله على عودتكما إلى بيتكما
وعائلتكما.

تحدث نضال بعد أن شفي غليله من وجوم وجه عمه تهامي
وتغضن ملامح قائمة أما عمه فؤاد فلا يهمه رأيه، ما دام راضيا
بإظهار رضوخه لزوجته كأنها من تحرك خيوطه.

يسعدني أن أقدم لكم توعم عمتي فاديا.....بيلسان وأوركيدا.
تقدم صهيب الذي استقام واقفا منذ دخولهم، يقول بسعادة
واضحة

سأكون أول من يُعرف عن نفسه، لقد كنت متحمسا جدا لنهاية
البحث الأسطوري عن التوعم المفقود.

ظرافة براءته المضافة إلى هيئته المختلفة الجذابة أرغمت
غالبية الحضور على التبسم حتى إن أخفاها البعض مثل أور

التي تسمرت ترمق كفه بغرابة، فتابع محافظا على بسمته
المتسعة والتي تظهر غمازة وسط ذقنه.

أقسم بأنني لن آكلك، ما أزال قانونيا قاصرا.

كبتت بسمتها بمشقة ومدت يدها بخفة كما سحبتها فحرك
رأسه بيأس وبشكل ظريف ثم انتقل إلى الأخرى بجانب عمته
وبسط يده نحوها باسماء، فأومأت له باعتذار تضع كفها على
صدرها تخبره بنبرة ودية

أعتذر إليك، لا أصافح الرجال وأنت رجل.

حك خلف رأسه حرجا يضحك بخفة ثم عقب بمرح

_لا أعلم هل أشعر بالحرج أم الفخر!

ثم رمى بنظرة نحو جنات، يتساءل بنفس المزاج الظريف أمام
الأنظار المراقبة بترقب وتقييم

وتلك الجميلة، من تكون؟ وهل هي أيضا لا تصافح الرجال؟
كأنهم الآن لمحوها، فتململت متوترة من الأنظار الفضولية
التي لم تخلوا بعد من الدهشة، معترفة بأنها كانت أفضل حالا
وهي غير مرئية.

هم نضال بالتحدث لكن بيلسان سبقته، تقول بحزم مندفع
إنها جنات أختي.

التزم الجميع الصمت حتى نضال موترا الانتظار حتى يكلمها
على انفراد، وتولى بعدها بتقديم الباقي حين تفاجأ بتوأم
نضال نسخة أخرى عنه لكن نقيضة تماما، كأور وبيلسان.

اكتفين بالإشارة من بعيد دون مصافحة أحد ثم قامت قائمة من
على كرسيها أخيرا يبدو عليها الانزعاج واضحاً لم تستطع
كبحه، ففرض سطوته بحدته على نبرة صوتها

تفضلوا للعشاء، لقد تأخرنا كثيرا على موعد النوم.

رد عليها نضال متفكها، فالرسالة قد وصلت والنتائج بدأت
بالظهور

إنها مناسبة جميلة تستحق تأخرنا عن النوم يا....خالة.

التفت إليه ترميه بسهام قاتلة، فمال صهيب على نزار الصامت
 بشكل مريب يهمس له وهم يحتلون مقاعدهم حول المائدة
 الطويلة

إحساسك لا يخيب أبدا يا شيخ نزار، فالأمر بالفعل جلل
 وأيامنا القادمة فل وياسمين بإذن الله.

لأول مرة لا يستجيب نزار لمرح صهيب، يشعر كما لو أن
 سحابة غم أُلقيت على قلبه وأثقلت عليه مع إحساس فظيع
 بالعجز ينتابه لا يعلم لماذا؟ ينتظر بفارغ الصبر أن يأوي لغرفته
 وينفرد بربه، الوحيد الذي يفهم سريرته ويريح قلبه.

اشتعل الغيظ بصدر قائمة وقد فشلت كل مخططاتها، ترمي
 تهامي بنظرات غامضة بين الفينة والأخرى والأخير غارق في

مخططاته الخاصة التي لم يشكل التوعم سوى جانباً واحداً منها، كان سيسعد لو استولى عليه لكن الباقي أهم بكثير.

تحدثت فريدة بود لتجلى أجواء التوتر حولهم

إنها فعلاً خاتمة جميلة ليومنا هذا..... أشعر بسعادة بالغة.

وليتها تركت الجو متوتراً أفضل بكثير مما وقع بعدها حين

تدخلت قائمة، تقول بحقد وجد له مخرجاً صدئاً

بلى، لا ينقصنا سوى فضيحة عودة بنات المجرم نسيب

القناص.

شهقت بيلسان ليس من وقاحة الحديث إنما خوفا على جنات
التي علت الحيرة وجهها بينما نضال يهتف زاجرا دون ذكر
اهتزاز قدم أور تحت المائدة.

_خالة!

لكنها لم تكتفي، تستطرد بغل

_وهل أخطأت؟ إنها الحقيقة.

رفعوا رؤوسهم بحدة مجفلين حين انتفضت أور دافعة
الكرسي خلفها حتى انقلب على عقبه، تقول بنبرة كفحيح
أفعى على وشك لدغ ضحيتها

ومن باع والدتي للمجرم؟ من وضع يده بيده وزوجه ابنة
القناص كرها؟

بهتوا باستثناء تهامي جامد الملامح، فتابعت تقصد قائمة
بنظرات مهددة ملؤها الحقد والكره

لولا مليكتي لحصة من هذا المنزل ومن بقية ثروة القناص لما
أتيت هنا، فلا يتجرأ أحد ويهين أمي أو يهينني وشقيقتي، لأنني
سأستمع بتهشيم فكيه.

ثم ضحكت حين ظهر الخوف على محيا قائمة، تردف بسخرية
مقيبة

_وسأكون جدا سعيدة، ففي النهاية أنا ابنة المجرم نسيب
القناصر.

لم تنتظر رد أحد والتفتت إلى نضال، تأمره بحزم جاف

_دلني على جناحي!

لم يهمه تأمرها عليه يجيبها برضا واستمتاع.

_أمرتهم بتجهيز الجناحين جهة الشرق وأغراضكما هناك.

قامت بيلسان بعد أن لمست جانب جنات التي نهضت هي

الأخرى وانسحبن دون كلمة أخرى والجميع بين معجب

وخائف وممتعض و..... حاقد.

تمت بتحية مقتضبة لشقيقتها ثم دخلت الجناح الذي دلته
عليها واحدة من الخاديات، فهمست جنات وهي تتقدم بيلسان
إلى الجناح المقابل

ـ شقيقتك تلك، جبارة!

لم تسمعها الأخرى وقلبا ينبض خوفا، كيف ستخفي أمر قاتل
أخيها عنها؟ ولم يتأخر السؤال حين استطردت جنات بفضول
وحيرة

ـ لماذا نعتت تلك السيدة والدكما بمجرم؟ هل كنت تعلمين بأن
والدتك تزوجت بالإجبار؟

زفرت بيلسان بتعب تفك طرحتها بينما تجيبها بوهن

_ أرجوك جنات، دعي الأمر لاحقاً، فأنا لم أكن أعلم سوى
القليل.

اقتربت منها تضمها بحنان كما تعودت تواسيها

_ لا عليك حبيبتى، هيا إلى النوم... ارتاحي وسنتحدث لاحقاً
إن شاء الله.

هزت رأسها بلا معنى، على الأقل لم تكذب عليها، فهي بالفعل
لا تعلم الكثير، تلفت حولها تتفقد الجناح الفخم وشعور
بالغرابة والبرودة ينتشر عبر أطرافها حتى أجفلها صوت جنات
المبهور

_ هناك غرفتين، خذي الكبيرة وسأخذ أنا الصغيرة.

ابتسمت بحنو، هذه هي جنات، لم تكن يوما طماعة بل دائما
ما توثر على نفسها وأفضل الأشياء تمنحها لها.

نظرت إليها تجيبها بحب ودفء

_ أنت تحلمين، سننام في غرفة واحدة كما نفعل دوما ولن أفترق
عنك إلا في حالة واحدة.... حين أزوجك بإذن الله.

ضحكت جنات بمرح تقول

_ سمعا وطاعة يا أمي مع أنني علم بأنك جبانة وتخشين
النوم وحدك.

عبرت لمحة الحزن مقلتها قبل أن تجيبها بمرح مزعوم

_ ومن يفهمني غيرك؟ هل أهون عليك لتركيني وحيدة؟

علت ضحككتها وهي تسحبها إلى الغرفة قائلة بنبرة رائقة

_أبدا حبيبتى، أبدا! أنا قدرك وسأظل فوق رأسك، لا تقلقى!

انشغلت جنات بتفحص الغرفة بانبهار ولم تسمع همس

صديقتها المبتهل لربها

_يا رب استجب لها.

ماذا أرى؟ نضال هنا وفي هذه الساعة؟ غريب!

استدار نضال برفقة رضوان حين سمعا حديث دليلة العائدة من

إحدى سهراتها تترنح ثُمالة، فقلب الأول عينيه حنقا، ينسحب

قائلا باقتضاب

_تصبحان على خير.

أوقفته دليلة، تخاطبه بعدم تركيز

_ستغادر الآن؟ إنه منتصف الليل.

خطا نحوهما رضوان حين لاحظ غضب الآخر وأمسك بها،

يخاطبها بمهادنه بينما يوازن جسدها المترنح

_نضال سيقصد جناحه، لن يغادر لأنه مرهق وأنت أيضا

....هيا! سأوصلك إلى جناحك.

ضمت حاجبيها تجيبه وهي تترنح

_نضال سيببت هنا؟ حقا غريب.

زفر نضال يتضرع لربه أن يهون عليه القادم، فهو مضطر للعودة
إلى المنزل لياشر اللعبة التي طال انتظارها عن قرب أما
رضوان فيهاود دليلة حتى يوصلها غرفتها فدوما ما كان مشفقا
عليها.

_ألن تنام يا نزار؟

سأله صهيب حين لاحظ بحثه عن سجادة الصلاة، فرد عليه

_ليس بعد.... اذهب للنوم صهيب! لقد تأخرت كفاية ولا تنس

إخباري بتطوراتك.

غمغم بالتحية وانسحب محتاراً من الحالة التي انتابت نزار منذ
دخل نضال بتوءم عمتهما فاديا.

استلقت أور أخيراً بعد أن أخذت حماماً ساخناً تهدىء به هيجان
كل ذرة من خلايا أعصابها، لا تصدق وقاحة الأخرى! لذا
قررت الكشف عن مخالبتها منذ البداية ليحترموها وشقيقتها
التي تبدو بلهاء وطيبة (سيفترسونها حية) ضحكت بسخرية،
لكنها أبداً لن تسمح بذلك.

أدارت رأسها إلى الهاتف المهتز تحت الشراشف واستلته
لتجيب برسومية وإن لانت قليلاً نظراتها الحادة

_أنا بخير سيدي كما اتفقنا ... بلى سيدي إلى اللقاء.

رمت كل شيء خلف ظهرها كما عودت نفسها عند النوم ثم

اندست تحت الشراشف الناعمة، تغرق وسط المخدات ذات

الحشو من ريش النعام وسريعا ما استسلمت للنوم.

_ألن تخبري أبي يا سلوى؟

تأفت سلوى بضجر، ترد وهي ترتمي على سريرها

_طبعا لا وإن أخبرته سأقاطعك.

أزالت مروة نظاراتها ووضعتها على المنضدة الصغيرة ثم

اندست تحت الغطاء، تقول بامتعاض بارد

_ أنت حرة.... لا تبكي على كتفي لاحقاً.

أطفأت النور وعمّ الصمت قليلاً لتكسره سلوى قائلة بتوتر

_ مروة؟

_ ممممم.

هممت كرد، فسألتها تعبر عن مخاوفها بطريقتها

_ برأيك، كيف سيكون رد فعل أبي إذا علم؟

صمت للحظة قبل أن تنطق بصراحتها الشبيهة بشقيقتها

_ أنت تعلمين جيداً ماذا سيحدث... رفضت الزواج بأحب

الرجال إليه دون أن تعودى إليه.... أول ما سيفعله، سيتهم

مهنتك التي علمتك التحرر والخروج عن طوعه ويمكنك

حينها تودعيها وأنت لم تبدئي فيها مشوارك بعد، على حسب قولك.

أزالت سلوى الغطاء تزفر بقوة ونظرت إلى السقف السابح
ككل شيء في الظلام ثم همست منزعة
_آه، أنت محقة.

لم تجبها، فظنت بأنها غطت بالنوم ليأتيها همسها الناعس بعد ذلك.

_كتفي تحت أمرك وقتما قررت البكاء.

حلت ابتسامة دافئة على ثغر سلوى سريعاً ما اختفت حين تابعت الأخرى

_لأن نوفل حقا رجل يستحق أن يُبكى على فقدانه.

لم تجبها، فكيف ستجيبها وبما؟ إن كانت دواخلها كلها تصرخ
بفداحة ما جرّت عليهم، إنه حبيبها لكنها أيضا تحب طموحها،
فلمن ستكون الغلبة؟

صباحا

_صباح الخير أُمي.

رفعت شاهي رأسها وبسطت كفها إشارة لها لتتقدم، ففعلت
لتسحب وجهها إليها مقبلة وجنتيها كما تفعل معها منذ صغرها
ثم أطلقت سراحها بعد أن تمعنت في مقلتيها الشبيهتين بها

لتلتفت إلى والدها تبتسم له بنظرات تجمع من العواطف ما
يشكل على قلب سمير العبء الثقيل بين حب وولاء ثم حزن
على فقدان حزن دافئ كبرت على أنه لها، فيبادلها نظراتها
بتأكيد على وفاء أب سيظل لها الحامي وإن توقف عن ضمها
لحضنه وتقيل وجنتيها.

تلقت وعوده النافذة من نظراته الواثقة فشع منها الرضا،
وشغلت كرسيتها ووالدتها تصب لها حليباً بالشوكولا كما
تحب قبل أن تضع أمامها قطعة كعك بالشوكولا أيضاً لتقول
حين لمحت تأملها العابس للكعكة

ليست من الحفل، صنعتها أمس من أجلك، فدعاء تحب
الفراولة كما تعلمين.

أطرت أمل بعينها تخفي نظرة الخجل، فتدخل سمير يغمز
زوجته بمرح

_على الأقل واحدة منكن تتفق معي على شيء حتى وإن كان
حب الشوكولا، فغالبا ما تتفقن على كل شيء وأبقى أنا في
الزاوية.

استجابت شاهي لمزاحه علها تمحي نظرة العبوس التي
أصبحت ملازمة لوجه أمل

_أيها المحتال، أمل تتفق معك أنت ثم تخدعان الصغيرة،
فتتخذ صفكما بكل سداجة.

تنفسا الصعداء حين أطل شبح ابتسامة على شفيتها، يتضرعان
إلى الله مرور تلك المرحلة بسلام، فبحكم تطوعهما في الدار
يعلمان جيدا كم تصعب العلاقات بين العوائل والأولاد الذين
يكفلونهم إذ أن اليتيم غالبا ما يكون محمّلا بعقد تُصعب عليه
عيش حياة طبيعية مع من كفلوهم ناهيك عن مواجهة مشاكل
الحياة.

ألقت نظرة إلى المرأة في غرفتها قبل أن تحمل حقيبة المدرسة
وتسرع مغادرة، فقد تأخرت في إعداد الفطور لكنها تسمرت
مكانها حين أمرها شقيقها بحزم أخافها
_توقفي!

استدارت خنساء إليه مرتابة ليقفزا حاجبيها دهشة حين استطرد

_ادخلي و ارتدي جلبابا ثم ضعي عليه زي المدرسة

بلعت خنساء ريقها ثم ردت بتقطع مدهوش

_لكن أخي لماذا؟ ثيابي كلها فضفاضة لا أرت....

انتفضت حين قام من مكانه بحدة اهتز لها قلبها جزعا وهو

يهتف بغضب : - لا تجادليني أو أقسمت على عدم خروجك

من البيت إلا لبيت زوجك أو قبرك!

شهقت تومئ مرات عدة بعينين شاخصتين، ثم هرولت إلى

غرفتها لتفعل ما يريدته تقصيرا للشر وعقلها يتساءل برعب

_ماذا بعد؟

ثانوية الحسن البصري

لمح وائل صديقه أمين يوقف دراجته النارية بالقرب من
 مثيلاتها بالركن المخصص لسيارات أو الدرجات النارية
 والهوائية التابعة للأساتذة، فشملت ابتسامته الرزينة وجهه وهو
 يتقدم إليه فاتحا ذراعيه

_مرحبا بصديقي وحببي في الله، لقد اشتقت إليك يا رجل في
 هذين الأسبوعين المنصرمين، أنا أعترف.

انتقلت بسمته الرائقة الى صديقه، يرمي بحقيبته خلف ظهره
 ليفتح ذراعيه هو الآخر، يستقبل ضمته الرجالية الودودة
 _أنا أيضا يا صديقي العزيز.

ثم نظر إلى سيارته، يتابع باسمها بمرح

_أرى أن السيدة الفاضلة أقنعتك بهديتها، دوما ما كنت أغبطك
على حظك.

سحبه سائرين تجاه الإدارة، يجيبه بحنو صادق يخص به بنفسج

_بلى أنا محظوظ بها، إنها والدتي التي لم تنجيني.

التفت إليه أمين يرد بنفس مزاجه الرائق

_والدة من يا رجل؟ إنها لا تكبرك بالكثير وزوجها الشرطي دوما

يشتاظ غضبا كلما لمح اهتمامها بك.

ضحك بصخب يرد عليه، متجاهلين الأنظار الفضولية حولهما
بسبب الهالة الجذابة والمنيرة المصاحبة لكليهما إن كان بسبب
ملامحهما البشوشة أو مظهريهما الأنيق رغم بسطاته

_ضرغام يغار علىٰ بنفسج من كل شيء حتىٰ بناته، وأنا أفقد
القرب الذي يرغب به قلبي المحب لها بصدقٍ كأخت لي وأم
لكن حدو الله أكبر وأحق أن تتبع لذننا حاول فعل ما بوسعنا حتىٰ
نتصرف وفقها.

كانا قد بلغنا مكتب المدير حين فتح بابہ وأطل منه فتىٰ ملفتا
بخلقته القليلة بين بني ليس شعب وطنه بأكملة لكن مدينته علىٰ
الأقل، والمدير يربت علىٰ كتفه قائلاً بود

_اطمئن ولك ما تريده... الحق بصفك، هيّا!

هز الفتى رأسه لتتهز معه الخصلات الحريرية المنسابة حول
 رأسه وعلى جبهته ثم انصرف واستقبل المدير الأستاذين
 المتخرجين حديثا ورافقهما إلى قاعة الأساتذة بعد أن سلمهما
 جدول الحصص، تنحنح ليجذب اهتمام الحضور ثم قال بنبوة
 رسمية

_أعرفكم يا سادة.

أشار للأول ثم تابع

_الأستاذ وائل فضل الله.

ثم أشار إلى صديقه، يردف برسمية

_الأستاذ أمين الزاهدي.

تقبلا التحيات الرسمية ثم انصرف الجميع كل إلى صفه.

_ماذا ترتدين يا فتاة؟

زفرت خنساء بامتعاض وسخط بينما ترفع يدها إشارة
للسكوت ثم ألقت بنفسها على الكرسي جوار سمرا بالطاولة
الثانية في الصف المتوسط للقسم، خلف الطاولة الأولى التي
تحتلها مروة بمفردها، التفت إليهما الأخيرة تهمس بدهشة

_جلباب؟ غريب، ليس من شيمك.

ضمت شفيتها بحنق ثم هتفت لكن بنفس الهمس

إنه شقيقي... أجبرني على ارتدائه وهددني إن لم أُطِعه،

سيقعدني في البيت حتى يزوجني أو أموت.

شهمت سمرا بفرع بينما ردت مروة بامتعاض مندهشة

هذا أمر جديد.... شقيقك في تطور مبهر.

همّت خنساء بالرد ليشعرن بالهدوء المفاجئ، فاستدرن كسائر

أفراد الصف نحو الباب.

عزم أمره ليمضي في خطته ثم خطأ أول خطواته نحو هدفه

وحين لاحظ الصمت والنظرات المركزة عليه، تجاهل كل

شيء سوى من يهمله أمرها ونظر إليها بطرف مقلتيه، متقدما

ليجلس على المقعد الشاغر في الطاولة آخر الصف.

لم يكد يستوي بجسده حتى انتفض على إثر الصوت المزعق
فوق رأسه.

_ أنت؟ ماذا تظن نفسك فاعلا؟

ارتفع حاجبه الأيمن وهو يرمق زرقاء العينين الغاضبة بدهشة،
يرد عليها بحذر

_ أظن بأنه شيء واضح.

قلبت عينيها بضجر تجيب بنفاد صبر

_ ابحث لك عن مكان آخر لأن ذاك الكرسي مكاني.

لحق الحاجب الأيسر بالأيمن مذهولا من سلطويتها

_ وهل كل كرسي هنا مكتوب باسم شخص ما؟

تخصرت بغضب تهم بالرد فأثر الاستسلام والسلام ووقف
منها الحديث ثم أشار لها إلى المقعد بشكل مسرحي قبل أن
يستدير ليتفقد المقاعد الشاغرة.

نفخ بملل واتجه إلى الوحيد الباقي بجوار مروة، فراقبه بحذر
بدأ مع دخوله مأخوذات بهيئته الجديدة عليهن، ليزداد
تركيزهن حين دخلت المفاجأة الثانية المتمثلة في زرقاء العينين
الغائبة دوما وتابعن الصراع الذي سرعان ما انتهى باستسلامه
ليخطو في اتجاههن.

تناظرت خنساء و سمرافى ما بينهما، لتعلق الأولى بسخرية
_الحمد لله، لا أحد سيلاحظ ثيابي، فمفاجآت اليوم كثيرة.

ضحكتنا بخفوت بينما مروة تتسمر مكانها وتنظر أمامها بالعة
ريقها بتوتر حين انساب حديثه الهادئ ذو الطابع المرح إلى
أذنيها

_اسمي صهيب.

أدارت رأسها ترمقه باستغراب كأنها تسأله ما دخلها هي؟
فابتسم يستطرد

_أنا جديد في الصف وأتمنى أن تساعدني في ما فاتني... فأنا....

_جبان؟

_ماذا؟

قالتها بامتعاض، فعقب ببهوت لتخبره باستخفاف دون أن تنظر
إليه تنشغل بدفاترها

_ أنت جبان تستسلم بسهولة... هذا شيء أدركته قبل اسمك.

هز رأسه على مهل حين فهم مغزى حديثها، فرد عليها بذكاء
ماكر

_ الاستسلام غنيمة مع الإناث أمثالكن.

التفت إليه مقطبة فضاقت مقلتيها أكثر من تحت عويناتها
السميكة، فتسع ابتسامته تزيده وسامة لتعود للنظر أمامها
مجددا ولم تعقب، ليحلّ الصمت حين دخل عليهم الأستاذ.

كان نضال في انتظارها في غرفة المعيشة، شيء ما أعلمه أنها ستستيقظ باكرا، ربما هيئتها المحاربة والمتأهبة دائما مع أن من يشغل خلايا دماغه لم تكن هي أبدا، لكنه متأكد من أنها التي ستسن سكاكينها وتعد عدة الحرب وقد كان محقا حين استدار وهم جلوس حول مائدة الطعام إلى المدخل حيث أهلت عليهم بثياب لا تتغير إلا باللون ونوع القماش، فابتسم ساخرا يفكر بأنها فعلا مستعدة للحرب ولم يتفاجأ الباقي، فملاحظها الساخطة توحى بالقسوة لذا كل واحد منهم قام إلى عمله بصمت، فقام هو الآخر يسألها مشيرا للمائدة

_ألن تفطري؟

ردت ببرود واللكنة تضيف على نبرتها مزيدا من البرودة كتلك
التي يتميز بها الأجنيين

_لا، سأتناول قهوتي في العمل... هلا ذهبنا؟

تدخلت خالتها فريدة، تطلب منها بتردد

_لماذا لا تترتاحين اليوم بنيتي؟

التفت إليها مجيبة باقتضاب قبل أن تتقدم نضال خارجين من
المنزل

_لست هنا كي أرتاح!

وجه رضوان حديثه لوالدته بينما يقوم عن مكانه

_ كوني بعيدة عن الموضوع ماما ... أفضل لك ولي حتى لا
أتشابك معها وأكسر أنفها الرفيع.

لمح حزنها، فاستطرد بعد أن قبل رأسها بحنو

_ إن كان ولا بد ... ركزي مع الأخرى، فهي أفضل بكثير.

وقفت تمسك بباب السيارة تستفسر من محمد بنبرة أمرة تقبلها
بهدوء وطاعة

_ هل جهزت الفريق الأمني الخاص بي وبشقيقتي؟

أوماً باحترام، يرد برسومية

_ طبعاً أنسة.

ضحك نضال على منظر محمد، فهو يعامله كصديق أكثر منه
كموظف عنده، فهمس له قبل أن يستقل السيارة
_أسرع بإحضار حارس لها كي تبعد عنك.
بادله بسمته المرححة بواحدة رسمية بينما يحتل مكانه وانطلق
بالسيارة.

الفصل السابع

{الفكرة مرآة تُريك حسنتك من سيئتك، ومن اعتمد عليها

أفلح، ومن أغفلها افتضح.....الحسن البصري}

حركت رأسها بثقل، ترمش بجفניה وتنهدت بخفوت ثم

حملت نفسها وأسندته بمرفقيها، تلفت حولها لتثبت أنظارها

على نقطة ما في الغرفة وابتسمت بحنو تقول

_تعودتِ على عدم النوم بعد صلاة الفجر حتى دون عمل.

التفت إليها بيلسان تبادلها بسمتها ثم استقامت واقفة تطوي

سجادة الصلاة و هي تجيبها

_صحيح كان عملي يبدأ فجرا لكنني كنت أستغله أيضا لأذكر
 ربي فأشعر بسعادة وطمأنينة تملأ قلبي، لذا يا حبيبتى هي مغنمة
 لي وليس تعباً.

قامت هي الأخرى واستقامت على رجليها تم خطت لتقبلها
 على وجنتها، تخاطبها بمرح
 _صباح الخير يا سيدتى الحاجة.

رمقتها بعتاب مازح تهم بالرد حين دق باب الجناح لتضم
 بيلسان حاجبها تنظر إلى جنات بريبة قلبت لها الأخرى شفيتها
 وهزت كتفها بجهل،

فتحت الباب فأطل عليها وجه السيدة فريدة الشاحب المتوتر

دائما كتوتر ابتسامتها وهي تتحدث بتردد

_لم.....لم تحضري إلى الفطور وشقيقتك.....

صمتت للحظة، فتساءلت بيلسان بريية

_ما بها أوركيدا؟

لوحت براحة كفها، ترد بعجالة

_بخير، بخير، لقد غادرت إلى المجموعة برفقة نضال، لذا

أتيت أسألك إن كنت تريدين الفطور، أنت وأختك.

تنفست براحة ثم ردت بابتسامة سمحة

_حاضر خالتي، سنأتي في الحال.

تغيرت ملامح فريدة الى السعادة، فاستغربت بيلسان لتهتف
الأولى بينما تربت على كفها بحنو

_أسعدتني صغيرتي، لا تكفي عن مناداتي بخالتي ولا تنسي أبدا
...أنا في مقام والدتك رحمها الله، وإن أردت أي شيء لا
ترددي في المجيء إلي.

أومأت بيلسان بوجوم، ترد بامتنان

_شكرالك ومن فضلك لا تحملي على شقيقتي، فهي معذورة.

تألقت البسمة لتضفي على ملامحها إشراقا مبهجا، تجيبها قبل
أن تنصرف

_أعلم يا ابنتي، سأخبرهم بتجهيز الفطور في الحديقة.

عادت بيلسان أدراجها لتجد جنات تنتظرها على كتفها

المنشفة، تبسم بحبور بينما تقول

_أحسنت بيلسان... إنهم عائلتك، حاولي التواصل معهم

وأولهم توأمك الغريب.

قالتها تلاعب بحاجبيها الطويلين، فضحكت بيلسان تعقب

بينما تخطو تجاه الباب

_انتعشي والحقي بي إلى الحديقة.

مجموعة القناص

رافق نضال أوركيدا في جولة واسعة عبر أركان الشركة الرئيسية لمجموعة القناص، وشرح لها عن نسبة أسهمها هي وشقيقتها، نسبة ليست بالهينة كون والدتها قد ساومت شقيقتها حين أجبرها على الزواج من بيير، كمحاولة نهائية كي تملص من تلك الزيجة لكنه كان مصرا، فأدخلها شريكة في صفقة الذهب، لتترك حصتها لبناتها بيعا وشراء بعد أسبوع من ولادتهما مع وصية كاملة القواعد بعدم تسليم أسهمها إلا من طرف بناتها.

أنها الجولة بتوجيهها إلى مكتبها الذي تم تجهيزه قبلا حيث ينتظرهما الفريق الأمني الجديد، فتقدمها ليفتح الباب قائلا

هذا مكتبك، وبجانبه مكتب شقيقتك.

التفتت إليه تجيبه بسخرية

_ لا أظن بأن شقيقتي تهمل الأعمال بأي شكل من الأشكال،
لكني سأحدثها لاحقاً...س....

شل لسانها وقلبها ينقبض داخل صدرها بطريقة عجيبة تحوم
حول خيالها أحلاماً راودتها طيلة الأعوام الماضية عن لون
العسل يطاردها أينما حلت، وفي أوقات غريبة، هي ثانية واحدة
وتمالكت نفسها لا تسمح للضعف بأن يمتلكها.

استلم مهمته الجديدة بكل همة ونشاط، نشاط مفرط في
الحقيقة ولا يعلم بالفعل من أين يندفع بتلك القوة؟ شيء مبهم!
لا يفهمه إطلاقاً، فكل مرة تنبثق في ذهنه بسواد عاصفتها دون
استئذان أو سبب، وها هو منتصب بنصف امبراطورية القناص

وبالتحديد مكتب أحد الشركاء الأساسيين، الغاضبة السوداء،
هكذا يذكرها وهكذا كانت في التقرير الأخير الذي اطلع عليه
بنفس حماسه الحالي، تستشيط غضبا وسوادا منعكسا على
محياتها.

نشوة انتصار أرضت غروره الرجولي حين دخلت ولمحته
بينما الجميع سيظن بأنها قطعت حديثها لأنها وجدت أناسا
غرباء في غرفة مكتبها لكنه وحده يعلمه غروره بأن عينيها لمعتا
بما يشبه المفاجأة والدهشة وهي تعلم سالفا بأنه سيأتي، لكنها
لن تكون الغاضبة السوداء إن لم تتمالك نفسها والمشكلة أنه لا
يعترف بكل ذلك الحوار الذي صدح في دماغه وفي نفس تلك
الثانية المعلومة ركن كل شيء يتعلق بها في زاوية بعيدة، بعيدة

جدا، زاوية يملكها كل إنسان، حيث يدع لأحلامه مساحة من
الجموح، ليست تلك الأحلام التي يتمناها ولا يطالها بل تلك
الأخرى التي يفرضها علينا الهوى، ويرفضها العقل لأسباب
عدة، الدين، العادات، الخ، فيكون مصيرها سجن في إحدى
الزوايا في العقل وقد نمنحها لحظة للخروج والجموح بين
أرجاء الأعصاب والصدر لكنها سريرا ما تعاد إلى سجنها
كأنها لم تكن!

تقدم محمد يتحدث مشيرا إلى أسد

_السيد أسد، حارسك الشخصي منذ اليوم يا آنسة.

الثانوية

_السلام عليكم.

رد الجميع

_عليكم السلام.

تكتنف الرهبة صدره و كيانه بينما يدخل لأول مرة إلى حصة
حقيقية تعتمد عليه كليا لينقش في عقول طلابه بصمة ستركها
وصمة في أخلاقهم وسلوكياتهم المستقبلية.

توجه إلى مكتبه في الزاوية حيث وضع فوقها محفظته وأخرج
دفتر التحضير وكتاب الأستاذ في مادة التربية الإسلامية، أخذ
نفسا عميقا ثم استدار إليهم يشملهم بنظرة وهو يسند أسفل

ظهره بمكتبه، يهديهم ابتسامة حسبوها رزينة، سمحة، فبادلوه
إياها في حين أنه يخفي بها توتره.

بسم الله الرحمن الرحيم، نبدأ العام الدراسي الجديد.

في تلك اللحظة بالذات رأس محاط بشعر بني غامق مجموع
خلفه، رفع من مكانه بحدة إذ كان الوحيد المطرق بين الرؤوس
الباقية لكن بمجرد أن نطق ظهر الوجه المحدق به بريبة وشك
لفت انتباهه خاصة وأنها قد انتقلت إليه نفس الريبة بملامحها
المألوفة، تلك الزرقة في عينيها والبشرة الصافية و.... هناك
وضع حدا لتفكيره وأرسله بعيدا (أجل... في نفس الركن!)
واستطرد برسمية

أحب أن نبدأ الحصّة بالتعرف أولا.... أنا إسمي.

هل فتحت فمها انتظاراً للاسم؟ هل يا ترى تعرفه؟

_وائل فضل الله.

إنها تعرفه بالتأكيد، لأن الإدراك لمع في عينيها الصادقتين في

تعبيرهما، فتابع برسمية

_سنبداً من اليمين؛ تفضلوا!

بدأوا بالتعريف عن أنفسهم إلى أن بلغ الأمر الصف المتوسط

للقسم حيث نطقت مروة بعبوس يكتنفها

_اسمي مروة البازوني.

هز رأسه باسمًا ثم انتقل للآخر جوارها الذي تلكاً قليلاً كأنه

متردد، بقوله

_صهيب فؤاد.

لا أحد اكرث، فكل ما يهم هو الاسم الأول، نظر وائل إلى
الطاولة خلفهما، فقالت الأولى

_خنساء الناصري.

هز لها رأسه كالعادة ثم انتقل إلى زميلتها التي سرحت تفتح
فمها ببلاهة حتى وكزتها خنساء، فانتفضت تهتف

_سمرا.....القناص.

وزارة الداخلية

قدمت مجموعة من الملفات لإحدى مساعداتها ثم عادت إلى مكتبها حيث التقطت اللوحة الإلكترونية وبدأت بتنسيق مواعيد رئيسها، لفت انتباهها حسيما ما فرفعت رأسها لتلمح فتاة تعرفها، فوقفت باسمه تحيياها باحترام

_مرحبا سيدة ورد.

مالت عليها ورد تبادلها ابتسامتها وهي تقبلها على وجنتها

_أهلا لبنى، كيف حالك؟

_أنا بخير سيدتي.

رمقتها بعتاب، تقول

_لبنى من فضلك لا أريد أن أسمع منك سيدتي هذه، فنحن
بنفس السن يا فتاة.

عدلت نظارتها بتوتر ترجمته وجنتيها المحمرتين
_بل أكبر منك بستتين.

ضحكت ورد بصخب، تجيها بمرح

_أرأيت؟ أنا من يجب أن يناديك بسيدتي.

ردت بإحراج

_العفوس... أقصد ورد... ترغبين برؤية معالي الوزير؟

مالت عليها ورد، تهمس بمكر مرح

لم أعود على لقب معالي الوزير بعد، أخبريني! هل يأكل جيدا
ويكتفي بفنجان قهوة واحد في اليوم؟

رمقتها بجزع، فهي لا تستطيع الكذب وفي نفس الوقت لا
تستطيع إخبارها بالحقيقة، غمغمت بشيء غير واضح حين
انتفضت على صوته، يصيح بجمود مفتعل

تعالى يا ورد! وكفى عن استجواب المسكينة.

هرولت إليه بسعادة، فابتسم هو الآخر بنفس سعادتها وحملها
بين يديه يرفعها عن الأرض قليلا كأنها طفلة صغيرة قبل أن
يعيدها ليقبلها على وجنتها ثم رأسها وهي متمسكة به كأنه
طوق نجاتها.

مأخوذة هي بذلك المشهد، يا الله! كم تمت أن تكون مكان ورد
 في هذه اللحظة بالذات، اختفت الفتاة الرزينة المكافحة، رجل
 والدتها وسندها كما كانت تناديها لتبرق عينيها ببريق الحرمان،
 يشبه بريق الفتيات في سن الثالثة وهن يحدقن بأبائهن منبهرات
 ومفتخرات.

تنحى المدير يرمقها بغموض، فانتفضت تقول بتوتر
 _تفضلا إلى المكتب وسأحضر الضيافة.

حث ابنته على التحرك بربته خفيفة على ظهرها، يهز رأسه
 والنظرات الغامضة ما تزال متشبثة بمقلتيه السوداوين بينما ورد
 تهتف باسمه

_ كأسى حليب دافى محلى بالعسل يا لبنى شكرا لك.

تراجعت نحو الهاتف الداخلى على مكتبها والحسرة بادية على

ملامحها قبل أن تعيد عليها قناع الثقة والجمود، تقول بحزم

_ كأسى حليب دافى محلى بالعسل يا عم عبد البارئ.

الثانوية

ضحكوا بخفة من انتفاضتها، فشملمهم وائل بنظرة عتاب،

يخاطبها بهدوء

_ تشرفنا آنسة سمرا القناصالتالى؟

وهكذا توالى الأسماء إلى أن حل الصمت قليلا ينتظرونها
 لتحدث وهي تفتح فمها وتقفله مرات عدة إلى أن اتخذت
 قرارها ونطقت أخيرا

أمل...رشد...أقصد، أمل البشري.

هل تلك نظرة خيبة أم حسرة أو ربما حزن؟ تغاضى عن الأمر
 مرة أخرى والتفت إلى الصف الآخر ومع آخر طالب عرف عن
 نفسه وتحرك وائل أمام السبورة، يقول قبل أن يكتب عليها

_سعيد أنا بالتعرف إليكم وأتمنى أن يكون أساس العلاقة بيننا
 هو الاحترام._

كتبها بخط عريض ثم كتب بجوارها *الأخلاق* والتفت
إليهم يستطرد باسمها

_فلنتفق على شيء مهم، كل درس سنتناوله في المقرر، بل كل
درس يتعلق بدين الإسلام سيتدفق نهره في محيط عظيم واسع،
يسمى الأخلاق، مهما كان نوعه أو فحواه هدفه الأساسي هو
التأثير على أخلاق الإنسان بإيجابية والدليل على ذلك قول
الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.

لمح صمتهم المتمعن، فاتسعت ابتسامته يستطرد منها

_سنتفق على شيء آخر أهم،،، قبل أن أكمل.

تحولت أنظارهم المتمعنة إلى أخرى حائرة، فأردف

_ حين يذكر أحدنا اسم الرسول محمد...الجميع دون استثناء
يردد الصلاة والسلام عليه.... لا نريد أن نكون أبخل القوم،
أليس كذلك!؟

أوماؤا بالسلب، فقال بعتاب مرح

_إذن الجميع يعلم بأن أبخل القوم من يسمع اسمه ولا يصلي
عليه ومع ذلك.

تنفس بخفوت ليتابع

_ لا مشكلة.....إذن قال الرسول محمد.

أشار لهم، فقالوا بنبرة واحدة بين الخفوت والجهر

_صلى الله عليه وسلم.

ثم أكمل هو

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهذا يعني أن رسالة التوحيد التي جاء بها كلها تُعنى بالأخلاق كأولوية.

منزل القناص

تلفتت حولها تتفقد الحديقة الغناء، تتمم بخفوت منبهر

_سبحان الله.

أخذت بتصميم الحديقة الخضراء بين أشجار مختلفة، كالزيتون، التين، الليمون وأيضا النخل، مرتبة بشكل أقرب

للاستعراض، يتوسط كل مجموعة من الأشجار واحات من
أنواع الورود.

استنشقت عيبرها لتسري ببهجتها عبر أوردتها، فترسم ابتسامة
معبرة على ثغرها

_أعجبتك الحديقة؟

انتفضت على إثر النبرة العميقة التي بعثت قشعريرة عبر
أوردتها، نفس نبرة الثاني لكن بنغمة خاصة تماما كصاحبها
الذي يعتبر نسخة عن توأمه ولا تراهما كذلك بل مختلفين كل
الاختلاف. وجهه أقل بياضا عن شقيقه، تناسبه جدا تلك
اللحية الخفيفة المشدبة وشعره أكثر لمعانا عن شقيقه رغم أن
الآخر يعتني بشعره أفضل والعينين، كل الفرق في العينين،

فمقلتا نضال بنيتين ذواتا بريق خاطف، ماكرتين لعوبتين،
تشعان لهوا، تمردا، غضبا و،،، حياة، أما هاتين المقلتين أمامها،
فهما ساكتتين إلى أقصى الحدود، فارغتين كأنهما خاليتين من
الحياة...ك...

_هل سيطول صمتك؟

شهقت بخفوت ثم همست مستغفره قبل أن ترفع صوتها قليلا
بتوتر بعدما اكتشفت بأنها كانت تحرق به
_أنا اسفة، لم أقصد...أنا...

ضحك بخفة وهو يتقدم إلى الطاولة يسحب كرسيه ليجلس
عليه بينما يقول

_تعالى واجلسى، عمىى سىحضر طعام الفطور أين هى
أختك؟

جلست وهى تلجم نفسها عن النظر بعينيه اللتىن لا تعبران عن
الدفء فى نبرة صوته والأمان الذى يفرضه بهالته، فإن كان
لشقيقه هالة من الانجذاب والفخامة تفرضان الرهبة والإثارة
على من حوله، فهذا الرجل أمامها تحوم حوله هالة الرزانة
والهبة، تفرض على من حوله الاحساس بالأمان والطمأنينة.

أعاد سؤاله بنبرة ودودة

_لم تجيبينى، هل أعجبتك الحديقة؟

تحنحت تجلي حنجرتها متهربة بمقلتها عن مجال عينيه،
مستغربة انجذابها إلى التحديق بهما كأنها تبحث عن شيء لا
تفهمه بعد

_بلى،،،،، إنها رائعة، سبحان من سواها.

ابتسم ليعم الدفء أوردتها، فتهمس أحشاءها *ومن سواك*

_سأخذ بكلامك إذن، فقد أخبروني بأنها جميلة بل خلاصة لكنني
لم أقتنع إلا بنبرة الانبهار بصوتك.

جحظت عيناها حين باغت الإدراك خلايا عقلها، لتهتف بجزع
_أنت كيف؟

سبحان الله كيف تكون نفسها البسمة على الثغر لكن ملامحها

تتغير بتغير مزاج صاحبها الذي تحدث بحزن يخبرها

_ لا تخبريني بأن نظرتك الحذرة تحولت لأخرى مشفقة؟

بلعت ريقها ثم ردت بحنو

_ أرجو أن أكون مؤمنة والحمد لله، والمؤمن يشعر طبيعيا

بالرحمة والرأفة تجاه من يعاني فقد نعمة، أما الشفقة فتكون من

حق البائس وأنت سيدي بعيدا كل البعد عن البؤس.

ضم حاجبيه حيرة يصغي إليها بتركيز بينما تستطرد مفسرة

بعفوية: صحيح أنك محروم من نعمة مهمة لكنك الحمد لله

تملك نعمة الترف، تسهل عليك حياتك فماذا سيفعل
الأعمى الفقير؟ مع أن الله معين لعباده أجمعين.

رد بوجوم حزين

_الحمد لله على كل حال.

حل الصمت قليلا، فقلت ببعض العبوس وقد جنبها الحرج
كونه لم يلمح تحديقها في وجهه سابقا
_أنت لا تشبه توأمك في شيء.

ازداد وجوما يجيب ببعض الحنق وإن حاول إخفائه
_وهل أنت تشبهين توأمك الشرسة؟

رفعت حاجبها دهشة من تأهبه، تجيبه

_أووو، أجل أنا وشقيقتي مختلفتان جدا.

تحدث بعصبية نادرا ما تستولي عليه

_كل الاختلاف ... كل شيء فيها صارخ، عطرها، مشيتها،

صوتها حتى مظهرها على حسب ما وِصفَ لي، أما أنت فصامتة

لا تضعين عطرا وتستعملين المسك بالكاد أشمه بحاسة الشم

القوية لدي، ومشيتك لا تصدر صوتا، بالكاد أشعر بك، هي

غاضبة وأنت هادئة دون ذكر اللكنة بلهجتها، يمكن أن أقول،

نسخة أجنبية وأخرى محلية.

ازداد حاجباها ارتفاعا مع استغراقه في الحديث العصبى حتى

اختفيا تحت مقدمة الطرحة لتصدر عنها ضحكة ذاهلة هادئة مع

آخر جملته، فصمت يستمتع بنسيم بارد على شكل نغمات

خافته تمر عبر خلاياه السمعية، لتنشر ملمسا حريريا على ثنايا
صدره كنسيم بارد في يوم صيفي حار.

كتمت فمها بكفها، لتتمالك ضحكتها ثم قالت

_هذا وصف جديد علي كليا، نسخة محلية وأخرى
أجنبية... لكنه صادق.

ابتسم أخيراً لمرحها، فاستطردت

_لكننا معذورتان... فأنا نشأت هنا وهي ببلد أجنبية، فما عذرك
أنت وشقيقك، لتكونا بكل هذا الاختلاف؟

عاد الوجوم ليستحكم بملامحه، فعادت إليها الحيرة مجددا من
تغيره، ليقول بعدها بلحظة

_بلى، أنا وهو مختلفان جدا.... هو الكمال بعينه وأنا النقصان بعينه.

تمعت بكلماته الغامضة دون التمعن بملامح وجهه، ترد بتلقائية

_الكمال لله وحده وشقيقك المتعجرف بعيد كل البعد عن الكمال.

التفت إلى جانبها مركزاً كأنه يراها، فاسترسلت بحذر

_عذرا، أعلم بأنه شقيقك، لكنه متكبر متعجرف، لا يستحي!

مع كل كلمة تلقيها على مسامعه تتسع ابتسامته، ليقول أخيراً باستغراب

_ أنت أول فتاة أعرفها تتحدث هكذا عن نضال، يبدو أن هناك
بقية باقية من الحكمة لدى الفتيات.

توصلت لفهم عام عن معاناته، فازداد غيظها تجاه نضال بينما
تكمل بمكر اشتعل به صدرها بجوار أول رجل تشعر بأمانٍ لم
تعرف عنه سوى القليل من إبراهيم وكالعادة نسيت نفسها أمام
طيبة قلبها تحاول بث السرور بنفس نزار
_ إن أردت رأيي... أنت أقرب للكمال منه.

كان دوره ليندهش بشدة، فابتسمت بحبور تكمل

_ أنت متواضع، هادئ وتملك نورا يشع من محياك هل تصلي يا
ن.....

علقت جملتها متوترة تعي لاسترسالها، فقال باسمها بهدوء

_ناديني نزار يا ابنة العمة... نزار فقط.

حركت رأسها كأنه يراها وتابعت

_هل تصلي يا نزار؟

أوماً بحيرة، فأكملت بصدق

_إذن أنت فعلاً أقرب إلى الكمال منه.

حل الصمت من جديد بينما تضم شفيتها وقد التقت احمرار

طفيف يعلو أعلى وجنتيه حيث تظهر بشرة وجهه لترفع

حاجبها من جديد بينما شفيتها تنبسطان بابتسامة مندهشة، أول

رجل تقابله يستحي وعند ذلك الخاطر اكتشفت بأن ما وصفته

به قد يكون تعدى المدح إلى الغزل، فاحمرت هي الأخرى من
 فعلتها الغربية التي ليست من شيمها وأطرقت تضم رأسها من
 كلا جانبيه تستغفر سرا والإحراج يغمرها.

المجموعة

تقدمت إلى أن وقفت أمامه ترمقه بحدة، تبسط ذراعها لتصافحه
 فنظر إلى كفها المبسوطة يكبت إحساسا بالحنق والانزعاج من
 منظرها الفاضح بالنسبة إليه، ومد يده مجورا بالكاد لمس حافة
 أناملها ثم سحبها كأنه لسيع منها، فتشنجت ملامح وجهها
 عبوسا من فعلته والتفتت إلى محمد الذي تابع مشيرا إلى
 الشاب الآخر

_ وهذا السيد زيد، سيكون الحارس الشخصي للآنسة بيلسان.

لم تصافحه ومنحته إيماءة متكبرة ثم قالت بجفاء

_ اذهب إلى المنزل وانتظرنى هناك! ... سأهاتف شقيقتي.

هز رأسه بطاعة زائفة ثم انسحب بعد أن رمى بنظرات خاطفة

غامضة نحو كل من محمد وأسد.

تحدث محمد، قائلاً بدوره

_ نحن أيضا سنسحب إلى مكتب الأمن.

ثم التفت إلى اوركيدا، يكمل

_ حين تقريرين المغادرة يا آنسة أور، هاتفي مكتب الأمن.

خطت نحو مكتبها دون رد وجلست على كرسياها بينما نضال
 يغمز لهما، فابتسم محمد بيأس بعكس أسد الذي تجهم وجهه
 أكثر وهما يغادران.

تنهد نضال يدس كفيه في جيبي سرواله وهو يخطو تجاهها في
 نفس اللحظة التي رفعت فيه أنظارها إليه، فقال بجدية

ـ ابتعدي عن تهامي هذه الأيام يا أور!

أظلمت مقلتاها حتى اختفى اللون البني بهما تبدو ملامحها
 مزيج بين الأشمئزاز والحق، جمعت كلتي كفيها في قبضة
 واحدة مسندة إليها ذقنها الناعمة، تحدق به بحزم وهي تجيبه
 مؤكدة له كل حرف

_لكي ننهي هذا الموضوع هذا العالم لن يجمعني وذاك
الحقير معا.

قطب بجمود بينما تردف بغل

_يعني أنا ... أو هو.

أخرج يده اليسرى ورفعها يمشط براحتها على رأسه بحيرة،
ليس أنه لا يساند كرهها له، بل العكس، لا يظن بأن هناك من
هو أكثر حقدا منه على عمه تهامي وتلك العقربة المسماة
قائمة، لكنه لن يجازف بسنين من التخطيط والتجهيز لتأتي هي
وتهدم كل شيء.

إن شعر تهامي بأن أحدا يبحث خلفه، قد يقدم على أي فعل غير متوقع أو يهرب كالجناء فيختفي، حينها سيظل بحسرتة يحترق بها.

جلس على الكرسي أمامها يحاول التحكم بجموحها قليلا

_ ما رأيك إذا وحدنا أوراقنا؟

عضت شفتها السفلى بنواجدها مضيقة عينها تبدي تفكيرا جديا، فتابع يعرض حججه

_ هدفنا وعدونا واحد، فلم لا نكشف عن أوراقنا لبعضنا ونتفق... لتكون الضربة كبيرة ومنتقنة.

رفعت حاجبا تخبره بابتسامة باردة

_لو كنت قادرا لقضيت عليه.... فلماذا لا تدعني آخذ فرصتي؟

زفر نضال بضجر ثم رد عليها مفسرا

_أنت لا تفهميني، إنه أفعى لعينة، يطيح به التخطيط على نار

هادئة.

حركت يديها في الهواء، تعقب بكره

_أنا أعلم ما يكونه، ولا تنس بأنني من نسله ونسل الشيطان

الآخر.

أجفل! حقا كيف نسي بأنها نسل السفاح، تذكر شيئا ما، فقال

برقة لمعت بها مقلتاه للحظة وجيزة

_لكن عمتي فاديا ليست شيطانا بل كومة حنان لم أرى مثلها
سوى أُمي.

ثم استقام بحدة كمن به مس بعد ذكره لأناس أقسم على نسيان
ذكرهم كي يتحمل ما سيقوم به، فغاص في عالم المنكرات
والغى أحاسيسه و مشاعره يفكر بنفس تفكير من يريد تدميرهم
وبالتالي يلغي صوت يعذبه مع كل قسوة تنضح من عينيه ومع
كل سلوك كانا والديه ينهيانه عنه حتى أخرسه بالكامل
،،،، ضميره!

نقرت بأصبعها على سطح المكتب بينما هو شارد بأنظاره عبر
النافذة وزمت شفيتها الحمراء وان بتفكير وقدمها المحشورة في
حذاء ذو كعب رفيع وطويل أنيق، تهتز بخفة.

أخذت نفسا عميقا ثم قالت بدهاء ماكر

_أنا موافقة!

الفصل الثامن

{المُرَاعِي لِعَمَلِهِ، كَالْمَدَافِع فِي الْحَرْبِ عَنِ نَفْسِهِ؛ بَلْ مِرَاعَاةَ
الْعَمَلِ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ أَجْرٍ..... الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ}

ثَانِيَةَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

_أَفْ! ذَهَبَ أَخِيرًا.

رَمَتْ بِكَلِمَاتِهَا تَقْرِيْبًا كَأَنَّهَا بَصَقَتْهَا وَهِيَ تَعْدُلُ عَوِيْنَتِيْهَا
السَّمِيْكَةَ، مِصْحَابَةَ رَفِيْقَتِيْهَا جَوَارِ الْفِصْلِ أَثْنَاءِ الْفَسْحَةِ،
ابْتَسَمَتْ سَمْرًا بِبِلَاهَةِ، تَقُوْلُ بِمَرْحٍ لَا تَنْكُرُ شَعُوْرَ أَلْفَةِ يِرَاوِدِ
صَدْرِهَا تَجَاهَ الطَّالِبِ الْجَدِيْدِ.

_لِمَاذَا؟... إِنَّهُ مَرْحٌ وَمُوْدَبٌ.

عادت مروة تزفر بحنق بينما خنساء تائهة في ملكوت آخر،

فهتفت تعيدها على الأرض

_هيبه! أنت ما بك؟

لكزتها على كتفها، فانتفضت تنظر إليهما بالتناوب

_لماذا أنت واجمة؟

عضت شفتها السفلى قبل أن ترد بحزن

_الحصة المقبلة مع الأستاذ أمين.

مطت مروة شفتيها بامتعاض وسمرات حدق بها بغير فهم، لتقول

الأولى بضيق

_خنساء؟ الجلباب ليس بذلك السوء ثم أنا أنصحك بأن تهتمي
بمشكلتك مع شقيقك وتركزي على دراستك، انسي أمر حبيب
القلب.

احمرت خنساء بحياء، ترمقها بعتاب بينما سمرا تعود
للضحك ببلاهة لتكتمها حين اتسعت عينا مروة بغيظ من تحت
عويتتها السميقة، أما أمين فقد دخل استراحة الأساتذة برفقة
وائل الشارد بذكرى حدث عجيب حين كان ينزل من على
الدرج متوجها إلى الاستراحة، هنالك فوجى بعينين زرقاوين
ترميانه أو ترميان شعره تحديدا بنظرات يشوبها اليأس والعتاب
والأغرب تعقيبها المقتضب قبل أن تهول

_يا للخسارة!

تابعها بحاجبين معقودين حيرة حتى اختفت بين الجموع في
الساحة الكبيرة.

جلس بآلية كما تناول من يد صديقه كأس شاي غير آبه لزوجين
من العيون مهتمة به وبصديقه.

إنهما وسيمين.

همست بها الأستاذة كريمة لصديقتها هناء التي ضحكت
تجيبها بملامح مذنبه

لكن بتلك اللحية مع أنها مشدبه بأناقة وتزيدهما بهاء، مخيفة
هذه الأيام خصوصاً وواحد منهما خريج الشريعة.

مالت عليها بينما تعيد خصلاتها الحريرية، تهمس لها بمزاح

_ أنت متحجة عليك بخريج الشريعة وأنا سأحاول مع التاريخ
والجغرافيا.

أومأت هناء بيأس من طبع صديقتها حين انضمت إليهما زميلة
أخرى منشغلة بترتيب شعرها، تسألها عما تتها مسان به
فحكّت لها هناء بما امتعضت منه تؤنّبهما معا.

_ نحن هنا من أجل تعليم الطلاب الأخلاق والمعرفة وليس
التأمل والإعجاب بالأساتذة.

تبرمت كريمة بشفتيها امتعاضا وهناء تطرق برأسها توافق قولها
فتستغفر سرا.

في زاوية أخرى غير بعيد عنهما جلس سامي يرتشف الشاي
على مهل، يلتقط توتر التي تحرك نظارتها الشمسية الملتهمة
لنصف وجهها بينما تبلل شفيتها كل حين، فتحنح يجلي
حنجرته أخيرا، يسألها برسمة

_راجعتي دفتر تحضير الدروس الذي أعرتك إياه؟

تلكأت بالإجابة كأنها تفكر في معنى لسؤاله حتى هم بإعادته،
لتجيبه أخيرا بصوت حاولت جاهدة المحافظة على ثباته،
لكنها لم تستطع

_أجل..... إنه جدا مفيد، شكرا لك أستاذ سامي، أنت أدبي من
الدرجة الأولى، يجب علي إعادة حساباتي كأستاذة للغة.

نطقت آخر حديثها بشيء من السخرية وللأسف خرجت
 مريرة، فاعتدل في جلسته متسائلا بريبة وقد وعد نفسه بعدم
 الخوض بأي صحبة شخصية إن كان مع الرجال أو النساء،
 مكتفيا بصداقة جاره خالد لكن هذه المرأة بها شيء ما والخطير
 بالأمر كونها متزوجة وهذا يلجمه ألف مرة ليتخذ الحيلة
 والحذر

_أستاذة تسنيم، أنت بخير؟ أشعر بأنك لست على ما يرام.

فركت كفيها بارتعاش ثم أعادت خصلة سوداء خلف أذنها،
 ترد بثبات أفلحت بادعائه، فهي في غنى عن الفضائح في مكان
 عملها

_أنا بخير والحمد لله ... أنا فقط متعبة قليلا، أصيب ابني
بالحمى ليلة أمس، فلم أجد الوقت للنوم.

هز رأسه بوجه خال من التعبير، يسأل من باب الأدب
_كيف أصبح الآن؟

رسمت على ثغرها شبح ابتسامة تجيب قبل أن تنسحب معللة
بقرب موعد الحصة

_بخير الحمد لله .. أشكر لك اهتمامك ... عن إذتك الحصة
على وشك البدء.

راقب هروبها بريبة، يهمس بحيرة

_ماذا تخفين يا ترى؟

قصر القناص

يا خادمة تعالي هنا!

أجفلت جنات من النبرة الآمرة بغنج، فاستدارت إليها تتسع
مقلتيها الكبيرتين من هيئة الفتاة، قوام رشيق لجسد طويل،
ترتدي صاحبه ما تخجل جنات من ارتدائه حتى بين جدران
غرفة نومها، أما قدميها فيختفيان وسط خفين من الريش الكثير
بينما شعرها فمجموع أعلى رأسها.

انتفضت جنات من جديد حين تأفت تصيح بحنق وقسمات
ضائقة: - هل اكتفيت من التحديق؟ رأسي يؤلمني وأريد
مسكنا مع قهوة، من أين تأتي عمتي بهؤلاء البشر؟

تجمدت جنات مكانها، تشعر بتخبط حزين وحين همت دليلة
بالتحدث مرة أخرى، قاطعتها نبرة عمته فريدة الزاجرة
_دليلة!

أدارتا رأسيهما إلى السيدة الكبيرة، فقالت دليلة بنزق
_تعالى عمته وتصرفى مع الخدم الذين لا أعلم من أين
تحضريهم؟

هتفت عمته وهى تمسك ذراع جنات تسحبها برفق تجاه
الحديقة

_هذه الفتاة ليست من الخدم بل من العائلة.

راقبتهما حتى اختفتا من أمامها بحاجبين مرفوعين وشفيتين

مزمومتين، تهمس بعدها بريبة

_من العائلة؟

مجموعة القناص

_أنا موافقة.

استدار نضال بسرعة يتفقد مدى صدقها وخطأ إليها دون أن

يستشف شيئاً من ملامحها الجامدة

_على ماذا بالضبط؟

شبكت كفيها ووضعتهما على سطح المكتب، تميل بجسدها

قليلا إلى الأمام، لتتابع بحذر

التعاون من أجل القبض عليه.

أمال رأسه يسألها بشك

ونكشف أوراقنا؟

ضمت شفيتها إلى الأمام قليلا قبل أن تجيبه

على حسب.

على حسب ماذا؟

ألقاها بعجرفة لتجيب بجفاء

على حسب كل ورقة تكشفها.

جلس بفخامة كما اعتاد واضعا رجلا على رجل، يقر بانزعاج
_ أنت لا تثقين بي.

عادت بجسدها إلى الخلف، تصدر صوت يدل على السخرية
_ آآآآخ... من فضلك... القناص والثقة؟

أغاظه جوابها، فرد ببعض العصبية
_ إن لم توحدنا الثقة توحدنا المصلحة الواحدة.

ابتسمت ببرود، ترد بظفر

_ أنت الآن تفهمني، لكن السؤال هنا، من قال بأن هدفي هو نفسه
هدفك؟

زم شفتيه بحقد، يستقيم واقفا ثم مال على مكتبها مسندا نفسه
بكلتي كفيه على سطحها، ليحدق بمقلتيها بجدية يخبرها من
بين فكيه المطبقتين

_أريد أن أشاهد رقبة تهامي القناص معلقة من على حبل
المشنقة، فماذا تريدن أنت؟

اهتز قلبها داخل صدرها خوفا من لمعة الكره التي حولت اللون
البنى في مقلتيه إلى السواد، تتساءل عن الحقد إن كان يفعل
بملامحها نفس الشيء وقد كان، لأن ذلك الخوف سريعا ما
تحول إلى حقد حين ذكر اسمه، فردت عليه بتصميم.

_إذن هدفنا واحد.

ثانوية الحسن البصري

_أنظرا! ... الطالب الجديد يسحبه ذلك الفتى إلى الجهة الخلفية.

أمسكت مروة بيد خنساء قبل أن تبتعد، تعلق بحنق استبد بها

_إلى أين؟ هل جنت؟ أخبرتك من قبل، تتصرفين دون تفكير.

تسمرت خنساء مكانها، تنظر إليها بتجهم طفولي بينما مروة

تكمل بعصبية

_تعلمين جيدا ماذا سيحدث إن لمحك أحد ما متوجهة إلى ذلك

المكان، لا ينقصك مصائب.

تأملتها بتركيز، فأمسكت مروة بيدها الأخرى مغيرة نبرتها
العصبية إلى أخرى محذرة باهتمام

_ لا تستخفي بأمر شقيقك خنساء، يجب عليك الحذر والتفكير
جيدا قبل أي تصرف إلا ستجلبين على نفسك مشاكل قد
تحطمك وتدمر مستقبلك الدراسي.

التفتت خنساء إلى سمرا التي تومئ لها بتأكيد، تضيف بخوف
_إنها محقة حبيبي... يجب أن تحذري أكثر.

زفرت بقلق حزين ترد عليهما

_ لكن صهيب جديد هنا ويجب أن يأخذ فكرة عن ذلك المكان.
قلبت مروة شفيتها بحنق وتركت يديها تهتف بها

_حاضر يا أم القلب الطيب! حين يعود إلى الصف أخبريه، أف!

كأنه ملاك ولا يعرف التمييز!

تركت زميلتيها ودخلت الصف، فنظرت خنساء إلى سمرا،

تسألها باستغراب

_ما بها هذه؟

قصر القناصر

وقفت بيلسان باسمه حين لمحت جنات برفقة خالتها لتختفي

البسمة من على شفيتها حين لاحظت وجوم ملامحها، تلقفت

كفها بحنو ترمقها بتساؤل حائر لكنها سرعان ما التهمت بالفتاة

الوافدة عليهم قبل أن تولي اهتمامها لجنات من جديد تربت

على ذراعها وتشير لها بالجلوس

_صباح الخير.

نطقها دليلة بريية تتأمل الغريبتين بتفحص، وسباباتها مع

ابهامها تدلك بهما جبهتها تحاول تخفيف ألم رأسها من آثار

الشرب والمخدر.

ابتسم نزار ببرود استشعرته بيلسان بقوله الساخر

_دليلة؟ بالكاد لاحظت وجودك... أين أوقعت صاعقتك؟

دهشت جنات وبيلسان بينما السيدة فريدة ترمق نزار بعتاب
وهي تصب الشاي، تنتظر غضب الأخرى الذي لم يتأخر حين
هتفت بعجرفة

_نزار لو لم تكن أعمى! .. كنت علمتك كيف تحترمني!

تضاعفت الدهشة على وجهيهما تشهقان وليس فقط مما
نطقت به قبل أن تقرر الرحيل ضاربة الأرض بساقيها الطويلتين
لكن من موقف نزار الذي لم يتأثر نهائياً بما قالته بل بالعكس
كأنه سعد بذلك، فتكلمت فريدة حين لاحظت جمود
ملامحهما المدهوشة

_لا تكثرنا لدليلة، قد تبدو متعجرفة ومستهترة لكن قلبها طيب
وغير مؤذية.

أضاف نزار باسما لكن بمرارة

ـبلى، عمتي محقة هي تؤذي نفسها فقط.

ثانوية الحسن البصري (الجهة الخلفية)

امتد بصره إلى آخر الساحة الواسعة طولا، ليرتفع حاجبيه دهشة
 ممزوجة بامتعاض من المنظر الغريب بالنسبة إليه، فوالدته
 كانت انتقائية جدا في ما يخص تعليمه ولأول مرة تنصاع لرغبته
 وما يزال مستغربا من موافقتها وإن كان يشعر مؤخرا بتزعزع في
 علاقة والديه، نحى تلك الافكار عن عقله واهتم للصبيان على
 أعتاب النضوج شباب المستقبل وأمل الأمة، يمسكون بين

أصابعهم سجائر يمجون منها بطرق مبتذلة، يفتخرون
 باستعراض مهاراتهم في شرب السجائر، ضاحكين لاهين
 كأنهم لا يدمرون عقولهم قبل أبدانهم، منهم من في سنه وأصغر
 منه.

تأمل أقربهم إليه فاكتشف بأنها سجائر ملفوفة لتجحظ عينيه
 وهو يلمح بعضهم يدسون شيئاً ما في أفواههم ويلعونه
 ب،.....

_ماذا؟

أجفل كرم من صيحة الصدمة التي انطلقت من فم صهيب،
 فالتفت إلى ما ينظر إليه يتسم بمرح يخبره

_ نعم إنها بيرة ومن النوع الذي سيعجبك.

نظر إليه صهيب بتوجس يتساءل

_ تشرب الجعة؟

رفع كفيه باستسلام يخبره بما أراح شقا من قلبه

_ لا تستهويني تلك الأشياء، جربتها ولم أستسغها.

ثم لمعت عيناه بطمع، يقترب منه مثيرا ريبة صهيب

_ هواياتي تقتصر على العالم الافتراضي.

حرك أصابعه بتناغم بينما يتلاعب بحاجبيه، مردفا

_ عالم الانترنت.

ثم أسقط يديه إلى جانبه بأسف، يضيف

لكن للأسف لا هاتف ذكي لدي، ولا اشتراك إنترنت، فلا
أستطيع الولوج إليه إلا في البيت وعلى الحاسوب من العصر
الجليدي.

هز صهيب رأسه يرنو مناظر أخرى كالأزواج المراهقة
المنزوية على طول تلك الأركان على شكل شرف صغيرة
ذوات أقواس، فضحك كرم يشرح له بتشدد

إن كنت تريد لقاء صديقتك، فلا مكان أحلى من هنا، مستور
وضمنان للسرية.

رمقه صهيب بسخرية، يعقب بدهشة

بلى... مستور، مستووور!

فرك كرم كفيه بحماس، يطلب منه ما يهمله

_صديقي؟ هل يمكنك إعارتي هاتفك كي أراسل حبي، لا

أستطيع انتظار المساء.

انفجر صهيب ضاحكا بدهشة مرحة وهو يردد

_حبي؟

عبس بتصنع يدافع عن حبيبة قلبه

_أجل حبي .. إنها فتاة جميلة تعرفت عليها على الانترنت،

تسكن بمدينة أخرى ونحن نحب بعضنا منذ مدة.

تمالك صهيب ضحكاته بصعوبة وهو يسحب هاتفه يقدمه له

قائلا

تفضل لكن أسرع، فالجرس سينطلق بعد قليل.

مكتب الوزير

خرجت ورد من مكتب والدها بوجه ينضح سعادة ومرح،
سلمت عليها ثم أوصتها به وغادرت تشيعها بنظرات غبطة
وغيرة.

التفت لبنى إلى الملفات أمامها، تناولتها وخطت إلى مكتب
الوزير ومع كل خطوة ترتفع دقات قلبها بصخب يرج صدرها.
كان منهما في مطالعة ملف مفتوح أمامه، فتفحصت شكله
بفضول، رجل بمنتصف الخمسينات، ببنية معضلة تظهر مدى

الحياة الصاخبة التي عاشها ولا يدل على عمره الحقيقي سوى
شعيرات بيضاء بدأت تغزو جانبي رأسه الحليق بأناقة
وتجعيدات ثلاث على جانب عينيه كلما ضحك برزانتته
المعهودة، فتلمع مقلتيه السوداوين بغموض أسر ثم تلك النظرة
التي لفتت انتباهها، نظرة تشع حنانا، حبا، حماية وأمان كلما
قابل أحد أفراد عائلته.

تنهدت بأسى وصوت صارخ وسط أحشائها تستنكره
عقلانيتها، يناديه أن اجعني منهم وانظر إلي مثلهم!

_حمممم!

انتفضت بقوة جزعة من اكتشافه لتأملها المخزي وبلعت ريقها
تستعيد الواجهة الجامدة برسمة بالغة واقتربت منه تقول بتوتر
زعزع نبرة صوتها

_ هذه الملفات، أرسلت من المركز الرئيسي.

حملت الفنجانيين واستدارت منطلقة تتمنى أن تنشق الأرض
وتبلعها تسب عقدها الفاضحة لضعفها الذي تكرهه كره
العمى بينما هو يشيعها بنظرات عميقة مستشعرا تغيرها كلما
حضرت مقابلته لأحد أفراد عائلته. ذكاهه الخارق فصل
خريطتها أمامه فقد قرأ ملفها كما تحرى عن جميع أفراد طاقم
العمل معه بمختلف تخصصاتهم، ويعلم عنها الصغيرة قبل
الكبيرة كما يعلم كل تقلباتها وعقدها التي تحاول جاهدة

طمسها، فتذكره بابنته في الماضي وإن كانت هذه الفتاة عقدها
أقل بشاعة وأكثر مقتا، لم يستطع كتم شفقتة عليها وحنقه على
والدها، فنطق اسمها بهدوء

_لبنى؟

ارتفعت دقات قلبها إلى أقصى الحدود وتسمرت مكانها
للمحظة وجيزة قبل أن تلتفت إليه بوجهٍ نجحت في إسباغ
التساؤل عليه، فنزع نظارته مستدركا

_هل أنت بخير؟ أشعر بأن موضوعا ما يشغلك.

أرادها أن تأتي إليه، أن تحكي له عن مخاوفها، أن ينصت إلى
شكواها وأن تثق به، وأن يعالجها ويحتويها، لا يعلم لماذا؟ هل

لأنها تذكره بورد؟ بحزنها الخفي، بادعائها لما ليست عليه؟
 .. لا يعلم بالضبط؟ كما ليس متأكدا إن كان من الصواب
 التقرب منها؟

للحظة راودتها فكرة مجنونة، أن تلقي بكل جمودها وتاريخها
 الطويل مع والدتها من الكفاح وكل مخاوفها خلف ظهرها
 وترتمي بين أحضانها إن كان سيتلقفها بنفس الطريقة التي يضم
 بها ورد، فهي ستفعل أي شيء! أي شيء كي تحصل على جزء
 من سعادة ابنته بين ذراعيه وما لبث توترها أن انقلب إلى خوف
 رهيب من جموح أفكارها وجرأتها، بلعت ريقها بمشقة
 وحافظت على تماسكها، تنطق بسرعة كي تختفي من أمامه

_لا شيء مهم سيدي، عن إذنك.

راقب هروبها وقد وضع قبضته تحت دقنه مسندا بمرفقها على
سطح مكتبه، يتساءل بصوت مسموع لنفسه
_ كيف ستتصرف يا مصطفى؟

ثانوية الحسن البصري

متكومة على نفسها بخجل ممزوج بحياء، فلم تنظر إليه ولا
لمرة واحدة بعد أن نطقت باسمها بخفوت وقلبها يضرب
كالطبول.

مالت عليها سمرا، تقول بهمس مازح

_ إنه ينظر إليك يا فتاة، ارفعي رأسك!

اهتزت ترمي صديقتها بنظرة مندهشة قبل أن ترفع رأسها
لتجده منشغلا بمطالعة أوراق أمامه على مكتبه، فعادت
بأنظارها إلى سمرا الضاحكة بخفوت ولكزتها في ذراعها بعتب
حانق، غافلتين عن المعركة حامية الوطيس همسا أمامهما
مباشرة

_ أنت تافه وأنا المخطئة لأنني حذرتك، كله بسبب أم القلب
الطيب.

أخفى ابتسامته المتسلية ببراعة، يهمس بدوره

_ وأنت أم ماذا؟... أم العبوس؟

كتم ضحكته بصعوبة بضم شفثيه بقوة حين شخصت مقلتيها
من تحت عوينتيها السميكة، تفتح شفثيها بعدم تصديق، فحمد
ربه حين تحدث الأستاذ أمين، يقطع سيلا من الشتائم كان
متأكدا من أنه سيتلقاها منها

_أول درس بمقرر مادة التاريخ إن شاء الله، حرب الطوائف
...وبسم الله نبدأ.

التفت الأستاذ ليكتب العنوان على السبورة، فهمس صهيب
بتسلية

_لم أدخن ولم أشرب شيئا وقطعا لم أنزوي بفتاة ما.

شهقتها وصلت لمسامع الأستاذ الذي استدار متسائلاً إلا أنه لم
يعلم مصدرها تحديداً قبل أن يتجاهل الأمر ويبدأ بإلقاء درسه.

قصر القناص

_كلي حبيتي... هيا!

مدت السيدة فريدة بطبق مخبوزات لبيلسان التي لم تأكل شيئاً،
مكتفية بفنجان قهوة، فابتسم نزار يعقب بود أصبغ عليه الفكاهة

_عمتي! يبدو أن بيلسان وجنات سيستوليان على اهتمامك ولن
أحصل على شطيرتي اليومية.

رفعت عمته حاجبها حين تذكرت بأنها حقاً نسيت شطيرة نزار
ولم تكد تحرك يدها حتى لمحت بيلسان قد التقطت الخبز،
تسأله بعفوية

ـ كيف تحبها نزار؟

تلكا قليلا لكن نبرتها العفوية المليئة بالاهتمام جعلته يجيب
ببسمة ممتنة، وإن شابها بعض التوتر
ـ بمربيّ التين والقليل من الجبن الأبيض.

شرعت في تجهيز الشطيرة بحرفية كأنها معتادة، فسألتها السيدة
فريدة

ـ أنت بارعة في التعامل مع الخبز، هل أنت خبازة أو طاهية؟

أجابتها جنات تبسم بحماس

_بيلسان أفضل من يحضر الحلوى في العالم.

ضحكت السيدة فريدة وحتى نزار، وبيلسان تعقب بخجل

_أنت تبالغين جنات!

ردت بتلقائية وبنفس الحماس

_لا طبعاً! أنا لا أبالغ، الحلوى التي تعدينها بيديك لا تقاوم.

ثم شملتهم بنظرة تسترسل بحديثها مسهبة بوصف لذة حلوى

صديقتها

_مممم، تلك الحلوى التقليدية المحشوة باللوز أو الجوز
والأخرى بالزبدة اللينة أو الفول السوداني، أما الكيك ولا أشهى
طعما يحلق بك فوق السحاب.

_تفضل نزار.

في تلك اللحظة، شعر نزار بملمس حريري بالفعل حلق به فوق
السحاب، صوت رقيق منعم، دافئ أرسل رعشة عبر خلاياه
العصبية إلى القلب مباشرة، ليأخذ نفسا مرتعشا وهو يلتقط
الشطيرة، فتوقف لبرهة قبل أن يرفعها إلى فمه، لتغلغل رائحة
المسك في أنفه وحين دسها في فمه قلبها هناك بروية كأنه لم
يأكل شطيرة من قبل، مستغربا حاله وهو الذي لم يسمح لأحد
من قبل بخدمته سوى عمته وصهيب كما يستغرب شعوره ذاك

ولم يلمس أصابعها حتى، فقد وضعت الشطيرة على طبقه ثم
أخبرته ليتنبه ويلتقطها.

تحدثت عمته باسمه بحبور

_متشوقة جدا لتذوق حلواك حبيبي.

هزت رأسها بخجل، ترد عليها

_إن شاء الله خالتي.

مجموعة القناص (مساء)

زفرت بتعب، ترمي آخر ملف راجعته فوق كومة الملفات
لتفهم جيدا سير العمل بالمجموعة ثم زفرت مرة أخرى تفكر

بأنه لن يكون سهلا أبدا الإيقاع به، فهو حذر للغاية ومنافق
 بدرجة أولى، تساءلت إن كان نضال سيفيدها أم لا! على
 العموم هي ستبقى حذرة ولن تخبره إلا بما سيجعله يثق بها
 ويبادلها الأسرار

التقطت سماعة الهاتف لتطلب من الأمن تحضير السيارة حتى
 تعود إلى المنزل، فيجب عليها التحدث مع شقيقتها عن
 الأعمال وإن كانت الأخيرة غير مهمة ستطلب منها توكيلا
 لتباشر أعمالهما معا، أخذت حقيبة يدها ثم غادرت المكتب.

تسمر واقفا بعد أن فتح لها الباب الخلفي، فنظرت إليه بحاجب
 مرفوع ونظرة لاهية لم يعرف معناها بالضبط ليرمش بجفنيه

مرة واحدة متزامنة مع اقفالها للباب أمامه وتقدمت لتستقل
المقعد الأمامي.

نفخ بضيق ثم خطأ إلى مقعد السائق وانطلق بالسيارة والصمت
يعم الأجواء قبل أن يسألها برسومية

_هل هناك جديد؟

كانت في انتظار حديثه ولأول مرة يكتنفها توتر دفته عميقا
داخل أحشاءها، لا تعلم له سبب سوى أنه مرتبط بهذا
الشخص، رفعت أنفها الصغير ببرود، تجيبه باقتضاب

_كل شيء ستجدونه في التقرير.

عبس بملامحه الرجولية ولمعت عيناه بلون العسل الخاطف،

يقول بنفس برودها

_سأغادر مع زيد بمنتصف الليل، إذا حدث أي شيء، الساعة

لديك، لا تزيлиها أبدا، وا..._

_أضغط على الزر الثاني يمينا، أعلم، لقد حفظت التعليمات

...لست غبية.

طمس بسمته اللاهية ينوي إشعال فتيل غضبها، فتبرز اللكنة

بشكل طاغي على لسانها لتتعث أحشاؤه كما الآن مع أن قناع

العبوس يغطي ملامحه جيدا بينما يقول بحزم تدرّب على

الحفاظ عليه

_ لا تتهوري وتظهري له حقدك عليه ...دعيه يأتي إليك.

قلبت شفيتها الصغيرتين البارزتين بتلك الزينة الفاقعة، يرتسم عليهما الحنق الطفولي الذي لا يتناسب وفجاجة تلك الأصباغ، فنفخ بضيق من منظرها الذي وللأسف أضحى شائعا حتى بين بعض بنات شعبه، لكنه أبدا لا يستسيغه، بل كل ما تمناه يوما أن يرتبط بفتاة ملتزمة وهادئة، تحترمه ووالدته، لتعيه على دينه ويعينها أيضا، وينجبا أولادا صالحين، استغرب مسار أفكاره، يتساءل عن علاقة هذه الفتاة بموضوع زواجه، كي يقارن بينها وبين فتاة أحلامه؟! هذه مهمة عمل ستنتهي يوما ما وينساها إلى الأبد، فلا هي من نوعه ولا من مستواه المادي
ورثة القناص.

_ماذا؟

لم يعلم بأنه أصدر صوت معبرا عن سخريته، فرد عليها بغضب

كلاهما يجهلان سببه

_لا شيء ... تذكري التعليمات جيدا.

منزل فضل الله

_السلام عليكم.

التفت بسرعة وقلبا يسبقها إلى صاحب النبرة العميقة، لتجده

واقفا أمامها ببدلته الرياضية، يحيطها باهتمام كفّ عن إخفائه

منذ اكتملت أنوثتها وأصبحت في سن الزواج، فأعلن للجميع

بأنها عروسه المرتقبة وشريكة حياته التي لا يريد سواها، شعره
الكثيف الأسود يسبح بفوضى بما يثبت عودته من حصة
الرياضة، مع صدره الذي يرتفع وينخفض بسرعة دون أن يلهث
كما تلهث هي حين خطأ نحوها يجاهد ليبعد أنظاره عن
مقلتيها بلونهما الفريد، سبب شقائه وعشقه ومجافاة النوم
لعينه، يتوه في السراب، سراب يكسوه الأخضر مع البني على
شكل حلقات رقيقة تتداخل فيما بينها، فيتمنى الغرق بين
الحلقات.

علم بزيارتها لعمتها، فلم يستطع المكوث في الصلاة التي
خصصها وأثثها هو وضرغام من أجل التدريبات المنزلية، هناك
بلغته بنفسج بحضورها، فترك كل شيء بين يديه فقط ليراهها،

يشتاق لها كل لحظة، كل ثانية، يعترف بأنه يحبها، بل يعشقها
 منذ لمحها ترتعش خوفا من الشباب كغزال مرعوب علق بفخ
 مميت، كبر شعوره ناحيتها كلما كبرت واكتملت أنوثتها
 وتغيرت ملابسها من صبيانية إلى أنثوية واسعة تناسب
 شخصيتها القوية، لاح الحزن على ملامحه يتساءل كيف لصيفة
 واحدة أن تعجبه وتنفره منها في نفس الوقت! تلك القوة
 والشراسة مع الأنفة الزائدة، فيتمنى لو كانت أنثى ضعيفة
 كأغلب الفتيات العاديات ذوات أحلام بسيطة غير مؤذية
 فيتعمق حزنه حين يتذكر رفضها لطلبه، يعلم تماما السبب
 ورغم ذلك حزن كثيرا معتقدا بأن اللهفة في عينيها، ستشفع له!

لام نفسه على الظرف الذي حدثها فيه عن رغبته بالاقتران بها رسميا، يومها كانت عالقة في احدى المشجرات المعتادة بين موكلة لها وزوجها العنيف في مركز المدينة حيث أوصى زملائه في قسم الشكايات بأن يبلغوه كلما تولت قضية اعتداء، فالمحامي قد حذره من أنها تستلم دائما قضايا عنف ضد النساء، وكونها متحمسة جدا وعصبية تجلب على نفسها المشاكل، أسرع يومها حين هاتفه زميله، ليخبره بأنها عالقة مع رجل حقير وركض إليها تاركا أسد خلفه في مهمته وهناك فوجئ بها تصيح بجرأة شرسة، فهم الرجل ليرد لها الصاع بما يبرع فيه، فلم يعلم متى أمسك بتلابيبه ولا كيف أجهز عليه بلكمة أوقعته أرضا إلا حين أوقفته بهتافها الهلع.

شعر بالخوف عليها، خوفا جعله يلح عليها ليتزوجا حين
 خرجا من هناك وتكفل بإيصالها، هناك لمح الخيبة يشع بها
 محياها بعد ما نطق بطلبه ليعلم أنه أساء الظرف والتوقيت ثم
 فكر بعدها أنه حتى لو كان الوقت سيئا، فما توقعته صحيح! هو
 سيفعل المستحيل كي يثنيها عن عملها أو على الأقل عن نوع
 القضايا التي تتولاها، فهو يعشقها ولن يستطيع تحمل إصابتها
 بمكروه. أفاق من أفكاره وتأمله الشارد على همسها الخافت

_ كيف حال رجلك؟

تنحني يجلي حنجرتي يشعر بنفسه صريع حرب الهروب من
 عينيها والغرق بهما

_ الحمد لله، تعافيت وسألتحق بعملتي بعد يومين بإذن الله.

هزت رأسها تبلع ريقها بحرج من نظراته القاتمة، تشعر برعشة
وسط صدرها ورهبة من حضوره الطاغي، نطق اسمها بهمس
زاد من رعشتها لترفع إليه أنظارها

سلوى!

توقفت أنفاسها وتجمدت من نظراته المستجديه لأن تشعر به،
أن تفهمه، أن.....

_سلوى! أهلا حبيبتى.

انتفضا كلاهما علة إثر دخول جليلة، تضم كف صغيرها،
تستطرد باسمه من ملامحهما المتوترة

_تعالى معى، سنجهز الشاي معا.

هزت سلوى رأسها تخطو برفقة عمتهما والآخر يراقبهما حتى
غابتا ثم جلس أخيرا يلتقط أنفاسه التي لا يثير زوابعها سواها.

الفصل التاسع

{يا عجبًا لألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال

تخالف.....الحسن البصري}

_خنساء!

تسمرت قدماها على الدرجة الأخيرة للسلم قبل باب بيتهم

وارتفع وجيب قلبها حين تناهى إلى أسماعها نبرته الهادئة،

الناطقة لاسمها بطريقة مميزة يبرز كل حرف بحركته حتى

الهمزة التي يحذفها غيره، التفتت إليه يغمرها الحياء، فقال

باسما دون أن يركز على وجهها غاضبا بصره عنها

_استغربت توترك في الفصل وسهوك، هل أنت بخير؟

ترقب إجابتها بقلق، فهو يعتبرها كشقيقته إيمان كما يعلم ظروفها التي هي نفس ظروفه هو وشقيقته بالماضي، فيخشى عليها نفس مصير إيمان أو الأسوأ، الأذى من الطريق الذي يسلكه شقيقها سالم، طريق أسود المعالم والله أعلم كيف ستكون نهايته؟

بماذا تخبره، أو كيف تشرح له؟ كيف تخبره بأنه الوحيد الذي يشعرها بقيمتها وبعوض الأمان بعد أن فقدت حتى شقيقها الذي تغير وأصبح تهديدا مخيفا لقلبها؟

بماذا تخبره؟ بأنها تشعر بكل شيء في حياتها غير مضمون ومستقبلها ليس مبهما فقط، بل مخيفا؟

ألقت بأفكارها خلف ظهرها وردت بحياء

_ لا شيء مهم، لم أعود بعد على كونك مدرسا لي.

لا تعلم حقا، كيف استجمعت كلمات تلك الجملة ولا كيف

نطقت بها، ليضحك برزانتة المعهودة، يرد وهو متجه نحو

الباب المقابل

_ لا بأس إذن، لكنها نقطة إيجابية لصالحك، كون أستاذك جارك

وطبعا كأخ لك تجدينه بظهرك متى احتجت إليه، وحين

تحتاجين لمساعدة أخبري سالم وسأتي لأساعدك.

إحباط مقيت هو ما ألم بمشاعرها البريئة من كلمة "أخوك"

لكنها بلعتها مع ريقها وهزت رأسها بآلية قبل أن تفتح باب بيت

لم تشعر فيه يوما بمعنى الأسرة الحقيقي وكان صوت التلفاز

مستقبلا لها كالعادة، كما كانت الوحدة والسكون ما استقبله
هو ليتناول الهاتف ويطلب آخر شخص تبقى له من أسرته.
_السلام عليكم أختي، كيف حالك إيمان؟ ...اشتقت إليك.

منزل القناص

_أتيت أخيرا هيا ... التفاصيل!

نطقها باسمها ووجهه ينضح بسرور غريب، أضاف إلى نور
سماحة ملامحه ألقا مبهجا، فغمرت الحيرة صدر صهيب الذي
قفز على السرير بجواره، فعادته تقتضي المرور على أحب أفراد
عائلته إلى قلبه كلما عاد من مدرسته أو من مشاويره عموما،

فهو يحبه جدا! كيف لا؟ والفضل بعد الله في تقويم سلوكه
وتهذيبه يرجع لنزار.

لمس صفحة وجهه بكفه، يجيبه ضاحكا لسرور ملامحه
_بل الجديد، كل الجديد لديك.

ضم نزار حاجبيه بحيرة، يتساءل
_أنا.... كيف؟

ما تزال البسمة تكشف عن أسنانه وهو يجيبه معبرا عما يشعر
به

_هذا السرور الغريب ينير ملامحك الوسيمة.

للحظة حلق فكره نحو التي لم تفارقه في يومه ذاك، فبعد انتهاءهم من الفطور أبلغوها بحضور رجل يقول بأنه حارسها الشخصي وسائقها، فطلبت منه أن يقابله معها بما أنه من رجال البيت، فلا يجوز أن تقابله وحدها، لا تعلم ماذا فعلت به بتلك البادرة التي أشعرته بنبرتها التلقائية بصدق نيتها، فصاحبها ليقابل الرجل الذي استشف من نبرة صوته أنه يخفي أكثر مما يفصح لكنه ارتأى الانتظار إلى أن يُحدث شقيقه، عند تلك الفكرة تشنجت ملامحه، فهتف صهيب بريبة

_ ما كل هذا الشرود... لا! يجب أن تبدأ بالتحدث حالا!

ابتسم نزار يجيبه بهدوء عكس ما يعتمل به صدره

_ أنت من سيدأ بالحديث حالا، هيا! لكن أخبرني أولاً، هل

قمت بقضاء صلاتك في وقتها؟

أجابه باسمه بحبور قبل أن يغمره الحماس يسرد له مغامرات

يومه العجيب

_ أجل، في القاعة المخصصة للصلاة، صدق أو لا! مدرستي

الجديدة تجمع بين متناقضات لن تخطر على بالك أبدا.

توجهت مباشرة إلى غرفتها تنفض عنها تعب اليوم الأول
 بحمام ساخن وكانت مشغلة بتجفيف خصلاتها القصيرة حين
 سمعت طرقات خافتة على باب جناحها، فألقت بالمنشفة على
 الأريكة ذات الحواف الذهبية ثم مشت نحو باب الجناح.

قطبت بحيرة حين قابلتها ملامح توءمها الحنونة، تخبرها بتوتر
 _أحضرت لك بعض الطعام بما أن العشاء لن يقدم قبل ساعتين.
 بدهشة أنزلت عينيها إلى الصينية بين يديها متأملة باستغراب،
 فهي لم تتعود اهتمام أحد بها أو بما تشعر، بل نشأت وحيدة
 تماما تعتمد على نفسها.

استدارت تفسح لها لتدخل بينما تجيبها

من الجيد أنك أتيت، فانا أريدك بموضوع.

أقفلت بيلسان الباب بقدمها ولحقت بها ترمق ملبسها بعدم
رضا فتستحضر هيئة الأخرى صباحا لكنها أرجأت أفكارها
لوقت لاحق، وتركت صينية الأكل على المائدة الزجاجية أمام
الأريكة الرئيسة في صالة الاستقبال حيث جلست تنتظر حديث
توءمها بينما تتابع حركاتها وما إن مدت يدها حتى قالت تنبهها
بعفوية

بسم الله.

رفعت أنظارها المحتدة إليها لبرهة قبل أن تعقب وهي تتناول
لقمة وتدسها في فمها.

_أنا لست مؤمنة.

لم تتفاجأ بيلسان على قدر ما شعرت بالحزن والاشفاق على نصفها الثاني، دمها ولحمها كما لا تستطيع لومها، فهي مهما كان جحيمها على الأقل تربت على أرض الإسلام وكبرت قرب الأذان تصدح من المآذن مرات خمس كل يوم، وتقيدت بعبادات شعب أغلبها وليس كلها سنت تبعاً للشرع، فتعلمت معرفة ربها من إبراهيم والمدرسة ثم صديقتها بنفسج التي لم تقصر أبداً في تصحيح مفاهيم كثيرة خاطئة في عقيدتها وبالتالي سلوكها وفروضها وهذا ما يجب أن تفعله مع شقيقتها، أن تعلمها معرفة خالقها بالحب، تلك نصيحة بنفسج أن الله يُعرف بالحب لا بالكُره ويعبد بالعلم لا بالجهل.

أجفلت من أفكارها على صوتها يوجه لها الحديث

_ كنت أريد سؤالك عن حصتك في المجموعة، لقد جهزوا لك
مكتبا بالقرب من مكثبي.

أومأت بيلسان سلبا، ترد بعبوس طفولي حيث تكومت
ملامحها حتى أضحي وجهها صغيرا جدا

_ أنا لا أفقه شيئا بذلك المجال، لم أدرس أعمالا أو تسييرا، كل
عالمي يقتصر على الحلوى والطبخ.

تناولت كأس الماء وارتشفت منه على مهل ثم قالت

_ إن أردت؟ يمكنني إدارة حصتك بعد أن توقعي على توكيل
يسمح لي بذلك.

ابتسمت بسرور، تهز رأسها مجيبة بتأكيد

_ طبعا أنا موافقة... شكرا لك.

عادت إليها نفس حيرتها تخبرها مستغربة موقفها

_ هكذا دون نقاش؟ ألهذه الدرجة تثقين بي؟ ألا تخشين أن

أخدعك وأسرقتك وأستولي على نصيبك؟

اتسعت بسمة بيلسان تجيبها بحنو

_ طبعا أثق بك، فأنت توءمي ومهما اختلفنا أشعر بك.

فتحت أورها فمها بدهشة بينما بيلسان تأخذ الصينية وهي تضيف

قبل أن تنصرف

ـ رجلي الصغير؟ هلا ذهبت إلى ملحق الشباب وبقيت معهم

إلى أن أرسل إليك؟

هز الصغير رأسه بفخر تزهو به ملامحه كلما نادته برجل

وعاملته على أساس ذلك ثم قال

ـ حاضر أمي، إن احتجت لشيء نادي علي.

ضحكت سلوى، تقول بمرح

ـ ابنك هذا لا يشبه الصغار في شيء، بارك الله به، كأنك تخاطبين

شخصا كبيرا وليس طفلا.

ابتسمت بسرور، تجيبها برقة

_الصغار ينشؤون على طريقة التعامل معهم، بعض من الصبر
كل ما يحتاجه الآباء لتقويم سلوك أولادهم وأنا أحمد الله
وأشكره كل يوم على نعمه الكثيرة التي ما توقعت أن يرزقني
بها يوماً... لكن.....

بسّطت كفيها إلى السماء، تردف بملامح متأثرة

_لا يأس ولا قنوط مع الله.

أومات سلوى بتأكيد متأثرة هي الأخرى بينما تبسط يدها لتأخذ
كأس الشاي ترتشف منه القليل، ثم قالت

_الحمد لله على كل شيء.

استرسلت جليلة في حديثها لهدف في نفسها بينما ترمقها بترقب
لأثر الكلمات عليها

_ فنحن البشر لا نقدر نعم الله إلا حين نحرم منها ونراها بأيدي
غيرنا، بعدها نتحسر ونبكي ندما.

عقدت سلوى جبينها بريبة بينما جليلة تكمل بجدية اقتحمت
نبرتها رغما عنها

_ خصوصا حين يبعث الله لنا تلك النعمة كرما منه ثم ندوسها
بأرجلنا بدل أن نتقبلها بسرور ونسجد لله حمدا وشكرا عليها
ليحفظها علينا ولا تزول.

حطت سلوى بكأسها على المائدة، تسألها بفضول بلغ مداه

_عمتي؟ ماذا تعنين؟

عبست بطريقتها الخاصة، تلك التي تظهرها سمحة حتى في غضبها أو عبوسها، فسبحان من يهب القبول لعباده حتى في انفعالاتهم التي من المفروض أن تُخرج أسوأ ما فيهم

_لماذا رفضت الزواج بنوفل من نفسك دون الرجوع لأهلك؟

شهقت سلوى تتفض واقفة بصدمة تحولت لحنق، فتابعت جليلة بخفوت حين أدركت منحى أفكارها

_سمعه خيرت صدفة تلك الليلة في المستشفى يخبر شقيقه وهما يظنان بأن الجميع قد غادروا، فزوجي كان مسافرا يومها وعاد متأخرا، وهما لا يعلمان بأنه سمع حديثهما.

انظفاً غضبها يترك خلفه الجزع في مقلتيها خوفاً من أن يصل
 الخبر إلى والدها، فينتهي مشوارها الدراسي والعملي على حد
 سواء، والجميع سيسانده، فهي تعتبر خائنة لثقة والدها والحرية
 التي منحها إياها.

تنهدت بحزن ترمي بثقلها على الكرسي بينما تتحاشى النظر
 إلى عمته المترقبة لها بتركيز تردف بلين ورأفة
 _لماذا يا سلوى؟ ما كنت لأتوقع تلك الجرأة منك، تتجاوزين
 أخي وأنت تعلمين جيداً موقفه تجاه مسؤوليتك، فحبه لكن
 يفوق كل الحدود.

قاطعتها تقول بانزعاج عابس

_تماما! إنه خوفه علينا، ما زلت أذكر قراره بزواج فاتن، وافق حتى دون الرجوع إليها وكان سيجبرها لولا....

رفعت جليلة حاجبها الأيسر بامتعاض، فصمتت سلوى على مفضل تصغي لرد عمته الساخر

_حقا يا سلوى! ستتحدث عن زوج فاتن؟ ذاك الرجل الصالح الذي يكن لشقيقتك حبا كبيرا، بل عشقا لا يخفيه، ابن تلك الحماية التي لا تتكرر كثيرا في مجتمعنا؟

زفرت سلوى بياس وجليلة ترفع كفها، تعدد على أصابعها

_أنهت تعليمها الجامعي وأنجبت ببارك الله لها ثلاثة أبناء، لا يتحمل تعب رعايتهم سوى حماتها بينما زوجها يتسلى معها،

مرة يعينها مديرة مكتبه ومرة أخرى كاتبته، هذا حين لا يأخذها
متحججا بروتين العمل في رحلة من رحلاته، غير الماجستير
الذي تدرسه حاليا.

اقتربت منها تسند دقنها على قبضة يدها، تكمل وهي ترمش
بجفنيها مستفزة إياها بمرح

والله لو أن الآباء يختارون أزواجا لبناتهم مثل طه، لقعدت
الفتيات عند أرجل آباءهن تذلا.

لم تقدر على كتم ابتسامتها، فتصنعت الحنق بينما تعقب
بعصبية: أنا لم أقصد عمتي، طه إنسان جيد لكن تصوري لو
كان متعجرفا وحرم شقيقتي حقوقها.

هزت رأسها بأسف ترد عليها

_من تخدعين يا سلوى؟ لو كان طه كما تقولين، ما كان أخي

ليثق به ويستأمنه على إحدى حبيباته والآخر مثله مهما أنكرت.

_لا!

نطقها بضيق، تستطرد

_نوفل سيحرمني من عملي أو على الأقل يفرض علي نوع

قضايا معينة.

شبكت جليلة يديها وقالت بصراحة، تواجهها بما يدور في

خلدها

_ أنت تعترفين بأنه لن يحرملك من العمل، فقط سيحدد لك ما
يبعدك عن الأذى والجميع سيقف معه لأنه محق.

همت بالتحدث لكن جليلة لم تسمح لها تردف بجدية

_ أنت تُعرضين نفسك للخطر ولا أحد يحبك بصدق سيقبل
بذلك، لا أحد! لكن، أتعلمين ما سيجعلك حقا تندمين؟

تجمدت كأنها تعلم ما ستسمعه

_ نوفل رجل صالح، دمث الأخلاق، ملتزم والأهم يحبك
بصدق وأنت تحبينه.

زمت سلوى شفيتها بحرج وجليلة تتجاهلها مسترسلة حديثها

_تركيبة نادرا ما تحدث، وأنت رفضتها بكل سفه، هل تعلمين
ماذا يعني هذا؟

ما تزال جامدة وعمتها تكمل بعتاب

_فساد في الأرض حبيبتى، أم أنك نسيت قوله عليه الصلاة
والسلام، " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا
تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (رواه الترمذي
وغیره)، الكمال لله وحده لذا وجب علينا البحث عن صلاح
الدين والخلق حتى إن غاب عامل الحب أو المال، الحب
سيأتي مع العشرة الحسنة والمودة والمال من الرزق، لكن حين
يحدث بنعمة من الله ويجتمع مع الحب وكذلك المال؟

حركت رأسها بأسف ورفض تكمل

_فساد كبير، وسيكون العقاب أكبر يا سلوى... أكبر!

عضت شفتها السفلى بحيرة كبيرة كأن فوضى أفكارها لا تكفي
لتواجهها عمتها بها

لمست يدها بحنو، تقول برقة لم تخلو من التحذير

_فكري جيدا صغيرتي، وأنت تفكرين لا تنسي والدك، صحيح

أن نوفل كان واضحا وهو يصرح مرات عدة بأنه يريد الزواج

منك أمامنا وأمام أخي، فأضحيتما بحكم المخطوبين، لكن

بسببك لا شيء رسمي لحد الآن، فمن الأفضل أن يعلم والدك

منك طلبه الرسمي ورفضك لا من غيرك وشيء أخير! احذري

نوفل! هناك مستوى إذا تعديته ستنبشين جرحا قديما قد ينسيه

إياك في لحظة، احذري!

تضاعفت حيرة سلوى من عبارة ألقته عليها بنفسج من قبل،
تساءل عن الذي تقصدانه بقولهما.

منزل السيدة حليلة

_سمرا، إلى أين؟

التفت إلى والدتها، ترد عليها بتردد

_أخبرني صديقتي عن برنامج وأريد مشاهدته، سيبدأ الآن ولن
يطول، فقط نصف ساعة.

هزت رأسها رفضاً، تجيبها بحزم تتصف بها نبرة صوتها الهادئة

_أحضري كتبك وتعالى جوارنا لتذاكري، فلا شيء سيسندك في
هذه الحياة سوى شهادتك وعملك، وهذان الاثنان لا تظفرين
بهما سوى بمجهود يلتهم جل وقتك بنهم.

أمالت رأسها، تجيب بحزن

_لكن... ماما!

قاطعتها بقولها قبل أن تعود بأنظارها إلى أوراق الحسابات
أمامها

_انظري إلى شقيقتك، لا وقت لديها، لا لتلفاز ولا لأي أمر
يلهيها عن مستقبلها... اقتدي بها، فهي خير قدوة لك
وللفتيات.

انصرفت سمرا بغضب أصبح يحرق أحشاءها، غضب لم يعد
 يخفى عن لبنى التي رفعت وجهها عن الملفات أمامها تراقب
 الوضع بامتعاض، تفكر بأن سمرا لن تستطيع تحمل الوضع
 الصارم الذي اتخذته والدتها طريقة لمواجهة الحياة منذ!

أوقفت تدفق أفكارها قبل أن تجمع إلى الذكرى البغيضة،
 لتجمع إلى أخرى قريبة، تتمثل في رجل شامخ ذو هيبة وسلطة،
 تشعر الواحد بالأمان والحب، الحب؟ دق قلبها للمرة الثانية
 من فرط التوتر، وصدحت نبرة محذرة وسط رأسها (ماذا
 تفعل؟ هل جُنت؟ حب؟ ماذا بها؟ لماذا هو تحديدا؟ لطالما
 كان عملها مع رجال في سنه وأصغر منه.... لماذا هو؟ وهل
 فعلا هو الحب؟ وماذا يديرها هي بالحب؟)

_لبنى؟

أخذت نفسا وهي ترمق والدتها بتساؤل، فأكملت بحيرة

_كنت ساهمة، ما بك؟ ولماذا وجنتيك محمرتين؟

لمست وجنتيها بتوتر لتشعر بسخونتهما، والتفتت إلى شقيقتها

التي تحدق بها بريية هي الأخرى، فتداركت نفسها تعلل قبل

أن تعود إلى عملها

_إنه التعب والحر.

تقبلتا ردها مستغربتين، فقد حل الخريف منذ مدة وبرد الشتاء

القارص على الأبواب!

شقة سامي

فتحت الباب تدخل على عجل بينما تتلفت وتتأكد من عدم دخوله قبلها، لتتوجه رأسا إلى غرفتها حيث غيرت ملابسها بسرعة ثم إلى المطبخ تخرج ما أحضرته معها من طعام خارجي من علبه إلى القدور على النار كي تفوح الرائحة الذكية في الأجواء، تخلصت من الأكياس والعلب تخفيها جيدا لتدعي الطبخ ثم تنفست بهدوء، تضحك بلوؤم قبل أن تسترجع بشاعة ملامحها التي تظن بأنها تفارقها حين تشاء وخطت إلى غرفة الجلوس حيث لمحت حماتها على كرسيها المتحرك، مطت شفيتها تسألها بامتعاض تغضنت له ملامحها الفاتنة ظاهريا

— ألم يأتي ابنك بعد؟

رفعت رأسها مجفلة من أفكارها المريرة، لتنظر إليها بريبة

تساءل : -متى أتيت؟

مالت على دفة الباب بكوعها، ترد عليها كاذبة بوقاحة

_منذ زمن ... ألم تشمي رائحة الطعام.

ثم تبرمت بشفتيها، مستطردة بتهكم

_مسكينة، أنت كبرت وخرّفت، لا تشعرين حتى بالوقت ومن

حولك.

أطرقت برأسها تغيم بحزن وهم، مكتفية بالصمت كالعادة في

نفس اللحظة التي فتح فيها الباب ليدخل سامي، يعلق المفاتيح

بمكانها، فتستقبله سحر بحرارة يعلم جيدا ما خلفها.

_ سامي حبيبي، اشتقت إليك.

ابتسم ببرود، يهز رأسه مستفسرا بهدوء

_ أين أمي والصغير؟

أخفت احباطها بإتقان، تخبره بدلال متأبطة ذراعه

_ أمي في غرفة المعيشة ومنير نائم.

ضم حاجبيه بحيرة وقد بلغ جوار والدته وانحنى يقبل رأسها

ثم عقب باستغراب

_ كأنه أصبح كثير النوم مؤخرًا؟

توترت قليلا لكنها تماكنت نفسها، تتصنع الملل بينما تنسج

خيوط الكذب دون خجل

_ لقد أتعبني كثيرا اليوم، لاعتبه حتى انقطعت أنفاسي، لذا تركته
ينام.

هز رأسه تفهما ثم خاطب والدته بحنو

_ كيف حالك أمي؟

ضمت كفيه بحنان تطمئنه

_ الحمد لله أنا بخير.

تأمل تعبها بقلق لمحته الأخرى فهتفت تقطع عليه تركيزه على

حال والدته

_ اغسل يديك حبيبي، سأجهز الطاولة وأوقظ منير.

قصر القناص

_ كفى! أعتقني لوجه الله يا صهيب.

نطقها نزار بتهكم مرح بعد ساعة من حديث صهيب المتحمس
عن الثانوية، فتصنع الأخير العبوس بينما يرميه بوسادته

_ أنت من طلب مني التفاصيل، فلا تشتكي.

قام عن مكانه متلمسا الطريق إليه، فقابله في نصف المسافة
يمسك بيده

_ اعطني بنفسك، إياك والانجراف خلف المنكرات، كن ذكيا
وساعد من استطعت لكن بحذر.

رافقه إلى الباب ليلحقا بوجبة العشاء، ينصت إلى من ينظر إليه
كقدوة بتركيز.

أما خارجا فتأكد نضال مع محمد من استقرار الحراس ثم دخل
إلى المنزل حيث قابله وجه ابن عمته الضاحك بمكر، يخاطبه

ـ أرى أنك ستعود للسكن هنا يا ابن الخال!

ابتسم بطريقته الخاصة حين يرفع جانب فمه لتبرز حفرة تكاد
تلمح جانب ثغره مصاحبة لنظرة ماكرة تشعل لون القهوة في
مقلتيه، مكملا على هيئته المهندمة بأناقة طوال الوقت، فيتسم
بوسامة لا يستهان بها تخلف صرعى كثر في هوى شخصيته
المتعجرفة الجذابة كالضوء الساطع الجاذب للفراشات وقلة

ممن قابلنه كتب لهن النجاة من نار وهجه، وتلك التي تنظر إليه
بهيام الآن لم تكن محظوظة كفاية لتنجو من زيف هالته
_ عفوا... نضال!

استدارا إلى الواقفة بتوترٍ واضح لم يخفي تلك النظرة الولهة
والموجهة لنضال، فمال رضوان عليه، يهمس له بنفس مكره
قبل أن يتعد عنهما

_ لا أعرف كيف تفعل ذلك يا وسيم.

هز رأسه إشارة لها لتقترب، محتفظا بتلك الابتسامة أمام
المسكينة التي لا تملك سوى التحديق بقلب يدوي في صدرها،

تغيبها الفتنة الطاغية فتسى نفسها وتنحرف خلف هوى النفس

رغم لومها لنفسها كلما بعدت عن مجال فتنة نضال

_كيف حالك جنتي؟ هل أعجبك المنزل؟

خاطبها بتسلية لم تفهمها، تبسم بينما تهمس بارتباك

_إنه رائع... لكن كبير جدا ومخيف.

تأملها يقرر بأنها حقا بريئة يغيبها الانبهار، ويجب أن تخاف من

منزلهم ومن يقطن في منزلهم.

لا يعلم لماذا يعجبه إعجابها به؟ فغيرها الكثيرات لم يكن

يمررن فرصة دون أن يعبرن له عن إعجابهن، بل حبهن لكنه

سريعا ما كان يلاحظ عين الطمع بما يملكه، إما المكانة أو

المال أو الوسامة المهداة فوق كل ما سبق ذكره، أما هذه قبالتة
 فمعجبة به هو، تلك النظرة المنبهرة من عينيها برموش كثيفة
 كأنه الرجل الوحيد على ظهر هذه البسيطة، كأنه منبع النور
 لتلك المقلتين اللتين تشعان في حضوره مع الحمرة المتوهجة
 على خديها الأسمرين، إنها بسيطة، بسيطة جدا.

_جنااات!

قبل دقيقة

_السلام عليكم.

استدارا إلى الباسمة بسماحة وردا عليها التحية، فلاحظ صهيب
 توتر نزار من تشنج أصابعه الطفيف، لبيتسم بحبور، يستشف

بدايةً لأمر سيسعده جدا لو تم كما يتمنى، فابن عمه من أحب
الناس إلى قلبه ويتمنى بل يتضرع لخالقه أن يعوضه سنوات
عذابه وحرمانه.

شد على يده، يخاطب بيلسان بمرح ظهر بوضوح على نبرته

_كيف حالك يا زهرة البيلسان... هل تعودت على المنزل؟

ابتسما كلاهما وبيلسان تستشعر طيبة قلب الفتى، فاقتربت
منهما ترد بنفس بشاشته

_المكان ليس مهما بقدر ما يهم أصحابه.

ضحك صهيب يقول للصامت المبتهج جواره

_لقد وجدت نذك يا رجل.

اتسعت بسمه نزار بينما بيلسان تضم حاجبيها تساؤلا، فأردف

صهيب مفسرا

_ لا أحد هنا يتحدث مثلكِ سواه.

استحت بيلسان، فهزت رأسها بلا معنى ليتدخل نزار يعاتب

صهيب

_ أخجلتها يا فتى.

رفعت رأسها إليه بدهشة، فقال صهيب ضاحكا

_ لا تتفاجئي! إنه يرى بأحاسيسه ما لا يراه المبصر.

سحبه نزار يدعي الحنق، فرافقتهما إلى الطابق السفلي، حيث

لمحت صديقتها الحمقاء، ترمي المتعجرف بنظرات ولهة وهو

مستمع يتأملها بوقاحة، فلم تشعر بنفسها متى هتفت بصياح

عصبي

_جناااات!

أجفل الجميع حتى الخدم الذين صادف وجودهم هناك

يجهزون مائدة العشاء، فانتفضت جنات تهرول نحوها تتمم

بحرج

_ب.... بيلسان! أنا....

استشاط صدرها غضبا تفكر بما عليها فعله لتقنعها بخطئها؟

بأنه يتسلى بها؟! ضغطت على شفيتها بقوة، ترمي الآخر

بنظرات كالسهام تلقاها بابتسامة لم تتخل عن مزاج التسلية

_من تظنين نفسك كي تصرخي هكذا؟ وماذا أنتظر من ابنة
مجرم مريض!

_قائمة!

أجفلت أور من صيحة خالتها وهي نازلة من على الدرج حانقة
من اختفاء أسد الذي تبحت عنه طوال اليوم، وقد همت
بالصياح بحقد جارف لكن من حظها السيئ أن السيدة فريدة
الحاضرة برفقة ابنها سبقتها تصيح هادرة خصوصا عند ذكر
المجرم الذي دمر حياة توءمها.

تدخل نضال معقبا بلؤم يقصد قائمة حين لمح عمه فؤاد ينضم
إليهم

_أنا لا أعلم لماذا تذكرين المجرم كل حين؟ وأنت كنت من
الموافقين على الزيجة حينها.

تنفست بقوة بينما تريح احدى كفيها على بطنها المسطحة
والأخرى تمسك بها جانب خصرها النحيف تحت بدلة نسائية
سوداء، تتنأ بتمة حديثه اللئيم

_حين كنتِ زوجة أبي.

جحظت عيني بيلسان وجنات أما أوركيدا فلم تكن متفاجئة
وقد استساغت اللعبة تعقب بغل غلفته بابتسامة لعوب

_أعذرها يا نضال... فقد أصابتها لعنة رجال القناصر، فلم
تكتفِ بواحد.

استداروا إليها والدهشة تشمل وجوههم أجمعين حتى نضال،
فهتفت قائمة بنزق تسر رجفة خوف عبرت جوفها من نظرات
أوركيدا، تتخيل ما تحمله في جعبتها

_ كيف تجرؤين؟

قاطعتها بحدة باردة أعلمتهم بأنها بالفعل ابنتهم كما أنها لا
تنوي خيرا بهم

_ حين تتعلمين الاحترام ستجدينه، أم أنك ظننت بأنني سأقبل
الإهانة منك مثل بيلسان؟

اتسعت مقلتا قائمة بينما الباقي يراقب بدهشة لم تخلُ من
الجمود تقدّم أوركيدا من المائدة بشهية مفتوحة، تستطرد
بتهمك

_فأنا بالفعل سلية المجرم وسليّة القناص!

الفصل العاشر

{ابن آدم، تَسْتَحِلُّ المحارم، وتأتي الجرائم، وتركب العظائم،
وتتمنى على الله الأمانى! ستعلم - أي فاجر - حين لا ينفع مال
ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم..... الحسن البصري }

بيت سمير و شاهي

_حببتي ما بك؟

شملتهم بنظرة تائهة للحظة قبل أن تتنبه لوجوه أفراد أسرتها،

فاستطردت شاهي بقلق تربت على خدها

_هل أنت بخير؟ ... لا تقلقي، سنجد الفتاة.

مع أن ذلك الموضوع لم يكن ما يشغلها في تلك اللحظة على الأقل لكن الوجوم هجم عليها، ترد بخوف
 إنها الثالثة ماما.

نظرت شاهي إلى زوجها باستجداء وقد أظلمت رماديته،
 يهدئ من روعها رغم عدم اطمئنانه شخصيا لما يحدث
 الشرطة تعمل على إيجادهن، لذلك أخاف عليك يا ابنتي، لا
 أريد أن يمسك سوء.

هزت والدتها رأسها بلهفة مؤكدة، فردت أمل بتهكم
 أرجوك بابا لا تخفها! أنا أعلم عن السيارة المترصدة لي أينما
 ذهبت.

ابتسم بدوره و شاهي تتهرب بعينها، فأردفت بنفس سخريتها

يشوبها بعض المرح

ـ كنت متأكدة بأنك على علم.

تدخلت الصغيرة بعد أن وضعت كأس الحليب على الطاولة

المربعة بالمطبخ، تقول بتساؤل بريء

ـ إلى أين يذهبن تلك الفتيات بابا؟

عاد الوجوم يظلل عليهم بغمامته الداكنة، فاقترب من ابنته

يجيبها برقة بعد أن شمل زوجته وأمل بنظرة محذرة

ـ يرحلن إلى مكان لا نعلمه لكنهن سيعدن إن شاء الله.

ضمت الصغيرة حاجبها بجهل تسأل من جديد

_لماذا؟ ما به المكان الذي يرحلن إليه؟

بلع ريقه يفكر في ما سيقوله وأمل مع شاهي ترمقانه بإشفاق
وتوجس يُعلمه بمدى خوفهما من بشاعة بعض النفوس
فتنظران إليه كالبطل حاميهن وأمانهن.

بسط يديه ليسحب صغيرته فوق رجليه، يقبلها على وجنتها
بحنان يخبرها كما يخبر شاهي وأمل

_نحن نتحقق من ذلك المكان ... إن كان آمنًا لهن نتركهن إليه
وإن لم يكن جيدًا نعيدهن إلى الدار ونحميهن، ألا تثقين بابابا؟
حركت الطفلة رأسها مرات عدة، فضمها يرمق أمل وشاهي
بحنان، يقول بحزم

_ سأظل أحميكن بحياتي إلى آخر نفس بصدري.

غامت عيناها بالدموع، فقامت قبل أن تطلق سراحها كوالدتها
ثم استأذنت تفر إلى غرفتها، هنالك أخذت أنفاسا عدة لتمالك
دموعها ثم اختفت في الحمام الملحق لغرفتها حيث توضأت
وعادت بعد برهة تتمم بالدعاء بعد الوضوء

_ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ... اللهم اجعلني
من التوابين والمتطهرين.

ارتدت الاسدال ثم كبرت لتطلق العنان أخيرا لدموعها، تحمد
ربها و تشكره على نعمة الأهل التي حرم منها الكثير وهي
أعرف بمرارة الوضع، تستجير بربها من أن تفقد تلك النعمة،
أعظم مخاوفها.

استلقت على سريرها بعد أن فرغت من صلاتها، تفكر ببحثها
 عن المتشردين في الشوارع لتدلهم على مأوى يؤمن لهم بفضل
 الله اللقمة والعيش الكريم لكن بشاعة النفوس تحول بينهم
 وكمال مجهوداتهم، فأصبح يؤرقها اختفاء الفتيات والأخيرة
 تعرفها جيدا، بل أفراد الدار جميعهم يعرفونها، صاحبة مأساة
 وفاة أهلها بسبب داء السيدا، شابة في مقتبل العمر تخرجت
 لتوها.

تنهدت أمل بحزن ليهرب فكرها إلى الأستاذ الجديد وسبحان
 مغير الأحوال، ارتسمت بسمة خفيفة على شفيتها الزهريتين،
 تهمس لنفسها
 _لم يتذكرني.

حلقت في سماء ذكراها، تقاسيم وجهه التي نضجت ليتحول
إلى رجل بدل الفتى صاحب الخصلات البنية المموجة
الطويلة، حنقها على الشعر الذي قصه ما جعلها ترميه بكلمة
أسفها قبل أن تختفي من أمامه، تاركة إياه بوجه مدهوش.

رن هاتفها دلالة على وصول رسالة، قرأتها فعبست من جديد،

تهمس بحزن

_ أين أنت يا سعيدة؟

* فيلا ديدو *

_ ديدو! ما هذه الأناقة؟ لا تخبرني بأنك مشغول الليلة؟

قلب شفثيه بعوج، يجيبها بميوعة

_ لولا! اذهبي وقومي بعملك وابتعدي عني.... أو اسمعي؟

وقفت أمامه تتخصر متسائلة، فتاة رشيقة ككل الفتيات في تلك

الفيلا، فهم ينتقونهن بعناية، ومنهن من أتين إليهم بأرجلهن

وأخريات رمتن نفس بشاعة ديدو وشبكته والباقي أحكم

عليهن طوق الفخ، فلم يجدن منه مخرجا بعد

_ ماذا؟

ضاقت مقلته بلون أخضر مائل للرمادي يسألها

_ كيف هن الفتيات الجدد؟

كسا السخط محياها تلوح بكفها

_ واحدة منهم ستفقدني عقلي، أظن بأنها تتحين الفرص للهرب،

لذا هي ليست مستعدة بعد.

زم شفتيه بوجوم يشرد بنظراته

_ لا يجب أن أخسرها هي الأخرى، تكفي القمر وصدقتها.

اقتربت منه، تستفسر بريبة

_ من تقصد؟

أجفل كإمعة ضعيفة، فهتف بامتعاض

_ليس من شأنك، اعطني بها، إذا أصابها خدش سأرميك
 للكلاب خارجا، فهم يتحرقون لليلة ماجنة ويتوسلون إلي
 يوميا، فلا تدعي غضبي يحل عليك، هيا إلي أشغالك!

انصرفت بخوف، تهرول تجاه الغرفة التي تجمعها بنرمين،
 فتحت الباب بقوة تهتف حين لمحتها مستلقية على السرير.

_نرمين .. نرمين!

انتفضت الأخرى جالسة على السرير ترد بسخط

_ماذا هناك؟ لقد أفزعني!

ارتمت على السرير بجانبها، تهمس بحرص

_جئتكَ بخبر لن تصدقيه، علمته من ذاك الفتى في مكتب
التوظيف وتأكدت منه حتى ديدو غاضب يكلم نفسه من الغيظ.

قطبت نرمين، تتساءل بريية

_ما هو هذا الخبر المهم الذي جعل ديدو يحدث نفسه؟

_صديقتاك المستأجرتان ببناية ديدو، صيده الثمين طار في الهواء
و تلاشى.

أردفت حين عبست نرمين بنفاد صبر

_علمت بأن جنات تركت العمل لدى نضال القناص والأهم
أنهن رحلتا من سكنهن.

فتحت نرمين فمها دهشة، تردد بلا وعي

_رحلتا؟ إلى أين؟

وعدت من دهشتها على ردها

_لا أعلم، لماذا لا تسألينهما؟ أليستا صديقتاك؟

بللت شفيتها تفكر والأخرى تهز رأسها بلهفة، فسحبت الأولى

هاتفها وطلبت صديقتها

_ألو... جنات؟

في نفس الوقت، منزل القناص.

اتخذ كل واحد منهم مكانه حول المائدة الكبيرة بصمت وأور
تأكل بتلذذ متعمد بينما ترمي قائمة بنظرات مغيظة، فتميز
الأخيرة غيظا وسخطا دون قدرة على الرد، فمال صهيب على
نزار يهمس له

ـ وجدت أمي ندا لها هي الأخرى، أخبرتك سالفا سنعيش أياما
فل وياسمين.

ابتسم نزار بحبور وسرور، متنعم برائحة المسك تحمل إليه
ملمسا الدفء يداعب جنبات قلبه المكلوم، فيلسان ارتأت
الجلوس بعيدا عن محيط قائمة، فكان حظها قرب نزار الذي

اهتز قلبه حين شعر بها تضع له شيئاً ما على طبقه تخبره بأدب
سعد له الحضور باستثناء نضال، الجاهل لسبب ضيقه الداخلي
وقائمة الساخطة دوما وأور التي لا تريد لها الانسجام مع
أحدهم فيخدعها مستغلاً سذاجتها وضعفها من وجهة نظرها.

_جرب هذه، ستعجبك.

مد يده، ليتفقد ما وضعت له فأخطأ مكان الطبق، فحركت يدها
بسرعه تمسك كفه ليسرى دفء حنانها بعروقه وتتصلب سائر
أطرافه، التقطت طرف الدجاج المشوي بإبهامها وسبابتها
وناولتها له بين اصبعيه، فرفعها إلى فمه بآلية وفكره يحلق عبر
سماء لم يزرها يوماً حتى حين ظن أنه فعل، غافلاً عن شعورها
بالذنب تستغفر داخليا بعد أن اضطرت للمس كفه حتى تناوله

قطعة الدجاج تفكر بحيرة بين شعورها بالرأفة نحوه وحدودها
التي يجب عليها توقيرها.

وأمامهما مباشرة نزاع داخلي قائم إلى أقصى حدوده (ماذا به؟
لماذا يهمله ما تقوم به؟ إنها طيبة لن تؤدي توءمه، ثم هو بحاجة
لبعض التسلية وهي غنية مثله لن تطمع بما يملكه، أساسا هي
غنية بلهاء لن تطمع بماله، ومن الأفضل أن تضيف إلى حياة
شقيقه المملة بعضا من التشويق، يبدو وجهه مشعا بالنور
والبهجة والحياة، إن كان يوما واحد معها غير بؤس شقيقه،
فماذا ستفعله في أسبوع وشهر؟)

ترك نضال الملعقة بحدة أجفلت الجميع، رافعين رؤوسهم من
على أطباقهم، فسأل بضجر مزعوم

ـ أين عمي تهامي وابنته؟

انتبهت أور بكل حواسها وقد سبق ولاحظت غيابه، فأجاب
رضوان بسخرية

ـ يبدو أنك غبت عن البيت كثيرا يا نضال، خالي العزيز وابنته
المصون، قليلا ما يحضران وجبة العشاء.

اشتغل عقل أوركيدا في نفس اللحظة التي رنَ بها هاتف جنات
التي التفت إليها بيلسان متسائلة، فأرتها الشاشة لتنظر إليها
بريبة حينها تدخلت أور وقد وجدت مخرجا جيدا لتسحب
هي الأخرى

ـ جنات ردي على هاتفك إن كان مهما.

ضغطت على زر الإجابة وقامت تنسحب مستغربة من تدخل

أور الهادئ، فتابعت الأخيرة منسحبة

_أنا شبعت ... سأذهب للنوم.

رمقها نضال بحيرة مريبة لكن منظر شقيقه المبتسم ببلاهة

والأخرى جواره تمده بالطعام برقة آسرة ألصقه بكرسيه دون

حراك، لا يعلم إن كان ما يزعجه أكثر خوفه على شقيقه أو ...

لا يعلم!

تسللت خارجة دون أن يلمحها أحد وحين لمحت طيفه في

ظلمة ركن من الحديقة همست لتلفت انتباهه

_بسس ... بسس!

هروول إليها ما إن أته رسالتها المريرة، فوقف في ركن ما في
الحديقة لا يعلم أين هي بالضبط؟ ليتفاجأ بسبسة هامسة أدار
رأسه إلى مصدرها فكم ضحكة لو كان أطلقها لجلجلت
المكان بأسره، فتاة تناديه خلسة و ب.. بسبسة.

تقدم أسد نحوها بخطوات واسعة أوصلته إليها في لحظة،
يسألها بحزم استجمع كل ذرة تعقل يملكها ليحافظ عليه

_ماذا!

_شششش!

رفع حاجبيه صدمة حين سحبته من ذراعيه إلى زاوية خفية،
للحظة أخذ بصدمته ليعي على نفسه وتربيته، فنفضها بقوة

أجفلتها وجعلتها تنظر إليه مقطبة بحيرة وهو يهتف بحنق
خافت

_ماذا تفعلين؟ لا تلمسيني أبدا!

فكرت لبرهة قبل أن تشخص عيناها بدهشة، تخفي بها خزيها،
تهتف بنفس خفوته

_أنت من كان سيفضحنا يا ضابط ثم أنا لم ألمسك بتلك
الطريقة، لقد سحبتك من فوق قماش سميك، فلا تشطح
بعقلك بعيدا، مجتمع معقدا!

اشتد غضبه كما لم يألف، فهو الشبح البارد المعروف بسكونه
كأنه خفي، يخاطبها من بين أسنانه.

_ لماذا طلبتني؟

قلبت ملامحها بامتعاض ترد عليه

_ المجرم غائب عن المنزل.

ضغط على شفثيه بعدم فهم، يجيبها بآلية

_ طبعا هو ليس هنا، فهو معتاد على السهر في إحدى ملاهيه

الليلية التي يظن بأن لا أحد يعلم عن كونه شريكا أساسيا

بملكيتها.

لمعت مقلتاها بحماس تقول

_ سأستغل غيابه وأفتش جناحه.

دهش ينهرها بخفوت

_هل جنت؟ قد تكشفين نفسك، وتعرضين العملية بأكملها

للخطر

هزت كتفيها باستخفاف، تعقب.

_لن أترك أثر.

همت بالمشي فمد يده ليوقفها لكنه تراجع وأسرع ليقف

أمامها، يخاطبها بعصبية

_لن تفعلي شيئاً وستأوين لغرفتك حالاً!

رفعت حاجبها، تزم شفيتها ليركز بمقلتيه عليهما قبل أن

يستغفر سرا يزداد حنقه، فقالت تصر على كل حرف بعناد

_أنا سأدخل جناحه ما إن تخف الحركة بالمنزل.

ثم تحركت من قربيه، تضيف بشقاوة وهي تبتعد

_ كل ما عليك فعله هو تأمين الحماية لي.

راقب انصرافها بجمود ثم همس بحنق

_ إنها فعلا متهورة حمقاء!

عاد إلى زيد الذي تبعه، تاركا مسافة معقولة بينهما

_ أمّن البوابة يا زيد وحين تلمح الهدف ابعث لي بإشارة.

قطب زيد متوجسا بريية

_ ألم تقرر مغادرتنا عند انتصاف الليل؟

أوماً بإيجاب يجيبه بجمود

هناك مستجدات ... سأنسق مع محمد، وأنت أخبر الحرس على الباب بأنه طلبني، ثم ابقى معهم وفي خضم الحوار اذكر بأن الفتاة في عهدتك طلبت منك البقاء لاحتمال خروجها، سيصدقون لأن أغلب أفراد المنزل متعودون على السهر خارجا.

هز رأسه دون أسئلة أخرى وانسحب بعد أن حذره أسد

ركز ولا تغفل! ... ما إن تلمح الهدف أرسل الإشارة بسرعة.

انسحب زيد بثبات لينجز مهمته لكن نبرة صوت أنثوية لفت انتباهه فبحث عن مصدرها ليتحقق من عدم سماعها حوارهم وزميله، خطوة واحدة حين أزاح أوراق شجرة أمامه اصطدم

بجسد طري أطلقت صاحبه صرخة مكتومة، فأمسكها في آخر لحظة قبل أن تهوي على الأرض.

كانت تحدث نرمين، تشرح لها عن آخر التطورات بينما تمشى بين الأشجار وما إن أنهت المكالمة حتى استدارت لتعود لكن وقبل أن تكمل خطوتها تفاجأت بمن يسد عليها الطريق، فتأوهت بألم اصطدامها بصدره الذي ابتلع صيححتها، رفعت وجهها إليه لتبرق عينيها بلون بني فاتح لامع وسط الرموش الكثيفة تحت أنوار أحد مصابيح الحديقة قبل أن تنتفض وتنسل من بين يديه خوفا من ضخامة هيئته ونظرته الحادة، فابتعد عنها بسرعة حين شعر برجفة جسدها ونظرة الخوف في عينيها الهلعتين.

تلبكت وجزعت تمسد على ثوبها بينما تتفقد المساحة حولهما
تسبح في بحر من الهدوء، فانحنى يلتقط المحمول من على
الأرض بجانبه وبسط يده به يناولها إياه لكنها تجمدت تحديق
بالبهاتف الصغير بين أصابعه، لتجفل حين نطق
_أظن أنه لك.

لأول مرة يكثر لشخص يرى الخوف في عينيه منه، فما عاشه
في صغره أفقده الثقة لمدة طويلة حتى ظن أنه لن يبرأ أبداً،
والتحاقه بمعهد الشرطة وتحقيق أحد أكبر أحلامه وأهمها أعاد
إليه كرامته وإيمانه بالحياة والأمل كل مرة يلمح فيها الخوف
والرهبة في عيني من يقابله، يشعره ذلك بالرضا والفخر والأمان
لكن هذه أمامه لا يريد أن يخاف منه، لماذا؟ لا يعلم ولا يهمه

تحليل الأمر، فما يشعر به الآن كفيل بأن ينسيه أي شيء،
فتحدث ليمحي نظرة الخوف تلك من على صفحة عينيها ولا
تنغص عليه إحساسه الذي لم يعيشه من قبل.

مدت يدها أخيرا بتردد وتلقفته ثم انصرفت دون كلمة، متلافية
الرعشة بما يناقض ضخامة هيئته تسري عبر عروقه لتستقر بقلبه
لكن التدريب والواجب سريعا ما أعادوه على أرض الواقع
ليكمل طريقه إلى هدفه.

ملهي ليلي

_أف! أنا ضجرت.

ألقته دليلة بملامح ساخطة وهي تحط بالكأس بعد أن أنهت

محتواه مرة واحدة، فتدخلت صديقتها تستفسر بفضول

_تلك التي يقولون عنها فنانة هنا، أين ابن عمك؟ ألم يكن

مرافقها مؤخرا؟

تراجعت في مقعدها حين اشرأست عينا دليلة بكره شديد ثم

قالت بغل :- إنه مشغول طبعاً! ألم يجد التوأم أخيراً!

فتح أصدقائها أفواههم بلاهة لا يفهمون قولها، فتجاهلت الأمر

تصيح وبوادر السكر تغشى محياها

_أطربوني باقتراحاتكم، أنا مللت ...أو سأغادر!

تناظروا فيما بينهم بقلق فالبنك المتنقل خاصتهم سينسحب لذا

هتف واحد منهم، يقول بحذر كأنه يفكر في ما سيخبرهم به

_هناك مكان سري لا يعلم به سوى شخصيات مهمة معينة، لم

أذهب إليه لأنني لا أستطيع تحمل الكلفة.

عض شفته بمكر يرمي الأخرى بنظرات ذات معنى، فتدخلت

تقول بعبوس مزعوم

_ولماذا تشوقنا لشيء لا نستطيع تحمل كلفته؟ من أين سنأتي

بالأموال؟ فنحن لسنا من علية القوم ولا أشخاص مهمين.

ابتسموا بنصر حين هتفت دليلة بتكبر وعجرفة بينما تسحب
حقيبة يدها وتستقيم واقفة بتذبذب

_ ما هذا الذي لا نستطيع تحمل كلفته؟ هل نسيتم من أنا؟

قامت صديقتها، ترد بنفس العبوس المزعوم وقد لحق بها البقية
ينهضون بدورهم

_ لكن دليلة، نحن أربعة ولا نقصدك أنت؟

هزت كتفيها استخفافا، تعقب بكبر

_ وإن يكن! هيا لنذهب إلى هذا المكان السري.

تقدمتهم غافلة عن نظراتهم الماكرة لبعضهم، يتسمون بتسلية
وسخرية.

بيت العم سعيد

إذن عمتي الحبيبة تعلم عن فعلتك المجنونة!

ألقها مروءة بشيء من التهكم وهي مستلقية على سريرها تتأمل

ظلمة الغرفة هي وشقيقتها التي أجابت بيأس

نامي مروءة، لا أحد يفهمني.

حل الصمت في الغرفة للحظة قبل أن تنادي شقيقتها بحيرة

سلوى؟

مممم.

تلكات قليلا تفكر ثم أردفت تستفسر

_ ما الذي يجعل امرأة ما تصبر على ضرب زوجها وإهانتة لها
كل يوم؟

تنهدت سلوى بحزن تستحضر أوجاعا ترى بؤسها وتعيشها
مع النساء كل يوم

_ هناك أسباب عدة والتهديد عامل أساسي بها، هناك فتيات لا
أهل لهن يدافعن عنهن أو لهن أهل فعلا لكن لا يرضون
بالطلاق فيصرون عليهن بالصبر وهناك حالات مرضية حيت
ترضى الزوجة بضرب زوجها لها بل وتعتبره زيب الحياة،
وهناك أسباب كثيرة جدا.

اتسم آخر حديثها ببعض السخرية ثم استطردت حين لم تجبها
سوى بهمهمات

_ لماذا تسألين؟

التفت على شقها المقابل لشقيقتها، ترد عليها بامتعاض

_ أحاول أن أجد دافعا مقنعا لأستاذة اللغة العربية تسنيم وهي

تأتينا كل مرتين في الشهر بعين مُزْرَقَّة، السنة الماضية وهذه

السنة أيضا، لو ترين منظرها وهي تدرس بالنظارة الشمسية

الضحمة وتحركها كل مرة بخزي ظاهر على وجهها رغم التهام

النظارة لنصفه، فأسأل نفسي ما الذي قد يجعل فتاة جميلة

وبوظيفة جيدة تعيلها يعني لا تحتاج لمعيل، تصبر على إذلال

الزوج لها.

لفت انتباهها وقد استفزت حس المدافع بها، تسألها باهتمام

_هل يمكنك تزويدها ببطاقتي؟ أو أزورك في الثانوية وتعرفيني

إليها كأنها صدفة!

انتفضت مروة جالسة تهتف بانزعاج وسط الغرفة المظلمة

_أنت لن تفعلي شيئاً ولا تجعليني أندم لأنني أخبرتك، السيدة

واعية ومسؤولة عن قراراتها.

أجابتها سلوى بعبوس مزعوم طغى على نبرة صوتها

_حاضر... حاضر! اللهم أجرنا!

استلقت مروة وحل الصمت من جديد حتى حسبت كل واحدة

منهما أن الأخرى نامت، فنطقت الأولى بهدوء لتبتسم سلوى

بحبور انتهى بالوجوم

يمكنني مدها ببطاقتك إذا سمحت الظروف، مهنتك سامية
لكن يظل قرار رفضك لنوفل متهورا.

الملهى الخاص

غرفة علوية بنافذة ضخمة من البلور الشفاف المحتملة للحائط
المطل على مساحة الملهى كبرج مراقبة، مصمم ومؤثث على
آخر صحيات الموضة كأنك على قطعة أرضية أجنبية لا تمت
للبلد الإسلامى والعربى بصلة، والغرفة عبارة عن مكتب أنيق
من الخشب الإيطالى عليه تماثيل غريبة الشكل كاللوحات
على الجدران الثلاثة الباقية تعود لرسامين اعترف لهم الانحلال

بالشهرة والصيت الذائع. في الزاوية الأخرى أمام المكتب
طاولة زجاجية مستديرة حولها كراسي جلدية رمادية.

دخل النادل بملامح ممتعة أحسن إخفائها يضيف
الحاضرين المحيطين بالطاولة الزجاجية يلعبون الورق، وما إن
حانت منه نظرة نحو ديدو وتهامي المتجاورين استحضر آيات
قوم لوط، فوجد نفسه دون شعور يردد بداخله قول الله عز وجل
: "أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ
الْمُنْكَرَ ۗ" ثم انصرف يدعو الله انتهاء مهمته قريبا تاركا خلفه
تأففات ضجرة تنطلق من الأفواه الآثمة.

وضع كل واحد منهم رهانه بينما يرمق الآخر بلؤم ومكر ينشد
الفوز لنفسه "الفوز والقمار" كلمتان لا تمتان لبعضهما بصلة،
فالحرام لا يصحب سوى الخسارة.

كشفوا أوراقهم أخيرا لتنطلق تنهدات مستنكرة حين ابتسم
بحبور يجمع رهاناتهم يسحبها إليه، هاتفا بسرور

_أظهروا قليلا من الروح الرياضية يا سادة.

تأمله تهامي بمكر مازح، يسأله

_من أين لك بكل هذا الحظ الليلة يا جواد؟

بسط ذراعيه، يتشدد

_ أنت بالذات يا تهامي لا تتحدث عن الحظ، فمن يملك هذا العالم بأسره أكبر محظوظ في العالم.

علت ضحكة الحاضرين بينما تهامي يدعي العبوس قبل أن يشير لديدو بعينه آمرا فيتحرك ليدعوهم إلى الغرفة الخاصة وحين انصرف الجميع توجه إلى المقعد خلف المكتب، يخاطب سهيل

_ ما أخبار مراكز التوزيع يا سهيل؟ هل أوصلتهم الشحنة الأخيرة؟

لم يستدر إليه بينما يرد عليه

_ بلى، مشروب نادر، تم صنعه قبل عشرون سنة.

زم تهامي شفتيه ثم استطرد قائلاً

_ لا أقصد الخمر بل الشحنة المعتادة.

التفت إليه أخيراً، يرد عليه

_ أجل، لكن بصعوبة، هل فكرت في العرض؟

استقام تهامي واقفا ينوي المغادرة وهو يجيبه

_ ما زلت أفكر، لا أعلم حقاً، إنها خطوة جريئة.

عاد سهيل إلى النافذة، يحاول إقناعه بينما يهز كتفيه بخفة

_ لقد برهن على حسن نيته وهو من ساعدنا في آخر عمليتين.

هم تهامي بالخروج لكنه تسمر مكانه حين استدرك سهيل

بهدهوء مريب

من الأفضل أن تأتي إلى هنا وترى هذا المشهد بنفسك.

قبل قليل

دخلوا الملهى بعد أن تبجحت دليلة باسم عائلتها وأموالها ليركوها تدخل بسهولة وترحبا حارا ارتابت له شخصيا أكثر من أصدقائها الذين انبهرت أعينهم من فتنة التصميم الداخلي للملهى، عبروا رواقا على شكل خندق بأضواء خافتة ملونة والموسيقى الصاخبة تصم الأذان وما هي إلا دقائق حتى هلّوا على مساحة واسعة بتصميم لم يلمحوه سوى بأفلام غربية واحتلوا إحدى الطاولات بأفواه مفرغة، فالفتيات الخاصة بالملهى لم يقتصر وجودهن على منصات الزوايا لكنهن منتشرات بالمكان كله مع الشباب أيضا بلباس نُدل مخل لكل

الآداب العامة قبل الخاصة، فوق المنصة الرئيسية وحول منسق
الأسطوانات، في كل الأرجاء.

صاحت صديقتها بانبهار طغى على ألبابهم بغياب بصائرهم
العمياء، لسمع صوتها وسط الضجيج الصاخب
إنه مكان رائع!

لم تلق منهم ردا لأنه وبساطة لا أحد كان يسمعها حتى دليلة
تتفقد المكان بصدمة، تستغرب وجود مكان مشابه في بلدها
فهي لم ترى مثل ذلك المجنون والخلاعة منذ عادوا من البلد
الأجنبي، فاقترب منها أحد اصدقائها، يسألها بمكر يعاملونها
به دون أن تعي

_هلا افتحننا المكان؟

حدقت به لبرهة ثم ابتسمت بتسلية وهي تلتقط أحد الكؤوس الصغيرة على الطاولة، لترتشف محتواه مرة واحدة قبل أن تومئ له مرات عدة، فتوجه صديقها نحو منسق الأسطوانات ليشوش له بشيء في أذنيه، ابتسم له المنسق بتفهم بينما هي تحتل ساحة الرقص المليئة بأناس على غير هدى، لتبدأ وصلة الرقص الشعبي.

تابعها والدها بنظرة غامضة من برج مراقبته، يسأل مساعده ومدير أعماله السوداء

_كيف علمت بالملهى؟ المفروض به للشخصيات المهمة فقط.

ثم التفت إليه ونبرته تزداد شراسة

_خاص!

أسدل سهيل جفنيه قليلا ثم أجابه بهدوء وحذر

_الشائعات تسري بين الشباب.

عاد تهامي بأنظاره إليها، فاستطرد سهيل بحذر لغاية يريد

تحقيقها، شاكرا حظه الذي لعب لصالحه.

_فكر جيدا تهامي، عرض الشرطي مناسب، النسب مقابل

الحماية وهكذا ترتاح من....

قطع عبارته حين حدجه بنظرات مهددة ثم خطأ بعصبية،

ليهدف سهيل بريبة

_هل ستكشف نفسك أمامها؟

توقف دون أن يلتفت إليه ثم رد بحقن قبل أن يغادر

_اتصل به لنتقي بعد ساعة في احدئ حاناتك، أنا ذاهب لديدو.

ابتسم سهيل برضا يسحب الهاتف من جيب سرواله يطلب

رقما ما قبل أن يخاطب صاحبه بود مزعوم تفرضه المصالح

_كيف حال بطلنا؟ سنلتقي بعد ساعة في حانة النجمة، سننتظر

يا ضابط ممتاز صوان.

الفصل الحادي عشر

{وكان يقول: يا عجباً لابن آدم! حافظاه على رأسه، لسانه
قلمهما، وريقه مدادهما، وهو بين ذلك يتكلم بما لا
يعنيه.....الحسن البصري }

ظل نضال مراقبا للوضع طوال العشاء يسر حنقا لا يجد له سببا
محددا بينما بيلسان حين أنهت حديثها مع جنات استأذنت
لتأوي إلى فراشها ولم تكمل خطوتها الأولى حتى تقدمتها
جنات يرافقهما نزار وصهيب مما ضاعف من حنقه، رغم
مرافقة العمة فريدة لهم، لكن تلك البسمات المنبسطة على
ثغورهم تشعل في أحشائه نارا ما لا يعلم كُنْهها.

حرر نفسا يحمل من حرارة ذلك الاشتعال قبل أن يجفل على

همس رضوان الماكر

يا لطيف! ألهذه الدرجة لا تحتمل وجودك في المنزل؟!!

نظر إليه مجعدا أسفل ذقنه بامتعاض، فتابع رضوان بجدية بينما

يربت على كتفه

لا تخف عليه إنها مختلفة، أرجوك نضال، لا تنكأ الجروح من

جديد.

قالها وانسحب تاركاً إياه مع فكره الذي ومض بصورة مرام،

فغامت عيناه بحزن كئيب على حال ابن عمته فريدة وقبل أن

يستسلم لضعف المشاعر، استعاد كبرياءه المتعجرفة مع

ملامح اللامبالاة واستل الهاتف من جيب سترته يبلغ محمد

ليستعد بسيارته ثم طلب رقما آخر يخاطبه صاحبه بعث

_أين أنت يا فنانة؟ أنا قادم إليك.

جناح بيلسان

_أقسم لك بيلسان لم أكن أنوي.....

قاطعتها بهدوء، تحاول الحفاظ عليه بصبر

_لا أريد رؤيتك بجانبه مهما كان السبب، مهما كان يا جنات!

ثم اقتربت منها تمسك بوجهها بين يديها، تكمل بحنو

_حبيبتي أنت تُرخصين نفسك ولا تنسي الذنوب.

تدحرجت دموع جنات تحرق بشرتها السمراء الناعمة، تشكو

لصديقتها ما يعترينا أو ما تظنه يعترينا

_أحبه بيلسان، أحبه! يا إلهي! إنه أمر يفوق طاقتي، لا أتحكم به.

زفرت بيلسان بقنوط تسحبها بين ذراعيها لتهمس لها بلطف

_اهدئي حبيتي، اهدئي!

ثم أبعدها قليلا تمسح دموعها، مستدركة برأفة مشفقة

_إن كنت تحبينه، فاطلبي من الله أن يرزقه لك زوجا إن كان خيرا

لك، وابتعدي عنه حتى يبحث عنك هو، ولا تنسي لا نبتغي

وجه الله بالباطل، فكيف تطلبين من الله نعمة وأنت تعصين

أمره؟

تمالكت جنات نفسها تعبى صدرها بأنفاس متقطعة بينما

ترمقها بأمل

هل تظنين أنه قد...

أسرت شعورها المقيت من الأمر كله واغتصبت ابتسامه

مرغمة لتهدئ من روعها

أنت فتاة طيبة وسيكون محظوظا لو فاز بك.

ابتسمت الأخرى بهجة تضمها إليها بينما بلسان تستسلم

لحضانها شاكرة ربها على إحراجها الذي أغفلها عن سؤالها

بخصوص والدها المجرم، فشدتها إلى أحضانها أكثر تخفي

عنها نظراتها الواجمة.

_لقد تأخر يا سهيل ...أظنه يلعب بنا.

استقام سهيل من مكانه، يجيبه بمهادنة غلف بها قلقا أجاد
إخفائه

_هناك تفسير، أنا متأكد، فهو صارم في تعاملاته، أعرفه جيدا
وتعاملت معه في العمليتين الأخيرتين.

هز رأسه بعدم اقتناع وتناول كأسه في نفس اللحظة التي سمعا
فيها دقة على باب مكتب سهيل الذي يحتلانه معا، هتف الأخير
بإذن الدخول، فهلّ عليهما بضخامته المخيفة ورغما عنهما
سرت رعشة في جوفيهما أحسنا إخفاءها واستقبله سهيل
بحفاوة اغتصب لها صوان ابتسامه رسمية ليبادل سلامه ثم اتجه
نحو هدفه.

استحضر كل لحظة وكل ثانية تدريب وعذاب تجرعه من أجل
تلك اللحظة ومد يده محافظا على ابتسامته الرسمية ليصافحه
عدوه اللدود

_ هذا هو الضابط ممتاز صوان.

استلم كفه باسمًا بتسليّة اشمازّ لها صوان ثم أشار له سهيل
ليجلس على إحدى الأريكتين في الجانب الآخر من غرفة
المكتب، ففعل وتهامي يخاطبه بعتاب

_ تأخرت يا ضابط صوان.

رفع جانب فمه، يجيبه بجدية : - أنا دائما أوّمن نفسي قبل قصد
أي مكان، فأنا شرطي والعيون على تحركاتي.

رمق سهيل تهامي بنظرة ذات معنى وهو يتسم بثبات وفخر
 لمن اختاره ليكون ضمن شبكة الحماية لجرائمهم القدرة، فهز
 الأخير رأسه وقال محركا الكأس بين كفيه

_بلغني سهيل بشرطك لنعمل معا، لماذا ابنتي بالذات؟

أوما يجيبه بنبرة عادية

_لأنك رأس من سأعمل معهم وكما أخبرتك من قبل، أحب
 تأمين نفسي وأظن أن هذا يفيدكم أيضا لتأمينوا جانبي

اتسمت مقلتا تهامي بكبر، يتشدد

_أنا لا أحتاج لتأمين، إن شككت بك مجرد شك، فلن ترى
 الشمس مرة أخرى.

أخفى قبضته اليمنى خلف ظهره التي ابيضت من شدة عليها
 بغل وحقده لو أطلق سراحه لكان الاثنان أمامه اندثرا لكنه
 ضغط على نفسه يرد بجمود أظهره ببراعة

_انا لا أهدد سيد تهامي، شرطي وتعرفه، أريد ابنتك زوجة لي
 لو حدها دون أي شيء حتى مصارينها وكل ما يخصها سيكون
 علي واجبا لكن أصر على....

علق جملته، يرمقهما بحزم قبل أن يكمل أمام نظراتهما
 الجامدة رغم انقباض قلوبهما

_حين أتزوج منها أنا حر معها، لن تتدخل في طريقة حياتنا، فأنا
 رجل غيور وبالتالي أريدها لنفسى ولبيتها فقط، لا عمل ولا
 شهرة... حينها فقط....

سكت مجددا ثم تابع

يمكنك أن تريح بالك في ما يخص تسهيل أعمالك.

تناظرا فيما بينهما، فهز سهيل رأسه يحثه على الموافقة

ليتحدث أخيرا يقول : - أنا موافق!

هدأت الحركة في القصر، فتسحبت بخفة اكتسبتها أيام

الداخلية لمدرستها الخاصة، ترتدي منامتها الزرقاء مرسوم

عليها نجوم بيضاء، مكونة من سروال وكنزة مغلقة إلى حدود

خصرها النحيف صاحبها منذ الصغر أيضا، دخلت بخفة إلى

جناح تهامي وتفقدت غرفة الاستقبال بفخامتها التي لا تختلف

كثيرا عن بقية الأجنحة، تأملت البابين، فتوجهت إلى الغرفة الصغيرة أولا كي تتأكد من عدم استعمالها ثم إلى الكبيرة ولم تستطع منع شعور التقزز مع النفور المصاحب لرائحة عطره.

فتحت خزائنه وفتشت بين ملابسه بخفة دون ترك أثر ثم توجهت إلى المناضد والأدراج، زفرت بضجر فكل شيء منظم ونظيف "ومض عقلها بفكرة، فخطت إلى اللوحات على الجدران، تبحث خلفها"

bien sur...._طبعاً!

هتفت هامسة بلغتها الأم، باسمه بظفر حين وجدت خزانة مثبتة في الجدار خلف إحدى اللوحات، تحسستها بيدها دون أن تتجراً على تجربة فتحها، فهي قد تكون فخا أو على الأقل

مؤمنة، سمعت صوت حركة، فأعادت الصورة مكانها
 وأسرعت نحو الباب لكن الأصوات الخافتة أضحت قريبة
 داخل الجناح، فتلفتت حولها تبحث عن منفذ وأسرعت إلى
 الستائر الكبيرة على الباب الزجاجي للشرفة وفجأة شعرت
 بنفسها تسحب بحدة داخل الستائر حيث سمعت صوتا هامسا
 بحزم

_ اثبتي! إنه أنا... ششش!

شعرت بالسكينة حين انسابت نبرة صوته البحة، لتسمر بجانبه
 دون أن ترفع رأسها إليه يصغيان لمن دخلا الجناح يتشاجران
 بنبرة خافتة

_ أين كنت؟ لقد انتظرتك كثيرا.

ضحك تهامي ، بتهكم يجيبها

_لست زوجك قائمة، اسدي لي خدمة واذهبي للنوم جوار
زوجك.

اشتد غضبها تخاطبه بغل

_لقد وعدتني تهامي .. أسانديك في قرارات مجلس الإدارة بحشو
عقل شقيقك الفارغ وبالمقابل تساعدني.

زفر تهامي بضجر:

_ماذا تريدن قائمة؟

_تلك الحمقاء ابنة السفاح، تنشر سلطتها وليست سهلة أبدا وقد

تستولي مع المتعجرف على كل شيء إن لم نتحرك سريعا.

ابتسم بتسلية لا تليق بسنوات عمره التي تعدت منتصف
الخمسين، يربت على كفها في نفس الوقت الذي رفعت فيه أور
عينها إلى المتمسك بها بثبات حديدي، طامسا كل الفوضى
التي قلبت أحشائه دون أن يستطيع الفكاك منها فحركة واحدة
منهما ستعلم الثنائي المنحل بوجودهما، فتكمل عليه بتلك
ال نظرة الضائعة لأمر اكتشفتها لتوها وبشاعة ما تزال الدنيا
مصرة على تأكيد وجودها، نظرة ذكرته بالأولى قبل سنوات
خلف البلور

_اهدئي قائمة! لن تستطيع الأجنبية فعل أي شيء، إنها فقط
شرسة، كفي عن تصرفاتك هذه أو ستلفتين الأنظار إلينا.

أغمضت أوركيدا عينيها تصد موجة غثيان هجمت على
أحشاءها، تعترف بأنها لم تتوقع أبدا ما يحدث بين الاثنين.

_انصرفي قائمة...الآن!

تمسكت بكفيه فسحبها نحو الباب يؤكد على قوله: - الآن!

خرجت وأقفل الباب خلفها ثم توجه إلى الحمام بينما أسد
يتساءل لماذا حسه بالقرف لم يطغى على إحساس آخر تمكن
منه وإن لم يتصرف لحظتها قد يفقده تحكمه بنفسه فقلبه دخل
في سباق قاتل مما اضطره إلى حبس أنفاسه كي لا تشعر
بوضعه، وما إن تأكد من دخول تهامي الحمام أبعدا عنه وفتح
باب الشرفة بخفة يجذبها خلفه ولم يطلق أنفاسه بعد يساعدها
لتقفز إلى الحديقة ثم قفز خلفها وأوقفها في ركن بعيد منزوي

يهزها قبل أن يطلق سراحها وسراح أنفاسه يلهث بشيء آخر
حسبته هي غضبا وكان ذلك ما يريده
_ أنت متهورة، حمقاء!

اتسعت عيناها دهشة من توحش مقلتيه وتأهب جسده بينما
يكمل بحدة رغم انخفاض نبرة صوته
_ ستعرضين العملية كلها للكشف؟
لم تتحمل هجومه، فردت بشراسة
_ انا أفعل ما أريده وبالأساس هي معركتي وأنتم طلبتم
مساعدي.

لم يصدق مدى حمقها يجيبها بغضب حقيقي

_ صدقي أو لا إن شك خالك العزيز ولو للحظة واحدة أنك
تنبشين خلفه سيُمحيك من على وجه الأرض.... ولن تأخذه
بك رأفة!

بلعت ريقها، ترد بوجوم
_ أعلم.... ولا تقل خالي.

همت بالذهاب، فسأل كي لا تتركه بتلك الملامح المسودة
التي طغت على ملامحها التي ولأول مرة بدت طفولية للغاية
وبريئة بعيدا عن تلك الأصباغ الصاخبة
_ ماذا وجدت؟

للحظة لم تجبه، فعقلها كان قد شرد مع كل ما حدث وشعور
بالكآبة يهجم عليها ليذكرها بماض من النبذ والكره... الكثير
من الكره.

ما بها؟ فكر أسد بريبة قبل أن تستجمع نفسها وتستعيد النظرة
القوية لتجيبه

_لديه خزنة مثبتة بالحائط خلف اللوحة الثالثة على اليمين.

هز رأسه يراقب انصرافها بوجوم انتقل إليه وقد هدأت أنفاسه
أخيراً، حزنها الذي طفئ للحظة على سطح مقلتها الشرستين
أطفأ كل حماسه الذي أغضبه منها وقد كانت أشعلته.

ودع خالد صديقه المهموم ودخل إلى بيته حيث توجه إلى غرفة
 أطفاله، يتوقع بأنها هناك غافية بعد أن هدها التعب لتستسلم
 للنوم أخيرا بينما تهدد الرضيع، ابتسم من الوضعية الغير
 مريحة لها اطلاقا، فانحنى يدس يده تحت عنقها والأخرى
 تحت ركبتيها يحملها، فرمشت بجفניה وغمغمت باسم
 الصغير فيهمس لها برقة

إنه نائم حبيبتى.

وضعتها على السرير واستلقى بجانبها يفكر بما يكنه لها من
 عشق في قلبه، يحبها بل يعشقها بكل تفاصيلها، عبوسها حين
 لا يعجبها شيء ما وابتسامتها الرائقة حين تحقق هدفا تثبت به
 جدارتها، كل شيء فيها يثير جنونه وليتها تشعر به كما شعرت

بتقلبه، ففتحت عينيها ترمقه بعدم تركيز ليقتحم أسوارها
مبرهنا لنفسه أنها له حتى وإن لم تكن بكامل أحاسيسها، فهي
هنا، في بيته زوجته... كل يوم.

أما صديقه سامي فلم يكن بأفضل حال منه يتقدم بخطوات
متمهلة، هادئة، يزفر بخفوت ضجر حين لمح ضوء غرفة نومه
وفتح الباب ليلمحها جالسة أمام مرآتها بكامل زينتها فيتهد
مدركا بأن كل ذلك لأجل غاية ما ستذكرها لابد، أصبح واثقا
من أنها تستغل رغبته بها منذ بداية علاقتهما الزوجية لتحقيق
غاياتها مع أنه كان مستعدا لمنحها ما تريده فقد تزوجها بنية
صالحة لكن حين بلغ بها الأمر لسلوكيات ما كان ليقبلها في
زوجته، لجأت إلى تلك اللعبة التي كانت تؤلمه في البداية حتى

أضحت مع مرور الوقت غير مهمة، فقد كف عن الشعور بأنه زوج بعلاقة زوجية طبيعية بل علاقة استغلال أو علاقة مقايضة لذا أصبحت حياته معها بلا معنى، أحيانا يأخذ ما تمنحه إياه، ويعطيها ما تطلبه أحيانا أيضا.

سايرها غير مراعي ولا مكترث أليست من تريد المقايضة؟ فليستحق الأمر إذن؟ لتكن منفذا لحيرته، لكآبته وبعدها يمنحها ما تريده.

وبعد لحظات لم تطل بهما، همست ببعض التوتر يوحى بتردها من تغيره الذي أضحى يديه دون مواراة علّها تفهم سوء معاملتها معه.

_لماذا أنت صامت هكذا؟

لم ينبس بنت شفة متأملا وجهها الجميل الماكر للحظات قبل
أن يختصر عليها وعلى نفسه التمثيلية المقبلة، يسألها بشكل
مباشر

_أرى بعينك حديثا ما هو؟

عضت شفتها باسمه بنصر تعتقد بأنها حقته ثم قالت

_بالأمس، ذهبت مع صديقتي إلى المجمع التجاري الجديد،
هناك محل للذهب يعرضون به قطعاً رائعة وصديقتي....

_حسنا.

قطع حديثها يلتفت على شقه موليا ظهره لها، فهتفت بحماس

_حقاً؟

اكتفى حقا اكتفى! لكنه مضطر للعيش معها، هو اختارها
ليتزوج بها وأنجب منها، لن يشرذم ابنه بينهما بلا سبب مهم،
فأغلب النساء كثيرات الطلبات لذا أجابها باقتضاب قبل أن
يغلق عينيه يفر إلى عالم اللاوعي.

_أجل، سأترك لك المال غدا، تصبحين على خير.

(بيت الأستاذة تسنيم)

_إلى أين؟

ردت على حماتها بتعب نهش جسدها.

_سأنام يا خالة، دوامي يبدأ باكرا.

رفعت المرأة الأكبر سنا حاجبها باستفزاز وهي تدس بعض
حبات الفول السوداني بفمها، ترد بامتعاض
_رحم الله زمنا لا تحط فيه الزوجة رأسها على المخدة إلا
وزوجها سابقها إليها.

زفرت بخفوت تضم رضيعتها التي لم تكمل السنة بعد، تجيب
بمهادنة لعلها تسلم من جحود هذه المرأة التي قُدرت لها والدة
لزوجها.

_جواد لن يعود قبل الفجر وأنا لذي عمل باكرا.

لوحت بيدها في الهواء، تهتف بنزق

_ أنت السبب، نكدك المتواصل يدفعه للفرار من البيت، يفر من وجهك البشع هذا.

ضمت شفيتها بقهر والتفت دون أن تجيبها، فهتفت الأخرى بغيظ وهي تشي ركبها فوق إحدى أرائك غرفة الجلوس حيث تشاهد التلفاز

_ وعديمة الأدب أيضا.

لم تعد تبكي، جفت دموعها منذ زمن وبما أفادتها حين ذرفت بها بندم على قرار اتخذته في لحظة طيش، تحدت به عائلتها فخسرتهم وخسرت معهم كل شيء، لا هي بقادرة على العودة إليهم لأنهم رفضوها وأقسم والدها على أن لا تعتب بيته بعد أن عصته وتزوجت زنديقا كما كان يدعوها ولا هي بقادرة على

التَّحْمَلْ أَكْثَرَ، زَوْجَ كَاذِبٍ، سَكِيرٍ، مَقَامِرٍ وَخَائِنٍ، خَدَعَهَا
 بِالْحُبِّ وَصَدَقْتَهُ لُتْصَدَمَ بَعْدَ هَرُوبِهَا مَعَهُ بِإِدْمَانِهِ عَلَى الْقِمَارِ
 وَالْخَمْرِ، حَاوَلَتْ تَغْيِيرَهُ، فَأَصْبَحَ عَنِيفًا مَعَهَا، شَجَارَاتٍ وَضَرْبٍ
 وَوَالِدَتِهِ لَا تَسَاعِدُ أَبَدًا، بَلْ تَزِيدُ الطَّيْنَةَ بَلَّةً كَيْ تَسْتَمِيلَ وِدَّهُ،
 تُوقِعُهَا فِي مَشَاكِلٍ لَا حَصْرَ لَهَا.

_آآه!

تَنَهَدَتْ بِحُزْنٍ تَضُمُّ إِلَيْهَا رَضِيعَتَهَا تَشْتُمُ رَائِحَتَهَا، الْبَلْسَمُ
 الْوَحِيدُ لَجْرُوحِهَا وَمَا هِيَ إِلَّا ثَوَانِي فَعَشَّتْهَا رَحْمَةً مِنْ رَحِمَاتِ
 اللَّهِ الْكَرِيمِ.....النوم.

(بيت سهيل فجرا)

_هيسيه! أنت قومي!...هيا!

انتفضت إيمان على السرير جالسة تتوقع ما يحدث كل ليلة،

فتحرك سهيل مترنحا جوارها يستدرك

_قومي يا غبية!.... أين ثيابي؟ هل سأعيد نفس حديثي كل يوم؟

....قومي!

نهضت صامته، محافظة على هدوءها الذي أصبحت بارعة به

وتناولت الثياب من على المشجب ثم اقتربت منه بحذر، تسأله

_هل أجهز لك الحمام؟

سحبها بحدة أجفلتها فشهقت ليصبح بنزق ممتعض

_ لا أريد حماما هيا ساعديني لأغير ملابسي! أريد أن أنام.

نظرت إليه بخوف ترتعش وحركت كفيها بينما تراقبه تحسبا

لأي ضربة قد تأتيها من أي زاوية، ألبسته القميص وانتقلت إلى

السروال، فرفع يديه وتراجعت هي للخلف توقعا للكمة أو

صفعة، فأمسكها من ذراعيها قائلا بيسمة مثيرة الاشمئزاز

_ هاااا! أنت خائفة؟ جيد، جيد! يجب أن تخافي مني، لكن الليلة

لن أتعصب... أتعلمين لماذا؟

حاولت التملص منه وقلبها ينتفض من الرعب والقرف، تدعو

الله أن لا تكون ليلة من ليالي تعديه عليها

_ اثبتي!

صرخ بها، فاهتزت ثم سكنت تبلع ريقها بجزع يتجسد بعينيها

الواسعتين المترقبتين

_مزاجي رائع جداً الليلة... فلا تزعجيني!

أمسك بوجهها، يكمل بسرور لم يزد لها سوى امتعاضاً على

قرفها وخوفها.

_عقدنا صفقة حماية ناجحة وفوقها حظيت برفقة ممتعة.

نطق آخر جملة بلمعة عبرت مقلتيه الغائمتين ثمالاً، فشعرت

برغبة شديدة في الاستفراغ وكل ما يدور في خلدتها، خيانة مع

إحدى النساء.

تركها أخيرا وألقى بجسده على السرير يدندن لحنا ما،
 فأسرعت بخطى خافتة إلى حمامها حيث استفرغت كل ما في
 بطنها وبخفوت أيضا، فهي لا تريد أن تجذب انتباهه إليها،
 تنفست بعمق بعد أن غمرت وجهها بماء كثير مرة بعد مرة
 ونظرت إلى انعكاسها بجمود لترى امرأة لم تعد تعرفها،
 فتحرك لسانها هامسة بيأس

إلى أي خيال ميت باهت حولتني إليه يا سهيل؟ سامحك الله يا
 أبي، سامحك الله!

أمام منزل القناص فجرا

لم يعودا لبيتهما بل بقيا كل واحد منهما في سيارته بعد أن صليا
 الفجر ومن يلمحهما يحسبهما نائمين وهما مسندين رأسيهما
 على مقاعد السياقة بينما كل واحد منهما يُسر حيرة جديدة
 هجمت على كلاهما دون استثناء، الأول يسترجع ذلك
 الحماس الذي أضرمته ضئيلة الحجم ثم تلك النظرة الضائعة
 المستجديه نفسها قبل سنوات، تصيب رجولته وشهامته في
 مقتل، فتركه حائرا هل يستجيب بشجاعة ويتعمق! أم يتعد
 قبل أن تصبح حيرته واقعا قد يلقيه في جحيم لا مفر منه، أما
 الثاني فحيرته تسعده، شعور جديد عليه كليا يفكر إن كان تذكر
 عينين بلون بني فاتح أقرب للذهبي لامعتين يمنح قلبه تلك

النشوة اللذيذة التي تسعده دون سبب حقيقي، فكيف سيكون
قربها، الحديث معها أو ودّها؟ أخذ نفساً عميقاً كي يهدئ
وجيب قلبه وابتسامة حالمة لا تليق بهيئته أبداً تزين ثغره.

صباحا

(بيت الأستاذة تسنيم)

اجلبي الكريما... أنا لا أريد الحليب.

نفخت تسنيم بضجر، مسدله جفنيها للحظة ثم استدارت تجاه
المطبخ وأحضرت الكريما ووضعتها، همت بالانصراف،
فهمت حماتها مرة أخرى بلوّم تجلى في مقلتيها

_ هذا الخبز بارد... أريده ساخنا... سخنيه هيا!

التفتت إليها تستجلب الصبر من سائر خلجاتها

_ خالة... سأتأخر على عملي.

رفعت صوتها متعمدة، تهتف بنزق

_ لا يهمني! اقضي عملك في بيتك! هو أولى بك.

بدأ صبرها ينفذ ترد بجفاء

_ سيطردونني في النهاية.

ابتسمت باستفزاز

_ و ان يكن! مكانك في بيتك تحت رجلي زوجك!

طفح كيلها، فلم تعي على نفسها حين هتفت بضيق

_وماذا سناكل حين يطر دونني؟ ابنك سكير، يخسر كل أمواله
في القمار، وحتى إن كسبها يخسرها في الصرف على العاهرات
.... لا يساهم في البيت بسنتيم واحد.

شهقت حماتها دهشة لأول مرة تثور بحقيقة ولدها في وجهها،
فهي كانت تريد استفزازها كالعادة، فتكتفي بمعارضة أوامرها
كي يسمع ابنها المشاجرة لتحشو أذنيه بما تشاء بعد أن تخرج
هي إلى عملها.... لكن....

_آه!

صرخة ألم انطلقت من فم تسنيم على اثر صفة رجّت أنحاء
الشقة، فالتفت إليه تحدجه بنظرات كلها سخط وكره وبؤس

_ هذا درس لك كي تحترمي زوجك!

لم تجبه واستدارت بعنف، تناولت حقيبتها وخرجت صافقة
الباب بقوة، فتمالكت والدته دهشتها بسرعة وقامت تمسد على
ذراعه تهادنه بابتسامة مدعية

_ تعال حبيبي، اجلس كي تفطر ولا تدعها تعكر مزاجك،
أحسنت بتأديبها.

جلس إلى المائدة بصمت واجم، غاضب وبدأ بالتقاط ما على
المائدة، فاستطردت بترقب

_ أخبرني هل فزت في اللعبة البارحة؟ فأنت لم تعد إلى الفجر.

ابتسم كأنه لم يهن ويذل إنسانا له عليه حقوق عظيمة قبل قليل،

يجيبها باستخفاف

_طبعاً، فأنا ماهر وذكي.

اقتربت منه بمكر تدس بعد اللقيمات داخل فمه بينما تراوغه

لتكسب منه بعض الأموال

_ألن تهدي والدتك هدية، بمناسبة فوزك؟

التفت إليها، يرد بتسلية مرتسمة على ملامحه الوسيمة ظاهريا

تخفي بشاعة نفس خبيثة

_طبعاً أمي، أحلى هدية.

اتسعت ابتسامتها الطامعة حين استل من جيب قميصه رزمة
مال وألقاها على المائدة، يقول بينما هو قائم
_خذي منه واجلبي البقالة كي نغلق فم الأستاذة.

انصرف فنتشتها من على سطح المائدة تشمهم وتتفقد عدد
ورقاته، هامسة بامتعاض

البقالة؟ دعها للأستاذة.... هذه لي أنا.

منزل القناص

_صباح الخير نزار.... ما هذا النشاط؟

أجابه ببسمة زينت وجهه، يشعر بشيء ما يتغير بحياته اليومية المملة، شيء ما يجعله خائفا لكن مسرورا طوال الليل وهو يتلفت على شقيه بينما رائحة المسك تنعش صدره وتشغل مع نبرة الصوت الرقيقة، الحنونة، باله وعقله، لم يزره شعورا مماثلا من قبل حتى الفتيات اللواتي كن يتقربن منه كان شقيقه العزيز يتكفل بفضح نواياهن الطامعة تجاهه، لماذا هو مرتاح لها هكذا؟ بل وقلبه يقفز من مكانه كلما شعر بها أو حتى فكر بها؟ إنه يوم واحد فقط، ماذا بعد أسبوع، شهر، سنة؟ أسرع

دقات قلبه بحماس أشعل فتيل الأمل في خلاياه، "اهدأ يا قلب
واسكني يا أحاسيس! إنها مجرد رافة من فتاة حنون، ما الذي
ستراه فيك وهي الكاملة بأخلاقها ومالها وجمالها؟"

_هيسيه! نزااار!

أجفل من أفكاره يجيبه بامتعاض مزعوم وهو يبحث عنه ليدفعه
_صهيب اذهب وتناول فطورك! ستأخر عن المدرسة.

ما زال صهيب مقطبا وحائرا يسأله

_ألن تأتي معي؟ لتفطر أنت أيضا؟

أوما سلبا، يجيبه بينما يتلمس طريقه ليجلس على الكرسي قبالة
سريره والمجاور للنافذة الضخمة بغرفة نومه

_ لا! سأنتظر الفتيات، لا داعي للأكل باكرا.

تحولت عقدة جبينه رأسا إلى معالم المكر والفكاهة يناكفه

_ ستفوت عليك إذن مخبوزات بيلسان الشهية.

قام عن كرسية يتساءل بدهشة

_ بيلسان مستيقظة؟

اقترب منه بابتسامة شملت جل وجهه وسحبه من يده يخبره

مبتهجا

_ ألم تصلك الرائحة؟ إنها منتشرة عبر أرجاء المنزل، أظن بأنها

بدأت من الفجر.

لم يجبه وقد عاد إلى سهوه في عالم أفكاره وصهيب قد ارتفع
سقف آماله في أن يجد نزار أخيرا سعادته المفقودة، لكن ماذا
عن بيلسان؟

الفصل الثاني عشر

{ لا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عليه عمله. الحسن

البصري }

وضعت آخر طبق معجنات مالحة بعد أن رصت قبلها أطباق الكيك تفكر بأنها لم تستطع النوم، إذ تكالبت عليها الهموم والمخاوف مخلقة أفكارا متخبطة بذهنها فلم تتحمل وبحثت عن المطبخ ما إن صلت الفجر، وكم سعدت لتوفر كل ما تحتاجه وبدأت بحملة صنع مخبوزات وحلوى علّها ترتب تلك الفوضى بقلب أحشائها لكنها فشلت وكما دخلت المطبخ خرجت منه.

_والااا! ما هذه الرائحة والمنظر الشهى؟

نظرت إلى أول الواصلين إلى المائدة، فابتسمت عفويا حين

لمحت وجه صهيب البشوش، شيء في ذلك الفتى يجعله ظريفا

ومحبوبا قريبا من القلوب

_تفضلا، أنتما أول الواصلين.

_صباح الخير بيلسان.

تجاهلت تأثرها بنبرة نزار الرزينة، وردت بود رسمي تفر من

التدقيق بوجهه ما استطاعت

_أسعد الله صباحك نزار.

_رائحة شهية توحى بمذاق أشهى.

ابتسمت بحياء وسحبت له كرسيًا، تجيبه بينما تجهز له طبقه

_شكرالك.

رفع وجهه إليها متبعا رائحة المسك الهادئة الممزوجة برائحة

الفانيليا، فتلبكت محمرة أمام صهيب الذي يجاهد ليكتم

ضحكته وما إن انصرفت أطلق سراحها، فسأله نزار مقطبا

بحيرة

_ما بك يا ولد؟

قام من على كرسيه يجيبه قبل أن يغادر

_لقد أخجلتها وأصبح وجهها كحبة الطماطم، سأذهب وأنا

مطمئن فأنت بين أيدي حنونة.

ابتسم نزار بحالمية يعلم بأنه لا مفر له منها، ليجفل على صوت
رضوان المرح

_عشنا لنرى أياما مبهجة برائحة المخبوزات الشهية في هذا
المنزل.

رفع نزار رأسه ببسمة رائقة سعاد لها رضوان

_يبدو كذلك الحال يا ابن العمّة.

حل الصمت إلا من صوت تحرك الأواني، فناداه نزار بتردد

_رضوان؟

_مممم؟

_هاتف مرام أمس.

انقلبت ملامح نزار لوجوم حين تناهى إلى مسامعه صوت
وقوع الملعقة وانتظره ليتحدث، فلم يفعل ليدرك بأنه سكن
عكس أفكاره الثائرة في عقله

_هل تحدثت ما عني؟

سأل أخيراً، فلعن نزار الشيطان يلوم طيش البشر ثم أجابه

_هل تعلم ما مشكلتك يا رضوان؟ إنها نفس مشكلة نضال.

أطرق برأسه يبلع ريقه ليسلك غصة مرة استحكمت بحلقه

بينما نزار يستطرد، فينصت بتمعن

_تريدان كل شيء، العيش دون حدود وضوابط وفي نفس الوقت

أن تُمنحاً كُلِّما تتمنياه حتى إن لم تعترف به.

رضوان، شاب في الثلاثين، طويل نحيف، شبيه أبيه، أسمر
بعينين رماديتين وبالإضافة إلى تسيير حصة والدته من ثروة
أهلها يملك شركة انتاج أغاني تركها له والده.

تغضنت ملامحه، يستفسر منه بوجود متجاوزا حديثه الحق

_متى ستعود؟

أوماً يقول بصدق

_لا تعلم بعد يا رضوان.

قام بحدة استغربتها بيلسان وعمتها الداخلتين لتوهما، فاقتربت
منه والدته بقلق تعلم تلك النظرة من عينيه، فمسدت على
ذراعه، تهمس له بحنو

_ ما بك يا ولدي؟

هز رأسه بلا معنى يربت على كفها ثم غادر

_ أنا ذاهب إلى عملي... اعتني بنفسك.

جلس الثلاثة حول المائدة الكبيرة، فذكرت عمته الاسم

كسؤال وتفسير وافي

_ مرام؟

أوماً بإيجاب وبيلسان تراقب الوضع المتوتر دون أسئلة حين

انضم إليهم فؤاد وقائمة التي نظرت إلى المائدة بامتعاض

_ ما كل هذا؟ الناس يفطرون بفواكه وعصير ليس هذا الكم من

السعرات الحرارية.

وجمت بيلسان بخجل، فهَمَّت فريدة بالرد لكن نزار سبقها
يقول مبتسما بسرور حقيقي

_أنت الوحيدة هنا بحاجة للمحافظة على رشاقتك أما الباقي
فممتنون لمن حضر لهم أخيرا وجبة تستحق أن يطلق عليها
اسم الفطور.

لم تجبه بل رمقت فؤاد بملامح تتميز غيظا، فقال الأخير بعتاب
_نزار، احترم زوجة عمك.

ضحك نزار بمرارة يعقب

_لا تنس يا عمي بأنها كانت زوجة أبي.

قام عن مكانه زافرا بضجر دون أن يفطر وانسحب حانقا لتقوم
هي الأخرى تهروول خلفه، فقالت بيلسان ببعض العتاب رغم
امتعاضاها من الأمر بأكملة

_ ما كان يجب أن تخرجه نزار.

تذكر وجودها لتختفي كل همومه، يتسم من جديد بإشراق

_ لا تكثرني بيلسان.... لا تكثرني!

التفتوا إلى المَهلة عليهم بلباسها المتماذي به كليًا عن سابقه،

فقامت بيلسان تعلق دون وعي

_ أور، ماذا ترتدين؟ لا يصح أختي.

رمقتها عمتها بإشفاق من ردها الذي هي متأكدة من حدته

_ ما بها ملابسي؟

سألته بعبوس متأهب، فتأملتها بيلسان بداية بوجهها المبالغ في
زينته مرورا بثيابها تكشف أكثر مما تستر ثم قالت بغيرة ورفض
نابعين من صميم قلبها

_ حببتي، هنا لست في البلد الأجنبي وهذا اللباس لا يصح! .. من
فضلك عزيزتي غيري ثيابك.

راقبتها مقطبة وهي تعلم بأنها تمادت لكنها يجب أن تفعل شيئاً
ما تصرف به الفوضى في عقلها، يجب أن تتمرد! أن تتجاوز كل
الحدود!

رفعت أنفها بتكبر، تجيب وهي مغادرة

_ لا شأن لأحد فيما أرتديه أو أفعله... لا أحد!

جلست بيلسان تزفر بحزن وقلق، فتدخل نزار مواسيا

_ أتفهم إحساسك جدا، لا تملكين سوى الدعاء، أنت أفضل

مني حالا على الأقل لم يدخل الجفاء بينكما بعد، لذا نصيحتي

لك حافظي على العلاقة الطيبة بينكما، فيوما ما ستحتاجك به

حينها ستأتي إليك دون تحفظات.

_ السلام عليكم... صباح الخير.

ألقها جنات بابتسامة واسعة، تجلس بالقرب من بيلسان بينما

تساءل بحماس

_ ما رأيكم بمخبوزات بيلسان؟

عدتهم بنبرتها المرححة، فردت السيدة فريدة بحنو وهي تأكل
_إنها لذيذة جدا... أنت فعلا ماهرة يا ابنتي.

_تأخر محمد!

نطقها زيد بهدوء بجوار البوابة الكبيرة، يقصد بها أسد غير
بعيدين عن باقي الحرس فرد عليه أسد ساخرا
_يبدو أن السهرة طالت إلى الفجر.

ابتسم زيد بتهكم، يعقب

_كان الله في عون محمد.

ليجيبه أسد بنبرة لم تخلُ من الامتعاض.

_لا أستطيع الحكم على نضال القناص.... أنا تربيت بين والدين
محبّان وملتزمان دون مشاكل عائلية ولا مال كثير أما هو، فكان
الله بعونه، عمه ذاك يكفي!

بلع زيد ريقه يعتلى الحزن والوجوم وجهه، فاقرب منه أسد
يسأله متمعنا بوجهه

_زيد؟ أنت بخير؟ ما بك؟

هز زيد رأسه بلا معنى ثم ما لبث أن جحظت عينيه بشكل
مضحك فتبع أسد مسار نظراته لتسع عيناه هو الآخر لكن
بغضب وحنق تأجج في صدره بينما هي تتقدم نحوه تضرب
الأرض كما ترج دقات قلبها قاع صدرها ثم فتحت الباب
وجلست على مقعدها دون نظرة أو كلمة.

أجفل أسد على همس زيد الضاحك

_ كان الله بعونك أنت أكثر من محمد.

رمقه بنظرة زاجرة رفع لها زيد كفيه باستسلام وابتعد ليتكمن
من قيادة السيارة.

كان تنفسه الحاد ينافس صوت محرك السيارة، فلم تعلم ما به؟
تشعر بغضبه، فتساءل إن كان ما يزال غاضبا عليها منذ أمس؟
هل سيسمعها نفس الكلمات السامة عن أن خالها المجرم لن
يتوانى عن قتلها؟ أنها حمقاء، متهورة، وحيدة ولا أحد
يريدها؟.

وعت على زفرة أخرى حادة منه، فالتفت إليه تهتف بانزعاج

_ ما بك؟

رماها بنظرة غاضبة ثم عاد إلى النظر إلى طريقه، ما شأنه هو في ما ترتديه؟ هي حرة! للمرة التي لا يعلم كم يخبر نفسه بأنها مهمة عمل وسينتهي منها، إذن لماذا الغضب؟ لماذا يشعر برغبة حارقة في خنقها بيديه؟ غريب ما يحدث معه! لماذا الغضب يحرق أعصابه وصدرة؟ هل يخشى على مهمته لهذه الدرجة؟

_ لا تخف! لن أفسد عملك ولن أقوم بشيء دون موافقتك.

انتفضت حين أوقف السيارة أمام المجموعة بشكل حاد،
فصاحت بدهشة

_ هل أنت مجنون؟ ماذا تفعل؟

إلتفت إليها وهتف بغل لم يستطع كتمه

_المشكلة في ملابسك، كيف تخرجين هكذا؟ نصف بطنك

مكشوف؟ هل أتيت للعمل أم لشيء آخر؟

بهتت من هجومه الذي لم يكن الأول، لكن على ماذا؟

ملابسها؟ ألم تسبقه شقيقتها؟ إذن هو مثلها، متدين وينتظر منها

ماذا تحديدا؟ عند هذه النقطة هتفت بدهشة

_كونك مؤمن لا يمنحك حق التشكيك بأخلاقى، أنا تربيت

هكذا ومن حيث أتيت لا تعتبر هيئة الشخص وملابسه علامة

على سلوكه ثم هذا كله ليس من شأنك!

سكنت أعصابه بشكل عجيب حين ذكّرتَه بأصلها ومكان
 تربيتها، تنفس بعمق والتفت إليها بهدوء، يقول
 _أنت محقة يا آنسة، أنا آسف تعديت حدودي، تفضلي ولن
 أعيد الكرة.

قطبت بحيرة تلهث وهي تتأمله قليلا ثم غادرت بحيرتها أما هو
 فكان ينهر نفسه ويعاقبها على ما شعر به حين لمح بشرة
 جسدها الشاحبة تماما كشعوره وهي بالقرب منه ليلة الأمس،
 الأمر هذا بدأ يتحول لعبء ولا يعلم كيف سينتهي؟

أمام بناية نضال

_صباح الخير محمد.

ركب سيارته بمزاج متعكر للغاية حتى الفتاة التي ظل معها إلى
الفجر لم تفلح في تصفية ذهنه بل و للأول مرة منذ زمن يهجم
عليه ندم ساحق وما إن فارقها عاد إلى شقته واستحم لساعتين
كاملتين بقي فيهما داخل حوض ماء ساخن إلى أن برد دون أن
تبرد أفكاره الصاخبة وفوضاه العارمة.... نزار... بيلسان
...جنات!

_آه!

التفت إليه محمد بتوجس من وضع نضال، مستغربا من حالته
المتغيرة فحاول نصحه مجددا

_أخبرتك سابقا دعك من تلك العلاقات إنها عالية ومضرة أكثر
منها متنفس.... كالتدخين أو المخدرات أو الخمر.

لم يلتفت إليه، يرمق الطريق بوجوم ثم بلع ريقه وأمر حارسه
_خذني إلى المنزل يا محمد.

قطب الآخر يسأله بتردد

_لكنه وقت!

قاطعه بهدوء : - المنزل!

ثانوية حسن البصري

_السلام عليكم.

رفع أمين رأسه إلى النبرة الأنثوية الرقيقة، فقد كان مستغرقا
بركن دراجته النارية، ابتسم برسمية يرد لها التحية متهربا
بأنظاره

_عليكم السلام.

تحدثت كريمة مبتسمة برقة

_أنا كريمة أستاذة الفلسفة، عُينت مطلع هذه السنة أيضا،
سبقتك إلى هنا بأسبوع واحد.

هز رأسه برزانه، يجيبها مضطرا لمرافقتها حين تقدمته نحو

الفصول

_مرحبا بك آنسة كريمة... أنا أمين أستاذ الاجتماعيات.

ابتسمت له بحبور ونظرة الاعجاب تتألق من عينيها، فأخجلته

لينظر إلى موطىء قدميه مستغفرا من نظرتة التي سرقتها فتننتها

وغير بعيد عنهما

_خنساء، أزيلى ملامح الإحباط والخيبة من على وجهك كأنه

زوجك ويخونك! إنهما فقط يتحدثان.

نظرت إليها خنساء تجيبها والدموع تحرق ضفاف مقلتيها

_أنظري إليها، إنها كاملة، جميلة، رشيقة وشعرها
مصفف!...ملابسها...آه! هذا ما كان ينقصني.

ضمت مروة شفيتها بامتعاض تترك حائط السور لتدس كفيها
بجيبى وزرتها المربعين، بينما سمرا تقترب من خنساء لتضمها
بحنو تلمع عينيها بدموع وشيكة هي الأخرى وجميعهن ينظرن
من الطابق الثاني حيث ينتظرن بدء الحصة قرب فصلهن

_لكنك جارته وتسكنين قبالتة، يعني تقريبا أنتم عائلة.

ردت على سمرا بحزن وقد أوشكت دموعها على الهطول

_بلى جاري وشاهد على فضائح عائلي، أنتما لا تفهماني.

سحبها مروة تعقب بحنق تغطي به رأفتها بصديقتها

_الحصة على وشك البدء، ستتحدث أثناء الفسحة، هيا!

سجن العاصمة

_لا أعلم سيدي لماذا يريدني؟ لم آكن لآتي لولا نبرة صوته
اليأسة.

انساب حديث المدير مصطفى عبر الهاتف مستحسنا عمله

_جيدا فعلت، لقد راقبته طيلة السنوات الماضية، تغير كثيرا يا
ليث، أعطه فرصة ولنرى ما لديه.

دس هاتفه في جيبه حين فتح الباب، (من هذا الرجل؟) تساءل

ليث (أين ذاك الشاب الوسيم، شديد الأناقة و....)

_ أشكرك ليث... لن أنسى معروفك أبدا.

أجفل ليث من نبرته الممتنة وهز رأسه بلا معنى، يفكر بأنه كبير كثيرا في الحقيقة ويظهر أكبر من عمره بتلك اللحية الكثيفة وشعره الذي استطال جدا، نظرة عينيه تحولت من اللهو والمكر إلى شيء آخر سعد له قلبه كما سعد قلب الآخر إذ حظي بفرصة من ربه الكريم ولن يضيعها، على الأقل من أجلها هي!

جلس على المقعد وأشار إلى الآخر قبالته

_ تفضل ليث، يجب أن نتحدث.

تقدم بحذر ليجلس قبالتة، فمهما حدث لم ينس سبب تعاسته
في يوم من الأيام ويصعب محو الأثر.

_قبل أن أدخل في الموضوع، أستحلفك بالله ليث سامحني
وتقبل اعتذاري عن كل زلاتي، تأكد من أنني أدفع الثمن كل
يوم ولست أشكو بل سعيد بكل عقاب قد يطهرني من ذنوبي
قبل أن ألقى ربي.

بهت ليث يتساءل هل هذا حقا تامر؟ سبحان مغير الأحوال؟

ثم استطرد تامر بحذر رعبا من ضياع فرصته

_حتى إن لم تسامحني، أتوسل إليك ساعدني من أجل فتاة يا
ليث! فتاة وغيرها مثلها سيضعن.

سأل ليث بتوجس يتجاوز أفكاره حول تامر : _فتاة؟

أوما تامر متابعا بقلق ارتسم على وجهه بهم كبير

_فتاة تعرفها زوجتك جيدا.

قام ليث كالملسوع ما إن ذكر ورد، فقام هو الآخر يهتف لائما

غبائه : _ألم تخبرك عن اختفاء فتيات من الدار؟

تمالك ليث نفسه حين ذكر أمرا بالفعل يقلقهم مؤخرا، فرد عليه

بهدوء خطير

_كيف علمت عن هذا الموضوع؟ وما اسم الفتاة؟

_كيف علمت؟ يجب أن تمنحني الوقت كي أخبرك، أما إسمها

فهو سعيدة.

منزل القناص

خرجت بيلسان إلى الحديقة بعد أن أنهت الفطور، تستنشق

الهواء النقي وفكرها ما يزال مشوشا ومضيبا

_ماذا تريد من أخي يا بيلسان؟

التفت مجفلة تلهث من أثر المفاجأة لتجده أمامها، المحتل

للمساحة الكبيرة من فوضاها، تذكرت سؤاله، فقطبت بريبة

ليعيد هو سؤاله عليها بينما يقترب منها

_ألم تسمعيني؟ ماذا تريد من أخي؟

تداركت أنفاسها وأجابته بتحدي تخفيه ذخيرة لوقته المناسب

_ماذا تقصد؟ ثم من منا يجب أن يطرح ذات السؤال على الآخر؟

كان دوره ليقطب حيرة بينما هي تكمل بانزعاج

_ماذا تريد من جنات يا نضال؟

بلع ريقه من سؤال لم يحسب له حساب كما لم يتلقه من قبل

بينما هي تردف ببسمة ساخرة

_طبعاً لن تجيب وبماذا ستجيب؟

للحظة انقلبت صدمته إلى سرور داخلي بأنها ربما... ربما

تغار، إلا لماذا تغضب منه بتلك الطريقة؟ لكن لحظة! لماذا هو

مسرور بحق الله؟

_وما الذي يغضبك في الأمر؟ إن كان بيني وبين جنات مشاعر،

ما الذي يغضبك إلى هذا الحد؟

صمتت ترمقه بغل، فتابع مبتسما هو الآخر لكن بسخرية

مزعومة

_هل أعجبت بي يا ابنة العمّة؟ إذا كنت كذلك فلماذا تعاملين

أخي بتلك الطريقة؟

اشتد غضبها وقد لمس وترا حساسا تخشاه بقوة، فهتفت

بعصبية تمكنت من كل أطرافها لتومض بعقله ذكرى الفتاة

العصبية بائعة المرطبات والحلوى في ذلك اليوم البعيد، القريب

جدا!

_أهتم جدا، لأن جنات تكون أمانة ابراهيم، ذلك الشاب الذي
قتله من أنجبني في الرحلة أمام عيني!

مجموعة القناص

_إنها صفقة مهمة فؤاد يجب أن نوافق عليها في الاجتماع
المقبل.

أقفل فؤاد الملف بعد تفحصه جيدا ثم أجابها بهزة كتف
صاحبها بكلماته الجدية

_العميل مشبوه ونضال لن يوافق.

اقتربت منه تلمس وجنته بينما تخبره بنبرة ناعمة

_ لا علاقة لنا بأعماله الأخرى المهم أن صفتنا سليمة، لهذا
حبيبي يجب أن تقنع بنات أختك لتوافقا على الصفقة.

هم بالاعتراض، فأسكتته بما تبرع به دوما تستميل به زوجها ثم
ابتعدت عنه تبسم بتأثر تدّعيه بإتقان بينما تردف

_ أنت الوحيد القادر على ذلك حبيبي، إنهما لا تطيقانني والله
أعلم بماذا أخبرهما نضال عني.

ما زال يلهث من فرط تأثره بها حين سألها بحيرة

ولماذا أنت متأكدة من قدرتي على إقناعهما

مسدت على جانب خده، توجهه إلى ما يجب عليه فعله

_الاجتماع بعد شهر من الآن، يجب أن تحصل فيها على ثقتها
وأنا سأخبرك كيف.

منزل القناص

_أهتم جدا! لأن جنات تكون أمانة إبراهيم، ذاك الذي قتله من
أنجبني في الرحلة أمام عيني!

تجمد مكانه وقد أضيفت إلى فوضى أفكاره، أخرى أعادته
سنوات في الزمن بينما هي تكمل بحرقه وجدت لها منفذا
مناسبا

إن كنت لا تذكرني نضال، أنا صاحبة الحلوى والمرطبات التي
سخرت منها ومن بضاعتها، أنا الشاهدة على مقتل ابراهيم
وخطف زوجة الشرطي.

توضحت الصورة يسترجع كل الذكريات مرة واحدة، فلم
يتزحزح عن مكانه يحدق فيها مقطبا ومدهوشا بينما هي
تسترسل دون انقطاع

إنها أمانتي التي لا أستطيع حتى إخبارها بأن من قتل شقيقها
وعائلتها الوحيدة، من حرمها أمانها واستقرارها يكون أبي أنا،
صديقتها بل أختها!

ثم رفعت اصبع سبابتها في وجهه، تهتف من بين أسنانها
بشراسة وقد توحشت مقلتها فأضحت نسخة من أوركيدا

_أقسمت على أن أكون عائلتها وسندها بعد الله ولن أتوانَ عن
الدفاع عنها بكل ما أوتيت من قوة، فاحذر مني نضال ولا
تستهن بي!

تنفس برتابة علّه يحزر عقله من صدمته وهي تتابع مهددة بكل
شجاعة أسرت كيانه

_لا تظن أبداً بأنني ضعيفة يا ابن الخال! لا تنس بأنني نشأت في
بيت قاتل والدي ونجوت بفضل الله، أحذرك! ابتعد عن
جنات! وإن كنت فعلاً تحبها بصدق، تزوج منها! أو ستواجهني
أنا وصدقني لن يعجبك أبداً ما سأفعله... أبداً!

ثم انصرفت متلافية تمثالا لم يتوقع ما حدث البتة!

سجن العاصمة

_ابدأ بالشرح يا تامر! أمامك ساعة من الزمن.

رماه بنظرة حذرة ممزوجة بأسف وضياع وبعض من التوجس
ثم قال

_تعرفت على رشيد زوج شقيقة سعيدة اسمها سارة، حين كان
محجوزا في الحجز الخاص بمرضى داء فقدان المناعة وقد
تطوعت للخدمة هناك في ذلك الوقت ولم يكن الوحيد
المريض بل زوجته وحماته باستثناءها، أخبرني بأن زو..

قطع جملته خوفا من نظراته الجامدة ثم استطرد

_الجمعية تكفلت بها وبعائلتها، المرض فتك بالأم ثم زوجته التي التقطت عدوى ما فسأت حالتها وتوفيت قبل ستة أشهر وقبل شهر تقريبا أتاني رشيد منهاكا يخبرني بأنه يحتضر ولا يعرف أحدا يوصيه بالفتاة خيرا إلا أنا، وعدته أنني سأفعل أي شيء لأصون أمانته رغم قلة حيلتي فقد كان يائسا وبأمس الحاجة لمن يريح باله، فرغبت بمساعدته.

صمت قليلا يلتقط أنفاسه، فحثه ليث المصدوم كليا بشخصية تامر الجديدة كأنه أمام رجل لم يعرفه من قبل.

_أكمل!

رمقه بتوتر مما سيقوله

بعدها بأسبوع توفي رشيد واستعنت ببعض معارفي ليخبروها
بأنني موجود إذا احتاجت لأي شيء، لأتفاجأ بخبر اختفائها،
كنت سأفقد عقلي لذا قمت بتحقيقات اضطررت على اثرها
إعادة بعض من العلاقات القديمة.

احتدت نظرات ليث، فرفع تامر كفيه باستسلام يردف بعجالة
_الحمد لله أنني فعلت ذلك.

قطب من جديد، يسأل بريبة

_ماذا تعني؟

بلع ريقه يجيبه باضطراب

_ علمت أنها ليست الوحيدة، بل فتيات أخريات خُطفن من أجل
الدعارة وليس هذا فقط، علمت من بعض المصادر ما جعلني
آتي بك على عجل.

هتف ليت بريبة من ملامحه القلقة

_ تحدث تامر وأخبرني بكل شيء.

تكلم تامر بحذر

_ آسف ليث، لأعلمك بما لدي، أريد وعدك أولاً بإنقاذ سعيدة

... كلمتك مقابل ما سأخبرك به.

حل الصمت بينهما قبل أن يقول ليث بتصميم

_ أنت تعلم جيداً، بأننا لا نقصر في حل قضايانا.

أوما تامر بالسلب، يفسر له بوضوح

_ ما أطلبه أن تتول أنت القضية بنفسك، حينها فقط سأخبرك
بكل شيء وصدقني إنها معلومات خطيرة، تمس أمن الوطن
بأكمله.

رفع ليث أصابعه يحك بها أسفل ذقنه، مقلبا الأفكار في رأسه
ثم رد عليه.

_ أنا موافق ولك كلمتي... هات ما عندك!

الفصل الثالث عشر

{مروءة الرجل : صدق لسانه واحتماله مُؤنّة إخوانه، وبذله
المعروف لأهل زمانه ، وكفّه الأذى عن جيرانه.... الحسن

البصري}

ثانوية الحسن البصري

(الفسحة)

وقف على باب الإدارة المطل على الساحة الواسعة وسط
الفصول، يراقب تجمعات الطلاب، كل مع أصدقائه وابتسامة

لطيفة تزين ثغره، يفكر بأنه لسنين معدودة كان في مكانهم مجرد
تلميذ وضائع أيضا، رق قلبه لهم يرى فيهم نفسه.

_لهذه الدرجة يعجبك المنظر؟

التفت إلى مصدر النبرة الأنثوية ليجد زميلة له قد تعرف عليها
سابقا مع الباقي، فابتسم برسمية كما رد عليها

_بلى... إنها مرحلة لا نعرف قيمتها حتى تصبح ماضيا.

شجعها رده الودود، فتحدثت معرفة عن نفسها

_أنا هناء، أستاذة العلوم الطبيعية، جديدة هنا أيضا.

هز رأسه محافظا على بسمته الرزينة، متهربا بنظراته التي
تصادمت مع أخرى زرقاء متمعنة به عن بعد ببعض من
السخرية والغموض

_ أنت اسمك وائل، أليس كذلك؟

_ ها؟

تدارك نفسه حين تتبعت زميلته مسار نظراته فراح يبحث عنها
ولم يجدها، اختفت من جديد كأنها سراب يزور خياله فقط
_ بلى، أنا وائل وتشرفت بك آنسة هناء، بالإذن منك، سأذهب
لشرب الشاي، فالفسحة على وشك الانتهاء.

ابتسمت له بحبور دفع به للهرب والحيرة تنهك عقله، يشعر بأن
تلك العينين مألوفتين لكن عقله لا يسعفه ليتذكر.

في مكان آخر غير بعيد، الفتيات مجتمعات في أحد أركان
الساحة، خنساء مستغرقة بتفسير مدى أهمية أمين في حياتها
وأنه يعرف كل شيء عنها بل هو المنقذ الذي يرسله ربها كل
ليلة لأسرتها، فماذا سيحدث إن أحب و تزوج أخرى؟ قد
يرحل إلى مكان بعيد أو تمنعه عن التواصل معهم، لمعت
مقلتها بالدموع، فاقتربتا منها تواسيانها قبل أن يجفلن على
نبرة كرم المتهكمة

_ ما بها البرميل الضاحك؟ لماذا هو حزين اليوم؟

شهقن بقوة، فأطلقت خنساء دموعها بسخاء، ومروءة تهتف
بغضب: أنت عديم الحياء، ابتعد هيا! قبل أن أكسر لك
وجهك القبيح هذا!

ضحك ساخرا يعقب

أنت تكسرين وجهي؟ هذا إن رأيتَه أصلا، يا قاع الكأس.

تقدمت مروءة بخطوات واسعة لتنفيذ تهديدها، فحالت سمرا
بينهما تصرخ بألم حين علقت هنالك والآخر يهتف
تنحي يا ساذ...

لم ينهيا لأن لكمة جاءتة من جانب فكه أوقعته أرضا، ليتجمد
الجميع يحدقون في مصدرها، صهيب الواقف بتأهب و قد

أشار لسمرًا ومروءة بأن تتنحيا إلى الخلف بالقرب من خنساء
التي ما تزال تشهق ببكاء.

هتف كرم بسخط يمسد جانب فكه وقد استقام واقفا

_ لماذا تدافع عن ثلاثي الغربان؟

_ اصمت!

زجره صهيب بغضب احمرت له بشرته البيضاء يكمل بتقريع

_ أنت عديم الحياء والنخوة، تظن نفسك رجلا وتمارس قوتك

على فتيات؟

_ ماذا يحدث هنا؟

استداروا إلى المراقب لهم بتساؤل قلق خصوصا الباكية بينهم،

فهتف كرم ببسمة متوترة

ـ أستاذ أمين لا شيء، إنه مجرد سوء****

رفع الأستاذ كفه فسكت وبسط يده تجاه الصف، يأمرهم

ـ إلى الصف حالا، جميعكم!

منزل القناص

تسمرت قدماها حين لمحت أمامها من كان قادما يبحث عنها

ليسمع الحوار كله، فنطقت بارتباك

ـ نزار؟!!

فرد عليها بملامح خالية من التعبير

_اتبعيني، هناك مكان لن نجدنا فيه أحد... كي نتحدث!

في أروقة المنزل تاهت جنات وهي تبحث عن جناح نضال، فقد

حملها فضولها لتفقدته تضحك ببلاهة من كبر المنزل كما

يقشع ربدنها توجسا من برودته، وقفت ينتفض قلبها قبل

جسدها حين تناهى إلى سمعها صوت صياح غاضب،

فتجمدت تمسك صدرها فزعا

_أنا لن أتزوج بابا.... على جثتي!

_فليكن إذن!

_ماذا تقصد؟

_أقصد تتزوجين رغما عن أنفك أو ستكون نهايتك.

_ماذا؟

فغرت جنات فمها بهلع يفوق هلع تلك التي تجادل والدها في
زواج لم تحسب له حسابا ومن رجل لم تره بحياتها

_لا عزيزتي! ليس الموت الحقيقي الذي ستتمنيه ولا تجدينه
بل سأحرمك من كل شيء، المال الذي تصرفين منه كأنك على
بحر لا ينضب، السيارات، المجوهرات، والأزياء كل شيء
...هل تسمعين؟... كل شيء!

فجأة انقطع الصوت للحظة ثم اهتزت جنات حين فتح الباب
 وخرجت دليلة تزفر النار من أنفها، تجمدت لثانية قبل أن
 تصرخ بكل غل يغلي به قلبها

_ماذا تفعلين هنا؟ ومن أنت؟ اخرجي من المنزل! اخرجي!

ضمت جنات نفسها رعبا بينما تهامي يخرج لتوه ليرى من
 تحدثها: _ألا تسمعين يا علقة! أخرجي من بيتي!

جنات مكانها كالتمثال المصدوم وتهامي لا يهتم، حين صدح
 صوت آخر غاضب يبحث عن متنفس لنيرانه المشتعلة

_من تحسبين نفسك؟ بل أنت العلقة.

استداروا إلى نضال المنتفخة أوداجه غضبا وغيظا من سبب

تعاسته، فتقدمت دليلة نحوه تهتف بدهشة

تصيح بي وتهيني من أجل هذه؟

خطا تجاه جنات يضم كتفيها بذراعه يشعر بانتفاضة جسمها

من الخوف والاهانة ثم التفت إلى تهامي يخاطبه بسخرية

سوداء، متجاهلا دليلة يهينها كعادته بإهماله لها

إن لم تتحكم بابنتك الضائعة سأربيها من جديد يا عمي!

انصرف بجنات يغمغم لها بحديث مواسي متلافيا دليلة تتميز

غيضا، فاقترب الآخر وتوقف أمامها شاكرا حظه على الموقف

الذي حصل، فهو كفيل بإنهاء انبهارها الأحمق بنضال

أُمهلك يومين وتأتيني إما موافقة أو لتسلمي البطاقات
والمجوهرات، واياك، أن تفكري في أي تصرف طائش يزعجني
حينها، لا تلومي سوى نفسك.

انسحب فعادت إلى جناحها تزمجر بغضب وشفقت الباب
بكل ما أوتيت من ،،،، غل.

سجن العاصمة

_ماذا؟

ألقاها ليث برعب حقيقي منتفضا يقف بحدة، يستدرك بصدمة

_من؟ كيف علمت؟

وقف تامر هو الآخر يفسر له

في خضم بحثي عن سعيده عبر العلاقات القديمة جاءتني
معلومات أخرى، يمكنك القول إضافية بأنها منظمة يا ليث!
منظمة ممولة من الخارج يحضرون لشيء فظيع، المكونات التي
دخلت البلاد على شكل قطع ما هي إلا مواد خام لصنع القنابل
والمال المهرب مؤخرًا كله مسخر لجهات معينة.

جلس ليث مبهوتا يبلع ريقه جزعا متذكرا عائلته، صغيريه،
زوجته وأصدقائه، كل شخص يعرفه، ولا يعرفه معرض
للخطر، تمالك نفسه ونظر إلى تامر بهدوء يعلمه تامر جيدا وما
يحملة من خطورة

ماذا تحتاج لتعمق في تحقيقك مع علاقاتك القديمة؟

شخصت مقلتا تامر بدهشة، فهو كان مُقررًا إخباره بما في جعبته

ويزيل الحمل من عليه، مقابل إنقاذه للفتاة

_ماذا تقصد ليث؟ أنا لا أفهم.

مال نحوه يرد بنفس الهدوء الخطير المتألق بزرقة عينيه

القائمتين.

_حقًا لا تعلم؟.... إنها منظمات و قنابل، ما هي النتيجة؟

رمقه بإشفاق، يرد عليه بتوجس

_أهداف مدنية.

أوما ليث بتأكيد ساخر

_أجل ها أنت ذا استوعبت، هل سَيَسْهَلُ عليك إكمال التحقيق

هنا أو خارجا؟

تلاحقت عليه الصدمات، يهتف بعدم تصديق

_أخرج من هنا؟

أصدر صوتا ساخرا يجيبه بتهكم

_إن صحَّ ما قلته وأثبتته بشهود ودلائل، فأنا يمكنني إخراجك من

أجل استكمال التحقيق وإذا ساهمت في إنقاذ البلاد من عمليات

إرهابية قد يخفف حكمك بل يمكن أن يطلِّك العفو، خصوصا

أنه سبق و طالك بتحويل المؤبد إلى عشرين سنة بسبب حُسن

سلوكك وإثبات فعاليتك في المجتمع.

تجمد تامر مفعرا فمه لا يقدر على الإتيان برد فعل، فأعاد ليث

سؤاله بنفاد صبر

_هل تستطيع إثبات كلامك؟

أجفل من أفكاره التي تخبره بحقيقة كامنة "الله عز وجل يجزيه

خيرا على الأمانة التي أراد الحفاظ عليها بكل قوة وإخلاص

ودون مصلحة، فهتفت أحشائه (الله أكبر! الله أكبر!)"

_بالتأكيد! وبشهود لكن سأستعمل التسجيل فقط لأنهم إن

علموا بتدخل الشرطة لن يساعدوني.

قام ليث، يقول بحزم قبل خروجه

_ونحن لا يهمننا الآن سوى معرفة كل ما بحوزتهم، استعداد!
ستصلك آلة تسجيل صغيرة وإن أثبت صحة كلامك، ستخرج
من هنا للمساعدة وإن أوقفنا المصائب القادمة بعون من الله قد
تفوز بحريتك.

ما إن لمست أشعة الشمس بشرته تنفس بقوة ثم استقل سيارته
ينظر حوله في الشوارع إلى الحداثق، يتأمل الأطفال الصغار
برفقة أهاليهم يلعبون ويمرحون، ضحكاتهم الشقية تملأ
المكان فرحا، كزقزقة العصافير ثم نظر إلى الناس المشغلة كل
واحد يركض ليلحق بعمله وهناك،،،، يقف حشد حول أكشاك
الشطائر أو البوظة.

هدوء تملأه ضجة الحياة الروتينية العادية، الرتابة الجميلة التي يعيشها البشر في ظل الأمن والسلام، شعر بغصة كبيرة تضغط على صدره.

ألا يمل أصحاب القلوب السوداء، أنصار الشيطان، حجر جهنم كل مرة يكيلون للوطن؟ لسعادة البشر؟ يقتلون أبرياء لا دخل لهم لا في سياسة ولا طمع، كل ما يتمنونه ويسعون إليه، العيش المستور بكرامة، يربون أبناءهم بأمان وتحت السقف الساتر وخبزا يسد الرمق. ماذا يكسبون من قتل الأطفال، النساء والعجائز؟ ماذا يستفيدون من نشر الرعب والجزع في قلوب الناس؟ ماذا يربحون من تدمير العمار وحرق الأشجار؟

_آآه!

تنهد ليث بحرقة ثم ركن جانبا، ليستل الهاتف ويطلب المدير العام للأمن الوطني وزير الداخلية الحالي مصطفى الشهدي.

_نعم سيدي، قابلته.

صمت ثم تحدث بكآبة ظاهرة على محياه

_يجب أن نجتمع حالا سيدي.

صمت آخر ثم رد عليه

_أمن الوطن سيدي، إن كنت متأكدا مثلي من تغير تامر،

فالدرجة هي الأولى سيدي وإن صدق، فيجب أن تعلن حالة

استنفار بين صفوف الأمن وفي أسرع وقت.

دس هاتفه في جيبه ثم ألقى نظرة أخيرة نحو الحدائق والشوارع،
نظرة اشفاق تحولت إلى أخرى مصممة نضحت بها زرقاوتيه
ثم غادر.

ثانوية الحسن البصري

_كفي عن البكاء، خنساء!

تحدث أمين بهدوء عكس ما يكتنف صدره من ضيق مذ لمح
دموعها وهو خارج من الإدارة، فدفعه غضبه لمرأى حزنها دفعا
إليها.

التفت يقصد مروة، الوحيدة منهن المتمالكة لأعصابها،

يستفسر منها :_أنسة مروة، ما الذي حدث؟

أخذت نفسا عميقا، تنفض به عنها صدمة هجوم الأول ودفاع

الآخر وسلكت حنجرتها ثم أخبرته عن الذي حدث وحين

أنهت كلامها، هتف كرم بغيظ

_كنت أمزح معهن وهي غضبت وتهجمت علي!

صمت أمين قليلا ثم وجه إليه السؤال بنبرة ظاهريا هادئة

_ولماذا تمزح معهن أساسا؟ إن أسمينا قلة أدبك مزاحا.

ثم التفت إلى صهيب، يستطرد استفساراته

_هل تشهد على ما قالته الأنسة مروة

أوماً بغضب يكتمه بشدة يعبر عنه احمرار بشرة وجهه، فقرر
أمين موجهها حديثه لكرم.

_كرم، أنت مطرود من حصتي حتى تأتي بولي أمرك.

_لكن.... أست!...

_أربعة شهود على فعلتك، لذا ستأتي بولي أمرك، وتعتذر لهن

كي لا تعيدها مرة أخرى ولا مزاح مع فتيات منذ اللحظة...ها

انصرف!

انسحب الفتى يسب و يلعن، متوعدا بانتقام بينما أمين يقترب

من خنساء يحاول تهدئتها بلين دون أن يدقق ينظر إليها.

_ اذهبي مع صديقتك واغسلي وجهك، أمامكن عشر دقائق
هيا!

أمسكت مروة بيدها تسحبها مع سمرا، فنظر أمين إلى صهيب
يعاتبه : _ مع أنك دافعت عن الفتيات لكن العنف لا يكون دائما
الحل المناسب.

هز صهيب رأسه، يجيب بهدوء لا يجده في نفسه الفتية إلا
بمشقة : - أعلم يا أستاذ لكن كان علي فض الاشتباك، فهو كان
سيضربهما.

حرك رأسه هو الآخر بآلية واجما ثم أشار لباقي التلاميذ
ليدخلوا الفصل.

منزل القناص

_اهدئي بيلسان! من فضلك اهدئي!

رفعت وجهها من بين كفيها بعد أن أجهشت بالبكاء وهي تقص

عليه كل مخاوفها وآلامها بعد أن دلها على ركن بالحديقة منزو

شيئا ما، وكان نزار قد جلس قبالتها يصغي بتركيز حتى رفع يده

يبحث عنها ليربت على كتفها لكنه تراجع وهمس لها بهدوء

_كل مشكلة ولها حل.

نظرت إليه لتواجهها ملامحه الواجمة دلالة على مواساته لها

واحساسه بمدى ألمها، تنصت إلى تنمة حديثه

يصعب على أي حد تعويضك حرمان طفولتك والعذاب الذي

سببه لك ذلك الرجل لكن فكري بإيجابية، الحمد لله أن العذاب

لم يستمر وأنت الآن لا تحتاجين لأحد، لكن...

تلكاً قليلاً فحشته بنبرة باكيه : _ماذا؟

أظهر لمحة امتعاض قبل أن يجيها مضطراً

_يجب أن تخبري جنات بالحقيقة قبل أن يسبقك أحد.

صمتت تمالك نفسها من البكاء، تعلم جيداً بأنه محق وبنفسج

قبله محقة.

_جنات فتاة طيبة ستفهم حتى وإن حزنت في البداية، سريعا ما
ستستوعب الأمر خصوصا أنها على علم بكل معاناتك وهي
تقريبا نشأت معك بمكان واحد كما سبق وأخبرتني.

مسحت دموعها، تقول باضطراب

_أنت محق، يجب أن أخبرها وأنا بكل الأحوال سأحميها ولن
أتركها حتى وإن غضبت مني.

قطب بتفكير، فتذكرت بيلسان شيئا ما ثم أردفت ببعض من
الخرج : - هل سمعت حديثنا كله؟

ابتسم بحزن يشوبه بعض التهكم بينما يجيبها

_أجل، كنت أبحث عنك حين أوقفني صياح نضال.

عضت شفتها خجلا وغيظا من نضال، فاستطرد بضيق

_ لا تؤاخذيه بلسان، فحس الحماية عنده يشتعل حين يتعلق
الأمر بي، توأمه العاجز الذي لا تنظر إليه فتاة سوى من أجل
مصلحة.

تشنجت ملامح وجهها ألما من أجله بينما هو يردف بتساؤل
متهكم وإن شابه حزن دفين

_ لا أعلم حقيقة لماذا يشك بأنك تتقربين مني وفكر بتلك
الطريقة؟ ألا يعلم بأن أي شخص عاجز يستحق معاملة حسنة؟
لم تتحمل متأثرة بمشاعرها المستنفرة حزنا وكآبة، فهتفت
بلوعة

_نزار أنت لست عاجزا، أرجوك لا تحسب نفسك واحدا.

أضرت جذوة الأمل بصدرة تلقائيا، فضحك ساخرا يتجاهل

ما تحدثه به نفسه

_أنا أعمى بيلسان، لا أدعي شيئا لست عليه.

ردت عليه بحماس أنساها ما يحزنها

_ها أنت ذا قلتها، ضرير، لست بعاجز، العاجز بالنسبة لي من

يفتقر للحكمة والخلق الحسن والأهم حس المسؤولية مع

الحنان والرافة... وأنت...

كتمت فمها بكفها حين لاحظت ذاك الاحمرار يطفو على

وجنتيه، لتعي على قولها مجددا فتشنج ملامحها تأنيا

لانجرافها كل مرة خلف مشاعرها الرؤوفة بهذا الرجل، أما هو

فتزين ثغره ابتسامة عريضة بينما يقوم معلقا ببهجة صادقة

_هيا يا حنونة لنذهب ونبحث عن جنات، يجب أن تخبريها وأنا

سأكون معك وكل شيء سيكون بخير إن شاء الله.

استقامت واقفة وشعور بالأمان يحيط بها رغما عنها ثم خطت

برفقته قبل أن تثبت مكانها، تشكره بامتنان شعرته بصميم قلبها

_نزار شكرا لك، حقا أنا شكرك.

التفت إليها كأنه يراها ثم أجابها بابتسامة دافئة

_لا! بل شكرا لك أنت.

في الغرفة الكبيرة تشهق جنات بكاء وجسدها يهتز مع كل شهقة، فأجلسها نضال على إحدى الأرائك ليجلس أمامها القرفصاء يهدئ من روعها مقدما لها الماء الذي أحضرته عمته فريدة الجزعة من منظر بكاءها الحارق

_اهدئي جنتي إنها عادة دليلة، مجنونة ومتعجرفة.

سكنت قليلا بسبب منظره يحدثها بحنان بالغ قبل أن تنتفض على هتاف بيلسان المرعوب

_جنات... ما بك حبيبي؟ لماذا تبكين؟

رمت نضال بنظرة حارقة وهي تضم جنات التي ارتمت بين ذراعيها، فبادلها نظرتها برفعة حاجب ممتعضة

_واجهت إحدى نوبات دليلة الهستيرية، فلم تتحمل.

كانت العمه من أخبرتهما بقلق مشفق، فعقب نزار بانزعاج

_يا رب ارحمنا، ما بها مجددا؟

هز نضال كتفيه جهلا يغمغم لأخيه بلا أعلم، فرد عليه نزار

بحزم تمكن من ملامحه

_مهما حدث، لا يجب أن تعامل الناس بقلة احترام.

أبعدت بيلسان جنات قليلا تتنفس الصعداء لأن الأمر ليس كما

فكرت به ومسحت لها دموعها، تسألها برقة

_ماذا حدث حبيبتى؟

بلعت ريقها بتوتر تجيبها، متغاضية عن أمر بحثها عن جناح

نضال

_تجولت قليلا في المنزل، فضعت بين أروقته وفجأة أوقفني

صراخ الفتاة ترفض الزواج ووالدها مُصر يهددها.

قطبوا ريبة، والعمة فريدة تتساءل بتوجس

_يا إلهي، لمن سيزوج ابنته؟

تجمدت التعابير على وجوههم وقد حلت عليهم غيمة

الماضي بماآسيها.

محل سالم

_السلام عليكم سالم.

حدق بالوافدين عليه في محله، يتعرف على إثنان منهما

_عليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، مرحبا بكم في محلي

المتواضع.

صافحوه بحميمة الأصدقاء بينما يجيبه واحد منهم

_ما شاء الله، تبارك الرحمن يا أخي، نسأل الله لك الرزق الوفير.

ابتسم مؤمنا على دعائه، فقال الثاني

_جئنا نبلغك بأنك مدعو إلى بيت الشيخ بدر بعد صلاة الظهر،

يريد رؤيتك.

قطب حيرة يستفسر بتوجس

إن شاء الله، هل هناك خطب ما؟

ربت الأقرب إليه على كتفه ضاحكا، يجيبه قبل أن يسلموا عليه

مغادرين

يريد التعرف إليك، فقد لاحظ ترددك على المسجد بانتظام،

فسأل عنك ويريد رؤيتك.

ثانوية الحسن البصري

نفخ بضجر يتوجه نحو استراحة الأساتذة، ليمضي ساعته

الشاغرة بالمطالعة بهدوء مع كأس شاي، فلمحها مع أول

خطوة له داخل القاعة، منزوية لوحدها، فالجميع في حصصهم
وبالعادة كانت تعود للبيت في تلك الساعة الشاغرة لديها أيضا
لتطل على رضيعتها

_تسليم!

رفعت رأسها على مهل وتلك النظارة السوداء تلتهم جل
وجهها، فابتسم لها بحيرة وهو يمسك بمسند الكرسي قبالتها
يعبر عن حيرته

_لم أتوقع وجودك هنا، فعادة تذهبن لرؤية ابنتك؟

نظرت إليه من تحت نظارتها، فلم تتحمل ذكره لرضيعتها
لتنهار ببكاء حارق تكتمه بكفها.

فزع من انهيارها، يتلفت حوله رغم خلو القاعة إلا منهما ثم قال
بريبة _ ششششش... اهدئي... ششششش!

سحب منديلا ومده لها بقلق، التقطته تمسح دموعها ثم تنفست
بعمق علها تخفف الضغط القابض لصدرها على وشك
الانفجار بسبب حرقة الغل والبؤس.

صدق إحساسه تجاهها وكان يعلم من خلال غرابة تصرفاتها
بأن بحياتها خطب ما، سألها باهتمام
_ كيف تشعرين الآن؟

تنحنحت ثم أجابت بخفوت متعب
_ لا بأس! شكرا لك.

أحضر لها كأس ماء، وراقبها إلى أن ارتشفته بالكامل ثم

تحدث يستفسر منها بريبة

_هلا أخبرتني ما بك؟

تأملت الفراغ أمامها، فلم تعد تقوى على التحمل ولا

السكوت، يجب أن تتحدث مع أحد، يجب أن تُخرج ما في

صدرها وشيء ما يهمس لها بأن يكفي تهورا، هذا رجل! ألم

تتعظ مما سبق؟

رفعت كفها بارتعاد وأزالت النظارة السوداء رغم التخبط

برأسها، لتجحظ عيناه لمرأى الزرقة المحيطة بعينها اليسرى مع

آثار حمراء لأصابع على خدها، فسأل بتقطع مصدوم

م..... كيف.... من؟

تدحرجت دمعات صامته تتوالى على وجنتها المكدومة، فرفع

يده يستدرك برجاء وضيق

كفي عن البكاء رجاء.

تنفست من جديد ومسحت دموعها، فأردف بعصبية

من ضربك، أقصد يضربك؟ فالآن فقط أفهم بأن كل مرة

ترتدين فيها النظارة تخفين بها كدمة.

ضمت شفيتها إلى داخل فمها تضغط عليهما بقوة، فأكمل

يحثها

كل ما ستخبريني به سيبقى طي الكتمان، ثقي بي!

فتحت فمها الصغير كصغر حجم وجهها النحيف حوله شعر

أسود مصفف يمتد إلى نصف ظهرها

ز...زوجي.

نبض عرق على جبهته مبرزا مدى الغضب الذي يكبته دون ذكر

القبضتين المبيضتين على جانبيه، يؤنبها من بين فكيه غيظا

_كيف تسمحين له؟...الحقير!...أليس لك أهل تحتمين

بهم؟

شتم في سره، فقد لمس جرحا آخر حين رفعت كفها من جديد

تكتم شهقة حارقة، فأشار لها بيديه

_اهدئي رجاء!

فأجابته بنبرة تهدجت من البكاء

_ أنا لا أستطيع التحدث هنا... أنا!

أطرق يفكر قليلا، فالأمر حقا محير وحساس

_ هل أنت مشغولة بعد الظهر؟

نظرت إليه بريبة، فأردف رغم رفض دواخله لما هو مقدم عليه

_ أعرف مكانا جيدا لنلتقي به وأحضري معك صغيرتك

لأتعرف عليها.

تجمدت مكانها تفكر بتوتر يتشاركه لكن شيء ما يدفع به

ليقدم لها المساعدة وشيء ما فيها يدفع بها لتبحث عن استشارة

إنه مكان عام يا تسنيم، لا تخافي، يمكنك التأكد منه، به حديقة
عمومية مليئة بالناس، فكري و أجيبيني
التقط هاتفها المرمي أمامها على الطاولة وسجل به رقمه ثم
ناوله لها بعد أن طلب منه رقمه ليسجل خاصتها به ثم انصرف
قبل أن يتراجع فأحشاه في صراع مقيت ومزعج.

الفصل الرابع عشر

{ ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا
 نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية؟ فإن
 كانت طاعته تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت

الحسن البصري

مجموعة القناص

زفرت بملل حائق بعد أن فشلت بالتركيز على عملها، فقامت
 إلى النافذة تملأ صدرها بالهواء، كانت على علم بخبث خالها،
 متأكدة هي من قسوته وافتقاده للرحمة ولم يكن أول من صادفته

وحشا، بل الكثير أولهم والدها الذي تركها في عهدة أناس
باردين يعاملونها كعلقة يحاول الجميع التخلص منها، إذن
لماذا سماع الحقيقة من فمه هو تشعرها بالكآبة؟ لماذا أصيبت
سابقا بالإحباط حين أبعدها عنه؟ فلم يسبق لها أن تعرفت على
ذلك الاحساس بحياتها! من أين لها أن تعرف؟ فخلال حياتها
البائسة كانت تُبعد كل من يتقرب منها توجسا وخوفا غير
محددٌ وبعد أن اكتشفت حقيقة والدها أضحت ترى كل من
يتقرب منها مجرما يريد بها الأذى، كما فعل والدها بالكثير من
النساء، لذا لم يسبق أن وثقت برجل أو سلمته قلبها أو حتى
سمحت لأحد بأن يلمسها ولو على قبيل الصدفة، رهاب
الناس، هذا ما أخبرته بها الدكتوراة النفسية، بأنها فقدت الثقة

ببني البشر بسبب نشأتها بين أناس لم يمدوها بالعاطفة واتسموا
بقسوة بالمعاملة ثم ما علمته عن أبيها: - أف!

تأففت من جديد ثم توجهت إلى حقيبتها التقطتها وغادرت، أما
هو فكان يتململ كل حين والوجوم لا يفارق محياه، حيرته
تزداد، غير متأكد بعد من قدرته على إتمام المهمة، علت رنة
هاتفه فتلقفه بقلق يجيب: - أجل سيدي، حالا!

دس هاتفه في جيبه، مستغربا أمر الاستدعاء الطارئ ولم يلبث
أن تحول الاستغراب إلى دهشة ممتعضة حين هلت عليه تأمره
بجفاء: - أعدني إلى المنزل!

هز رأسه بآلية وفتح لها باب سيارته، وبعد برهة من السكوت
أخبرها برسومية

_ سأغيب أنا وزيد لساعة، فقد تم استدعائنا إلى اجتماع طارئ
ويجب عليك التغطية علينا.

لم تجبه فاستدار إليها وكم هاله الحزن الممزوج بالقسوة تنضح
بها ملامح وجهها، تحيط بها تلك الخصلات السوداء القصيرة
المستفزة لأقصى الحدود، تلامس بأطرافها جانب فكها، ترك
هنالك أفكاره وعاد إلى مراقبة الطريق أمامه، يقول بحزم طغى
على نبرة صوته رغما عنه

_ ألم تسمعي ما قلته؟

شعر بانتفاضتها الخفيفة ليكتشف شرودها الذي استمر يشغل
فكرها، فهتف بحزم أجفلها لترد عليه بحق مغيط

_ لا! لم أسمعك!

ابتسم بغرابة حين توقع بأنها مثله وقعت في حيرة من أمرهما،
لكنه سريعا ما استرجع ملامحه الصارمة يعيد عليها البلاغ،
فقالت بنبرة عادية

_ لا مشكلة! آمل أن تكون المستجدات بخصوصه.

المنزل ظهرا

تبدو كجلسة مضحكة لكن لمن يملك مزاجا للضحك
والمزاح وهذا لا ينطبق على الحضور الصامت كأن الطير على
رؤوسهم، أحشائهم تسبح في صخب أفكار لا حدود له، نضال

تارة يحدق ببيلسان وأخرى بجنات المرتابة من نظراته الغريبة
 إن كانت نحوها أو نحو بيلسان، غافلة عن أفكاره الخاصة،
 *تذكرها، الفتاة النحيفة البائسة صاحبة المرطبات والحلوى
 اللذيذة، الشاهدة على جريمة القتل والخطف، إذن جنات
 شقيقة الضحية في الرحلة، وتعتبر بيلسان نفسها الوصية عليها،
 كما يعتبر هو نفسه الوصي على شقيقه، كم احتدت عينيها كما
 فعلت قبل سنوات دفاعا لكن ليس على بضاعتها بل صديقتها
 وهو الذي ظنها بكل سذاجة غيورة عليه! * تنهد بانزعاج، هو
 نضال القناص، فتاة ضئيلة تدخله في حيرة أضعاف حجمها لكن
 لن يكون نضال إن لم يصبها بنفس الحيرة، خائفة منه على

جنات؟ فليرى ما ستفعله حين تخرج جنات من الحساب
كله.!

إلى جواره عمته التي ظللت على رأسها غمامة الماضي بكل
أهوالها وآلامها، هل سيجبر ابنته على الزواج، كما فعل معها و
شقيقتها؟ تعترف بأن حظها كان أفضل من توءمها، فزوجها
كان آدمي رغم أن حياتهما لم تخلُ من المشاكل، لكن لم تصل
لفظاعة حياة فاديا، ترى من يكون ذاك الذي سيشتري دليلة من
والدها؟ فهي متأكدة من تلقي تهامي الثمن المناسب.

نزار جامد مكانه يفكر بمشكلة بيلسان مع جنات والمصيبة
الجديدة زواج دليلة الغريب، يستغرب المستوى الحقيير الذي
بلغه عمه، ومن سيقف له؟ لا أحد! هو متأكد من ذلك، فدليلة

ابنته و هو حر معها، ابنة أحضرها بالماضي رضيةً يخبر العائلة بأنها ابنته من زوجة لا يعلم عنها أحد، لم يسمح لأحد بالتدخل في تربيتها ووظف لها مربية تلوى الأخرى، لتكبر على كونها ابنة التهامي المدللة، تفعل ما تريده وتحصل على ما تشتهي نفسها لذا كان يعذرها، فتلك تربيتها، الدلال والتحرر، أم لا تعلم عنها شيئاً وأبٌ حاضر غائب.

وبيلسان تدس كفيها المضمومين بين ركبتيها، تفر كهما بشدة، غارقة في ذكرى اغتيال إبراهيم، لقد قررت إخبار جنات بالحقيقة وتشجعت أكثر بوعده نزار بمرافقتها ومساندتها لكن الظروف لم تسمح بعد، ليكمل عليها الوضع الذي وجدتها فيه وذاك المتعجرف يواسيها، ألا يعلم بأنه يعلقها به أكثر بتلك

المعاملة؟ غريب كيف يشعرها نزار بالأمان، يطفىء الخوف في أحشائها بمجرد كلمات قليلة يلقيها برزانتته وحكمته من جهة أخرى نضال، لماذا أخبرته بالحقيقة؟ لماذا ذكرته بها؟ طبعا كان يجب أن تثبت له عدم صحة ظنونه، تافه متعجرف! يحسب كل من يعرفه يتولّه في حبه و يُجذب إلى هالته الحارقة، ماذا الآن؟ كيف سيتصرف؟ هل سيتمادى بعد مع جنات؟ لا! لن تسمح له، بل ستجبره على الزواج منها إن لم يبتعد عنها، لكن لماذا ليست مقتنعة بزواجهما إن حدث؟ لماذا الوضع برمته ليس مريحا وظاهرا.... كنزار، كل شيء يتعلق به واضح، سليم، صحيح وفي مكانه. تنهدت هي الأخرى تسأل ربها الهداية.

وأخيرا جنات نظراتها مركزة على نضال لا تحيد عنه، يحيرها
بتصرفاته الغير مفهومة إطلاقا، منذ تعرفت إليه يعاملها باهتمام،
يتغزل بأنوثتها الرقيقة وجمالها الرباني وروحها البريئة ولا
يناديها سوى بجنتي لكنها تخشى تلك النظرة اللعوب التي
تنضح بها مقلتيه، شقُّ منها يعترف بكونه أعلى من تطلعاتها،
وسيم جدا، غني جدا، ذكي جدا، ومتعجرف جدا! ترى نفسها
أبطاً من مواكبة حماسه، ربما لذلك تنجذب لوهجه دون وعي
منها، فتنة شديدة على تماسكها، تكتشف بأنها ليست حقا كفتاة
واثقة، قوية وطبعا غنية مثله، في تلك اللحظة لمحت نظرتة نحو
لبلسان ليومض عقلها بإدراك زامن شعورا بالطعن في أعماق
صدرها، بلبلسان أنسب له منها، أجمل منها، غنية، قوية والأهم

عائلته، يعني؟ زفرت بقنوط تحرر الضغط الكبير الذي شعرت
به بغتة يجثم على صدرها ونظرت إلى أور التي انضمت إليهم
للتو تجلس على المقعد بجانب شقيقتها دون وعي تستغرق
بالتفكير.

_أجركم الله يا سادة، ماذا يقربكم الميت؟

أجفلوا جميعا على نبرة رضوان الساخرة، فقامت والدته تجيبه
بوجه متوتر قلق

_بني، خالك سيجبر دليلة على الزواج.

تجاوز دهشته إلى كره لمعت به مقلتيه بينما يرد على والدته
بنبرة ظاهريا هادئة: _وما الجديد؟

هتفت أور بكره أكبر : _ وكيف توافق هكذا ببساطة؟ هي حرة
ولا يجوز لأحد أن يجبرها على الزواج.

ابتسم نضال بتهكم، يعقب

_ أراهن بكل ما لدي بأنها ستوافق.

تكلمت بيلسان بامتعاض جعلهم يتسمون في خضم وجومهم

_ أبقى أموالك في جيبك، فالرهان حرام يسمى قمار أو ميسر ثم

على ماذا تراهن؟ إنها حياة فتاة يعني بشر.

هم بالرد لكن نزار سبقه يفسر لها باسمها بحزن

_ للأسف هو محق، ستوافق ولا أحد منا يستطيع مساعدتها

ازدادت نبرة أور توحشا بينما تعقب بغضب

_ أنا سأساعدها، ماذا سيفعل؟ هل سيقتلها إن لم توافق؟

قاطعتها نبرة حازمة مهددة يكرهها الجميع

_ بلى سأفعل!

مكتب المحامي عز الدين الشامي

_ آنسة سلوى، انتظري قليلا.

تسمرت مكانها بتوتر تتوقع حديث الأستاذ الذي نطق بجمود

_ اجلسي، لا تحتاجين لدعوة.

جلست فترك ما في يده وشبك كفيه على سطح مكتبه، يسألها

_ أخبرني زميلك عن بحثك، ما غايتك يا آنسة سلوى؟

بالرغم من معرفته اختار مناقشتها بهدوء، فردت بخجل

ممزوج بارتباك

_أي بحث تقصد أستاذ عز الدين؟

مط شفتيه بخفة قبل أن يجيب بجدية

_سهيل العلام.

بلعت ريقها وقد تأكد حدسها فغمغت بتلبك.

_أنا.... هو...أ....

قاطعها يستطرد بإحباط وقد فاض به الكيل يحاول ردعها عن

حمقها

_ لا أعلم حقيقة أي الأمرين سيؤدي بك إلى الهلاك أولاً، غباؤك
أم عجرتك!

اتسعت مقلتاها صدمة بينما هو يردف دون أن يعير دهشتها
اهتماماً فقد حذرهما كثيراً بمواراة ثم بوضوح وما تقترفه حالياً
سيدمرها إن لم يدمره هو شخصياً.

_ هل تعلمين من هو سهيل العلام؟ شريك تهامي القناص؟
اغتاظت، فنطقت بحمق

_ مجرد مجرم سكير يضرب زوجته التي اشتراها من والدها.
ضرب على سطح مكتبه بكفه، فانتفضت مكانها

_هكذا إذن! نفس الموضوع المعتاد لكن يا آنسة سلوى هذه

المرّة الزوج ليس مجرد رجل أحرق عفيف، أقصى ما سيفعله

محاولة التهجم عليك وضربك انتقاما لكبريائه اللعين.

صمتت تضم شفيتها بقلق ممتعض وهو يكمل بحزم

_بل سيخفيك دون أي أثر!

أخفت خوفها بشجاعة افتعلتها تجيبه

_أنا لا أخشى إلا ربي يا أستاذ عز الدين.

حرك كفيه في الهواء يجيبها بسخرية

_أخبرتك سابقا.... إما غباؤك أو عجرتك وفي كلا الحالتين

أنت الخاسرة... اسمعيني يا آنسة.

رمقته بتساؤل، فاردف بهدوء تنفس بعمق ليستجلبه

إن كنت لا تخافين على نفسك فأنا أخاف على عائلتي

والموظفين هنا أغلبهم شباب يريدون العيش بسلام، يؤسسون

لأنفسهم حياة مستقرة.

نظقت بخفوت التقطه : _ ألا يفترض بنا حماية الناس؟

أجابها بضيق تبدو له متحجرة الرأس ستهلك نفسها

_ لا! نحن ندافع عن مصالحهم، ندافع عن من يوكلنا ويطلب

مساعدتنا أما الحماية والتحقيقات فهي وظيفة الشرطة يا آنسة

سلوى وأنا متأكد من أن زوجة سهيل العلام لم تطلب

مساعدتك.

لم تتجراً على الكذب فاستدرك أسفا يرمقها بتحذير

_ خلاصة القول هذا آخر إنذار لك، لا تعتمدى على إعجابى

بمهاراتك لن يشفع لك، اكتفى بالموكلين الذين يطلبون

مساعدتنا وابتعدى عن المشاكل وأبعديها عن مكتبى.

همت بالتكلم، فقاطعها بحزم بينما يعود إلى مطالعة أوراقه

_ يمكنك الانصراف.

غادرت بملامح مسودة من الحقد على كل مجرم وحقير أمام

نظراته اليائسة وما إن أقفلت الباب، استل هاتفه ليطلب رقما

ما يخاطبه بجدية : _مرحبا ضابط نوفل.

المركز الرئيسي

دس الهاتف بجيبه ورفع كفه يمسح على وجهه، يهمس بغیظ

_حمقاء!

_نوفل! ما الذي أتى بك؟ لم تأخذ كفايتك من الراحة.

ضم نوفل صديقه أسد مغتصبا بسمة رسمية بينما يجيبه

_أضحيت أفضل وضرغام استدعاني، أظنها حالة استنفار وتم

استدعاء الجميع.

قطب أسد بريبة و كذلك فعل زيد الذي صافح نوفل بدوره

_استنفار؟

استداروا إلى الوافد عليهم يلقي التحية بهزة من رأسه

_السلام عليكم، ماذا تنتظرون في الرواق؟ هيا... أدخلوا!

هزوا رؤوسهم باحترام ولحقوا بصوان يدخلون غرفة العمليات
حيث اتسعت أعينهم دهشة حين وجدوا أفرادا مهمة بالسلك
الأمني وعلى رأس طاولة الاجتماعات معالي الوزير ومدير
الأمن الوطني مصطفى الشهدي.

قصر القناص

استداروا إليه مُهلا عليهم بخيلاء، يتشدد

_دليلة تكون ابنتي، وستفعل ما أريده.

نطقت وجوههم بالكراهة بينما هو يتسم بسماجة يردف بسخرية

_ هذه تسمى طاعة ودين، لا أظنك تعلمتها في مدرستك الداخلية
ولا علمها لك والدك الأجنبي.

أطلق نضال ضحكة ساخرة خالية من المرح والباقي يرمقونه
بدهشة بينما فؤاد و قائمة كانا على وشك عبور المدخل حين
تناهى إلى أسماعهما جُلّ الحوار ، فمالت على أذنه تهمسه
بمكر

_ إنها فرصتك للتودد إلى بنات شقيقتك.

نظر إليها فأومأت بتأكيد تحته على الدخول

_ لا أظن بأن هناك شيئاً مضحكا يا نضال.

علق تهامي بسماجة، فتجمدت الضحكة على ثغره يهتف

بجفاء : - تماما!

تدخل فؤاد يخاطب تهامي بلوم

_أخي لا تُحدث الأولاد بهذه الطريقة، هم محقون.

تجمعت حوله الأنظار المتفاجئة والمتوجسة، فقال تهامي

باحترار قد فهم نيته بسهولة : - لا تتدخل فؤاد.

ثم عاد إليهم يستطرد بعد أن شملهم بنظرته المهددة

_من الجيد أنكم هنا جميعا لأعلن عن الخبر مرة واحدة، دليلة

ستزوج ولا أريد أي تدخل بيني وبين ابنتي.

ثم ابتسم بفخر زائف، يكمل قبل أن ينصرف

_ اخترت لها عريسا يليق بها، يمكنكم السؤال عنه، اسمه *

الضابط ممتاز صوان الصخر *

المركز الرئيسي

اتخذ كل منهم كرسيه بعد أن ألقوا التحية على الوزير وبعض
الشخصيات، وعقولهم متوجسة يعلمون بأن حضورهم تعني
مصيبة خطيرة.

تحدث الوزير برسمية

_ سأحدث بإيجاز لأن اجتماعا آخر ينتظرنى بعد نصف ساعة،

لقد جمعناكم لأنكم الفريق المكلف بالهدف

راقبوه بتمعن بينما هو يردف بحزم

_ كل الخطط السابقة ستتغير.

قطبوا لكنهم حافظوا على صمتهم وهدوئهم حتى يكمل حديثه، فهم على علم بالاجتماع الآخر المستعجل والخطير مع رأس هرم السلطة للبلاد.

_ أتتنا إخبارية تفيد بدخول مواد لتركيب القنابل وأموال لجهات معينة....المصدر علم بالصدفة وهو يبحث عن فتاة من فتيات دار الأمل المخفيات وهذا البحث أوصله إلى هدفكم وهذا يعني أنه متورط لذا ما كان مخططا سابقا يجب أن يتغير، سنبقى الارتباطات كما هي إلى إشعار آخر.

قام عن مكانه وهو يكمل قبل أن ينصرف

_العميد ليث سيبلغكم بالتعليمات، خذوا حذركم وتحققوا من أي شك مهما كان صغيرا، أسأل الله لكم ولنا التوفيق.

تحرك الرجال ذوي مناصب أمنية حساسة يصحبون الوزير إلى اجتماعه الثاني بينما ليث يستلم دفعة الحديث

_كان مقررا بعد زواج صوان من ابنة تهامي القناص القبض على الأخير في أقرب عملية يسهلها له صوان وعلى غرار ما يفعله سابقا من إبعاد الشبهات عنه كان سيستدرجه ليثبت تورطه لكن الآن سنمنحه المساحة والمجال ليتصرف بأريحية فتمكن من مراقبة محتوى عمليات التهريب والأهم المرسل إليهم، هذا هو هدفكم منذ اللحظة!

أضحت الوجوه واجمة متوقعين النتيجة الحتمية إن لم يتبعوا

المواد في وقت باكر، تدخل صوان بملامح عابسة

_قابله أمس وهو موافق على زواجي من ابنته.

هز ليث رأسه باستحسان، يرد عليه

_جيد لك كل الصلاحيات وسنؤمن لك الموافقات الخاصة

بدخول سائر شحناته وطبعا فريقا خاصا يفتشها جيدا لنستعلم

عن محتواها ونتتبع مسارها بالكامل، إن كانت مخدرات أو ما

نبحث عنه.

ربت أسد على يد نوفل الساهم، قلبه يهتز داخل صدره، فالغبية

ستسبب لنفسها بالهلاك.

التفت إلى زميله المتسائل، فهز رأسه بلا معنى ثم انتبه إلى ليث
الذي وجه له الحديث

_نوفل مهمتك ستكون مع المصدر، ستصاحبه أينما ذهب بعد
أن تُدبر مع مدير السجن عملية هروبه ويجب أن يعلم الجميع
بهروبه.

هز نوفل رأسه مؤكداً يجيبه بحزم : _تمام سيدي!

وقف يضيف مُنهيًا الاجتماع

_من لديه تساؤلات أو استفسارات أنا في مكثبي.

استقام ضرغام واقفاً لينصرف هو الآخر لكن نوفل أوقفه
يهمس له

_ ضرغام، هناك موضوع أريد استشارتك به.

أجابه و الغضب ما يزال متمكن منه نحو تهامي بل نحو

المجرمين جميعهم

_ رافقني إلى مكتبي.

بيت الشيخ بدر

_مرحبا، مرحبا بالسيد سالم، شرفتنى بحضورك في بيتي

المتواضع.

ابتسم بخجل و توتر، يتأمل الحضور الذين يعرف أغلبهم من
الحي الذي يعمل فيه والمسجد، ملاحظا عدم حضور إمام
المسجد، فتحدث الشيخ، يستدرك مبتسما بمكر يجيد إخفاءه
_أخبروني بمشاكلك يا بني، أعانك الله على والدك.

أطرق رأسه بخزي من صيت والده الذي بلغ أصدقائه الجدد
جاهلا بالتحقيق الذي قُدم للشيخ قبل أن يستقبلوه بينهم
والأخير يتشدد بينما يربت على ظهره بحنو مدعي
_يجب أن تحاربه وأمثاله ممن يأتون الكبائر دون خجل أو
خوف من الله.

بلع ريقه يرمق الباقي المنصتين بتركيز وخشوع لاسترسال
الرجل

_ سيدنا إبراهيم تبرا من والده ، واعتزله حين ضل عن سبيل الله ،
لذا وجب عليك نهره عن ضلاله وإن لم يستجب لك ، ابتعد
عنه واعتزله و تبرا منه .

هز رأسه والغضب يحتد بداخله من فضائح والده التي طالت
الأحياء المجاورة ورفع رأسه بريبة حين سأله

_ هل لديك أخوات أو أخوة؟

وبكل سذاجة رد عليه بحزن

_ أخت واحدة، تدرس في الثانوية.

امتعض وهو يمسد على لحيته الطويلة إلى نصف صدره،
يعقب بضيق

وماذا سيعلمونها في تلك المدارس المختلطة الفاجرة! وأغلب
مقرراتهم يأخذونها عن الفرنجة، ناهيك عن التحرر الذي
يعلموه لهن! لو أردت رأي؟ أجلسها في البيت أفضل، ستر لها
وحصن وأحضرها إلى مجالس علم الأخوات ليعلمنها دينها
وإن شاء الله سنزوجها من رجل صالح نعلم أخلاقه جيدا... منا
و فينا.

تجاهل توجس صدره وابتسم قائلا بامتنان

إن شاء الله شيخنا الجليل

ثم مال على صديقه يهمس متسائلا بحيرة

_ لماذا إمام المسجد غائب؟

رد عليه بعبوس مستاء

_ إنه رجل متخاذل، مُعَيَّن من طرف النظام ينطق و يُفْتِي باسمهم

وبرضاهم لا يستحق صحبتنا الصالحة.

بيت تسنيم

أنهت توضيب المطبخ ثم اتجهت لرضيعتها تضمها إلى

صدرها بينما طلبه منها ما يزال يدور بخلدها* هل تذهب أم لا

؟ ما الذي يمنعها تحديدا؟ خوفها من زوجها؟ ألا يخونها

باستمرار؟ و هي لن تفعل المثل فقط ستتحدث إليه وتستشيريه
بمشكلتها علّها تجد حلا لديه ثم هو إنسان محترم لم يتجاوز
حدوده ولو لمرة معها، سيلتقيان في مكان عام و سترافق ابنتها،
فهي لم تخرج منذ زواجها محبوسة بين جدران البيت، لا
أصدقاء، لا حياة سوى العمل والبيت و المشاكل، ستعتبره
مستشارا بجمعية خيرية أو حتى محامي تستشيريه ملتزمة
بحدودها ثم ترى بماذا سيشير عليها وإن لاحظت أي بادرة
سوء لن تعيد الكرة أبدا*

_أنا أحدثك يا وجه البوم!

انتفضت من أفكارها على نبرة حماتها الساخطة، فنظرت إليها
بعبوس بينما الأخرى تردف بنزق

_ سأذهب لزيارة ابنتي ولن أعود قبل المغرب.

تأففت بخفوت تفكر بأنها لابد قد أخذت مالا من ولدها
وستعطيه لابنتها ثم تنهدت تكمل بصوت لم تسمعه الأخرى
التي كانت قد غادرت بالفعل

_ لا يهمني، فلتبتعد عني هي ونسلها المُشرف، على العموم ماله
حرام لن أقبله على نفسي أو ابنتي.

تناولت هاتفها تتأمل رقمه بتمعن تُفكر وفي لحظة طيش أو
حكمة ليست متأكدة، أرسلت له رسالة.

بيت الأستاذ سامي

_أمي، خذي دوائك حبيتي.

فتحت فمها ليدس حبة الدواء، بلعتها بالماء وابتسمت
لابتسامته، تجيبه بحنو: - حفظك الله لي بني.

قبل رأسها والتقط تفاحة من الفاكهة على المائدة يقشرها لها
ثم يطعمها بيده تارة وأخرى يطعم صغيره منير اللاهي على
حجره بينما سحر تراقبهم بانتباه تفكر كيف ستطلب من زوجها
الخروج مع صديقاتها حتى قالت بدلال امتعض له وجه حماتها
باشفاق على ولدها حفيدها.

_سامي؟

رمقها بتساؤل، فأردفت ببسمة طفولية مستعطفة مدعية

_هل تسمح لي بالخروج بعد ساعة؟ صديقاتي هاتفني

ودعونني لجلسة استجمام على البحر

تغيرت ملامحه إلى الانزعاج بينما يسألها

_من هن صديقاتك؟ لندا؟

صمتت ترمقه بتوجس، فأوماً معتذراً

_سحر أخبرتك من قبل أنها ذات سوابق، يعني مشبوهة ستجري

عليك مشاكل أنت بغنى عنها...أنا لا أمنعك عن صديقاتك

لكن يجب أن تكوني انتقائية من أجل مصلحتك.

همت بالتحدث حين رنّ هاتفه برسالة، فرفع يده لتسكت وقرأ
الرسالة.

ابتسم بحنو لوالدته قائما يقبل رأسها ثم قبل ابنه قبل أن يضعه
على حجر زوجته يقبل جانب رأسها هي الأخرى بينما يخبرها
بتحذير

_حذرتك سحر، ابتعدي عنها ثم أنا خارج حاليا، لا تتركي أمي
وحدها وحين أعود إن شاء الله نخطط لنزهة كما تحبين.
راقبت مغادرته بملامح غاضبة ثم صاحت بوجه حماتها بعد أن
تأكدت من رحيله

_ابنك متسلط أحمق، يظن بأنه يمكنه التحكم بي! لن يحدث
أبدا وأنا سأخرج إن كان بعلمه أو بدونه!

ضمت تقاسيم وجهها المتجعدة بحزن وهم لحال ولده المائل
مع زوجته الطائشة، فردت بضعف وتوسل

_افعلي ما تريدنه، لن أخبره... أرجوك فقط أترك لي الصغير
يؤنس وحدتي إلى أن تعودني.

قطبت مفكرة تتساءل إن أدركت ما تفعله بهما ثم رسمت على
فمها ابتسامة مدعية وهي تجيبها

_حسنا كما تشائين، سأحضر لنا عصيرا لشربه جميعا، فأنا لن
أخرج قبل ساعة.

هزت حماتها رأسها ممتنة تـرجو الله أن يهديها، وحين أحضرت
العصير صبّته في كؤوس ثلاث، ناولتها واحدا ثم أخذت الثاني
تناوله لابنها وماهي مدة قصيرة والاثنان يغفیان دون حول ولا
قوة، فضحكت بمكر ووضعت الصغير على الأرض بجانب
جدته ثم رمت ألعابه بشكل عشوائي حولهما قبل أن تستقيم
واقفة تنفض غبارا وهميا من على كفيها

_انتهيت! والآن سأخرج كما أريد ولا أحد يقيد حرّيتي.

منزل القناص

تحدث فؤاد والجميع على مائدة الطعام باستثناء تهامي وابنته

_ لا يمكنه أن يخاطب الفتيات هكذا، أنا سأواجهه.

من تجاوز دهشته يتسم بسخرية ونضال يجيبه بنظرة ذات معنى

_ أنا لن أسمح لأحد بالتقليل من شأنهما يا عمي، أرح نفسك،

وإن كنت تريد مساعدة أحد فدلية أمامك وهي أكثر واحدة

بحاجة لمساعدة الآن.

تنحني يرمق قائمة العابسة بحنق ثم قال

_ إن طلبت مني دليلة الوقوف ضد والدها لن أتأخر عنها مع أن

العريس محترم، يعني ضابط ممتاز وليس...

كان الساخر الثاني هو نزار الذي قاطعه بتعقيبه الواجم

_وهل عرسان عمي تهامي يمتون للاحترام بصلة؟ أنا متأكد من

أنها زيجة مصلحة وسيبيعها لذلك الضابط مقابل شيء ما.

تكلمت جنات بإشفاق حزين

_لقد هددها بحرمانها من كل شيء.

ردت عليها بيلسان بتلقائية تهز كتفيها استخفافا

_وإن يكن، فلتنازل عن المال لتكسب حررتها وكرامتها

رد عليها نزار بلطف يفكر الجميع حتى قائمة بخلو قلبها من

الطمع وإن أخفت الأخيرة الأمر بتقليب شفيتها احتقارا

_ هذا رأيك أنت يا بيلسان لأنك تعودت على الاعتماد على نفسك.

هز نضال رأسه يكمل عن أخيه بامتعاض

_ أفسدها دلالا ليتحكم بها كيف يشاء، إنها تصرف بسفه ولا حدود لرغباتها ومن الصعب جدا أن تتنازل عن ذلك حتى لو اضطرت لتنفيذ أوامر والدها وإلقاء نفسها بالجحيم.

حل الصمت حولهم ونظرات بيلسان تحلق حول شقيقتها الصامته على غير عاداتها.

الفصل الخامس عشر

{من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في
نحره.....الحسن البصري}

المركز الرئيسي

_اجلس نوفل!

استجاب لطلبه وجلس هو الآخر على الكرسي قبالة، يسأله
باهتمام

_ما ذا هناك يا بطل؟ لماذا الخوف يلون محياك؟ تشجع!
سنوقفهم بإذن الله، كما نفعل دائما.

هز رأسه يرد يرد ببعض الكدر

إن شاء الله، يجب أن أخبر أحدا بحيرتي التي بلغت مداها بما
حدث اليوم .

تكلم ضرغام بجديّة : - ابنة العم سعيد؟

هز رأسه صامتا، فتابع ضرغام يمنحه الوقت كي يتحدث، فهو
بالعادة كتوم ولا يشكو لأحد ومجيئه اللحظة يثبت له مرة
أخرى مدى تعلقه وثقته به.

مشاكل جديدة؟

نظر إليه ثم قال بهدوء واجم

مشاكل كبيرة قد تصل للقتل .

قطب ضرغام يعقب بجدية

_التفاصيل يا نوفل.

بدأ بسر د ما أخبره به المحامي، فقال ضرغام بضيق حين انتهى

_إنها حقاً باحثة عن المشاكل.

هتف يدافع عنها بلهفة فارتسمت البسمة الهادئة على ثغر

ضرغام

_لا! إنها محقة من جهة، ذاك المنحط يعامل زوجته أسوأ معاملة

ويضربها.

مال ضرغام تجاهه، يسأله بحزم

_هل ستتحمل حين تصاب بأذى؟

أوماً سلباً والعبوس يغشى ملامحه الرجولية، فاستطرد ضرغام

_ اذن تزوج منها وابعدها عن المشاكل.

رفع حاجبيه دهشة، فأوماً ضرغام بتأكيد يكمل

_ أرها من منكما الرجل، أطلب من والدها إتمام كل شيء

بشكل رسمي، وأثبت لها أنك من يستحقها، تعلم جيداً كيف

تزوجت بنفسج .

رد عليه بتوتر يمسد جبينه

_ لكنها ليست كبنفسج.

ضحك ضرغام مؤكداً وقد لمعت ظلمتاه ببريق خاطف

_طبعاً، فزهرتي لا مثيل لها لكن لا تنس أن من ربوها هم أنفسهم
من ربو سلوى .

رفع كفه يمشط بها خصلاته السوداء، يفكر بحيرة، فأردف
ضرغام ببعض المكر

_تعلم جيداً ما يجب عليك فعله.

خرج من مكتب ضرغام عازماً أمره، يجب أن تكون قريبة منه
ليحميها وبعد كل حادث حديث.

استل الهاتف وطلب رقمها ثم أخبرها بنبرة لا تحتمل الجدل

_مرحباً سلوى، اسمعيني جيداً لأنني لن أعيد كلامي

... سأطلبك من والدك الليلة بشكل رسمي إلى اللقاء.

حديقة البحيرة

ما يزال في انتظارها، يتساءل إن كانت فعلا ستأتي أم أنها مجرد لحظة طيش، إن كان هو الآخر لا يعلم لماذا قرر التقرب منها؟ ما الذي يجذبه فيها؟ ضعفها، حاجتها أم نظرة الاستجداء بعينها أم حاجته هو! بؤسه هو! ألقى نظرة أخرى تجاه المدخل فلمحها وقام إليها مبتسما بينما هي تخطو إليه يكتنفها الاضطراب والإحراج لا تصدق أنها فعلتها وخرجت لمقابلته وبدل أن يصافحها تلقف منها الرضيعة يشعر بأنها ستوقعها من شدة ارتعاشها خوفا ربما، يعذرهما بكل تأكيد.

أشار لها بعد أن داعب الصغيرة لتجلس

_ظننت أنك ندمت ولن تأتِ.

ابتسمت بتوتر، تلتفت حولها كمن يعلم بأنه يرتكب فعلا
خاطئا، تخبره بصدق

_ أنا بالفعل ترددت كثيرا قبل أن أقرر القدوم .

لاعب الصغيرة بلطف، فسكنت تراقبهما وهو يخبرها بأن لديه
ابن في سن الخامسة ثم طلب مرطبات قبل أن يطلب منها بجدية

_ تحدثي تسنيم، كيف تزوجت من رجل عنيف هكذا، ولماذا

أنت صابرة إلى الآن على أذيته لك؟

مكتب عز الدين الشامي

انتفضت من كرسيها واقفة تجفل الشباب حولها، فنطقت
بتلك وهي تأخذ حقيبة يدها وتنصرف بسرعة

أنا سأغادر...مم...ظرف عائلي طارئ.

تقدمت بخطوات أشبه بالركض، تحاول إستيعاب كلامه
متأكدة من أن المحامي قد أخبره عن بحثها خلف ذلك
المجرم، لكن لماذا الآن؟ هل سيتزوج منها بالإجبار لكي
يحرمها من عملها؟ لا! لا! نوفل لن يفعل ذلك، إذن ما هي
غايته؟ يجب أن تقابله قبل أن يقابل والدها لكن أين هو؟
طلبت رقمه مجددا فزفرت بضجر من صوت المجيب الآلي.

فكرت، ثم برقت مقلتيها بفكرة وأشارت لسيارة أجرة مقررة
الذهاب لوالدها.

بيت خنساء

_أمي! انظري إلي .

_مممم.

ألقها بإهمال وهي تتلقف بعض رقائق المملحات وعينيها
على التلفاز، فتغضنت ملامح خنساء تتطلع إليها بيأس وحزن
طاغٍ يُلم بكل أعصابها بعد ما حدث اليوم، كأنه لم يكفِ رؤيته
مع تلك الأستاذة الرشيقة لينتهي الأمر بأحمق يذكرها بامتلاء

جسمها وبشاعتها، لا تعلم لماذا لم ترد التحدث مع صديقاتها
 فيما حدث وكل ما تمنته حزن أمها أو أبيها ترتمي عليه فتبكي
 حتى تكفي لكن القدر يضعها أمام اختبار أصعب، فوالدها
 طبعاً لن يأتي حتى ينتصف الليل مترنحا بسكره، ووالدتها
 تعيش على أرض الخيال لا تشعر بها أبداً. أسندت وجهها
 بكفها تتساءل عن الذي يربط والدتها بالمسلسلات والأفلام
 بتلك الطريقة المريضة حد الهوس؟ تأملت ملامحها بعمق،
 إنها تبسم مع كل مشهد فرح وتعبس لمشهد شرير ثم تحزن
 حتى البكاء تأثراً بمشهد حزين، تتفاعل معهم كأنها تعيش
 معهم، كأنهم عائلتها! قطبت تتوقع هروب والدتها من واقعها
 المر إليهم، تعوض ما تفتقده مع زوجها معهم!

وَعت من أفكارها حين سمعت صوت دقات على باب بيتهم،
 فزفرت بخفوت تلتقط وشاحها لتغطي به رأسها، فتحت الباب
 فشعرت بنسمة هواء باردة محملة بغيمة فرح مخفية تتسلل عبر
 أعصابها تمنحها مخدرا لحظيا ينفذ عنها الكآبة والحزن
 _السلام عليكم.

بلعت ريقها توترا، خجلا، حياء وحرجا، مجموعة من المشاعر
 أربكتها، فنطقت بصوت خافت ومتردد
 _عليكم السلام.

نظر إليها، فنبرتها على غير العادة ليتأكد من عدم بكاءها فلاحظ
 لمعة مقلتها بدموع حبيسة .

لم يرها من قبل حزينة حتى أثناء شجارات والدها وشقيقتها
اليومية، كلما حنت منه نظرة نحوها ليطمئن عليها يجدها تنظر
إليه بابتسامة سمحة، فيسعد باستيعابها لمعاناتها، لكن اليوم
حين لمح دموعها الحارقة أصابت أعصابه هو بالكآبة والحزن،
فهي بمثابة شقيقته الصغرى، ألا تكفي إيمان التي لا يستطيع
حمايتها؟

_هل أنت بخير؟

تحدث أخيرا حين لاحظ تمللها الخجل فنطقت ببلاهة
تصيبها كثيرا أمامه

_ها؟!

تهرب بعينه مستغفرا حين شعر بمتعة في تأمل ملامحها
المدهوشة بتلك اللعة بمقلتها وعاتب نفسه قبل أن يعقب
باسما بحرج

_أعني... ما حدث صباحا.

عادت برأسها إلى الخلف بخفة إشارة لتذكرها، وردت عليه
بنبرة خافتة

_لقد نسيت كليا.

_عفوا؟

تساءل حين لم يسمع حديثها، فقالت مبتسمة بوجوم
_الحمد لله.

_السلام عليكم.

اهتز قلب خنساء في صدرها مع صوت شقيقها الجوهري،
فمنحت أمين نظرة توصل التقطها فالتفت إليه يصافحه بأخوة
معتادة بينهما

_أين أنت يا رجل؟ لم أرك ليومين كاملين، إنها سابقة.

اجابه مبتسما هو الآخر

_إنه العمل يا أستاذ، أعمالي حرة وليست وظيفة عمومية
بمواعيد محددة .

وضع أمين كفه على موضع قلبه يجيبه بشكل مسرحي

_لم أتوقعك حاسدا يا صديقي .

رفع كفيه باستسلام، يرد ضاحكا

_لا! فقط غبطة.

ثم سحبه تجاه شقتهم، يردف

_تعال وتعيشّ معي... هيا!

حاول التملص لكنه لم يسمح له يسحبه بحزم وما إن لمح

شقيقته الثابتة مكانها تراقبهما حتى هتف بها عابسا بغلظة

_ادخلي! ماذا تفعلين خارجا؟

اهتز بدنها جزعا وهرولت إلى المطبخ بينما أمين يربت على

كتفه هامسا بلين

_ما بك يا صديقي؟ لماذا تعاملها هكذا؟

أشار له إلى غرفة الضيوف، يرد عليه بضيق

_دعك منها، إنهن عورات، ناقصات عقل ودين!

ارتفع حاجبا أمين حتى لامسا مقدمة رأسه، يعقب ببلاهة

_ماذا؟

تجاهل سالم الموقف كله وقال قبل أن يتركه بغرفة الضيوف

_سأنتعش و أعود إليك، أنت في بيتك.

ألقى بثقله إلى الخلف على الأريكة وفكره مشغول بصديقه

وسلوكة الغريب المريب .

حديقة البحيرة

_أبي أقسم عليّ أن لا أعود حتى إن قتلني الزنديق كما يناديه،
ولن يحضر جنازتي حتى .

تنفست بعمق وقد تدفقت من عينيها دموع ساخنة شعرت
بحرارتها وسط نسيمات الخريف الباردة بينما هو تتوالى عليه
مشاعر كثيرة بين غضب، حنق وغيظ ثم ألم وإشفاق، ناولها
منديل ورقي فأشارت له بعلبة تحملها بحقيبتها فتحتها
وسحبت واحدا تجفف به وجهها
_اهدئي تسنيم.

ارتشفت الماء تهدى أعصابها المستثارة بذكرياتها الأليمة بينما

هو يردف برسمية وحزم

يجب أن تنفصلي عنه تسنيم، أطلبي الطلاق وعودي الى بيت

أهلك حتى إن لم يتقبلوك، أو على الأقل أجري بيتا واسكني به

أنت وابنتك مع أنني أصر وأفضل الحل الأول .

قطبت تنظر إليه بتمعن بينما هو يستدرك بثقة

لا يجب أن تصبري على معاملته السيئة، قد يتمادى يوما وهو

ثمل، فيصيبك بعاهة مستديمة لا قدر الله أو حتى يقتلك.

هزت رأسها بحزن تؤكد حديثه

_ هذا ما يخيفني، حين يثمل يفقد عقله فيصبح وحشا وحتى
وهو واع يتصرف بعنف وقلة أدب.

أوماً بأسف يعيد عليها نصيحته فلا أفضل من عودتها لأهلها

_ فكري جيداً وطوال مدة تفكيرك حاولي عدم استفزازه وأنا
مستعد لأي مساعدة .

كأنها تسأله تأكيداً، استدرك بتصميم

_ سأساعدك بأي طريقة تناسبك، أخطأت القرار مرة أولى

لكن هذا لا يعني أن تدفعي الثمن طوال حياتك أو الأسوأ
تدفعين حياتك ثمن اختيارك الخاطيء .

تغيرت نظرتها إلى حيرة، فرد عليها

_أنا أيضا أخطأت باختيار شريكة حياتي.

قطبت تسأل بريبة وشعورا بعدم الراحة يزعج صدرها

_ماذا تقصد؟

ابتسم يرمي ساعته بنظرة متفقدة، يجيبها

_ليس اليوم لأن الوقت داهمنا والليل بدأ يلقي بظلاله.

تفحصت الأجواء حولها، فانتفضت واقفة ترمق الساعة هي

الأخرى بذهول

_لقد نسيت كليا... أنا تأخرت .

قام يناولها الصغيرة بينما يعرض عليها ما يعلم بأنها سترفضه

_لدي سيارة و....

_لا!

هتفت جزعة، فهز كتفيه باستسلام

_إذن سأطلب لك سيارة أجرة .

*منزل القناص *

خطا على أرضية الشرفة بينما يهاتف محمد يستفسر منه بحيرة

_أين أنت محمد؟ ألم تنه مشوارك بعد؟

لمح جنات بطرف عينه قادمة تجاهه، فضيّق مقلتيه تفكيراً ثم

همس لمحمد

_سأيرني يا محمد ولا تسأل!

ثم رفع نبرة صوته يقول بشغف مزعوم

_جميلتي اشتقت إليك .

تسمرت مكانها حين سمعت تغزله الشغوف بفتاة ما تماما كما
يفعل معها، فانحسرت أنفاسها تصغي للمزيد وقلبها يهوي

متحطما إلى أشلاء

_بالتأكيد حبي، أنا قادم إليك الليلة وسأقضيها برفقتك .

لمح صدمتها بطرف عينه واحمرار وجهها ثم انصرافها وشلال
الدموع يتدفق على وجنتيها قبل أن يجفل على حديث محمد

المازح

_ نضال سأبحث لك عن حارس آخر، لقد طالت مدة صحبتنا
كثيرا .

أجابه بمرح لا يظهر على وجهه البته

_ لا أستطيع، أنت قدرى يا محمد، أسرع بالعودة أريد الخروج
من هنا.

ثم دس هاتفه في جيب سترته، يعقب بوجوم

_ هذا لمصلحتك يا جنات ولمصلحتى أيضا.

بيت العم سعيد

أدخلت المفتاح في قفل الباب بحدة وهي تزفر بعصبية، فهي لم
تجد والدها في المدرسة حيث أخبروها برحيله باكراً،
فأوشكت على فقدان عقلها غلاً بينما تجد هاتفه مغلقاً هو
الآخر.

قابلها وجه مروءة المبتسم بشقاوة مرحة، فأسرعت دقات قلبها
تشعر بحضوره في بيت أهلها، عطره المميز منتشر بالأجواء ثم
جاء حديث شقيقتها المازح يؤكد صدق احساسها

_مجنون سلوى بالصالة برفقة والده .

تجمدت تتنفس بقوة، لقد فعلها وجاء يتقدم لها رسميا ثم
انتفضت على نبرة والدتها الحانقة تسحبها من يدها نحو
المطبخ

_أين كنت يا ابنتي؟ ..هيا ادخلي الشاي! والدك أوصاني
بإدخالك ما إن تأتي.

_ما...ماذا؟

ارتبكت، فزفرت والدتها يأسا وناولتها صينية الشاي بينما
تخبرها بسرعة : -نوفل و والده مع والدك في غرفة الضيوف
يطلبونك للزواج رسمياهيا ادخلي! أنت تعلمين بأن هذا
سيحدث وكنا نستغرب تأخره .

أَلقت بحقيبة يدها وتقدمت بتوتر بالغ، يديها ترتعشان بالصينية
حتى أوشكت على رميها بما فيها... لقد فعلها! ماذا ستفعل
هي؟

شجعه ترحيب العم سعيد وخفف عنه القليل من ضغط التوتر
رغم معرفته بموافقته سابقا لكنها هي من تحيره، ترى كيف
ستكون ردة فعلها؟ أمر واحد متأكد منه، ستثور وتشتعل
الألوان في مقلتيها.

التفت إلى الباب حين هلت عليهم، فضمّ شفّتيه يكتم ابتسامة
فرضت نفسها عليه من منظرها المرعوب والمرتعد كأنها
عادت تلك الصبية التي التقى بها أول مرة يغمى عليها خوفا من
المتحرشين .

تعالى ابنتي! تعالى!

وضعت الصينية أخيرا بارتباك واضح وجلست بالقرب من
والدها تبلع ريقها، مطرقة برأسها

السيد حسن شرفنا بزيارته يطلبك لابنه الضابط نوفل بشكل
رسمي، فقد صرح نوفل برغبته قبلا أمامي والآن حان وقت
التحرك بخطوات رسمية وبعد أن نتفق سيأتي بأهله جميعا إن
شاء الله .

هز نوفل رأسه ينتزع مقلتيه من على المطرقة خجلا أو خوفا أو
شيء آخر، لينظر إلى والدها يجيبه بأدب
عفوا عمي..... أنت بمقامي والدي..

ضحك العم سعيد بود، يجيبه باحترام يکنه له

_وأنت ابني.

ثم نظر إلى السيد حسن بينما يتابع بفخر صادق

_الحمد لله ...دائما فخور بيناتي ولم أشعر يوما بنقص أو

حرمان، لأنني لم أرزق بأولاد ذكور، ...فهن بألف رجل

بتربيتهن وأخلاقهن الحسنة ومن نعمه التي لا تعد وكرمه علي،

رزقني برجلين صالحين يحافظان على فاتن وسلوى، يعتبراني

كوالدهما ...طه أولا ثم نوفل وأنا سعيد بهما وأعتبرهما

ولداي....إلا ما كنت لأؤمنهما على فلذات أكبادي.

رفعت رأسها وهو مترقب لها كالصقر، فلاحظ استيائها مدركا
 لما يعترىها، فمعنى حديث والدها الموافقة دون الرجوع إليها
 وهذا ما سيؤجج نار غضبها.

تحدث السيد حسن يجيب بود وأدب

_ هذا لأنك رجل بحق يا سيد سعيد... أكرمت أمانة رجل آخر،
 حافظت عليها وعاشرتها بالمعروف، فهل جزاء الإحسان إلا
 الإحسان؟ كما فعلت مع بنفسج أيضا حافظت عليها هي
 الأخرى وهي غريبة عنك .

ابتسم العم سعيد بحبور بينما السيد حسن يردف

_ ما رأيك لو ندع لهما المجال ليتفقا؟

قام العم سعيد، يشير لسيد حسن، قائلاً

_تفضل معي إلى الشرفة التي رغم ضيقها لكن اهتمام صغيرتي

مروءة بها، محبة النباتات حولتها لجنة صغيرة خضراء.

رافقه إلى الشرفة يمنحانها المجال للتحدث وما إن غابا

وقفت فجأة، تهتف بخفوت غاضب

_كيف تفعل بي هذا، كيف؟

منزل القناص

فتحت باب غرفتها وسحبته بسرعة ثم أغلقت الباب خلفها

بحدة، تأملتها بتشتت واضح تهتف بهدر مجنون

_أين الحبوب...أسرعي!

استلت صديقتها شريطا من جيب سترتها، فنتشته الأخرى من
يدها تهرع إلى الماء، استلت حبتين بارتعاش وبلعتهما مرة
واحدة، فأسرعت صديقتها بقلق تسحب منها الشريط بينما
تحذرهما بصدمة

_هوووو دليلة! ما بك؟ على رسلك، قد يقتلك إن أكثرت منه.

ارتمت على الأريكة تغمض عينيها، مجيبة بيأس

_فليكن إذن .

جلست صديقتها بجانبها، تستفسر منها بريبة

_دليلة؟ هل تتمنين الموت؟

لم تفتح عينيها، تجيب بنفس اليأس

_أفضل من مصيري المجهول الذي ينتظرنى .

قطبت تزفر بنفاد صبر تعلق

_دليلة! أنا لا أفهم شيئاً.

انتفضت دليلة قائمة، تصيح بغیظ

_بابا سيزوجنى!

ثم بسطت كفيها في الهواء تكمل ساخرة

_أو بالأحرى سيبيعنى.

_ماذا؟

نظقتها الأخرى مدهوشة، فلم تتوقع أبدا هذا الرد، فهزت دليلاً
رأسها بعدم تباث :

_ كما سمعت .. سيزوجني لضابط ما وأنا لا أملك حق الرفض
لأنه هددني إن رفضت سيحرمني من كل شيء... كل شيء!
.. هل تتصورين مدى بؤس حياتي؟ أمامي خيارين كل واحد
منهما أسوأ من الآخر.

توترت صديقتها تسألها بنزق

_ كيف يفعل بك ذلك؟ أأست مدلته؟

ضحكت بتهكم أسود بينما تجيبها

_ يبدو أنه كان يدللني كي يتحكم بمصيري عندما يحين الوقت.

عادت الفتاة إلى الجلوس تعقب بهدوء، فزواج دليلة مصيبة

ستحل عليهم جميعا هي وأصدقائها

_اجلسي ودعينا نبحث عن حل ما....

استجابت لها ترمقها باستجداء، فاستطردت الأخرى بمكر

_وافقي على الزواج كي لا تخسري والدك وبعدها نخطط

لزواجك العتيد كي يردك من أول يوم، هاربا وينفذ بجلده.

ابتسمت دليلة دون وعي مع آخر حديث صديقتها، ترد بمرح

ماكر

_أنت محقة وهذا ما سأفعله بمن دعت عليه والدته.

الفصل السادس عشر

{من عرف الموت، هانت عليه مصائب الدنيا....}

الحسن البصري

* جناح بيلسان *

-جنات؟ أخبرتك قبلا... لا تسلمي قلبك دون تفكير وماذا

فعلت؟ كنت ستمنحينه أكثر من قلب وتعصين ربك .

أسدلت جفنيها ياسا، تربت على ظهر جنات بحنو حين

أصدرت شهقات حارقة داخل أحضانها، تجيبها بكآبة:

-إنه الحب يدخل القلب دون استئذان، لم يسبق لي أن شعرت

بمثل هذا الإحساس... أنا ..

مطّت بيلسان شفيتها حنقا منه ومن نضال على حد سواء ثم
أبعدتها قليلا تخاطبها بهوادة :

- حبيبتى، لقد سمعته بأذنيك، من يحب لا يخون، هل ترضينها
لنفسك؟ لأنني لا أفعل!

ثم رفعت أصابعها تمسح دمعات جنات التي ترمقها بتأمل
حيرها، فسألتها بهزة رأس لتجيبها الأخرى بسؤال آخر :

- كيف تفعلين هذا؟

ضمت بيلسان حاجبيها تساؤلا لتردف جنات مفسرة - : كيف
تتحكمين بقلبك هكذا مع أنك صادفت العديد من الشباب؟
آخرهم شباب عائلتك .. نزار، رضوان، وكذلك نضال .

نظرت إليها بيلسان مجفلة تفتح فمها، فتابعت جنات بحزن :

-أعترف بأنك أنسب له مني، على الأقل غنية مثله وقوية

و.....

قطعت حديثها حين أمسكت بيلسان يدها، تخبرها بحزم:

-أنا لا ولن أفكر في نضال أبدا، ما أرفضه لك حبيبتى هو نفسه

ما أرفضه لنفسى، أنت أعلى لدي من نفسى ونضال هذا لا

يناسب فتاة عفيفة مثلك... بل تحتاجين لشاب ملتزم، دمث

الأخلاق، وفي يحافظ عليك لا أن يتنقل بينك وبين أحضان

أخريات كأنه يشم عبير الأزهار.

استرسلت حين لمحت تركيزها على حديثها شاكرة ربها على
 ما سمعته وتدعوه أن يوقظها من غفلتها هذه كما تحمد ربها
 على عدم انجرافها هي خلف فتنة نضال الطاغية :

-المال والجمال يا حبيتي يذهبان مع الزمن أو تقلب الأقدار
 ويختفي، حين تقررين الزواج من رجل ما، أول الأمر تحققي
 من دينه وأخلاقه وبعد الاستخارة تأكدي من أن يراك دون أية
 زينة، سواء على وجهك أو هيئتك أو أخلاقك، تأكدي من أن
 يراك كما أنت دون تنميق يخفي حقيقتك، وإن تمسك بك
 وجاهد ليصل إليك.... حينها فقط...توكلي على الله وأمنيه
 على نفسك .

توقفت عن البكاء، فأعادتها بيلسان إلى حضانها تمسد على رأسها بينما تهمس برجاء:

- اللهم وفقنا لما تحب وترضاه .

* بيت العم سعيد *

- كيف تفعل بي هذا؟

زفر بخفوت يشير إلى مقعدها :

- اجلسي سلوى ودعينا نتفاهم .

جلست بحدة، تهتف بنفس خفوتها :

- وهل تركت مجالا لتفاهم؟ يا إلهي، أنت وضعتني أمام الأمر
الواقع!

ابتسم، يرد بهدوء:

- إذن تعترفين بأن زواجنا أمر واقع؟

زفرت بغل تتهرب من عينيه:

- لا تغير الموضوع... الأستاذ عز الدين كلمك، أليس كذلك؟

صمت يضغط على شفثيه، فأردفت بغضب:

وهذا رد فعلك؟ ماذا؟ تتزوج مني غصبا وتحبسني في البيت؟

ظل على صمته وبوادر فقدان الصبر تلوح على ظلمتيه بينما هي

مسترسلة بصلف:

- لن تستطيع يا حضرة الضابط، لن تستطيع إحكام طوق
الأصفاد على رسغيّ ولا الإقفال علىّ في زنزانتك .

فقد صوابه وقام يهّم بالهتاف، فقامت بسرعة تحذره :

- شششش !

ابتسم بسخرية، يهمس بغضب :

- أين الشجاعة يا حضرة الأسد؟ الأولى أن تفرضي رأيك
وترفضيني .

ردت بغيظ:

- أنت تعلم بأنني لا أستطيع كسر كلمة أبي .

اقترب منها يخاطبها بلوعة رغم ما يغمره من حنق:

- لأنه يعلم بأنني مناسب لك وسأحافظ عليك، وليس بعيدا أن يكون على علم بحبي لك .

تجمدت للحظة على إثر اعترافه، فتابع بغيظ وإن شابه بعض التوسل :

- أخبريني سلوى بأنك لا تبادليني نفس شعوري ... هيا!
أخبريني بأن قلبك لا تسرع دقاته كلما لمحت طيفي أو حتى تذكرت وجودي لأن هذا بالضبط ما أشعر به ناحيتك .

فغرت فمها مصدومة من صراحته ومطالبته بينما هو يكمل بعزم :

- إذن وفري علينا دور المظلومة المجبورة يا سلوى .

رفعت أنفها بأنفة، ليعود ذلك الإحساس البشع ليحتل قلبه
للحظة :

-أنا حرة يا نوفل، حتى و إن حصل وتزوجت مني، سأتابع
عملي ولن تتحكم بي...

أمسك بمرفقها، يهمس بلوعة حانقة وأنفاسه الهادرة تلمح
بشرة وجهها المتشنج بصدمة وقد استعاد ما يعرفه عن سهيل
العلام، فينبض قلبه هلعا عليها يتخيلها مغتصبة أو مقتولة بأشع
الطرق:

-بعيدا عن الزواج، أنت ستنسين أمر سهيل العلام تسمعيني؟
أقول هذا ليس لأتحكم بك لكن لأحميك، اصبري قليلا وثقي
بي، صديقتك ستستعيد حررتها، فقط ثقي بي !

تركها ببعض من الحدة وانصرف تجاه الشرفة، فأطلقت سراح
 نفسها كانت قد نسيت كيف تخرجه وهي بين يديه وارتمت
 جالسة ، تحاول إعادة دقات قلبها إلى نظامها المنضبط دون
 جدوى.

* منزل القناص *

كلاهما يرمي مدخل القصر بنظرات أخفيا لهفتها بجداره،
 واحد منهما ينتظر مستغربا من عدم سؤالها عن فحوى
 الاجتماع كعادتها الفضولية بكل ما يتعلق بتهامي والآخر يتمنى
 رؤية العينين الذهبيتين ولو لمرة واحدة يستعيد فيها تلك النشوة
 المنعشة لسائر أحشائه.

تحدث و هو يحاول إبعاد ذكراها عن خياله :

- لا أصدق بأن تامر المنشاوي نفسه مصدر كشف عمليات إرهابية .

نظر إليه أسد مجفلا ثم قال متداركا نفسه - :أظن بأنك تعرفه .
أوما يجيبه :

- لو سألتني حينها كنت أجبتك بأنه كان سيتسبب بسجني مدى الحياة وسجن أحب الناس إلي، لكن الآن ...
هز كتفيه بخفة، يردف :

- بعد تفكير عقلاي، أنا ممتن له، فبسبب قضيته تعرفت على ليث الذي جندي لأتجسس على رجاله وحين نجحت في

المهمة، أرسلني هو والوزير الذي كان عميدا حينها إلى معهد
الشرطة لأحقق حلمي الوحيد، لذا أنا فعلا ممتن له بغض النظر
عن كل شيء آخر..

هزليث رأسه، يتساءل :

-أذكر تلك القضية جيدا، فهي كانت تخص ابنة نائب الوزير
المرحوم علي الخطاب التي تبينت بعدها أنها ابنة الوزير حاليا
التي أخفاها بسبب السفاح .

رد زيد بوجوم :: -بلى، من كان يدري أن تلك الفتاة التي تمنح
السعادة لمن حولها تعيش تلك المأساة لكنها سعيدة الآن
فالعميد ليث يحبها جدا ويحميها بحياته .

أكمل حديثه بابتسامة واسعة، فعقب أسد باسمها هو الآخر :

- يبدو أن لها مكانة عزيزة في قلبك .

او ما مؤكدا قوله :

- أجل لكن لا تذكر الأمر أمام العميد ليث، فهو يغار بشدة

ويحِقُّ له، فهي تستحق .

عاد كلاهما إلى سهو الأفكار يتساءلان إن كان مقدرًا لهما

نفس حظوة ليث بالحب، ولم يعلما بأن العميد كان قد سأل

جدته نفس سؤالهما يوماً قد مضى .

بيت الأستاذة تسنيم

- ما بها هذه؟ تبسم كل لحظة، هل جنت أخيراً؟

فكرت حماتها وهي تتأمل ابتسامتها البلهاء بحيرة وهي تناغش

ابنتها حيناً وتنظر إلى التلفاز أخرى، فتحدثت بنزق لتفسد عنها

مزاجها الغريب : - هل تركت عشاء لزوجك؟

-ها؟

أيقظتها من أحلام زارت فكرها للحظتها، لا تعلم كيف تجرأت

وقابلته؟ لم تستطع إقصاء طلته من مخيلتها وهو يضم ابنتها

بحنان ويحدثها بكل احترام، فتهدت تسر جملة ما بين غيرة

وحسد "سعدت به زوجته!"

-طبعا، فزوجك آخر من يخطر على بالك .

همت برد حائق لكنها تذكرت نصيحة الآخر بمجاراة الظروف حتى تجد حلا مناسباً، فسألتها بينما تغتصب ابتسامة باردة :

-لماذا يا خالة؟ ما كان سؤالك؟

استغربت حمايتها لكن غرورها سريعا ما أقنعها بأن صفقة ابنها أدبتها لذا تخشاها فرددت عليها السؤال بصلف :

-قلت هل تركت لابني ما يأكله؟

هزت رأسها قبل أن تقوم تجيبها:

-طبعا يا خالة، تركت له العشاء، سأضع ابنتي في سريرها .

شيعتها بحاجب مرفوع، تهمس بتشفي.

-ابني سبع الرجال، يعرف جيدا كيف يحكم زوجته .

*بيت فضل الله *

أمامه حديقة البنفسج ولا يرى سوى لون أزرق شاحب حيره،
 تلك الصغيرة النحيفة التي ترميه كل حين بنظرات من يعرفه
 لكنها لا تمهله إذ سريعا ما تختفي فيتنظر الحصة الأسبوعية
 القادمة والفضول يراوده نحوها ليتأكد من معرفته بها، نظرتها
 تلك متيقن من رؤيتها من قبل، لون الموج حين يعكس أشعة
 الشمس فتلمع زرقته، هكذا هي! تنهد بخفوت ليستدير على
 إثر نبرة ترمز لكل شيء جميل بحياته :

-ماذا تهمس لحدىقتي؟

ابتسم بينما تجلس على احدى كراسي الحديقة، فخطا نحوها

بينما يجيبها بمرح : -سر بيني وبينها .

تصنعت العبوس بينما ترد عليه : - أسرار عني أنا؟

ضحك بهدوء يقول بحكمة :

-أنت البنفسج وهي البنفسج .

هزت رأسها تجيبه بنفس السجال :

-ولأننا واحد يجب أن تخبرني بسر ك مثلما أخبرتها .

ضم شفته يفكر ثم قال بتحفظ :

-حيرة ما، حين أتبيّن لها أخبرك بالقصة كاملة .

- حيرة و قصة، اسمعني جيدا يا ولد !

ألقها بنفسج بمرح ليندهش لكن بمرح هو الآخر :

- إن كان الأمر يتعلق بفتاة، فلا أقبل بقصة سوى يا بنفسج أريد
أن أتزوج.

قهقه تلك المرة دون وعي ثم هتف بذهول

- يا إلهي زواج؟ أخبرتك حيرة وليس حبا يا زهرة ال.....

همت بالرد، فهتف صوت جوهري ما يزال يزعزع كيائها كلما
سمعتة :

- هي محقة، يجب أن تحذو حذو أخيك و تتزوج !

رفع وائل وجهه إلى ضرغام، يجيبه بمكر وهو يتلاعب
بحاجبيه :

- تريد التخلص من كلينا؟ لا يا حبيب البنفسج، لن ندعها لك
وحدك حتى إن تزوجنا، فهي أخته وأمي والله شاهد على قلبي .
انفعل ضرغام بجدية فهو يغار عليها من بناته حتى، يجلس
بجانبها يضم كتفها بذراع واحدة :

- أنت وهو، ابتعدا عن زوجتي، فلم تعد تجد لي وقتا وهي
تنصب نفسها أمًّا لرجال ونساء من عمرها وأكبر منها .
شهقت بنفسج، تملص من ذراعه ووائل يضحك بسرور :

- أنت لا تطاق يا ضرغام، ابتعد عني !

لم يطلق سراحها بل ضمها أكثر يسأل بنبرة عادية:

- ألم يعد نوفل بعد؟

أوما وائل سلبا، فقالت بنفسج بمزاح:

- أظن أنهم يحاولون فك قبضتي سلوى من على رقبتة .

ضحكا الاثنان بصخب بينما هي تكمل بامتعاض مزعوم:

- أليست تلك مشورتك؟ إذن ستتحمل كل نتائجها .

جذب بذراعه كتفيها قليلا يجيبها بتسلية:

- ماذا نفعل؟ لا ينفع معكن سوى الأمر الواقع .

ابتعدت عنه تتخصر وهي تجيب بحنق:

_ أنا لست سلوى يا قلبي !

لمعت عينيه بشغف، يجيبها:

سلم قلبك وطبعاً لا مثيل لك يا قلبي!

احمرت بنفسج ترمق وائل الباسم بطرف عينها، ليأتيها الفرج

حين لمحت نوفل تنهض إليه هاتفة باسمه:

-نوفل!

تأبّطت ذراعه بقلق وقد لاحظت حزناً يلوح من عينيه رغم

ابتسامته، فسأل ضرغام الذي لاحظ نفس الشيء لكنه تجاهله:

-هل نبارك أم ماذا؟

اتسعت بسمته وإن لم يخطف الحزن كلياً، يرد عليه:

-طبعاً، وهل ابن عمك يُرفض؟

قاما بفرح يضمنانه بالتناوب، ليقول بعد برهة قبل أن ينسحب :

-تصبحون على خير، لدي عمل باكرا و يجب أن أرتاح .

علقت بنفسج بوجوم بعد أن غادر :

-ليس سعيدا ...ماذا برأيكم حدث بينهما؟

حاول وائل إراحة بالها يجيبها بمزاح لم ينبع من قلبه :

-أظن أنك محقة بمسألة الخنق .

همت باللحاق بنوفل لكن ضرغام أوقفها يخاطبهما بحزم

جدي :

-لا تتدخلا! دعاه يخوض التجربة بنفسه، لا تشوِّشا عليه،

فلديه مهمة، لا ينقصه تدخلات لا تفيده بشيء .

مكتب الوزير

أغمض عينيه هنيهة ينشد لهما بعض الراحة، كان يوما عصيبا،
 علق فيه بين اجتماعات متعددة وعلى أعلى المستويات،
 "الإرهاب" كلمة كفيلة بقلب موازين دولة، لم يتهنّ ببعض
 من الروتين ولم يُعيّن بعد حتى أُلقيت عليه مسؤوليات ضخمة،
 تنهد بتعب وهو مستلقٍ على المقعد الكبير خلف مكتبه، دقائق
 كأنه غفا ليشعر بلمسة حانية، تُمسد على جانبي جبينه، ففتح
 عينيه، ليلمح وجهها المحمر باسمها بخجل .

أبعد رأسه بلين دون أن يحرّجها بينما يصغي لحدثها
 المشفق : - أنت تعب جدا... يجب أن ترتاح .

مسح على وجهه ينفض بعضا من تعبته، يجيبها بنبرة شابها اللوم : -لبنى؟ ألم ترحلي بعد؟ لقد تأخر الوقت.

ردت عليه بنبرة أصبحت الرقة تطغى عليه بينما تجمع الملفات على مكتبه :

_لا يمكنني الرحيل قبلك سيدي... ماذا إن احتجت شيئاً ما؟
استقام واقفاً، يجيبها بعتاب لئى ما يشعره من ناحيتها يضيق عليه الخناق ولا يحب أن يتصرف بقسوة قد تدمر البقية من آدميتها :

-لا لبنى، لا يصح لفتاة البقاء خارج بيتها لمثل هذا الوقت .

حانت منها نظرة امتنان منبهرة، أسرته للحظة قبل أن يشير لها إلى الباب، فتقدمته وهو يشيعها بنظراته الغامضة يتوقع اقتراب منطقة الخطر، لذا يجب عليه التصرف سريعا .

بيت فضل الله

جفاه النوم يزفر كل حين وقد أتعب شقيّه من كثرة التقلب عليهما، يخشى عليها و منها، بل من أنفتها وحمقها، لم تكن تلك الجلسة كما تخيلها أبدا، كان يتصور فرحتها المستحبة بينما ترمقه من خلف والدها وهم يتوكلون على الله ويتفقون على موعد آخر، لحضور العائلتين بكامل افرادهما ثم يعود

منتشي بسعادة ليهاتفها ويستفزها فيتخيل اشتعال الألوان في
مقلتها حتى تغلق عليه الخط حياء وحنقا.

لاحت ابتسامة على جانب ثغره حين تذكر ثورتها الشرسة لولا
تلك الأنفة اللعينة التي تذكره ب....

-أف!

نفخ بغضب يأس من نوم ليس له بزائر الليلة وفي الجهة
الأخرى حيت تقبع شاغلة قلبه وأفكاره :

-سلوى فكري جيدا ولا تهوري، فتخسري الشاب و أبي معه،
حينها ودعي عملك هو الآخر.

هتفت فاتن عبر الهاتف الموضوع على السرير بين مروة و
سلوى التي زفرت بحق تجيبها :

-لم يسألني حتى يا فاتن، كأن سيادة الضابط تفضل عليّ لأنه
يريد الزواج مني .

تدخلت مروة تعقب بامتعاض وهي تحرك نظارتها :

-سلوى أرجوك كفي عن التظلم، نوفل شاب تتمناه أعقل
الفتيات .

عبست سلوى بغضب، فهزت مروة كتفيها تندس تحت الغطاء
بعد أن وضعت نظارتها بحرص على المنضدة القريبة :

-أنا منسحبة وأنت حرة .

نظرت إلى الهاتف حين تحدثت شقيقتها فاتن من جديد :

- كل ذلك لا يهمني منه سوى أمر واحد، أنت تحببته حببتي
وصدقيني،، فقدانه أمر صعب جدا لن تتحمله، لذا أنصحك
بالهدوء والتفكير العميق، تصبحين على خير حببتي.

أنهت المكالمة واستلقت على السرير، تتأمل السقف لتنفرج
شفتيها عن ابتسامة بلهاء حين استعادت مخيلتها صورة
ملامحه الرجولية وهو يعترف لها بحبه لكن لن تكون سلوى إن
لم يغلبها غباؤها بعجرفة حين عبست تهمس بتحدٍ ومروءة
المسكينة تومئ بيأس من تحت غطاءها :

- وإن يكن، لن أراجع عن عملي وسأنقذ إيمان... مهما كلفني الأمر .

بيت خنساء

غسل أمين يديه وعاد إلى غرفة الضيوف حيث التقط المنشفة من يد سالم ثم جلس يقول باسمه بود :

-الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين، اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال.

تمتم معه سالم، فاستطرد أمين :

- كنت أريد رؤية عمي كامل ، يبدو أنه سيتأخر .

اشمأزت ملامح سالم يرد بامتعاض :

- لا تذكرني به يا أمين، لقد فضحني وبلغ صيته الأحياء
المجاورة .

قطب أمين بريبة، يتسأل :

-ماذا تقصد؟

هز رأسه بضيق يجيبه بتلقائية :

-أصدقائي في الحي الذي أعمل فيه، علموا بفضائحه .

لم تتغير ملامح أمين الحائرة، يقول باستغراب :- لكن العم

كامل ليس الوحيد الذي ابتلي بالسُّكر يا سالم، لا في حيننا ولا

الأحياء في المدينة كلها ثم هو والدك ويحب أن تتحمل و تصبر
وتدعوه له وتبرّه إلى أن يهديه الله

رد بعصبية، تمكنت منه : -نصحته كثيرا ونهرته حتى أنني
هددته لذا أنا سأتبرأ منه وأرتاح .

تفاجأ أمين في بداية الأمر ثم انفجر ضاحكا بصدق :

-أنت تمزح أليس كذلك؟ تبرأ من والدك؟ هل جنت؟

ضم سالم تقاسيم وجهه، يقول بانزعاج :

-طبعا لا أمزح ... ألم يفعل سيدنا إبراهيم نفس الشيء وتبرأ

من والده؟ هذا ما سأفعله، سأطرده من حياتي .

اكتسى وجه أمين بالحزم والجدية، يقول بلين هادئ حافظ عليه
لكي يوضح له ما يخفى عنه :

-اسمعي جيدا يا صديقي، كان والد سيدنا إبراهيم عليه
السلام في مقدمة عابدي الأصنام بل كان ممن ينحتها ويبيعها
وقد عزَّ على سيدنا إبراهيم فعل والده الذي هو يومئذ أقرب
الناس إليه، فرأى من واجبه أن يخصه بالنصيحة، وأن يحذره
من عاقبة الكفر؛ فخاطبه بلهجة تسيل أدباً ورقة، مبيناً بالبرهان
العقلي بطلان عبادته للأصنام، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ
إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا
يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا

تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي
أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا *
قَالَ أَرَأِغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ
وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا {مریم: 41-48} وهذا يعني حتى
حين يئس منه قال له بأدب جم، سلام عليك ووعده بالاستغفار
له ثم أخبر الله تعالى سيدنا إبراهيم أن والده عدوا له، حينها
فقط تبرأ من والده ومع ذلك بقي يستغفر له، لأنه وعده أما أنت
يا سالم، فوالدك ليس بمشرك بالله بل في قمة سكره لو سألته
عن دينه سيجيبك مترنحا يقول الإسلام، هل تعلم ما قال الله في

حق الوالدين حتى إن كانا مشركين ويجبرانك على الشرك بالله؟ *وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا* يعني لا تطعهما في الشرك بالله لكن استمر بالتودد لهما واسأل عن حاجاتهما وادعو الله لهما حتى يهديهما أو يفرق بينكم الموت .

ثم رمله بنظرة متمعنة بينما يكمل حديثه :

-عم كامل ليس بمشرك بالله وبالتأكيد لا ولن يجبرك على أن تشرك به، بل يزجرنا عن الحرام ويغضب لو قربنا الحرام، هو عاص ومُبتلى يجب أن تعامله بإحسان تخفض له جناح الذل

حتى تستميله، وتدعو الله في كل سجدة وصلاة قيام الليل كي
يعينك ويستجيب لك .

فكر سالم للحظة ثم سأله بحيرة :

-تخصصك التاريخ والجغرافيا، ما دخلك لتفتي في الدين؟ ثم
من شرح لي، شيخ متمكن في دينه .

رمقه أمين بصدمة يهْم بالرد فانتفض سالم من مكانه وهما
يسمعان دندنة كامل المعتادة، فهول إليه وتبعه أمين يسأل الله
السلامة فقد شعر بقبضة تشد على قلبه منذ حدثه سالم عن
ذلك الشيخ .

-سالم اهدأ... اذهب إلى شقتي وانتظري هناك !

التفت إليه يصيح بحدة وعروق وجهه نابضة بقوة :

-ابتعد يا أمين ... لا تتدخل هذه المرة !

أسرع خلفه حين تابع طريقه ليمسك بتلابيب والده :

-أصمت يا سكير ... أنت لست والدا، أنت بلاء! لقد سئمت

منك ومن فضائحك !

أمسك أمين بظهر سالم يسحبه، فجسده يسد عليه طريقة السلم،

فلم يعد يرى كامل الذي يصيح بحنق متدبذب من الثمالة :

-إن لم يعجبك الحال، فاخرج من بيتي ! أنت أصبحت رجلا

أطول مني، فاخرج من بيتي !

رد عليه سالم بغضب حارق يهز جسده الأقصر والأنحف منه :

الفصل السابع عشر

{بئس الرفيقان: الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتى

يفارقاك.....الحسن البصري}

بعد شهر

رمت المرأة بنظرة واثقة، تلمس موضع معدتها فالألم تشعر به
هناك كلما علمت بأنها ستراه، تنفست وهمست بثقة، تحاول
استرجاع تلك النظرة الصارمة التي أصبحت تهرب منها
مؤخرا: -أور أنت واثقة، كوني ذكية، ستنتقمين من المجرم
ولن يشوش عليك.

شهر بالكامل تجاهلته خلاله، تبعد عنه كل ما سنحت لها
 الفرصة، فقد أصبح قربه يشوش عليها تركيزها ويشعرها
 بأحاسيس تضعفها، تجعلها أنثى، لذا قررت التجاهل مع أن
 ذلك لم يفلح، فالألم فوق المعدة يزداد عن حده والمشكلة أنها
 تميل لذلك الألم، نفضت عنها أفكارها وتوجهت إلى قاعة
 الطعام متجاهلة ضجيج العمال يجهزون لحفل عرس دليلة.

-صباح الخير.

ألقته حين لاحظت شقيقتها والتوأم الآخر و جنات حول
 المائدة، فرد عليها الجميع التحية ولم يكن المسرور بينهم
 سوى نزار فهمست لنفسها ساخرة:

-يبدو أن العمى في هذا العالم نعمة!

جلست تلتقط طعاما، فقال نضال:

-الاجتماع غدا، ماذا قررتما؟

ابتسمت أور ساخرة ترمقه بتهكم:

-ماذا تظن؟ أني صدقت تملق ذلك الرجل الذي يعتبر نفسه

عمّالي؟

أسرت غيظها داخل عقلها (ألا يكفي أنني لا أستطيع فضح

الحية الرقطاء زوجته كي لا تنكشف العملية؟).

ابتسم نضال يتنفس الصعداء ثم سأل لبيلسان:

-وأنت يا بيلسان؟

التقطت تلك النظرة المكسورة في مقلتي جنات بسبب النبرة
 المراعية التي أصبح يخصصها لها مؤخرًا بل كل تعامله اختلف
 معها، يحاصرها بلطفه ولباقة كلما اقترب منها، فتقترب هي
 من نزار تثبته بمميزاته قناعتها تبحث فيه عن نفسها وصلاحها
 وتصده به وهج نضال الطاعي:

-أنا وكلت أور وأثق بقراراتها.

ها هو من جديد! فكرت أور، ذلك الشعور الذي يؤثر عليها
 كلما عاملها أحد بثقة وحب، يتوقع منها أمرا إيجابيا وخيرا.

قامت من مكانها، تقول وهي ترمق شقيقتها بنظرة قد تبدو
 غامضة لكن بيلسان لاحظت مدى تغيرها وتأثرها، فتُسِر سرورا
 حقيقيا بقرب استجابة دعوتها بالهداية لأختها:

-أنا ذاهبة، إلى اللقاء.

تحدث نزار، قائلاً بريئة:

-نضال، ألم تكن تسبق الجميع إلى العمل؟

تأهبت حواسهم على اختلاف نياتهم بينما نزار يكمل بتهكم:

-لم تكن تحضر إلى البيت إلا لمماً والآن أنت مقيم باستمرار.

تأملته جنات بملامح حزينة وبيلسان مطرقة برأسها تنظر إلى

طبقها، فرد عليه بعبوس مدعي

-ماذا يا أخي؟ هل يثقل عليك حضوري؟

اتسعت ابتسامة نزار بينما يجيبه

-هل تدّعي العبوس؟ لا تنس بأنك شقيقي بل توأمي وأعلم
الصدق من الكذب في نبرتك.

رفعت بيلسان رأسها ترمقهما بتناوب لبيتسم نضال بسخرية
قبل أن يجفلوا على قيام جنات العصب، تقول:

-سأذهب للحديقة لأرى ماذا فعلوا بها العمال؟

انسحبت بوجوم في نفس اللحظة التي التفتت فيها بيلسان إلى
نضال ترميه بسهام نظراتها الحارقة، فهز كتفيه بخفة باسم
باستفزاز، فالتفت إلى نزار تسأله:

-نزار؟ هل تناولت دواءك؟

تتبع صوتها، يجيبها بتأثر تحكم به تجاهها، فطوال الشهر المنصرم فكر جيدا وحلل الوضع وتوصل لنتيجة واحدة لا غير، بأنه يريد ذلك الإحساس الذي يغمر كل خلاياه نحوها، يريد به بكل قوته وإن كانت هناك فرصة ليحصل عليها سيتشبث بها بأسنانه قبل قبضتيه:

-لقد تركت لك مهمة تذكرها أنت تطوعت لتحمل المسؤولية.

نهضت تلمس سطح الطاولة قربه، لتلفت انتباهه، تجيبه بنفس بسمته الهادئة:

-هيا إذن، إلا سأكون متطوعة فاشلة، فأسمع محاضرة من صهيب.

نهض ليغادرا متلافين كومة نار مشتعلة من المشهد المتكرر
أمامه مؤخرا، كلما صور له غروره بأنه سيشغلها كما يشغل
قلب كل فتاة يلتقي بها، يلاحظ بعادها ووتشبهها بالقرب من
شقيقه.

ودون وعي همس بغل:

- لا يمكن أن تكون مغرمة به! إنه أف!

نفخ ماسحا على وجهه وقام يكمل همسه معاتبا نفسه.

- إنه توأمك يا نضال، إنه نزار..

-تحرك أسد، وصلت مهمتك!

التفت يستقبل تقدمها الواثق كالعادة وتلك النظارة الشمسية التي أصبحت ترافقها يستغربها حقا، طوال الشهر المنصرم وهي تتجاهله رغم أن ثيابها على الأقل لم تعد فاضحة مع أنها تظل ضيقة لكن رحمته من العري وهذا يريح قلبه قليلا.

تجاهلها ما يزعجه، تغوص في العمل طوال اليوم ولا يراها إلا وقت المغادرة، تجيبه بكلمات مقتضبة دون أن تنظر إليه حتى ثم تهرب ما إن تقف السيارة على باب المنزل، فيتساءل عن سبب تجاهلها المزعج وهو الأفضل له لتمر المهمة بسلاسة:

-حضر نفسك مساء.

أدار رأسه إليها بريبة، يسأل: -مساء؟

-بلى، اكتشفت شيئاً مريباً في شبكة فرع النقل وأريد التحقق منه.

أعاد رأسه إلى الطريق، يسألها: -و الزفاف؟

-لن أحضره!

رمقها من جديد، فتابعت بجفاء:

-لن أحضر تلك التمثيلية المسماه عرساً بينما هي عملية بيع و شراء، والبضاعة فتاة.

هو أيضاً يستغرب الجزء من العملية الخاص بابنة القناص، وليس موافقاً على ذلك الزواج حتى إن كان بسبب الإيقاع

بالمجرم لكنه يشك في نوايا صوان وليث، فهو يحسبما أفضل
منه رجولة ونخوة ولن يسمح بإدخال نفوس بريئة في حسابات
ليس لهم فيها دخل.

سمع زفرتها التي تدل على غضبها لكنه أبدا لن يصحح لها
الأمر أو يخبرها بأن صوان معهم حينها ستثور و تتهمهم
بالوحشية.

-متى سنذهب؟

ردت بآلية وهي تغادر السيارة:

-سأأخر في العمل حتى الليل، لنذهب في نفس وقت الزفاف.

راقب ابتعادها في ردهة المجموعة، فابتسم لا يستطيع منع حماس القيام بمغامرة معها و أمل إيجاد بضاعة مهربة من نوع الهدف، فكل الشحنات التي هربوها تحت يد صوان إما مخدرات أو قطع غيار تتبعوها وعلّموا بكل الشبكة ولا يلزمهم سوى الأهم، البضاعة الهدف.

صدحت رنة هاتفه، فماتت الابتسامة على ثغره يرد ببعض الضيق: -السلام عليكم أمي!

صمت يضيق عينيه ثم رد:

- لا أمي، ليس الليلة، لدي مهمة... أقسم لك أمي!

عض شفته السفلى ينصت إليها ثم أجابها باستياء:

-أمي لا تعطي كلمتك لأحد، لم أقابلها وبالتأكيد لن تُزوجيني دون رأي، لست بفتاة أمي.

صمت من جديد وقد تغضنت ملامحه يسمع سيل مدحها للفتاة تماما كما يتمناها، ملتزمة، متخلقة، متحجبة وبسيطة.

-أمي؟ ليس الآن، أخبرتك حببتي، نحن في مرحلة حرجة ولا أريد لأي شيء أن يشتم انتباهي.

حاولت إقناعه بحجة خطف الفتاة من أحد غيره، فرد عليها بفكاهة أتقن ادعاءها

-أمي لن تُخطف بل تخطب وإن قدر الله لها ذلك، فهي ليست مقدرة لي أنا.

أنهى الاتصال ثم همس لنفسه بوجوم:

-يوما ما، ستضطر لاتخاذ قرار صارم يا أسد.

المركز الرئيسي

انتهى الاجتماع و همّ الحاضرون بالانصراف، فأوقف صوان

ليث يستفسر منه بخفوت:

-ليث ماذا عن التحقيق الآخر؟

هز رأسه، يقول بحزم

ما يزال جاريا لكن كل الخطوط الأولى تؤدي إلى نفس

التحقيق الخاص بدليلة.

اشتعلت مقلتا صوان يطلب منه بغموض:

- أرجو أن توليه اهتماما خاصا، أعلم بأن العمل كثير عليك

لكن نتائجه ستساعدني معها أكثر.

ربت على أعلى ذراعه يشجعه بتقدير:

- أنت على حق صوان وما تفعله أمر سامي، قليل هم من

يكثر ثون، اعطني بها وحاول ألا تقسو عليها.

أوما يصفحه بينما يجيبه بتصميم:

- سأفعل لا تقلق، أعلمني بالمستجدات أولا بأول.

بيت فضل الله

-تفضل تامر، من فضلك.

تبعه إلى بيت عائلته ليقابل الفتاة التي يدين لها بجميل لن ينساه أبدا، أدخله إلى غرفة الضيوف الكبيرة وجلس على إحدى أرائكها، يشعر برهبة كبيرة ويحمد الله أنه قد عفى عنه وتاب عليه ليضع في طريقه أناس لم يكن يصدق بوجود أمثالهم في دنياه البشعة

تفحص المكان حوله مسترجعا أحداث الشهر الماضي، بداية بالهروب المزعوم ليبدأ سلسلة تحقيقات بين البحث عن سعيدة ومعلومات عن البضائع المهربة وفي وقت من الأوقات أصابه اليأس حين فقد أثرها لكنه ظل مراقبا لذلك الممسوخ

ديدو الذي أرشدوه إليه لكونه المسؤول عن شبكة الدعارة في شبكة تهامي السرية، ودعا ربه بكاء حارق أن يعينه حتى لا يُضيع أمانة رشيد، ليأتيه الفرغ حين وجد الخيط الذي سيوصله إليها، فهي معروضة للبيع والله أعلم بماذا فعلوه بها لتصبح جاهزة للبيع وما يريحه كون المميزات التي عرضوها عنها أنها بكر، لكن المشكلة الكبيرة في الثمن المطلوب فيها جد مرتفع، وهو لا يستطيع تدبر ربه، فرفع يديه من جديد إلى الخالق متضرعا إليه كي يجعل له مخرجا، فأتاه الفرغ عن طريق بنفسج التي أخبرها نوفل عن قضية سعيدة شقيقة الفتاة التي كان جاد من مغتصبها ولكم ارتاح وسعد حين بشره نوفل عن تأمينه للمبلغ وسوف يدفعونه ليتسلم الفتاة الليلة، لا يصدق حظه

ورحمة ربّه به، لذا أصر علىّ مقابلة السيدة التي تكلفت بالتبرع
بثمن حرية سعيدة.

انتبه إلى المدخل، فلمح ضرغام الذي خطا نحوه وصافحه
ببعض من الجفاء يحاول التحكم به بشكل واضح كوضوح
ابتسامة المكر علىّ ثغر نوفل، تجاهل الأمر حين دخلت عليهم
امرأة مهيبة تبسم برزانة، فقام من مكانه ليقوم ضرغام بحدة
أجفلته، فرمقته بنفسج بعتاب تخاطب تامر بأدب:

-مرحبا بك سيد تامر، تفضل أرجوك، لماذا قمت؟

هز رأسه باحترام يعض بصره عنها وعاد للجلوس، يقول
بامتنان:

- كان يجب أن أشكرك سيدتي وما تفضلت به، لن أنساه ما
حييت واعلمي بأنك كسبت أخا حقيقيا تجدينه بإذن الله متى
احتجت إليه.

- جد لنفسك مكانا بالصف!

عقب بها ضرغام بحنق، فالتفتوا إليه، بنفسج بذهول ونوفل
ضاحكا، أما تامر فمقطب بحيرة.

- هل أنهيت شكرك يا سيد تامر؟

استدرك ضرغام بملامح جامدة، فهم تامر بالرد محرجا لولا
بنفسج التي سبقته ترد بامتعاض: - أرجوك سيدي لا تؤاخذه
فهو شرطي وطبعه شديد، ونحن معتادون علي طبعه.

تجمد ضرغام بصدمة ونوفل مستغرق في الضحك بينما هي
تكمل بأدب: -لكن قلبه طيب جدا، المهم!

تمالك نوفل ضحكاته وتامر يمسك نفسه كي لا يظهر حتى
ابتسامة تخرج الرجل، بينما هي تستطرد:

-المال ليس دينا أو تبرعا سيد تامر، أظن بأنك تعلم عن قضية
شقيقة سعيدة تغمدها الله برحمته، صحيح أننا لا نتمنى للفتاة
ما حصل لها لكن بما أن الفرصة سنحت لنا لنكفر عن القليل
من ذنب فرد من عائلتنا، فسنستغلها ولن نفوتها، ناهيك عن أننا
نتمنى مساعد كل فتاة تقع في مثل تلك المصيبة وحين تخرجها
من هناك سنؤمن لها جلسات لدى طبيبة نفسية ونتكفل بعملها
بعون الله.

ابتسم بحبور إن كان هو أو زوجها الذي لا يملك سوى الوقوع
بحب حبيبته الكريمة الطيبة المحبة للخير والسلام.

قامت تضيف قبل أن تغادر:

-شكرا لحضورك سيدي وإن صادفت حالة مثلها أعلمنا
وسنقوم بما يُقدره الله لنا ويعيننا عليه، بالتوفيق.

انسحبت، فقام تامر يمد يده لضرغام ببعض من التردد،
فأمسكها بكفه يضغط عليها، يعترف له بفخر:

-أعتذر إليك، لكنها زوجتي، أحبها وأغار عليها.

هز رأسه دون حديث كي لا يستفزه، فهو بالفعل يحبها وحق
له، فهي تستحق، تذكّره بأخرى لم يستطع أن يطلب منها

المساعدة مع أنه يعلم حق اليقين بأنها أبدا ما كانت لتتأخر عن
مساعده.

منزل القناص

تنفست بقوة في إحدى أركان الحديقة تمنع دموعها عن التدفق
من جديد، إنه يحب بيلسان، ترى ذلك في مقلتيه كلما نظر إليها،
نظرة تختلف عن نظراته إليها أو لغيرها بل تلمع بشغف
مختلف لكنه يظل معتوها إذا ظن أنه سيحصل عليها بتلك
الطريقة التي ينتهجها، فبيلسان عاقلة ولن تشعر به أساسا وهي
تلازم نزار طوال الوقت، لكن ماذا إذن؟

- اااااه! لا! لا يا ربي!

تنهدت بأسى، تهمس بحزن:

- لا أعلم ماذا سأفعل إن هي أحبته بالفعل! إن تزوجا! يا ربي

ارحمني!

- عذرا آنسة.

التفت بذعر لتجده أمامها، ذلك الضخم الذي يحاصرها

بنظراته الغامضة كلما قابلها وقد بدأت تشعر بأن مقابلاتهما لم

تعد صدفة.

تحدث حين لاحظ تحديقها المذعور به بعد أن لمحها خارجة

من المنزل ولم يتحكم بأطرافه يتبعها متعللا بمساعدة العمال:

- هل أنت بخير؟

- ها؟

ردت ببلاهة، ترمق عواميد الحديد بين يديه كأنه يحمل مقشة،
فاستدركت ببلادة:

- كيف تحمل كل هذا؟

ابتسم فزادت دهشتها تكتشف بأن الضخم يعرف كيف يتسم:
- ليست ثقيلة إلى تلك الدرجة.

هزت رأسها بتفهم، وسألته بحيرة:

- ماذا تريد؟

أوماً بلا معنى، يجيبها:

- لا شيء، لاحظت دموعك، فسألتك إن كنت بخير؟

تذكرت فوجمت، ترد وهي تبتعد:

- أنا بخير، شكرالك.

زفر حين اختفت يرمي العواميد بعبوس بينما يغمغم بحنق:

- أحسنت زيد لا تُجيد سوى إخافتها أو إبعادها، أحسنت فعلا!

ثانوية الحسن البصري

- وهكذا نكون أنهينا درس ملوك الطوائف.

أشار الأستاذ أمين إلى الملخص العام على السبورة يطلب من

صهيب: - صهيب هلا قرأته؟

نظر صهيب إلى السبورة وبدأ بقراءة الملخص:

-ملوك الطوائف هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام 422 هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جمهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دويلة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه، في العقدين 1020، 1030 سقطت الخلافة بسبب ثورة الأمازيغ ونشوء ملوك الطوائف الذين قسموا الدولة إلى 22 دويلة، منهم غرناطة، وأشبيلية، والمرية وبلنسية وطليطلة، وسرقسطة والبرازين والبداجوز، وبلنسية، ودانية والبليار ومورور وبينما ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة، إلا أن عدم استقرار الحكم فيها والتناحر المستمر بين بعضها البعض جعل منهم فريسة

لمسيحيي الشمال، ووصل الأمر بملوك الطوائف دفع الجزية
 للملك ألفونسو السادس، يستعينون به على أخوانهم.
 هز صهيب رأسه وعاد ليجلس، فسألهم أمين بينما يستند بطرف
 طاولة مكتبه:

- هذا ملخص عام كي تستوعبوا الدرس... لكن....

اتحدث حوله أنظار طلابه إلا واحدة ما تزال مطرقة برأسها
 وليس في تلك الحصة فقط بل منذ وفاة والدها في تلك الليلة
 المعلومة، تأثرت بشدة ولم تتجاوز المحنة بعد وشقيقتها لا
 يساعد أبدا بتطرفه المتزايد يوما عن يوم، ينغمس في اجتماعات
 أصدقائه الجدد وقد حاول بالفعل منعها من الدراسة مرة، لولا
 أنه تدخل و وعده بحراستها:

- ما أريدكم حقا أن تستوعبوه من مرحلة ملوك الطوائف، هما
محورين اثنين.

وخطا إلى السبورة يتابع وهو يكتب ما يقوله:

- التفكك والحروب الأهلية أسرع طريق نحو الهزيمة.

ثم استدار إليهم، يكمل:

- تفكك الدولة إلى دويلات عدة تضعفها وتُعدّها لقمة سائغة

لأعدائها، ففي الوحدة قوة وحين يسمح الشعب للفتنة بالتسلل

بين أفرادها، يتقاتلون فيما بينهم يصبح هو عدو نفسه أولا.

تدخل أحد الطلاب يقول بعد أن رفع كفه استئذانا:

-لكن يا أستاذ، نحن لسنا معرضين لتلك الفتنة بحكم أننا كلنا على دين واحد ومذهب واحد، فالبلدان الأخرى المعرضين لذلك التشتت يجمعون طوائف وديانات مختلفة.

ابتسم أمين بأسف، يفسر:

-أتمنى ذلك، لكن ما يفوتك أن الفتنة لا تشتعل فقط بين الديانات والطوائف، بل بين القبائل واللهجات والألوان... إلخ، الشياطين لا تعجز ودائماً ما تجد البنزين لتشعل به نار الفتنة تستعر بالعصبية والعنصرية، لذا خلاصة القول، يجب على الإنسان العيش بكرامة وسلام ويضمن لأخيه الإنسان نفس الكرامة والسلام وكل من يريد التقدم والتطور في هذا العصر إن كان بنفسه أو بدولته أو أمته عليه بالعلم ولا شيء غير

العلم ومن أراد أن يبلغ أعلى المراتب عند خالقه عليه بالعلم،
لأن جل جلاله يُعبد بالعلم ولا يُعبد بالجهل، تصديقا لقوله
سبحانه " إنما يخشى الله من عباده العلماءُ " [فاطر]....و
بهذه الكلمات المقدسة نضع نقطة نهاية درسنا لنبداً واحدا
جديداً.

بيت خالد وإسراء

قبلها على وجنتها ثم جلس ليتناول الفطور وبعد برهة وضعت
أمامه ورقة إعلان عن مدرسة ما، نظر إلى الورقة ثم إليها
مستفسرا، فردت عليه:

-إنها مدرسة جيدة لجنى.

قطب خالد يجيبها مستغربا:

-لكن جنى لا تزال صغيرة يا إسراء.

اكتسى وجهها بتلك الملامح المصرية، حين تريد شيئا بشدة،

فتدافع عنه بقوة وهوس:

-لا يا خالد، فقريناتها بالمستوى المتوسط بالأقسام التحضيرية

ولا أريد لابنتي أن تكون أقل من أي أحد.

هز رأسه بخفة يوافقها:

-إن كان ذلك رأيك لا مشكلة.

ثم ابتسم يستدرك بتساؤل:

-ستخرجين اليوم؟

تركت ما تقوم به على الحاجز الرخامي، لترد بشيء من التوتر:

-بلى، واعدت والدتي لنتقي في النادي.

استقام واقفا ثم قبلها على رأسها، يرد بتلقائية:

-جيد، استمتعي حببتي.

وانسحب يظن بأنها عابسة لأن عمله لا يسمح له بالذهاب معها

إلى النادي أغلب الأيام برفقة أولادهم، فقرر تجاهل بعض

أشغاله ليفاجئها ويمضي بقية النهار برفقتهم.

في منطقة ما

أسرعت خطواتها بين الأزقة تلهث خوفا كما لم تفعل يوما، ما الذي جعلها تتبع حمقها؟ نوفل محق، آه! الآن فقط أدركت بأنه محق؟ ماذا جنت غير مشاكل جلبتها على نفسها؟ مر شهر بأكمله حاولت به جاهدة إيجاد دليل ضد سهيل العلام، لتثبت لنفسها قبل نوفل والجميع بأنها محقة وفي الأخير علمت بصفقات خمر مهربة غير قانونية، فجمعت المعلومات وأنهت ملف مستندات ولم يبق سوى تقديمه للشرطة، لنوفل بالذات، تتخيل رميها للملف فوق سطح مكتبه ثم التشدق بأنها قوية وتستطيع حماية نفسها لكن هيئات! رجال سهيل علموا بما فعلته وها هم يطاردونها منذ الصباح، وأول شيء فعلوه حين

أوقفوها جردوها من حقيبة يدها ولولا أنها صرخت ثم هربت
على حين غفلة منهم لكانوا خطفوها، لكنهم لم يستسلموا وما
يزالون يطاردونها عبر الأزقة.

شهقت بقوة حين اصطدمت بواحد منهم يخاطبها ببسمة
مخيفة وقد تمكن منها التعب جراء الركض طويلا هربا منهم
دون جدوى: -الى أين يا جميلة؟

أمسك بذراعيها بقبضتين من فولاذ، يستدرك بغلظة: -السيد
يريد رؤيتك، ألم تكوني تبحثين خلفه؟ سيقابلك بنفسه.

همت بالصراخ حين وجدت صوتها لكنه كان سباقا وكنم فمها
بكمامة ذات رائحة نفاثة بعثت بالدوار داخل رأسها فضعفت

أطرافها ولم تعد تستطع المقاومة مستسلمة لجرهم لها نحو

سيارة ما.

الفصل الثامن عشر

"إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوماً في طاعة الله ، فبغاك
وبغاك- أي طلبك مرة بعد مرة - فإذا رآك مداوماً ملَّكَ
ورفضك ، وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع
فيك".....الحسن البصري

-لما لا تذهب للقاء خطيبتك حتى يحل المساء؟

وجه تامر حديثه لنوفل وهما في السيارة، يراقبان تحركات
ديدو، فضحك الأخير بسخرية بينما يجيبه:

-إنها زوجتي يا تامر وليست خطيبتى.

التفت إليه تامر ، يسأله بحيرة:

-ولماذا كل هذه المرارة بنبرتك يا صديقي؟

تنهد نوفل ، فسحب منه تامر المنظار يردف باعتذار:

-أنا آسف على التدخل.

أوماً نوفل بلا ، يرد بوجوم:

-لا عليك ، إنه فقط ضغط العمل بين المواد التي لا نعرف

مصيرها بعد والفتيات اللاتي لم نستطع إخراجهن والمخدرات

التي نعلم كل نقاط بيعها ولا نقدر على التحرك ضدهم كي لا

نحسهم بأي تغيير وبين ...

قطع حديثه قليلا ثم استطرد بغل:

-من المحتمل الآن، اللحظة أن تكون القنابل قد جُهزت وفي
الأماكن المستهدفة وقد تحدث كارثة ونحن هنا مكثفون
نراقب ممسوخا أحرق أعصابي لو أمسكت به بين يدي لكنت
أخرجت روحه قبل رجولته.

تلاحقت أعصابه من اللهاث بفعل الغضب، فقال تامر باسم
بسماحة: -وأين الله في حساباتك يا نوفل؟

سكن يرمقه بضيق لم يغادره وتامر يكمل بنبرة داعمة:

-املاً قلبك بالله وتكلم معه، اشكو إليه همك، واسأله كل
أمانيك، لكن الأهم من ذلك كله، ثق به وأحسن الظن به يا
نوفل.

ثم نظر عبر المنظار يكمل بيسمة مستبشرة:

- ما رأيك بأنني أثق بالله وأنه سيوفقنا بالوصول إلى مبتغانا قبل
أن يشعلوا الفتنة ويقتلوا الأبرياء وأن كل ما يحصل الآن لحكمة
هو الوحيد الأعلم بها، حكمة بها الخير لنا وسيوفقنا إن شاء الله
لأن نيتنا صالحة، هدفها إحياء النفوس والحفاظ على السلام.
استغرب نوفل قوة إيمانه وسلام قلبه مع خالقه، فأتسعت
ابتسامة تامر بينما يستطرد وقد التفت إليه:

- كنت ضالا تائها إلى أن أصبحت أرى الحياة كلها سوداء لا
خير فيها، ألمٌ وضيق مع أنني كنت أتنعم فيها بأموال كثيرة
حرام، وحين سُجنت ظننت بأن حياتي انتهت بالفعل، تمنيت
الموت لكنني كنت أجبن من أن أقتل نفسي وفي يوم انضم إلى

عبرنا رجل كبير في السن، سمح بشوش وكل ليلة كان يتخذ
 ركنا في العنبر يصلي فيه إلى أن يؤذن الفجر، يتلو القرآن
 بخفوت مسموع لمن قربه ولم يتجراً أحد على نهرة أو إساءة
 الأدب معه، كان الجميع يحترمونه حتى أفجر المسجونين، في
 حين كان القوي يعامل الضعيف أسوأ معاملة، وبعد مدة جلس
 بالقرب مني يسألني باسماء بمرح (إلى متى ستراقبني؟ ألن تقدم
 الخطوة الأولى؟ فالله سبحانه يتكفل بالباقي، فقط قدم رجلك
 يا بني!) تأملته صامتا، فربت على كتفي يكمل بلطف (كنت
 أعلم بأنني هنا لحكمة ما وعرفتها، ارحم كبري يا بني، فكلما
 أسرعَ بالتعرف إليه، كلما أسرعُ بالخروج من هنا).
 استغربت يومها حديثه وظللت أراقبه وكلما استيقظ ليلا

للصلاة تابعته بتركيز من مكاني إلى أن يصلي الفجر وفي ليلة قامها كلها بآية واحدة يتلوها ويعيدها باكيا مرة تلو أخرى وفجأة أحسست بسائل ساخن يحرق وجنتاي، رفعت كفي ولمست بشرة وجهي لأجد نفسي أبكي بحرقة.

لمعت عينيه بدموع خاشعة ونوفل ينظر إليه بتركيز وتأثر:

(- أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) أذن الفجر،
فشعرت به يسحبني ويتجه بي إلى المراحض ليعلمني
الوضوء، فقد أدرك بأن الوقت قد حان وأن قلبي مستعد
للتعرف إلى خالقي، ومنذ تلك اللحظة وهو يلازمي يعلمني

العبادات وما استطاع من الشرع ثم حذّرنى من الغلو والتشدد أو
العكس الاستخفاف، وأوصانى بالتوسط والاعتدال وأخبرنى
بالحرف (حين تشعر بأنك عالق ولا تعلم أي طريق تسلك لا
تنس بأن هناك رابط لا ينقطع أبداً رابط قلبك بخالقه، أسأله في
أقرب نقطة منه وهي السجود وهو عز وجل سيوجهك إلى ما
فيه صلاح لك) أحببت الرجل كثيراً وتعلقت به، إذ به وبعد أيام
قليلة يعانقني ويخبرني بأن مهمته انتهت وسيخرج من السجن،
استغربت واستعلمت عن قضيته فأخبرني الحارس بأنه متهم في
جريمة قتل والدلائل كلها تشير إليه، لذا أشفقت عليه، فلم أُرِدْ
إطفاء الأمل في صدره، لأتفاجأ بعدها في نفس اليوم بقبضهم
على المجرم الحقيقي وإصدار قرار الإفراج عنه. كانت صدمة

لي كيف لإنسان الوثوق بخالقه إلى تلك الدرجة من الإيمان
وحسن الظن؟

صمت ليتنفس قليلا، فعقب نوفل باسمها بهدوء:
-مثل بنفسج.

رمقه بتساؤل، فتابع:

-نفس تلك العلاقة القوية بين الخالق وعبد، لاحظتها على
بنفسج حتى أنني أجدها مرات عدة تحدثه كأنه أمامها تشكو
إليه أدق أمورها وتسأله ما تريده مهما كان طلبها تافها سهلا
بالنسبة لي.

هز تامر رأسه، يجيبه بتفهم:

-محظوظ جدا من يصل إلى تلك المرتبة، فحينها يستغني
العبد بالله عن المخلوقات مثله، وهدفي من حكايتي يا نوفل أن
لكل شيء يحدث حكمة ما ونحن يجب أن نسلم ونثق به حتى
في ما يحدث مع خطيبتك التي هي زوجتك.

ابتسم في آخر حديثه، فابتسم نوفل بدوره يشكو إلى خالقه سرا:
"لا أعلم يا ربي إن كنت محقا في ما فعلته، فتصرفاتها لا تعجبني
أبدا، ترفض رؤيتي حتى بعد عقد قراننا لم أقابلها مرة واحدة،
انشغالي ورفضها لرؤيتي حين يسمح لي عملي لأتفه الأسباب،
وخوفي عليها، لا أعلم! لكنني أشك في طاعتها لي في ما يخص
سهيل العلام، ربي أرشدني ووفقني واحفظها لي.. يا رب!"

-أنظر! إنه يغادر... هيا!

أجفله حديث تامر الجدي، فhez رأسه وانطلق بالسيارة.

ثانوية حسن البصري

(الفسحة)

تحدث صهيب يشعر بأسى نحو الخنساء فلم يستطع السكوت
يوجه حديثه لمروة وسمرا بخفوت:

-ألن تفعلنا شيئاً من أجل خنساء؟ طال حزنها ويجب
التصرف.

هزت سمرا رأسها بوجوم تجيب صهيب بنفس الخفوت:

-أجل حزنها طال ولا نعلم كيف نتصرف حتى مروة الذكية

بيننا لا تعلم ماذا تفعل؟

رمق المعنية التي تتجاهلها بقراءة شيء ما وسمعها معها،

فقال بمكر:

-ومن قال أنها الذكية بينكن؟ بل قولي العصبية، العابسة،

الْحُمُق بعينه.

التفت إليه ترميه بسهام الغل، فابتسم لها مستفزا وهي تسحب

سمرا تهتف بوجهها حنقا:

-ابتعدي عن ذلك الأحمق! لماذا تدعينه يقترب منك هكذا؟

لا يصح، علاقتكما مؤخرا تطورت يا سمرا.

ردت بصدق كما نظرت إليها بتوجس عابس:

-علاقة؟ على فكرة يا مروة، صهيب ولد مؤدب ويحترمني جدا
وأشعر بالألفة تجاهه وليس كما تظنين أبدا، من فضلك مروة
تكفيني أم واحدة، صدقيني، تكفي جدا!

زفرت مروة بيأس من وضعهن بين كآبة خنساء وتقرب صهيب
من سمرا تستشعر قدوم مصيبة ما لا تعلم ماهي بالضبط! أما
سمرا فصمتت تفكر بأنها فعلا ألفت صهيب وليس بالطريقة
التي تخشاها مروة لكنها تشعر برابط ما يجمعهما تجهل كُنْهه،
فهو يسألها عن حياتها وشقيقتها كلما سنحت له الفرصة وهم
ينتظرون موعد الحصة التالية قرب الفصل، فینصت إليها
بتركيز بل ویناقشها فی أمور عدة.

خطت نحوه تعتذر إليه بأدب، فهو حقاً لم يتجاوز مع أي واحدة
منهن ولم يسمع من حديثا مشينا من قبل:

- آسفة صهيب، مروة لا تقصد، هي تخشى علينا كثيرا.

هز رأسه بتفهم يفكر في شيء ما ثم سألها بحذر:

- سمرا هل سألت والدتك عن والدك؟

التفت إليه ورمقته بتيه كأنها تفكر بتمعن ثم ردت عليه بينما
تهز كتفيها: - بابا متوفي رحمه الله.

فوجئ صهيب بينما هي مسترسلة غير ملاحظة الصدمة
المرتسمة على وجهه: - أنا لا أذكره فقد كنت في بطن أمي حين
مات، لذا لم أتأثر كثيرا كشقيقتي لبنى.

صمت قليلا ثم أردفت مضيقة عينها باستياء:

- لا أظنه كان رجلا جيدا لأن أمي وشقيقتي تضيقان لسيرته،

على العموم هو ميت الآن ولا يجوز سوى الترحم عليه.

احمر وجهه دلالة على غضب أو حنق استبد بأعصابه لذا

استأذن مبتعدا، فاقتربت مروة تسألها بحيرة:

- ما به؟ لماذا غضب؟

هزت كتفيها بخفة تجيبها بعدم فهم:

- لا أعلم، سألني عن والدي وأخبرته بأنه ميت، أظنه حزن من

أجلي.

قلبت مروة شفيتها بتهكم، تعقب: - مميم الحنون.

و في ركن آخر غير بعيد:

- هل أنت متأكد يا كرم؟ نحن لا نلعب هنا.

زفر كرم بضجر ورد عليه:

- طبعا متأكد، يلزمني هاتف ذكي باشتراك، فأبي فصل الشبكة عن البيت بحجة أنها تلهينا عن الدراسة وصهيب خاصمني من أجل ثلاثي الغربان الملازم له لذا لا حل آخر لدي، سأبيع البضاعة التي تجلبونها.

هز الولد الآخر رأسه يجيبه:

- جيد إذن، سأخبر مصدري ليحلب بضاعة مضاعفة ومنذ الغد ستبدأ بالبيع لكن احذر! لا يجب أن يعلم أحد وإن قبض عليك

لا تعرفني ولا أعرفك، أبقى نقاط بيعك في الجهة الخلفية فقط،
لا تخرج عنها، هل فهمت؟

خلف الجدار مباشرة كانت زرقاء العينين منزوية كعادتها،
فسمعت الحوار بأكمله تفكر بأن الجهة الخلفية دائما ما
شكلت نقطة تساؤل لها، تجاهلتها لأنها تعتبرهم مجرد أولاد
مُنحوا كل شيء حتى فسدت أخلاقهم وهناك أشخاص
يستحقون المساعدة أكثر منهم كالمشردين مثلا لكن يبدو أنها
ستعيد حساباتها من جديد وستقوم بزيارات للجهة الخلفية.

بيت تسنيم

-تعالى هنا، إلى أين أنت ذاهبة؟

نفضت نفسها من قبضته، تهتف بغل:

-إلى عملي يا جواد، لقد تأخرت.

تشدق قائلاً:

-نفذ مالي، أقرضيني مبلغاً، سأعيده إليك آخر الشهر.

تخصرت بغضب تهتف: -هل أضعت دخلك في القمار من

جديد؟ يا إلهي إنه أول الشهر يا جواد!

زفر بضجر يرد: - اعفيني من صياحك وهات المبلغ.

كزت على أسنانها، تجيبه بعصية:

- لا يا جواد، لن أعطيك مالي الذي أكَّدُ بجهد كي أربحه،
لتصرفه على القمار والعاهرات آآه!

صفعها وأمسك بشعرها يجرها إلى غرفة النوم والصغيرة تبكي
بقوة بين يدي جدتها المراقبة للوضع بوجه خالٍ من أي تعبير:

- تعالرينني بملايم تقرضينها لي؟

- آآه!

توالت الصفعات على وجهها أفقدتها توازنها لتسقط على
الأرض لكنه لم يكتفِ بل بدأ بركلها على بطنها مرات عدة
حتى سكنت مكانها، فزفر بغضب وأخرج من حقيبة يدها
محفظة مالها وأفرغها كلها ثم غادر يعد الأوراق المالية وتركها

تبكي بنحيب وهن توقف فجأة، فظنت المراقبة لها قرب الباب بأنها فقدت وعيها، لا تعلم بأنها هربت بعقلها إلى لقاءات تكررت في أيامها الأخيرة برجل تطلق عليه لقب رجل الخيال لأنها لا تصدق بوجود رجالٍ مثله على أرض الواقع، رحلت إلى اجتماعاتهما التي أصبحت أكثر ألفة، كلٌ منهما أفضى للآخر عن حياته، فعلمت بأنه ليس سعيدا مع زوجته ليشب احساس الطمع به في أحشائها، رغما عنها أحبته، كيف لا تفعل وهي ترى به ما ظنته غير موجود وما هي جائعة إليه، الاهتمام والاحترام، هي أحبته لأنه يملأ فكرها إذا استيقظت وأحلامها إذا نامت، ضحكته، رفته، مناغشته لابنتها وابنه الذي أحضره مرتين، هي تحبه وعلى قدر ما تعلم بأن ما تنجرف خلفه قرار

آخر خاطئ سيكلفها ما لا تطيقه نفسها المنهكة وظهرها
المقسوم لكنها ولحد الآن لا تجد في ذاتها جهدا يقوم بها من
مستنقع خساراتها.

-هيبه! أنت!

حل عليها البؤس حين سمعت صوتها الذي أعادها إلى واقعها
الأليم: -أجيبى يا أم النكد! أنت الملامة على ما حدث! لماذا
لم تعطه ما يريد؟ ألستما زوجين وشريكين ومالكما واحد؟
لم تجبها مكومة على نفسها كوضعية الجنين، فزفرت حماتها
بامتعاض حين لمحت تنفسها ثم وضعت الصغيرة قربها،
تستدرك قبل أن تنسحب:

- لا أظنك ستذهبين للعمل، لذا خذي ابتك!

تحركت متحاملة على الألم الشديد في بطنها تضم إليها
صغيرتها لتُحلق في سماء الأحلام من جديد كمخدر تنفصل به
عن واقعها الأليم.

ثانوية الحسن البصري

حل الصمت والجميع يجيب على أسئلة اعتاد وائل طرحها
على السبورة عند نهاية كل درس وكلما أبعد أنظاره عن زرقاء
العينين هرولت إليها من جديد فيبعدها مجددا، ولقد بات يظن
بأنها تلاعبه وإن كانت كذلك، فهي فعلا تجيد اللعب.

ابتسم حين تذكر يومَ قرر سؤالها، فأشار لها كي لا تخرج من
الفصل وحين سألتها إن كانت تعرفه؟ نظرت إليه بشكل غامض
ثم ردت بما زاد من حيرته وتأكيده أنها فعلا تعرفه.

***لماذا قصصت شعرك*!**

ابتسمت بعدها بغموض وغادرت وهو كالأبله لا يفقه شيئا.
عاد إلى الحاضر فطرف بنظره نحوها ليلمح تركيزها على
الأسئلة ثم شمل الجميع بأنظاره وبعدها بعشر دقائق تحدث
يقول: -انتهى الوقت، هيا! ضعوا أقلامكم.

ابتسم حين انطلقت التنهدات والزفرات، فاستدرك بنبرة رائقة:
-لم يكن صعبا، الأسئلة كلها عن الصلاة.

رمقه أحد الطلاب يقول بتساؤل:

-لكن أستاذ، كيف تظهر الصلاة على أخلاق المسلم؟

هز رأسه يجيبه بينما يجمع أوراق الإجابات:

-سأعطيك مثالا، حين تكذب وتسرق وتأتي المنكرات ثم

بعدها تقف بين يدي الله دون أن تستشعر عِظم معصيتك له

وتسأله النعم من الرزق والستر، فأنت حينها تستخف بقدره

العظيم.

وصل أمامها باسطا كفه إلي ورقتها، فأعطتها له دون أن تنظر

إليه، أخذها والتفت بسرعة كي لا يُمهّل نفسه التأمل بملامحها،

يستطرد:

-لذا أثر الصلاة على المسلم، تنهاه عن الفحشاء والمنكر
وتأمره بالمعروف، فليس من الذكاء ترك الصلاة مهما بلغت
معصية العبد لربه لأنه لا بد يوماً ما حين يُقبل على منكر
يستحضر وقوفه بين يدي الله، فيستحي ويبدأ بالتفكير في
معاصيه.....اسمعوني رجاء!

وقف ينظر إليهم بتمعن يؤكد على كل كلمة:

-لا تفرطوا في الصلاة، مهما حدث، حتى إن عصيتموه لا
تفكروا بأنفسكم النفاق ولا تياسوا أبداً، تشبثوا بها بأيديكم
وأرجلكم...حتى إن لم تصلوها في وقتها وحتى إن صليتموها
بلا خشوع لا تتركوها أبداً! قاوموا وصلوها وادعوا الله أن

يهدىكم، أعلم كم هو صعب عمركم هذا والفتن حولكم
كثيرة، لذا على الأقل لا تتركوا الصلاة لأي سبب كان.

ثم رفع سبابته ليتابع محذرا:

- لا تفقدوا صلّتكم بالله مهما حدث، هو ملجأكم فلن تجدوا
من هو أرحم منه بكم حتى أمهاتكم.

رفع أصابعه يعدد، فرحا باستجابة عقولهم المركزة معه، يأمل
أن يكون لهم ما كانت بنفسج له في يوم مضى:

- يقبل توبتكم ويغفر ذنوبكم مهما أخطأتم ويستجيب
لدعواتكم، يسمع شكواكم مهما كانت سرية لا يسمعها أحد،

يسمعها هو... وحين تمرضون ولا يشعر بكم أحد إلا هو، لذا
لا تفقدوا صِلتكم بخالقكم، مهما حدث.

احدى حانات سهيل

تملمت تشعر بألم فظيع يهجم على رأسها، أنت بضعف وهي
تحاول تذكر ما حدث، لتتفض على صوت جوهرى متهمك:
- صباح الخير.

فتحت عينيها ترمش بهما مرات عدة لتتضح أمامها صورة وجه
سهيل المتأمل لها بخبث، يسألها بسخرية:
- ماذا تريد مني فتاة صغيرة جميلة مثلك؟

اهتز قلبها بخوف تتفحص المكان حولها وبلعت ريقها، ترمق
الجدران المرصوفة بقناني الخمر، لتدرك بأنها في مخزن من
مخازن حاناته:

- مممم وجه مدعور، إذن أنت تخافين؟ ستتكلمين كأى فتاة
جيدة وتخبريني بمن كلفك بالبحث خلفي؟ أو....

رمى الوحشين خلفه بنظرة ذات معنى ثم أردف:

- سأمنحك سببا حقيقيا للذعر.

تكلمت بتمتمة هلعة بينما تتململ بمكانها تحاول الاعتدال
جيدا: - أنا.... لم... لا أحد.. كلفني... أنا.. آآه!

صفعها بقوة أدمت شفيتها ثم قال بنفس هدوءه السابق:

- سأعيد كلامي آخر مرة، لماذا تبحثن خلفي؟

تمالكت نفسها يغمرها الذل والعجز، فتضغط على أسنانها من الغل والغضب ثم قالت بقوة واهية، تكذب لمصلحتها ومصلحة إيمان:

- أنا محامية وكنت أبحث عن فرصة أثبت بها جدارتي، يعني لست سوى تذكرة نجاح في مهنتي.... آه!

صفعها مرة أخرى، فشعرت بدوارٍ أطرقت على أثره رأسها لكنها سرعاً ما رفعته حين قال بتهديد متهم للوحشين خلفه.

- سلّماها لديدو... ليُعلمها الجرأة والقوة التي ستفنعانها.

ثانوية الحسن البصري

زفر بضجر يرمي بهاتفه فوق سطح مكتبة، يستغرب عدم
حضورها، فقد كان المدير ينوي صرف تلاميذها بعصبية
ظاهرة على وجهه لعدم إعلامه بغيابها مسبقا، لولا أنه تطوع
لتدريسهم مكانها كما أخبره بأن رضيعتها مرضت على حين
غفلة، فاضطرت للمغادرة قبل أن تدخل المؤسسة بسرعة
ودون وعي.

تنهد بخفوت يفكر بأنها أضحت تشغل تفكيره طوال الوقت
يشعر بها متعطشة لاهتمام حقيقي كما هو متعطر لاهتمام
حقيقي دون دوافع ودون مقابل.

تنفس بعمق يعترف لنفسه أنه يكن لها مشاعر خاصة وقوية، لقد
أخطأ حين ظن بأنه قادر على مساعدتها دون التورط معها
بمشاعر تثقل عليه هكذا! ارتعشت أنامله يعترف بأنه لم يعد
يطيق سحر وباتت نفسه تخونه في تحملها وكلمها طلبت منه
شيئا لبي رغبته مباشرة متهربا من قربها، يشعر بذنب فظيع
نحوها، فهو لا يفكر بها إطلاقا ولا يدق قلبه إلا لتسليم حتى أنه
بات يشك في عقاب الله له في ابنه وأمه المريضان دائما والطبيب
لم يجد لهما علة محددة.

-أف!

تنهد بأسى يتساءل أين الحل ؟ فلن يستطيع إلغاء تسنيم من حياته هكذا، فقط لا يستطيع! لكن المسألة أضحت ملحة عليه ليجد حلا سريعا ومريحا لقلبه وضميره.

زفر بقنوط وأخذ الهاتف من جديد، يحاول الوصول إليها.

منزل القناص..... مساء

حملت بيلسان الفستان بين يديها تريه لجنات بصبر، تحاول مهاودتها: - حبيبتى لقد تأخرنا! هيا! ارتدي هذا.

رمقته بعبوس رافض ثم نظرت لفستان بيلسان بعين معجبة، تقول بغيرة غريبة عليها: - بل فستانك أحلى.

نفخت بيلسان بضجر وجلست على السرير قبالتها، تجيب
بهوادة، فهي تشعر بحالتها النفسية العصبية كما تعلم سببها:

- يا حبيبي جنات، لقد جربت الفستان مرتين ولم يعجبك، فإن
كنت متأكدة أنزعه عني من أجلك.

زفرت جنات بحزن تعلم بأن ما تفعله جنون، وتهدل كتفاها
تعقب بحزن: - أنت محقة، أنا جننت... آسفة!

اقتربت منها تضمها بشدة، تحاورها بحنو ولا تكف عن لوم
نضال داخل رأسها رغم أنها تود لو أن جنات تتعلم وترمي عنها
زيف انبهارها بفتنة وهج ابن خالها المتعجرف:

- لا تتأسفي حبيبي، أنا لم أغضب، لكلّ منا لحظات حزنه.

ثم أبعدها متابعة بمرح:

- هل أنزع الفستان؟ فأنا لم أكن أنوي الحضور لولا نزار.

رمقتها بأمل تسألها بينما تلتقط الفستان من بين يديها:

- من أجل نزار، ها؟

اتسعت بسمة بيلسان عكس كآبة صدرها تُسر قرارا حاسما

تشتعل به أحشائها دون أن تعرف حقيقة كيف ستجد إليه

السبيل: - طبعاً نزار ومن غيره؟

لكن بسمة جنات اتسمت بصدق حقيقي حين نهضت تحثها

على المغادرة: - اذهبي إذن وابحثي عنه وانتظريني هناك.

وما إن أضحت بيلسان خارج الغرفة تحولت ملامحها كليا إلى غضب مستعر، تبحث عن نضال، غضب أصاب العديد من أهل المنزل منهم صهيب الذي صاح في وجه نزار دون وعي:

- سأخبر أبي الليلة، قررت و انتهى الامر!

تقدم متبعا صوته يجيبه بهدوء واجم:

- ستدمر كل ما أردت الوصول إليه، والدك تخلى عن زوجته وابنته في وقت عصيب دمر ثقتهم به، فماذا تغير الآن؟

هتف صهيب يجيبه بحق بلغ مداه: -الكثير، سأستغل طمعه وأخبره بوظيفة لبنى حينها أمي بنفسها ستحبه على إعادة العلاقة بابنته وسيحاول بجهد أكبر ليعود إلى حياتهن.

وجده نزار يربت على كتفه، قائلاً:

-ستدمرهما حين تدركان بأنه ما أعاد والدهما إليهما سوى
الطمع.

أوماً بلا معنى يقول بحرقه أثرت بنزار، يشعر به كأنه سيبيكي
رغم عدم رؤيته للمعان عينيه الصادقتين بتعبيرهما:

-سمرا تظن والدها ميتا، هل تصدق الأمر؟ أنا أتنعم بحضنه
وهي تحسب نفسها يتيمة.

أطرق نزار برأسه حزناً، فتابع صهيب بتصميم:

-الليلة سأخبره يا نزار وليكن ما يكون!

و في جناح غير بعيد فاض الكيل بها حتى انفجرت غضبا،
تصرخ صافقة الكأس بأقرب جدار إليها:

-أخرجوا جميعا! أتركوني لوحدي!

فرّ كل من في الغرفة يخشون هستيريتها، باستثناء عمته التي
اقتربت منها تخاطبها بحنو:

-ابنتي اهدئي! ما بك؟ ألم تكوني موافقة؟

لم تلتفت إليها تتأمل شكل فستانها على المرأة، فتستحضر كل
المرات التي ارتدت فيها فساتين عرس للعرض ولا واحد أثر
بها كالذي ترثديه الآن.

-دليلة أنت بخير.

التفت إلى صديقتها، تهمس لها بعزم ماكر وقد لمعت مقلتيها
المكحلتين بشر:

-هل وضعت كل الأشياء في الحقائق؟

أومأت الأخرى إيجابا تبسم بمكر استغربته العممة فريدة، تسأل
الله السلامة مما هو آت.

مجموعة القناص

أنهى كأس الشاي ثم اتجه إلى ردهة الشركة، فالحركة تقريبا
انعدمت والجميع انصرفوا. لمحها قادمة، فعلم رأسا لما كانت
تلتصق بالنظارات طوال الوقت، فمقلتيها عادتا لتزعزعهما

القديم لكنه صمت بينما تتقدمه دون كلمة، تعبر عن عدم سرورها لما اكتشفه ولحق بها عابسا لحالها.

لم تتفوه سوى بوضع كلمات مقتضبة عن عنوان فرع النقل وحل الصمت من جديد.

دخلا الفرع الهادئ هو الآخر من حركة الموظفين، تخبره بخفوت: - لن يبق سوى سائقي الشاحنات المناوبين والحراس، أظن أننا سنجدهم في مرأب الشاحنات.

هز لها رأسه واتجها الى المرأب الضخم ولم تكذ تكمل خطوات معدودة حتى انتفضت على اثر ظهور رجل أمامها يهتف بشر ينوي الانقضاض عليها:

-متطفلة! من أنت يا ****

لم يكمل عبارته لأنه خطف مرة واحدة من أمامها وألقى بعيدا

عنها وأسد يقف كجبل شامخ يحدجه بنظرات مهددة.

ألم معدتها تحول إلى فراشات، متأثرة باستنفااره من أجلها

وتأهبه لحمايتها، مبهورة هي بل مفتونة؟ جفلت من خيالها

على نبرة الرجل المتوجسة: -من أنتما؟ وكيف دخلتما هنا؟

نظر إليها حين شعر بشرودها، فتنحنحت تجلي حنجرتها ثم

قالت بعبوس جاد: -أنا أور لوغان! من الشركاء الرئيسيين

لمجموعة القناص، أريد التأكد من مواعيد انطلاق الشاحنات

وكذا وجهتها.

قام الحارس يربت على ملابسه وقد تغيرت ملامحه إلى
الخوف، يقول بتلك:

- آسف سيدتي اعذريني، لن تجدي أحدا اليوم، فالسيد تهامي
منح الجميع عطلة بمناسبة زواج ابنته.

هزت رأسها تدعي التفهم ثم قالت:

- إذن لا شاحنات ستعمل الليلة؟

أوما الحارس مؤكدا: - لا سيدتي.

استدارا مغادرين، تحاور أسد بخفوت:

- هل صدقته؟ لأنني لم أفعل.

همس بدوره:

- لا لم أفعّل، سنبعد بالسيارة قليلا ونراقب، فحدسي ينبئني
بأن الزفاف غطاء جيد لعملية ما.

سيارة نوفل

- لقد تأخر ديدو ذاك، ولم يبق على الموعد سوى ساعة.
ألقاها نوفل حانقا، يشعر بضيق يجثم على صدره، فالحارس
المكلف بسلوى، بلغه بأنها لم تخرج من البيت بتاتا اليوم، لم
يستطع مهاافتها فتعلل بأي شيء كي تتجنب الحديث معه
يؤلمه ذلك بقوة.

رد عليه تامر بهدوء كهدوء مكوته على المقعد يترقب:

-الصبر يا نوفل، الصبر.

لمحوا سيارة تقف أمام الفيلا التي أوصلتهما إليها مراقبة ديدو،
فاستل تامر المنظار ليتبين من في السيارة الرباعية الدفع وقال
بضيق ارتسم على ملامحه.

-يا إلهي! إنها فتاة أخرى ومتحجبة؟ يبدو أنهم لم يُروّضوها
بعد، لأنها لکمت أحدهم... أخخخ!

ثم ناوله المنظار، يستدرک بغل:

-لعنهم الله، لكمها هو الآخر، عديمي الرجولة!

وضع المنظار فضولا قبل أن يتجمد مكانه وتلاحق أنفاسه
بشكل مريب لا حظه تامر، فسأله بريبة:

-نوفل ما بك يا رجل؟ هل أنت بخير؟

أبعد المنظار عن عينيه حين اختفت من أمامه وتلاشت كأنها حلم، وبحث عن صوته حين ربت تامر على ظهره يعيد سؤاله عليه، فصدحت رنة هاتفه في السيارة، سحبه وقلبه يعلم سابقا من المتصل وشلت أفكاره يرمق الهاتف قبالة حتى هزه تامر يخرج من جموده: -تحدث بالله عليك، ما بك؟

فتح الهاتف على مكبر الصوت لينساب صوت العم سعيد القلق: - نوفل بني! هل تسمعني؟

تحدث أخيرا بنبرة جوفاء لا حياة فيها: -نعم عمي.

وأمام نظرات تامر المرتابة أصغى لقول العم سعيد القلق:

-بني هل سلوى معك؟ هاتفها لا يرد، لقد تأخرت كثيرا ولم
تحدثني ولا لمرة واحدة، بالي مشغول يا بني وقلبي منقبض.

بلع ريقه وتامر يتطلع إليه بقلق: - سلوى مخطوفة يا عمي.

جحظت عينا تامر وقد استوعب مصابه أخيرا وأنفاس العم

سعيد المتلاحقة تنساب عبر الهاتف، فاستطرد بلوعة حزينة

يشعر بالخيبة: - لم تثق بي يا عمي، لم تصدق قولي ولم

تحترمني.... لكن....

اتسمت نظراته بالتوحش بينما يردف بغضب: - سأعيدها إن

شاء الله يا عمي، فأنا أعرف مكانها وأنا قبالة اللحظة، فلا تخبر

أحدا وانتظر مني مكالمة، سأعيدها بتوفيق من الله سالمة

وبعدها.... هي طالق يا عم سعيد.... طالق!

الفصل التاسع عشر

{الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل وإن اللبيب بمثلها لا يخدع
الحسن البصري}

-هي طالق يا عمي طالق!

حل الصمت من جديد، فتحدث العم سعيد بجمود تمكن من
صوته.

-أنا أثق بك بني، أعدها سالمة ولك ما تريده.

أغلق الخط ومقلتيه، يحاول التنفس بعمق ليهدئ من نار
أحشائه المستعرة أمام تامر الذي راقبه للحظة قبل أن يخاطبه
بحذر:

:نوفل ، استعد بالله من الشيطان الرجيم .

تشنجت أطرافه ثم غمغم :

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ثم ربت على كتفه ، يقول بثقة :

-اهدأ ، فلقد اقترب موعد التسليم ولدي فكرة ، فأنت أدري

بالتعليمات ، الأمن العام مقدّم على أمن الفرد ، لذا اسمعني

جيذا ، لتقوم باتصالاتك حالا ، قبل لقائهم .

منزل القناص

بحثت عنه في سائر أرجاء المنزل، لتجده في الشرفة الأرضية،
يتأمل الحديقة:

-نضال!

التفت على اثر صوت شاغلة أفكاره، يرمقها بتساؤل، فتقدمت
لتخاطبه بغضب ارتسم على ملامحها بوضوح:

-أتعلم يا نضال؟ هناك كلمات عالقة في جوفي منذ سنوات وأن
الأوان لأخرجها من صدري.

تفاجأ من غضبها يتساءل بحيرة:

-بيلسان! ما

لكنها قاطعته بغل تكمل:

- أنت متعجرف، منحل وزاني! بالمختصر المفيد أنت حقير

نذل!

ارتفع حاجباه بصدمة، مفعرا فمه بينما هي مسترسلة بعصبية

رغم خفوت نبرة صوتها:

- كيف تلهو بجنات، تغازلها وتعلقها بحبالك حتى أصبحت

لا ترى غيرك ثم وبكل بساطة تتجاهلها وترميها من حساباتك؟

ضم شفثيه بعبوس وهي تقترب بينما تهتز على قدميها لتبلغ

طوله وتلوح بكفيها بعصبية في الهواء:

-إلام تخطط بالضبط؟ هل تظن بأنني ساذجة غيرة ستغريني بما
تفعله لتوقع الفتيات بشرك أهواءك! ...لا! أنت لا تعرفني يا
سيد نضال! ولقد نبهتك من قبل بأن تحذر مني، فأنت لا
تعرفني البتة!

ما يزال صامتا أمام اصبع سبابتها الذي ارتفع في وجهه يتابع
حديثها الغاضب:

-ابتعد عني يا نضال! لا أعلم ماهي لعبتك؟ لكنني أحذرك!
احذفني منها وابتعد عني!

همت بالانسحاب لكنها تجمدت مكانها حين رد عليها بنبرة
غريبة عليها:

-تزوجيني بيلسان.

استدارت تتفقد ملامح وجهه الصادقة، الخالية من أي تهكم أو
استهزاء أو حتى عجرفته المعادة، مقلتيه البنيتين حازمتين،
وجسده ببذلته السوداء الأنيقة شامخ مكانه كأنه يملك كل
العالم بين يده ولا يكثرث.

عادت إليه وتوقت قبالتة، تجيبه بكل ما يعتمل به صدرها من
انزعاج وضيق كان السبب به:

-السماء بنجومها أقرب إليك مني يا نضال!

استعاد عجرفته يتسم بثقة بينما يرد عليها كأنها لم تستفزه أو
تهينه:

-أنا بالفعل أملك السماء بنجومها، كوني لي وسأريك!

جعدت فمها وأنفها دلالة على استخفافها لما يريد ويرغب به،

تجيبه باستهانة:

-إذن الولد المدلل لم يحصل على لعبة أعجبه.

تأملها من رأسها الى أسفل قدميها تغيم مقلتيه بطلتها التي لم

يلاحظها قبل بسبب دخولها العاصف، فستانها المحتشم

ووشاحها الفيروزي يناسب بشرتها الشاحبة رغم عدم وضعها

لأي زينة كما عهدها، فيجمع خياله إلى تخيلها بزيتها الكاملة:

-أنت لست أبدا بلعبة، أنت....

علق بإعجاب فقطاعته متشنجة الملامح:

-اصمت!

ضاقت أنفاسه بسبب رفضها الواضح له، فحذرهما بجدية:

-بيلسان الزمي أدبك!

ابتسمت بسخرية، تعلق:

-أدب! معك أنت؟

فكر في استفزازها بأي طريقة كانت، فلم يسبق له أن قابل فتاة

بمثل ثباتها أو جمالها الطبيعي المصاحب لقوة شخصيتها،

كلها، تركيبة مغرية بعيدة المنال:

-إذا كنت تخافين على صديقتك كثيرا، لماذا لم تخبريها بعد

عن شقيقتها؟!

اتسعت ابتسامته الماكرة حين حقق هدفه، فتهتف بغضب
حارق ناسية بأنها قريبة منه:

-ابتعد عني وعن جنات! لا دخل لك في حياتنا، أنت تحسب
نفسك ذكيا.

نطقت آخر كلمها بتهكم واضح، فرد عليها بينما يومئ
بالإيجاب:

-أظن ذلك، لأن ذكائي لم يخني أبدا، وهو يخبرني الآن بأنك
منافة صغيرة.

شهقت بصدمة بينما يستطرد ببسمة مستفزة:

- أنت تكذبين على صديقتك التي تعتبرينها أمانتك من إبراهيم، فتحمينها وتصرفين عليها بسفه كي تعوضها قريبها الميت، لكن يا ترى إلى أي مدى، قد تضحين من أجلها؟
قطبت بحيرة من هدفه وقلبها يهدر وسط صدرها:

- هل أنت مستعدة للتخلي عن ما تريدينه في سبيل ذلك؟
استوعبت مقصده فهتفت بغل:

- أنت متعجرف يا نضال وواهم!

ضحك بسخرية يسر شعورا بالقهر والغيط، فيضغط عليها أكثر
يرفض الاستسلام للهزيمة والاحساس الفظيع بالخسارة:

- بلى... تفضلين الاختباء والتضحية بكل ما تتمنيه وترغبين
به حقا في سبيل إخفاء الحقيقة عن جنات، حقيقة أن من قتل
شقيقها أمامك هو والدك... والدك الذي لم يتجرأ على قتلك
حين لاحظ شبهك بابنته الأخرى.

- أصمت!

- ماذا؟

انطلقت منها الصيحة مصاحبة لصفعة على وجه نضال في نفس
اللحظة التي انطلق بها تساؤل صادم، فالتفتا إلى المصدومة كليا
تسيل دموعها مدرارا على وجنتيها بما يوحى بسماعها لكل ما
فات، رغم أنه لم يكن بنفس حدة آخر حديثهما الذي أخرجها
عن صمتها.

شلت أطراف نضال، لا يصدق بأنه تمادى في عجرفته وثقته
بنفسه، فعلم يقينا أنه خسرها، أما بيلسان فهرولت إلى جنات،
تمسك بذراعيها تهتف بحزن باك متوسل:

- أرجوك جنات، اسمعيني حبيتي، أنا....

- هل... وال... والدك من...؟

أسكتتها تجيبها بينما تهز رأسها مرات عدة:

- لا... لا تقولي والدي،... ليس والدي... إنه سفاح قاتل.

نفضت جنات نفسها من بين كفي بيلسان، تسألها بقسوة:

:لماذا لم تخبريني منذ البداية؟ ألهذا تحملت مسؤوليتي؟ كي

تعوضيني موت ابراهيم؟ لكن ما لا تعلمينه يا بيلسان!

احتدت مقلتيها الذهبيتين حتى لمعنا بلهيب حارق، تكمل:

-إبراهيم لا يعوض بالمال يا بيلسان ولا حتى...

رمت نضال بنظرة مشمئزة تشعر بستارة ما وقعت مرة واحدة
لتركها مع حقيقة على قدر ما فاجأتها على قدر ما أيقظتها
بصفعة قوية مؤلمة، لقد كانت مفتونة بنضال، فتنة ضعفت
أمامها فتنازلت عن العديد من حدودها رغم تأنيب ضميرها
واستغفارها المستمر، مدركة لما تفقده من قوة قربها لتصد
طغيان فتنته عليها:

-ولا بحب تمنيته واكتشفت الآن فقط بأنه مجرد شباك فتنة من
الشیطان انسقت خلقه بكل غباء.

صاحت بيلسان تهتر بضياح، فقد آن أوان مواجهة كل مخاوفها،
تتوقع ما تخشاه:

- أنت مخطئة، صحيح أنني أردت تعويضك لكن ليس بهذا
الشكل الذي تقولينه، لا! وحب من؟ أنا لا أحبه بل أكرهه!

نطقتها بحقد مغيظ لم يسبق أن شعرت به، أجفل نضال متيقنا
من انعدام الأمل بالفوز بها، فأومأت جنات برأسها تقول بأسف
وخيبة أغرقاها ببحر اليأس: - أنت خذلتني بيلسان! خذلتني.

استدارت تعدو خارج المنزل بأكمله، تشعر به يجثم على
صدرها ببرودة جدرانه، فتبعتها بيلسان يائسة قبل أن يوقفها
نضال، يقترح عليها: - اتركها تفكر قليلا كي تراجع نفسها.

صرخت به دامعة العينين: -ابتعد عني! أنت مصيبة، بلاء!

أسدل جفنيه هنيهة يتجرع مرارة قولها لأول مرة ينقبض قلبه

بوجع منذ أن قرر التخلي عن الإحساس نهائيا حتى ينقذ نفسه

من عذاب غرق به بالماضي، فيستعرض عليه فؤاده شريط

مآسي عائلته كأنه كان في انتظار حدث جلل يؤثر على قلبه

بصدق ليستقبل موجا عظيما يطغى على حواسه كليا، فيلقي به

عميقَ ظلمته الحالكة السواد:

اتصلت بزيد سيراقبها، لا تخافي عليها!

نفخت بمقت نطقت به مقلتها والتفت مستديرة تبحث عن

حل كل مشاكلها، من تحتاجه حقا في حياتها وكلها تصميم

لتحقق ما توصلت إليه كقرار حازم.

النادي

يسرع من خطواته، فقد تأخر بعمله كالعادة ولم يشعر بنفسه إلا
والساعات تمر كالدقائق، وحين وجد هاتف زوجته مغلقا
اتصل بوالدتها التي أخبرته بأنها مع إحدى صديقاتها لم تلتقيا
منذ زمن فقررتا البقاء للعشاء في النادي.

استغرب عدم اتصالها لإخباره لكنه سريعا ما تجاهل ذلك،
فشحن هاتفها انتهى لابد فجأة وهي تتوقع تأخره هو الآخر
بالعمل، فعلى كل حال لم تكن إسراء مستهترة لتتعمد عدم
إخباره.

بحث عنها متفقدا المطعم المفتوح على الحديقة الكبيرة،
فلمحها تبسم بأناقة تتقمصها ببراعة حين تريد إثارة اعجاب
أحد ما، ابتسم للخاطر، فلكم يعرف أدق تفاصيلها.

خطا إلى المائدة يتفحص من حولها، أسرة صغيرة كأسرته
بالضبط، صغير ورضيعة مع والدته في مثل سن زوجته، تشبهها
إلى حد كبير في هيئتها و... لاح عبوس طفيف على ملامحه
حين لاحظ رب الأسرة جالس برفقتهم وان بعد مقعده قليلا
عن الطاولة وراوده احساس بالغيرة انخفضت حدته حين لمح
سيدة كبيرة في السن، بصحبتهم أيضا.

-السلام عليكم... مساء الخير،

*هل هي مصدومة؟ ما بها؟ ألم تسعد برؤيته؟ تساءلت دواخله
وهي تنهض من مكانها يبدو عليها الارتباك، تسأله بحيرة بينما
تتلقى قبلته على جانب رأسها:

-خالد؟ ألم يكن لديك اجتماع مدراء؟

ابتسم برزانة، يجيبها بلباقة:

-بلى، لكنني تسلفت هاربا من أجلك والصغيرين.

ابتسمت بتوتر، فاستطرد والقلق يدق نواقيسه بعقله:

-ألن تعرفيني؟

التفت إليهم، تقول بارتباك واضح له قد يبدو لغيره خجلا:

أعرفكم إلى زوجي خالد، هذه صديقتي منذ زمن، تفاوت
والضابط ياسين زوجها والسيدة والدته.

هز رأسه لصديقتها وحماتها ثم بسط يده ليصافح ياسين،
القائل ببسمة ودودة:

-أخيراً تعرفت إليك، سيد خالد.

رمقه بحيرة متسائلاً، فاستطرد بينما إسراء غارقة بتوترها:

-كل مرة نلتقي بأسرتك هنا، نسأل إسراء عنك، فترد بأنك في
العمل.

ضحك ظاهرياً يكتم غيرته من نطقه باسمها مطلقاً كأنه يألؤها
أو يعرفها منذ زمن:

-إذن إنه من حسن حظي أنني قررت التملص من العمل.

انضم إليهم واستقبلوه بحفاوة وجاور ياسين في مكان جلوسه،

وحين طرف بأنظاره نحوها لاحظ عودتها لتلبس تلك

الشخصية المثالية وكل دقيقة تمر يكشف فيها مدى الشبه بينها

وبين صديقتها التي لا يعرف عنها شيئاً من قبل، تاريخ الزواج

وتواريخ الولادات ودراسة إسراء، بالمجمل طريقة حياتها بل

حياتهما وما أجبج نار الشك بعقله حديث والدة ياسين الذي

وجهته لإسراء:

-أخبرتني تفاوت أنك ستلحقين ابنتك بمدرسة عبد الله.

نظرت إليه قبل أن تجيب باسمه بارتباك:

-أجل سألت عنها وأعجبني ما سمعته، إنها جيدة.

عقت تفاوت بتلقائية والآخر سمعه معهن كالصقر:

-وكانك تبحثين خلف قول ياسين، يكفي أن يشهد على أمر

حتى تبصمين عليه بالعشرة، أنتما تشكلان حلفا يغلبني.

أحرق الغيرة أحشاءه، وتفاوت تتابع بعبوس مزعوم:

-على فكرة، أنا لم أكن موافقة من الأساس على إلحاق

صغيري بالروضة، مهما كان مستوى المدرسة رفيعا.

-وكان ذلك رأي أيضا سيدتي.

علق بتهكم يصر على حروف سيدتي قاصدا، فعقب ياسين

مستشعرا تغير ملامحه:

-طبعا أنت الوالد ورأيك مهم جداً.

تدخلت والدته لتكمل بالقشة الباقية والتي هدت المعبد على
رأس إسراء:

-لا تحاول يا ابني خالد، إذا قرر ياسين أمرا ما تؤمن عليه
إسراء، فتوافق تفاوت بلا حول ولا قوة.

وقف بحدة أجفلت الجميع، فبلع ريقه يقول بثبات كلفه كل
ذرة صبر مخفية في جنبات أحشائه:

-أعتذر إليكم لكنني تعب للغاية، فرصة سعيدة جدا وأتمنى أن
نلتقي مرة أخرى.

وقفوا بدورهم وصافحه ياسين بتردد يستشف منه نوعا من
الرفض، فضمت إسرائ الرضيع خوفا من ملامح لم تراها قبلا
على صفحة وجهه وهو يأخذ ابنته بين ذراعيه كأنه يهدئ بها
أعصابه الشائنة.

ركبوا السيارة بصمت أثقل بحضوره بينهما وهو يقود بجمود،
لا يلتفت إليها أبدا وحين نفذ صبرها، سألت بحذر: -خالد؟
لم يسمعها غارقا في بحر أفكاره تلقي به إلى واد سحيق مع
أسئلة أخرى تفرض عليه وجودها الأليم، هل هو حب قديم؟
هل نبذها وتزوج بصديقتها؟ هل تحبه لتلك الدرجة؟ هل تقلد
زوجته لتظهر له مدى خسارته؟ أم تعيش معي حياته هو؟
-أف!

-خالد أبطئ السرعة، أنت تخيفني!

استيقظ من جحيم تخبطه المستعر، فتحكم بالمقود وأبطأ من
السرعة يحدق بالطريق وحين لاحظت هدوءه تحدثت من
جديد تحاول التكهّن بما استنتجته:

-خالد... أنا...

شهقت حين أوقف السيارة بحدة وسألها بهدوء مريب:

-هل سبق وخطبك أو...

قطبت ترد بعجالة:

-ماذا...خا...

قاطعها بحدة:

-أجيبني إسرائ!

انتفضت وبلعت ريقها ولم تستطع الكذب، فردت بجزع:

- كان قد حدث أخي ، لكن...

-انزلي!

-ها؟

ألقها ببلاهة قبل أن تكتشف بأنها أمام بنائتهما، فحاولت من

جديد:

-خالد...أنا.

-انزلي إسرائ!

كان بالفعل غاضبا وغيورا حد الجحيم ويجب عليه الابتعاد
 كي يفكر جيدا قبل أن يرتكب فعلا أو يقول شيئا يندم عليه وما
 إن نزلت حتى انطلق بالسيارة كالمجنون تاركا خلفه قلب
 إسراء يصرخ باسمه كصرخة عجلات سيارته.

تأفت بضجر، فقد مرت ساعة من الزمن ولم يتحرك أحد وكل
 ما جنته التوتر والفراشات تلهو بمعدتها ويبدو أنه يشعر مثلها،
 فيلهي نفسه عنها، بأي شيء و كل شيء:
 -أنا مللت.

ابتسم ببرود يرد عليها، حامدا ربه على أنها تحدث أخيرا كي
تلهي باله عن حضورها الطاغي في السيارة، فنظرتها المنبهرة
كأنه بطلها ما تزال عالقة بذهنه.

-الصبر أهم ميزة يتصف بها المحقق.

ضمت شفيتها تهز رأسها مؤكدة ثم قالت:

-أنا متأكدة من أنه يخفي شيئا ما.

-إنه فعلا يخفي شيئا ما، لنأمل فقط أن لا يغير حضورك خطته.

همت بالرد لكنها ربت بخفة على ذراعه بدل ذلك لينظر إليها
بحيرة فأشارت له إلى مدخل المرأب الضخم حيث لمح أول

شاحنة تنطلق، فشغل محرك سيارته استعدادا والأخرى بجانبه
تعد بحماس أضحك صدره دون فمه:

-واحدة، الثانية،..... العاشرة؟ إلى أين بكل تلك الشاحنات؟
انطلقا خلفها وأسد يرد بتصميم:

-ها نحن سنعلم بإذن الله.

كانت الوجهة بعيدة بعد أن عبروا المنطقة الخضراء منها إلى
الطريق الصحراوي هناك انعطفوا إلى منطقة مهجورة حيث
مكان شاسع محاط بسور.

أوقف أسد السيارة بعيدا عن المكان ثم سحب المنظار يراقب
تحركاتهم والأخرى تسأله بنفاد صبر:

-ماذا يفعلون؟

-يحملون الشاحنات.

رد عليها بينما يراقبهم عبر المنظار، فسألت مجددا.

-هل ترى بماذا؟

أوما سلبا، يقول أنه يفكر بصوت عالي:

-هل من الممكن أن تكون الهدف؟ ...ممكن! ونحن نراقب

التهريب عبر البحر، لم نكن على دراية بأن له طريقا عبر

الصحراء، يجب أن أفكر كيف سأفتش البضاعة لأتأكد.

-أسد؟

-ممم؟

غمغم وهو ما يزال مراقبا بالمنظار، فسحبته تهمس بقلق ناظرة
إلى المرأة الجانية.

- هناك قادم نحونا... ثلاثة بالأحرى.

نظر إليهم عبر المرآة يسحب مسدسه، يجهزه بحرفية، فهتفت
بخفوت:

- لا... سنفسد العملية كلها، لا أصدق بأننا وجدنا خيطا لن
نفقده.

لم يكذ يسأل عن قصدها حتي وجدها تتحرك نحوه بعد أن
ضغطت علي زر أسفل المقعد تعيده إلي الخلف، وتهمس له
محدرة: إياك أن تتحرك سنتظاهر بالنوم حتى يرحلون.

كانت لحظات عصبية توالى بسرعة الضوء بعقله، يتأرجح فيها بين نارين، الدفاع عنها وخسارة مصدر المعلومات حاليا كما أن هناك نسبة كبيرة بأن يغلبوه ويؤذوها، وعند تلك الفكرة تصرف بسرعة وسحب غطاء الطوارئ وفتحها وألقاه عليها:

- غطي نفسك كلك هيا بسرعة !

فعلت كما قال وسكنا كل واحد منهما بمكانه يأمل أن يتوقعاهما رجلين، دقائق قلبه تتعب صدره برعب لم يشعر به قبلا، وكل الاحتمالات تتوالى على خياله ببشاعة ما قد يحدث.

- لا تكثرث، إنهما مسافران يرتاحان ليس إلا.

التقط حديث واحد منهم رغم خفوته والآخر يتساءل بريبة:

-هل نتأكد؟

تصلب تلك اللحظة وبلغ به الأمر ذروته من الرعب، فحبس أنفاسه بمشقة متأهبا حتى سمع الأول يؤكد بما طمأنهما وأيضا أكد لهما أهمية ما تحمله الشاحنات .

-التعليمات واضحة ومشددة، لا نريد لفت الانظار إلينا... هيا بنا سنراقب من بعيد .

وبالفعل انصرفوا بعد برهة وما إن تأكدوا من ابتعادهم أطلق أسد سراح أنفاسه كما فعلت هي بخفوت كأنهما ولدا لتوهما من جديد .

وفي تلك اللحظة بالذات شعر أسد أنه لم يعد لأي شيء أهمية
سواها وأمنها، أما هي فراودها إحساس بأنهما لن يعودا كما
كانا من قبل أبدا.

بيت سامي

-سحر لا أعراس الليلة، الصغير محموم ولن يريد غيرك.

نطقها سامي بحنق لكن هادئ، عله يفهم الباردة أمامه بأنها لا
تستطيع الذهاب للعرس والصغير محموم لكنها لا تيأس:

-حبيبي إنه عرس عائلة غنية، لا يتاح لنا دائما حضور مثل تلك
الأعراس.

تأفف من غبائها واستهتارها معا، فاقدًا لأعصابه ألا يكفيه
 اختفاء تسنيم طوال اليوم؟ هاتفها مغلق حتى أنه تجرأ وذهب
 قرب بيتها، لكنه لم يعرف شيئاً ولولا بقية باقية من عقله لكان
 دق على باب بيتها ليطمئن عليها، يشك بأن زوجها ضربها
 مجدداً:

- سحر أصمتي! الصغير نائم... اذهبي ونامي قربه وإن عادت
 حرارته نأخذه إلى المستشفى.

زفرت بغضب حارق تتوعده بسرها، صديقاتها يهاتفنها كل
 حين يسألنها إن كانت حقا ستفوت عليها عرس الموسم،
 عرس ابنة القناص وقد حالفهن الحظ بتلقي الدعوات عبر
 ليندا.

رن هاتفه، فتلقفه بلهفة لاحظتها الأخرى كما قطبت من قوله
المقتضب:

- أنا قادم، حالا!

قام يرتدي ملابسه بينما يخبرها بتوتر:

- إنه صديق يحتاجني بشدة، لا تقومي من جانب منير وإن طرأ
طارئ هاتفيني فوراً... اتفقنا؟

أومأت عدة مرات لا تصدق حظها، فغادر مسرعا كما أسرع
هي الأخرى، ترتدي الفستان الباهظ الذي اقتنته خصيصا لتلك
المناسبة كي تستعرضه أمام صديقاتها، قبّلت الصغير النائم
كأنها تكثرت ثم همست له:

- أنت بخير، ستنام كالملاك إلى أن أعود.

هرول إلى سيارته، ينطلق بها إلى حديقة البحيرة حيث تنتظره
تسليم فقد صدم حين أخبرته بنبرة غريبة أنها تنتظره هناك مع
صغيرتها.

لمحته فركضت إليه بنفس لهفته لتتوالى عليه المفاجآت بداية
بوجهها المكدم كليا ثم ارتمائها عليه والرضيعة بين يديها،
تهتف بكاء حارق:

- خذني بعيدا يا سامي، أنا تعبت و لم أعد أقدر! لا تتركني
أرجوك، خذني بعيدا، أرجوك لا تتركني!

أنهى أمين اتصاله مع شقيقته، فتنهد بحزن يفكر في حالها، تظن بأنه يصدق أكاذيبها ومحاولاتها الواهية، تدعي السعادة الزوجية.

رفع رأسه إلى السماء يدعو بخشوع:

- يا رب أنت الجبار فوق كل متجبر وأنت الرحيم بنا يا رب.

انتفض بدنه مع دقائق متتالية، تهز باب بيته من حدثها، فركض ليفتح الباب حيث هتفت والدة الخنساء لوعة وقلقا لم يعهدهما بها:

- بني ساعدنا، سالم فقد عقله... الحق خنساء يا أمين!

رد عليها مقطبا بريية:

- ما بها خنساء يا خالة؟ بل ما بك؟

سحبته دون مراعاة نحو شقتهم مما ضاعف من ذهول أمين
الذي تلاه صدمة جحظت لها عيناه:

- لقد جن، كسر التلفاز وكان سيضربني والآن..... الآن اتى
برجال يقول بأنه سيزوج خنساء لأحدهم.

تختبئ خلف باب المطبخ بينما تسمع حديثهم ولا يملأها
سوى الفراغ، شقيقها سيزوجها لرجل من أصدقائه، فتستغرب
لم لا تشعر بأي شيء! ألا يفترض بها البكاء، الفزع، لماذا هذا
الاستسلام الذي يطغى عليها؟ كانت تعلم بأن شقيقها في طريقه
لمصيبة تدمرها، من يوشك على ضرب والدته التي أنجبتته قد

يفعل أي شيء! لذا توقعت ما هو آت إليها واستسلمت لليأس،

فماذا تستطيع فعله أمام جبروت شقيقتها؟

انتبهت على دخول والدتها لتسمع الحوار الذي أيقظ كل

حواسها مرة واحدة، كأنها كانت ميتة وانبعثت من جديد:

- سالم ما هذا الذي أسمع؟

- أريد تزويج أختي يا أمين، أريد سترها!

- لكنها صغيرة يا سالم ولمن ستزوجها؟

تدخل صوت غريب لا تعرفه، يتحدث بقسوة:

- ليست بصغيرة يا أخ، والفتيات عورات ليس لهن سوى

الزواج.

عاد صوت سالم الذي وجه الحديث لأمين، فتستشعر خنساء
ارتعاشا ما بنبرته، تستنتج ساخرة بأن شقيقها ليس حتى واثقا
مما يفعله:

- جيد أنك أتيت لتشهد على العقد.

- إن كنت مصر على تزويجها، فلا أحد سيتزوج منها غيري.

حل عليهم الصمت ليستطرد برجاء:

- ماذا يا سالم؟ ألا تثق بي؟ أنا أعتبر من العائلة وأولى بها... أم

أنك لا تثق بأني سأحميها وأصونها؟

تدخل نفس الرجل السابق وقد تحولت قسوته إلى حنق:

- أتخطب على خطبة أخيك يا هذا؟

رد برزانه يستغفر ربه من كذب مضطر إليه، فما يفعله سالم

يسمى تهورا وسيندم عليه بعد فوات الأوان:

- بل أنت من يفعل ذلك يا أخ، لقد حدثت والدها مرة وقال

بأنها ما تزال صغيرة، هذا يعني أنني سبقتك إليها.

بدت نبرة سالم لشقيقته كأن بها رجاء:

- لماذا لم تخبرني أنا؟

كان التوتر جليا على نبرته وهو يجيبه:

- خشيت أن تسيء فهمي، فلا تقبل بصداقتي بحجة أنني أردت

شقيقتك زوجة لي.

حل صمت معذب آخر لقلبها، تحبس أنفاسها كما تشد على

الباب، فكان أمين يشاركها نفاذ الصبر دون علمه:

- ما رأيك يا أخي؟

شهقت خنساء بشدة حين سمعت نبرة شقيقها يجيبه بسرور

ظاهر على صوته:

طبعاً يا أخي... أنا موافق.

الفصل العشرون

{ إن لأهل الخير علامة يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلة الفخر والخُيلاء، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وبذل المعروف، وحُسن الخُلُق، وسَعَةُ الحِلْمِ، وَبَثُّ العِلْمِ، وَقَلَّةُ مُثَانَةِ النِّسَاءِ.....الحسن البصري }

أتاهم الاتصال المنشود وحددوا مكان اللقاء الذي كان بيتا آخر لكن بعيدا عن المدينة، بيت عادي من يراه لا يتنبأ بما يقام فيه من تجارة الرقيق.

فتح الباب ليقابلهم رواق ذو بلاط انكسر جله وما تبقى منه مشقق وقبل أن يخطو أحدهما أوقفهما من فتح لهما الباب، يسأل تامر بتهديد: - من هذا السيد معك؟ لا يمكنك إدخاله. سكن نوفل كأنه يجهل أي لغة يتحدث من حوله كما خططا يتقمص شخصية أجنبية، فارتدى ملابس وقبعة كالتى يُعرف بها رعاة البقر.

تحدث تامر يجيبه بعبوس يضاهي عبوس الرجل :

- هل جنتت! إنه من أصحاب حقول البترول بجنوب الولايات المتحدة الأمريكية وهو صديقي، أخبرته عنكم، فأتى معي ليتسلى، اسأل زعيمك قبل أن تقوم بعمل متهور!

تأمله بشك متردد، فأضاف تامر بجفاء :

-هل نرحل؟ لأنني لن أعيده وحده وأنت المسؤول.

سحب هاتفه وابتعد عنهما قليلا، فهمس نوفل لتامر من بين
نواجذه :

-دعني أعود لوحدي وقم أنت بالصفقة، بعدها نهجم على
الفيلا ونحرر الباقي .

أوما تامر رفضا دون أن يتحدث وقد لمح الرجل عائدا يتسم
بتملق مقيت :

-هلا طلبت منه هويته يجب أن اتحقق منه وهذا من حقنا .

التفت إلى نوفل يخاطبه بإنجليزية، يسأله هويته فأوماً الآخر
مغتصبا بسمة رسمية بينما يناوله إياها، تحقق منها الرجل ثم
أعادها إليه يشير لهما بالدخول.

تقدم تامر يتنفس الصعداء، يسأل الله تحقيق مساعيهم دون
عقبات، وعبروا مساحة واسعة غير مسقفه تتوسط البيت، فأشار
لهما إلى باب ما دخلا عبره إلى غرفة كبيرة مؤثثة بعصرية وأناقة
لا دخل لها بنمط ما رأوه سابقا .

جلسا على أريكة جلدية بيضاء وانتظرا لحظات قبل أن ينضم
إليهما ديدو يستم مرحبا بينما يتفقداهما بتمعن :

-مرحبا بعملائنا الجدد، يسعدنا دائماً التعرف على أناس على
أعلى مستوى

طغى الاشمئزاز على أحشائهما وهما يصافحانه، يتقمصان دورهما ببراعة، فيتحملانه ويتجاوبان معه بتقبل أحسن اتقانه، موقف صعب لكنهما كانا على قدر المسؤولية.

دخل عليهم شاب يحمل حاسوباً في يده، فقال ديدو يفسر لهما :

- هذا الشاب سيحول الأموال، لأننا كما تعلمون لا نقبل أي طريقة للدفع سوى التحويل إلى أرصدة نحددها للعملاء .

أوماً تامر بتفهم، فقد كان جاهزاً وبينما كان الشاب يقوم بعمله نظر ديدو إلى نوفل، متسائلاً بالإنجليزية وهو يتلاعب بأصابعه في الهواء :

-وأنت سيدى الوسيم ألا تملك طلبا ما؟

استدار إلى تامر يرفع له حاجبا واحدا، فرد تامر بنبرة مستخفة .

-لا تتعب نفسك، أحضرته معي على أمل إقناعه بمثل طلبتي
لكنه مصر لذا أنا أعتذر إليكم.

ارتفع حاجبا ديدو، يهتف بعبوس مبالغ في ادعائه :

-آه لا! سأعتبرها إهانة شخصية لي، هيا فقط أطلب وجهز
الثمن و سترى ما يستطيع ديدو فعله .

هز تامر رأسه لنوفل، فأوماً بدوره كأنهما يتشاوران، ليقول
الأول باستخفاف :

- يريد فتاة قوية غير مروضة، وكلما قاومتها كلما سعد بذلك،
والأهم أن تكون عذراء، هل تستطيع تأمين الطلب الليلة؟ لأنه
مسافر غدا لعمل ملح .

صمت ديدو يفكر قليلا، فأضاف تامر ليستفزه :

- أخبرتك قبلا طلبه صعب ولن تستطيع تلبيته .

رفع ديدو حاجبة بتكبر، يتشددق :

لن أكون ديدو إن لم ألبى طلبه وبكل سهولة، جاءتنا فتاة قبل
ساعات فقط، ماذا أقول؟! كومة نار مشتعلة وعينين ذواتا لون
فريد بين الأخضر والبني الفاتح، اضطررنا إلى تخديرها أكثر
من مرة وكلما وعت تثور من جديد .

شدد نوفل على قبضتيه حتى ابيضتا وتامر يسأل الله السلامة
حتى لا يتهور فيفشل كل ما خططا له بينما ديدو مسترسل بكل
عجرفة :- تمت الصفقة... لكن الثمن باهظ .

كان تامر قد أنهى عمله مع الشاب الذي أوماً لديدو إشارة إلى
نجاح تحويل الأموال، فقام وهو يعاتبه :

- ديدو؟ لا تنصب عليه لأنه أجنبي ولا تنس بأنه صديقي، فلن
أسمح لك باستغلاله .

قلب شفتيه يلوح بكفه :

- حسنا! فقط من أجلك سأضيف عشرة بالمئة على الثمن الذي
قدمناه لك، ها ما رأيك؟

هم تامر بالاعتراض، فرغ نوفل كفه بتكبر دلالة على تفاهة

المبلغ، فابتسم تامر يدعي السرور :

-الصفقة تمت ديدو... ما إسمها؟

رد بضجر بينما يقوم مشيرا له ليتقدمه :

-كلهن واحدة لدي، لا أتذكر الأسماء، تفضل معي لتأكد من

بضاعتك، في انتظار للأخرى .

قام نوفل يمسك ذراع تامر، يهمس له بشيء ما، فتوقف ديدو

منتظرا هو الآخر حتى بلغه بما طلبه منه:

-يطلب منكم ابقاءها مخدرة، يريدونها أن تستيقظ في بيته .

رسم ديدو على وجهه ملامح وقحة يعقب قبل أن يغادر برفقة

تامر :

-أوه! كم أنت عنيف يا وسيم! اتفقنا! حول الأموال يا

عزيزي، نصف ساعة وتكون لديك.

منزل القناص

وجدته أخيراً، فهتفت بحزن انقبض له قلب نزار بينما يستدير

إلى مصدر صوتها وسط أحد أروقة المنزل :

-نزار... أين كنت؟

هاله صوتها الباكي والمشبع باليأس، فسألها بقلق :

- ما بك بيلسان؟ لماذا تبكين؟

أمسكت بمرفقه ترتعش بشدة كأنها ستفقد وعيها، فبلغ قلقه
مداه لأن بيلسان لم تلمس حتى يده يوما يتوقع السوء، وهم
بالتحدث لولا صهيب المتعقب لوالده ووالدته خلفهما :

- توقف أبي! يجب أن تسمعني .

زفر بضجر يرد عليه بحنق :

- صهيب ليس الآن، الناس وصلوا وعمك يستعجلني لنستقبل
العريس .

تابع طريقه غير مهتم يربت على بذلته، فصاح صهيب بحرقة
أحرق صدره الفتى :

-التقيت بأختي يا أبي !

تجمد مكانه بينما قائمة المتأنقة بفستان سهرات أسود لامع

تشهق بقوة أما نزار فيبلع ريقه هامسا لبيلسان برجاء :

-قربيني من صهيب فضلا .

سحبته بلين إلى جانب صهيب ثم تركته سريعا كأنها الآن وعت

على فعلتها، فتجاهل نزار ذلك يربت على كتف صهيب

مؤازرا، قبالة قائمة التي صاحت بحقد :

-أين قابلتها؟ كيف ومتى؟

ثم تحركت بنظراته إلى نزار، تستطرد : -إنها خطتك، أليس

كذلك؟ والله أعلم بأي أفكار أخرى ملأت رأسه؟

فؤاد على جموده وصهيب يجيها بغضب حمر له وجهه :

- أنت مخطئة يا أمي، نزار حاول ثني عن الموضوع برمته،

لكنني أصريت وبحثت عن أختاي من لحمي ودمي، من حقي

التعرف إليهن .

ردت بنزق وسخرية : - وطبعاً قابلتك بالأحضان وأخبرتك أي

شريرة هي والدتك التي سرقت رب أسرتهن السعيدة،

فحرمتهن من حنانه وأمواله....ها؟ هل هذا ما أخبرتك به؟

او ما بالسلب، يجيها بخيبة ظاهرة على محياه :

- لا يا أمي، هن لا يعرفنني .

ثم ضحك بسخرية يردف بمرارة لا يصدق إلى الآن مقالة
سمرا :- على فكرة يا أمي، هن ليسن بحاجة إليكم ولا بأي
شكل من الأشكال.

قطبت قائمة بحيرة بينما هو يتابع :

-والدتهما لديها مشروعاتها الخاص، وأختي الكبيرة لبنى ...

لم يروا ارتفاع كف فؤاد إلى ربطة عنقه، يرخيها قليلا حتى
يخفف من ضيق أنفاسه، يسترجع الماضي معه أسماء ظن بأنه
نسيها لكنها ما تزال هناك عالقة في مكان ما بعيد جدا وقريب
جدا .

-لبنى مساعدة وزير الداخلية الخاصة، أما سمرا فلا تعرف بأن لها والدا من الأساس، تظن نفسها يتيمة الأب .

نظر إليه فؤاد بحدة وقائمة تذكر شيئاً نسيت أمره كلياً، فتوترت تغلي غيظاً وفؤاد يتقدم بخطى واسعة ليقف قبالة ابنه يسأله بصدمة واضحة على محياه : -ماذا قلت؟

أمال نزار رأسه مفكراً يجمع أطراف الأحجية بينما صهيب يجيبه بسخرية قائمة :

-ماذا يا أبى؟ هل نسيت ابنتك الثانية؟ قرينتي سمرا، وبالمناسبة هي في نفس مدرستي وفصلي الذي أدرس به .

بلع ريقه ثم فتح فمه يحاول التنفس برتابة وصهيب يرمقه بخيبة
حزينة، يستدرك :

- كيف سمحت ببعدهما عنك يا أبي؟ كيف رضيت بأن
تحسبك ابنتك ميتا وأنت حي ترزق؟ إن كنت أنا أخوهما الذي
لم ينشأ معهما، أشعر بالحب والمسؤولية تجاههما، فكيف لا
تكون أنت؟

تحولت نبرته إلى التوسل وقد لمعت مقلتاه بدموع حبيسة :

- ما ذنب سمرا في أي شيء حدث بين والديها؟ كيف تنشأ
يتيمة، ووالدها على قيد الحياة؟

أخفى كفيه المرتعشتين عن ابنه ثم قال بنبرة جوفاء قبل أن
ينصرف :

-قد لا تجد لدي أي تفسير يبرر تركي للبنى أما الصغرى،
فليست الوحيدة التي تحسب والدها ميتا، فوالدها أيضا حسبها
ميتة يا صهيب .

فغروا أفواههم يراقبون خروجه بصدمة، فالتفت صهيب إلى
والدته يسألها بريية: -ماذا يقصد أبى؟ لماذا حسبها ميتة؟
توترت فصاحت بعصبية وهي تتعد ضاربة الأرض بكعبها
الرفيع: -اسأل والدك! أنا لا دخل لي بشيء !

شد نزار على كتف صهيب، فالتفت إليه مبهوتا يقول بضياع :

-انا لم أعد أفهم شيئًا يا نزار لا شيء .

ابتسم بحنو، يلمس وجنته، قائلاً بلطف :

-و حين نتوه يا صهيب، ماذا نفعل؟

وضع كفه على يده يجيبه بامتنان قبل أن ينسحب هو الآخر :

-أتوجه إلى خالقي عن اذنكما .

ضغط نزار على شفتيه مستاءاً، قبل أن يبحث برأسه عن

بيلسان، يخاطبها بوجوم :

- يبدو أن مهما اعتقدنا بأننا نعلم عن أسرار هذه العائلة كلها،

تأتي حقيقة جديدة تنسف ما قبلها لكن لماذا أشعر بأنك على

دراية بالموضوع؟

تنفست بعمق تمالك حالة الهياج الملمة بأطرافها وأعصابها،
 لقد كانت شبه عمياء لا ترى أمامها، تكاد تفقد وعيها لترتاح
 لكن مأساة السيدة حليلة ثبتتها قليلا فبدأت بتمالك نفسها :

- كنت أعمل لدى السيدة حليلة .

ضم نزار حاجبيه، فأردفت :

- أخبرتني بقصتها حين قررت ترك العمل لديها .

هز رأسه بتفهم، فسألها ونبرة صوتها المرتعشة تثير قلقه :

- لماذا كنت تبكين؟

وجمت تفرك كفيها ببعضهما ثم قالت بارتباك وشفتيها
 ترتعشان بشدة :

- سأخبرك، لكن قبلا، سأطلب منك أمرا عظيما جدا واعلم
يقينا، بأنني أريده قبل أن أكون في حاجة إليه بشدة .

تلمس خجلها من نبرة صوتها، فخطا نحوها يجيبها بصدق :

- أطلبي يا بيلسان وأنا بإذن الله سألبي إن كان باستطاعتي .

بلعت ريقها ثم بللت شفيتها وتنفسها تزداد حدته، يغلبها
الخجل فارتأت التراجع وكل أطرافها ترتعش لكن وجه جنات
الباكي واليأس عاد ليؤجج من لهيب شجاعتها، فقالت
بتصميم وإن خرج من بين شفيتها مرتعشا كان كفيلا بقلب حياة
نزار في لحظة من حياة كان يعيشها قنوعا بما يملكه إلى حياة
يشعر بأنه ملك بها الدنيا وأكثر .

-هل تقبل الزواج مني نزار؟

أشار لها سامي بالدخول، فتبعته مغيبة متجمدة الأفكار، عالقة في فترة زمنية واحدة حين كان يضربها جواد بكل حقد وغل، كأنه لم يطاردها سابقاً، يعبر لها عن حبه وعشقه، يعدها بحياة كالجنة برفقته، كأنه لم يتوسل إليها الهرب معه حين رفضه والدها إلى درجة البكاء أمامها كالصغار، فتأثر قلبها وقررت تحدي أهلها وهربت معه حتى تثبت لوالدها تحديدا مدى صدق جواد وحبها لها، والآن هي سجينه تلك اللحظات الأليمة المذلة، صفعات ولكمات وإهانات، ذل وهوان واليوم كان

أشدهم، إذ أنه تخطى صفعها ولكمها إلى ركلها بحدة على
بطنها ليسرقها.

ماذا لو كانت حامل؟

ماذا لو أصابها بعاهة كالعقم أو حتى الموت؟

لقد تعدت خطورة الوضع من الذل إلى تهديد حقيقي، ذاك
الحقير منعدم النخوة والرجولة والضمير هو وكل من يتجرأ
على أنثى ويتجبر على ضعفها، فهو ليس سوى مجرم حقير لا
يرقى إلى مستوى الرجال، فما الرجولة الحقّة، إلا حماية
ورحمة بالأضعف ثم احتراماً وتكريماً للند، فصدقت يا رسول
الله عليك أفضل الصلاة و السلام ((أكمل المؤمنين إيماناً

أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم] 1)) رواه الترمذي
عن أبي هريرة

- هذا بيت والدي رحمة الله عليه، رحلنا عنه أن اشتريت بيتا
جديدا وشقيقتي مهاجران، لا يحضران سوى مرة في السنة .

تفحصت أرجاء الشقة العتيقة حفر الزمن بجدرانها آثاره
العميقة ثم وضعت ابنتها النائمة على إحدى الأرائك التي تبدو
قديمة لكنها نظيفة، فقال باسمها حين لاحظ حيرتها :

- أحضر أمي مرة بالأسبوع لتعيش ذكرياتها بين الأطلال بينما
تنظفه امرأة .

هزت رأسها بآلية وهي تجلس على الأريكة جوار رضيعتها،
فاقترب منها مأخوذا بتوسلها ولجوئها إليه، وجلس القرفصاء
أمامها، يسألها بإشفاق بينما يتأمل وجهها المكدوم :

-ماذا فعل بك المجرم؟ هل تتألمين؟

نظرت إليه والدموع تتدحرج من مقلتيها الذابلتين تتابع تفاصيله
المتمثلة في عقلها باسم الرأفة، فهو ليس بتلك الدرجة من
الوسامة بل الآخر يفوقه وسامة، سامي رجل عادي لكنه جميل
بحنانه، جذاب باهتمامه ووسيم ببشاشته، شعره خفيف
خصوصا وسط رأسه وبشرته سمراء بلون القمح، تفاصيل
وجهه خشنة رجولية بحاجبين كثيفين أسودين كالمقلتين
واللحية الخفيفة، المحيطة بفمه و دقنه.

علا الاحمرار خديها حين لمعت عينيه بإحساس اكتنفهما معا،
ومهما بلغت الأنفس من زكاة وثقة تظل على ضعفها تنجرف
خلف الفتن، وما خلى رجل بامرأة إلا والشيطان ثالثها، هم بها
فهمت به تناظره باستسلام طمعا براحة افتقدتها في سنواتها
الثلاث الأخيرة وهو لا يتذكر سوى حبا شعر به حقيقياً يوهم
نفسه بهوان إثمه، فالوسواس أدلى بشهادته أن الحل سهل،
تنفصل عن المجرم ثم يتزوجها هو، وبما أن تلك النية، فلا
مشكلة فيما يرجوه الآن بكل كيانه، قد يكون خطأ، لكن بنية
سابقة للصالح، تلك الوسواس اللحظية الواهمة ينفخها
الشيطان بالأذن وتصدقها النفس، فتلقي بها إلى الهاوية، لكن
الله رحيم أكبر من الشيطان ومن ضعف النفس يهز القلوب

الحية بأهون الرسائل، في تلك اللحظة صرخت الصغيرة بحدة
 كأن أحدا ما نغزها، فجفلا كلاهما وانتفضت كمن لمح حية
 وهرولت إلى صغيرتها، التقطتها وضممتها إلى صدرها تهمس
 بلهاث وفزع مما كانت مقدمة عليه في لحظة ضعف مخزية :

-، حبيبتى اهدئي، أنا هنا يا قلبي .

لم تهدأ بل زاد صراخها، فهتفت بخزي وعذاب بينما تلتقط
 الحقيبة الصغيرة التي جمعت فيها ما هو ضروري :

-يا إلهي ماذا فعلت؟ يا رب ارحمني !

نظرت إليه ترجوه بيأس وهو جامد لا يصدق ما سولت له نفسه
فعله في لحظة عصبية، فترك الأريكة يمرر كفه على رأسه وهي
تخبره بخجل من نفسها ومنه :

- أنا لست هكذا، لم آتي معك هنا كي! يا الله! أقسم لك لست
منفلتة ولا خائنة أنا... أو ربما أنا حقا هكذا حين فررت مع
رجل وتزوجت منه ضد رغبة أهلي.... أنا....

ضمت شفيتها يرتسم الخزي والبؤس على محياها والصغيرة
تبكي دون توقف بين يديها، فخطت تجاه الباب مغادرة، حينها
فقط تحرك ليتخطاها يتساءل والذهول لا يفارقه :

- إلى أين؟ أرجوك أخبريني وأريحي بالي، أنا آسف كما لم آتي
بك هنا لأستغلك أقسم لك.

صمتت تفكر ولا يومض بخيالها سوى مكان واحد، فردت عليه أخيرا : - سأملي عليك العنوان .

ربع ساعة وكانت سيارته تقتحم أحد شوارع حي راق، يحوي مجموعة من المنازل، على شكل فيلات صغيرة محاطة بأسوار من إسمنت يزينها زروع خضراء تغطيها بالكامل، فهمست بخفوت ورهبة :- توقف هنا من فضلك .

أوقف السيارة حيث أشارت، فهمت بالترجل حين حاول التحدث :- تسنيم؟

- لا! من فضلك، شكرا لك على كل ما فعلته من أجلي، حقا أنا ممتنة لك .

ترجلت وظل مكانه ليتأكد من أمانها في ذلك الوقت المظلم من الليل.

تسمرت قدماها أمام بيت أهلها، منبت رأسها ومكان طفولتها وأيامها السعيدة، أخذت نفسا عميقا ثم بسطت كفها تضغط على الجرس، لحظات قليلة شعرت بها دهورا ثقيلة وفتح الباب.

تأملت الفتاة العشرينية، تراقبها بصدمة شلت أطرافها فقرار الوالد كان صارما بأن لا يتواصل معها أحد، فهي بالنسبة لهم ميتة ولم يعد لها وجود.

رفعت أنظارها إلى الأكبر سنا خلفها وكانت تلك النظرة في
عينها ما فجر ينبوع دموعها مجددا، تتوسل إليها رحمة جبل
الخالق قلبها عليها :

- أرجوكم اقبلوا بي، أمي أتوسل إليك، كوثر! أنا....

-ماذا تفعلين هنا؟

اهتزت أبدان النسوة الثلاث والدموع تغمر وجوههن بينما
شقيقها يستطرد بقسوة:

-عودي من حيث أتيت! عودي الى الزنديق الذي فضله على
أهلك وكنت ستوقفين قلب والدك من أجله... فلا مكان لك
هنا!

سحب والدته الباكية بحرقة وشقيقته الأخرى بينما تسنيم
تتوسل دون يأس، فالتذلل لأهلها أهون عندها من الذل الذي
تعيشه بعيدا عنهم :

-أتوسل إليك أخي، اسمحوالي بالبقاء في الحديقة، لن أدخل
إلى البيت.... أرجوكم !

تلك المصاييح بأنوارها الخافتة لم تسمح لهم برؤية هيئتها
المزرية، والكدمات المتفرقة على وجهها كما لم تسمح لها
برؤية دمعة فرت واختفت بكبرياء من مقلتي شقيقها وهو يقفل
الباب في وجهها يعفي والده من ألم جديد قد يفتك بقلبه دون
رحمة هذه المرة.

لم تستسلم، فهي قررت وانتهى الأمر، وما زاد ما أوشكت على
 اقترافه في بيت سامي سوى إصراراً على العودة لأهلها، فرمت
 الحقيبة على الأرض وألصقتها بالباب لتجلس عليها ثم ضمت
 رضيعتها إلى صدرها، تنتظر وتضرع إلى ربها الفرج .

راقبها من مقعده في سيارته، يبكي، لقد فعل حقا وسالت دموعه
 محرقة لقلبه قبل وجهه، فلم يشهد حدثا مماثلا في حياته، أسند
 يديه على المقود ثم وضع عليهما رأسه، يهمس بشجن :

-ربي اغفر لي لقد أخطأت، أستغفرك وأتوب إليك، لا أستطيع
 تركها في الشارع وأذهب، ربي اجعل لنا مخرجا... أستغفر الله .

ضمت الصغيرة إلى صدرها لترضعها علها تسكت عن
 صراخها الذي يصم الأذان دون جدوى، صراخها يعلو

مجلجلا الحي الساكن من الضوضاء، حتى قطبت تسنيم بقلق،
فابنتها عادة هادئة، تفقدت بطنها ورجليها بحثا عن مصدر ألم
يجعلها باكية بهذه الطريقة، لكنها لم تجد شيئا.

وبعد مدة انشغلت بها بتفقد رضيعتها ومحاولة إسكاتها،
شعرت بالباب يفتح، فرفعت رأسها إلى شقيقتها خلفها
والدتها، تبسمان بحزن، فانحنت الأخيرة تتلقف الصغيرة
بلهفة أم أو جدة تهزها برقة بينما تهمس لها بكلمات مهدنة
وتقبلها برقة أما شقيقتها فتسحبها إلى حضنها تضمها بقوة :

:الحمد لله، والدي سمح لك بالدخول، أنا مشتاقة إليك كثيرا .

تدفقت دموعها لكن فرحا وهي تبتعد عن شقيقتها مرغمة
لترتمي بأحضان والدتها، تتنعم بنعمة لا يعلم قدرها سوى

فاقدها، فقد تعلمت درسها جيدا، لا شيء يستحق خسارة
الوالدين مهما أغرى الشيطان النفوس بالأوهام .

- كيف سمح لي؟ أين هو؟

ربت والدتها على وجنتها، تجيها بإشفاق :

- ليس الآن، دعي الأمور تهدأ .

ثم التفت إلى الصغيرة التي سكنت بين ذراعي خالتها بقدرة الله
الحكيم واستطردت بغموض :

- ودعي الصغيرة تلقي بسحرها عليه .

زفر سامي براحة يتسم قبل أن يشغل سيارته لينطلق لكن هاتفه
كان سباقا برنين جرسه، لمح رقما غريبا تومض به شاشته، فرد
عليه بحيرة :

-السلام عليكم .

اهتز قلبه حين سمع هتاف زوجة صديقه خالد الفرع :

-أين أنتم يا سيد سامي؟ ابنك في خطر... نحن بالمستشفى .

*منزل القناص *

ركضت بسرعة، غير مبالية بذاك الذي يتبعها مأخوذا بها
كالخيال يرفرف حولها الفستان الطويل الواسع، فبدت له

كأميرة هاربة من قصة أسطورية كتلك القصص التي كان يرفضها ظاهريا ويصغي إليها خفية بدار الأمل أثناء طفولته .

حاول ترك مسافة بينهما تتجه إلى البحر غير مبالية بالظلام ولا بالحركة التي تكاد تكون منعدمة، فلا يسمع سوى صوت هدير بعض السيارات المارة كل حين وأنغام قادمة من منزل القناص .
توقفت ففعل مثلها، عينه عليها لا يحيد بهما ولا يطرف .

فتحت فمها تتنفس بقوة تتساءل بضياح، ماذا حدث؟ ولماذا بيلسان أخفت عنها الحقيقة؟ ذكرى ابراهيم عادت لتهجم عليها بأحزانها وفاجعتها يوم علمت بأنه مات وتركها وحيدة؟ ونضال، آه من نضال يحب بيلسان، طلب منها الزواج .

صدقت بيلسان ، كان يتسلى بها، فتساءل لماذا؟ ألا تستحق أن
 يحبها هي؟ لقد منحته كل شيء وكانت مستعدة لأن تمنحه
 أكثر، لقد عصت ربها لأجله !

نظرت إلى البحر المتلون بلون الليل، تضم نفسها بينما تفكر
 بأن تلك المشكلة إذن! كان يجب أن تحافظ على الحدود ولا
 تنجرف خلف فتنة أعمتها تماما كما حاولت بيلسان نصحتها
 وتنبهها مرات عدة بيلسان، همست بحرقة !

-لماذا أخفيت عني الحقيقة، لماذا؟

صاح صوت ضمير من أحشائها يمنحها الحقيقة، لأنها تحبك
 ولا تريد فقدانك! إذن لماذا لا تستطيع مسامحتها؟ لأن قريبها

بل من أنجبها قتل شقيقها، شردها وحرمها من العاطفة والعائلة
الوحيدة التي تملك .

لكن هل هذا السبب لوحده ما يجعلها تشعر بكره تجاهها!
معقول؟ كره تجاه بيلسان؟ أم أن اختيار نضال لها ما أشعل نار
الغيرة في أحشائها؟ تنهدت تخاطب نفسها بهمس :

- أنت تغارين منها يا جنات، وتتمنين كل شيء هي عليه،
قوتها، إيمانها، يقينها، صلابتها، مالها !

رفعت كفها تكتم بها شهقاتها وهي تتذكر العذاب الذي عاشته
بيلسان في طفولتها بينما هي تتنعم بحضن وحنان و دلال
والدتها ثم شقيقها، استحضر خيالها الصغيرة النحيفة، الشاحبة
حد الاصفرار التي كانت تنظر إلى إبراهيم بعين منبهرة،

فتحاول بكل جهدها تسلق رجليه لتقبع بحضنه كما تفعل هي،
فتقاسمت معها حنان شقيقها مشفقة على حالها وقسوة من
ظنوه عما لها، إلى أن كبرت قليلا وأضحت تصيبها غيرة منها
على شقيقها، فكانت هي من تذكره بأحكام الشرع حتى يضع
الحدود بينهما والمشكلة أنها لم تكن تسعد بتلك النظرات
الخائبة النضحة من عيني بيلسان حين ينبذها إبراهيم ويفسر لها
السبب.

انحنت تبكي بحرقة من حيرتها وبؤس حالها :

- ما به الحلو؟ الله الله على العسل المتأنق !

شهقت بصدمة والشاب الذي يتحرش بها قد سحب إلى
الخلف، من قلنسوة سترته والقابض عليها، يهدده بجفاء
ساخر :

-الله الله على الذكي إذا ابتعد من هنا وبسرعة... يا حلو !

أوما الشاب مرات عدة و بسرعة، يريد الفكاك من بين برائن
ذلك الضخم، فأطلق سراحه ثم التفت إلى المراقبة لهما
بدهشة، يقترح عليها بتردد لم يديه لكنه عليه إخراجها من
هناك :

-أنا مستمع جيد.... لا أحكم ولا أتدخل... فقط أسمع !

تفحصت بذلته السوداء كالسواد المحيط بهما بريبة وشك ثم

قالت بعبوس والدموع قد يبست على وجهها :

:سرى لكن أحذرك! لا تدخل ولا أحكام مسبقة!

ابتسم بهدوء يجيها بيقين :

مستمع فقط.... جريني ولن تندمي.

الفصل الواحد والعشرون

{يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك

بدنياك فتخسرهما جميعا... الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك

طويل.....الحسن البصري}

-مبارك أختي خنساء، هل جمعت أغراضك؟ من اليوم

فصاعدا أمين زوجك تصغين لكلامه وتطيعينه وإياك أن

تخرجي عن طوعه .

لم تجبه، جامدة الجسد، مطرقة الرأس :- خنساء، أنا أكلمك!

نطقها بعصبية، فأشار أمين لوالدتها فتحركت وسحبتها

تضمها، قائلة بجفاء :

-أغراضها جاهزة وسأرافقها بنفسي إلى بيت زوجها .

أكدت على كلمة زوجها، فتراجع يرمق أمين بينما يخاطبه
بنفس عصبية المقيتة :

-إن لم تسمع كلمتك ...أدبها !

هز رأسه بوجوم صامت، لأول مرة يشعر بغضب أشعل جنبات
صدره منذ زواج شقيقته إيمان وإن أطلق العنان للسانه لا يعلم
بماذا سيتفوه! لذا أثر الصمت حكمة وفي تلك اللحظة خرج
الرجال من غرفة الضيوف، فلمح أحدهم يتأمل خنساء بحسرة
حانقة، فانتفض يقف بينهم كي لا تظهر لهم، يهددهم بعصبية
لم يستطع قمعها :

- ألا تستأذنون وتغضون أبصاركم؟

التفت سالم إليهم مقطبا، فهتف واحد منهم ببسمة مزعومة :

:مبارك عليكم يا سالم، نحن سنغادر، ما كان عليكم ترك النساء

هنا في الطريق .

زفر أمين بغضب واستدار إلى خنساء، يهمس لها :

- سأضم كتفيك لنذهب إلى شقتي أمامهم.

كانت حركته مقصودة حين التقط حقيبتها بيد وضم كتفها

بالحرّة، يمشي بها مهرولا إلى بيته صافقا الباب بحدّة،

فصافحوا سالم وغادروا وواحد منهم يعقب بكره :

-لم أحب ذلك الشاب !

أجاب الآخر بعبوس:

ماذا سنقول للرئيس! كانت نيته ربطه بنا بنسب... أما الآن!

قاطعته الثاني بتحذير:

-اسمه الشيخ، انتبه!

زفروا بغضب وانصرفوا بغير ما جاءوا به.

ارتفعت دقات قلبها حين ضم كتفيها بينما شعورا غريبا ألم بها

بين الخوف والارتياح، بين الغضب والسرور وبين الأمان

والغربة، كيف لها أن تشعر بكل تلك الأحاسيس المتناقضة وفي

وقت واحد؟

بلعت ريقاها حين توقف أمامها، يخاطبها بلطف:

-خنساء، ارفعي رأسك !

أطاعته ترفع رأسها بوجوم لتلمح وجهه الباسم، فاستطرد
بحنو :

-لا أريدك أن تطرقي برأسك أبدا، لا حزنا ولا ذلا .

أنصت إليه بتمعن، يكمل :

-أنت بأمان والحمد لله، ستكملين تعليمك وتعملين إن أردت،
ستختارين ما تريدين فعله بنفسك والأهم لن تذهبي لمكان
مجهول لك .

تحدثت بحياء، تهمس :

-لكن سالم ق...

قاطعها معاتبا بلطف :

- سالم لا كلمة له عليك، أنا المسؤول عنك ابتداء من اليوم .
حاول التركيز على ملامحها يريد أن يستشف منها ما يرضي
فضوله، فلطالما كانت هادئة لكن بطريقة مرحة عكس هذا
الاستسلام.

هل أربها ما كان سيحدث معها إلى هذه الدرجة؟ إن كان هو
مرعوبا من مجرد تذكر ذلك الرجل الغريب الذي كان
سيزوجها له سالم!

عاد إليه الانزعاج من مرآى نظراته إليها يعبس بضيق إلى أن
لمح توترها، فابتسم يطمئنها :

-تذكرين غرفة إيمان! ستكون غرفتك منذ الليلة .

هزت رأسها محمرة بحياء، فتابع بحنو بالغ :

-أنت أمانة سأصونها جيدا بإذن الله ، مثل إيمان بالضبط وكل طلباتك مجابة.

لغت الخيبة كل شعور سبقها إلى صدرها، فأمين فارس أحلامها يحسبها كشقيقته إيمان ولم يدفعه لحمايتها من مصير مجهول سوى رجولته ونخوته وليس شيئاً آخر.

لمح حزنها واليأس يسكن حنايا ملامحها، فأضاف بأسف :

-أنا آسف لأنني كذبت، أنا لم أطلبك من العم كامل، رحمة الله عليه.

هزت رأسها، ترد بنفس حزن قلبها المرتسم على محياها :

-أعلم بأنك كنت تكذب ...فصوتك ك ...

صمتت حين لاحظت استرسالها العفوي المعتاد كما بسمته

الهادئة، فسألها بلطف : -لماذا سكت؟

زمت شفيتها حياء ثم ردت :

-نبرة صوتك كانت على غير عاداتها .

اتسعت ابتسامته بينما يرد عليها بمرح يحاول إخراجها عن

بؤس ملامحها :

-وأنا الذي ظننت بأنني مثلت ببراعة، الحمد لله على أنهم لا

يعرفونني مثلما تفعلين حتى سالم صديق عمري .

ختم حديثه بحسرة، فألمها قلبها الطيب والمحِب له، فردت
تواسيه: -ربما هو الآخر لم يصدق .

فكر بما قالته، فهز كتفيه يؤكد عل قولها يتمنى حقا أن يكون
هناك داخل قلب سالم، صديقه الذي نشأ معه:
-ربما، أنت محقة .

أطرقت تشبك كفيها، فأشار إلى غرفة إيمان :

-هيا إلى النوم، ولا تحملي هم شيء، ألقى حمولك على الله
وتوكلي عليه فهو حسبك وحسبي .

هزت رأسها واتجهت إلى الغرفة، فحمل حقيبتها ولحق بها
ليضعها على أرض الغرفة حيث تركها قبل أن يعود أدراجه

ويقفل الباب خلفه، وكلاهما يزفر بخفوت، هي حزنا وهو
رهبة من القادم!

أسرع يسابق دقات قلبه وكل التوقعات السيئة تهجم على عقله،
ماذا حدث؟ لماذا حدثه إسراء وليس سحر؟ ماذا حدث لابنه؟
قابله إسراء، بجانبها رجل يشبهها لم يتعرف عليه :

-سيدة إسراء ما ذا حدث؟

سأل بلهفة فزعا، فردت عليه سراء مشفقة :

-اهدا أستاذ سامي.

-ماذا حدث؟

تناظرت و شقيقها، فتحدث ليث مفسرا :

مرحبا سيد سامي، أنا شقيق إسراء، خالد لم يكن موجودا لذا
هاتفني للمساعدة فقد كانت متلبكة، ولا تعلم ماذا تفعل؟

فتح فمه غير مستوعب، فاستطرد ليث :

-والدتك لجأت لإسراء لأن طفلك مريض ومحموم
والمشكلة حين خرجت بكرسيها من الشقة نسيت المفاتيح
داخلها، تضاعف خوفهما و كلتاهما لا تحفظان رقمك وخالد
لم يكن يجيب على هاتفه لذا استدعتني في النهاية وكسرت
الباب .

قطب سامي ذعرا يتساءل ببهوت :- سحر؟

تدخلت إسرائء، تجيب ببعض الحنق فلطالما اعتبرت تلك
المرأة مستهترة ونفسها تنفر منها :

-لم تكن بالبيت وكانت حالته الصغير مزرية، محموم جداً،
وتنفسه بطيء....لذا أحضرناه هنا .

مسح على رأسه، يفكر باندهاش قبل أن ينظر الى إسرائء، يسألها
مجددا :- أمي...أين هي؟

أشفقت عليه، ترد بتردد :-بالعناية المركزة .

تجمد مكانه وسُحبت الدماء من وجهه، فربت ليث على كتفه
بإشفاق :-صحتها واهنة، لذا خوفها على الصغير أتعبها.

حرك رجليه المرتعشتين إلى الكراسي، فألقى بثقله على
 إحداها، يحاول إدخال أنفاسا إلى رئتيه عبثا، إنه العقاب!
 صاح ضميره بقوة، عقاب ما كنت على وشك فعله، كنت
 ستستبيح حرمة غيرك :

-ربي ارحم صغيري ولن أعيدها أبدا يا رب، احفظ لي أمي
 ولن أتجراً على حدودك يا رب! اللهم لا تريني فيهما سوءا .
 مال ليث على إسراء، يهمس لها مشفقا عليه :

-المسكين... من صدمته لم يسأل عن مكان زوجته؟

عبست بحزن، تفكر بأنها لم تحبها يوما، لا ملابسها ولا هيئتها،
 ولا حتى طريقة حديثها، وكانت دائما تتساءل كيف لرجل مثل

الأستاذ سامي أن يتزوج من امرأة كسحر؟ لكن من تكون هي
لتحكم على الناس! فلقد كانت مثلها يوما ما :
- أنا أكلمك على فكرة.

انتبهت إليه، فأردف بقلق :- ألن تخبريني ما به خالد؟
تنهدت بتعب تدعك جبينها، خالد! أعادت اسمه مرات عدة،
فغاص قلبها في حزن وكآبة لكنها سرعان ما تجاوزت
أحاسيسها لتجيب شقيقها :

- لا... لا شيء! أخبرتك سابقا إنه عالق بعشاء عمل لذا يغلق
هاتفه .

هز رأسه و تجاهل الأمر حتى يحدث و رده المحقة بشأنها حين
أخبرته باستمرار أن حياة شقيقته بها خطأ ما.

تأهب الجميع مع خروج الطبيب وسامي يهتف بقلق :

- كيف هما يا دكتور؟

تطلع إليه بحيرة، فتابع : -هما إبني وأمي.

نظر إليه بانزعاج واضح على محياه بينما يلومه بضيق رغم نبرة
صوته الهادئة :

- ما هذا الإهمال يا سيد! كيف تتأخرون بإحضار حالة محمومة
كحالة ابنك، لقد كان على شفير الموت .

شهقت إسراء وأطراف سامي تنشل خوفا من القادم :

- ما به دكتور؟

ضم شفثيه بانزعاج ثم أجابه :

-الحمى لم تعالج مرات عدة، فأضعفت مناعته هذا غير المنوم الذي يأخذه باستمرار.

جحظت مقلتا سامي، يهتف بعدم فهم : -منوم ماذا؟

ابنك يتلقى جرعات منومة ومستمرة يعني بشكل يومي، وقد بدأ دماغه بالتضرر ولو تأخر لأيام أخرى من المحتمل دخوله لغيوبة هذا إن لم تقض عليه الحمى قبلا.

تنفس بلهات، لا يفهم شيئاً البتة، فتدخلت إسراء التي تجاوزت صدمتها : -وكيف حاله الآن؟

زم شفتيه قبل أن يجيبها بوجوم :

-أدعوا الله أن تمر هذه الليلة على خير وإن شاء الله يتعافى .

هم بالابتعاد، فأمسكه سامي يلهث بسؤاله : -و أمي؟

رد برسمية، قبل أن ينصرف :

-بروفيسور مختص بمثل حالتها يزور مشفانا هذا الأسبوع ما

زال يفحصها في العناية، سيحدثك بإسهاب حين ينتهي .

نظر ليث الى شقيقته ثم سأل سامي بحس المحقق :

-هل كان يتناول دواء ما؟

أوما سلبا وفكره مضرب لا يستطيع تجميع أمرين اثنين برأسه،

فأردف ليث بنظرة ثابتة : -أين زوجتك يا أستاذ سامي؟

رفع رأسه فجأة وقد أصابه إدراك ما، استل الهاتف وطلب
رقمها بينما يتعد قليلا عن ليث الذي منحه مساحة، فقد التقط
لب الموضوع وهو يأمل أن يكون السبب أي شيء سوى
الخيانة.

تمالك سامي نفسه ليخاطب التي ردت عليه : -سحر؟
انساب صوتها حذرا تتسأل قبل أن تمنحه أي معلومات :
-ماذا هناك سامي ؟

أسدل جفنيه وقال بعد أن بلع ريقه :
-هل.... هل تحتاجون لشيء في البيت؟
ردت بكذب ألقاه في جحيم عذاب أليم :

- لا... هل أنت عائد الآن؟

ثبت نفسه يكمل في ادعائه :

- إن كان الصغير بخير... سأتأخر إلى الفجر.

ضم شفثيه يضغط عليهما بقوة وهي مسترسلة بكذبها :

- إنه بخير حبيبي، هيا اتركني لأنام... إلى اللقاء !

أنهى المكالمة وهو يفكر بأنه سيسبقها إلى البيت وهناك لكل

حادث حديث، لمح رجل بلباس الأطباء يبحث عن شخص

ما، فاقرب منه يسمع الإسم ليتهف :- إنها أمي... كيف هي؟

هز رأسه وطلب منه الانضمام إليه في مكتبه ومن هناك خرج

بروح تائهة بينما كلمات الطبيب ترن في أذنيه :

والدتك للأسف تتعاطى حبوب المنوم وهو السبب الأساسي
 في فشل علاجها السابق، الحمد لله على أن قلبها و دماغها لم
 يتضررا بعد، سنساعدتها على التوقف عن أخذ المنومات ومع
 العلاج المكثف نأمل من الله الشفاء .

أجفل على سؤال ليث وإسراء، فرد عليهما بتيه وصدمة :

-إنهما بخير، شكرا لكما، لا داعي لبقائكما هنا، أنا أيضا
 سأغادر بعد أن أراهما عبر بلور الباب ... فالزيارة ممنوعة .

ودعاه على وعد بالعودة في الغد للاطمئنان، فاتجه إلى العناية
 حيث ظل لمدة يتأمل جسد والدته النحيف المتصل بأسلاك
 شتى، يحدثها بخفوت كأنها ستسمعه:

-لماذا تسترتِ عليها؟ لماذا لم تثقي بي كفاية لتخبريني؟ كيف كنت بعيدا عن أقرب الناس إلي؟ كنت سأفقد أكثر اثنين أحبهما!

تذكر تسنيم، فهي أيضا دخلت دائرة اهتماماته لكنه نحاها ومقلتاه تتوحشان، يسأل نفسه أهم سؤال؛ كيف خدع في سحر كل هذه المدة؟ خمس سنوات ليس بتلك السهولة، فكيف خدع فيها؟ كان عليه تتبع حدسه لا أن يلوم نفسه التي نفرت منها قبل مدة ليست بالهينة!

توجه إلى غرفة صغيره يطمئن عليه قبل أن يغادر إلى بيته، وهناك استغرق بالتفكير إلى أن وصل لنتيجة واحدة، والفضل في حكمة التوصل إليها بعد خالقه هو.....ابنه!

- جيد جدا يا أسد !

ابتسم أسد بتوتر بينما ضرغام يكمل بحماس:

-زرعنا المراقبين في كل مكان، غداً صباحاً بإذن الله، سيكون

التقرير المفصل لدينا وأنا جد متفائل .

لاحظ تهرب كل واحد منهما من الآخر بأنظاره، يقفان أمامه

كطفلين مذنبين، فاستطرد باسماء بمكر .

-يمكنكما المغادرة، لتلحق الأنسة بالمناسبة في منزل عائلتها .

- لا أريد!

هتفت أور بحنق ثم أردفت : - لا أريد حضور أي زفاف .

لم تكمل عبارتها حتى انطلق صوت هاتفها، فردت حين
لمحت رقم توءمها، تطرق سمعها قبل أن تقول باستسلام :
-حاضر...أنا آتية .

نظرت إليهما تقول بعبوس وحمرة الاحراج تعلق وجهها
الشاحب بطريقة مضحكة :

-يبلسان طلبت مني الحضور، تريدني بشيء مهم .

أشار ضرغام لأسد بالانصراف وهو يستدير الى مكتبه :

-تفضلا! ومرة أخرى....أحسنتما!

* قبالة البحر *

أولته ظهرها كأنها تحدث البحر، فبدأت بشقيقتها ومكانته ثم
مقتله، فمعاناتها بعد فقدانه، مكانة بيلسان في قلبها وتعرفها على
نضال، متجاوزة كيفية التعرف عليه إلى كذبه عليها بهدف
التسلية ثم اكتشاف ما أخفته عنها بيلسان وحب نضال لها.

صمتت تتنفس بعمق متأملة ظلمة البحر وبعد لحظات
استدارت إليه حين امتد الصمت بينهما، ليزداد توترها من
قشعريرة بدنها بردا حين اكتشفت شروده نحوها، فتنحنحت
تقول بارتباك : - ألن تعقب؟

لم يتحرك من مكانه يجيبها بثبات يعكس صخب أحشائه :

-مستمع....نسيت؟

هزت رأسها بلا معنى، فاستطرد :

-لن أعلق على حديثك، لكن بدل ذلك سأتحادث عن نفسي .

انتبهت إليه بكل حواسها تشعر بفضول رهيب تجاه الضخم

الثابت مكانه دون أي تعابير بشرية واضحة :

-كنت يتيما، نشأت بالشارع وحين بدأت أعي الأمور من

حولي، أخبروني من كانوا في الشارع معي بأنهم وجدوني تائها،

أول شيء أذكره هو سعبي في الشوارع والجوع والنوم في العراء،

مطاردات الشرطة وتجبر الأقوياء وحين كبرت قليلا، تعلمت

مسح زجاج السيارات وبيع المناديل وفي يوم ...

صمت، فالتفتت إليه، لتلمح أول تعبير على وجهه الجامد
القوي الملامح، قساوة ناسبت الظلمة التي ألقى بظلالها في
الأجواء، فلم تؤثر فيها المصاييح العمومية البعيدة، يرمق البحر
وقبضتيه إلى جانبه:

-ركضت حين لمحت سيارة فخمة، لأنظف بلورها وأرباح
بعض الدراهم، وإن ساعفني الحظ أبيع له علبة مناديل وكم
كنت سعيدا، حين التمسست منه معاملة طيبة، اشترى مني كل
العلب وسألني إن كنت أبيع في ذلك المكان دوما، فأكدت له
الأمر مسرورا أمني نفسي بأموال إضافية وبالفعل عاد واشترى
مني العلب الجديدة ثم دعاني لأتغدى معه، كنت صغيرا
ومعدوما، لذا فرحت وقبلت أركب سيارته مدهوشا بفخامتها.

أخذني إلى بيت كبير لم أحلم برؤيته يوما حيث قدم لي غذاء
نظيفا ولذيذا، أتذكر لذته في فمي طعاما لم أتذوق مثله قبلا،
بعدها أرشدني إلى حمام كبير وطلب مني الاستحمام لأنه اقتنى
لي ثيابا جديدة، أتذكر كيف ارتميت في الحوض المستدير
الأبيض المليء بالفقاعات البيضاء وكيف لهوت وضحكت
بسرور.... وكيف....

صمت من جديد، وهي ما تزال تراقب جانب وجهه المظلم
حتى تابع كأنه يخاطب البحر المظلم مثلها قبل قليل:

- كيف دخل علي ثم ادعى مساعدتي على تنظيف نفسي.. ل...ل

في تلك اللحظة تحديدا التفت ينظر في مقلتيها مباشرة، ينطق
بقسوة بالتزامن مع شهقتها إن كان من الخوف أو الصدمة:

-ليغتصبي بعدها دون رحمة !

انتفضت مكانها تضم نفسها ترتعش حرفيا، فتابع بجفاء تمكن منه ودهشة أرجأها داخله لوقت لاحق، فهو لم يسبق أن حكى لأحد عن حياته بعد ورد والآن وهي تتشوق بحب متعجرف زير نساء معروف، وتلوم صديقة عمرها على جريمة اقترفها سفاح كانت تلك الصديقة الوفية أول ضحاياه، أراد وبشدة أن يخبرها عن المعاناة الحقيقية، أن يوقظها من وهم التظلم وهناك بداخله حاجة ملحة لأن يخبرها عن نفسه، لماذا؟ سؤال آخر يرجئه لوقت لاحق.

-تألمت وشعرت بوجع لا يمكن التعبير عنه بكلمات البشر .
وقف قبالتها يلمح دموعها مسترسلة، فاستدرك دون تراجع :

-استيقظت بعدها في مستشفى حكومي حيث أخبروني بأنهم وجدوني ملقى على قارعة الطريق بالقرب من مكب للنفايات، كنت صبيًا لكنني شعرت بالذل والإهانة، فأصبحت لا أرى إلا عبر عين الكره والحقد نحو الرجال خاصة وفقدت الثقة بالناس وبنفسي.... لكن....

توجهت إليه بأنظارها المشفقة، الخائفة والمصدومة وكم يفضل الأخيرين عن الأول:

-شاء الله أن يعلمني بأن الحياة يتواجد بها الحق والباطل، المسيء والمحسن، حولني المستشفى بعد شفائي إلى دار للأيتام لم يكن بذلك الاختلاف عن الشوارع في البداية لكن على الأقل، سقف ولقمة مضمونة حتى لو كانت باردة أو

شحيحة والأهم الدراسة لكن الله كان بي رحيمًا ولم يطل
عذابي هناك .

استغربت من تغير ملامحه إلى شبه ابتسامة، تلوح على شفثيه
الكبيرتين بينما يضيف :

-التحقت بالدار شعله منيرة لم تتجاوز الخامس أو السادس
عشر، فتاة تتقد ذكاءًا وحماسًا، قلبت الدار رأسًا على عقب وفي
مدة وجيزة، استغلت فيها نفوذها وغضبها لتغير كل شيء إلى
أفضل .

عبست جنات لذكره لفتاة وبذلك الحماس بعد غضبه، هل
تغار الآن؟ و ممن؟ و على من؟ لا... لقد جنت بالفعل!
ونضال لم يترك لها ذرة عقل، تنفعها :

-نظرة واحدة نحوي، فابتسمت بمؤازرة من يفهم مصابي
وتكلفت بي من بين الكثير، تقربت مني وصبرت على جفائي
وقلة أدبي معها، أجبرتني على المتابعة مع دكتورة نفسية
و درست لي لأنجح، اهتمت بي كما لم يفعل أحد من قبل،
دون مصلحة ودون مقابل، فقط لأنها تحب أن ترى جميع
الناس حولها سعداء في حياتهم، وتلك كانت بداية تغير حياتي
من ضياع إلى طريق سوي كانت ورد بدايته لأتعرف إلى آخرين
بعدها، سمير، فاطمة وكريم كلهم مثلي، ظلمتهم النفوس
البشعة لكنهم لم يستسلموا، قاوموا حتى وصلوا ثم التفتوا
ليساعدوا غيرهم....لذا....أنا آسف!

رمقته بتساؤل تجلى بملامح وجهها، فهز رأسه، يجيب بجدية:

- آسف إن لم أتعاطف مع مصابك، آسف إن اعتبرت كل ما
 أخبرتني به حبا مزيفا أقرب لافتتان وغيره فتيات مدللات، ولم
 يحزني سوى شقيقك الذي مات غدرا على يد مجرم لا يسوى
 ... عدا ذلك ...

أوما باستخفاف، يكمل وهو يهز كتفيه :

- ذاك المتعجرف لا يستحق ذرة اهتمام من فتاة بريئة مثلك
 وصديقتك وفيه لا تستحق منك الغيرة والغضب! فكري جيدا،
 فهناك في هذا العالم من هو أسوأ منك ومني حالا.

زمت شفيتها عبوسا لكنها لا تقدر على مجادلته، فهو محق
 بحق الله! حسنا، محق في مصابه البائس، مأساة بحق! لكن هذا
 لا يبرر له الاستخفاف بحزنها ومصابها.

لاحظت اقترابه منها فأسرعت دقات قلبها تترقب حركاته حتى
تفاجأت به ينزع عنه سترته ليناولها لها وكم كانت ممتنة له حين
سرى الدفء عبر أوردتها، فتتكوم تحت السترة الضخمة تلتهم
نصف جسدها.

ابتسم تلك اللحظة، يقول بمرح لا يمت لغضبه السابق بصلة :
- هيا بنا، علنا نلحق بالعرس الأسطوري، فأنا لم أحضر عرسا
أرستقراطيا من قبل.

تأمل ما يظهر من فستانها، يضيف :

وستضيع طلتك بفستانك دون أن تراه صديقاتك .

تقدمته تسرع لتفر من فوضى مشاعرها، تقول بحنق :

-أنا لا أعرف أحدا من الحضور ولا أصدقاء لي، سوى بيلسان
ونرمين .

قطب حيرة، يسأل بتلقائية : -ونرمين هذه ألن تحضر؟
ابتسمت ساخرة، تجيبه دون أن تنظر إليه :

-يوما ما قد أحكي لك عنها، أظنها ستجذب رأفتك أكثر مني
بمصابها الأليم .

ضم شفثيه بلؤم يرد عليها بينما أنوار القصر، المنيرة لمن
حولها تنذر بقربهم منه :

-متى ما شئت أنستي ستجدينيمستمعا !

التفت إليه باسمه بسخرية، فألقت عليه تعويذة ربطت قلبه بها
إلى الأبد بينما تعقب :

:أجل...أجل، مستمع، صدقتك .

-تعالى معي، يلزمننا مكان هادئ لتحدث .

تبعته بقدمين ترتعشان إلى غرفة المعيشة، فهي الوحيدة الهادئة
من الضوضاء وجلس على كرسي لتجلس جواره، فقال باسمه
بسماحة : - تخيلت كل شيء، إلا أن تتقدم إلى فتاة للزواج
مني .

احمرت حياء التهم وجهها، فحوله الى حمرة قانية، فأضاف
بحنو يهون عليها خجلها الذي شعر به :

-هل أنا عاجز إلى تلك الدرجة ؟

شهقت تجيب بلهفة أنستها حياءها وتوترها :

-طبعا لا!....نزار !

-إذن اشرحي لي!....أريد سماعك، فأنا أكيد من رزانتك .

بلعت ريقها، تفرك كفيها بتوتر بالغ :

-نضال، عرض علي الزواج وأنا رفضت.

تألمت لعبوسه الواجم، فأردفت بسرعة :

-وجنات سمعت الحوار بأكمله، ضمنه حقيقة مقتل شقيقها .

دمعت عينيها، تكمل :

- غضبت بشدة ولامتني لإخفاء الحقيقة عنها لكنني أعلم يقينا بأنها غاضبة بسبب فعلة نضال المستهتر .

صمتت تتنفس لتريح صدرها، فقال بحذر :

- وهل ترين في أنا حلا لمشاكلك بيلسان؟

أخرجت الكلمات، من بين شفيتها، متقطعة بلوعة أصابت قلبها المجروح :

- لقد عشت كفايتي من الألم يا نزار، تعذبت كفاية لأكتسب حكمة الفصل بين الأمور، اكتفيت من الجفاء والقسوة والسواد في قلوب البشر.

انصت إليها بتأني يتشرب كل كلمة تنطقها بصدق موجه :

-أبحث عن الاستقرار يا نزار، الأمان والحماية .

قطعت حديثها تلهث، فقال مستفسرا للغاية في نفسه :

-وماذا عن الحب؟ أعلم بأن الفتيات، يهمن أمره كثيرا.

نظرت إليه بتمعن، تجيبه بثقة :

-بالنسبة لي، الحب هو الأمان، التفهم، الثقة والاحترام .

ابتسم بتأثر، يهمس بنبرة عميقة أسالت الدفء بعروقها :

-وهل ترين في كل ذلك يا بيلسان؟ فكري جيدا قبل الجواب

لأن قراري يترتب على ردك الصادق .

بللت شفيتها تغلق عينيها لوهلة قبل أن تنظر إليه، ترد بصدق :

- أنت كل ذلك يا نزار! بلا شك أنت كل ذلك .

اتسعت ابتسامته ينهض من مكانه، فسألته بحيرة :- إلى أين؟

أشار لها لترافقه بينما يجيبها باسمها بهجة أنارت وجهه:

- سأقدم إليك بشكل لائق، فلا فتيات من عائلتنا يخطبن
لأنفسهن .

إبتسمت بخجل وهو يردف ببعض المكر :

-ومن يدري! قد نكون محظوظين ونعقد قراننا الليلة .

شيء ما أشعره بتردها، فسألها ببسمة رائقة :

-هل تراجعت شجاعتك يا بيلسان؟

استرجعت ثقتها وعزيمتها، تقول بيقين :- أنا موافقة .

و في مكان آخر غير بعيد، تحديدا على باب جناح دليلة،
 خرجت بخيلاء تتهادى بفستانها الأبيض بذيله الطويل
 والطرحة تنافس الذيل طولا، انتظرها والدها عند نهاية الدرج
 حيث تلقف يدها ووضعها تحت إبطه، بعد أن قبل أعلى رأسها
 وتقدما بخطى واثقة تلاحقهما آلات التصوير من كل جهة.

شعرت بنفسها طافية على الهواء وكل شيء حولها مشوش
 كأنه حلم بينما إحساس بالضحك يغمرها، الضحك الصاخب
 الذي يدمر القلب بجفائه. أوقفها والدها لتسمع حديثا وديا ما
 ثم بعدها رفع عن وجهها الغطاء، ارتعد قلبها بحدة حتى ألمها
 من ملامح ونظرات من يفترض به عريسها؟

لقد أخطأت حين رفضت رؤيته قبل العرس، إنه ضخم بل وحش! هل ذاك جرح شق عنقه سابقا؟ إنه بالفعل جرح وعميق أيضا! تساءلت بريبة لماذا ينظر إليها بتلك الطريقة الغامضة؟ كأنه يبحث عن شيء ما! رد فعل تكهنت أو! نزلت فكرة أخرى على رأسها بأنه مألوف لها، وجهه مألوف! هل رأته من قبل؟ تنهدت وتهربت بعينيها، تهمس لنفسها:

-صديقتي محقة، ما كان يجب علي تناول حبتين بالمشروب .
تحدث صوان يبعد تأثيرها على رجولته بتلك الهيئة الخلافة، عروس ساحرة لا ينكر، ويجب عليه التحكم في نفسه، فما هو مقدم عليه يحتاج لقلب قوي وهل هناك قلب أشد صلابة من قلب الصخر.....صوان الصخر!

-هل نعقد القران يا سيد تهامي؟

أوماً إيجابا وانضما إلى طاولة حولها كاتبي عدل يشرعان بعقد

قران دليلة وصوان، فتلفتت حولها متسائلة بتهكم :

أين عائلتي الكريمة؟ لا أحد منهم تجراً وحضر، أين أنت يا

نضال؟

لم تكمل حديثها الساخر حتى لمحت عمته يجاورها رضوان،

يراقبان الحضور بوجوم يحاولان مداراته بالابتسامة الباردة،

يجاملان هذا وذاك، فغاص قلبها في حزن وهي ترى نضال ينضم

إليهما يهمس لرضوان بشيء، لم يعجبهما الإثنين.

ماذا بهم يا ترى؟ تساءلت بسرها قبل أن تجفل على صوت رجل ما يسألها الموافقة على الزواج، فأومأت بألية كما وقعت وبصمت مرتين ثم انصرف لتنظر إلى المدخل حيث ظهرت بيلسان برفقة نزار يتوجهان إلى العممة فريدة، همس لها هو الآخر بشيء ما أسعدها جدا، تبسم بحبور، فقطبت دليلة من ملامح نضال التي انقلبت إلى ريبة وفضول بينما عينه لا يحيد بهما عن بيلسان.

ازداد فضولها حين ضمتها عممتها تقبل وجنتيها بسرور حقيقي، لم يسبق أن رأت به عممتها من قبل ثم ضمت نزار هو الآخر، الذي همس لها مرة أخرى، فرفعت حاجبيها دهشة ليومئ لها مؤكدا ثم سحبتهما مع رضوان الذي يتسم بتوتر، من يعرفه

يعلم بأنه حائر ما بين الفرح والحزن، يرمق نضال بتردد ما غريب، فتحرك خلف الأخير حين تبع عمته إلى وجهتها، تذكرت زواجها الذي نستة للحظة بالفضول عندما علت زغرودة من فم عمتها صاحبته تصفيقات الحضور.

قام والدها وعريس الغفلة، فأشارت لهما عمته بالبقاء واستلمت الميكرفون لتلقي بكلمة جعلت الجميع منهم المندهش والمتفاجئ و... المصدوم ولم تكن الصدمة إلا من حق نضال الذي لم ترى ملامحه المسودة من قبل كما هي الآن ولعجبها لم تصبها غيرة أو تشفى على قدر ما أشفت عليه، فابن عمها نضال القناص أحب فتاة وفقدتها للتو!

ترجلت من السيارة تتنفس الصعداء، فحالة قلبها تتصاعد
وأصبحت تخشى على نفسها من تلك المشاعر القوية التي
هجمت عليها، إنها تراه بطلها تماما كالقصص الخرافية التي لم
تكن تصدقها حتى في صغرها.

التفت إليه تنطق بكلمات وجدت نفسها تتفوه بها دون قرار :
-ألن تدخل؟ تعش على الأقل .

هذا ما كان ينقصه! ينشد الهروب والانعزال تحت رذاذ ماء
بارد، ليصفي ذهنه ويفكر جيدا علّه يفلح بإنقاذ نفسه من البحر
العميق الذي ألقته به فجأة، لكن حين هم بالرفض نطق لسانه
عكس ما يرغب به : - لم لا، تفضلي !

استدارا عند البوابة الكبيرة على إثر دخول زيد وجنات المرتدية
 لسترته، فلم تنبس أور بنت شفة بينما أسد يرفع حاجبه
 تساؤلا، فرد عليه زيد بخفوت : - لا تسأل !

هز رأسه بتهكم وهم يتقدمون نحو الحديقة حيث استقبلهم
 صوت العمة السعيد يتردد في أرجاء الحديقة بل المنزل كله
 بإعلان شهقت له جنات وتسمرت بسببه قدما أور صدمة :

- ضيوفنا الكرام يسعد قلبي أن أعلن عن فرحة تضاف إلى
 مناسبة اليوم وهو عقد قران ابن أخي الهاشمي وابنة شقيقتي
 وتوأمي فاديا رحمهما الله، نزار وبيلسان، مبارك لكما حبيبي
 وعليكما .

شلت الصدمة أطرافهم، أسد ينظر إلى أور المراقبة لشقيقتها
بصدمة تحولت إلى عبوس، فاقترب منها يهمس لها :

-ألن تقفي إلى جانب شقيقتك؟ يبدو عليها جليا أنها
تحتاجك.

التفت إليه، فتزعزعت مقلتاها لتزعزع معها قلبه بصدرة، أوماً
لها يحثها، فتحركت تخطو نحوها، أما جنات فرجليها تسمرتا
على الأرض، تعلنان عن عصيانها لصاحبتهما فمط زيد شفثيه
يلاحظ نظراتها التائهة، لا تعلم ماذا تفعل؟ إنها فعلا طفلة
مدللة، ابتسم للخاطر فاقترح عليها :

-لا أفضل من هذا الوقت كي تعبري عن صدق مشاعرك
نحوها .

نطقت بتيه : - أنت لا تفهم .

فرد عليها بينما يهز كتفيه :

- بل الجميع يفهمون، أنت فقط من يجب عليها الفهم .

قطبت بجهل تستدير إليه فهز رأسه لها، مستدركا بحكمة :

- ليس كل ما يهواه القلب يسعدنا وليس كل ما يقرره العقل

يتعسنا .

تحركت أخيرا تقلب كلماته في عقلها، فلمحت بيلسان تفتح

ذراعيها بلهفة حين لمحت شقيقتها التي حضنتها بقوة

استغربتها الأخيرة :

- الحمد لله أنك أتيت أور، أنا سعيدة بحضورك .

فلم تجد بدا من القول بخفوت :

ماذا تفعلين بيلسان؟ هل أنت واعية لقرارك؟ إنه زواج .

أبعدتها قليلا، لتنظر في عينيها تجيبها بسرور حقيقي، لم تظن

بأن هذا ما ينقصها، أن تحضر شقيقتها فتشعر بالدعم وبعد

سرور عمتها هدأت نفسها أكثر وأيقنت بأن قرارها في محله :

-بلى، أنا واعية .

رمت نزار بنظرة حنان ضربت نضال المتابع بذهول لم يغادره

بعد في مقتل، تكمل :

-سأكون سعيدة معه بإذن الله، أنا متأكدة .

دهشت أور تخبرها بقلة حيلة :

- إن كنتِ متأكدة، أنت حرة، أهنتكما .

تدخل نزار، يعقب بمرح وتأثر بصدق وحنو نبرة بيلسان وهي
تجيب شقيقتها :

- على الأقل توأم أحدنا يهنتنا يا بيلسان، التفتوا إلى نضال
المعني بكلامها في نفس الوقت الذي وصلت فيه جنات،
فرمقتها بيلسان بعتاب حزين بادلته بأسف تقبلته بيلسان بإمائه
مبتسمة، فأسرعت إليها ترتمي في حضنها باكية، تهمس لها
باعتذار :

- أنا آسفة أختي، سامحيني! أرجوك لا تفعلي شيئاً قد تندمين
عليه من أجلي، أتوسل إليك !

لهج قلب بيلسان بالحمد، جنات عادت إليها، بفضل من الله لم
تفقدتها، الآن فقط قلبها يرفرف بالسعادة ومستعدة لأن تكون
زوجة لنزار، هذا ما كان ينقصها أن تشعر بالدعم بالعزوة وإن
كان من الافراد المعدودين بحياتها :

أجابتها بيلسان بلطف وهي تحضن وجهها :

-أنا قد أفعل أي شيء لأسعد قلبك الطيب إلا الزواج فهو قرار
مقدس، لذا ارتاحي حبيبتى، فقرار زواجي من نزار نابع من
صميم قلبي .

كانت نبرتها صادقة ووثيقة لا تدع للشك مجالاً، فدفع رضوان
نضال تجاه أخيه يسر شفقة على حالهما.

اقرب منه يتأمله بصدمة، فيخاطبه بنبرة ذاهلة، ينازع ليسيطر
 عليها، فذاك شقيقه الذي لم تنصفه الحياة يوما من وجهة نظره
 كما لم تنصف الحياة أسرته، فهل سيضن عليه بفرحته الحقيقية
 الوحيدة في كل ما عاشه من أحزان؟

-مبارك لك يا أخي

تقبل مصافحته بداية، يجيبه بسؤال ذي معنى بلغه واضحا :

من قلبك يا ابن أمي وأبي؟

ارتعش كليا بينما يجيبه بحالة غريبة لم يسبق أن تملك من
 بدنه : - بلى يا توأمي، من صميم قلبي .

سحبه نزار يضمه بقوة استسلم لها الأخير برضوخ أشعره
 بالتعب فجأة، لم يرفع ذراعيه ليبادل الحزن، لكنه استسلم
 هنالك، بحاجة لذلك الحزن ومن شقيقه توأمه الذي همس في
 أذنه بخفوت لم يسمعه سواهما :

بسم الله الرحمن الرحيم ((الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
 وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ)) سورة النور، فكر في الآية جيدا، يا نضال، فربما قد
 حان وقت الصحوة يا شقيقي، تعال معي لن أقبل شهودا على
 زواجي، سواك أنت ورضوان، هيا !

لم تنظر إليه ولا مرة واحدة، لقد كانت محقة، خانه ذكائه تلك
 المرة أم تراه أرادها أن تعجب به هو! أن تحبه هو! شهد على

عقد سعادة شقيقه وتعاسته هو، لماذا كل ذلك الألم في صدره؟
 كيف سيتعايش مع كونها زوجة شقيقه؟ إنه يحلم بل كابوس
 وسيفيق منه أم أنه استفاق فعلا على زغرودة من حلق عمته
 السعيدة، تعلن عن وفاة قلبه و حياة قلب شقيقه.

تحرك صوان بعد أن عقد قران نزار و بيلسان تجاه من أصبحت
 أخيرا زوجته، وأمسك جانبي رأسها فوجم حين لاحظ عدم
 توازنها يتأكد من تناولها لمخدر معين، قبل أعلى رأسها ثم
 تأبط يدها يسحبها ليغادرا، استنكرت فعلته بوهن لكن الغلبة
 كانت له، فودع والدها وعائلتها بنفاد صبر، يتحجج لهم بعد
 وجهتهما ثم رحلا.

أما بيلسان فقد انضمت إلى مائدة العائلة الخالية سوى من
 عمته، تتوسط نزار وجنات من الجهة ثم قائمة التي أخرجها
 الخبر من مخبئها، فنضال انصرف ليلحق به رضوان مقررا عدم
 تركه الليلة وبعد مجاملات متعبة غادر الجميع، فصاحبت
 بيلسان نزار توصله إلى جناحه حيث توقفا أمام الباب تخاطبه
 برقة بينما تتأمل تفاصيل وجهه بحرية وراحة لأول مرة :

-نم جيدا لقد أتعبتك .

ابتسم بحنو ورفع كفها ليضعها على قلبه الهادر، يجيب
 بدفء :

-إن كنت الأمان والثقة وكل تلك المشاعر النبيلة التي تمثل لك
 حبا، فأنت بالنسبة لي حب عمري يا بيلسان .

احمرت بيلسان حين قبل ظهر كفها، فهمست بحياء : -نزار.

-يا قلب نزار .

رد عليها مبتسما ببهجة أضافت لنور وجهه نورا مختلفا أضفى

لملامحه ألقا جذابا، فابتسمت بتأثر تجيبه قبل أن تنسحب :

-السلام عليكم يا نزار، تصبح على خير .

رد عليها بهيام أطلق سراحه ليحفهما بدفء مشاعره الجياشة :

-وعليكم السلام حبيبة قلب نزار .

دخل تامر الغرفة الشبيهة بالأخرى التي كان فيها قبل قليل،
حيث لمح فتاة منزوية في ركن من أركانها، فحثه ديدو على
الدخول، مقترحا عليه :

-تعرف عليها ريثما نتمم صفقة صديقك .

تأكد من إقفال الباب ثم تفقد الغرفة حوله قبل أن يلعنهم سرا
حين لمح آلة تصوير صغيرة، مثبتة على لوحة فنية كبيرة، فلم
يجد بدا من التقدم بحذر ثم التوقف قربها تركا مساحة بينهما،
نظر إليها بجبين مقطب يبحث عن الفتاة في الصورة لديه، هذه
المنزوية مجرد خيال لها، ماذا فعلوا بها؟ الأصباغ الصاخبة لم
تفلح في طمس السواد تحت عينيها، اقترب أكثر، فانزوت أكثر
الى الركن وهو يستغفر ربه سرا قبل أن يفعل شيئا مهما

ليصوروه، فلا يشك أحد به وأجبر يديه على تلقف جسدها
النحيف جدا والمكشوف، فأنت بضعف خافت ليضمها هامسا
بأذنها : -ثقي بي وستخرجين من هنا حالا! رحم الله رشيد .

شعر بتصلبها مع ذكر اسم رشيد، فتشجع ساحبا إياها الى
إحدى الأرائك هناك، حيث أجلسها وجلس جوارها، يحزنه
استسلامها كأنها سلمت لليأس مقاليدها وبعد نصف ساعة
دخل ديدو، يخبره بطريقته المستفزة : - هيا يا وسيم، لقد
أحضرنا الأخرى، و صديقك في انتظارك خارجا.

انتفضت سعيدة من مكانها كمن بها مس، فنهض تامر وضمها
يحاول ثنيها عن أي رد فعل قد يؤذيها لكنها تشنجت وحاولت
الإفلات منه قبل أن تسكن حين صاح ديدو بحنق :

-هل اشتقت لصعقة كهربائية يا جميلة؟

انتفض بدنها رعبا، فعقب تامر مصدوما :

-أتركها، تعجبني هكذا .

هدأت دقات قلب تامر النافرة غضبا حين أقعدها على مقعد
السيارة الخلفي، حيث طوقها بحزام السلامة وأقفل عليها
الباب ثم التفت إلى صديقه الذي يمثل دوره البارء ببراعة،
فأشار له ديدو قائلا :

-انها في السيارة، مخدرو كما طلبت، سيحضرها لك .

قاطعته نوفل بإشارة من يده ثم خطا بقلب وجل نحو السيارة،
يدعو ربه أن تكون هي وقد كانت، استسلم للحظات للشفقة

والحزن على وجهها المتورم للغاية وبعض الدماء اليابسة على
 جانبي ثغرها، فلمعت عيناه غيرة حين لاحظ ما ألبسوها من
 فستان مكشوف ثم شعرها الذي تمنى أن يلمح طيفه بعد أن
 تحجبت، مفرودا بحرية حول رأسها.

حل عليه الغضب من جديد، فحملها ثم وضعها بجانب
 الأخرى المذعورة في نفس اللحظة التي تحدث فيها ديدو ويتسم
 بسماجة :

- أرجو أن يتكرر لقاءنا هذا، وإن أردتم إعادة البضاعة بعد
 الاستهلاك، سنعيد إليكم خمسة بالمائة من الثمن الذي
 دفعتماه .

أشار له تامر باسمها بهدوء وصبر تعلمه خلال السنوات الماضية الطويلة، وحين استقلا السيارة وانطلقا بها تنفسا الصعداء أخيرا، فقال نوفل بحقد :

- أقسم حين نحقق هدفنا، لأكونن من يغير على الفيلا وأول من ستصيبه رصاصة طائشة هو الممسوخ هذا .

ضحك تامر بغير مرح رغم ما يعتريه من راحة، لقد استعاد أمانة رشيد : - الحمد لله يا نوفل ... الحمد لله .

ثم استدرك حائرا : - أين سأخفيها يا نوفل حتى تصبح أفضل ويقبض على المجرمين؟

فكر نوفل لبرهة قبل أن تلمع الفكرة برأسه، يجيبه بيقين :

-بيت العم سعيد .

سأله تامر برجاء : -هل أنت متأكد؟ هل سيقبلون؟

ليجيبه نوفل بثقة : -بكل تأكيد إنها أفضل طريقة، ليسهل على
بنفسج التواصل معها.

هز تامر رأسه يفكر بأنه حقا أفضل حل مناسب لها، خلفهما
مباشرة سعيدة تنظر إلى المخدرة بجانبها مشفقة، فهي تعلم
كيف عاملوها وماذا أعطوها، فقد كانت مكانها لشهر ويزيد،
تنبتهت إلى حديثهما رغم تعبها القاتل، فهي قليلا ما كانت
تستسلم لسلطان النوم، فالرعب لا يسمح لها وما إن تأكدت من
أنه هو! من كان رشيد لا يتوقف عن التحدث عنه، بطلها
المغوار الذي ظلت تنتظره مصدقة بقدومه لأجلها حتى راحت

في سبات عميق تستشعر الأمان الذي فقدته برحيل أهلها، لتظل وحيدة، مكشوفة ولقمة سائغة لمن هب ودب، التهديد الذي عاشت به لأيام كثيرة جعلها تنتفض مستيقظة من مجرد وقوف السيارة فراقبت بعينين حذرتين نوفل يجمل سلوى، يتجه بها سريعا إلى البناية يتلحف بظلال الظلام من أعين فضولية إذا وجدت.

هم تامر بالحديث معها، فترجلت من السيارة ووقفت مطرقة برأسها تصغي إليه :

- سأتركك عند العم سعيد، إنه والد الفتاة التي كانت بجانبك، لديها أيضا والدة وأخت، سيعجبك المكان، يجب عليك الاختباء إلى أن يقبض عليهم جميعا .

لم تجبه كما لم تستطع اخباره بأن تلك الفتاة الفاقدة للوعي قد سبق لها رؤيتها في الدار لكن دون معرفة شخصية بينما هو فكر بأنها رافضة، يبحث عن طريقة لإقناعها قبل أن تهمس بتردد وارتعاش : -م.....متى...س....ستزورني؟

اتسعت عيناه من سؤالها، هل تعرفه؟

رشيد أخبرك عني؟

هزت رأسها بخفة، فابتسم براحة يقول :

-طبعا سأزورك وحتى إن غبت عنك، سأظل أركعك من بعيد، فلا تخشي شيئاً إلا خالقك .

في بيت العم سعيد بكت سيدة بحرقة حين لمحت حالة ابنتها
المزرية، يحملها نوفل ويدخل بها إلى غرفتها حيث وضعها
على سريرها ثم رماها بنظرة أخيرة غامضة قبل أن يغادر.
لحق به والدها وتوقفا في الردهة حيث أخبره ببرود يخفي به
غضبا حارقا لصدرة :

-ضربوها و خدروها، لا شيء آخر يا عمي .

هز رأسه بغم وهم أصاباه بعذاب لا يطاق طوال الفترة التي
انتظر فيها عودة نوفل بابنته، ما كان يخشاه وقع :

- لا يجب أن تخرج من البيت لأي سبب كان، ما تزال معرضة للخطر وحين يزول سأعلمك وأوصيك خيرا بالأخرى يا عمي، لقد تعذبت كثيرا .

نظر إليه بامتنان حقيقي، يشد على كفه بينما يجيبه :

- لا تقلق عليها، شكرا لك بني لن أنسى معروفك وأنا أحلك من كل التزام نحوها، أنت حر إن أردت تطليقها رسميا، وأرجو أن تسامحنا بني .

أشفق عليه من خيبته وكسرة نفسه، لا يحب رؤيته بهذا الوضع، فسارع للاعتذار إليه :

- لا يا عمي، لا تعتذر، أنت أحسنت تربيتها، فهي محترمة
وعفيفة لا شك أبدا، لكن طبعينا لا يتوافقان وأتمنى لها رزقا
أحسن مني، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كانت مجرد كلمات نطقها تحولت إلى سكاكين قطعت
أحشائه إلى أشلاء دون رحمة، يهمس لنفسه :

- كيف سيكون حاله، إن فعلا تحولت الكلمات إلى واقع؟

استغرقت الرحلة زمنا طويلا، فتأففت بضجر تململ على
مقعدتها، فالتفت إليها يسأل بلؤم : - ما بك يا عروسي؟

قلبت شفيتها قرفا، تجيبه بنبرة غير متزنة :

- أنا لست عروسك، ثم إلى أين تأخذني؟ لقد خرجنا من
المدينة قبل مدة .

رد عليها بنفس بسمته الماكرة :

- اقتربنا اقتربنا جدا يا عروسي .

تأفتت من جديد وعادت إلى الصمت حتى أوقف السيارة،
فترجلت تتفقد المكان حولها، الظلام لم يسمح لها بأخذ فكرة
شاملة عن المكان لكنها تعلم يقينا بأنها قرية، رائحة الزرع
والجدران الطينية أعلمتها بذلك رغم عدم تركيزها.

فتح باب البيت الحديدي، فأشار لها بالدخول، رفعت جانبي
فستانها وتقدمته، أقفل الباب وتبعها يرمق ظهر فستانها

بغموض ماكر ثم فتح لها بابا آخر داخلي، ليستقبلها بهو كبير غير مسقف مبني على الطريقة التقليدية، مساحة واسعة، تتوسط قاع البيت، إليه تفتح جميع أبواب الغرف ووسط المساحة المزينة ببلاط تقليدي أصيل نافورة ماء يسمع خريها الخافت طوال الوقت.

تقدمها الى إحدى الغرف وفتح لها الباب لتدخل إلى غرفة واسعة بسرير حديدي من الطراز القديم عليه شرشف يبدو جديدا، وخزانة ملابس في الجهة الأخرى.

تفقدت المكان باحتقار وتكبر، توجه حديثها لصوان الصامت يتابع ردة فعلها :

-لماذا لم تخبر والدي بأنك غير قادر على تحمل كلفة شهر

العسل بمكان راق، كان ليصرف على ابنته الوحيدة بسخاء .

اقترب منها ووقف قبالتها، يجيها مبتسما بغموض :

-هذا ليس شهر عسل، هذا بيتنا...يا عروسي .

تجمدت قليلا ثم قالت بتهديد:

-أنا لن أعيش هنا لحظة واحدة، أعدني إلى منزلي حالا !

ضحك ساخرا، فاستطردت بعبوس عصبي :

-سأهاتف والدي ليأخذني من هنا .

تلقت حولها ثم خطت نحو الخزانة، فتحتها فلم تجد

أغراضها، تصيح بجزع : -أين أغراضي؟ حقائبي؟

أجابها بهدوء يدس كفيه بجيبي سرواله :

-تركتها في منزل القناص، أنت لست بحاجة إليها، لقد اشتريت

لك كل شيء ستحتاجينه هنا بيتنا .

ضربت الأرض برجليها، تصيح مجددا :

-أريد أغراضي، حالا! وبابا أيضا .

تقدم نحوها من جديد لكن بملامح قاسية جعلتها تتراجع

خطوتين، فنظر بعينها يقول بحزم أرعبها :

-انسي كل ذلك يا دليلة، الذي تدعيه والدك باعك لي وقبض

الثلث بل مازال يقبضه .

ذكرها بما تحاول درأه بمشقة، فاشتد غضبها تصرخ بحمق :

- إن لم تعدني إلى منزل عائلتي حالا! سأصرخ وأجمع عليك
الناس يا حقير!

أغمضت عينيها خوفا حين رفع كفه وضرب أحد أبواب
الدولاب خلفها، يقول بهدوء خثير : - لا أحد هنا سيسمعك
مهما صرخت لكن على العموم جربي!

ثم استدار مغادرا، فسألت بريية :

- لماذا تفعل هذا؟ لماذا أحضرتني إلى هنا؟

تأملها للحظة قبل أن يرد عليها بوجوم :

- حين تكونين مستعدة، سأخبرك!

دخلت متسللة على أطراف أصابعها، أقفلت الباب بخفوت ثم همت بالتقدم كما دخلت إلا أن صوتا خطيرا أرب قلبها فانحسرت له خطواتها : - ما زال الوقت باكرا يا سحر .

شهقت بحدة تلتفت إليه بينما يقف بركن مظلم، فأدار زر الإنارة، يتأمل فستانها ببرود :

- فستان جميل يا سحر، هل استمتعت بحفل العرس؟

بلعت ريقها تجيبه بجزع : - أنا.... سامي... أنا... ..

جعد ذقنه يسألها بوجوم : - هل يستحق ذلك الزفاف ترك طفلك، فلذة كبذك مريضا يعاني ألم الحمى؟

تهريت بعينها وأنفاسها متلاحقة بينما هو يكمل بمرارة :

-هل يستحق ذلك العرس اللعين موت ابنا يا سحر؟

جحظت عينيها فزعا وصدمة، فضحك ساخرا يعقب :

-كيف أسألك وأنت كنت ستقتلينه بيديك وأمي أيضا .

نطق آخر كلامه بصياح عصبي هز بدنها، فردت بتوتر وارتباك :

-م...ماذا تقول يا سامي؟ أنا...لم...

-بلى فعلت يا سحر وبشهادة الأطباء، أُمي و ابني في العناية

المركزة بسببك، بسبب المنومات التي كنت تخدرينهما بها

لتخرجي الى صديقاتك وسهراتك وأعراسك! لأول مرة أحمد

الله على السفه الذي تعاني منه قوانين بلدي، فلولا ذلك لتورطنا

مع الشرطة وفقدت طفلي بسببك .

بدت تائهة تمسد على شعرها وجانبي رأسها، تنفي عن نفسها
بشاعة ما اقترفته بيديها : - لا... أنا... لم أنا ...

أمسكها بيديه ليثبتها ناظرا إلى عينيها بتهديد مباشر :

-لأنني شريك في ما حصل بشكل أو بآخر، قررت عدم تقديم
شكوى للشرطة لكن حين أخرج أمي وصغيري من المستشفى
لا أريد أن أجدك هنا بل لا أريد رؤيتك أبدا بعد اليوم، أنت
طالق يا سحر، طالق !

الفصل الثاني والعشرون

{من ساء خلقه عذب نفسه.....الحسن البصري}

فجرا

جناح بيلسان

تلك الليلة من الليالي التي يطير فيها النوم بعيدا، كلتاهما
مستلقتين قرب بعضهما وفكرهما يستولي عليه اسم واحد...

نضال!

بيلسان يخاطبها باطنها (أصبحت زوجة في عصمة رجل، هل
أنت متأكدة من قرارك؟ وذاك الذي رمقك كأنك خنته؟ ما
موقعه من الإعراب؟ وكيف ستعاملين معه مستقبلا؟ اليوم مثلا

حين تلتقين به) تدخلت مستنكرة على باطنها (وما شأنك به؟
 ستعاملينه كما كنت تفعلين من قبل، إنه لا يناسبك، ضعي جيداً
 هذا في حسابك لكن نزار في المقابل أكثر من مناسب لقد أصبح
 لك حماية وأمان والأهم هو ملتزم، حنون ويحبك) ابتسمت
 ببلاهة حين تذكرت اعترافه لها بكونها حب حياته، فتساءل
 كيف لشاب مثله، أن لا يحب من قبل؟ ألم يسبق أن تقرب من
 احداهن؟ عبست فجأة، وهي تفكر في قربه من أخرى، فرفعت
 حاجبها تفتح فمها بدهشة *هل تغار على نزار؟* مطت
 شفيتها بخفة والصوت في عقلها ينعتها بالغباء، طبعاً أليس
 زوجها! ستغار عليه وتحبه بالتأكيد ولن يملأ تفكيرها غيره .

بالقرب منها جنات تسترجع ملامح نضال المصدومة، لتعترف
لنفسها بأنه فعلا وقع في حب بيلسان أم أنها فقط صدمة عدم
حصوله على شيء أرادته، لا بد أنه كان مدللا جدا وتعود على
الأنانية منذ صغره. قفز فكرها إلى طفولة أخرى صعبة على
كل المقاييس، يتم وتشرد واغتصاب، فلمعت عينيها وهي
تتصور ذاك الضخم طفلا صغيرا، متشردا، وحيدا وخائفا،
كيف تحمل؟ وكيف كبر ليصبح ذلك الرجل الصلب،
المسؤول بدل أن يضيع ويصبح مجرما؟ فتلك النهاية المتوقعة
للمتشردين في الشوارع. تذكرت حوارهما فابتسمت حين
استرجعت حرصه عليها كأنه يخشى أن تختفي كالوهم، دقائق

خفيفة على الباب جعلتهما تنتفضان بخفة، فنظرت كل واحدة
منهما إلى الأخرى بتساؤل صامت.

-أظن أنه العريس السعيد، لم يتحمل الانتظار إلى شروق
الشمس .

علقت جنات باسمه بمرح، فرمقتها بيلسان بعبوس معاتب
وهي تنهض لتفتح الباب بترقب وجل انقلب إلى دهشة حين
قابلها وجه توأمها التعب والخالي من الزينة :

-ص..... صباح الخير، هل كنت نائمة؟

أومات بلا تتأملها، فتابعت أور بتوتر وارتباك واضحين :

-هل يمكنك مرافقتي إلى جناحي؟ أريد التحدث معك .

ثم نظرت إلى جنات الواقفة خلفها، فأضافت بتردد :

-على انفراد .

التفت بيلسان إلى جنات التي هزت لها رأسها بإيجاب،

فخرجت تقفل الباب ولحقت بها بينما تتفحص منامتها الزرقاء

ذات النجوم البيضاء وتلك الخصلات المشعته حول رأسها،

فبدت كطفلة صغيرة دون تلك الزينة الصارخة، طفلة حائرة

بمقلتين متزعزعتين :

-أعلم بان منظري غريب لا يناسب فتاة في عمري .

تفاجأت ثم ابتسمت بحنان، تجيبها :

-هذه أكثر إطلالة نالت إعجابي من بين كل اطلالتك السابقة .

ضمت شفيتها تعيد خصلاتها خلف أذنيها، فاستطردت بيلسان

بعد أن أصبحتا داخل جناح أوركيدا : - ماذا هناك حبيبتى؟

فركت أور كفيها بينما تنظر إليها بطريقة أعادت بيلسان سنوات

إلى أول لقاء بينهما، عيناها غير ثابتتين رغم اختلاف الملامح

حينها رافق الحقد ترقبها أما الآن فما يرافق ترقبها الحيرة وعدم

الفهم : - كيف تكونين هكذا؟

عقدت بيلسان جبينها دلالة على عدم استيعابها، فاستدركت

أور مفسرة :

- أعني، أنت تضحكين وسعيدة كأنك لم تدمري حياتك للتو .

ارتفع حاجبا بيلسان وشقيقتها تتابع البوح بأفكارها :

- كيف تقررین الزواج دون تفكير عميق؟ كيف لم تستشيريني
على الأقل قبل أن توافقي؟ ماذا لو كانت خطتهم ليستولوا على
حصتك؟ ماذا لو؟

قاطعتها بيلسان بهدوء : -اهدئي أوركيدا .

-اسمي أور !

نطقها بعصبية، فقالت بيلسان باستسلام مهادن :

-حسنا أور ...اهدئي أختي !

سكنت تلتقط أنفاسها، فأردفت بيلسان بهدوء بينما تقترب
منها : -حببتي! أنا طلبت من نزار الزواج مني.

كان دور أور لتفغر فمها بصدمة رسمت الضحكة المخرجة
على شفتي بيلسان قبل أن تختفي كليا مع استدراك الأولى
المصدومة : -لكنك تحبين نضال .

انقلبت ملامح بيلسان إلى عبوس رافض، فحذرتها أوركيدا :
- لا تحاولي الإنكار، لا تنسي بأن لك نفس ملامحي وأعلم
جيدا تعابيرهم والأهم أشعر بك .

جلست بيلسان تتنفس بعمق وأغمضت عينيها قليلا ثم
فتحتها، تقول بهدوء علّها تعبر عن نفسها جيدا :
- اجلسي أختي وأصغي إلي بتفهم .

جلست قبالتها مترقة ومتفحصة لملامحها بينما تخاطبها
بهدوء :

-هوى النفس غريب جدا يا أور، من عادة الإنسان أن ينجذب
إلى حثفه والقليل من يكون حكيما لينقذ نفسه من الضياع
والعذاب، قبل فوات الأوان .

ضمت أور حاجبها تفكيرا بينما هي بيلسان تضيف :

-العين من عاداتها الإعجاب بالشيء البراق اللامع، فترسل إلى
القلب إشارة كي يفتن به، فيطلب من العقل أن يسعى إليه
هنا ...

صمت قليلا ثم أكملت :

- قد يكون الإنسان متحررا، لا ضوابط ولا مبادئ، فيلغى العقل في سبيل الحصول على ذلك الأمر ليفضي بعدها إلى نتيجتين إما أن يكون الأمر البراق ذو لب صالح، للأسف هذا لا يحدث دائما، إذ أن العكس هو الغالب، حين تنقشع القشرة اللامعة ويظهر اللب الأسود العفن، لكن حين يكون الإنسان مؤمن بخالقه وبحدوده وضوابطه ودائم الاستخارة والتوكل عليه يمنحه الله حكمة التفكير والتأني، فيرى الحقيقة بعيدا عن البريق الخارجي، بل ويرى الصلاح وأين يكمن ويدفعك الله للسير إليه وحين يرزقه لك يبارك لك فيه .

قطبت أور تعبر عن الذي توصل إليه فهمها :

-يعني ربك جعلك ترين نضال مجرد قشرة لامعة بكل وسامته
وماله وذكائه؟ وترين الصلاح في نزار الأعمى الذي لا يستطيع
حتى تسيير حصته في الأموال؟

حاولت التماسك والهدوء قدر الإمكان بينما الأمر الآن أكبر
من الدفاع عن قرارها :

-أور! نزار ليس عاجزا والله هو الرزاق والحافظ، لا تنسي بأن
الله حافظ لك على إرثك من والدتك إلى أن عدت، ما كنت
حتى تعلمين عنه لولا بحث العميد عنك وحضوري للرحلة .

حركت أور رأسها ترد برفض: -بل الأمر كله صدفة .

ابتسمت بيلسان تقول بيقين :

-انت تعتبرينها صدفة وأنا أومن بأنه الله وقدره الرؤوف بي،
كما أنا متيقنة من أنه سيحميني كما يفعل دائما ويسعدني و
يحفظني من كل سوء.

سألت بشك تبدو عليها الحيرة :

-يعني أنت متأكدة من أن ربك سينجح زواجكما أنت ونزار؟
أومات مؤكدة، تفسر :

-بلى، لأنني اخترت حسب حدوده وضوابطه عز وجل،
فأحسن الظن به وأسأله بركته .

-حدوده؟

قاطعت بفضول، فردت مبتسمة :

- ربي جل جلاله لم يترك لنا تفصيلا من تفاصيل حياتنا إلا وأوحى لرسوله الحبيب عليه الصلاة والسلام بحدوده وضوابطه، ليعلمنا، وضمن ذلك اختيار الشريك أهم نقطة في الزواج وعليه تقوم الأسرة والسعادة الزوجية .

حكّت أور رأسها بحيرة، فابتسمت بيلسان لأنها فعلا تظهر كطفلة تائهة ورقّت نظراتها مشفقة عليها :

- أوصانا الله عزو جل عند اختيار الزوج، أن نبحث عن الشاب المتدين المتخلق بأحسن الأخلاق وحين نجده نستخير الله لأن مهما حكمتنا على أخلاق شخص ما، نجهل ما يغيب عنا، فلنا الظواهر فقط والله يعلم ما يخفيه الإنسان وما يبيديه، فنتوكل عليه ونفوض إليه أمرنا، فإن كان الاقتران بذلك الشاب فيه

صلاح لي يقدره لي ويبارك لي به وإن كان خلاف ذلك يبعده
عني لكن بالمقابل يجب أن أتحدى بما أريده من غيري .

-يعني؟!!

بدا عليها الاستيعاب وهي تتساءل، فأكملت :

-يعني أن الله لا يحب الظلم ودائما ما يكون عادلا حتى وإن
ظننا العكس، سأعطيك مثالا، إن كنت لا قدر الله سيئة الخلق
وبحثت عن شاب صالح لن أتزوج سوى مثلي، مهما ظننت
نفسي ذكية ولو حدث وتزوجت صالحا وأنا بخلقى السيء لم
أتغير لابد الله سيرحمه مني يوما ما حين تنفذ حكمته من ذلك
الاقتران ثم يرزقه بمن هي أفضل مني .

حركت رأسها دلالة على الفهم، فأضافت بيلسان :

-الله لا يظلم مثقال ذرة أبدا يا حبيبتى، وحين يؤمن العبد بذلك

ويتصرف على أساسه يتصالح مع نفسه في عز محنه .

قلبت شفيتها لبرهة، تفكر ثم قالت بتيه :

-وماذا إن لم تحبى نزار كما أحببت نضال؟

أومأت بيلسان سلبا، تجيبها ببوح خاص :

-أور! سأخبرك بشيء لم أخبر به أحدا من قبل.

رمقتها بفضول وذلك الشعور بأن يجمعها بشقيقتها التوأم

أسرار خاصة وشراكة بشيء ما يؤثر بقلبها ويرسل دفئا جميلا

عبر أحشائها :

- أعجبت بنضال قبل سنوات حين التقيت به أول مرة بالرحلة،
 كنت حينها فتاة صغيرة بلهاء حالمة وهو كان وسيما جدا،
 جذابا أكثر من المعتاد، نظيف وأنيق، مظهر لا يراه من هم من
 بيئتي سوى في التلفاز أو مجلات الموضة وأنا كنت ساذجة
 منبهرة به، رغما عني ظل في ذاكرتي في مكان بعيد، يزور
 كوابيسي ويهونها بما يشكله لي من خيال حالم خصوصا وأنني
 كنت على علم بأنه ابن عمي، وهذا ما أثر بي حين التقيت به من
 جديد لكن بعدما فعله بجنات وما أعلمه عن أخلاقه خصوصا
 الكبائر....

-الكبائر؟

سألت من جديد تبحث عن ضالة ما بها، فردت عليها بيلسان
بينما تضم كفيها :

-إنها ذنوب عظيمة يترتبُ عليها حدُّ في الدُّنيا ووعيدٌ في الآخرة،
منها الزنا وشرب الخمر على سبيل المثال لا الحصر، ومادام
نضال لم يتب منها ويلتزم بالطريق المستقيم يظل خيارا سيئا
وسيلقي بي إلى عذاب لن أتحملة وقد أكرهه في النهاية لا
محالة، أما نزار فكما رأيت النقيض بعينه، أخلاقه حسنة
ويحترم الحدود ما استطاع ولا يأتي الكبائر، وهذا ما دفع بي
لأعجب به وأفضله على شقيقه ولاحقا إن شاء الله بمعاشرته
الطيبة سأحبه أكثر، فالقلب السوي مجبول على حب من
يحسن إليه.. وأساس نجاح الزواج تقوى الزوجين الله في

بعضهما، يحترمان ويراعيان ويودان ويرحما بعضهما وهذا
يتحقق بالصبر والكثير من الصبر .

عضت شفتها تتابعها بتركيز ثم سألتها بتوتر لاحظته بيلسان :

-قلت من شروط اختيار الشريك أن يكون متدين؟

هزت رأسها، تؤكد قولها:

-طبعا حببتي، الله يحثنا على اختيار من يعيننا على ديننا،

ويأخذ بيدنا إلى طريقه وليس من يبعدك عن كل طاعة ولا

يمنعك من المعصية .

حركت رأسها مستغرقة في التفكير، فهمت بيلسان بالتحدث

لكن صوت جلبة في الرواق خارج الجناح لفت انتباههما،

فتحركتا بسرعة وفتحت أور الباب، لتلمحا نضال يحاول
الفكاك من قبضتي رضوان بترنح والأخير يسحبه بعيدا يهتف
بخفوت :

-نضال ستفضحنا، لا يجوز ما تفعله، هيا إلى جناحك .

نظرت أور إلى بيلسان، ترمقها بقلق وجنات تفتح الباب في
نفس الوقت الذي يجيب فيه نضال بنبرة توصل متذبذبة من
السكر : -أتركني ر...رضوان، أنا لن أتهور، أنا سأطلب منها
أن لا تفعل بي ذلك فقط، سأخبرها أنني أحبها ...س

صمت حين رآها أمام جناح شقيقتها، فتملص من رضوان
واقرب منها ليجد أور في وجهه تقف بينهما بوجه بارد
الملامح، نظر إليها ثم رفع رأسه إلى القابعة خلفها، ترمقه بخيبة

و حزن : -بي...بيلسان، اسمعي! أنا لست سيئا كما تعتقدين،
 أنا لم أكن ألهو بك، ولم أفعل مع أي فتاة بعد أن تأكدت من
 حبي لك...بيلسان!

تجمد الجميع بيمن فيهم جنات، فقالت بيلسان بأسف :

-أكدت لي من جديد أنني مصيبة بقراري، لأنك فاقد للرجولة،
 فالرجل لا يحدث زوجة أخيه بهذه الطريقة، لا يأتي ثملا إلى
 غرفتها فجرا يطلب ودها وترك شقيقه، أنت لست رجلا يا
 نضال!

تقدم بغضب فدفعته أور ليعود بجسمه مرة أخرى كي يزيحها،
 فأصابها في وجهها بالزر الحديدي لكم قميصه.

أمسكت بخدها المخدوش تطلق آهة ألم في نفس الوقت الذي
 شهقت فيه جنات وصاحت بيلسان بغضب تضرب على أعلى
 صدره بقبضاتها وقد طوقه رضوان قبل أن تهرول إلى شقيقتها :
 -أيها السكير! ابتعد عني! أكرهك ولا أريد رؤيتك بعد اليوم .

عاد إلى الخلف مصدوما ومستسلما لرضوان الذي يعاتبه
 بحدة : -نضال ما الذي فعله؟ أفسدت كل شيء وستندم حين
 تستفيق، هيا إلى غرفتك !

استسلم لسحب رضوان وهو ينادي على أور بعدم اتزان :

-أنا آسف... لم...! أور... لم... لم أقصد !

-أيها الأحمق لي حديث معك حين تستفيق من سكرك، غبي !

ألقها أور بحنق مغيض وبيلسان تضغط على الجرح بطرف
 وشاحها، لتحبس نزيفه : - حبيتي يجب أن نذهب للمستشفى
 ..حالا! يا إلهي! ما هذه المصيبة؟

أمسكت أور كف شقيقتها تجيبها بلطف، فتأهبها من أجلها
 وخوفها حين رأت الدماء على وجهها أثرت فيها بعمق إذ لم
 يسبق أن شعرت بخوف أحدهم عليها أو الاهتمام بها وهذا
 الذي تتلقاه منها أو من أسد يرقق قلبها بطريقة لا تتحكم بها :
 بيلسان، جرحي لا يحتاج لمستشفى، مجرد تعقيم ولصاق
 طبي، أعلم أنه سيزين وجهي لمدة... لكن لا بأس!

بعد مدة كانت بيلسان قد عقلت جرحها ووضعت لها لصاقا
 طبيا، تتأسف لها كل حين أمام جنات المراقبة للوضع بوجه لم
 يتخلّ عن أمارات الصدمة بعد :

-لماذا تتأسفين عن ذاك الأحمق! وبالمناسبة ...

نظرت إليها بيلسان بتساؤل، فتابعت مبتسمة بمرح :

-أنت محقة بشأنه، ذاك الغبي لا يستحقك ونزار أفضل منه
 بكثير .

ابتسمت بيلسان بياس وضممتها بحب، فتصلبت أطرافها قليلا
 لكن ما لبثت أن رفعت ذراعيها وطوقتها تسمح لنفسها بأن
 تستمتع بدفء محب صادق لم تكن تعلم بوجوده من قبل وفي

تلك اللحظة هجم عليها شعورا آخر مشابها بطريقة مختلفة
نحو الذي يتأهب دوما لحمايتها فارتفعت دقات قلبها تبسم
ببلاهة، تنطق دون وعي :

-تهاني لك أختي !

بيت السيدة حليلة

على سريرها تتقلب لبنى حيرة ووجعا، وجع النفس والخاطر
الذي يهمس لها بألم (الوزير يتعمد الابتعاد عنك، لا يأتي
للمكتب إلا لمما وكل مرة تحاولين فيها الاقتراب يبتعد ويضع
الحواجز بينكما، لماذا يا ترى؟ هل يخشى تعلقك به؟ لكنني لا

أمانع، أريد حبه واهتمامه، إنه رائع بكل المقاييس ولا يمكنه
 الاقتراب مني إلا بالزواج!) ضغطت على شفيتها بعبوس
 شارد، تسترسل بفكرها (لكن هل تعلمين معنى زواجك منه؟
 سيكون له حقوقا عليك تفوق ما تطلبينه وتحتاجينه هل
 ستحملين؟ وإذا فعلتِ إلى متى؟ الفرق بينكما كبير).

- أف !

استدارت على شقها من جديد، تنهد بسأم ثم همست
 بسخرية : - لا يشعر بك من الأساس ثم ..

انتفضت جالسة حين تناهى إلى سمعها صوت جرس البيت
 فأسرعت خارجة تلتقي بوالدتها الخارجة من غرفتها هي
 الأخرى، ترمقها بخوف .

أشارت لها لبنى بيدها وتقدمت إلى الباب لتنظر من العين
السحرية ثم استدارت إليها كمن لمح شبحا للتو، وبشرتها التي
تحمرب بساطة خلت من الدماء.

اقتربت منها والدتها متسائلة بحيرة ورنين الجرس لا ينقطع،
فبلعت لبنى ريقها ومدت يدها تفتح الباب لتشهب حليلة
بصدمة تتجمد مكانها بينما ترمق زائر الفجر ينظر إليها بصلافة
وغضب.

حل الصمت القاتل يتناظرون فيما بينهم لتهتز قلوبهم مرة
واحدة، كل واحد منهم لسبب مختلف حين انضمت إليهم
سمرا تتساءل بنبرة ناعسة :

-ماما؟ من يضغط على الجرس بتلك الطريقة... وفجرا؟

فتحت سمرا عينيها على وسعها لتبين الأشخاص أمامها
وهي تغطي فمها من الثاؤب، فتلاحقت أنفاس حليلة تنظر
بالتناوب بين سمرا ووالدها الذي تحدث أخيرا يقول بسخرية :
-لماذا لا تجيبها يا حليلة؟ أو ما رأيك بأن تتركي لي تلك
المهمة؟

همست حليلة بأنفاس لاهته : -من فضلك، فؤاد !

اشتد غضب لبنى، فتدخلت بهدوء غاضب :

-أمي... كفي عن التوسل ! إنه لا يستحق.

ثم التفت إليه وقد ألجمه حقد ابنته عليه :

-وأنت يا سيد، أخطأت العنوان، هنا لا أحد يقربك أو يعرفك .

تلوى قلبه عذابا بقدم سنوات ابنته الصغرى، طمسه بعجرفة يرد
عليها : -لماذا لا نخبر الصغيرة من أكون؟ وندعها تختار إن
كانت تقربني أو لا مثلما اخترتِ أنتِ؟

كتمت حليلة شهقة بكاء بكبرياء مجروح، ترمق ابنتها المراقبة
للمشهد الغريب بإشفاق : - ماما، من هذا الرجل؟

سألت سمرا بريية ترى والدتها في موقف ضعف لم يسبق لها أن
رأتها به من قبل، فتوترت لبني تفرك كفيها ببعضهما، لي فؤاد
وهو يقترب منها بنظرات متفحصة تتسابق لتأمل ملامحها :

-أنا فؤاد القناص، والدك

بيت أسد

أنهى أسد ورده اليومي ثم وضع المصحف مكانه ليستلقي على
سريره، فكره لا يسعفه، دائما ما يهرب الى تلك اللحظة المرعبة
بالسيارة، أسرع دقات قلبه من جديد ولمع لون العسل في
مقلتيه، يعترف بأنها وشمته قلبه بشعور لم يجربه من قبل.

تنهد بينما يرفع أنظاره إلى سقف غرفته وأسدل جفنيه بشدة
يحاول إبعاد ملامحها عن خياله وحضورها القوي يفرض عليه
جموحا لا يطيعه، ففتح عينيه على وسعهما قبل أن يتنفض واقفا
بحدة، يهمس بحزم كما بدأ بتمارين الضغط القاسية :

-سأنهي المهمة اليوم، سأخبرها ثم أذهب إلى العميد ليث،
يجب أن أبتعد عنها !

بيت العم سعيد

يبدو أنها ليلة طويلة على الجميع، فقد حل الفجر وما زال أهل البيت مستيقظين ينتظرونها لتعي من غفوتها، فوالدتها الباكية ما إن رأتها وعلمت بمصابها تولت مهمة تغيير ثيابها مع مروة المصدومة، كما قدمت لسعيدة ملابس أخرى والأخيرة طلبت منهما وشاحا فهي في الأصل متحجبة، وبعد أن استحمت لم تتوقف عن الصلاة في غرفة الفتيات، تبكي فرحا حامدة ربها على حفظه لها ورأفته بها، انضمت إليها سيدة ومروة والعم سعيد هو الآخر يصلي في غرفته مطولا السجود على غير عادته، مطلقا العنان لدموعه حمدا وتوسلا لخالقه بحفظ أسرته وشملهم بستره، وها هن سيدة ومروة مع سعيدة بعد صلاة

الفجر جالسات حول سلوى الغارقة بغيوبتها، بينما العم سعيد
في غرفة الجلوس يتلو آيات من الذكر الحكيم.

ترفع كفيها محاولة تسلق تلك الحفرة العميقة، حفرة مظلمة لا
ترى منها سوى ثعابين وعقارب يحومون حولها وهي تبكي
وتصرخ محاولة التسلق وكلما ظنت بأنها نجحت، تنزلق وتقع
من جديد، حتى رفعت أنظارها إلى أعلى الحفرة حين سمعت
نداءه باسمها، تمعنت لتأكد، فكان هو! يحرك شفثيه والغريب
أنها تسمع كلماته همسا في أذنيها رغم بعده عنها :

- أنت بأمان، أنت سالمة .

رفعت كفيها إليه تنشد منه الوفاء بكلماته، ففتحت عينيها على
حين غرة بشهقة قوية جارحة لحلقها، لتجد نفسها على

سريها في بيت أهلها الآمن كأن كل ما مرت به كابوس مزعج،
 تلفت حولها تلهث وتتأكد بأنها فعلا في بيت والدها وليس
 حلما تهرب إليه من واقع وقوعها بين مخالف المجرمين .

أجفلن من انتفاضتها المرعبة فضمتها سيدة بجزع تهدئها :

-بسم الله يا ابنتي... اهدئي !

سكنت حين التمسست دفء حضن والدتها، وانسابت نبرة
 صوتها عبر أذنيها، فضمت نفسها أقرب إلى جسد والدتها
 خوفا ورعبا من أن يتلاشى.

خاطبتها مروة مشفقة على حالة شقيقتها القوية دوما، ترتعد
 حاليا كفأر مرعوب : -سلوى حبيبتى أنت بخير؟

نظرت إليها بمقلتين فارغتين، مصدومتين، فاهتز قلب مروة
تدرك بأن شقيقتها أبداً لن تعود كما كانت، والوحيدة التي
تفهمتها وعذرت فزعها ولم تنصدم من ردة فعلها هي سعيدة،
فقد مرت من نفس العذاب بل أطول منها وأكثر رعباً من
عذابها.

استدرن حين صدح صوت العم سعيد، يقول بحزم :

-أريد التحدث معها على انفراد، الآن !

أبعدت سيدة ابنتها على مضض وقامت ليجلس أمامها يرمقها
بجمود يلاحظ ارتعاشها وإطراقها لرأسها، فمد يده ليرفع
رأسها وما إن تلاقت أعينهما للحظة سحبها إلى حضنه حيث
تركها تنحب بحرقة تندس بصدره بقوة، تود لو تدخل إلى

صميم قلبه فيخبئها هناك عن الأذى وبعد لحظات أبعدها
والدها بلين ومسح دموعها يقول :

-الحمد لله، قدر ولطف، كان من الممكن أن يفعلوا أكثر من
مجرد ضربك لكن الله رؤوف بعباده ونوفل أنقذك قبل أن ...
نظرت إليه جاחظة العينين، فأوماً مؤكدا يتابع :

-هو من بلغني بأنك خطفتِ حين اتصلت به بعد بحثي عنك
دون جدوى، وعدني بإعادتك سالمة وقد فعل.

ضمت شفيتها توترا، تفكر في شيء ما، فاستطرد بوجوم :

-كانت نبرته يائسة مصدومة وهو يخبرني بعدم ثقتك به وعدم
احترامك له .

حبست أنفاسها، ترمقه بصدمة من يتوقع القادم :

- طلقك بعد أن أعادك .

تدحرجت دموع الندم الحارة على وجنتيها، فأردف والدها

بحزن : - طلب مني أن لا تخرجني من البيت حتى يخبرني بزوال

الخطر، حذرني بأنك ما زلت بخطر محقق، لذا لن تخرجني من

هنا حتى يبلغني بالعكس .

تجمدت أطرافها، تتأمل الفراغ أمامها بضياح ووالدها يردف :

- لن أعاتبك، فالدرس كان قاسيا بما فيه الكفاية لتعلمي، ولن

أطالبك بالتوقف عن عملك، لأن ما فقدته ورأيتك بعينيك كفيل

بتعليمك إقامة ميزان بحياتك .

ثم استقام واقفا وانصرف بعد أن قبل رأسها وهمس لها :

-الجبني إلى ربك هو من سيأخذ بيدك ويفرج همك .

استلقت من جديد وجملة واحدة تكرر نفسها وسط عقلها :

-نوفل طلقني ...نوفل طلقني .

صباحا

*ثانوية الحسن البصري *

جلس على إحدى الدرجات الثلاث الممتدة مع سور المدرسة

يتأفف من الوضع الغريب بينما يراقب البوابة الكبرى متوقعا

دخولهن كل لحظة .

-صهيب؟

رفع رأسه إلى المهلة عليه، تنظر إليه بتوتر عبر زرقتيها،
فاستغرب حديثها معه إذ أنها لم يسبق له أن رآها تحدث أحدا:

-نعم!

فتحت فمها بانزعاج، فتأكد من أنها تكلمه على مريض:

-أريد أن أحدثك عن صديقك ذاك، أنا لا أجده هذا الصباح.

فكر قليلا من تقصده، فتذكر يجيبها وهو يهز كتفيه جهلا:

-كرم ليس صديقي، على العموم لم يأتِ هو الآخر، لا أعلم

أين الجميع؟

قطبت حيرة، ففسر بانزعاج:

- مروة، سمراء وخنساء غائبات، والأستاذ أمين أيضا والأستاذة
تسنيم .

ثم رمى الفصل الآخر المتسكع قرب ساحات الرياضة بنظرة
استغراب، يضيف : - حتى الأستاذ سامي غائب .
هزت رأسها، تجيب بإهمال .

- سأستغل الفراغ في شيء مهم إذن ... إلى اللقاء .
أوماً بخفة ثم راقبها إلى أين تتجه، لتتسع مقلتاها حين لمح
وجهتها، فقام مهرولا خلفها، يهمس بحنق :
- هذا ما كان ينقصني .

أسرع يتجاوزها، ليحول بينها وبين إكمال طريقها، فشهقت
حين ظهر أمامها يلهث من الجري هاتفا بضيق :

-إلى أين أنت ذاهبة ؟

ضمت حاجبيها البنين بعبوس، ترد عليه :

-إلى الجهة الخلفية .

حرك رأسه رافضا :

-لا يمكنك الذهاب إلى هناك .

ضمت ذراعيها إلى صدرها، ترد بحاجب مرفوع مهدد :

-ومن سيمنعني ؟

زم شفثيه حقا ثم قال بثقة : -أنا سأمنعك .

رفعت كلا حاجبيها دهشة تقول، بتحدي وقد استفزها :

-أرني كيف ستمنعني !

همت بالتحرك فتحرك بالتوازي مع خطوتها، فعلها مرتين

فصاحت بغل : -اتركني و شأني ... ما بك؟

-ماذا يحدث هنا؟

استدارا إلى وائل الذي كان خارجا من الإدارة، يحاول الوصول

إلى صديقه الغائب، فالمدير اعتذر إليه عن مده بسبب غيابه،

ليلمح أمل تصيح على صهيب.

صمت الأخير، فاستغلت أمل الأمر بلؤم تجيبه :

-اعترض طريقي ولا يريد تركي لأذهب إلى وجهتي .

التفت وائل إلى صهيب بملامح تنذر بالغضب، فصاح مدافعا :

-اسألها أولا عن وجهتها .

قطب وائل بحيرة معيدا أنظاره إليها، فقالت بنبرة مهمة

مزعومة :

-إلى الجهة الخلفية، اكتشفت أنني لم أزرها أبدا منذ التحقت

بهذه الثانوية .

دهش صهيب من طريقة تحويرها للأمور، فعقب ببراءة

مزعومة حين التفت إليه وائل ينتظر جوابه .

-لم أكن أعلم بأنك جديدة هنا وبما أن الأستاذ وائل هو أيضا

جديد، لماذا لا تمنحاني شرف مرافقتكما وإرشادكما إلى

الجهة الخلفية؟ حينها ستعلمان لماذا أنا أرفض ذهاب فتاة إلى ذلك المكان .

أشار لهما باسمما باستفزاز حين زفرت بغضب، فتقدمتهما ووائل يربت على كتف صهيب يتبعانها إلى الجهة الخلفية .

بيت أمين

-يا إيمان، إنها الظروف، ماذا كنت سأفعل؟

صمت قليلا يسمع حديث شقيقته الغاضبة من الطريقة التي عاملها بها خنساء، تجمعه وسالم في خانة واحدة :

- سالم تغير كثيرا، لو لم أفعل ما فعلته لزوجها من رجل لو رأيته لارتعبت فرائسك .

أبعد الهاتف قليلا حين صاحت بغضب :

-ماذا؟ يا إلهي! كيف هي الآن؟ لو كنت هناك لصفعته بحدة ليعود لرشده ذاك الغبي !

ابتسم أمين بحزن يتذكر خجل سالم منها الذي ظنه احتراماً ليكتشف لاحقاً حين زوجها والده أنه يحبها، يحبها إلى درجة البكاء بحرقة في زاوية على السطح ليلة زواجها.

انتبه إليها، تترسل قائلة : -أمين، أوصيك بخنساء خيراً يا أخي، إنها فتاة صغيرة وبريئة، لا تؤذها ... و ...

فهم توتر نبرتها واستفسارها الخجل، فقال يرحمها من الحرج:

-إيمان، خنساء عندي بمقامك، لن أسمح بأن يمسها سوء بإذن

الله، إنها تسكن في غرفتك وستكون بخير، اطمئني .

زفرت براحة ثم سألت مجددا : -أخي، ألن تأتِ لزيارتي؟

اشتقت إليك جدا وستكون فرصة لأرى خنساء .

تهدل كتفاه غما، يرد بوجوم :

-أختي الحبيبة؟ تعلمين جوابي، أنا أدعو الله كل ليلة أن يفرج

همك، غير هذا، لن أفعل حتى تطلبي مني .

أسدل جفنيه بأسى حين تغيرت نبرة صوتها تسارع بإنهاء

المكالمة كي لا يكتشف بكاءها، فدعا الله كعادته لا يكل ولا

يميل بأن يفرج همهما ثم اتصل بعدها بالمدير يستأذنه الغياب
الفترة الصباحية، فهو تعب ولم يغمض له جفن طوال الليل.

خرج من غرفته متوجها إلى المطبخ ليحضر لنفسه كأس شاي
فوقف قبل أن يعبر عتبة الباب، يتأملها بوزرة على منامتها تغطي

شعرها بوشاح ضمته خلف عنقها، مستغرقة في خبز العجين

والشاي مع الاطباق على الطاولة الصغيرة المربعة، ابتسم بحنو

يفكر بأنها قد استيقظت باكراً، أم أنها لم تنم من الأساس مثله.

تنحى بخفوت كي لا يجفلها لكنه فعل وسقطت منها كرة من

العجين، فنظرت إليه بعتاب وترقب، فانحنى يلتقطها باسمها

يقول بمرح، عله يخفف عنها توثرها الجلي على ملامحها :

- كرتك ترغب باللعب قليلا .

بللت شفيتها وابتسمت بتوتر، فاستدرك ملتفتا إلى المائدة :

-الشاى جاهز فى وقته المناسب .

عادت للخبز وأزالت الناضجة، من على مقلاة الخبز ووضعها

أمامه فرفع إليه أنظاره، لتطلب منه بينما تتهرب بمقلتها

خجلا : -تناوله مع زيت الزيتون ساخنا، سيعجبك .

التقطها بينما يجيبها باسم بحنين:

-أعلم ذلك، فوالدتي رحمها الله كانت تصنعه لنا وتصر على

خبزه ونحن على المائدة، كي نأكله ساخنا مع زيت الزيتون .

ابتسمت بمكر بعد أن عادت لتكمل الخبز مديرة له ظهرها،

تستحضر ذكرى إخبار والدته لها عن حبه لخبز "المطلوع"

ساخنا مع زيت الزيتون كما أخبرتها عن كل شيء آخر يحبه
وهي تضمها بحنو وتهمس لها بمرح :

- أنت عروس ابني، لأنك طيبة مثله.

أجفلت من الذكرى على قوله: -ذكرتني بتلك الأيام الجميلة
رغم أحزانها يا خنساء لكن لا تتعودي على ذلك، أنا أعلم بأنك
ماهرة في الطبخ لكن الدراسة هي الأولى .

نظرت إليه تهز رأسها بصمت وهو يكمل بنبرة تحذيرية :

-سمحت لك بالغياب اليوم لا لتهملي دراستك لكن لترتاحي،

اتفقنا !

عادت تهز رأسها بطاعة، فهزت قلبه هو ليطرق برأسه يدس
 اللقمة في فمه قبل أن يهمس لنفسه : -أعاننا الله على الأيام
 القادمة .

بيت صوان

يلجم نفسه عن الضحك بمشقة ليحافظ على جموده أمام شاشة
 حاسوبه المتصلة بآلات تصوير متفرقة في أنحاء البيت، يراقب
 تلك التي لم تنم ولم تهدأ منذ تركها وغادر، بحثت في كل ركن
 في البيت بثوب زفافها حتى ظن بأنها تعبت حين عادت إلى
 غرفة النوم حيث غيرت ثيابها إلى أخرى مريحة بعد أن

استحمت لتستأنف بحثها كعصفور مذعور من غرفة إلى أخرى، مرة بعد مرة.

جلست أخيرا قرب النافورة تتلفت حولها كل لحظة كأنها تخشى أن تفوت عليها زاوية لم تفقدها بعد حينها أخذ أنفاسا متتالية، ليهدأ ويعيد ملامح وجهه للصلابة ثم دخل عليها.

استقامت واقفة حين لمحته يدخل، لتهدف بغل :

- كيف تتركني هنا لو حدي وتغلق علي كالمساجين؟ سأخبر بابا ليلقنك درسا .

مطّ شفتيه بضجر مستفز ثم اقترب منها بوجهه الجامد لتنكمش على نفسها، تهمس بخوف :

-أ... أين أغراضي؟ ... فقط الحقيبة الصغيرة .

تأمل ملامح وجهها الخائف، فتذكر أخرى شبيهة بها، فانقبض قلبه حزنا، يسألها بجمود:

-وما الشيء المهم الذي في الحقيبة الصغيرة؟ أخبريني وسأبتاعه لك! إنسي كل شيء يتعلق بالقناص .

ضمت حاجبيها تستغرب كلماته الغامضة وقالت بعد حين من تأمله الغريب بها :

-أحضر الحقيبة الصغيرة فقط، لا أريد شيئا آخر .

ما زال على وضعه، يسألها بجمود : -ماذا في الحقيبة تلك؟

بلعت ريقها تجيبه بتوتر حين حوصرت مقلتها بخاصته :

-أشياءى الخاصة وأدوات الزينة .

تفحص ملامحها بتمهل أربكها، يقول بهمس صادق :

:أنت لست بحاجة إلى زينة، لا يعجبني لا لون شعرك ولا لون

عينيك المزيفين، دعي شعرك يسترجع لونه الطبيعي وأزيلي

تلك العدسات .

شهقت تهتف بدهشة :

-كيف علمت بأن لون عيني وشعري مزيفين؟

ابتسم بتهكم يجيبها بغموض :

-أنا أعرف عنك ما لا تعرفينه عن نفسك.

-ماذا تقصد؟

ألقها بفضول، فرد عليها بنفس الغموض :

- حين تكونين جاهزة، ستفهمين، أخبريني الآن! ماذا في الحقيقة أيضاً؟

فغرت فمها بعدم فهم ثم ما لبثت أن عادت للتوتر حين سألت عن محتوى الحقيقة، فتهربت تقول بعبوس : -أنا جائعة .

رد بمثل عبوسها يسر و جبعة مصابها، فهو على علم بما تبحث عنه وعاجلاً أم آجلاً، ستظهر عليها أعراض الإدمان :

-وأنا أيضاً جائع، هيا أمامي إلى المطبخ وجهزي الفطور .

استقامت بظهرها في وقفها ترمقه بمقلتين واسعتين صدمة، تتساءل بنبرة خطيرة :

-من سيجهز... ماذا؟

رفع حاجبه بخطورة أكبر منها، يجيبها مشدداً على كل حرف :

-أنت يا زوجتي من سيحضر طعام الفطور .

تنفست بحدة لتصيح بعجرفة : -أنا لست بخادمتك!

فصاح بنبرة أعلى بعثت الخوف عبر خلاياها حتى انتفضت

مكانها مجفلة :

- بل زوجتي التي ستسير أمامي الآن بكل أدب كي تجهز

الفطور، وأنا سأساعدك لأنك لست خادمتي!

تقدمته هاربة رعباً من هيئته المخيفة فعلاً، خصوصاً حين

يتعصب، فتتنفس بعمق ليهدأ ثم تبعها إلى المطبخ حيث وجدها

تفتح جهاز المُبرد على وسعه تتفقد محتوياته بنظرات تائهة،
فجاورها يتساءل بسخرية :

-هل تنتظرين منها تجهيز الفطور لك؟

تلبكت تنظر إليه بملامح جاهلة بما عليها فعله صدقا :
-لا أعلم كيف .

صمتت تقلب شفيتها بعبوس، فعقب بتهكم واضح :

-لنبدأ بماذا تأكلين في وجبتك الصباحية؟

حكّت شعرها، تفكر ثم ردت :

حبوب خاصة بالحمية مع حليب منزوع الدسم .

جعد أنفه وذقنه اشمئزازا، يتفحص قامتها النحيفة بزيادة:

- أنظري إلى نفسك، أوشكت على الاختفاء، أنت نحيفة جدا .

ثم هز رأسه برفض، يستدرك بينما يسحب خبز الشطائر أمام
ملامحها المتبلدة :

- لا مزيد من الحمية منذ اللحظة.

تخصرت تعلق بغیظ :

- أنا لست نحيفة بل رشيقة، فأنا من أفضل عارضات الأزياء في
البلد كله !

أقفل باب البراد بحدة أجفلتها، يهتف بعصبية أعادت إليها
الخوف من تقلبه السريع من الهدوء إلى الغضب :

- لا تذكريني بذلك! عهد العروض والسهرات الماجنة قد
ولى، أنت الآن متزوجة وملزمة باحترام زوجك وبيتك، هل
فهمت أم أعيد؟

لم تجبه تعقد حاجبيها، فصاح من جديد : -أجيبي!
انتفضت بخوف تومى إيجابا مرات عدة، فأضاف ببعض من
الهدوء : -اقتربي لتعلمي كيف تجهزين الفطور!
أطاعته بسكون عكس الفوضى في أحشائها، تتوعده سرا وبشتى
أنواع الانتقام، فقط لتسايره حتى تخرج من ذلك السجن وتعود
لوالدها .

صنع الشاي أمامها بروية كي تفهم ثم حضر الشطائر وعلمها
كيف ترص كل شيء على المائدة وجلس على أحد كراسيها
كما جلست هي الأخرى فصب الشاي لها ثم لنفسه.

صدحت نغمة هاتفه، فرد عليه بينما يقوم من مكانه فجأة .

-أنا قادم !

نظرت إليه بريبة، فخاطبها بنفس الجدية :

-تناولي فطورك ثم أعيدي كل شيء إلى مكانه واغسلي
الفناجين والأطباق ثم ضعها هناك .

أشار إلى سلة المواعين قرب المغسلة ليردف بتهديد قبل أن
ينصرف :

- لا أريد أن أجد هذه الفوضى حين أعود، لن أتأخر بإذن الله،
السلام عليكم .

راقبت ابتعاده بعبوس رافض وما إن تأكدت من مغادرته حتى
رمت الحائط بالكأس في يدها المرتعشة، تهمس بغل :

- سأنتقم منك... أقسم سأفعل !

القصر

خرجن من الجناحين متجهات إلى قاعة الطعام وبيلسان
تخاطب شقيقتها بحنو : -أور حببتي! لماذا لا ترتاحين اليوم؟

هزت جنات رأسها مؤكدة ترمق اللاصق الطبي على خدها،
تسب نضال وتهوره في سرها لكن أور ردت بحزم :

- لا... هل نسيت الاجتماع؟ لن أفوت فرصة الشماتة بقائمة
حين نرفض عميلها المهم ذاك .

- ذكريني بأن لا أكون عدوك أبدا .

قالها نزار الذي قابلهن عند مدخل قاعة الطعام وقد سمع عبارة
أور الأخيرة، فاقتربت منه بيلسان، تهمس له باسمه بركة :

-السلام عليكم، صباح الخير .

لمست يده لتصافحه، فتلقفتها يديه بلهفة بينما أور تجيبه برضا
لمرآي سعادة شقيقتها إلى جواره :

-اعتني بأختي واهتم بها جيدا ولن تكون عدوي أبدا.

استغرب نبرة أور الغير معتادة يربت على كف بيلسان
المحمرة، بحب بينما يجيها :

-يبدو أن الحب يملأ أجواء المنزل اليوم، أعدك نسيبتي
العزيزة، توأمك في الحفظ والصون داخل قلبي .

ثم اقترب برأسه من بيلسان التي أصبحت كثمرة فراولة
ناضجة، يهمس لها بحب : -فأنا أحبها.

-حممم... صباح الخير .

استداروا إلى المهل عليهم يلقي التحية بملامح مذنبه وبأسة،
فنظرت إليه بيلسان بجزع شعر به نزار من يديها اللتين ارتعشتا

للحظة وأور ترفع سباباتها نحوه تحذره بنظرات حادة، فرد عليه
نزار يقول بريبة :

-نضال، لماذا لم تذهب إلى الشركة بعد؟ اليوم اجتماع
المجلس ويجب أن تكون أولهم .

توتر الجميع يتناظرون فيما بينهم، فتابع ساخرا :

-حتى أور هنا متحمسة لتشمت بقائمة، مع أنني لا أحبذ تلك
الكلمة . لكنني في نفس الوقت لا أحب عملاءها .

هز رأسه، يقول بعبوس :

-بلى .. أنا مغادر الآن، عن اذنكم ... تفضلي أور .

تبعته بعد أن أومأت لشقيقتها وجنات التي انصرفت هي
الأخرى تسبقهما إلى غرفة المعيشة، فشد على كفيها يسألها
برقة :

-حبيبي ماذا فعل شقيقي الأحمق ليخيفك هكذا؟ ويبدو أنه
كان يبحث عن فرصة للاعتذار .

رمقته بحنان، تجيبه بتأثر : -ألا يفوتك شيء أبدا؟

هز رأسه، يقول باسماء بدفء :

-كنت قبلا أستشعر الأمور بحواسي لكني الآن استشعرها
بقلبي، هيا سنفطر وبعدها تحكين لي .

(خارجا)

- أنت غبي أحمق! وستحدث بعد الاجتماع في مكتبي!

بلع ريقه يهم بالحديث، فقاطعته بغضب:

- بعد الاجتماع نضال، بعد الاجتماع سأكون أكثر هدوءا و

سرورا.

تركته لتتجه نحو سيارتها حيث ينتظرها أسد بتوتر يجهز ما يريد

إخبارها به، ركبت بالية بعد أن ألقى التحية باقتضاب، فالتفت

بتوتر ليلمحها قد ركبت، زفر بخفوت وقلبه يضرب من فرط

حماسه واستقل مقعده، فلم يستطع منع نفسه من النظر إليها

يلقي السلام: -السلام على....

جحظت مقلتاه حين لمح اللاصق الطبي يهتف بذهول لأجلها
خوفا عليها، لم يعهده في نفسه قبل أن يلتقي بهذه التي قلبت
جميع موازينه :

- ما هذا على وجهك؟ ما الذي حصل بحق الله؟

الفصل الثالث والعشرون

{احذروا العابد الجاهل، والعالم الفاسق؛ فإن فيهما فتنةً لكل
مفتون.....الحسن البصري}

مكتب الوزير

-ما بك لبنى؟ أنت على غير عادتك؟

التفت لبنى إلى الوزير، بعد أن كانت مغادرة إلى مكتبها، تنظر
إليه بحزن عميق وعينين لامعتين بالدموع، فاستقام مصطفى
واقفاً، يرمقها مقطبا بقلق وأشار لها إلى أحد الكرسيين
المتقابلين : -اجلسي لبنى...ها !

أطاعته و جلست، تضم يديها تفر كهما ببعض توترا ووجنتيها

قد احمرتا، بشكل ملفت : -تحدثي لبنى... ما بك؟

رفعت رأسها، فتدحرجت دمعة على وجنتها، لتزيد من

لهيها : -أبي... ع... ع...

لم تكمل عبارة فمها، لأن عبارات مقلتها سبقتها فأزالت

العوينات الطبية، كي تتمكن من مسح دموعها الحارقة. لقد

كان متوقعا حزنها له علاقة ما بوالدها: - ما به والدك لبنى؟

تمالكت نفسها، تجيب بوجوم : -زارنا بالأمس... أقصد

فجرا .

سأل مصطفى مرتابا : -فجرا؟

أومأت تهتر بغضب:

-تركنا من أجل أن ينجب صبيا وغاب لسنين عنا، ليأتي اليوم
ويحاسب والدتي على إخفاء نجاة شقيقتي الصغرى عنه، هل
تتصور جرأته؟

ضيق ظلمتيه تفكيرا ثم سأل بحذر:

-والدك لا يعلم بأن له ابنة أخرى؟

رمقته بإدراك كأنها الآن أدركت ما أخبرته به، فأومأت بتردد،

ليردف: -ولماذا لا يعلم؟

تهربت بعينيها، تجيبه: -أمي أخفت عنه.

هز رأسه، يقول بنفاد صبر:

-لبنى هل سأستدرج منك الحديث ... كلمة، كلمة؟

زفرت تضغط على عينيها ثم قالت بحزن :

-لم أحصل على اهتمام أبي يوما، كان دائم الانشغال عني

وأمي، لكنها صبرت من أجلي ولأننا كنا في الغربة.... ثم

عانت من مشاكل في الرحم وحذرنا الأطباء من الإنجاب... في

البداية لم يكن أبي يذكر الموضوع لأمي وكنت أعلل برودته

معي بأنه طبعه ولا يستطيع منح الحنان ولا يعرف كيف يفعل،

فكلهم هو واخوته معروفين بنفس الطبع .

صمتت تتنفس والوزير ينصت إليها بتمعن :

-حتى دخلت عائلتنا مصيبة اسمها قائمة، دمرت زواج عمي الهاشمي، لا أعلم كيف؟ كل ما أذكره أنه تزوج منها فجأة على زوجته التي لم تتحمل، فطلبت الطلاق وأخذت توأمها وغادرت بهما فلحق بهم بسيارته كي يقلهما إلى بيت أهلها، فتعرضوا لحادث لقيا فيها عمي وزوجته مصرعهما وأصيب أحد التوأم بالعمى ولم ينج سالما سوى نضال، بعدها فاجأتنا قائمة بحملها، فأصبحت كالعلقة بعائلتنا وأنجبت فتاة أسمتها مرام وبعدها بدأت بلف حبالها حول أبي .

تنفست من جديد، لتكبت شهقة بكاء، تتذكر أصعب أيام حياتها، فقام الوزير ليقدم لها كأس ماء، تناولته ثم تابعت :

-بدأت الشجارات بين والداي، فقد كانت فاتنة جداً وتعلم كيف تستغل ذلك في صالحها حتى استسلم أبي أخيراً لفتتها وأخبر أمي بأنه سيتزوج منها، لينجب صبيا وأمي من صدمتها تجاهلت كلام الأطباء وحملت من جديد، فمرت بأيام حمل صعبة، ليت حملها أعاده عن قراره، فقد اكتشفنا بأنه تزوج منها قبل حمل أمي، فكانت صدمة أقوى لها. كنت أخشى فقدانها هي الأخرى، فعشت برعب رهيب خلال شهور حملها بينما هي مستلقية على سريرها، ونفسيته المدمرة لم تساعدنا حينها اتخذت قرارا مصيريا قبل الولادة بشهر وأخبرت به تلك الحية التي لم تدخر جهدا لتستولي على أبي، إذ كانت حاملا هي الأخرى، اتفقت معها أن تترك لها الجمل بما حمل بالمقابل

تساعدنا على الطلاق منه، فهي متيقنة بأن أبي لم يكن ليطلقها،
هو حقيقة لا يفهم من شخصيته المعقدة شيئاً، أذكر الأمر في
ذهني كأنه أمس .

ثم نظرت في عينيه، تضيف:

- أقنعتها قائمة إن كانت تريد الطلاق بسرعة ويسر عليها ادعاء
موت الرضیعة عند ولادتها، ترددت والدتي لكنها وافقت حين
لم تجد حلاً غيره ، وبمساعدة قائمة أنجبت شقيقتي بعبادة
خاصة لا يعرف عنها أبي شيئاً ثم عادت إلى المنزل دون
الصغيرة تخبره أنها ماتت، لقد تفاجأ أقسم أنني وللحظة
شككت بكونه يملك مشاعراً كبقية البشر لكن وجهه البارد
سريعاً ما عاد بعجرفة يلقي عليها اليمين بكل سهولة حين

طلبت منه الطلاق، لمت نفسي على غبائي فنسيته، نسيته يوم
عدنا إلى الوطن أنا وأمي وشقيقتي .

بكت من جديد، فزفر بحزن لمصابها وأنهت حديثها تقول
بحرقة : -المصيبة أنني بالفعل فقدت أُمي هي الأخرى، فقد
تحولت لامرأة قاسية، جافة تظن أنها بتخليها عن المشاعر
ستربينا على القوة وتعلمنا بأن كل إحساس جميل يعتبر ضعف
وأنا تعبت ...تعبت ولم أعد أتحمل !

عادت للبكاء، فقام من جديد بحدة تعبر عن غضبه، هم
بالحديث لكنه استدار كما فعلت إلى من دخل عبر الباب
المفتوح، فلبنى والوزير من عادتتهما ترك باب المكتب مفتوحا
حين ينفردان ببعضهما.

تنحنح الرجل، يقول بحرج :

-السلام عليكم، أعتذر إليكما لكن الباب كان مفتوحا .

أطرقت برأسها تمسح دموعها بحدة أوشكت أن تدمي بها

وجنتيها الحمر اوين بينما الوزير يستقبله باسمما بترحاب :

-مرحبا بالبطل، سعدت جدا لرؤيتك مع أنني لست سعيدا أبداً

بالظروف .

تجاهل لبنى التي ارتدت نظارتها وانسحبت دون كلمة واستقبل

ضمة الوزير، الودية يجيبه بسرور : -وأنا أيضا اشتقت إليك

كثيرا، لم أتوقع أبدا بأنني سأطلب في مهمة هنا في المدينة الآمنة

وبعد أن صرت وزيرا يا معالي الوزير، مبارك عليك بالمناسبة .

هز مصطفى رأسه، يشير له إلى المقعد ليجلس وجلس أمامه
يقول: -بارك الله بك، إنها مسؤولية أخرى ألقىت على كتفي،
وماذا نفع؟ الشيطان متربص للإنسان، فلا ينتهي الباطل إلى
يوم القيامة .

انقلبت ملامح الرجل إلى جدية، يسأل : -هل وجدتم المواد؟
أوماً إيجاباً، يقول وهو يلتقط الملف ليناوله إياه :

-أمس اكتشفنا شحنات مهربة، تتبعناها وفتشناها فجر اليوم
بشكل سري وهذه هي الصور والمعلومات، مع أنني استتجت
الفكرة لكن رأيك المفصل والنهائي هو الأهم .

تسلم منه الملف، يطلع عليه بملامح لا تبشر بالخير، ونظر إليه
بعد برهة، يقول بحزم :

-إنها مواد خطيرة والقنابل ستكون فتاكة سيدي !
نفخ بأسف فما استنتجه صدق وتحدث يجيبه :

-أنت منذ اليوم مكلف بتتبع العملية إلى آخرها، فنحن لا نعلم
إذا كانت أول واحدة وإن كان هناك سابقة، لا نعلم لا عددها
ولا تفاصيلها وقد يكونون نجحوا بالفعل، في صنع واحدة أو
أكثر .

رد عليه بينما يعيد أنظاره إلى الملف :

-من فضلك سيدي، أريد كأس شاي ثقيل دون سكر، وسأمدك
بتفاصيل مهمة قبل أن ألحق بالمركز .

هز رأسه ورفع السماعة :

-لبنى...أطلبى كأس شاي ثقيل دون سكر .

ابتسم يسبل بجفنيه وقد عاد إليه مرح علاقة صداقتهما، يهون
به عبء المهمة :

-إذن صاحبة الوجه كحبة الطماطم الناضجة اسمها لبنى .

رمقه بعتاب حازم :

-جمال! انتبه لألفاظك أنت بمكتبي.

رفع يديه يتأسف بمرح والوزير يسر نفس المرح يهمس لنفسه
بينما يتأمله بغموض، لمَ لا؟

أمام المجموعة

- كيف تسمحين له؟ إنه أحمق غبي!

ابتسمت فتوتر يزدرد ريقه يدعي الإهمال:

- أقصد، كيف يخبر زوجة شقيقه بما قاله، هل جن؟ إنه
شقيقه!

أجابت تهز كتفيها وقد بلغت حيرتها مداها:

- قال أنه يحبها ثم هو كان ثملا.

التفت إليها مدهوشا : - يعبر لزوجته شقيقه عن حبه! ثم أنت

كيف تقفين بوجه رجل ثمل؟

رمقته بعتاب رقيق أجفله، فأخذ نفسا عميقا وهي تقول له :

- كف عن تأنبيي، فعلت ما حسبته صحيحا حينها، نضال اعتذر

إلي كثيرا، ولن أسامحه حتى أحدثه بحزم و تهديد حتى يتعد

عن شقيقتي .

قطب بقلق حائر، يتساءل :

تحدثينه بحزم ؟ يجب أن يواجهه رجل كي يوقفه عند حده .

ابتسمت بنفس الطريقة الرقيقة الغريبة عليه، فيعبس أكثر :

- مثل من بالضبط؟

تنحىح يجيب برسمية : -نزار زوج شقيقتك .

أومات تضم شفيتها جانبا، تقول و هي تترجل من السيارة :

-سأخبره إذن ...إلى اللقاء .

تذكرت شيئا ما، فعادت تسأله : -ماذا بشأن شحنة البارحة؟

هز رأسه يرد عليها بنفس الرسمية : -أصبنا الهدف وما هي إلا

أياما ونجمع باقي التفاصيل بإذن الله .

هزت رأسها باستحسان وغادرت، فنفخ بصخب يحدث نفسه

بصوت مسموع : -أف! ماذا أفعل؟ يجب أن أبتعد لكن نضال

الوغد! يحب توأمها تلك التي تحمل نفس ملامحها، إنهما

نسخة واحدة بحق الله مهما اختلفت هيئتهما وشخصيتهما !

ثم نظر إلى المرأة عابسا يقرع نفسه:

-ماذا أقول بحق الله! لقد جنت.

بيت المعروف بالشيخ بدر

-ماذا نفعل يا شيخ؟

استغرق في التفكير بينما يحك لحيته الطويلة السوداء بانزعاج

من لم يتعود عليها تضيق عليه، لكنه مضطر لتحملها :

-خطت لربطه بنا، فهو شاب قوي سينفعنا والأهم صادق بما

هو عليه يصلح لنا كواجهة مقنعة لكن الآن

عاد إلى التفكير، فاقترح واحد من الذين أمامه :

- لا يجب أن يصاحب نسيبه، ليس سهلا وقد يشده إليه ويبعده
عنا.

أوما يؤكد بحزم :

- أبقوه بصحبتكم أكثر وقت ممكن مع بقية الشباب، لا
تفارقوهم أبدا، عظوهم كل حين، فنحن بحاجة إليهم في
المستقبل القريب .

ثانوية الحسن البصري

- ما هذا؟ لقد تتطور الوضع كثيرا، خلال السنوات التي غبت بها .

قالها وائل بصدمة يردف بسخرية : - كنا نقوم بالحفلات سرا بيت أجدنا لم نتجراً يوماً على فعلها بالمدارس .

استدارا إليه مبهوتين، فاستدرك يرفع حاجبا بامتعاض :

-لما تنظران إلي هكذا؟ لقد كنت مراهقا أيضا وضالا ولولا رحمة ربي بي لكنت في خبر كان .

تناظر صهيب وأمل فيما بينهما بعدم تصديق بينما وائل يضيف وهو يشير إلى المكان : -لكن هذا، يجب أن يتغير.

ثم نظر إلى جهة الأقواس، فلمح منظرا محرّجا، ليهتف بخجل
ورفض : -آنسة أمل، لا يجب أن تأتِ إلى هنا .

ابتسم صهيب بظفر، فهمت أمل بالهتاف ليهز وائل كتفيه
يستطرد : - على الأقل الآن، إلى أن يتغير هذا .

سكتت على مضض، فسأله صهيب باستغراب :

ماذا ستفعل يا أستاذ وائل؟ ستخبر الإدارة؟

أوما برفض، يجيبه :

-لو كان بأحد منهم إرادة لفعل شيء لفعّله! ومع أنني بفضل

الله باستطاعتي تحريك المياه والضغط عليهم ليجدوا حلا لكن

ما سيفعلونه تحت الضغط لن يفيد هؤلاء بشيء خصوصا

الحارس العام، سأبحث عن حل آخر وأشرك أمين، سيساعدنا
ونرى بعض الأساتذة المناسبين أيضا .

رمقته بإعجاب لمعت له الزرقة في مقلتيها في نفس اللحظة التي
عاد بأنظاره إليهما، فلمح تلك النظرة لذا ارتبكت تقول بتوتر :
- هناك أمر آخر .

انتبها إليها، فتابعت بينما تشد على حزام حقيبتها :

-أعرف من يبيع المخدرات هنا:

أصابتهما الدهشة مجددا، فأخبرتهما بما سمعته.

هز وائل رأسه وطلب من صهيب :

-حاول استرجاع صداقتك به، ليكون سهل الإقناع... اتفقنا؟

- حاضر أستاذ، سأحاول .

قالها صهيب، فأشار لهما وائل ليعودا وفكره حول أمل حائرا،
يعلم بأنه يعرفها لكن ذاكرته لا تسعفه، فوعد نفسه بالاستفسار
منها لكن دون أن يسمح لها بالهروب قبل الإجابة .

المركز

وقف ليث حين لمح صوان يلج مكتبه، فصافحه وطلب منه
الجلوس وصوان يسأله بحماس :- هل وصلت لنتيجة؟
التقط ملفا من على سطح مكتبه وسلمه إياه، تصفحه صوان قبل
أن يقول بدهشة مسرورة :

-إنه هو! ابن عمي وشقيق دليلة!

أوما ليث بنفس سروره، يجيبه مبتهجا:

-بلى إنه هو، تحليل الحمض النووي يثبت ذلك، هنيئا لك

يمكنك جمع شمل عائلتك من جديد، الفتاة زوجتك ولم يتبق

سوى إخبارهما.

تنفس بوجوم، يجيبه:

-أمامي مشوار طويل مع دليلة، لقد أفسدها المجرم.

أوما ليث يخفف عنه:

-ماذا عنه هو؟ أظن أنه سيتقبل بل و يفرح حين يعلم بأن له أهلا

وعائلة كبيرة.

لاح شبح ابتسامه على ثغر صوان يغمره الأمل، فاستفسر منه :

-ماذا عن الشحنة التي اكتشفها أسد؟

رد عليه بآلية :

-إنها الهدف، سنتبع وجهتها وبإذن الله سنتهي من هذا الكابوس قريبا .

هز رأسه متأملا وقام يشكره .

شكرا لك سيدي العميد، لن أنسى معروفك .

تبادلا بعض العبارات المجاملة وغادر صوان الصخر بغير ما جاء به .

بيت أهل تسنيم

فتحت عينيها على اثر ضحكات خافتة وكلمات مرحة :

- كل هذا نوم؟ هيا يا كسولة، أفيقي، ابنتك استيقظت باكرا .

نظرت إلى وجه شقيقتها المرح، تتساءل عن ابنتها.

- أين هي؟

عادت للضحك بهدوء، ترد عليها بمكر.

- مع جدها، أظن أنه يستغل نومك كي يلاعبها وما إن تستيقظي

سيتجاهلها، هيا قومي! إنهم يتناولون الشاي مع الكيك في

الحديقة، أخي لم يداوم اليوم يخشى معركة حامية الوطيس قد

تشتعل بينك وبين أبي .

تمطت تسنيم فتحولت ملامح شقيقتها إلى حزن غاضب :

- يا إلهي وجهك كله مكدوم! ذلك الحقير، أدعو الله أن ينتقم

منه .

وجمت تقوم متجهة إلى الحمام، فسبقتها شقيقتها إلى الحديقة،

تقول بمرح :

- لقد استيقظت أخيرا.

أجفلوا فناول والدها حفيدته لزوجته الباسمة بحزن وعاد إلى

كتابه الذي كان يطالعه. تقدمت بوجل واتجهت رأسا إلى

والدها، سحبت كفه كي تقبلها لكنه سحبها مبقيا عينه في

الكتاب أمامه، التفت إليهم بحزن، فانتفض شقيقتها يقرب

منها متمعنا في وجهها يصيح بغضب جارف بينما يهم
بالمغادرة .

-الحقير ... كيف تجراً؟

قامت والدتها بحرقه تتفقد وجهها من جديد فهي لم تخبرهما
بالأمس تفاديا للمشاكل ، وصوت والدها الجوهري يصدح في
الحديقة .

-رضي، عد إلى مكانك واجلس !

-لكن أبي، الحقير ضربها !

ما يزال متشبثا بالكتاب دون أن يتحرك من مكانه، يجيبه بجمود
وحزم :

-هي من اختارته فلتتحمل !

جلس على مبيض يغلي وتسليم تبكي في حضن والدتها، تلوم
نفسها وتهورها الذي أوصلها لأدنى الدرجات .

بيت جواد

كيف لا تعلمين أمي؟ أين ذهبت؟

مسح على شعره بغل فقد عاد فجرا ولم يجدها بغرفة نومهما،
ظن بأنها نائمة في الغرفة الأخرى كما تفعل دائما بعد
مشاجراتهما، لكنه تفاجأ حين أيقظته والدته تخبره بأنها
غادرت منذ الأمس.

- قد تكون بيت أهلها .

تصلب يفكر قليلا ثم هز رأسه نافيا الأمر .

- لا أظن! لن يقبلوا بها .

قطبت والدته، تسأل بشك :

- لماذا، فهم بنهاية الأمر أهلها .

نظر إليها يجيبها بخبث :

- لقد تأكدت بنفسى من قطع الروابط بينهم .

قامت من على طرف السرير، تتساءل بفضول :

- ماذا تقصد؟

رد بكل برود وبساطة :

-أخبرت والدها بأن هروبها وزواجها مني واجب لإصلاح
الخطأ الذي وقعنا به .

*مجموعة القناص *

تحدث نضال بهدوء غاضب لا يحتمل الجدل :

-إذن يا سادة بعد تصويت أعضاء المجلس، يؤسفنا سيد مروان
أن نخبرك برفض صفقتك، انتهى الإجتماع .

قام نضال بحدة وانصرف تتبعه أور طبعا بعد أن رمت قائمة
بنظرة تشفي أشعلت أعصابها.

عبس رجل الأعمال بوجه تهامي و فؤاد معهما قائمة ثم خرج
يلحق به تهامي بعد أن رمق قائمة بنظرة ساخرة، فلم تتحمل
تهتف بعصبية بالتزامن مع دخول فتاة أدركت من تكون
مباشرة .

- أنت أيضا لم تصوت، هل لهذا علاقة بصغيرتك التي خرجت
من العدم؟ هل تنتقم مني؟
-مرحبا .

استدارا إليها بحدة لكن بنيتين مختلفتين وهي ترمقه ببراءة
وأمل يصحبهما فضول وخوف، لتعقب قائمة بغل تكاد
تنفجر :

-إذن أخبرتها يا فؤاد، أذلك انتقمت مني؟ أنا لا علاقة لي،
والدتها أرادت الانفصال عنك وهي من كذبت عليك، لا أنا!

رفع فؤاد يده يسكتها، مجيبا بتهديد غامض :

-إنه درس لك كي لا تجربي خداعي مرة أخرى يا قائمة .

انصرفت بأنفة، فانكمشت سمرا على نفسها حتى تجاوزتها .

أشفق عليها فؤاد لا يعلم لماذا تحديدا، تؤثر عليه بتلك

النظرات بعينها وملامحها الصادقة فبسط كفه إليها لتهرول إليه

كأنها كانت تنتظر دعوته، اندست بحضنه تبكي بحرقة :

-بابا، لماذا تركتني وذهبت فجرا؟ أقسم لك لم أكن أعلم

بأنك على قيد الحياة، ما كنت لأتركك أبدا .

أبعدها قليلا ينظر إلى وجهها المحمر بكاء، تستطرد بشهقات
صاخبة كفتاة في الخامسة أو السادسة عمرا .

-ماما حرمتني منك، كنت أحسد صديقتي على آبائهن حين
يحملنهن فوق أكتافهم، أو يلاعبونهن قرب البحر ويشترون
لهن المثلجات والسكاكر.

ثم مسحت دموعها بظاهر كفها كالصغار تماما تكمل بحرقه
جعلت قلبه ينقبض باحساس مؤلم، شفقة وخوف ممزوجان
برغبة ملحة بحمايتها ومسح تلك الحرقه من على وجهها و
ملامحها، فيستغرب لماذا لم تشعره لبنى بذلك الإحساس ولا
صهيب رغم حبه لهما كما يحب هذه التي صدمه وآلمه عدم
معرفته بحياتها طوال سنوات عمرها .

-حين كنت صغيرة، أبكي أحيانا بالليل لأنني لا أملك أبا
 وحين أخبر أمي تهتف بي بقسوة أنني ضعيفة وبلهاء ويجب
 علي النضوج والتحلي بالقوة مثل شقيقتي لبني لكن ما لا تعلمه
 أن لبني نفسها تبكي كل ليلة تحت غطاءها وبصمت .

اتسعت مقلتاه بصدمة، فلطالما اتخذت لبني صف والدتها
 تفضلها عليه لأنها تفوقه حنانا وكان يدعها لرغبتها دون أن
 يفرض عليها أو يضيق عليها بوجوده ولذلك أيضا تركها
 لوالدتها بعد انفصاله عنها .

وجد نفسه يسحبها برفق، يربت على ظهرها بينما يخاطبها
 برقة :

-اهدئي صغيرتي ...اهدئي! كل شيء سيكون على ما يرام .

أما خارجا و أمام المصعد، فمروان يقول بغضب لمساعدته :

-لقد خدعونا، أريد كل معلومة تخصهم وتلك الصغيرة التي

دخلت إلى القاعة حال خروجنا، هل تقربهم؟ أريد كل

التفاصيل على مكتبي الليلة !

أوما مساعدته بتأكيد و هما يدخلان المصعد غافلين عن محمد

القريب من المصعد، وقد تناهى إلى أسماعه كل الحديث،

فهمس بجدية :

-المصائب لا تنتهي مع هذه العائلة ومن هذه الصغيرة أيضاً؟

قال بأنها في قاعة الاجتماعات، سأجمع المعلومات و استشير

نضال .

*مكتب أور *

- أنت أحمق يا نضال! وأحذرك لآخر مرة! ابتعد عن شفيقتي!

لقد اختارت حياتها، فابتعد عنها!

هز رأسه بتفهم يعدها باستسلام واجم :

- أعلم... أعدك لن أزعجها مجددا وأنا آسف مرة أخرى .

قلبت شفيتها مقطبة، تقول :- لا بأس، فقط لا تعد الكرة، واترك

شقيقك وأختي يعيشان بسلام .

أوما يرد بملامح مذنبه :

- أعدك، لقد كنت ثملا ولم أعي على أفعالي، فأنا أحب نزار

وأتمنى له السعادة .

وضعت كفها على وجنتها، تعقب وهي مغادرة :

- أتيت من أجل الاجتماع، سأعود إلى المنزل، فأنا لم أنم الليلة الماضية، على فكرة ماذا حدث حتى صوت عمك فؤاد ضدهم؟

هز كتفيه يجيب بجهل بينما يرافقها خارجين : -الله أعلم .

افترقا واتجه إلى مكتبه حيث وجد محمد ينتظره، فسأله بصمت ليرد عليه :

-ذاك العميل الذي رفضتم صفقته، سمعته صدفة يطلب من مساعده جمع معلومات عن عائلتك وقد لمح فتاة ما تدخل قاعة الاجتماعات عند خروجه وطلب معلومات عنها أيضاً .

- أي فتاة؟

سأل نضال بعدم تركيز، فرد عليه محمد :

- استعلمت عنها، إنها ابنة عمك فؤاد الصغرى، اسمها سمرا

شقيقة لبنى من السيدة حليلة .

تفاجأ نضال بينما يحتل مقعده، فتابع محمد :

- هذا ما أسعفتني به الربع ساعة من الوقت .

تحدث نضال بحيرة :

- ما أعلمه أن لعمي فؤاد من الخالة حليلة فتاة واحدة والصغيرة

ماتت عند ولادتها .

علق محمد يهز كتفيه : - يبدو أنها على قيد الحياة وهي معه
الآن .

- مهلا !

نطقها نضال بريبة، يفكر بصوت عالٍ :

- لذلك صوت ضد زوجته، يبدو أنهما تشاجرا حول موضوع
ابنته بالتأكيد.

استفسر محمد وهو يقوم : - ما هي الأوامر؟

فكر قليلا ثم رد عليه بحزم :

- أحرصهن يا محمد، لا نعلم إلا ما يخطط ذلك المروان، لذا
أبقي عينيك عليهن .

أجابه محمد ببعض المرح الساخر :

- شقيقتها لا تحتاج لحراسة، أمن وزارة الداخلية يتابعها، فهي
الكاتبة الخاصة بوزير الداخلية والمدير العام للأمن الوطني
مصطفى الشهدى .

جعد ذقنه إعجابا يعقب :

- لطالما كانت لبنى ذكية ومتفوقة في دراستها .

ثم ابتسم بحنو غريب عليه وهو يردف :

- كنت ونزار مع رضوان وهي مقربين جدا في طفولتنا إلى
أن

تغيرت ملامحه إلى الجمود ثم قال وهو يقوم ليغادر :

-احرس الصغيرة بنفسك يا محمد وصهيب أيضا وشددوا
الحراسة على البقية، أنا أرغب بالانفراد بنفسى هذه الأيام .
هز رأسه بطاعة، يفكر بحال نضال المختلف والكئيب.

بيت خالد

تعبت من الانتظار، ترمق الساعة كل حين وتتصل به كل دقيقة
دون رد، نظرت إلى صغيريها يلهوان على السجاد الخاص
باللعب، تفكر بشرود (ماذا فهم يا ترى؟ هل يظن بأنني أحب
ياسين لذلك أسمع كلامه؟ لكن لماذا قد يظن ذلك؟ أنا لم
أحب ياسين حتى حين كان يطاردني، وما هو الحب أصلا؟ إنه

تفاهة يضحكون بها على الفتيات المراهقات وأنا امرأة مسؤولة
 عن بيت وأولاد، أحاول البحث عن أحسن الطرق لتربية
 أولادي وإنجاح زواجي وياسين إنسان ناجح كما أنه محقق لذا
 أستفيد من خبراته، فخالد عمله يطغى على جل وقته ولا يجد
 وقتا ليعينني على التحقق من القرارات المصيرية لبيتنا) رفعت
 رأسها بلهفة حين سمعت صوت فتح الباب، فأسرعت إليه
 مبهوتة من هيئته المزرية .

رماها بنظرة عابسة كئيبة، فسألته بذهول : -أين كنت يا خالد؟
 رمى مفاتيحه على المنضدة القريبة من الباب وتابع طريقه دون
 اجابة، فتبعته تستطرد بحنق : -تحدث إلي خالد...أنا أسألك !

وصل إلى غرفة النوم يبحث عن المنشفة التي التقطها متجاهلا
إياها بوجوم، فاستدركت عابسة تكتف ذراعيها :

-صديقك الأستاذ سامي بحاجة إليك، لقد حصلت مصيبة ليلة
أمس وأنت غائب لا تجيب على هاتفك حتى .

توقف فجأة والتفت إليها مقطبا، فسردت عليه ما حدث وهو
متفاجئ لتضيف بمكر :

-لو أصبت أو أحد الصغيرين بشيء مشابه لما علمت بالأمر
وأنت لا تجيب على هاتفك .

نظر إليها كأنه تردد لكنه تفوه بغيره استولت عليه ولم يستطع
ردعها :

-لو حدث شىء ما، كنت ستتصلين بالضابط ممتاز ياسين،
فهو بالنهاية الملجأ بالنسبة لك .

شهقت إسراء بصدمة بينما هو يدخل الحمام دون ذرة ندم
فأحشاؤه تغلي بنار الغضب، انتظرتة بعصبية ظاهرة على
محاياها حتى أنهى حمامه وارتدى ثيابه وخرج دون كلمة،
لتلحق به هاتفة :

-خالد انتظر!خالد!

رحل فأغلقت الباب تزفر بغضب، وحينها فقط أدركت أن
مشكلتهما عظيمة ويجب عليها التصرف قبل فوات الأوان.

*منزل القناص *

- أنا أعتذر إليك نيابة عنه بيلسان، أعذريه فهو المدلل دائما،
اعتاد الحصول على ما يريد له لكنني متأكد من أنه نادم بعدما
أفاق من سكره .

لم يصله جوابها، فأمسك بيدها يستدرك برجاء :

- لكن هذا لا يعني أن يمر الأمر دون تصرف صارم، لي حديث
خاص وحازم معه حين يعود .

ربت على كفه تجيبه بحزن : - لا داعي يا نزار المهم عندي
أنك تفهمت ما حدث، ولا يهمني شيء آخر .

ابتسم ببعض المكر كي يصرف انتباهها عن الموضوع بأكمله :

- لكنك لم تخبريني إلى الآن، بأنك تحبينني .

نظرت إليه بحياء، فرفع كفه إلى وجنتها يلمسها بلطف يتابع:

- أنت الآن مستحية ووجنتيك محمرتين، أليس كذلك؟

أومأت ليدرك بكفه على وجنتها ردها، ثم رفع الأخرى،

يستأذنها : -هلا سمحت لي بالتعرف على ملامحك؟ فأنا

أتعرف الأشياء باللمس .

تحدثت بهمس خافت وقلبها يسرع في دقاته حرجا وحياء .

-تفضل.

بدأ بوجنتيها ثم أنفها وارتفع بكفيه إلى جبهتها حتى لمس
 أطراف الطرحة ثم عاد يحدد وجهها بأصابعه، قائلاً بنبرة محبة
 أشعرتها بسلام ودفء يغمر قلبها :

-نسيت متى توقفت عن الدعاء لربي ليعيد إلي نظري واليوم،
 اللحظة أتمنى لو أحظى بفرصة واحدة ألمحك فيها وأسجل
 ملامحك بعين خيالي .

شعر بدموعها بين أصابعه، فقربها منه يهادنها بالقول الرقيق :
 -لا تبكي أرجوك، لا أريد أن أكون سببا في دموعك أبدا ثم أنا
 لم أكمل حديثي بعد، لو لمحتك لعدت إلى ظلمتي متحسرا،
 فلا لحظة ولا لحظات ولا السنوات بالكافية، لذلك أفكر

بحكمة أني ما أحببتك بسبب جمالك الظاهري إنما هو جمال
نفسك وأخلاقك ما أوقعني بهواك يا ابنة العمه .

بللت شفيتها وقد اقترب أكثر ليركن بجبهته على جانب
رأسها، يهمس لها بتأثر :

-أي جنة كانت في انتظاري على الأرض وأنا الذي يئست منها
ومن حلاوة أنكرت وجودها، صدقت يا رسول الله "الدُّنْيَا
مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ"

غمغما بالصلاة والسلام عليه وهي تتأمله بنظرة جديدة عليها
كليا، إنه زوجها بل حبيبها وكل ذرة شك بقيت في قلبها قتلها
برفته وحنانه، فهي بالتأكيد تحبه .

*بيت فضل الله *

ألن تخبرني يا ضرغام؟ أعلم بأن ما به أمر جلل !

صمت ضرغام على مضض متوجس من مبتغى نوفل في اجتماع العائلة، خصوصاً بعد الذي علمه من التقرير لكنه لا يستطيع التحدث، فرفع رأسه حين دخل إلى الغرفة حيث اجتمعوا بطلب منه .

- ما بك بني؟ لماذا طلبتنا في اجتماع عائلي عاجل؟

سأله والده، فجلس أمامهم بشملهم بنظره بينما يخبرهم بوجوم :

- أطلب تفهمكم لما سأقوله ولا أطيق أي تدخلات ولا أسئلة .

قطبوا حائرين بصمت، فاسترسل بتوتر : -أنا طلقت سلوى .

شهقات متعددة، انطلقت من أفواه مختلفة لم تكن منهن بنفسج

الصامته ترمق ضرغام بلوم وقد تلونت ملامحه بذنب، يهمس

لها بضيق : - ماذا فعلت الآن؟

عبست ترد إليه همسه :

-أنت كنت تعرف، لو أخبرتني ما بلغ الخبر للعائلة .

هم بالتحدث لكن الصدمة ألجمت لسانه حين أردف نوفل

بيرود وجدية : -بنفسج، تترت! أطلب منكما أن تجدا لي

عروسا مناسبة قبل نهاية الشهر، سأتزوج من تختارانها لي، أريد

أن أتزوج في أقرب مدة ممكنة.

الفصل الرابع والعشرون

{مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم

والصلاة... الحسن البصري}

المستشفى

بحث عنه في الطابق الذي دلّته عليه فتاة الاستقبالات حيث

لمحه في رواق الخاص بالأطفال، جالس على أحد كراسيه

متهدل الكتفين، مهزوما بالهموم الغموم.

ربت على ظهره بلين فرفع رأسه إليه وكم هاله الحزن والبؤس

المرتسم على ملامحه كما علم من حمرة مقلتيه النديتين بأنه

بكى، صديقه وصلت به الهموم حد البكاء، ألم يفعل هو؟ حين

عدم الحيلة وتاه يجوب شوارع المدينة بسيارته بلا هدف ولا اتجاه مسمى ولم يوقفه سوى وميض البنزين يعلن عن قرب نفاذه.

لم يجد حلا لمعضلته، فلا هو قادر على تقبل خيانة زوجته حتى إن رفض باطنه اعتبارها خيانة ولا قادر على اتخاذ قرار الفراق. كيف يشرد ولديه ويشتت أسرته؟ كيف يتعد عنها وهو يحبها بقوة؟ ليعود في النهاية إلى بيته دون قرار واضح، لا ينكر سرور قلبه بانتظارها له بأئسة الملامح مثله والمكالمات الهاتفية المستمرة، كما لأمه على كلماته التي ألقاها بوجهها دون رحمة، فهما لم يصلا إلى ذلك المستوى من الشجار قبلا أو التراشق بالكلمات الجارحة فيما بينهما بل لم يسبق أن تشاجرا

شجارا حقيقيا من قبل، كانت حياتهما مثالية أكثر من اللازم بكل نواقصها، فهي تقوم بدورها على أكمل وجه كزوجة وهو يقوم بدوره كمعيل للأسرة، فيستغرق في عمله طوال الوقت، لم يسبق أن عاتبته ولا هو ناقشها بسلوكها وكل ما فعله فرض حبه عليها بطريقة صامته، لذا وجد نفسه يتساءل بحنق، لماذا لم يسبق أن ناقشها أو حتى حاول تغيير علاقتها الغريبة؟ لقد مرت سنوات ليست بقليلة لم ينجح فيها بأن يؤثر على قلبها، أن ينسيها رجلا أحبته، لماذا؟

- كيف حالك يا صديقي؟

قام سامي ليضم خالد بود يرد عليه بوجوم :

- الحمد لله على كل حال وعلى أي حال .

عاد إلى الجلوس وقعد بجانبه يسأله : - كيف حالهما الآن؟

هز رأسه يجيبه مستبشرا : - الحمد لله أفضل بكثير، منير استيقظ

قبلا واطمأنت عليه، أما أمي فما تزال نائمة .

ربت من جديد على كتفه، يطمئنه : - لا بأس، طهورا إن شاء

الله، آسف لأنني لم أكن بجانبك بالأمس .

مسح وجهه بتعب يرد عليه : - لا تتأسف يا خالد، كيف كنت

ستعلم؟ زوجتك وشقيقها قاما بالواجب، لن أنسى جميلهما

مهما حيت .

لمح نظرة الحزن بعينه، فسأله بريبة

-سمعت زوجتك تخبر شقيقها بأنك انشغلت مع عملاء
بعشاء عمل، لكنني مثله لم أصدق، هل أنت بخير يا صديقي؟

فكر قليلا ثم أجابه، يقنع نفسه قبل صديقه :

-لا تشغل بالك بي، المهم أن يقوموا بالسلامة ولكل شيء حل،
كيف حال زوجتك؟ هل هي مع الصغير؟

أصدر ضحكة سخرية قاتمة، فقطب خالد حيرة ليجيب سامي،
بملامح غاضبة : -سحر ليست كزوجتك يا خالد، أم بدرجة
أولى وربة بيت متفانية .

زاد قلق صديقه، يرمقه بحيرة والآخر يسترسل بكآبة :

-سحر لا تهتم لا بيتها ولا بابنها الوحيد، كل ما يهمها أن تعيش حررتها، لا قواعد ولا قيود، تخرج متى تشاء وتذهب حيث تشاء، أظن السبب حياة الحرمان والكبت التي عاشتها في كنف أب مترمت، لا أعلم، خلاصة الأمر أننا لا نناسب بعضنا لذا طلقناها .

جحظت مقلتا خالد، يهتف باستنكار: -طلقنها؟

هز رأسه يجيب ببؤس يكاد ينفجر من شدة غضبه :

-طلقنها كي لا أرتكب جريمة في حقها، هي السبب يا خالد بمرض والدتي وابني، كادت تقتلهما بالمنوم كي تتحرر من مسؤوليتهما وأنا الغبي لم أكن أشعر بما يحصل في بيتي .

تحدث خالد دون وعي من شدة صدمته :

-لقد ظننتها مهمة لبيتها وذلك ما يحزن والدتك لم أتوقع أن

تؤذيهما، يا إلهي! إنه ابنها بحق الله، كيف وافقها قلبها؟

عاد سامي للسخرية معقبا :

-لو كان لديها قلب بالأساس يا صديقي .

مسح على وجهه بحزن مجددا، فقال خالد مؤازرا وقد أنساه

هم صديقه همه :

-اهدأ يا صديقي، بإذن الله سيتعافيان .

بيت أمين

-خنساء أنت جاهزة؟

خرجت من غرفتها تحمل محفظة كتبها، تبسم بسرور، فتأملها
قبل أن يخاطبها بلطفه المعتادة :

-خنساء، عودي لارتداء ملابسك العادية، فهي توافق الشرع
ومحتشمة، لا داعي للجلباب إن لم تحبيه، الله جل جلاله وضع
ضوابط للحجاب واجبة، أن تكون فضفاضة لا تصف البدن ولا
تشف ما تحته وألوانها لا تجذب وغير معطرة، وملابسك
كذلك، لم ألمحك يوما بشياى غير لائقة حتى أنك تحجبت
وأنت بالصف الأول ابتدائي على غير عادة كثير من بنات
الحي .

حدقت به منبهرة، فيتضخم قلبه يرسله لأماكن تروقه لكن لا
يحبذها، أما هي فمتفاجئة من كونه يعلم نوع ملابسها ومتى
تحجبت.

سمعا طرقات على الباب، فاستدرك يحثها :

-هيا أسرعى وغيري ثيابك حتى لا نتأخر، سأفتح الباب :

هزت رأسها تهوول إلى الغرفة سعيدة بملاحظته لها بينما هو
يفتح الباب، فقابله وجه حماته المتوتر.

أشار لها بالدخول مرحبا :

-مرحبا يا خالة، كيف حالك؟

دخلت تناوله طبقا مغطى بينما تجيبه بارتباك :

- هذا طبق أرز بالدجاج، أعلم أنني تأخرت عن موعد الغداء .

ابتسم بمودة يشكرها :

- لا داعي يا خالة، خنساء فتاة ماهرة بالطبخ مع أنني أخبرتها

بأنها ليست مجبرة على خدمة البيت .

ثم مسد على بطنه يردف ضاحكا :

- منذ موت والدتي رحمها الله لم أكل كما أكلت اليوم لكن

الطعام كان لذيذا ولم أستطع المقاومة... الحمد لله .

ابتسمت حماته فخراً بابنتها رغم الحزن بقلبها، فخنساء

تعلمت كيف تعتمد على نفسها بسبب اهمالها هي. خرجت

المعنية من غرفتها مسرورة وضمت والدتها مرحبة، فلاحظت

الأخيرة ثيابهما تسألهما بفضول : - أنتما خارجين؟

- أجل يا خالة إلى الثانوية .

هزت رأسها بخيبة لمحتها خنساء، فسألتهما بينما تمسك

ذراعها : - ماذا هناك أمي؟

رمقتها بنوع من الخجل، تهمس لها بارتباك :

- سالم كسر جهاز التلفاز وكنت أحب مشاهدة حلقة اليوم

لكن لا بأس !

ارتد رأس خنساء بخفة وملامح وجهها تتلون باليأس من طبع

والدتها.

- على فكرة يا خالة، هذا مفتاح البيت، سالم تغير هداه الله، لذا لا تردي باللجوء إلى شقتي التي هي شقتك وشقة خنساء متى أردت .

أجفلهما أمين الذي التقط بعض همس حماته وابتتها، فقرر اعفاءها من الإحراج، فبلعت ريقها تمسكه بخجل ظاهر على وجهها باحمراره، فعلقت خنساء بنبرة ذات معنى :

- دوامنا ينتهي عند السادسة مساء أُمي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هزت والدتها رأسها بتفهم وغادرا، فقالت خنساء ممتنة وهما ينزلان على السلالم.

-شكرالك أستاذ أمين، لا أعلم كيف أساعدها لتخطي إدمانها
بالمسلسلات .

ابتسم معاتبا، يجيها .

-أولا، لا أريد سماع لقب أستاذ منك إلا في المدرسة، ثانيا،
أنا وأنت سنفكر في حل لمساعدة والدتك على تخطيها
لإدمانها، لا تقلقي .

هي فعلا لم تعد قلقة سوى من أمر واحد لا غير، أن يختفي
الأستاذ أمين من حياتها بأي شكل من الأشكال.

بيت العم سعيد

رفعوا رؤوسهم إلى سيدة بتساؤل وهي تخرج من غرفة ابنتها،
تحمل صينية الأكل كما أدخلتها، فأومات نافية ما يتطلعون
إليه، وزفر العم سعيد يلقي بالملعقة على طبقه.

عبست مروة تفكر في حل ما، فتحدثت سعيدة بنبرة خجلة :

- يجب أن تمنحوها الوقت، ما رأته لم يكن سهلا، ما تزال في
مرحلة الصدمة .

نظروا إليها بإشفاق ومروة تتساءل بفضول :

- لكنك أفضل منها بكثير.

ابتسمت بيروود مختلط بكره بينما تفسر لها :

-تخطيت مرحلة الصدمة بكثير، في البداية كنت إما مخدرة أو
 نائرة، أقاوم بالصراخ والضرب أي شيء، بعدها دخلت في
 مرحلة الصدمة كسلوى تماما كلما صعقوني بالكهرباء
 أستكنت وهربت بمخيلتي إلى مكان آمن بالنسبة لي كالمغيبة .
 شهقت سيدة ذعرا ومروة تفغر فمها ذهولا، أما العم سعيد فقد
 اشتد فكاه وقبضتاه غضبا بينما سعيدة تستطرد :

-ظنوا استكانتي استسلاما وضعفا مني ولم يكن إلا صدمة،
 بعدها قررت أن ألبأ إلى ربي، فظللت أذكره في سري وأصلي
 حين يتركونني لوحدى، أدعوه أن ينقذني من محنتي، فانشغلت
 بالذكر والصلاة على النبي طوال الوقت، وكل ثانية تمر أزداد
 إيمانا بأن الله سيبعث لي من ينقذني وقد استجاب لي وأنقذني

الحمد لله، سلوى يلزمها وقت لتجاوز صدمتها وتستوعب ما
 تعرضت له وسيساعدتها كثيرا القبض عليهم ورؤيتهم يعاقبون،
 فهي محامية تؤمن بالعدالة .

-بل الإعدام، الإعدام هو مصيرهم بإذن العادل الحق .

نطقها العم سعيد بحرقة، فقامت مروة تحمل حقيبتها :

-أنا ذاهبة، يكفي غيابي الفترة الصباحية .

قام والدها يتبعها قائلا :

-انتظري مروة، سأوصلك بطريقي .

هزت رأسها مستسلمة، فهي تعلم بأن مصاب أختها سيؤثر
 عليهم جميعا.

بيت فضل الله

-توقف نوفل !

نطقتها بنفسج بجدية، فتدخلت ساجدة تسأله بقلق :

-أخبرنا يا بني، ما الذي حدث؟ لماذا قررتما الانفصال فجأة؟

ربت خيرت على يد جليلة ليخفف عنها قلقها، فانسحبت

بصمت كي تهاتف شقيقها وبنفسج تسحب نوفل بعيدا عن

العائلة :

-انسوا كل ما تفوه به للتو، إنها مشاجرات الأزواج العادية عن

إذنكم، تعال معي !

لم تنس رمي ضرغام بنظرة أخرى غاضبة، فعقب عمران بمكر
مرح :

- لا أحسدك مطلقا يا بن الخال !

جعد أنفه ونظر إليه بسخرية حانقة دون رد يفكر بمشكلة نوفل .

ما إن وصلا إلى الحديقة حتى توقفت قبالة تسأله بضيق :

-ماذا حدث بالضبط ؟

عبس في وجهها، فدفعته ليجلس وجلست قبالة، تستدرك .

-انزع عنك وجه ضرغام، تعلم جيدا بأنه لم يردعني قبلا،

فتكلم حالا !

نفخ بضيق وبدأ بسرده ما حصل فجحظت مقلتا بنفسج، تهف :

-يا ربي الرحيم وكيف حالها الآن؟

أمال رأسه بوجوم، يرد :

-لا أعلم، تركتها بيت أهلها .

تخصرت بعصبية في مقعدها، تهتف بذهول :

-و لم تسأل عنها، إن كانت استيقظت أو لا؟ أو حتى ماتت؟!

أجفل، لكنه تمالك نفسه، يجيها بعبوس بارد :

-لو ماتت لبلغنا الخبر، أم نسيت أننا عائلة... آآه !

لكمته على ركبته بقبضتها، تهتف بغل :

-لو ماتت؟ لو ماتت؟ بهذه البساطة! أعرف بأنها حمقاء لكنها

تحبك مثلما تحبها .

نظر إليها بغموض، ثم قال بأسى :

- لا تحبني، لو كانت حقا تحبني لو ثقت بي، ولم تكن لتتهرب
مني بأتفه الأسباب وتتزوج مني مرغمة، لن أعيد حياة والداي
يا بنفسج !

ضمت شفيتها ضيقا ثم قالت بنزق :

- أنتم الرجال، لا تفقهون في أمور النساء شيئا.

تأملها مقطبا، فأردفت :

- لو كانت سلوى رافضة لك ما تزوجت منك يا نوفل، إفهم
هذا الأمر جيدا! لو كانت رافضة للجات إلى طرق عدة

لتملص من الزواج، أولهم أنا وما كنت سأسمح لك بالزواج
منها وهي ترفضك .

بدا مستغرقا في التفكير وهي تضيف :

-العمة مروة رحمها الله وغفر لها لكن سلوى أبدا ليست مثلها،
سلوى تحب بل تعشق والدها وفي نفس الوقت تخشى تحكمه
بهن بفرض ما يراه خيرا لهن حتى إن كان ذلك ضد رغباتهن مع
أنه لو تعود على شرح الأمور لهن وشاورهن فيما يخص
قرارات مصيرية لاختلفت طريقة تصرفاتهن، ففاتن أيضا فعلت
مثل سلوى لأن عمي سعيد زوجها بنفس الطريقة مع أن الأستاذ
طه رجل صالح ومناسب .

تجدد جبينه يتابع حديثها بقلبه الغبي الذي يؤلمه بشدة ثم قال
بحزن : - كنت أطاردها كأنني أتوسل اهتمامها وحبها وهي
كانت تهرب مني تخاطبني بأنفة و تكبر، أقنعت نفسي بأنها
مجرد تمنع فتيات وخوفها من أمر كنت فعلا أفكر به، أن تبتعد
عن المشاكل وتغير نوع القضايا، لكن في النهاية لم أرى
بمستقبل علاقتنا سوى والداي .

أومات بنفسج برفض، تحاول ثنيه عن قرار سيتعسه مع سلوى
ومع من قد يورطها معه مدى الحياة :

- أنت مخطيء تماما، والداك لم يحبا بعضهما أبدا أما أنتما، قد
تتشاجران وتختلفان لكن سلوى ما كانت لتهينك أو تقلل من
احترامك .

ثم استقامت في جلستها، تستطرد :

-تلك التجربة على قدر صعوبتها على قدر ما ستكون لها درسا قاسيا، الله أعلم إن كانت ستخرج منها سالمة .

نظر إليها باستفسار، فتابعت :

-سلوى كانت ترى الحياة عادلة، تربت على الحق وأن كل شيء يوضع في مكانه، سبق ورأت فاتن تجبر على الزواج، و لو لم يكن الأستاذ طه إنسان واعي ويعشق فاتن لكانت فقدت حقها في الدراسة لذا ألوم العم سعيد في هذه النقطة مهما كانت دوافعه، الإجبار على الشيء يولد كرهه ...والآن ..

كتفت ذراعيها، تكمل :

-بعد أن رأَت كيف يضطهد الصادق وتهدر كرامته على يد
الظالم ولا أستطيع تصور ما تعرضت له من إهانة والرعب الذي
عاشت فيه، تتوقع أن تغتصب أو حتى تقتل !

تحرك على كرسية بغضب يدرك صدق قولها، فقد عاش ذلك
الرعب من أن يغتصبوها أو يقتلوها :

-الله أعلم بما تعانيه الآن، قد تكون نفسيتها محطمة ومصدومة
من هول مصابها ثم فقدانها لحب حياتها الذي هو زوجها.
نظر إليها بغل، فهزت رأسها مؤكدة، تضيف بينما تنهض عن
كرسيها :

-وأنت هنا بكل بساطة تبحث عن فتاة أخرى لتداوي بها ما
تظنه جرحاً لكرامتك، لا تنتظر مني مساعدتك على خطأ
سيدمر سلوى كليا حين تؤكد لها ما قد تكون تفكر به آنفا، أنك
تحتقرها بعد أن تم اختطافها من عصابة الله أعلم ماذا فعلوا بها
ثم يدمرك أنت بالكامل.

تركته بعصبية يمشط شعره بأصابعه بقوة وألم الحيرة ينهش
صدره بلا رحمة.

*مكتب الوزير *

-أمي، دعيها تفعل ما تشاء، إن ضغطت عليها ستهرب منك إليه وهو أكثر من قادر على ضمها، لذا أتركها تتعرف عليه بنفسها حينها ستعود إليك من نفسها بعد أن تدرك برودته وتنكسر صورة الأب المثالية التي تتوهم بها .

أغلقت الهاتف وتنفست بعمق، لتهتز حين سمعت تنحج ونبرة الرجل الذي شهد لحظتها المخزية :

-حمم، آنسة لبنى!

التفت إليه مجفلة فبسط يده بملف، يطلب منها ملاحظا ضيقها وكدر ملامحها المحمرة :

- هذا الملف يجب أن يصل قسم تفكيك المتفجرات .

- تسلمته منه بتوتر، ضغطت على زر من أزرار الهاتف

الداخلي، تخاطب محدثها وهو ساكن مكانه كأنها لغز يبحث

لها عن حل : - سيد عبد المنعم، هناك ملف يجب أن يصل قسم

تفكيك المتفجرات... أجل الآن .

نظرت إليه تقول بارتباك من حضوره، ملامحه صلبة كأغلب

رجال الأمن كما لمحت سريعا وجسم رياضي، قصة شعر

الجنود، قصير وأسود .

- السيد عبد المنعم، سيوصله بسرعة .

هز رأسه بشكر يقول قبل أن يغادر :

-شكرالك... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أومات له وغادر يكمل جملته بالهمس مبتسما عكس الصلابة

التي يديها للعيان .

-حبة طماطم ناضجة .

*ثانوية حسن البصري *

-هل ترين حقا ما أراه؟

قالتها سمرا ببلاهة وهي تشير إلى خنساء المترجلة من على

الدراجة النارية التي يقودها أمين، فردت مروة عاقدة حاجبيها

بريبة :

-هل يجوز لها الركوب معه بالدراجة النارية؟ إنها تقريبا ملتصقة به.

-الله أعلم.

ردت سمرا بمزاح ضاحك ولم تكونا الوحيدتين المتسائلتين بل وائل الذي وصل لتوه يهز رأسه لخنساء وهي تتجاوزته نحو صديقتها، ودون كلمة انتظر رده بحاجب مرفوع، فقال متنهدا:
-لا تسأل.

ضحك وائل، مشيرا بسبابته :

-لا... لن تنفذ منها يا صديقي، ما رأيته الآن يحتاج إلى تفسير ومقنع أيضا، أحذرك !

- هيا أخبرينا يا فتاة! ما هذا الذي رأيناه قبل قليل؟

حدقت بهما بتوتر، تجيب بحيرة :

- لا أعلم إن كان يجب أن أخبركن؟

- ماذا؟

ألقته مروة بدهشة ممتعضة ثم استدركت بحنق :

- بل ستشرحين والآن !

- قصة طويلة خلاصتها، تزوجت من خنساء !

- لقد تزوجت من الاستاذ أمين !

-ماذا؟! -

هتف بها الجميع بصدمة كل بمكانه، وائل أمام أمين والفتاتان

أمام خنساء

-ماذا تقول يا رجل؟ -

سحبه أمين يخبره وجوم :

هيا رافقني، سأحكي لك التفاصيل بعد الحصص.

-التفاصيل يا خنساء!

ابتسمت تشير لهن نحو الفصول :

- كاد أخي أن يزوجني من رجل غريب مخيف، فأنقذني أمين في
آخر لحظة وتزوج مني هو .

رفعت حواجبهن دهشة، ليحفلن على صوت صهيب المتسائل
بنزق :

- أين كنتن صباحا؟ لماذا غبتن عن الحصص؟

تناظرن فيما بينهن بنفس الدهشة، فتابع صهيب وهو ينزل
حقيبتيه من على ظهره يتقدمهن نحو الفصل :

- ليس الآن، بعد الحصص أريد تفسيراً مقنعاً .

*منزل القناص *

نزلت من السيارة بحزن من الصمت الذي صاحبهما طوال
المسافة كأن كل تأهبه لها صباحا راح مع أدراج الرياح، توقفت
بأمل حين نادى باسمها كاملاً، فنهرته عفويا دون وعي :

-آنسة أوركيدا؟

-اسمي أور!

استغرب عصبيتها، فنفخت باستسلام أحزنه وحيره :

-ماذا هناك؟

تحدث بتردد يجيها :

-أريد أن أحدثك بموضوع .

عقدت حاجبها تساؤلاً فتابع :

-ليس هنا .

هزت كتفيها قبل أن تستدير عائدة الى السيارة :

-البحر قريب من هنا، لم أره منذ مدة، هيا بنا !

أوقف السيارة بجانب الكورنيش، فترجلت ووقفت أمام البحر

تتنفس بعمق، وسحرت أنظاره بخصلاتها القصيرة تحوم حول

رأسها بفوضى مهتاجة، فأشاح بوجهه مستغفراً ثم قال :

-في الحقيقية أنا.

تلكاً فشجعته مستغربة من توتره :

-قل ما تريده، أسد لماذا التوتر؟

أجفل على اسمه بنعمة نبرتها لكنه تمالك نفسه وقال بحزم :

-سأنهي المهمة اليوم .

لم تفهم، فاستفسرت :

-كيف؟ تنهي ماذا؟

تنفس بقنوط ثم حاول من جديد :

-سأطلب من العميد تغيير موقعي في المهمة وسيرسالون إليك

حارسا جديدا .

فتحت فمها غير مستوعبة، فاسترسل :

-لأول مرة لا أشعر بالارتياح في عملي ولا أريد أن أقصر فيه

لأي سبب من الأسباب .

فهمت أخيراً، فابتسمت بسخرية ثم قررت التقدم بخطوة لم تتوقعها، وقفت قبالة ذلك الشعر المستفز يتراقص أمام عينيه يتحداه أن يحيد بمقلتيه عن التأمل في جنون انتفاضته مع الريح :

-وما هذا الذي لا يريحك يا حضرة الضابط أسد؟

تفاجأ بذلك السؤال مع أنه معتاد على جرأة مواقفها، فرمش بجفنيه دون أن يحيد بنظره عن محيطها، يصغي لسخرية نبرتها : -أو لنكن أكثر تحديداً، ونسأل من هذا الذي لا يريحك؟

أضحت قريبة منه وكما اتحدت أنظارهما فعلت دقات قلبيهما لتضييق المسافة أكثر كأن السحر ألقى عليهما بطوق تعويذته،

هي التي لم تُحدث رجلا من قبل إلا إذا كان لغرض ما وبجفاء تام، تنجرف خلف أحاسيس جديدة عليها، هل تخطئ في ما تفعله؟ في عرف من نشأت بينهم، لا! بل العكس تماما، لقد تأخرت ولو كانت في بلدها الآن لسخروا منها واتهموها بما يشينها كما سبق وفعلوا، إذن ما الذي يردعها عن المحاولة وإطلاق العنان لقلبها لتجرب حظها في الحب؟ الحب " كلمة بعيدة عنها، هل فعلا تحبه؟ هذا الذي أمامها لا يفرق بينهما سوى ستمترات قليلة؟ من هو؟ هي حتى لا تعرفه، لكنه إنسان شهم أثبت ذلك لها، وماذا بعد؟ إنه مسلم ملتزم ولقد قالتها شقيقتها من قبل، يبحثون عن شركاء يعينونهم على دينهم، هل حقا هذا ما يجعلها جامدة غير قادرة على طمس الفارق البسيط

الباقي بينهما لتجرب أمر الطالما سمعت عنه من الفتيات أم أنها
تنتظره هو ليقوم بالخطوة الأولى؟ حينها تتأكد من أن لا شيء
قد يحول بينهما.

خصلة من خصلاتها لمست خده، فاهتز قلبه خوفاً وليس ما
شعر به قبل ثوانٍ، ما الذي كان سيفعله؟ شهق يرتد برأسه إلى
الخلف وملاً رئتيه بهواء البحر ثم تنفس وتنفس مرارا كي يوقظ
نفسه من تأثيرها! من قربها! من رآحتها!

بهتت من انتفاضته وما كانت تخشاه حدث لذا خاطبته بخيبة
ويأس : -ماذا بك يا ضابط أسد؟ هل قربي منك يخل
بتوازنك؟ هل أنا من لا يريحك؟ لماذا يا ترى؟

تسمر مكانه يرمق الأفق دون أن يراه حقيقة بينما هي تردف

لتستفز كبرياءه فيعبر عن نفسه :

-هل أنت معجب بي يا ضابط أسد؟

استدار إليها بحدة وهي تضيف ببسمة متهكمة :

-هل خانتك شجاعتك يا ضابط؟

نظر إليها يخاطبها من بين أسنانه المطبقة :

-يعجبك الأمر، أليس كذلك؟

أشار إليها بكفيه يهرب من ضعفه تجاهها بإلقاء اللوم عليها :

-تلقين بسحرك على الرجال، فتلعين بهم كما تشائين؟

قطبت بذهول بينما هو يتابع بغل، فقد أخرجت المارد عن
صوابه لتتحمل النتائج : -لم تخني شجاعتي يا أور، هل
تريدن الحقيقة؟ أصغي إليها إذن !

نظر بعينها يحاصر ضياعهما في وجه عاصفته الرملية العاتية :
-أجل أنت تشوشين علي بكل تلك الفتنة التي تملكينها، ولا
تبخلين بإظهارها وبسخاء !

ثم شهر بسبابته نحو وجهها يؤكد قوله : -وأى رجل عديم
النخوة والدين، كان سيتقبل كل ما تمنحينه بكرم !

صمت يلهث بغضب لما أوصلته إليه وما اضطرت له لقوله، لترد
عليه ببرود، فلم تكن يوماً فتاة مدللة تتأثر بأبسط كلمة حتى لو
كانت منه هو!

-تراني ساقطة يا ضابط؟ هل تراني رخيصة لهذه الدرجة؟!
تردد قليلاً قبل أن يمنحها رداً شديداً به حصناً لنفسه من تأثيرها
عليه: - لا تلومي المرآة على انعكاسك يا أور!
تلوى قلبها بجرح مؤلم، لم تتوقع يوماً أن يجرحها أحد بعد
والدها، وفجأة شعرت بصفاف جفونها تحترق، هل ستبكي
الآن؟ هل حولها هذا البلد وهؤلاء الناس إلى مدللة خرقاء
تبكي جروحها؟

لماذا الندم الآن؟ هل تلك اللمعة بمقلتها دموعا وشيكة؟ لا،
لا يريد لها أن تبكي! ما هذا التناقض؟ لماذا هذه الحرب بجوفه؟

تنفست بعمق تلجم دموعها بكبرياء ثم قالت بثبات :

- أنت محق، لن نستطيع العمل معا بعد اليوم .

همت بالمغادرة لكنها تراجعت تهتف بغضب :

-الى الجحيم بالكبرياء! أنا لم أعود على إخفاء مشاعري ولا

غضبي!

رمقها بصدمة بينما هي تقترب منه، تهتف بغضب حقيقي

تشنجت له ملامح وجهها حتى كاد أن يختفي :

-بلى، أنت معجب بي كما راودتني مشاعر نحوك لم أعرفها
من قبل ولعلمك أنا لم أكن يوما ساقطة، لأنني وببساطة لم
أثق بأحد من قبل، كل رجل قابلته بحياتي رأيت فيه والدي
السفاح، فأفر بجلدي حتى قبل أن يوجه لي حديثا .

ثم أشارت إليه تكمل بخيبة :

-أنت كنت مختلفا، العمل أجبرني على التعامل معك،
فشعرت بالأمان بقربك وذاك سبب تحرك مشاعري نحوك
وأول شيء تفعله الفتاة من المكان الذي نشأت به حين تثق
برجل وتتحرك مشاعرها تجاهه تتقرب منه وقد تكون له إن
اتفقا وتحابا .

بلغ توتره مداه، دائما ما تفاجئه بجرأتها بينما هي تضيف بتحد
لمعت به مقلتها الغاضبتين :

-أنا أعرف ما أريده يا ضابط أسد، أقرره وأصرح به بكل
وضوح، فهل تستطيع أن تفعل المثل؟

ضم حاجبيه جهلا، فأضافت تواجهه بما لم يستطع البوح به :

-أن تخبرني بكل صراحة أنك معجب بي وتشعر بنفس ما أشعر
به تجاهك، لكنها عقيدتك تحول بيننا، أنت تريد فتاة كشقيقتي،
واجهني بالحقيقة بدلا من أن تجرحني يا حضرة ضابط !

هزت رأسها تؤكد قولها أمام تبلد ملامحه بالصدمة :

-أجل أنت جرحتي ولم أظن يوماً أنني سأسمح لأحد بأن

يجرحني بعد ذلك الرجل الذي أنجبني !

رمته بنظرة غامضة بما تحمله من تعبيرات مختلفة، خيبة، حزن،
يأس وغضب .

- لا أريد رؤيتك بعد اليوم... أبدا !

ثم بسطت كفها تأمره بجفاء : - أعطيني مفتاح السيارة!

استغرب طلبها لكنه أطاعها، فغادرت بعصبية وانطلقت

بالسيارة ليحمله هدير محركها وفتح عينيه على وسعهما،

يهمس بهوت : - ماذا حدث للتو؟

بيت صوان

جاء إليها بدل أن يذهب إلى زيد، مع أنه لن يخبرها لكنه جاء إليها.

توجس خيفة من هدوء البيت، فنادى باسمها وهو يتجه إلى غرفة النوم:

-دليلة، أين أنت؟

دخل الغرفة يتلفت حوله، وفجأة شعر بضغط قوي على رأسه لم يكن بالقوة الكافية ليفقده وعيه، فاستدار إلى الخلف، ليجدها تمسك بطنجرة الضغط الحديدية بين يدها، جزعة ترتعش وعينيها تهتران كأن بها مس.

رمت الطنجرة على الأرض حين لمحت شيئاً ما على جبهته،
 فرفع كفه إلى موضع السائل الساخن ليكتشف بأنه ينزف،
 ونطق بآلم : - ماذا فعلت يا حمقاء؟

كتمت فمها بكفها تبكي بحرقة وبدنها كله يرتعش، وأمسك
 رأسه بكلتا يديه يثبت نفسه بينما هي تسقط على ركبتيها.

خطا نحو المشجب والتقط المنشفة يضغط بها على جرحه ثم
 جلس على السرير ليسيّر على الدوار الذي هجم عليه
 والأخرى تتوسل إليه بكاء مثير للشفقة :

- أرجوك أحضر حقيبتى، لا أريد شيئاً آخر سواها، أتوسل
 إليك :

كل ما شعر به نحوها تلك اللحظة هي الشفقة، كان عليه أن يحتاط أكثر، فهي مدمنة وعندما تحتاج للجرعة ستفعل أي شيء للحصول عليها وهو بالنسبة لها سجانها وخاطفها، فلا بد أن تحاول الهرب .

اقترب منها وجلس قبالتها على ركبتيه وهي غارقة بتوسلاتها :

- أرجوك، سأفعل أي شيء تريده، فقط أحضر حقيبتى .

سألها بأسى، غلفه بحزم :

-ماذا يوجد في الحقبة اللعينة يا دليلة؟

يريدها أن تخبره، أن تعترف لنفسها قبله بأنها مدمنة :

تجمدت مكانها، ترمقه بنظرات متزعزعة ضالة، فسحبها
أقرب، يصيح بغضب يؤوجه صداد رأسه :

تكلمي يا دليلة! ماذا في الحقيبة اللعينة؟

انتفضت خوفا من منظر وجهه الغاضب وذلك الجرح القديم
مع بقايا الدماء على جبهته أربعا، فردت بتقطع :

-ف.... فيها.....د.....وائى.

هزها بشدة، يهتف بوجع دام لسنوات :

-ليس دواء يا دليلة، أخبريني ما هو؟

لم تتحمل تريد الحبوب بشدة، الألم ينهش جسدها يقطعه
تقطيعا لذا أجابته بحدة، تضربه على صدره بضعف :

-مخدر، إنه مخدر لعين! وأنا أحواجه الآن!

تأملها يومى برفض ثم قال بإشفاق :

-لن أسمح لك منذ اليوم يا دليلة...ستقلعين عنه، هنا معي،

سنفعل كل ما يلزم كي تقلعي عنه .

اتسعت عينيها تقول بهدر :

-أنا لست مدمنة، أنا فقط!... إن لم أبلع الحبة سأموت !

حرك رأسه نضيا بينما هي تحركه إيجابا تضيف بتوسل وهي

تتشبث به :

-أجل سأموت ببطء معذب .

- لا! لن تموتي، بل ستقلعين عنه وتصبحين فتاة صالحة كما
 تمت أن تكوني وكما دعت ربها حين أنجبتك وحين خطفوك
 من أحضانها دعت ودعت لك وله قبل أن تسلم روحها لبارئها،
 ستكونين كما حدثني عنك وكما تمتك أن تكونيه .

كانت في عالم آخر لم تلتقط حديثه وبدنها يرتعش بقوة،
 فحضنها بقوة أكبر يجمد نظراته فلا يسمح لدموعه المريرة بأن
 تسيل، ويلها دموعه إن هان عليها وأضعفته، هو صوان الصخر
 من عائلة الصخر التي لا تعرف إلى الضعف والهوان طريقا،
 دخل بيت عمه يوما سُما زعافا اسمه تهامي القناص فدمره، وثق
 به عمه وشاركه بالأعمال ليخون الأمانة ويشتت أسرته.

شعر بها ساكنة بين ذراعيه، فعلم بأنها فقدت وعيها ثم نظر إلي
وجهها الخالي من الزينة والشاحب كالأموات، يهمس لها
بتصميم :

- أقسم لك، ستشفين وتتعافين كما أقسمت لهما قبل مماتهما
أن أجذك وشقيقك، سأجمع شملك بأخيك وأعيدكما إلى
العائلة، التي تنتظر خيرا عنكما كل لحظة ، أعدك يا "
سكينة " أعدك !



الفصل الخامس والعشرون

{إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، الدائبُ على
العبادة، الذي لا يُداري ولا يُماري، ينشرُ حكمة الله، إن قُبِلت
منه، حَمِدَ الله، وإن رُدَّت عليه، حَمِدَ الله

الحسن البصري

*منزل القناص *

تمشت في الحديقة لتصفي ذهنها، وابتسمت حين تذكرت
جلسة بيلسان مع نزار كانا مقربين جدا ومناسبين لبعضهما،
فكرت بأن بيلسان محقة في كل ما قالته عن نضال، أحرق
مستهتر وزيد أيضا محق، توقفت وتلفتت تبحث عنه، لتستنج

بأنها لم تصادفه في يومها ذاك، فغيرت اتجاهها ومشيت نحو
البوابة الكبيرة حيث تجمدت حين سمعت نبرته العميقة تتشح
ببعض المرح - هل تبحثين عن أحد آنسة جنات؟

التفت إليه تستغرب مكان خروجه؟ فلمحت ابتسامته المتسلية
لتدعي عدم الاهتمام بينما تجيبه :

- كنت ذاهبة إلى البحر لأتمشى قليلا .

هز رأسه وأشار لها لتتقدمه، يقول باستهزاء غير بارز بنغمة
جوابه : - إذن اسمحي لي بحراستك، فالسيدة بيلسان لا تحتاج
خدماتي الآن.

تقدمته تكتم بسمة ماكرة ماتت على ثغرها ما إن عبرا البوابة
 تحديدا حين لمحت نرمين تندفع من سيارة أجرة وترتمي على
 الإسفلت، فهرولت إليها تصيح بجزع مع زيد الذي تيقظ حسه
 الأمني : -نرمين، يا إلهي! من.... من فعل بك هذا؟

-جن.....ات....أنقذيني!

انحنى زيد، يسأل سائق الأجرة بحدة : - ماذا حدث لها؟

تحدث السائق بخوف :

-وجدتها على الطريق هكذا، أخبرتها أنني سأخذها إلى
 المستشفى لكنها رفضت وأعطتني هذا العنوان .

هز رأسه وأمره بحزم :

-حفظت رقم سيارتك، فلا تحاول الكذب .

ثم تركه ليعين جنات على مساعدة الفتاة تبدو عليها آثار
الضرب الشديد بكل أنحاء جسدها .

-اتبعيني وافتحي باب السيارة!

أطاعته دون نقاش وقلبها يهدر داخل صدرها ويعد نصف ساعة
أدخلاها وبقيا على باب قسم المستعجلات، فسألها زيد
بفضول : -هل تلك نرمين التي أخبرتني عنها بالأمس؟

هزت رأسها بتوتر، فاستدرك :

-أظنه الوقت المناسب لتحكي لي عنها .

فركت يديها ببعضهما وأخبرته بظاهر الأمر، فادعى عدم معرفته لديدو وجماعته، يهتف بغضب : -من ديدو هذا؟ ثم كيف ترضيان بصداقة فتاة تحوم حولها الشُّبه؟

اتسعت مقلتاها ذعرا وهي تتذكر كيف كانت ستقع في فخهم هي الأخرى وبارادتها، فردت بان دفاع :

-لم نجد سكنا يصلح للاستعمال الآدمي سوى بناية ديدو، ونرمين ليست مثلهم، لقد وقعت في فخهم وتريد الفكاك منهم لكنها خائفة، لأن من يتركهم مصيره إما الموت أو السجن .

صمت على مضض فهي محقة، وهو على دراية بنظام العصابات، فأخرجت الهاتف تحمد ربها على أنه أخيراً كف عن الأسئلة :

-بيلسان؟ أنا بالمستشفى، لا تجزعي إنها نرمين .

سردت عليها ما حدث فوعدها باللحاق بها وخرج الطبيب بعد ساعتين كاملتين كانت بيلسان قد وصلت برفقة نزار :

-كيف حالها دكتور؟

نطقتها بيلسان بقلق، فرد عليها الطبيب ساخطا تتلون تقاسيم وجهه بالغضب بينما يجيبهم بنبرة حاول الحفاظ على هدوئها :

-تعرضت لاعتداء وحشي، الرحم متضرر وكسر في الرجل اليسرى واليد أيضا والرضوض على سائر جسدها .

لوح الطبيب بانزعاج أمام الوجوه المتجمدة، يستدرك بحزم :

-بلغنا الشرطة، الحالة كانت على شفير الموت لولا رحمة الله
بها، عن اذنكم.

توترت بيلسان تقول بخوف :

-لا....لا! الشرطة لا يجب أن تتدخل، سيقتلوننا بالتأكيد .
ضمها نزار كتفيها، يهدئها .

-اهدئي حبتي، سنجد حلا إن شاء الله .

-أنت لا تفهم نزار، إنهم عصابة، لن يرضوا بتدخل الشرطة .

تجمد زيد يشاطر بيلسان رأيها لكنه مكبل ويجب عليه التسلل
كي يتصل برئيسه دون أن يكشف تغطيته، هم بالاستئذان

يتحجج بالحمام، حين هتفت بيلسان بما جعله يتراجع عن
الأمر كله :

- سأتصل بصديقتي، زوجها شرطي وأخبرتها عنهم قبلا،
سيساعدنا.

وافقتها جنات تستبشر ملامحها الخائفة :

- بلى، نوهت قبلا بأنك تعرفين أحدا سيساعدها .

هزت رأسها واستعملت هاتفها وزيد يتابعها بتركيز ليرتاح باله
مع ذكرها اسم بنفسج وضرغام.

ظلوا في قاعة الاستقبال ينتظرون وصول الشرطة وضرغام،
فالزيارة كانت ممنوعة وخلال ذلك استغرب زيد تهرب جنات

بعينها كأنها تخشى إدراكه لما تخفيه من مجرد النظر إليها، لذا
اقترب بخفة وهمس لها :

- أنت بخير؟ لا تخافي، ستشفى بإذن الله ولن يصلوا إليها
المجرمين .

هزت رأسها ترمق قبالتها بحزن شارد، لأول مرة تكتشف مدى
فضاعة ما كانت ستقوم به من أجل نضال وهناك على ذلك
الكرسي بالمستشفى كرهت نضال بينما وهم الحب والانبهار
طار أدراج الرياح متلافيا الندم على معصية كانت ستفقدتها
نفسها وحياتها ثم خجل ممزوج بخوف يغمرها ترفض معرفة
أحد ما عن زلتها المخزية تحديدا هذا الرجل الواقف غير بعيد
عنها، يحيطها باهتمام حقيقي .

وصل الرائد ضرغام وألقى عليهم التحية يتظاهر بعدم معرفته
 لزيد، وتعرف إليهم باستثناء بيلسان التي سبق والتقى بها مرات
 خلال السنوات الماضية:

- لا تقلقوا، قمت باللازم ولن يعلم أحد بمصابها، سأخذ
 أقوالها ونؤمن لها مكانا تخبى به .

اقترحت بيلسان: - أستطيع استقبالها بمنزلنا .

هزت جنات رأسها موافقة وكذلك فعل نزار بينما زيد يرفع
 حاجبه الأيسر يرمي ضرغام بنظرة ذات معنى، فقال الأخير دون
 تفكير، يكتم ابتسامة ساخرة :

-أقدر لك ذلك سيدة بيلسان، لكن زوجتي سبقتك وتكفلت باستقبالها في بيتنا حتى تشفى بإذن الله ونقبض على المجرمين وهناك أمن لها لأنه منزل شرطين، لن يغامروا إن حدث واكتشفوا مكانها .

هتفت جنات بخوف : -وهل تعرفونهم؟

ما زالت ملامحه تتشح بالتهكم رغم جدية نبرة صوته :

-سنعرفهم ونقبض عليهم جميعا .

سمح لهم الطبيب بالزيارة أخيرا، فتقدمهم ضرغام، منزعجين لحالها المزري، أسرع إليهما الفتاتين، تهتف احدهما بجزع :

-نرمين حبيتي، ستشفين إن شاء الله .

تجاهد لتفتح عينيها كما تجاهد لتنطق بتقطع تعب:

- بيلسان ...أ...أنا ...ت...تبت لربي ...و لم أقبل
...اخ...برتهم ...أنني ...لن..لن أقوم ...بمعص...ية من
...جديد ...حتى' ...إن قتلو...ني .

أومات بيلسان تبكي بسرور هي وجنات التي أثرت بقلب زيد
يكره دموعها، فيشد على يديه إلى جانبه كي لا يصدر عنه أي
تصرف يعرضه عليه جموح خياله.

اقترب ضرغام من السرير، يسألها برسمية :

- ما الذي حدث سيدتي؟

نظرت إليه تتكوم على نفسها خوفا، فأمسكت بيلسان بكفها
تشجعها بحنو :

- لا تخافي منه يا نرمين، أخبريه بكل شيء وسيساعدك كما
ستمكثين بيت عائلته إلى أن يقبضوا عليهم، هل تصدقين؟
سيقبضون عليهم جميعهم .

بكت بحرقة وهي تحكي له بمشقة كيف عاقبوها على تمردها،
فقدموها لحراسهم ليعاقبوها، اعتدوا عليها بوحشية، ولم
تصدق إلى الآن كيف قاومت فقدان الوعي وتسللت أثناء
نومهم بعد الثمالة وهربت ولم يطل عذابها حين بعث الله لها
سيارة أجرة توقفت وصاحبها يعرض عليها مشفقا نقلها إلى

المستشفى ومن شدة خوفها قررت الذهاب إلى بيلسان التي
عرضت عليها المساعدة قبلا.

طمأنها ضرغام واستأذن ليقوم باتصالاته، فاقتربت منها بيلسان
تمسدها على يدها السليمة، بحنو :

- لا تخافي نرمين، من لجأت إليه لن يخيبك، رب العالمين
كريم لا ينسى ولا يتخلى عن عباده، هنيئا لك تخلصت من
عالم الرذيلة والذل وستعيشين بكرامة وعز، فطاعة الله عز
والمعصية ذل يا حبيبتى، تذكري هذا جيدا، ربنا خير حافظا
وهو أرحم الراحمين .

ابتسمت بأمل ودموعها مدرارا، ترد عليها بحزن :

- لن أعود إلى معصيته ولو على جثتي، وأدعو الله أن يتقبل
توبتي يا بيلسان ويغفر لي قبل أن يقبض روعي .

هزت بيلسان رأسها مشفقة، تقول بثقة :

- سيتقبلها يا نرمين بإذنه سبحانه، فجل جلاله من قال " غَافِرِ
الدَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ " شديد العقاب لمن استمر وأصر على المعصية
حتى يخطفه الموت غفلة، ولا تنسي قول حبينا عليه الصلاة
والسلام : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » سلمى
أمرك لله وأحسني الظن به .

لم تكن نرمين وحدها من يسمع بقلبها بل معها جنات تسر
دعاء لربها بالستر وتوبة نصوحة من صميم قلبها والله جل
جلاله بكل تأكيد حلیم ستير .

*ثانوية الحسن البصري *

(أثناء الفسحة قرب الفصول)

بلع ريقه توترا، يسأل بحاجب مرفوع :

-إذن أنت اكتشفت بأن والدك حي يرزق وأنت شقيقتك
خطفت من طرف عصابة خطيرة وأعادها زوجها الضابط

وأخيرا أنت شقيقك أوشك على تزويجك من غريب مخيف
فتزوج منك الأستاذ أمين، منقذ البشرية .

أومان بيأس ملول، فعقب بسخرية يدرأ بها خوفه :

-بسم الله الرحمن الرحيم، الجائزة الكبرى من نصيب خنساء!

ثم صفق يكمل بتهكم :

-برافو، أحسنت! لقد تفوقت عليهما .

لأول مرة توافقه مروة تومى مؤكدة بينما سمرا تهتف بعبوس

طفولي لا تصدق بأن والدها حي كأنها الآن فقط تعلمت

التنفس بحرية وراحة:

-أبي حي يرزق لم أكن أعلم عنه وهو أيضا لا يعلم عني، هل

تصورون حجم المصيبة؟

عاد صهيب لبلع ريقه بتوتر ثم قال مفسرا :

-سمرا اكتشافك لحياة والدك جيد لك وعودة شقيقة مروة

سالمة جيدة لها أما خنساء، فزواجها سيؤثر على حياتها حتى

إن افترقا مستقبلا .

تدخلت خنساء تستنكر بسخط وهي تدس كفيها بجيبى وزرتها

المدرسية:

-من هذان اللذان سيفترقان؟ لا تقل ذلك مجددا !

أنسته توتره يعلق ضاحكا :

-لم أكن أعلم بأنك من محبي التاريخ والجغرافيا .

ابتسمن بمرح صادق وخنساء ترفع ذقنها مؤكدة على قوله

بملاح رائقة :

-ومحبة للتربية الوطنية أيضا من فضلك .

تحولت البسمات لضحكة مبتهجة ثم قال صهيب :

-لكنك تظلين الفائزة، فلولا موقف الأستاذ الشهم، لكنت الآن

زوجة لرجل غريب الله أعلم أين كان سيأخذك أو يعاملك ولم

نكن سنراك مرة أخرى، هل استوعبتن حجم المصيبة؟

حركن رؤوسهن بسهولة واجم، فأضاف بتردد :

-أنا أيضا لدي خبر لا أعلم إن كان جيدا أم لا؟

رمقنه بتساؤل و فضول، فحك شعره الحريري، فأضاف يتوسل
بطريقة مرحة :

-من فضلكن تذكرن العشرة الطيبة ولا تحكمن علي سريعا .

أشعل فتيل الحيرة والريبة بأحشائهن، فسألته مروة بنفاد صبر :

-تحدث صهيب، هيا!

أشار إليها بسبابته، يحذرهما مسبقا :

-لا أقلق إلا منك يا عصبية، ستشعلينها نارا حارقة وترقصين

حولها على جثتي .

نفخت بامتعاض من خلف نظارتها السميقة، فرفع كفيه

باستسلام يستدرك :

-اهدئي، أنا أمزح بل أنت الأكثر ذكاءا بينهن وستفهميني .

نظرت إليه سمراء وخنساء بحنق، فأضاف محرجا :

-أنتما من أقر بذلك قبلا .

عقت مروة بضجر ممتعض وهي تحرك نظارتها بشكل
تلقائي :

-أنت تزيد الأمر سوءا، فقل ما لديك و أرحنا .

زفر ياسا ثم قالها أخيرا وباندفاع :

-خلاصة القول، إسمي صهيب القناص .

قطبن حيرة، فأضاف يهز كتفيه :

-صهيب فؤاد القناص .

نظرتا إلى سمرا التي ترمقه ببلاهة تحاول فهم ما يعنيه، فأشفق
صهيب عليها يخاف فقدتها بينما هي تسأله بحيرة:

-ماذا يعني هذا؟ هل تقربني؟

قلبت مروة عينيها ياسا، فقالت خنساء بلطف بينما تربت على
ظهرها :

-بلى، إنه أخوك يا سمرا .

سعلت بخفة ونظرت إليه تتأكد منه، فأوماً بإشفاق وأسرع
يتحجج :

-بحثت عن أختي الكبرى حين علمت من ابن عمي بوجودها،
فاكتشفت بأن لي أختاً أخرى ومن نفس عمري، لذا فعلت

المستحيل لألتحق بمدرستك كي أتعرف عليك بعدها أخبرك
عني لكن حين علمت منك بأنك تظنين والدنا ميتا لم أتحمل
وتشاجرت معه من أجلك لأكتشف بأنه هو الآخر لا يعلم
بوجودك .

حل عليهم الصمت للحظة والجميع يترقب رد فعلها، فسألته
بملامح لا تنم عن شيء محدد :

- أنت بحثت عنا؟

أوما لها، فسألت من جديد :

- والتحقت بهذه المدرسة من أجلي؟

أوما مرة أخرى، فعادت للسؤال مجددا .

- أنت أخبرت أبي عني؟

حرك رأسه بريبة كالتي ارتسمت على ملامح الفتاتين قبل أن
ينتفضوا على صرختها التي أخافتهم للوهلة الأولى ثم ما لبثت
أن أراحتهم حين انقضت على صهيب تضمه بسرور، تهتف :

- أنت أخي، أنا لذي أخ، أنا سعيدة جدا، لا أصدق! يا إلهي إنها
معجزة!

سحبها مروة، تؤنبها بدهشة :

هل جنت يا فتاة؟ الجميع ينظرون إليك .

هزت كتفيها، ترد باسمه بفرح :

- لا يهمني.... إنه أخي!

تجمد صهيب ببهوت أجفل منه على هتاف مروة الممتعض :

-لكن لا أحد يعلم هنا وأنت تضمينه هكذا .

صاحت بسعادة دون أن تهتم لمن حولها :

-سأتكفل بذلك حالا !

أعادتها مروة بحنق وخنساء تضحك بصخب لمحه مترقب لها

على باب الإدارة، وصهيب يقول بسرور حقيقي حين أفاق من

دهشته ليكتشف أنه لم يفقد أخته الطيبة القلب والعقل :

-تعالى أختي، سنتكفل بذلك معا، سنخبر الجميع بقرابتنا

اليوم .

أمسك يدها وتبعته بسعادة وفخر، فعقبت مروة بامتعاض :

-اجتمعت البلهاء بالأحمق !

ثم نظرت إلى خنساء الغارقة بالضحك، تضيف :

-ما الذي يضحكك بالضبط ؟

أشارت إلى وجهها، تجيبها بمرح :

-وجهك المحمر غضبا، أشعر بأنك على وشك ارتكاب

جريمة، دعيها يا فتاة تسعد بأخيها، الحقيقة كونه أخ لأي

شخص يسعده .

فعقت مروة بتهكم جاف :

-ها ها ها، كفي عن ضحكك الصاخب لأن من سيرتكب

جريمة بحق، هو من يراقبك بوجه عابس .

استدارت تنظر إلى حيث تشير برأسها لتجد أمين يرمقها
بعبوس كما قالت، فبلت شفيتها بارتباك وفرت هاربة إلى
الفصل من عينيه المترقبتين :

-يا أمين ركز معي هنا، لديك كل الوقت في البيت !

نطقها وائل بمزاح، ليقول باستنكار :

-وائل، أخبرتك بكل شيء وما تزال تسخر مني .

ربت على كتفه يعتذر إليه باسمها :

-أسف صديقي، لم أقصد! لكن نظراتك العابسة نحوها توحى

بشيء آخر .

قطب يرد بثقة :

-انها كأختي إيمان يا وائل وأمانة برقبتي، من الطبيعي أن أخاف عليها .

هز وائل رأسه نفيا، يجيبه بثقة أكبر :

-لا يا أمين ليست أختك ولن تكون أبدا، في الماضي كانت ابنة الجيران أجنبية عليك وفي الحاضر هي زوجتك حلالك والمستقبل الله أعلم به، أنتما تقرران شكل علاقتهما، أن تبقى علاقة زوجية وتنشئان معا أسرة أو تقرران الفراق، حينها تعود أجنبية عليك، السنة المقبلة ستلتحق بالجامعة إن شاء الله حينها ستكون مجبرا على اتخاذ القرار يا أمين .

خنساء بالفعل ليست بأخته ولن تكون أبدا بل زوجته والمشكلة أنه يوما ما، سيضطر ليخيرها فلها حق اختيار التحرر منه لتبني

حياتها مع من تقبل به، توقف فكره عند ذلك الخاطر وقلبه
ينقبض بشكل غريب ثم نفض عنه تلك الأفكار حين تجاهل
وائل الأمر برمته، يسأله ما يهمله :

- ما رأيك في الموضوع الآخر؟

صمت للحظة وجيزة قبل أن يجيبه :

- أظن بأن لدي فكرة مناسبة، نتوكل على الله ونجربها، لنرى
نتائجها.

المستشفى الخاص

- كيف هي الآن دكتورة؟

ابتسمت الدكتورة صفاء، بود تجيبه :

- نائمة وأنت؟

رفع كفه إلى رأسه، يجيبها .

لا شيء مهم، عشر غرز لا غير .

ابتسمت، تجيبه :

- عشر فقط؟ أنت محق، لا شيء مهم .

تجاوز إحدى محاولاتها لاستدراج الود بينهما وسأل بجدية :

- كيف حالها يا دكتورة؟

فردت بنفس جديته :

-الإقلاع عن الإدمان ليس سهلا، الأفضل لها لو تركتها هنا

تحت الملاحظة .

حرك رأسه رافضا، يجيبها :

-يجب أن تستيقظ في البيت لتعلم أنها تحت مراقبتي أنا ولا مفر

لها من العلاج.

هزت رأسها بيأس، تقول :

-كما تريد، سأكتب لك أسماء بعض الفيتامينات ستفيدها

مستقبلا لأنها ستستفرغ كثيرا وتنعدم شهيتها وبعض الأدوية

للحالات القصوى من الانهيار لتنشط الدماغ قليلا وتساعدنا،

لكن يجب أن أراها مرة كل أسبوعين على الأقل ومهما
استفرغت اهتم بتغذيتها وما نصحتك به ليتخلص جسدها من
السموم .

نطق باهتمام :

- بإذن اللهشكرا لك .

قطبت تسأل بفضول قاتل ومتوجس :

-لم تخبرني بعد، ماذا تقربك؟

صمت لوهلة قبل أن يقرر مجيبا بثقة :

-إبنة عمي وزوجتي .

تمالكت الدكتوراة نفسها من الصدمة تقول بارتباك بينما تخفي
كفيها بجيبي وزرتها البيضاء :

-تشرفت بمعرفتها، كنت اتمنى أن اتعرف إليها في ظروف
أفضل .

لاح شبح ابتسامة على ثغره القاسي ثم أجابها:

-ستلتقين بها في ظروف أفضل بإذن الله، أستاذن منك، شكرا
لك مجددا .

راقبت انسحابه بحسرة حزينة، تهمس ببعض الحزن .
-خسارة .

*بيت العم سعيد *

_مرحبا بنفسج كيف حالك يا ابنتي .

ردت بنفسج تحية العم سعيد ثم جلست قرب جليلة تعاتبها
بليين :

-لماذا لم تخبريني بأنك آتية؟ كنت لأطلب منك انتظاري .

ابتسمت بحزن تجيبها :

-لم أتحمل يا بنفسج، ما قاله نوفل صدمني ... كيف؟

قاطعتها بنفسج، تطمئنها بثقة : -نوفل وسلوى بإذن الله لن
يكونا سوى لبعضهما، هو مجروح من عدم ثقة سلوى به ومع

فزعه عليها وغضبه تشوشت أفكاره، سيهدأ ويفكر بحكمة
بعدها سيعتذر إليكم عن حمق تسرعه !

رفعت سيدة كفيها تدعو أن يصدق كلامها بينما هم جلوس
جميعا بغرفة الضيوف، فاستطردت تسأل :

-أريد رؤيتها، أين هي؟

ردت جليلة بوجوم حزين:

-إنها مصدومة يا بنفسج في ملكوت آخر، ساهمة لا تأكل ولا
تتكلم، ألمني قلبي على حالها فتركتها مع الفتاة الأخرى .

قامت بنفسج متوجهة إلى الغرفة تقول :

-ستشفى إن شاء الله، ستنجلي الغمة وتمر المحنة بسلام
...استعينوا بالله .

دخلت إلى الغرفة وألقت تحية الإسلام، فردت عليها سعيدة
بالتحية حائرة، فأخبرتها بهويتها :

-أنا بنفسج أخت أحد الرجلين اللذين أنقذاكما، هل أنت
سعيدة؟

أومأت مرحة وهمّت بالتحدث لكنها أجفلت من سلوى التي
انتفضت، تهتف بلوعة : -بنفسج!

خطت لتجلس على السرير جوارها، فارتمت في حضنها تبكي
بحرقة لتضمها بنفسج وقد دمعت عيناها، تهمس لها بحنو:

-اهدئي حبيتي، اهدئي! وحدي الله يا سلوى، أين شجاعتك
وقوتك؟ أنت تعلمين بأن الشر موجود ونحن لا يجب أن
نستسلم، إيماننا بالله يقوينا لمواجهة أصعب المحن .

ثم أبعدها تتفحص وجهها المكدوم برأفة، تكمل :

-لا بارك الله فيهم، يا إلهي! لا نخوة ولا رجولة يتصفون بها .

نطقت أخيرا تقول بشهقات جارحة لحلقها وقلبها فتفصل بين
حديثها بطريقة متعبة :

-هل تعلمين ما هو أسوأ شيء في الأمر؟

رفعت بنفسج حاجبيها تساؤلا، فتابعت ببكاء .

- لا أحد منكم أنبني ولا مني على ما كنتم تحذرونني منه ولم
أصغ إليكم، حتى والدي أخبرني بأن ما خسرتة يكفي لأتعلم
التوازن في قراراتي مستقبلا .

لمست بنفسج جانب وجهها برقة ثم مسحت دموعها تصغي
لاستر سالها الموجه :

- ليتكم أنبتموني أو حتى تشفيتم في، ليت أبي ضربني ونوفل!
ليته يخاصمني ويتشاجر معي لكن لا يتركني، لا يطلقني كأنني
ساقطة تم تدنيسها .

وضعت بنفسج كفها على فم سلوى، تقول ببهوت وما توقعته
صدق :

-من قال ذلك؟ هل جنت؟ نوفل لا يفكر هكذا أبدا .

نظرت إليها بحزن، ترد عليها بنبرة بكاء يائسة :

-ولماذا طلقني؟ لطالما كنت أفعل ما برأسي الأحمق ونتشاجر

لكنه لم يتعد وبعد الذي حدث طلقني رأسا، هل يظن بأنهم

اغتصبوني؟ هل يظن أن أحدهم لمسني؟

تبرمت بنفسج بشفتيها تعقب بحنق :

-لا أعلم من الأكثر حُما بينكما؟ وستصيانني بالشلل قبل أن

تتفقا، أستغفر الله .

رمقتها باستنكار من بين دموعها الغزيرة، فتابعت بحزم :

- أليس ما به حمق، حين يصدق بأنك تزوجت منه مجبرة
وبأنك لم تحبيه يوماً ويرى في عجرتك وتهربك منه قلة احترام
لكرامته وكبرياء رجولته ثم يقرر مستقبل علاقتكما فاشل
كفشل زواج والديه؟

صمتت تأخذ أنفاسها وسلوى تقلب كلمات بنفسج بعقلها
لتستوعبها :

-وأنت! تحسبين ضجر ونقمة نوفل من تسوله الحب منك
ومطاردته لك، فيحاول مداواة كرامته المهدورة وجرح كبرياءه
حسب تفكيره طبعاً بمنحك حريتك لتختاري عيش حياتك
كما تشائين مع من تختارينه، أليس من الحمق اعتبار ذلك كله

ما تفوهت به الآن من خزعبلات؟ اسمحي لي يا سلوى، أنت كنت وما زلت حمقاء.

سلوى تلهث متجمدة وسعيدة تبتسم بذهول من هذه الفتاة التي اقتحمت أسوار سلوى كبحر هائج تنزعها من صدمتها بقوة، تبدو كمن يعرف شخصية سلوى جيدا فتتابع ما تنطق به برضا:
- أنت تحبينه وهو يحبك لكنه سبق وقدم لحبه الكثير وأنت تتمنعين عنه والآن حان وقتك يا سلوى .

قطبت بحيرة تمسح دموعها فتابعت بنفسج تفسر :

- حان وقتك لتقدمي شيئا لحبك، جربتِ فقدانه وعلمت بأن لا شيء يستحق فقدان من تحبينه، لذا ستنفضين عنك هذا

الضعف الذي لا يليق بك أبداً وتقومين للدفاع عن حبك
واسترجاع زوجك تثبتين له ولاءك وتمسك به وأنت لا تترفعين
عنه أو تتكبرين !

ازدردت ريقها، تتساءل بتردد وخفوت :

-ك، كيف كانت علاقة والديه؟

ابتسمت بنفسج تجيها مستبشرة :

-سأشرح لك ما يهملك فانصتي جيداً !

المركز

-هل أنت جاد يا أسد؟

أطرق برأسه أمام العميد ليث، يرد ببعض التردد والضابط ممتاز
ضرغام يراقب الوضع بتفكير عميق :

-أجل سيدي، أريد تغير مكاني في المهمة .

هتف ليث بنفاذ صبر، فالضغط على أعصابه زاد مع تلك القضية
المرعبة لا ينام ولا يأكل جيدا وبالكاد يلتقي بأسرته .

-هل نمزح هنا يا أسد؟ هل تعلم كم من التنازلات قدمناها في

سبيل تحقيق الهدف؟ وقد اقتربنا جدا وتريد الإخلال بالخطة

الموضوعة من البداية؟ أعطني سببا واحدا مقنعا يا أسد !

ظل على صمته يضغط على شفثيه، فتدخل ضرغام يقول بهدوء
ليس من شيمه :

-اليوم جهزنا خطة لإخفاء فتاة أخرى من ضحاياهم في بيت
عائلي يا أسد، كل منا يضحى ويتنازل من أجل الوصول إلى
هدف أهم وفي أسرع وقت ممكن، فكر جيدا وأجب، هل هناك
سببا قويا يجعلنا نغير من تفاصيل الخطة الأصلية؟

كيف يخبرهم بأن قلبه يدق لشريكته في المهمة؟ وأنها فتنة
طاغية لا يعلم كم من الوقت سيصبر أمامها قبل أن يسلم لها
وهي لن توفر جهدا لتعبر له عن اعجابها، فلا حدود تحكمها
لكن هذا عمله ولا مفر له منه لذا سيبحث عن حل آخر.

تحدث يقول باستسلام، قبل أن يغادر :

- لا... سيدي! لا شيء لا أستطيع تحمله، أنا آسف على
ازعاجكم .

استأذن خارجا وهو يسحب هاتفه، فتحدث قائلا بوجوم حين
أجابته والدته : -متى أقرب موعد لأقابل الفتاة؟
صمت قليلا ثم رد عليها :

-على بركة الله أُمي، حددي الموعد وسأرافقك إن شاء الله...
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعاد الهاتف إلى مكانه يتنفس بعمق هامسا لنفسه بحزم :
-هكذا أفضل، لي ولها، يجب أن أنشغل بفتاة أخرى .

منزل القناص

عادوا إلى القصر بعد أن اطمأنوا على مصير نرمين، وانحسرت
خطواتهم حين لمحت جنات وبيلسان نضال برفقة فتاة يضم
خصرها وهي تضحك بطريقة تليق بلباسها وهيئتها بينما
رضوان يمسك بذراع والدته الحانقة والمحمرة غضبا :

-ماذا يحدث؟

وعت من المفاجأة على همس نزار، فرفت برموشها قبل أن
تسحب نزار برفق وهي متأبطة ذراعه تعبس بيأس وقنوط من
تصرفات الأحمق الذي هتف بتشدد ما إن لمحهم :

-توأمي العزيز وصل برفقة زوجته، تعالي يا دودو، سأعرفك
إليهما .

عبست جنات ترمقه بحقد متسمة مكانها بينما هو يردف
ببسة مستهترة :

-هذا شقيقي وتوأمي طبعاً، فأنا وهو متشابهين جدا .

لاحظوا ترنحه الطفيف، فادركوا يقينا بأنه ثمل :

-أوووه! لا تفهمي خطأ، فنحن متشابهين فقط بالملامح، لا
غير وهذه ...

طمس المرارة في نبرة صوته، بادعاء سرور لم يقنع أحدا
واضاف :

-تكون ابنة عمتي وزوجة أخي .

تدخل نزار يجيبه بجمود :

-ومن تكون الأنسة يا توأمي العزيز؟

سحبها بقوة كادت توقعها، فتضحك بعدم اتزان هي الأخرى :

-ألم تتعرفوا إليها؟ إنها الفنانة دنيا نجمة الفن الأولى غناء

ورقصا، وخطبتي .

الفصل السادس والعشرون

{إثنان لا يصطحبان أبداً : القناعة والحسد ، واثنان لا يفترقان
أبداً الحرص والحسد الحسن البصري}

* منزل القناص *

- نزار؟ إنه وقت دوائك، لنذهب إلى جناحك .

هز رأسه بصمت واجم واستدارا ليقفا من جديد حين قال نضال

بتهمك واضح :

-ألن تباركالي؟

التفتت إليه بيلسان تجيبه ببرود :

- حين تستفيق من ثمالتك إن ظللت خاطبا سنبارك لك وندعو
لك بالتوفيق .

ضحك فتدخلت فريدة ، تهتف بغضب وعصبية :

- أي مباركة يا بيلسان؟ من هذه التي سيخطبها؟ إنها سكيرة
وصيتها ذائع بما يشين، أستغفر الله العظيم .

عبست دنيا في وجه العمة ونضال يشير بسبابته مجيبا وهو
يضحك بلا سبب :

- لا.... لا داعي للإهانات عمتي، إنها خطيبي الآن .

زفرت العمة بقنوط ورضوان يربت على ظهرها، فعقب نزار
بجدية وخيبة دون أن يستدير :

- لماذا يا عمتي تحكمن على الفتاة وتنسينه هو؟ أليس سكيراً
هو الآخر؟ لماذا هذه العنصرية؟ هو أيضاً زير نساء معروف،
الحقيقية هما يستحقان بعضهما جدا .

اقرب نضال بخطوات متمهلة ليقف قبالة شقيقه و زوجته،
يجيبه بكآبة وبؤس ظاهرين على وجهه :

- بما أنك موافق يا أخي، فبارك لي، في النهاية قد نتزوج في يوم
واحد .

ابتسم نزار بحزن يقول بأسف :

- أنا وأنت لم يجمعنا سوى بطن أمي رحمها الله وطفولة دمرت
ذكارها الجميلة بأفعالك المشينة .

علا الوجوم ملامح الجميع بينما يهمس لها :

-دعينا نذهب .

انصرف الجميع ممتعضين وجنات تخاطبه باشمئزاز :

-أنت أكبر حقير قابلته في حياتي .

تفاجأ نضال من كم الكره بمقلتها بدل الانبهار الذي مالأهما

قبلا:

-توء توء! عائلتك لا تحبك إطلاقا يا حبيبي، ليس مهما، أنا

أحبك !

وانطلقت ضحكاتها الفاضحة والغير متزنة بالمكان :

-مستواك ينحدر كل يوم عن الذي قبله، يا ابن توأمي !

يا الله كم يكره تلك النبرة، حتى أنه أوشك على كره والده بسبب
الشبه بينهما، هو السبب في كل ما وصل إليه! هو السبب في
شوات أسرته وفقدان والديه، وفقدان شقيقه.

يوما ما سيقتله! حينها فقط قد تبرد نار الفقد والحقد في أحشائه
أما النار التي أشعلتها بيلسان بقلبه لا يعلم كيف سيردها.

تجاهله سحب الفتاة يقول بجمود:

-هيا دنيا، سنسهر في شقتي .

(جناح نزار)

لا تغضب نزار! حين يعي من سكره سيندم ويتراجع عن خطبته
تلك.

هز رأسه بينما هو جالس على مقعده المفضل جوار النافذة،
يجيبها بوجوم :

-دعائي لله أن يعود نضال كما كان قبل الحادث .

قرفت أمامه بينما تضم كفيه، تسأله بحيره :

-أي حادث يا نزار؟ هل هو سبب فقدانك للبصر؟

أوما يجيبها وملامحه تغم بالأم الماضي :

-بلى، إنه الحادث الذي راح ضحيته والداي، كان يوما عصيبا

تشاجرا فيه بعنف كما لم يفعلا قبلا بسبب زواج أبي المفاجئ

من قائمة .

شهقت بلسان، تهتف مدهوشة :

-و الدك تزوج على أمك؟

تابع بحزن عميق، يرد عليها :

-بلى، تزوج منها بشكل غامض، فوالدي لم يذكر الأمر قبلا،
فقررت أمي الرحيل وأخذتنا معها، حاول منعها لكنها رفضت
بشدة وفي النهاية قرر أن يوصلنا بنفسه للمطار... التحقيق أسفر
عن أنه حادث مدبر لأن الفرامل كانت مقطوعة بفعل فاعل .

الذهول لا يفارق وجه بيلسان بينما هو يستطرد :

-أظن أن نضال تعمق في التحقيق ويعلم هوية المجرم لكنه لم
يخبرني، بل تغير وأصبح شخصا آخر لا أعرفه، استباح
المنكرات لأجل أن يحلل لنفسه طريقة انتقامه من القاتل،

وحقده على عمي تهامي جعلني أشك أنه هو لكنني لست
متأكدا وأمنيته أن يعود شقيقي نضال كما كان قبلا، قبل أن ...
صمت فجأة، فسألته بيلسان بحيرة تتأمل ملامحه الحزينة :

-ماذا نزار؟

حرك رأسه، يقول مغيرا الموضوع :

-الدواء من فضلك؟

تأثرت لحزنه فقامت الى الدرج الخاص بالدواء، سحبتة
وبحثت بين العلب لكنها لم تجد الدواء :

-نزار! الدواء ليس هنا .

فكر قليلا ثم قال :

-لو سمحتِ ابحتي في خزانة الملابس، الباب الثاني على اليمين .

أطاعته واتجهت الى الدولاب، فتحت الباب المحدد، فاندھشت من كم الأدوية المنظمة هناك، أخذت غايتها وعادت تتساءل بحيرة :

-ما كل تلك الأدوية نزار؟

رد عليها بتهكم ولم يغادر الهم ملامحه بعد :

-أنا رجل معلول يا حبيبتى .

رق قلبها من أجله، فأسرعت إليه تربت على كفيه، تهتف بخوف صادق عليه :

- حفظك الله لي يا نزار، لا تقل ذلك .

تتبع يدها الى أن وصل لرأسها وأمسكه بين كفيه يطالبها بنبرة
حانية :

- تخافين علي بيلسان؟

أومات تهمس بحياء :

- طبعاً حبيبي .

ضمها إليه يهمس لها بعاطفة جياشة :

- لا تنادينني بعد اليوم سوى بحبيبي، لا تعلمين ما تفعله بقلبي
بنبرك .

طغى الاحمرار على وجنتيها تبسم بتأثر، فاستدرك برجاء
التمسته:

-دعينا نتم زواجنا قريبا، لا داعي للتأخير، ما رأيك بآخر
الأسبوع؟ أطلب من عمتي التحضير لزفاف يناسبنا، فهي تحب
تلك الأشياء، أريدك هنا قربي، لا أريد أن تفرق بيننا الجدران،
ما رأيك حببتي؟

لم تملك سوى الموافقة وقلبها يتمرغ في عاطفة تحيط قلبها
وكيانها بلمس حريري ناعم، تغرق في حب نزار وحنان نزار
وما كانت أبدا برافضة، بل مرحة كل الترحيب .

ثانوية الحسن البصري

-الى الغد إن شاء الله، سلام .

تركتم متوجهة إلى أستاذها وقلبها يسبقها بينما شعور بالذنب
يكتنفها من موقف الضحك الصاخب، لامت نفسها عن
تهورها، وابتسمت بحياء تقول بغير نية لتنفيذ :

-يمكنني الذهاب مع صديقاتي، إن أردت؟

أشار إلى مكانها يقول بحزم وإن اتسم بالهدوء :

-اركبي خنساء .

ركبت بسرور تلمع به مقلتها وتحركت الدراجة قبل أن
تتموضع جيداً، فشهقت تمسك به كي لا تقع، فابتسم يقول
بمكر مرح :

- هذا كي تنتبهي إلى تصرفاتك مستقبلاً .

دهشت بداية لكنها عضت شفتها بمكر أكبر من خاصته،
فتمسكت به بشدة مدعية الخوف فشر بقلبه يتلوى مكانه قلبه،
يتحقق من صدق حديث صديقه أنها أبداً لن تكون شقيقة له .

- كيف يسمح لفتاة بأن تترك خلفه على دراجته؟

سألت الأستاذة هناء صديقتها التي ترمقهما بضيق بينما تتجاوزان البوابة الخاصة بالأستاذة :

- علمت قبلا أنها جارته، لا بد أنه يساعدها لأنه إنسان دمث الأخلاق .

هزت الأولى كتفيها وكريمة تستدرك ببعض الحيرة :

- إنه إنسان جيد لذا أحاول استمالته لا أظن بأنه سيهتم بفتاة صغيرة .

- ما رأيك أخي، لنذهب الى مكتب أبي ونقترح عليه دعوتنا إلى العشاء ونقضي معه وقتا مرحا؟

تكرر كلمة أخي وأبي مرارا كأنها بذلك تتأكد من أنها حقا تعيش واقعا حقيقيا تحظى فيه بوالد وأخ وليس مجرد حلم ستستيقظ منه فجأة بينما مروءة تجعد أنفها مللا من حديث سمرا المسرورة بزيادة كأنها وقعت على بحر ذهب لا ينضب، أما صهيب فرد عليها بدهشة ساخرة :

-أبي أنا، السيد فؤاد القناص يدعونا على العشاء ويقضي معنا وقتا؟ ومرحا أيضا؟

هزت رأسها مؤكدة ترمقه بسعادة بريئة صادقة وصاخبة
بوهجها المتلون بألوان قوس المطر المبهج، فاستدرك بمهادنه
يخشى جدا انطفاء ذلك الوهج فيكون هو السبب :

- لا مشكلة، لكن ليس اليوم بل غدا، دعها للغد، فلا دوام
مسائي لدينا.

حمد الله حين أومأت ببساطة تهز كتفيها بينما تقول باستسلام :
- حسنا أخي، لكن الليلة سأهاتفه وأخبره كم أحبه وأتمنى له
ليلة سعيدة وسأهاتفك أيضاً، اتفقنا!

يراوده إحساس فكاهاة إذ أنه لم يربط بينه وبين والده ذلك
الرباط الحميمي الذي تنشده سمرا ويتخيل ردة فعله تحت

وطأة غيمة الحب الزهرية لابنته فيشعر برغبة بالضحك، لكنه
حقا يحبها أكثر من ذي قبل ويرق قلبه لرقتها وحنانها، فيومئ
لها داعما :

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قضيت على آخر ذرات
عقل بقيت لديها .

رسم على وجهه ملامح مستفزة، يسحب سمرا من كفها قائلا
بينما يشير لها :

- هيا أختي، سأوصلك بطريقي، إلى اللقاء مروة .

هزت رأسها ياسا مع أنها تبسم وهرولت هي الأخرى ما إن
لمحت والدها.

الملهى الخاص

- هل وجدتم الفتاة..... ديدو؟

أشار بكفه، يقلب شففيه ضيقا :

- لا، لم نجدها بعد، لا أعلم لأي جحيم لجأت .

رد عليه تهامي بانزعاج :

-وسع حلقة البحث، أريدها قريبا إما تحت سقفنا أو تحت

الأرض، هل فهمت ديدو؟

تبرم بطريقة لا تليق بالرجال وسهيل يبلغه بجدية :

-الشحنة وصلت إلى وجهتها بسلام، هي الأخيرة .

تنهد تهامي براحة بينما يهوي على مقعده خلف المكتب :

- أف! أخيراً انتهينا منهم، لم أحب التعامل معهم ولا أثق بهم نهائياً.

ابتسم سهيل، يعقب بطمع : - لكن أموالهم وفيرة.

- ملغمة، أموالهم ملغمة مهما كثرت تظل ملغمة وذلك يزعجني .

قالها تهامي بامتعاض، فغير سهيل الحديث وهو يقترب إلى المكتب :

- الشحنات البحرية، يخلصها نسيك بكل سهولة ويسر، بالمناسبة، كيف حاله مع ابنتك؟

هز كتفيه بإهمال :

- قال بأنهما سيسافران لشهر أو أكثر.

*منزل القناص *

-مرحبا زيد؟ كيف حالك؟

أجابه باسمما بينما يقترب منه عند الغرفة الخاصة بالأمن قرب

البوابة : -بخير أسد وأنت؟

هم بالتحدث، فقاطعه زيد يشير لمكان خلفه : -استلم .

التفت فوجدها ترمقه بنظرات حادة وتلك اللاصقة تحجب

نصف خدها الأيمن .

اتجه زيد إلى استراحة الحراس وهي تقترب منه تخاطبه
بجفاء: -ماذا تفعل هنا؟ ألم تكن راحلا؟

أسدل جفنيه، يتنفس طلبا للهدوء ثم رد عليها برسمية :

-لم يسمحوا لي، نحن مضطران للتعامل مع بعضنا إلى أن
تنتهي القضية .

-إلى الجحيم أنت والقضية!

لفظتها بحرقة واتجهت إلى السيارة، فأسرع يتجاوزها ليحول
بينها وبين باب السيارة، يهتف بغضب: -أور تأدبي!

رفعت إليه رأسها، تجيبه بصيغة أمرة :

-ابتعد عن طريقي!

-لن تذهبي لأي مكان من دوني، هات المفتاح !

تحترق أعصابها بينما تخبره :

-أنا لست ذاهبة الى العمل، لا داعي لمرافقتي .

أوماً بحنق:

-وإن يكن! تعليماتي هي مرافقتك كظلك الى نهاية القضية .

-أف!أنا عائدة لغرفتي !

غادرت تضرب الأرض غضبا، فابتسم من منظرها بدل أن

يشتعل غضبا لكنه سريعا ما اختفت بسمته يغطي الوجوم

ملامحه .

يقف بعيدا يحاول التخفي ويراقب بيتا بالتحديد، تأفف ضجرا
وتعبا، منذ الصباح وهو يراقب عله يلمح طيفها ويتأكد من
وجودها لدى أهلها، تصلب حين انفتح الباب لتطل فتاة أصغر
من زوجته، تعرف عليها إنها شقيقتها تحمل بين يديها صغيرته،
فضم شفثيه بحقد، يهمس :

-إذن قبلوا بك رغم كل شيء، سترين ما سأفعله فقط انتظري !

بيت فضل الله

- نامي الآن، أنت مريضة و يجب أن تستعيدي عافيتك، بعدها
نتحدث إن شاء الله.

قامت بنفسج تحمل صينية الطعام بعد ان أطعمت نرمين
بيديها، أشفقت عليها كثيراً حين علمت بقصتها وحالتها
المزرية .

- لا أعلم كيف أشكركم سيدتي .

شكرتها بضعف، فابتسمت ترد بمرح :

- أول شيء، كفي عن مناداتي بسيدتي، ثم تشكرين خالقك هو
أحق نحن لسنا سوى أسباب يمن الله عليهم بفضل كرمه .

تنهدت بألم ثم قالت بوهن:

-أحمد الله وأشكر فضله، وأنا نادمة على الأيام التي أضعتها
قبلا، لو كنت هربت باكرا .

دمعت عيناها من جديد، فقالت بنفسج مشفقة :

-لا تبكي! أنت مريضة ومن المفترض أن تظلي بالمستشفى
لولا التهديد على حياتك، لذا أريحى نفسك، فلكل شيء ميعاد
والمهم هو الإصرار على التوبة والإنابة إلى الله .

ابتسمت بحزن تعبر عن حرقه بصدرها :

-أريد أن أصلي، أحتاج إليها لكن لا أستطيع تحريك جسمي .

على وقوفها بين يديها الصينية، تفسر لها بلطف :

-عزيزتي! الصلاة لا تسقط إلا بفقدان العقل إما نوما حتى يستيقظ النائم أو اغمءا حتى يفيق أو جنونا حتى يعقل وتستطيعين الصلاة كما تسمح لك ظروفك الصحية، جالسة، مستلقية أو حتى بعينيك يعني في مثل وضعك وحين تفرغين من الصلاة، لسانك السليم رطبيه بذكره سبحانه، سبحي الله، واستغفري وصلي على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فتكونين من الذاكرين لله كثيرا، الدين يسر يا حبيبي وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال: * (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه

باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) * أبشري! ولا تخشي شيئا
في كنفه إلا هو!

حل السرور على ملامح وجهها المكدوم تومئ بأمل أنعش
قلبها ومنحها سعادة في صميم قلبها وحينها فقط تحركت
بنفسج تغادر غرفتها .

بيت العم سعيد

سعدت مروة أيما سعادة حين لاحظت تغير حالة شقيقتها
وانكسار بعض من جمودها وكآبتها، فسألت سعيدة التي كانت
تجلس على سريرها : - الحمد لله لكن كيف؟

ابتسمت سعيدة تجيبها بسرور :

-السيدة بنفسج كانت هنا...تلك الإنسانة جميلة الروح،

تذكرني بواحدة أخرى إسمها ورد .

هزت مروة رأسها، تجيبها :

-بلى أعرفها، رئيسة الجمعية ...لها فضل كبير بعد الله على

والدي وهي صديقتنا، أحبها جداً وبنفسج أيضاً أحبها، كم

أتمنى أن أكون بمثل أخلاقهما وقوتهما وأنت كيف حالك؟

ردت بمودة: -بخير الحمد لله، سأزور طبيبة نفسية لمدة من

الوقت بتوصية من بنفسج وستكون زيارتي لها مراقبة، لأنني

وسلوى ممنوعات من الظهور الآن، لأسباب أمنية .

هزت مروة رأسها وقامت حين عادت سلوى إلى الغرفة
وضمتها بقوة تخاطبها بحب :

-الحمد لله على سلامتكم أختي، أنا مسرورة جدا.

قبلتها سلوى تضمها بخوف حقيقي يعترئها على نفسها وعلى
الجميع، تجئها بدفء: -حفظك الله من كل شرا أختي .

بيت السيدة حليلة

-ماما، للمرة الألف أنا لم أكن مع رجل غريب، بل تغدبت مع
أبي وأظن بأن السنوات التي حرمتني فيها من والدي تكفي!
دعيني استمتع به قليلا .

فغرت والدتها فمها دهشة، فهي لم تتعود من سمرا هذا النوع
من الردود رغم ما يعترينا من ارتعاش بينما لبنى تتدخل قائلة :

-سمرا تكلمي بأدب .

تعصبت وارتعاشها يتضاعف، فهي لم ترد على إحداهما كلمة
من قبل وتحب أن تكون طيعة وتعيش ببساطة فيرتاح قلبها
وتشعر بسلام نفسي لكنها تحب والدها وترفض ما فعلته
والدتها وشقيقتها ولا ترى أي سبب يستحق إبعادها عن والدها
أو إيهامها بأنه ميت .

-ما هذا الذي قلته يخل بالأدب؟ ألم تكذبا علي وحرمتاني من
والدي؟ و من أخ طيب أيضاً !

تجمدت السيدة حليلة، تتساءل بنبرة باردة : -أخاك؟

لم تتبه سمرا لجمود والدتها، تسترسل بحديثها المتحمس :

-أجل، أخي صهيب، هو من بحث عن لبنى حين علم من ابن

عم لنا اسمه نزار أن له أخت، فاكشف بأن له أخت أخرى لذا

التحق بمدرستي كي يتعرف علي...و

-أصمتي!

انتفضت سمرا تنهض بخوف من كرسيها حين صاحت والدتها

ولبنى تذرف الدموع بينما تحاول ضم والدتها، فالقهر يعود

عليهما بظلاله القاتمة كأن الزمن لم يمر بسنواته المريرة،

تكومت سمرا على نفسها هلعا وبؤسا أمام حليلة التي تابعت
صياحها تعاني من انهيار متأخر :

-ابن قائمة؟ استجاب لها الله ولم يستجب لي؟ ... لماذا يا ربي!
... لماذا؟ هي الحية مدمرة البيوت، خاطفة الرجال أنجبت
صبيا... آه !

ضمتها لبنى بقوة رغم حالتها الهستيرية، تبكي معها على بؤس
حالهما.

تلاحقت أنفاس سمرا بفزع لم تتخيل أن ترى والدتها الصلبة
الباردة في موقف انهيار تعاتب خالقها بذلك الاستنكار،
فحاولت التحدث : -ما..... ما !

-لا!

صرخت ورفضت عنها لبني ثم تحركت نحوها فأوشكت سمرا
على الفرار، لولا أنها أمسكتها من يدها تصيح بجنون وقد
فقدت عقلها تحت وطأة الغضب الأسود :

-والدك الذي تفتخرين به تزوج علي وتركني وترك ابنته من
أجل أن ينجب صبيا، هل تسمعين؟ تركني وترك شقيقتك من
أجل ذلك الصبي الذي تقولين عليه بكل وقاحة أخوك!
تدحرجت دموع سمرا وقلبها يضرب بقوة بصدرها بينما
والدتها تهزها مستطردة:

- حملت بك رغم كل تحذيرات الأطباء بأن الحمل قد يقتلني
لكنني غامرت بحياتي وأنا أدعو الله ليل نهار أن يمنحني الصبي
كمحاولة أخيرة لأعيده عن قراره ورغم ذلك لم يفعل لأنه كان
قد تزوج منها، كنت مستعدة للموت فقط كي أنجب صبيا
وأحافظ على زوجي لكنني لم أفجح! لا في الحفاظ عليه ولا في
إنجاب صبي!

- هل لهذا كنت تعامليني ببرود؟ لأنني لست صبيا كما رغبت
وبشدة!

نظقت سمرا بصدمة تلهث، لكن جنون حليلة اللحظي لم
يمنحها طاقة استيعاب قول ابنتها ولا قول لسانها، تردف بقسوة
صدمت ابنتها معا :

-بعد كل هذا تفضلينه وابن تلك الحية علي! على والدتك

وعلى شقيقتك؟ اذهبي إليهما إذن!

اتسعت مقلتا سمرا ووالدتها تدفعها نحو الباب تصيح بجنون:

-ماذا تنتظرين؟ هيا! اذهبي إليه وإلى أخيك واجعلي من الحية

والدتك، اخرجي من بيتي!...أخرجي!

-ماما...ماما!

طمست احساس الأمومة مع مناداتها بماما وملامحها الفرعة

وأغلقت الباب في وجهها وعندما حاولت لبنى فتح الباب

تهتف بصدمة:

-أمي! ماذا تفعلين؟

أمسكت بيدها تهددها بهدر مجنون، هستيري، فيبدو لها
واضحاً انهيارها المتأخر لسنوات طويلة :

- أقسم إن فتحت لها سأقتل نفسي أمامكما .

فكرت بسرعة، فارتأت المهادنة تحمد الله على أن شقيقتها
تعرف ذلك الفتى صهيب ووالدها، ستتصل بأحدهما لا بد .

- حاضر أمي، اهدئي! لن أفتح لها، أنا معك أمي وبجانبك .

سكنت في حضنها واللهاث يهز صدرها بعنف، فسحبتهابنئى
بروية إلى غرفتها بينما قلبها ينقبض وجعا من بلاء عظيم،
تناجى ربها أن يمر بسلام.

أنهى مكالمته مع نضال يهز رأسه بيأس من حاله وهم بالعودة
إلى مسكنه بعد أن اطمأن على الفتاة وكان سيشغل المحرك
حين لمحها تخرج من البناية في حالة تبدو للعيان غير طبيعية،
بدنها النحيف يرتعش والدموع تملأ وجهها، ما تزال بشبابها التي
قضت بها يومها دون وزرة المدرسة، فقطب بحيرة يتبعها
بالسيارة يراقبها من بعيد.

خائفة هي بل ترتعش من الخوف، حائرة وحزينة بل غاضبة!
لا تعلم ما بها؟ إنها الصدمة بالتأكيد، والدتها تكرهها وطوال
السنوات الماضية كانت تشك في ذلك، فمعاملتها باردة
وقاسية.

أرادتها صبيا لتثبت به كمالها وتفوقها على تلك المرأة لكنها
أتت هي خيبة تؤكد لها نقصانها لذا كرهتها مع والدها والمرأة
الأخرى، كرهتها معهما كأنها شريكتهما في ما فعلاه بها.

ما دخلها هي في حربهم؟ لم تكن حتى قد ولدت بعد!
شعرت بدوار يلف برأسها وضعف يلم بجسدها وفجأة شهقت
بشدة وهي تسحب بحدة لتهوي في قاع مظلم سحيق .

راقبها من بعيد يترك مسافة كافية بينهما كي لا تشعر به وهو
يحاول الاتصال بنضال دون نتيجة، فجأة ظهرت أمامه سيارة
رمادية من نوع الكنغو، فتح بابها وسحبت الفتاة داخلها في
لحظة واحدة، تماسك وتصرف حسب ما تدرب عليه، فلاحق
بهم بهدوء والهاتف على حجره لا يكف عن الاتصال بنضال

وبعد ساعة من الزمن توقفت السيارة أخيراً وتوقف هو الآخر بعيداً، يزفر بحنق يقرر الاتصال برقم آخر :

-مرحباً سيد فؤاد، دون تفاصيل سيدي ابنتك الصغرى مخطوفة .

أبعد الهاتف قليلاً حين صاح الآخر غير مصدق، ثم أعاد الهاتف يتحدث بخفوت بينما يراقب إخراجهم لها من السيارة، فاقدة للوعي، يحاول التخفي خلف عمود إنارة عمومية :

-اسمعي سيدي لا وقت لدي، نضال كلفني بحراستها ولقد خطفت وأنا

لم يكمل حديثه لأن ضربة قاسية حطت خلف رأسه، فأظلمت
الدنيا من حوله .

*منزل القناص *

كان الجميع ملتفين حول المائدة حين تحدث نزار يقول
بسرور:

-أريد إبلاغكم بأمر أتمنى أن يفرحكم جميعا .

كان يقصد قائمة التي ما تزال عابسة وحنانقة من معاملة زوجها
الباردة، فردت العممة بحنو:

-تفضل بني، ماذا هناك؟

تتبع صوتها برأسه يجيبها :

-أنت معنية بالتحديد عمتي لأنك من سيساعدنا في التحضير
لزفافنا أنا وبيلسان .

غمرهم السرور باستثناء قائمة والعمة تهتف بسعادة :

-ما أروعه من خبر، مبارك لكما وأنا سعيدة جدا بالشرف الذي
منحتماه لي .

مالت جنات تقبل بيلسان ثم باركت لها كما بارك لها صهيب
ورضوان الذي هنا نزار وسأله :

-مبارك يا ابن الخال، متى الموعد بالضبط؟

أجابه مبتسما بسعادة : -آخر الأسبوع بإذن الله .

كانت أور ساكنة تراقب الوضع بجهل استولى عليها، الجهل
بماذا يجب عليها أن تفعل؟ فاكتفت بالمراقبة وخالتها تهتف
بسرور حقيقي :

-سأنظم حفل عرس يحكى عنه القاصي والداني .

رفعت بيلسان حاجبيها، رفضا، تهتف :

-لا خالتي! بعد إذتك، نريده بسيطا ومقتصرا على أحبائنا .

قطبت خالتها حيرة ونزار يكمل عنها :

-أجل عمتي، عرس بسيط، جميل وهادئ للعائلة فقط

والمقربين ولا نريده مختلطا لو سمحت .

ضحكت قائمة، ساخرة تبث سمها كعادتها :

-إنهما محقين، فمن ستحضرين من المجتمع وهما لا يعرفان

أحد ولا يعرفهما أحد، يكفيهما عرس بسيط كمعارفهما.

ضم فؤاد شفثيه يرمقها بامتعاض، يتجاهل الأمر مباركا لنزار

وبيلسان : -مبارك لكما نزار وبيلسان.

قامت أور في تلك اللحظة واتجهت إلى شقيقتها لتضمها بقوة

أدهشت الجميع، تقول ما علمته بقلبها :

-أنت سعيدة جدا أختي، وهذا يكفي.

ثم رمت قائمة، بنظرة ذات معنى عبرت عنها بغموض :

-اخترت من تحبين وبيادلك نفس المشاعر كما تتبادلان
الاحترام والوفاء .

أصرت على حروف الكلمة الأخيرة حتى عبست قائمة بريية
وأور تتابع بما ضاعف دهشة الجميع :

-السعادة تنضح من وجهيكما وهذا يغني عن أي حفل عرس
أو حضور أو أي شيء آخر، فهنئًا لكما .

دمعت عينا بيلسان تضم شقيقتها مجددا، تهمس لها بحب :

-شكرالك حبيتي، شكرالك !

ربت صهيب على يد نزار الواجم بعد حديث قائمة، فهي تشير
لعجزه بطريقة غير مباشرة، يهمس له :

- لا تبتئس، لقد فزت بأجمل الفتيات وفوق ذلك تحبك
واختارتك من بين الشباب .

ابتسم رأسًا، يومئ بتفهم بينما يسأله بفضول رغم التماسه
لجمال روحها وأخلاقها .

- هل هي جميلة؟

- جدا يا زيزو! مبارك لك .

عاد إلى الوجوم هامسا بحزن:

- وهل يستحق جمالها أن يدفن مع عاجز مثلي؟

عبس بغل من أفعال والدته الغير مراعية، فيدعمه بروحه الطيبة:

- يبدو أنك نسيت شكلك يا زيزو، فأنت وسيم يا رجل !

عاد للابتسام و إن كان بحزن، فتابع صهيب بصوت أعلى يقصد
والده بقوله ووالدته بدرسه :

-هل هاتفك سمر يا أبي؟ أخبرتني بأنها ستها تفك لتتمنى لك
ليلة سعيدة وتخبرك بمدى حبها لك .

توقع صهيب تهكم من والده أو بروده ولم يهمله سوى رد الصاع
لوالدته لكن ما أدهشهم وزاد من غل قائمة ابتسامة فؤاد الدافئة
بينما يجيبه بحنو رقت له ملامحه :

-إنها فتاة جميلة وحنونة، هل أخبرتها بأنك أخوها؟

هز رأسه إيجابا وهو مفرغ فمه لا يصدق ما يرى عليه والده،
فاستدرك الأخير يستفسر باهتمام حقيقي :

- وكيف تقبلت الأمر؟

أقفل فمه ثم فتحه مجددا، يجيبه بذهول رغم ما اعتراه من مرح
يخص أثر الذكرى :

- بكل سعادة، انقضت علي تضميني فرحا وأخبرت كل
الطلاب في المدرسة بأنني أخوها .

صدرت عنه ضحكة هادئة فرحة أذهلتهم بمن فيهم قائمة التي
تبلدت كأنها أصيبت بالبلاهة من تعقيبه :

-تفعلها تلك الساحرة الصغيرة هي ..

صاح رنين هاتفه، فقطع حديثه ليجيب الرقم الغير معروف
تاركا كل واحد منهم يسبح في حيرته حتى أجفلهم بوقوفه الحاد
يهتف بصدمة : -ماذا تقول؟ كيف وأين؟

انتفض الجميع بخوف، فوجهه انقلب من سرور غريب عليه
الى رعب أغرب يصيح بجزع :

-ألو...محمد....ألو....ألو !

حاول إعادة الاتصال وكان رضوان أول من هتف :

-ما بك يا خالي؟

وضع الهاتف على أذنه، يرد ببهوت :

-محمد حارس نضال يقول أن ابنتي سمرا خطفت وكان يشرح

الأمر لكن الخط انقطع !

استقام الكل واقفا وصهيب يهرول إلى أبيه يسأله بلهفة وقلق :

-هل يجيبك؟

زفر والده يومئ نفيًا قبل أن يقرر :

-سأبلغ الشرطة.

وافقه رضوان يقول :

-أجل افعل ذلك وأنا سأذهب لنضال في شقته كي أفهم منه

الأمر .

غادر بسرعة وفؤاد يتصل بمعارفه من الشرطة حين قالت قائمة
بحقد:

- لماذا لا تتصل بأهلها أولاً كي تتأكد، قد تكون خطة منها كي
تستدرج عاطفتك .

تسمر فؤاد قليلاً، يلتفت إليها فصاح صهيب باستنكار:
- هل ستصدقها؟

- صهيب!

- أرجوك أُمي... لا وقت لحواراتك الآن!

حذرها صهيب لا يصدق ما يحدث، فتدخل والده :

- سأتصل برقمها، فهي سجلته في هاتفي صباحاً .

طلب الرقم وانتظر ليهدف بلهفة : -سمرا؟

صمت قليلا ثم تحدث بنوع من الجمود :

-أين سمرا يا لبنى؟

أسدل جفنيه يقول بألم طغى على ملامح وجهه فيمسد جبهته:

-إنها مخطوفة يا لبنى...مخطوفة !

صمت آخر ثقيل قبل أن تجحظ عيناه من جديد يصيح :

-ماذا! لبنى اسمعيني جيدا، ابقى معها! سأحضر الإسعاف

حالا !

أنهى الاتصال وهروا خارجا يهتف وصهيب يلحق به :

- حليلة فقت وعلها ولا تستفلق؁ سأذهب إلقهم بالإسعاف
وأطلب الشرطة؁ فسمرا خطفت بالفعل.

* بقت خالء*

قامت من على الكرسل الءل اقواها منظره إياه لساعات؁
تفكر كلف تشرح له؟ تسأله بعباب:

- خالء... لماذا تأخرت؟

حافظ على عبوس وجهه؁ لجلبها بجموء بلنما يلقي المفابح
كعابته على المنضءة ولرخل ربله عنقه لئنزعاها :

- ذهب الى العمل وعبء بعءها إلى المسشفى عند سامل .

هزت رأسها بتوتر، تستفسر :

كيف حال والدته والصغير؟

أجابها بتعب وارهاق، بينما ينسل من سترته ليلحقها بالربطة :

-حالتها مستقرة، سيخرجها قريبا إن شاء الله

قالت بحيرة وقلبها يتلوى اشفاقا على تعبها الظاهر :

-راقبت عودة زوجته إلى البيت، كي أسألها لكنها لم تأت.

خطا إلى غرفة النوم، يجيها ساخرا :

-طلقها، لن تريها مجددا .

شهقت تهتف بذهول :

-ماذا؟

على غير عادته التي يتعمدها ليستفزها سابقا، علّق سترته وربطة
 عنقه بالمشجب ثم جلس على طرف السرير يزيل حذائه، بينما
 يقول بجمود مقتضب :

- كانت تخدعه !

بلعت ريقها وانحنت تلتقط حذاءه لتضعه مكانه هروبا من
 نظراته المتهمة، فيستدرك :

- كانت تدس حبوب منومة لحلماتها وابنها حتى يتسنى لها
 التحرر من مسؤولياتها .

شهقت إسراء تمسك صدرها بصدمة، فابتسم ساخرا يضيف
 وهو يرتمي على ظهره تعباً :

- لا يمكن التكهن بأفعالكن، يعاشركن المرء لسنين طوال دون
أن يتعرف عليكن حقيقة .

قطبت بانزعاج لبرهة ثم اقتربت منه تسأله بحذر :

-خالد؟ ألا تريد أن تأكل؟

أجابها بحزن أثار رأفتها :

- لا أشتهي سوى النوم .

هالتها هيئته المزرية وحرزته الغائر، فلم تتعود عليه مهزوما من
قبل أو ضائعا هكذا، قلبها يؤلمها وتريده ضاحكا كما هو دوما،
يغيظها بأفعاله الصبانية ثم يغازلها حين توبخه، لا تريده أن
يظن بها السوء، هي لم تخنه أبدا، لم تنظر لرجل غيره بنظرة

إعجاب حتى قبل أن يتزوجا منذ ما حدث بالرحلة، ويجب أن
يعلم ذلك، تحتاج بشدة أن يعلم بذلك ويصدقه :
-خالد يجب أن نتحدث .

أجاب بعد أن يئست وظنته نائما.

-ليس الليلة، أنا مرهق أنشد النوم .

أشفقت عليه، فأزالت جوربيه حينها شعرت بتصلب ساقيه
لكنها تجاهلته ولأول مرة تتجراً وتفعل أمرا بنفسها وبأمر من
قلبها، دثرته جيدا ثم استلقت جواره تضم كتفيه المتصلبين،
فهمست له :

- أنا لم أخنك أبدا خالد، نم وارتاح وستحدث غداً بإذن الله...
 كن أكيدا من أنني لم أخنك يوما حبيبي .

وظلت تربت على رأسه كأنها تهدد صغيرها لينام وكم كان
 ممتنا لها لأن همسها ذاك أرسل موجة راحة لتحتل قلبه الذي
 تلمس صدق نبرتها، يكفيه قولها في لحظتهما تلك ليغرق في
 بحر من الأحلام السعيدة وحين يستيقظ سيصغي لتفسيرها،
 بإذن الله سيفعل .



*بيت صوان *

مسد على أعلى أنفه يراقب غفوتها التي طالت ولم تستفق منها
بعد، جالس على كرسي جوار السرير، لمح تحرك جفنيها ثم
رأسها، فاقرب منها ليجلس جوارها على السرير.

أمسكت جبينها بكفها وفتحت عينيها تئن من الوجع، فاستفسر
منها بلطف : -دليلة، كيف تشعرين الآن؟

أزالت كفها ونظرت إليه بخوف تتساءل : -ماذا حدث؟
أجابها بتهكم وإن صاحبته بسمة مرح طفيفة :

-قبل أم بعد ضربي بطنجرة الضغط؟

ارتفعت أنظارها إلى رأسه، فتابع والبسمة تتعلق بثغره :

-عشر غرز يا ظالمة، الناس يتزوجون ليدخلوا الدنيا لا
ليخرجوا منها .

توترت ثم قالت بجفاء رغم ارتعاش صوتها من التعب :

-لكنك لم تتزوج مني بل اشتريتني من والدي .

عبس بحقد سريعاً ما تمالكه بينما يدعوها لتنهض :

-هيا... قومي لتأكلي .

هزت رأسها مشمئزة ترد عليه : -أشعر بغثيان ورأسي يؤلمني .

التقط صينية الأكل من فوق المنضدة ووضعها بينهما فوق

السريير يقول بحزم:

-الطبيبة قالت يجب أن تأكلي جيدا ولا بأس إن استفرغت بعد الأكل، فهو من أعراض الإقلاع عن المخدر .

هتفت بغضب بينما تدفع الصينية :

-ومن أخبرك بأنني أريد الإقلاع عنه !

صاح بقوة أروعبتها، فهو بات يعرف نقاط ضعفها وسيستغلها من اجل مصلحتها :

-أنا!.....أنا أقول ستقلعين عنه وتتعافين....وستفعلين !

قرب يده من فمها بقطعة لحم نظرت إليها بقرف، فصاح بعصبية : -كلي!

اهتزت وفتحت فمها بخوف حيث دس قطعة اللحم، لا كته
 بطريقة عنيفة تراقبه بامتعاض أضحك أحشائه دون أن تتغير
 ملامح الغضب على وجهه وبعد لقيمات معدودة رفضت
 المزيد تمسك بطنها وما هي إلا لحظات وقامت تركض نحو
 الحمام.

استفرغت بحدة أتعبتها، فجلست قرب الحوض على الأرض
 الباردة. شعرت بدفء فالتفت لتجده يسندها، حاولت إبعاده،
 تلومه ببكاء:

-ابتعد عني!.... أخرج من هنا!... أنت السبب!

لكنه لم يفلتها والتقط المنشفة من على العلاقة ليبللها بالماء ثم
 بدأ بمسح وجهها وحين انتهى بلل واحدة أخرى ليضعها على

جبينها وهي تراقبه بذهول ساكن حتى فتحت فمها تسأله
بحيرة :

- لماذا تفعل كل هذا؟ لماذا أنا؟ ولماذا تهتم؟

نظر إلى عينيها يتفحص لونهما الحقيقي بعد أن تخلصت من
العدسات اللاصقة، فتذكر والدتها، يجيبها بغموض :

- سأخبرك لكن بعد أن تشفى، ألا تريدان استعادة حريرتك
والخروج من سجنى؟

راقبته بتمعن بينما هو يكمل بتحدي يعمل بنصيحة الطبيبة، أن
يقدم لها حافزا قويا ترغب به بشدة حتى يرفع من نسبة الإرادة
لديها، فيستفز قوتها لتنفض عنها الضعف والاستسلام :

-إذن حاربي لتشفي من الإدمان وحالما تقلعين عن المخدر
سأخبرك بكل شيء وبعدها سأفتح لك باب هذا البيت ومعه
كامل حريتك .

طالبته بأمل : -هل تقول الصدق؟

-أقسم لك ... ما إن تشفي بالكامل .

نهضت بتزعزع يسندها، فاستسلمت للدوار يحرمها من
التحكم بجسمها، ساعدها حتى أجلسها على السرير حيث
بسطت يدها إلى الصينية، تتلقف منها بعض الطعام تمضغه
بمشقة وتبلعه بقرف واضح على ملامحها لكنها أجبرت نفسها
على الأكل، فابتسم من عنادها و قبولها لتحدي لتخبره
بعبوس:

-أنا أقبل بالاتفاق وسأقلع عن المخدر ثم تعيدني لوالدي .

لم يتمالك حقه، فهتف بغضب ما صعق إدراكها الغير متزن :

-ليس والدك، ذاك الحقير ليس والدك !

الفصل السابع والعشرون

{ نظرت في السخاء فما وجدت له أصلا، ولا فرعا إلا حسن
الظن بالله عز وجل، وأصل البخل وفرعه، سوء الظن بالله عز
وجل...الحسن البصري }

المستشفى

- كفي عن البكاء أرجوك!

رفعت لبنى عينيها إلى محدثها، فتى بوسامة متميزة، بشرة
بيضاء وعينين بنيتين أفتح درجة عن الرموش الكثيفة والشعر
الحريري المنثور حول رأسه وعلى جبهته، شفثيه حمراوان

كأنه تناول سكاكر حمراء لتوه، ينظر إليها بترقب وجل، فيتابع
برأفة :

- سمرا استعود سالمة، ووالدتك ستكون بخير إن شاء الله .

بللت شفيتها والدموع قد أشعلت بشرة وجهها بحمرة قانية ثم

سألته بريية : - أنت صهيب؟

أوما يجيبها : - أجل.... أنا آسف .

قطبت بحيرة تمسح دموعها بينما هو يتابع بحزن :

- لو لم أبحث عنك، لما حدث كل هذا .

ثم هز كتفيه، يكمل بوجوم:

-تحمست كثيرا حين علمت أنني لست وحيدا، فأختي مرام
سافرت ولم أرها منذ أعوام وأمي !

زفر بكآبة يستطرد وهي تنصت له باهتمام تجهل سببه، أليس
هذا ابن عدوتها اللدودة والتي سرقت منها والدها ودمرت
حياتها و حياة والدتها؟ والدتها المنهارة بسببه وبسبب والدته،
إذن لماذا تنصت إليه وبتمعن؟ لماذا لا تكرهه وتصيح عليه بأن
يبتعد عنها وعن حياتها؟ لماذا لا تنهار كوالدتها وتخبره بأفعال
والدته الظالمة؟

-ليست وحدها بل وأبي أيضاً لا يملكان وقتا سوى للعمل
والخطط، أخبرني نزار عنك تفاجأت وأحببت التعرف إليك

بشدة وأن أعلمك بأنك تملكين أخا يحبك وتستطيعين
الاعتماد عليه .

ارتفع حاجباها دهشة، تهمس بشرود :

-يا إلهي! أنت كسمرا!

صمت يرمق يأسها وسهو أفكارها، تردف بحزن :

-لا دخل لكما في صراع ومشاكل الكبار، كل ما تبحثان عنه
بعض الحب والاهتمام، أنت، سمرا وأنا....

عادت للبكاء، فلم يمنع صهيب نفسه من أن يحاوطها بذراعيه
يبثها دعمه وبعض عاطفة الحنان التي اعترفت لبني بأنها في
أمس الحاجة إليها، فلم تبعد بل استسلمت، تهمس ببكاء :

-هل ستعود حقا يا صهيب؟ هل ستعود شقيقتي؟

رد بصدق ما يؤمن به من صميم قلبه: ستعود، بإذن الله ستعود.

(غير بعيد عنهما)

بيلسان تجلس بجانب أور والعممة من الجهة الأخرى تليها جنات، تحركت الأخيرة من جانبهن، واقتربت من زيد الذي تركه الرجال حارسا لهم بعد أن انصرفوا إلى المجموعة، فالخاطف قد اتصل بفؤاد قبل أن يتمكن من إخبار الشرطة وأخبره بهويته التي لم تكن سوى العميل مروان وطلب فدية تعادل المبلغ الذي حسب قوله قد أضاعوه عليه برفض الصفقة

مهددا إياهم، إن بلغوا الشرطة بأن ينسوا أمرها والحارس الذي معها .

-لماذا لا تغادر؟ أنت متعب .

ارتسمت البسمة على محياه تعبر عن رضا قلبه باهتمامها والحياء يزين هيئتها بارتباكها الواضح للعيان :

-ألست أنت أيضا تعب .

اتسمت قسماتها بالحزن بينما تجيبه وهي تنظر نحو النساء الواجحات المنتظرات على كراسي قاعة الاستقبال : -أشفقت على الفتاة المسكينة، مع أنني لم أرها من قبل لكن بيلسان

تعرفها وصهيب أيضا يقولان عنها فتاة طيبة حد السذاجة وللتو علمت بأنها تملك والدا .

زمت شفيتها بحسرة وضيق فضاقت أنفاسه، يفكر بأن ما تفعله به هذه الفتاة بكل ما يصدر منها يثير استغرابه ويفاجئه :

-المسكينة لم تهناً بسعادتها وشقيقتها تذكرني بحالي يوم ممات شقيقي، أسأل الله أن لا تعيش نفس المصيبة .

رمش بجفنيه يبعد تأثيرها عليه يؤمن على دعوتها، فابتعدت عائدة إلى مكان النسوة حيث استقامت أور واقفة، فرفعت بيلسان رأسها إليها مستفسرة :

-الى أين أور؟

ردت بضجر وهي ترتب هندامها:

-سألحق بهم إلى المجموعة، تعبت من الانتظار الشمس على

بعد ساعات قليلة من الشروق .

قامت تهتف بجزع:

-لماذا حبيبي؟ ابقى معنا ودعي أمر البحث للرجال، أنا رافضة

لمهادنة الخاطف وما زلت مقتنعة بأن عليهم إبلاغ الشرطة .

ابتسمت بغموض، تجيبها بلطف وهي تلمس وجنتها، تلك

اللمحات والمشاعر الجميلة تعجبها، بأن يكون هناك تواصل

وتفاعل بينها وبين توأمها، تضمها وتلمس كفيها أو وجهها كما

تفعل اللحظة، تشعر بتلك التفاصيل الدقيقة تقوي من أواصر

الأخوة بينهما كأنهما نشأتا حقا بمكان واحد ولم تفترقا :

- لا تقلقي، سيعيدونها، اعطني بنفسك .

هزت رأسها استسلاما تربت على كفها، ثم جلست، فعقبت

عمتها تتمنى صدق احساسها نحو أور :

- كأن حالها يتغير إلى أحسن؟

أومأت بيلسان بتأثر، تقول برجاء :

- بلى، مهما ادعته من برود وقسوة، قلبها طيب، أدعو لها كل

ليلة بالهداية، أسأل الله أن يستجيب لي .

- آمين .

أمنت على دعائها وجنات أيضا، فقامت بيلسان مجددا، تقول
بحزن : - سأحدث مع لبنى قليلا، قد أنجح في صرف تركيزها
عن مصابها .

(المجموعة)

- أخيرا أتيت! أنت فعلا تهتم .

ألقى بها نزار بجفاء أدهش نضال الذي تحدث يعتذر بتوتر :

- كنت .. أ...

- كنت مع فتاة ما، جميعنا يعرف ذلك، هل يعول عليك حاليا

أم أنك ما تزال ثملا!

انتبهوا إليه جميعا حال هتافه الغاضب وسط قاعة
الاجتماعات، فضم نضال شفثيه انزعاجا قبل أن يسحبه إلى
المكتب الثاني، يرمي رضوان بنظرات عتاب هزلها الأخير
كتفيه بمعنى أنه لم يخبره بشيء.

نفض نزار يده بعنف يهتف بغضب قليلا ما يصيبه وهذه المرة
فاض به الكيل :

-أستطيع المشي لوحدي .. لا أحتاج إليك !

نفخ نضال بخفوت، فلم يسبق أن رأى شقيقه غاضبا الى تلك
الدرجة، فأغلق الباب يسأله بحيرة :

-نزار، ما بك؟

وكانه فتح على نفسه باب الجحيم حين صاح نزار بغضب
جارف يتمسك بطرف طاولة المكتب بعد أن التمس طريقه
حتى وجدها :

-بل ما بك أنت يا نضال؟ ماذا تريد أن تثبته ولمن؟ لنفسك أم
لوالدائي أم لي أنا؟ لأن لا أنا فخور بك ولا والدائي لو كانوا على
قيد الحياة سيكونون فخورين بك، كما أنك لا تطيق نفسك!
تغضنت ملامح نضال بينما نزار يكمل بجدية حازمة:

-لماذا كل هذا الضلال، الخمر والفتيات؟ إلى أين تريد أن
تصل؟ أن تموت عاصيا؟

تهدل كتفاه حزنا يتنهد قبل أن يردف بأسى:

-الموت لا يستأذن يا أخي، لا يفعل! وأنت تماديت كثيرا .

اقترب منه كأنه يراه متتبعا شعوره به ورائحة عطره وحين وجده

يُسِر لكرهه بسبابته على صدره بشكل مؤلم :

-ماذا إن خطفك الموت في جلسة سكر وما يترتب عنها؟ ماذا

ستقول لربك؟ بماذا ستحجج؟

لم يجد سوى الصمت من شقيقه الناظر إليه بمقلتين جاحظتين

لا حياة فيهما، هدأت نبرة صوته بينما يضيف بخيبة :

-أنا مجرد مخلوق مثلك لن أحاسبك، لن أعذبك أو أرحمك،

فما لديك لتخبرني به؟ هيا تحدث! كفانا صمتا! كفانا ادعاء

بأن كل شيء على ما يرام بعلاقة أخوتنا! لأنه لا شيء في حياتك
وبعلاقتنا على ما يرام، لا شيء!

سكن يلهث بتعب، منتظرا منه كلمة تعبر عن جحيمه، فهو
متيقن من أنه يعيش بضنك وعذاب لا يطاق.

أسدل نضال جفنيه بقوة ثم فتحهما يقول ببرود:

-أظن أن الوقت ليس مناسباً لحديث كهذا، يجب أن نجد الفتاة
أولا ومحمد .

التفت يخطو إلى الباب، فتجمدت خطوته حين تحدث نزار
بيأس:

-هل أصبحت جباناً الآن؟

بلع ريقه و التفت إليه ثم اقترب بحدة يهتف من بين أسنانه :

-نزار كف عن استفزازي .

ابتسم نزار ساخرا، يعاتبه :

-اسمعي جيدا لأن الله أعلم بي، أقوم بما يفوق طاقتي، فقط

لأجلك، لتعود نضال الذي ربته أمي ... أمي التي حرصت على

تحفيظنا القرآن على أرض الكفر وتعليمنا معنى آياته، لا تملك

حجة يا أخي، طريقك الحالي لا يحملك سوى الخسارة تلو

الخسارة، رحل والدي ورحلت والدتي، وها أنا أنصحك لكن

تجاوزه يفتح الباب منها حديثه قبل أن يغادر :

-قد أرحل أنا الآخر وحينها لن تجد من يهتم .

تلفت نضال حوله يقلب كلماته في رأسه دون أن يصل إلى
إجابة شافية، فزفر بمقت وخطا نحو قاعة الاجتماعات يشعر
بضغط مريع يكبت أنفاسه.

منزل القناص

-أيها الغبي ماذا فعلت؟

شدت على الهاتف فوق أذنها بغيظ، تستطرد:

-والذي أخبرك بأن الفتاة ابنة فؤاد، ألم يخبرك عن شقيقتها أين

تعمل؟ أخطأت يا مروان، ما كان عليك خطفها ستفتح علينا

الأعين!

زمجرت بغل مستنكرة رده الغبي، فتهتف بعصبية وهي تروح
وتجىء في غرفة المعيشة :

-يا رجل افهمني، شقيقتها الكبرى كاتبة خاصة لدى وزير
الداخلية، ستهلكنا جميعا، أرسل الفتاة إلى أهلها واهرب
خارج البلاد لبعض الوقت، أنا حذرتك وأنت حر .

تنبعت لحضوره حين صدح صوته بين جدران غرفة المعيشة :

-لماذا الصراخ يا قائمة؟

تقدمت نحوه بغضب، تهتف بضيق :

-أين كنت؟ و لماذا لا ترد على اتصالاتي؟

رفع حاجبه يجيبها بجمود :

-هل جنت؟ كيف تحدثيني هكذا... قد..

-أوو لا تخف، المنزل خال من سكانه .

قاطعته بنزق، فتساءل بريية : -ماذا حدث؟

رفعت ذراعيها تهتر بعصية :

-وكيف ستعرف؟ فأنت لم تهتم بالرد على مكالماتي .

تحدث بنفاد صبر:

-اشرحي قائمة وكفي عن الثرثرة الفارغة !

زفرت ثم قالت بضيق :

-الغبي مروان، أراد الانتقام منا لأجل ضياع صفاقته، فخطف

ابنة فؤاد الصغيرة وحارس نضال.

جعد أنفه بينما ينظر إليها بانزعاج :

- ما هذه الفوضى؟ كان من الأسهل عليه والأنسب خطف صهيب .

رفعت حاجبيها دهشة من بروده ونبرته العادية كأنه يتحدث عن الطقس، فتابع يفسر لها وقد التقط ملامحها المنذرة بالشر :

- أقصد كيف علم بوجود أبناء آخرين لفؤاد؟ خصوصا الصغيرة التي لا يعلم بها والدها من الأساس .

ضحكت قائمة بصخب متهمك، فتتخصر بيد واحدة بينما الأخرى تلوح بها : - لقد فاتك الكثير يا حبيبي .

عاد للامتعاض، فتابعت بنفس تهكمها :

-ابني الأهبل بحث عن أخته الكبرى ليكتشف بأن له أخت أخرى من نفس عمره، فأخبر والده ليلة عرس دليلة، طبعاً فؤاد لم يكذب ابنه وأسرع إلى حبه القديم بعد أن وجد حجة دامغة وتلك الفتاة مصيبة بل كارثة، علمت كيف تستدرج ود فؤاد في لقاء واحد وجعلته يبتسم مثلها كالأبله، هل تصدق؟ فتاة مراهقة بلهاء تفعل ما لم تفلح به الكبرى ولا صهيب، لذلك انقلب فؤاد وصوت ضدنا ثم جاءت إليه صباح أمس بعد الاجتماع، هناك لمحها ذاك الأبله والجميع الآن في المستشفى حيث تقبع الوالدة المنهارة .

هز كتفيه بإهمال، يعقب :

-ما شأننا نحن؟ بين فؤاد ومروان تقوم الحرب .

هزت رأسها تخبره بما يفوته :

-هل تعلم ابنة أخيك الكبرى أين تعمل؟

جعد ذقنه دلالة عن الجهل، فتابعت بحقد لمعت به مقلتاها :

-الكاتبة الخاصة لدى وزير الداخلية الذي هو المدير العام

للأمن الوطني، هل تعلم ماذا يعني ذلك؟

سحب تهامي هاتفه بغضب، يجيبها بعصبية :

-سيفتح علينا الأعين، غبي أحمق !

-لا... لماذا العصبية والصراخ؟

ألقها ساخرة، فرماها بنظرة حزم زاجرة ثم تحدث إلى

مخاطبه :

-اسمع مروان سأعوضك خسارة الصفقة، أطلق سراح الفتاة
حالا مع الحارس واستقل طيارة إلى الخارج اليوم، بل حالا إن
استطعت !

صمت قليلا ثم هدر بغضب :

-لن أعيد حديثي، الليلة إما خارج البلاد أو خارج الدنيا
بأكملها والفتاة تعود سالمة، أهدرك يا مروان! لا نريد فتح
الأعين علينا، الداخلية تعني تحقيقات وفضول لعين !
أنهى المكالمة يهمس بسباب يعود أدراجه من حيث أتى
متلافيا قائمة تعض شفتها غيضا.

مخزن مهجور في مكان ما صباحا *

شعر بثقل يجثم على رأسه و صدره، فحاول فتح عينيه لكن
النور الساطع حال دون ذلك وتحول الثقل إلى ألم فظيع خلف
رأسه، رمش عدة مرات ليتناهى إلى مسامعه، نبرة رقيقة خائفة :
-الحمد لله، لقد ظننتك ميتا .

أجبر مقلتيه على التوسع يبحث عن مصدر الصوت :
-أنا خلفك تماما ويدي مقيدة إلى رسغيك .

تنفس بعمق ليستعيد وعيه جيدا، فقالت بخجل :

-هلا رفعت ثقل جسدك عن ظهري، آسفة لكن ظهري
يؤلمني .

انتفض كأنه لسع يكتشف بأنه كان مستندا بظهره على ظهرها
طوال مدة فقدان وعيه، لام نفسه على عدم احتياطه ووقوعه بين
أيديهم.

- هل تعلم لماذا نحن هنا؟

سألته فاعتدل في جلوسه يرد بحزم :

- لا تخافي، سأعيدك بإذن الله لأهلك سالمة .

قالت بحزن أقلقه فقط جبينه :

- لا تهتم عودتي، أنا فقط أتساءل بفضول .

- كيف لا تهتم عودتك؟

استوضح ولم تجبه، فأدار رأسه جانبا لكنه لم يتمكن من رؤية
 وجهها، فقط تلك الخصلات السوداء المنفلتة معظمها من ديل
 الحصان، لذا تنحح فرفعت وجهها وقد سهت عن وضعهما،
 فاتسعت مقلتاها تحديق به محرجة ولم تكن هي المتأثرة على
 قدر تأثيره بالوجنتين الحمراءوين بشدة والعينين الدامعتين
 تنضحان حزنا عميقا وخيبة أطاحت بقلبه.

ضمت شفيتها تجعد جبينها كما فعل هو بينما يسمعان حركة
 ما، فتلفت حوله ليعاين المكان بمنافذه.

دخل عليهما رجلا وضع لهما طعاما والتفت مغادرا فقال
 محمد بحذر :

- كيف سناكل وأيدينا مقيدة؟

توقف يتأملهما قليلا ثم انحنى وحرر يدا لكل منهما وأحكم

قيد الأخرى، ليعقب محمد بهمس ساخر :

-شكرالك يا أحمق!

استغربت، فسألها بنفس الهمس : -هل أنت جائعة؟

أومأت بنعم، فهي لم تأكل منذ غداء الأمس، فهز رأسه متابعا

بحزم : -إذن كلي وأسرعى، لنهرب !

قطبت تجيبه وقد فك وثاق أيديهما بكل سهولة :

-من أنت؟ ولماذا أثق بك؟

رد عليها بينما يناولها الخبز : -هل تعرفين نضال ابن عمك؟

ردت بدهشة : -أنت نضال؟

ابتسم تبرأ أحشاؤه قبل وجهه الذي تحرك نفيا، يقول وهو
يضع بيضة في يدها الأخرى :

- لا، أنا حارسه الشخصي، ثقي بي ولا تخافي .

هزت رأسها بلا معنى، تهز كتفيها بينما تعيد نفس عبارتها
اليائسة :

- لا يهم ما سنفعله، لأنك مهتم جدا وأنا لن أقف بطريقك .

رمقها باستغراب وحيرة من موقفها الغير مفهوم إطلاقا ونهض
ساحبا إياها : -قومي هيا !

استسلمت تنهض وتلحق به، رفع رأسه إلى النافذة البعيدة
نسبياً ثم خاطبها بجدية وهو يشبك كفيه :

- ستضعين رجلك هنا وأدفعك باتجاه النافذة، أمسكي بجانبها
وارمي رجلك الحرة خارجاً تليها الأخرى ثم تقفزين، إن حدث
أي طارئ حال بيننا، اركضي و ابحثي عن الطريق السريع، لا
تلتفتي خلفك !

عقت بجزع وقد نسيت أمر الأكل تضعه على الأرض :

- ستركني وحدي؟

أصاب استنجاها الفزع والرقيق قلبه في مقتل، فنفض الأمر عن
رأسه أو بالأحرى عن قلبه يرد عليها :

- قلت لو، لو! هيا أسرع!

حمدت ربها على اختيارها لسروال من خامة الجينز ارتدته
 أسفل قميص طويل إلى حدود الركبتين لكن عيب القميص
 خفة قماشه، فقد كانت ترتدي فوقه وزرة المدرسة ومعطفا
 تخلصت منهما حال عودتها لبيتها من المدرسة.

فعلت ما طلبه منها وظلت تنتظر خارجا تدعو خالقها أن لا
 يحدث طارئاً حتى ابتسمت بفرح واطمئنان حين لمحته يقفز
 وأمسك بمرفقها يطلقان سيقانهما للريح .

بيت أهل تسنيم

- صباح الخير أُمي، صباح الخير أبي .

ابتسمت بوجهها، ترد عليها بمفردها :

- صباح الخير يا ابنتي .

جلست إلى المائدة، تتأمل والدها بحزن حين دخل عليهم معاذ

يلعب الصغيرة بينما شقيقته الصغرى تطالبه بها، فعادت

البسمة إلى وجهها المكدم حتى انطلق جرس الباب، فقطبت

بتوجس تكره رؤية أي ضيف حاليا من الأقارب أو المعارف.

اتجه معاذ نحوه بعد أن ناول الصغيرة لأخته الصغرى وعاد

بوجه عابس بغل يحمل ورقة ما، وأجاب وجوههم المتسائلة :

-إنه محضر، ذلك الحقير يطالب بتسليم قانونيا لعود إلى بيته .

شهمت والدتها ووقفت تسليم تتلقف الورقة من يد معاذ الذي

استدرك بغل :

-لن تعودى إليه، وإن حاول التعرض لك سيواجهني أنا .

وقف والده يقول بحزم وجفاء :

-بل...ستعود !

تجمعت حوله الأنظار بذهول، يستطرد بقسوة نابعة من ألم

قلبه .

-هي من اختارته، فلتحمل نتائج أفعالها .

اقتربت منه، تتوسل إليه مستنجدة :

- أرجوك يا أبي، لا تعدني إليه، أقتلني أهون علي .

نظر بعينها لأول مرة يقصدها بحديثه يرمقها بخيبة وخذلان .

- لو كنت بقاتلك لفعلتها حين عصيت ربك معه ثم هربت

لتستري على فعلتك معتقدة بأنني لن أعلم !

جحظت عينها بصدمة ومعاذ يصيح بهلع :

-ماذا تقول يا أبي؟ مستحيل !

ثم التفت إلى تسنيم وأمسك ذراعيها بقبضتيه يهزها بقوة :

-هل ما يقوله أبي .. صحيح؟ ألهذا هربت معه؟ تكلمي تسنيم!

نفضت قبضتيه ودفعته بقوة تهتف بحرقة وهي تنظر في عيني

والدها بقوة نابعة من صدق جوابها :

-هو أخبرك بذلك وأنت صدقته؟ نسيت تربيتك لي وكل شخصيتي التي تكونت على يدك وصدقت من تناديه بالزنديق؟

تحدث بألم يقدم لها الحجة بحزن أليم :

-لو أثمرت تربيتي حقاً، لما تجبرت على والديك وعصيتهما !
استقامت في وقفها ورفعت رأسها بكبرياء تقول :

-أعترف بأنني أخطأت وعصيتك وندمت أشد الندم ودفعت الثمن غالياً، لكنني أبداً لست بزانية يا والدي... لست بزانية !
قطب ببعض الدهشة والحيرة بينما هي تكمل بحسرة :

-وأنت محق، أنا من أوقعت نفسي في المشاكل وأنا من سيحلها بنفسى.

رمت والدتها بنظرة متوسلة ثم صغيرتها ترجوها :

-صغيرتى بأمانتك أمدى .

وأخذت حقيبة يدها وغادرت أمام نظراتهم المتفاوتة التعابير،
ووالدتها تقول بحزن :

-أخبرتكم من قبل، ابنتى لا تفعل ذلك، كيف تصدق ذلك
السكىر؟

أشار لابنه فأسرع فى أثر شقيقته وأوقفها عند ناصية الشارع،
يسألها :

- إلى أين؟

ردت بغل :

-الحقير يحسبني جاهلة! لا يعلم بأنني كنت أخطط للطلاق
منذ فترة واستشرت محاميا من اقتراح زميل بالعمل، سأذهب
إليه لكن قبلاً سأذهب إلى المستشفى، أقسم بأن أسجنه ولو
لبضعة أيام بسبب ما قاله لأبي!الوغد!

ابتسم معاذ يقول بإعجاب :

-أجل، هذه تسنيم شقيقتي، هيا سأقلك بسيارتي .

سيارة نوفل

-أفّ! أنا مللت من مراقبة فيلا ديدو وجماعة ديدو، اللهم
أحرقهم جميعا!

ضحك تامر بينما يلتفت إليه :

-اصبر! ...اقرب الفرج يا صديقي ثم بعد ساعتين بإذن الله،
سنحصل على استراحة.

قطب ينظر إليه بتساؤل : -استراحة؟

هز رأسه، مفسرا : -ألم يخبرك الضابط ضرغام؟

أوما نفيا، فتابع تامر :

- سنقل الأنسة سعيدة إلى الطيبة النفسية، أول جلساتها اليوم.

قالها بسرور مستبشرا جعله يتسم هو الآخر قبل أن يتحول

لجمود حين استرسل تامر مكملا بنبرة عادية :

-والأنسة سلوى أيضا سترافقها .

عاد إلى المراقبة، يفر من عيني تامر الغائمتين بمعنى معين :

-يقول بأنها تحتاج للطيبة هي الأخرى لأنها تأثرت كثيرا

بالصدمة.

-فهمت!

نطقها بجفاء فصمت تامر يتأمله قليلا بتمعن .

المخزن القديم

هدر مروان بصوت راعد من الغضب اهتز له عماله الواقفين

أمامه كأطفال مذنبين :

- كيف يهربان منكم يا بهائم؟ أين كنتم؟

رد أحدهم بتوجس :

- قيدناهما جيدا... لا نعلم كيف؟ ذلك الرجل ...

- اخرس؟ لا يعمل عندي سوى حفنة أغبياء.

مال عليه مساعده، قائلا بهمس :

- من الأفضل أن تغادر البلاد قبل أن يعلموا بأن الفتاة لم تعد في

عهدتنا .

هز رأسه بغضب، يجيبه بينما يستدير مغادرا :

- أنت محق، لا تنسى أن ترسل الحمقى إلى الريف لبعض من
الوقت .

بيت صوان

تمشت بخطوات متعثرة، تقف تارة حتى تتنفس لتقاوم التعب
والدوار ثم تستأنف من جديد، لهت حين جلست على ضفة
النافورة حيث غمرت وجهها بالمياه مرات عدة ورفعته إلى
السماء تستمتع بأشعة الشمس تنشر دفئها على بشرتها، عقلها
مشوش بفوضى تامة.

أخبرها بأن والدها ليس بمن أنجبها، هل هو صادق أم أنه يكذب عليها؟ ولماذا يهتم بصحتها؟ حتى من اهتموا من عائلتها لم يصل بهم الأمر لإرغامها على نصيحته لكن هو! يهتم بهوس، لماذا يا ترى؟ ستعلم بالتأكيد! ستكسب تحديها وتفوز بحريتها مع الحقيقة لكن ماذا إن صدق؟ من تكون ومن عائلتها الحقيقية؟ جزء من قلبها يصدق بأن تهامي القناص ليس والدها، فهو لطالما أهملها، أغرقها بالمال والترف، لم يحاسبها يوما على ما تفعله في حياتها، قابلها مرات عدة وهي ثملة ولم يعاتبها وأخبرها بأنها كبيرة كفاية لتحدد اختياراتها. ما أدراها هي بما يفعله الآباء تجاه أبنائهم؟ كيف تقارن؟ لكن حين أجبرها على الزواج أدركت بأن وقت الدفع قد حان.

أمسكت برأسها والألم يعاودها بشدة حتى ارتعد جسدها
بقوة، فهوت باتجاه الماء في حوض النافورة لكنه تلقفها برعب
في آخر لحظة يضمها كي يسيطر على ارتعاش جسدها .

-تماسكي يا دليلة، أنت قوية وعنيدة، حين ترغبين بشيء
تفعلين المستحيل لأجله وستربحين وتخرجين من سجنك،
تتحررين منه !

سكنت بعد مدة من النوبة ثم نظرت إليه تهمس بخفوت :

-من أكون يا صوان؟

تفاجأ من تصديقها له، فعندما أخبرها استنكرت واتهمته
بالكذب لكن الآن! ثبتت مقلتها على عينيه تنتظر فقال بينما
يتأمل تفاصيل وجهها الشاحب :

- ما رأيك لو نبدأ باسمك الحقيقي؟

انتابها الفضول، فهزت رأسها بخفة :

- سكينه! اسمك الذي ذبحت عليه عقيقته، واختاره والديك
لك هو سكينه.

أسدلت جفניה بتعب تقاوم الدوار، تهمس باسمها كأنها
تجرب وقعه على لسانها وبعد لحظات شعر بثقل جسدها
فتفقدتها يهزها بخفة ليكتشف بأنها قد غفت .

تمسك بها جيدا لا ينوي إفلاتها، يحدثها كأنها تسمعه وهو
ينظر إلى النافورة بشرود تذكره بأخرى أكبر منها بقلب منزل
عائلته الذي نشأ فيه :

-أسموك سكينه، واستمرت ليالي الفرح في قبيلتنا أسبوعا
كاملا لأنك الحفيدة الأولى الأنثى بعائلتنا الكبيرة بعد سبع
ذكور من بينهم شقيقك أيوب، هل تعلمين بأنهم غيروا اسمه
هو الآخر؟ أسموه زيد!

* أمام المجموعة *

غادرت مكتبها تشعر بتعب رهيب، لم يصلوا لنتيجة بعد،
ينتظرون مكالمة الخاطف ليتفوقوا على مكان التسليم لكنه لم
يتصل بعد .

بحثت عن المحتل لعقلها هي التي ظنت بأنها ستنساه بعد
جرحه لها، بأنها ستستغل غضبها منه وتكرهه لكن العكس ما
حدث وكل تفكيرها منصب عليه، وجهه لا يفارق مخيلتها .

لمحت ظهره يهاتف أحدا ما داخل مكتب الأمن، فسمرت
قدمها على عتبة الباب دون أن تتجرأ على مناداته وهو
مسترسل بالحديث، ركزت سمعها حين تنبهت لنبرته

العصبية، فهي أضحت تعرف حالته النفسية من خلال نبرة
صوته : -أمي، تختارين أوقاتا عصبية .

صمت قليلا ثم رد:

-أعرف أن القضايا لا تنتهي لكن هذه مهمة جداً .

أغمض عينيه ثم قال باستسلام :

-حاضر أمي، متى الموعد؟ الليلة! حسنا .

التفت فوجدها أمامه وكان سيرتبك لكنه تماسك سريعا، يقول

بتصميم بينما ينظر إلى مقلتيها بجمود:

-سندهب الليلة بإذن الله! وإن اتفقنا سأخطبها في نفس الجلسة،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إحساس رهيب اكتنف صدرها وشعور بالفقد جرح قلبها، أم
هو جبل ثقيل سقط على رئتيها ومنع عنها التنفس براحة لكنها
ورغم حالتها الفظيعة، تنحنحت تقول بكآبة لاحظها
وتجاهلها :

- أريد العودة للمنزل، أنا مرهقة وأريد أن أرتاح .

أشار لها، لتقدمه يهز رأسه مجيباً بنفس كآبتها :

- لا أحد منا نال قسطاً من النوم، فمن الطبيعي أن تكون النتيجة

تعباً وإرهاقاً، على العموم لا شيء تفعلينه هنا .

تلكاً ثم استدرك :

-ذاك المجرم لن يجرؤ على أذية الفتاة لأنها رهينته ليحصل على بغيته ومحمد أيضا ليس سهلا هو من أمهر الضباط سيحميها بحياته ويعيدها بإذن الله .

صمتت تفكر فيما أصابها! ولماذا الحياة فجأة أصبحت خالية من أي هدف؟ والشمس انطفأ وهجها، أما هو فيتساءل لماذا ليس مسرورا بقراره ولماذا هي مستكينة هكذا؟ ما هذه الكآبة الطاغية على ملامحها؟ هل بسبب حادثة الخطف؟ أم؟ لا! هي لا تهتم! هو كان مجردة تجربة جديدة لها، لعبة سريعا ما ستجاوزها فيهتف عقله بأن الأمر لن يجدي فقط! أوقف السيارة ونزلت بهدوء بعد أن رمته بجملة أضافت إلى حيرته المزيد من الحيرة.

-مبارك عليك أسد.

أوقفته قابضة على صدرها تلهث بقوة تحاول التحدث :

-توقف أرجوك!.... أن... ا... تع.... بت.

رد بحزم :

-لا يجب علينا التوقف! المنطقة هنا مكشوفة، إصبري الى أن

ندخل منطقة الجنائن، أطاعته وعاودا الركض حتى شعرت

بقلبها سينفجر من تعبته، فتوقف بين أشجار زيتون كثيفة حيث

هوت على الأرض، تسند ظهرها إلى إحدى الأشجار بأنفاس

متلاحقة بينما هو مكانه يتنفس بعمق ليسيّطر على دقات قلبه
النافرة.

سألته بعد برهة: - هل تعلم أين نحن؟

هز رأسه إيجاباً، يرد عليها :

- بلى، البحر في الجهة الشرقية من هنا يعني الطريق السريع في
جهة الشمالية .

نظرت إليه ببهوت تعقب :

- يا إلهي! كيف علمت ذلك؟

ابتسم من نظراتها المنبهرة، يجيبها بفخر مازح :

- إنه عملي وأنا بارع به .

ظلت مفرغة فمها تتنفس وتعبر عن تقديرها بسذاجة :

-والااا... أنت فعلا ماهر .

راقه ذلك وأنعش قلبه بأن يكون بطلا في عين تلك البريئة!
محياتها يشع براءة وطفولية بشكل غريب ومريح للنفس،
فأعجب بحوارهما .

-لكنك لم تخبرني من ولماذا خطفوني وأنت كيف وصلت
إلي؟

سألته بفضول فصمت يفكر في إخبارها من عدمه ثم هزت
كتفيها تستطرد :

-يمكنك إخباري، لا شيء سيفاجئني بعد

لم تستطع إتمام حديثها، فسكتت عابسة بحزن استغربه فخطا
نحو الشجرة المجاورة وجلس يخبرها محاولا استدراجها :
- سأخبرك لكن بشرط .

أدارت رأسها ترمقه بتساؤل، فجذبت عينيه كما دقائقه المستنفرة
إرهاقا بمحياها المحمر تعباً وحننا ليعد عينيه عنها، مستغفرا
يستدرك :

- تخبريني بسبب حزنك وعدم رغبتك بالعودة لأهلك .
مسحت على أنفها بظاهر كفها كما تفعل عادة، فضحك يردف
بينما يحرك رأسه بياس : - اتفقنا؟

أومات مرات عدة بعينين تتعلق برموشهما الدموع، فيدير رأسه
بعيدا عنها يلجم نفسه عن تماديه بالنظر .

المستشفى

-يمكنك الدخول لكن لا تجهدىها بالحديث، فالذبحة
الصدرية أنهكت قواها، معافاة بإذن الله.

أمنت لبنى على دعوة الطبيب ثم دخلت إلى غرفة الإنعاش
حيث تحركت بوجل وبدنها يقشعر من برودة الغرفة رغم
دفئها، الضجيج الصادر من الآلات يصم أذنيها، فحاولت

التركيز على جسدها الموصول بأسلاك عدة وقد ظهر عليها
الوهن والضعف، والدتها الشامخة دائماً، الجامدة والقوية
سقطت ضحية ذبحة صدرية، قلبها لم يتحمل الذنب الذي
اقترفته في لحظة ضعف وانهايار، خطف سمرا أرسلها رأسها
على طريق الهلاك، كأنها عوقبت على ما فعلته حين طردت
فلذة كبدها وحملتها ما لم يكن لها فيه يد ولا رجل، حملتها
ذنب آلام السنين وغدر النفوس البشعة ليرد لها القدر الصفحة
بأخرى أقسى يهددها بفقدان ابنتها، تلك النعمة التي فرطت في
تقديرها والحمد لواهبها والشكر بدلا من جداله في منحه
وأقداره، ومن هذا الأحمق الذي يتحدى الله! أجفلت حين
فتحت والدتها مقلتيها بتعب تهمس بوهن :

-سم.....سمرا.

دمعتين جديدتين لاذتا بالفرار من سجنهما وهي تجيب بما لا
تعلم عنه شيئاً :

-إنها بخير، لا تخافي! أرجوك أُمي تعافي لتقومي لنا بصحة وقوة
كما عهدناك .

كأنها لم تسمعها تكرر اسما واحدا وجفناها يثقلان إلى أن
راحت بغفوة مجبورة مرة أخرى .

-سمرا، سمرا.

الفصل الثامن والعشرون

{ ما أُلزم عبد ذكر الموت إلا صغرت الدنيا

عنده الحسن البصري }

-اختطافك تصفية حسابات مع أهلك

زوت ما بين حاجبيها تشير بكفها مستغربة:

-أهلي؟ لكن لا أظن بأن هناك من يعلم بأنني أقربهم، فأبي

بنفسه لم يكن يعلم عني.

ابتسم ساخرا، يفسر لها: -إنه حظك الجميل!

تأملته بجهل، فتابع :

-بالأمس حين زرت والدك، كان باجتماع لتوه رفضوا فيه
عميلا ضاعت عليه صفقة هائلة ولينتقم خطفك ليعوض
خسارته للصفقة وأظن بأنه طلب من أهلك المال .

عقت غير مصدقة :

-كل هذا من أجل المال؟ لكن لماذا رفضوا العمل معه؟

رد ساخرا :

-أغلب الجرائم سببها المال، رفضوه لأن أعماله مشبوهة .

هزت رأسها تجيب بسخرية وملل :

-حظي بالفعل جميل .

تنهدت بحزن، فقال بفضول : -إنه دورك.

نظرت إليه مستفسرة وقد نسيت اتفاقهما ليذكرها :

-أخبرتكَ سبب خطفك، أم نسيت اتفاقنا؟

ضمت نفسها تمسداً على ذراعيها كأن مجرد استحضار مصابها

أرعدتها برداً تخلى عن جسدها أثناء ركضهما، فاستطرد بينما

يزيل سترته : -هل تشعرين بالبرد؟

لم ينتظر ردها يناولها سترته، فتكومت تحتها ممتنة تدس أنفها

بأطرافها تتبع عبير عطره الهادئ، فعقبت بسذاجة :

-رائحة عطرك هادئة عادة لا أحب عطور الرجال لأنها فواحة

تشعرنى بالدوار .

رمقها بتفحص قبل أن يتسم من سذاجة قولها، فملاحها لا
توحي بما قد يفهم أبعد من معاني كلماتها الحرفية :

-أما الهادئة فتمنحني شعورا بالدفء فأستمع بشمها .

أصغى إليها تثرثر بعفوية وقد أدخلت يديها بكمي سترته، ثم
بسطت كفها تمسد على طرف الكم الأيمن :

-يدوا أن ذوقك رفيع في كل شيء .

تسارعت دقات قلبه دون مجهود سوى مع عينيه يفر بهما كلما
تسللتا عن غفلة منه لتتابع أصابعها الممسدة للقماش بمراعاة
ورقة، تسترسل بهدوء وتلقائية عكس الفوضى التي أحدثتها
بأحشائه : -القماش أملس لكن ليس حريريا .

تدخل قائلا بحزم لم يقصدها به إنما يوقظ به نفسه من تأثيره

بها : -الحرير محرم على الرجال !

ندم على حدثه التي أجفلتها وسريعا ما تحول ندمه الى تعجب

من تجاوزها الأمر وتقبله، مجيبة بنفس نبرتها العفوية :

-أعلم، كنت سأخبر أبي بالأمس حين لاحظت قماش بدلته

الحريري لكنني خجلت .

لانت ملامحه، يخاطبها بلطف كأنه يعتذر عن حدثه السابقة :

-لا يخجل المرء من قول الحق ثم من يخجل من والده بالله

عليك، فأبي أقرب أصدقائي .

وجمت فلام نفسه وتعمد التجاهل يستدرك بلوم مزعوم :

- أنت ماكرة بالمناسبة.

لفت انتباهها تسأل بعبوس : - لماذا؟

ابتسم بهدوء يجيبها :

- لأنك لم توفي بجانبك من الاتفاق وتخبريني بسبب هذا

الحزن بعينيك والذي جعلك تخرجين من بيتك في الليل وعلى

فكرة، ذاك تصرف غير صائب بالمرّة .

أدارت رأسها ترمق أمامها بوجوم وقد تدحرجت دمعة مؤلمة،

أحرقته وجنتها كما قلبها تقول بلوعة أحرقته قلبه هو، قبل أن

تصدمه : - لم أخرج بإرادتي، ماما طردتني .

مكتب المحامي

-السلام عليكم أستاذ أحمد.

أشار لها المحامي لتجلس ومعاذ، يرحب بها:

-أخيراً قررت الحضور يا أستاذة تسنيم، الأستاذ سامي أكد

على حضورك في أقرب فرصة، خصوصاً مع تعرضك للعنف

باستمرار.

نظر إليها معاذ بسخط، يلومها :

-يضربك باستمرار؟ الحقير، لماذا صبرت على تطاوله؟

رمقته برجاء ليهدأ، فاستفسر منها المحامي :

هل أحضرت التقرير طبي؟

ناولته الملف، تقول باسمه:

-قصدت الدكتورة لمياء الزهار، فحصتني وكتبت التقرير،

ستجد فيه الصور أيضاً .

تسلمه برضا يعقب :

-جيد جداً .

تدخل معاذ يذكر ما يفوته :

-لكن أستاذ طلب عودتها لبيتها قانونيا .

هز رأسه يقول باستخفاف :

- فليفعل ما يريد، نحن الآن سنقدم به شكوى بتهمة التعدي على زوجته بالضرب ومع التقرير والصور سيحبس لأيام
 نتمكن فيها من إتمام إجراءات رفع قضية الطلاق وبسبب
 التعدي والحبس ستطلق في أقرب وقت .

سأل معاذ بفضول :

- وهل هذا سيوقف قضيته؟

ضحك المحامي مجيباً ببعض السخرية :

- اسمعني يا سيدي، القوانين الخاصة بمدونة الأسرة ببلدنا
 تطورت وتعذلت بشكل ينفع المرأة ويضمن حقوقها وكرامتها
 التي شرعها الدين الإسلامي، لكن الثغرة أين تكمن؟

أنصتا إليه بتمعن بينما يكمل رافعا الملف يشير إليه :

- في التنفيذ، يجب أن تختار العناصر المناسبة، بداية بالمحامي
الموثوق ثم الطبيب المكلف بالتقرير الطبي إلى الضابط الذي
ستسجل لديه الشكوى إلى نهاية القضية، كل شيء يجب أن
يكون منظما بذكاء، حينها ستلعب به كالدمية لا يطال أرضا ولا
سما .

ابتسما بأمل، فأضاف المحامي بينما يفارق مقعده :

هيا بنا إلى النيابة العامة، الضابط الذي أريد وضع الشكاية لديه
مناوب الآن.

بيت سامي

فتح باب بيته يدفع بالمقعد بينما يقول لخالته التي جاءتهم
مسرعة من مدينتها حين علمت بمصائبهم، تحمل بين يديها
الصغير النائم باستكانة .

-مرحبا بك خالتي، الحمد لله أنك أتيت، كنت تائها ولا أعلم
كيف أتصرف .

أجابته خالته بملامح بشوشة :

-كيف أتأخر عليكما بني؟ أنا كنت أعاني من الوحدة والفراغ،
أولادي كلٌّ مشغول بأسرته وحياته الحمد لله، والاستئناس

بأختي حببتي وهذا الصغير الجميل حفظهما الله وشفاهما
كلاهما يسعدني .

سعد لحدثها يشكرها كل حين يحمد الله على رحمته وأوصل
والدته إلى غرفتها حيث حملها ليضعها على سريرها بتأني
وحرص ثم جلس قربها يمسد على رأسها، يعاتبها برقة :

-لماذا لم تخبريني يا أمي؟ كنا لنتفادى خطرا كاد أن يؤدي بك
وبمنير .

تحدثت بوهن وعينين دامعتين : -يا ولدي لم أكن متأكدة من
سبب نومي ونوم الصغير الكثير والمتعب، كنت أشك بها لكن
لم أملك الحجة الدامغة، فكيف أتهمها بلا دليل؟ لا أستطيع
تحمل ذنب رميها بالباطل .

تدخلت الخالة كبيرة، تعقب بسخط :

-لم أحبها منذ قابلتها أول مرة لكنني لم أرد اغضابك يا سامي،

أقسم لو رأيتها لنتفت شعرها ذاك الذي تستعرضه دون حياء

أمام الرجال كأنها ليست متزوجة !

قالت شقيقتها بوهن معاتب :

-يا كبيرة لا تحملينا ذنوبها ودعينا من سيرتها، المهم عندي

الصغير، اعطني به يا شقيقتي، اللهم اشفه وعافه يا رب .

-أستغفر الله العظيم، أنا مغتازة منها .

علقت كبيرة عابسة بضيق، فقبل سامي رأس والدته، يقول

بانزعاج.

- أنا مضطر للمداومة في الفترة المسائية .

ثم التفت إلى خالته، يكمل برجاء :

- سأتصل بك كل حين، إن أحسست بأي شيء غير طبيعي فيما

يخص صحتهما أخبريني وسأعود في الحال، هما حصتين فقط

على العموم.

ربت على كتفه تطمئنه بينما هو يقبل صغيره :

- إذهب يا بني في أمان الله ولا تقلق .

بيت خالد

تمطى بتعب يشعر بأنه نام طويلا حتى آلمته أضلعه، ألقى نظرة
إلى المكان بجانبه فلم يجدها ثم طالع الساعة على المنضدة
الصغيرة ليكتشف أن اليوم قد انتصف، فتحرك من مكانه يقوم
لينتعش.

خرج من غرفة النوم ليتجه نحو المطبخ حيث يجتمعون أفراد
أسرته، نفس المشهد اليومي، الصغيرة على المائدة تقلب في
دفتر تلوينها والرضيع على كرسيه يلهو بألعابه وأخيرا هي تنهي
تجهيز الغداء بين تحضير السلطة والعصير .

التفت إليه حين شعرت بدخوله، فابتسمت تترك ما تفعله
لتقترب منه تقول :

-أخيرا استيقظت، كنت بدأت أقلق .

لم تمهله ومالت نحوه تقبل وجنته بلطف على غير عاداتها
فأدهشته .

-كنتَ حقا مرهقا، هل ارتحت الآن؟

هز رأسه يحاول الحفاظ على وجهه العبوس الجدي متجاوزا
إياها إلى الصغيرين، قبلهما ثم جلس يلهي نفسه بهما عنها.

راقبته بصمت قبل أن تعود إلى ما كانت تفعله، فلم تدرك بأنه
يسترق النظر إليها كلما أعطته بظهرها، يفكر بأن ما يحدث

معهما قد يكون فيه خيرا لصالحهما لكن بعد أن تشرح له
 بالطبع وتقنعه. حاولت تدليله أثناء الغداء تحسسه بأهميته
 لديها، فبدأت تطعمه بيدها كما تفعل مع الصغيرين تسر في
 قلبها فرحة قبوله الطعام منها حتى إن ظلت ملامحه جامدة.

لقد فكرت بجدية كيف ستعبر عن نفسها وجهزت أطروحات
 عدة، فهي ليست مستعدة للاستغناء عنه أو عن أسرتها، تحب
 حياتهما وطفليهما والأهم أنها اكتشفت كبر وعمق حبها
 لزوجها، ابتعاده في اليومين المنصرمين وجفائه معها أشعل
 بقلبها شوقا عارما إليه كأنها ستفقدته الى الأبد، لا تتصور العيش
 من دونه بكل ما يمثله لها من أهمية ولا تطيق حتى التفكير في
 ذلك، فهتفت بجزع حيره :

- طلبت من أمي الاعتناء بالصغار كي تتمكن من الحديث .

ولم تكذ تنهي حديثها حتى دق جرس الباب .

- ما هو ذنبي في ما حدث! من فضلك سيدي أخبرني، لأنني لا

أعرف خطئي أين يكمن تحديدا!

فقد قلبه بين سيول دموعها غريقا، ترمقه باستجداء كي يريح

فوضى أفكارها وينهي حيرتها، فتحنح يجلي حنجرتة معقبا :

- إسمي محمد، لا تنادينى بسيدي .

ضمت ملامح وجهها، تقول :

- لكنك أكبر مني ويفترض بي احترامك .

رفع حاجبيه يتذكر شيئاً ما، فسأل بفضول:

-لماذا؟ كم عمرك؟

-أتممت السابعة عشر قبل أسبوع.

تنفس براحة، يفكر بصوت عالي دون وعي :

-ابنة عمتي تزوجت بالسادس عشر العام المنصرم وهي الآن

قد أنجبت طفلاً.

جعدت جبينها تتساءل بتيه :

- ما دخل ابنة عمتك بموضوعنا؟ ثم كيف تزوجونها؟ ما تزال

صغيرة ولم تكمل دراستها بعد .

تفاجأ من تفكيره لكنها سرعان ما استدرجته مجددا إلى مناقشة
آخر حديثها، يرد عليها مدافعا.

- أهلي من بلدة (...) وقليل من يرسلون بناتهم لإكمال
الدراسة في المدن، لذا تتزوج الفتيات صغيرات باختيارهن ولا
يجبرهن أحد والشباب أيضاً عندنا يتزوجون صغارا، مثلا في
عائلي أنا الوحيد العازب بين شبابهم، أخي الأصغر مني
متزوج من ابنة عمتي التي أخبرتك عنها.
نست أمر حزنها منجرفة معه في حوارہ :

- وكم عمرك أنت؟

- أتممت عامي السادس والعشرون قبل شهر .

فعبت بما استفزه بغرابة :

- تكبرني بتسع سنوات، يجب ان أناديك بسيدي .

- أنسة سمرا!

قالها بعبوس طفولي لم يكن يوما من صفاته ، فضحكت من قلبها، لترتفع دقات قلبه وتضيق أنفاسه ولم يجد بدا من النهوض لابتعد عنها وعن سحرها الخاص . مسح على وجهه، يستغفر ربه ثم التفت حين سمعها تتساءل بنبرة معتذرة :

- هل غضبت؟ حسنا سأناديك بمحمد .

حقا شعر باسمه تغير وقعه بصوتها، فاستدركت :

- لكنك الماكر بيننا.

-لماذا؟

سأل بصدق، فردت عليه وقد نهضت هي الأخرى :

-لأنك غيرت الموضوع كله، لتصرف نظري عن حزني.

رقت ملامحه يقسم بأنه لم يرى في طيبتها وبساطة أفكارها بينما

هي تضيف: -ولم تجب عن سؤالي .

أشار لها لتقدمه يستأنفان طريقهما بين أشجار الزيتون:

-لا ذنب لك يا آنسة سمرا، لا أنت ولا شقيقتك ولا صهيب

ولا مرام ولا نزار ولا نضال ورضوان معهم وآخرين ليسوا من

عائلتك، جميعكم كنتم ضحايا حروب الكبار والمشكلة منهم

من لا نستطيع لومه كوالدة نضال و نزار مثلا ووالدتك أيضا .

رمته بتلك النظرة من جديد، تتوقع منه حل مشاكلها وفوضاها،
فتابع شرح وجهة نظره علّه يعيد ترميم صورة والدتها التي
انكسرت داخلها بأسوأ الطرق :

-المرأة حين تقبل برجل لتقترن به تمنحه كل شيء، قلبها
وشبابها، تضحي بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ عليه وعلى
استقرارها معه لكن من الرجال للأسف من يجهل بأن أسوأ
طعنة عند المرأة مهما كان تبريرها، قد تسبب لها الموت هي
الخيانة حتى إن كان زواجا بالنسبة لها إدخال امرأة أخرى في
حياته تعد خيانة كبرى، فتبدأ الحرب أولا لتحافظ عليه وحين
لا تفلح، تبتعد وتقسو لأنها وببساطة، قلبها قد تضرر من ألم
الاحساس البشع وفي ظل تلك الحروب وبعدها الفراق وقساوة

القلب، من يتعذب وتتعدد نفسيته وعقله بسبب العلاقة بين
الوالدين؟ الأبناء .

أنصت بتمعن تستفسر منه :

-تقصد بأن قلب والدتي قسى' لأنه تضرر من خذلان أبي لها؟
وليس لأنها تلومني على ما لم أستطع أن أكونه؟
هز رأسه مؤكداً :

-بالتأكيد، ما من أم تكره فلذة كبدها مهما حدث، والدتك تأخر
انهيارها لسنوات، فلم تتحمل حين شعرت بأنها ستفقدك
لصالح والدك، هي في أعماقها تعلم بأنها قست عليك لذا من
السهل أن تبحتي عما ينقصك لدى والدك وفي لحظة جنون منها

تحت وطأة الصدمة بمعرفة إنجاب غريمتها صبيا عجلت
بالمحتوم وأرسلتك إليه كأنها تطبق بنفسها ما تنتظر وقوعه، ألا
يقولون... وقوع البلاء أفضل من انتظاره؟

وقفت تفتح فمها بشرود، فوقف هو الآخر، ينبهها:

- يجب أن نتقدم، اقتربنا من الطريق السريع .

- شكرالك .

نطقها بامتنان حقيقي وقد استعادت بعضا من الأمل والثقة .

- على ماذا؟

سألها، فابتسمت تجيبه :

-لأنك جعلتني أفهم الوضع جيدا، شكرا لكأسعدت
قلبي بعدما كان كئيبا وحزينا، أنت بارع على مستويات عدة .
تضخم قلبه وأسرع تنفسه بينما الساحرة الصغيرة تعود للمشي
ببساطة دون أن تعي بأنها خلفت وراءها قلبا يدق لاسم واحد
لا غير، سمرا.

أمام بناية العم سعيد

انتظر بلهفة أحسن اخفاءها وهو يجلس على مقعد السائق،
ينتظرها بينما تامر متكئ بيده على إطار السيارة، استقام في

وقفته ما إن لمحها تتقدم بخطوات متعثرة، فأطرق بعينه يفتح

الباب منتظرا، يسألها برسمية حين وصلت :

- كيف حالك يا آنسة؟

ابتسمت بحياء ترد بكلمة خافتة قبل أن تحتل المقعد الخلفي .

- بخير الحمد لله.

صافح تامر العم سعيد، فقد كان حاضرا يوصلهما إليهما،

فاضطر نوفل إلى النزول ليسلم عليه هو الآخر، متجاهلا إياها

بالكامل:

-إنهما بأمانتكما وأستودعكم الله جميعكم، هو الذي لا تضيع

ودائعه.

القلوب في السيارة تعدو في سباق حامي.

قلب تامر يرقص فرحا لأنه أنقذها وحافظ على الأمانة يدحر شعورا آخر ولدته نظرتها إليه كالبطل الفارس المغوار، يذكر نفسه بأنها أمانة

أما قلب سعيدة فسعيد، تستحضر بعقلها رشيد الذي لم يمر يوما دون أن يذكر هذا الرجل على المقعد الأمامي، لن تنس أبدا تأثيره على شخصية زوج أختها سارة، فكان السبب في تغيره من رجل غير مسؤول مستهتر سكير، إلى رجل مؤمن بحق أسعد أختها في سنواتهما الأخيرة، فتكونت لديها عنه صورة خيالية في عقلها، صورة الفارس والمنقذ ولم يكن رشيد يبالغ، فهو حقا أمين ووفي.

قلب العابس كابن خاله مضطرب، يركز على الطريق ليهرب
 من تأثير حضورها عليه، فينعته قلبه بالغباء حين صدق بأنه قادر
 على التخلص من حبه لها فيثبت له قوته كرباط أبادي لا فكاك
 له منه، غبي! نطقها قلبه مرة أخرى بينما يجبره على سرقة نظرة
 نحوها على المرآة ليجدها في انتظاره فيتهرب بعينه بسرعة
 غافلا عن بسمتها الماكرة تضع كفها فوق موضع قلبها الذي
 آزر خليله يهتف لها هي الأخرى، بكونها غبية حين ظنت بأنها
 تستطيع التغلب على أحاسيسها القوية تجاهه وها هي تمنى
 منه النظرة لا تجدها، فتختنق بنار الفقد، غبية!

بلغوا وجهتهم، فترجل تامر ليفتح لهما الباب من جديد ثم
 أشار لسعيدة أول من نزلت، لتقدمه في اتجاه العيادة وانتظرت

الأخرى نزول نوفل، فلم يفعل لذا بقيت مكانها ساكنة حتى
نظر عبر المرأة يخاطبها بجفاء:

-ماذا تنتظرين؟ العيادة هناك .

تحدثت بخوف لم تكن تدعيه بشكل كلي، فهي بالفعل ما تزال
خائفة: -انا خائفة، ألن ترافقني؟

زفر بانزعاج مما أشعرت به قلبه من انقباض بسبب نبرتها
الكئيبة، عكس ما تعود عليه منها ورد عليها :

-تامر معكما فوق وأنا سأحرس باب البناية.

عبست تقول بحزن: -أنا لا أثق إلا بك.

رفع لها حاجبه في المرأة يتساءل ساخرا :

-هل أنت متأكدة؟ فما أذكره أنك سبع رجال في واحد ولا

تخافين سوى خالقك !

أدركت صعوبة إقناعه، فارتأت ادعاء المسكنة، تقول بحزن

بأس:

-لا بأس إن كتب علي الخطف مرة أخرى، لن أتمرد على

القدر، عن اذنك وبالمناسبة.

قطب مبهوتا، يرمق استسلامها وشخصيتها التي لم يالفها و لم

يستسغها فهو أحبها قوية :

-شكرالك على انقاذي، لن انسى معروفك أبداً! أنت أنقذتني

من هول لم أتصور يوماً أنني قد أقع فيه .

نزلت تمشي الهويني تعد في سرها، واحد، اثنان حتى سمعته،

يهتف بحنق : -استغفر الله العظيم! انتظري !

غيرت ملامحها إلى البؤس، تلتفت إليه مطرقة برأسها بخنوع

يضاعف من مقتته وهو يضيف أمرا : -تفضلي أمامي !

وجدا تامر يحتل لتوه مقعدا في غرفة الاستقبال، فسأله :

-هل دخلت؟

هز تامر رأسه بينما يستل مصحفا من جيب سترته وفتحته يقرأ

منه ثم جلست حيث أشار لها بعيدا عن تامر وعنه، فراقبته بحنق

وما لبثت أن قامت فنظر إليها بتساؤل ردت عليه ببراءة مدعية :

-أريد اقتناء سكاكر الفراولة .

ماذا؟

هتف بدهشة، فقالت مؤكدة :

-أريد سكاكر، تساعدني لكي أظل هادئة ومركزة .

نهض ينفخ بضجر، يقول قبل أن يغادر :

-اجلسي مكانك، سأحضرها لك .

هتفت بمكر، أجادت إخفاءه : -بالفراولة، لا آكل غيرها .

غادر يهز رأسه يأسا، فعادت للجلوس على كرسيها تبسم

بشقاوة مرحة اختفت حين عقب تامر دون أن يرفع رأسه إليها :

-جيد، ظلي على ذلك المنوال .

احمرت خجلا لكنها أبدا ما كانت لتراجع ستعيده إليها
وستفعل ما بوسعها لتحقيق ذلك .

*ثانوية حسن البصري *

-ابتعت كل شيء يا رجل، لا داعي للقلق !

رمقه أمين بسخرية مرحة بعد أن تفقد كل ما ابتاعه :

-ابن ذواتٍ يا باشا .

تعمد الحنق تمثيلا، يسأله :

-هل هذه غبطة؟

ضحك أمين يرد عليه بما أضحكه هو الآخر :

- لا، بل حسد، اللهم احفظنا!

قهقهها بمرح سكت عنهما فجأة حين شمل المكان بنظرة،

يهمس بحزن :

- يا الله اهدي شباب المسلمين .

- آمين، ذاك كان انطباعي في أول مرة .

رد عليه وائل، فقال أمين وهو يفتح الأغراض وقد اختاروا

الحائط الضخم الخلفي للبنية الداخلية :

- صهيب غائب، كان وجوده سيساعد في لفت الأنظار.

ساعده وائل بينما يجيبه :

-الله أعلم بما حدث معه، فهو تلميذ منضبط .

توكلا على الله وبدءا مع أول قسم من الجدار، يجيرونه بالأبيض استعدادا للرسم ضمن خطة كبيرة يأملان بها تغيير تلك المنطقة بالكامل ظاهريا وإن كان هدفهما خلاف ذلك.

لمح وائل ظل رأس، فهتف بنبرة عالية ومعاقبة :

-لم تستطيعي سوى المجيء .

انتبه أمين لحديثه، فأظهرت نفسها عند المنعطف، تقول
بخجل :

-أستاذ وائل أنا عنصر نشيط بجمعية حنين، إن كنت قادرة على التعامل مع أولاد الشوارع، فحتمًا لن يعجزني حفنة مدللين .

تناظرا فيما بينهما وائل وأمين الذي هزله كتفيه بمعنى لا أعلم،

فسألها الأول بشك :

-تعاملين مع جمعية حنين؟

تهربت بالتقاط عبوة لتبدأ بمساعدتهما واكتفت بهزة رأس، فزم

شفتيه يفكر حتى أيقظته من شروده بسؤالها الحائر ليرد عليها

أمين :

-ما هي الخطة؟

-سندعهم يأتون إلينا، نكتفي بفرض هواية نظيفة ومفيدة

وندعهم يأتون إلينا حينها يبدأ الإصلاح إن شاء الله .

بيت خالد

أحضرت له الشاي وبعض الحلوى وصبت له قبل أن تقعد
بجانبه، فخاطبها بجدية يمنعها عن التردد :

-تحدثني إسراء ومن الأفضل أن تكوني مقنعة لأنني أحترق من
الداخل ولم يسبق لي أن أحسست بشعور أفظع من قبل .
تنهدت تهمس بأسى بينما تهوي على الأريكة جواره .
-أنا آسفة، صدقا .

سأل بجمود وهما جالسين بغرفة المعيشة :

-على ماذا تتأسفين إسراء، على خيانتك؟

شهقت، ترد بجزع:

- لا بل آسفة لأنني السبب بحزنك، أنا لست خائنة يا خالد، من

فضلك لا تقلها مرة أخرى، إنها كلمة بشعة وتجرحني .

مال نحوها حنقا، يهتف وهو يحاصرها بعينه المتربصتين بها :

-وأنا؟ ماذا عن جرحي أنا؟ حين أكتشف أن زوجتي تشكل

بيتنا الذي ظننته من صنعنا معا نسخة عن بيت آخر بكل تفاصيله

الصغيرة يا إسراء!

تراجعت قليلا تنكمش على نفسها بينما هو يكمل بألم : -ماذا

عن جرحي حين أكتشف أن زوجتي حببتي لا تتخذ قرارا حتى

تأخذ برأى رجل آخر غيرى أنا زوجها ومن يفترض به حبىبا،
وليس رجلا أحبته بالماضى !

هزت رأسها تستنكر ببؤس :

-لم أحب ياسين من قبل !

ابتعد يرمقها مقطبا، فاستطردت بتوتر :

لقد جهزت حديثا كثيرا لأدافع به عن نفسى لكن وأنت تصيغ
الأمر بهذه الطريقة ألاحظ بأننى فعلا أخطأت وجرحتك، أنا
هكذا دائما، حمقاء أفسد كل شيء! لكن ياسين لم يكن حبىبا
لى لا بالماضى ولا الحاضر .

صمت يتابعها بتركيز وهى تمسح دمعة قبل أن تفر منها لتكمل :

- بداية يجب أن تفهم بأن تفاوت صديقتي المقربة جدا منذ كنا في الحضانة، وياسين حدّث أخي ليخطبني لكنني رفضت وبعدها خطب صديقتي وحصل بينهما قبول ووافقت وسبب عدم معرفتك بها بعدنا لفترة لأسباب أنا المذنبة بها ولا علاقة لها بحب ياسين إن فكرت بذلك، والدليل أننا سرعان ما أعدنا صداقتنا وظلت في حدود الاتصالات الهاتفية والانترنت غالبا ولقاءات دورية بالنادي ولا يكون زوجها حاضرا هو الآخر إلا لمأما بسبب عمله وإن فعل يجلس بعيد عنا قليلا أقرب لوالدته كما رأيت بنفسك، فمن فضلك لا تفهم حديث تفاوت أو حماتها بشكل خطأ.

لم يعقب فقط يمنحها فرصة كاملة لتفسر وهو حقا يريد فهمها
جيدا : -مررت بتجربة كنت فيها بلهاء أغتر بالمظاهر وقصص
الحب الخيالية.

ضاقت مقلته تركيزا، فزمت شفيتها بحذر تراعي ما تبوح به وما
تدعه طي الكتمان لا داعي لذكره :

_أعجبت بشاب من جامعتي و...

لاحظت اشتعال مقلتيه غيرة فسارعت لتكمل :

-اكتشفت أنه أحرق فاسد وكرهته، وكرهت الفتاة الحالمة
التي كنتها فقررت أن أصبح مسؤولة أمام عائلتي وحين حاولت
التعلم فهمت بأن أقرب طريق للنجاح دنيويا وأخرويا

الاستقامة، لذا حاولت جهدي الاستقامة وبذلت مجهودا كبيرا
أبحث دوما عن الأفضل لأقتدي به وفيما يخص قرارات بيتنا
كأفضل مستشفى لمتابعة الحمل وأفضل مدرسة وأفضل
طريقة للتربية والنخ كنت أستفيد من تفاوت وأغلب قراراتهما
يكون ياسين مصدرها لأنه شرطي وعمله التحقق من الأفضل
خصوصا نوعية البشر، فكنت آخذ بها مطمئنة، وحين تشاكس
تفاوت زوجها وترفض قرار ما يكون السبب فقط رغبتها بتدليل
طفلها أو التدلل على زوجها لذا أنصحها بأن تتبع زوجها ولا
تتهاون فيما يخص مصلحة أسرتها كما أهتم بمصلحة أسرتي
وهذا معنى تعقيب تفاوت وحماتها وليس ما فهمته أنت... أنني
أحبه!

بدى لها من ملامحه مقتنعا، فاسترسلت توضح له أهميته
بحياتها:

-لقد ظننت بأنني أبلي بلاء حسنا وأريحك من مسؤوليات
البيت لتتفرغ لعملك والباقي من وقتك ترتاح به فتكون سعيدا
معي، فأنت أهم ما أملك وطفلي بعدك... وهذا الذي تقوله حبا
مجرد كذبة يخدعون بها الفتاة البريئة .

تجعد جبينه وقد سعد قلبه باعترافها أنه مهم بحياتها، فيعقب
ببعض الحنق الطفولي:

-الحب ليس أكذوبة إن كان صادقا وفي مكانه، وأنا أحبك
ولست بفتاة حالمة !

كان دورها لتعبس بحيرة تفسر له قناعاتها:

- ما تشعر به نحوي هو الاهتمام والاحترام ورغبة بالرعاية
والحماية وهذا ما أشعر به نحوك أيضا، الحب زيف يخفون به
رغبات حقيرة!

ارتفع حاجباه يعقب بعدم تصديق:

- وهل أنا شاب أجنبي عنك يستدرجك ليسرق براءتك ...

ثم ضحك بإلحاح من فكاهة استولت عليه:

- لقد تجاوزنا تلك المرحلة يا إسراء ولم أكن شابا أجنبيا عنك
حين لمست يدك أول مرة، وبالتأكيد لم أسرق منك شيئا مع
أنني بدأت أشعر أنني أفعل لاحقا...

تحولت نبرته لوجوم، فأمالت رأسها بجهل ظاهر ليوضح لها
أكثر فلن يفوت تلك الفرصة :

-بدأت أشعر وقبل مدة طويلة بأنني أفرض مشاعري عليك
وهذا الذي يجرح كرامتي وقلبي أكثر من كل ما ذكرته آنفا حتى
أنني كنت أشعر بالحزن كلما توصلنا لأنني دوما المطالب
ومن يبادر بكل شيء حتى الحزن والغزل .

شعرت بالخجل والإحراج واتسعت مقلتاها صدمة تعقب:
- كل شيء حدث بيننا كان بالتراضي .

فأشار لها بظفر-:أها... التراضي! وليس حبا وهناك اختلاف
كبير ولم أعد أريد هذا التراضي ولا يكفيني!

رمقته مدهوشة تفتح فمها بينما هو يكمل بإصرار طفولي
مضحك :

-أريد الحب الذي تعتبرينه للفتيات الساذجات، أريدك أن
تحبيني كفتاة ساذجة حاملة لأنني وبدوري أحبك كشاب حالم
غر لم يرى فتيات بحياته قط!

ابتسمت من بين ملامحها المذهولة التي رقت، تخبره ببعض
المرح والتأثر يغمرها كاملا:

-ألا يكفيك ما أشعر به أكبر مما يعتبرونه حبا، فأنت زوجي
أهم ما بحياتي التي لا أتخيلها من دونك وباليومين الماضيين
عشت بعذاب أليم بسبب جفائك واحساسي المزعج بأنني
جرحتك وكدرت مزاجك .

أمسك بكفها يطالعها يشغف بينما يجيبها:

- هذا هو الحب يا إسراء سوف تفقديني عقلي.

هزت رأسها تصدر ضحكة رائقة ثم أسمعته ما يريدته وقد

فهمت أخيرا الذي يبحث عنه: - إن كان ما أشعر به نحوك حبا

حسب فهمك، فأنا أحبك يا خالد.

اقترب يضمها باسما بفرح يحذرهما بنظرات متوعدة.

- أنت ربة بيت بارعة لا نقاش في ذلك وها أنت تعلمت كيف

تصبحين أيضا زوجة بارعة، فلا تدخري جهدا في تحقيق أعلى

المراتب.

علت ضحكها، فاستنفرت دقات قلبه تأثرا وانقلبت كآبته إلى
 سعادة عارمة وقد كان ملحا ومصمما بأن يلقنها الدرس حتى
 تفهم وتجتهد وكم هو في شوق ليستمتع بإصرارها هي في إثبات
 تفوقها كما فعلت بباقي مسؤولياتها .

المستشفى

أسرع إلى غرفتها التي نقلوها إليها بعد أن تحسنت قليلا وفتح
 الباب، فرمقته بتساؤل متوسل، لتعود به الذاكرة إلى ماض يبدو
 بعيدا وقريبا في نفس الوقت .

-سمرا؟

نطقها حليلة برجاء، فابتسم براحة وسرور بعد يوم جحيم
 جرب فيه مشاعر أبوة قاتلة، وقد استولى عليه الخوف حد
 الموت بينما وجهها البريء بملامحه وتعبيراته لا يغادر عقله،
 تلك الساحرة الصغيرة حركت قلبه البارد بتقبلها له بطباعه
 السيئة دون أن تعير حديث والدتها اهتماما، الوحيدة التي تقبلته
 بكل ما فيه وعبرت له عن حبها له وفخرها به، أمر لم تفعله لبنى
 التي لم تمرر لحظة لم تعبس فيها بوجهه تتهمة بالبرود والنقص
 كما فعل صهيب أيضا :

- سمرا بخير والحمد لله، محمد هاتفني تمكنا من الهرب وهما
 في طريقهما إلى هنا .

أشرفت ملامحهم يحمدون ربهم على رحمة الله الذي أمدهم

بفرصة

الفصل التاسع والعشرون

{المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر

يعمل بالمعاصي وهو آمن.....الحسن البصري}

ثانوية الحسن البصري

كانت تبسم بسرور حقيقي كأنها تطير في سماء متحررة من كل

هموم أزعجت صفاء ذهنها، استخلص ذلك من اللونين

الوحيدين الذين تستعملهما (الأبيض و الأزرق) إنها تنشد

السماء وتحب الصفاء، جفل من تطلعه بما ترسمه على ربتة

من يد أمين، يهمس له ببسمة ظافرة : -أنظر وركز !

استدار الى مجموعة من الأولاد غلب عليهم حس الفضول

أخيرا، فاتجهوا إليهم : :- أستاذ وائل، ماذا تفعلون؟

ابتسم بمرح يجيب الذي سأل :

- كما ترى، نرسم ببخاخات الطلاء، نعبر عن أنفسنا وفي نفس

الوقت نزين هذه الجدران التي بهت طلاءها .

هزوا رؤوسهم، يتأملون ما قاموا به لحد الآن، فتابع وائل

بحذر :

- أنا متكفل بإحضار بخاخات الصباغة والجميع مدعوون حتى

إن لم يكن يعلم كيف! ليس مهما، فليعبر عن نفسه بأي طريقة

أرادها.

وعاد إلى ما كان يقوم به كما فعلت أمل التي عادت إلى الرسم
بعد أن استيقظت من عالم أحلامٍ شعرت فيه بالتححرر النفسي
لتكتشف أنها ترسم السماء بلونها الأزرق الصافي.

راقبت الأولاد منهم الفتيان والفتيات بطرف عينيها، تتمنى أن
يتجرؤوا ويفعلوا مثلها، تريدهم أن يشعروا بما شعرت به من
انفصال عن الواقع وكل ما يتعلق به من مفروضات
ومكروهات ثم ابتسمت ترمي وائل بنظرات ظفر حين تقدم
أحدهم، يسأل : - هل تسمحون لي بالتجربة؟

هز أمين رأسه باسماء يدعو : - طبعاً تفضل !

لم يطل الأمر حتي تبعه الثاني والثالث ...، فهمس أمين لوائل
بأمل : - يبدو أننا سنبدأ بالمخطط قريباً.

بيت أمين

- أين زوجك يا ابنتي؟

ردت خنساء و هي تفرد شعرها الأسود المجعد الطويل تتنهد
براحة بينما تدلك فروة رأسها، فهي لا تزيل الوشاح أمام أمين
خجلا منه :

- في الثانوية أمي، لديه عمل ما مع الأستاذ وائل.

صمتت والدتها تتابع مسلسلا، فتذكرت خنساء اتفاقها مع
زوجها بخصوصها استدركت تناديها : - أمي؟

لم تجبها وقد راح تركيزها مع التلفاز، فكررت خنساء بإصرار :

- أمي ما كان مستوى تعليمك؟

التفت إليها كأنها أجفلت، فتابعت خنساء بفضول :

-أعلم بأنك درست، لكن لم يسبق أن سألتك أو أخبرتني عن

مستواك الدراسي .

ردت بعد تفكير تجيب بوجوم : -أنهيت الثانويةلكن ...

أمسكت خنساء بكفها، تحثها : -لكن ماذا أُمي؟

ردت بنفس الوجوم:

-أبي لم يسمح لي بمتابعة دراستي وزوجني لأول رجل تقدم

لي كي يرتاح من عبئي حتى أنه رضي به سكيراً، فنحن كنا فقراء

وبالكاد كان يؤمن لنا اللقمة .

رقت نظرة خنساء مشفقة على حال والدتها، فلم يسبق أن سألتها عن ماضيها أو أي أمر عن حياتها، تملكها الحماس تستدرجها لحوار يجمعهما :

-وماذا كانت اهتماماتك أُمي؟ علمي أو أدبي؟

ابتسمت بشوق تحن إلى الذكرى :

-لا أعلم، لكن أساتذة اللغة كانوا يشيدون بتعبيري في كتابة المواضيع الإنشائية وكانوا يستمتعون بقراءتها وكنت الوحيدة التي تأخذ علامة كاملة عنها.

قالت خنساء بإعجاب:

-حقا أمي؟ يا سلام، أنت أدبية، فلماذا لا تساعديني في اللغة؟

أنا فاشلة فيها، فأنا عكسك أحب الأرقام.

قلبت شفتها السفلى، حسرة تجيها :

-لقد نسيت كل شيء ..يا ابنتي، كان ذلك زمنا غابرا .

أومأت نفيا، تقول بنفس حماسها الذي أشعلته تلك النظرة

العابرة في عينيها، نظرة كلها حياة.

-لا يا أمي، الإنسان لا ينسى ما تعلمه في الصغر ألا يقولون

التعليم في الصغر كالنقش على الحجر؟ لنجرب أمي، لن

نخسر شيئا !

قامت بسرعة ووالدها تنظر إليها بدهشة تلوح على ملامحها
أمارات شرارة الحماس، تشتعل جذوتها بكيانها.
ناولتها الكتاب، تخبرها باسمه :

- هذا مقال عن البيئة، المطلوب منا التعمق في محاوره، لدي
كل المعلومات، جمعتها من الإنترنت لكنني فاشلة في التعبير .
أمسكت الكتاب برهبة ويد مرتعشة، تقول بعدم ثقة:
- لا أعدك بشيء لكن سأحاول قراءته وفهمه .
- خذي كل وقتك .

قالتها خنساء بسرور، فلم تشعر بالوقت وهي تراقبها تتعمق
وتغرق بالقراءة وقد نسيت أمر التلفاز، فأدركت أنها خطت مع

والدتها أول خطوة على الطريق الصحيح ويجب عليها المتابعة
لتنقذ والدتها من يأس نخر في أعصابها وأضاع سنين من حياتها
فقدت فيهم الرغبة في العيش، ففرت إلى عالم الخيال كي
تتحمل ولا تنهي حياتها بيدها .

العيادة

فتح باب غرفة الطبيب، قام تامر حين لمحها خارجة، يتسم
لابتسامتها المستحبة، فأشار لها للجلوس :

-تفضلي! كيف تشعرين؟

أومأت تجيبه :

-الحمد لله، أفضل! تلك الدكتورة إنسانة جيدة وماهرة أيضا .

عاد إلى مكانه مسرورا يدعو الله الرأفة به، فلا يعلم كيف

سيحافظ على الفتاة كما يجهل القادم وغير بعيد عنهما

انتفضت مكانها حين هتف بغیظ :

-إنه دورك ضعي عنك تلك المصاصة!

رمقته بعبوس حائق، تشد على مصاصتها بينما ترد عليه .

-أنت أحضرتها، طلبت منك سكاكر وآتيتني بمصاصات .

زفر يجيبها بسخط :

-لم أجد في نكهة الفراولة سوى المصاصات ولو كنت أعلم

لما أحضرتها.

سألت بحيرة: -تعلم بماذا؟

راقبها بغل يفكر بماذا يخبرها؟ أنها عادت لتخطف أنفاسه بينما ترسله سنوات في الزمن إلى تلك الفتاة الشقية، التي تسلفت الشجرة كي تعيد الكرة للصغار والتي سقطت بين يديه للمرة الثانية.

هتف بغل: -قومي! لن تنتظر ك الطبيبة اليوم بأكمله .

قامت بحدة كهتافه لكنها فعلت ما جعله يضحك على حين غفلة حتى اجتمعت حوله الأنظار المرتابة بامتعاض، أخرجت له لسانها بشكل سريع طفولي وهربت دون أن يلمحها أحد.

همس تامر بمرح بعد أن جلس مكانه قربه :

- كيف تطلق زوجتك وهي تسعدك هكذا؟

تمالك ضحكته يهز رأسه بيأس منها ومن نفسه أيضا.

المستشفى

أقفلت الباب على شقيقتها بعد أن ضمتها بقوة ثم تركتها مع

والديها ليتحدثوا، ثم وجهت شكرها لمحمد بامتنان حقيقي :

- أشكرك سيدي لن ننسى لك معروفك .

هز رأسه باحترام يجيبها : - إنه واجبي سيدتي .

تدخل نضال الذي لحق به الى المشفى :

-يمكنك الانصراف لترتاح محمد وعالج رأسك قبل ذلك،
شكرا لك، ستجد مكافأة حولت إلى حسابك .

-لا!

رفض باندفاع غريب، فقطبا بخفة مستغربين ليقول بحرج :
-من فضلك نضال، ما قمت به واجبي، لا أريد مقابلا له، من
فضلك.

هز كتفيه، يقول باستسلام :

-كما تريد يا صديقي، وشكراً لك من جديد .

استأذن مغادرا بعد أن رمى بنظرة أخيرة باب الغرفة حيث تقبع
خاطفة قلبه.

-شكرالك وللعائلة لم يتركونا للحظة واحدة، أنا بالفعل ممتنة لكم .

ابتسم نضال يقول بشوق للماضي الجميل، يلاحظ نضوجها رغم عدم تغير ملامح وجهها :

-يسعدني جدا رؤيتك لبنى، أتمنى أن لا تبتردي مجددا ولا داعي للشكر فنحن عائلة مهما حدث بين أفرادها .

همت بالرد لكنها صمتت تلتفت كما فعل نضال على إثر جلبة، ليلمح الوزير حوله حراسه وحين بلغ قريهما سألها بقلق :

-كيف حال والدتك لبنى؟

امتلكها الحياء والسرور لاهتمامه :

-الحمد لله سيدي، لماذا أتعبت نفسك؟

تلونت نبرته بالعتاب بينما يجيبها :

-الحمد لله على سلامة والدتك .

ثم نظر إلى نضال يدعي عدم المعرفة، فقدمتهما إلى بعضهما

أما في الغرفة، فما تزال السيدة حليلة تضم ابنتها بقوة، تشم

رائحة شعرها وتقبله بينما تبكي بحرقة، تهمس بألم :

-سامحيني حبيبة قلبي، فلذة كبدي، آه يا قلب أمك .

شدت على حضنها هي الأخرى تجيبها بحب وكلمات محمد

ترن في أذنها:

-ماما حبيبتى، أنا أحبك جداً ولن أتركك أبداً، أنت أسأت فهمي ماما .

أبعدتها تتأمل ملامح وجهها تلمسه بأصابعها بينما هي تستطرد
موضحة أمام نظرات والدها المراقب للمشهد بأحاسيس
مهتاجة لا تبدو على وجهه :

-لم أكن أنوي تركك ماما، أنا فقط أردت التقرب من بابا وأخي
لأتعرف على باقي العائلة وأنت معي، بجانبى لا أستطيع
الابتعاد عنك أبداً، فأنت ماما ولا أتخيل حياتى من دونك و
لبنى .

تدحرجت الدموع على وجهى وجنتى السيدة حليلة، تفكر بألم كيف
استطاعت أن تغفل عن طيبة ابنتها وحنانها، أعمى الكره

والحقد بصرها وبصيرتها، فحرمت نفسها من التمتع بقلوب
نقية، صافية، كانت ستغرقها بحنان ينسيها كل آلامها.

تدخل سبب سعادتها يوما قبل أن ينقلب الي تعاسة مدمرة :
-سمرا؟ دعي ماما ترتاح، فهي مريضة .

أمسكت جانبي رأسها وقبلت وجنتيها بقوة، فلم تلاحظ توترها
الذي لا يثيره سواه هو الذي باغته سمرا حين ارتمت في حضنه
تتمرغ بين ثنايا صدره، تهمس له بشوق وسعادة :

-أنا أحبك بابا جدا .

استسلم لفيض مشاعرها ومشاعره وطوقها أقرب الي صدره،
يجيبها بصدق :

-أنا أيضاً يا ابنتي أحبك .

تفاجأت حليلة تنظر إلى عينيه، فوجدته في انتظارها يعلم بأنها ستفاجأ، فلم يسبق له أن عبر عن حبه صراحةً حتى لها أو للبنى وابتسم كما كان يفعل يوماً بعيداً لكن قريباً جداً لهما، يردف دون أن يحيد بمقلتيه عنها :

-أحبك يا ساحرتي الصغيرة .

ضحكت سمرا مسرورة باللقب، لا تعلم بأنه كان لقب والدتها في يوم من الأيام، لكن تلك الساحرة الغابرة رمته بنظرة مليئة بالحزن والعتاب واللوم أتبعته برفع وجهها بكبرياء أعلمه بأنها لن ترضخ بسهولة، فالجرح كان غائراً ومؤلماً.

أبعد ابنته بروية يقول بلطف :

-هيا لأقلك إلى البيت أنت ولبنى، تغيران ثيابكما وبعدها
أدعوكما إلى مطعم، سندع والدتك لتنام، فالطبية أوصتها
بالنوم والراحة.

أنهى حديثه ينظر إليها ثم ودعاها وخرجا حيث لمحا الوزير
يحدث ابنته المحمرة خجلا، فتحرك تجاههما :

-سيدي هذا ..

صمت قليلا كأنها نسيت كلمة والدي وبلعت ريقها، تكمل :

-والدي... فؤاد القناص .

أنا تصورت المشهد كالتالي:

بسط العميد كفه ليصافحه يدعي اللهفة وهو يقول بمكر:

تشرفت بمعرفة من أنجب أذكي وأفضل فتيات البلد.

رد فؤاد مستهجننا:

الشرف من نصيبي معالي الوزير.

لاحظت لبني شرارة عدائية تحوم في الاجواء والوزير قد راقته

اللعبة يضيف:

لقد أظلم المكتب اليوم بغيابها ولم أعلم كيف أتصرف.

ثم تجاهل فؤاد وحمل نفسه علي النظر إلي لبني نظرة تدل علي

إعجابه بها يستطرد بطريقة أدهشت لبني ذاتها:

لبني لا تتأخري علي المكتب فهو في فوضي بدونك .

تبلدت ملامح فؤاد بجمود وسمرا تتابع الموقف بجهل :

الحمد لله علي سلامة الوالدة، عن إذنكم .

رحل بصخب حراسة كما جاء، فتحدث فؤاد يستفسر ببرود

يغلف به نارا بصدرة:

-أشعر أن اهتمام الوزير مبالغ فيه، تري ما سببه؟

أجفلت للحظة لكنها لم تجبه وبداخلها تقول: هل عدت أخيرا

لتمارس علينا الأبوة؟

تدخلت سمرا موجهة الحديث لشقيقتها:

هيا لبني سنذهب للبيت كي نغير ثيابنا بعدها، بابا سيدعونا

لناكل...

قاطعتها بعبوس قبل أن تنسحب :

- لا.... أنا سأبقى مع والدتي!

راقب انسحابها بجمود عاد ليملكه كليا قبل أن يشعر بلمسة

حنونة على جانب وجهه تحدثه صاحبته بحنان :

-هي تحتاج إليك بابا، أكثر مما تتصور .

ابتسم بحنو يربت على رأسها، فضحكت بفرح وصهيب

يهزول نحوها فانقضت عليه وحملها قليلا عن الأرض يدور

بها بسرور .

-الحمد لله على عودتك.

بهت فؤاد من المشهد، فلم يكن يعلم بأن العلاقة بينهما بتلك
الألفة والحب كما لم يعلم بأنه يتسم ببلاهة إلا حينما تفاجأ
بهمس نضال الساكن منذ مدة مكانه يراقب بتفكير عميق :

- ما أحلاه من منظر أليس كذلك؟

التفت إليه فؤاد، فتابع بقصد ذو معنى :

- الحياة لا تمنح فرصا كثيرة يا عمي وهذا ليس قولي بل قول
الحكيم توأمي لأنني في الحقيقة مثلك، معدوم الحكمة !

رفع حاجبه امتعاضا، فانسحب نضال باسم بسخرية بينما
صهيب يسأل سمرا بحماس :

- هيا اخبريني بالتفاصيل، المملة !

-لن تصدق.

ضحك صهيب فقال والدهما:

-في الطريق....هيا!

تقدموا وصهيب يضم كتفي سمرا يخبرها بمرح أضحكهما معا
ووالدها يتسم بهدوء بينما لبنى تراقب من بعيد بعينين دامعتين
كطفلة تاهت عن والديها وتخشى المجهول :

-تصوري حين نخبر مروة وخنساء، تلك العصبية ستنتعك
بالبلهَاء وخنساء ستكتفي بالضحك علينا، طبعاً، فأنا لن
أسكت!

ليلا

- ما رأيك بني؟

نظر إليها بعتاب، يهمس لها وهما في غرفة الضيوف الأنيقة
ينتظرون أهل الفتاة، بقلب ينقبض أكثر مما هو كئيب من
الأساس : -أمي، قد يدخل أي أحد في أي وقت.

ابتسمت، تكمل همسها .

- أخبرني فقط، أليسوا أناسا بالمستوى الرفيع؟

رد بخفوت :

- تعلمين أنني لا أهتم بالمادة، المهم الأخلاق والدين .

هزت رأسها تهمس بفرح وهي ترتب طرحتها البيضاء :

-لكنك ضابط تبارك الله ولك شأنك، يجب أن تناسب عائلة
بمستوى رفيع .

ضم شفثيه وخياله يتأرجح مع الريح بصحبة خصلات سوداء،
ثم تقتحمه نظرة وجوم خاوية تشعره بالذنب لكن لماذا يشعر
بالذنب؟ لم تجمعهما علاقة ولم يعدها بشيء بل كان واضحاً
مع نفسه ومعها، هما مختلفين كل الاختلاف ويستحيل عليه
تقبل إنسانة لا تؤمن حتى بوجود الله.

دخل عليهم رجل ستيني صافح أسد وحيا والدته ثم جلس،
تبادلوا بعض الأحاديث المجاملة ثم دخلت عليهم سيدة
خمسينية، بضيافة وضعتها على المائدة وسلمت على صفيية ثم
حيت أسد وانضمت إليهم بالحديث في أمور شتى حتى دخلت

عليهم فتاة متحجبة، تحمل صينية الشاي بحياء وضعتها على
المائدة وجلست بجانب أمها بعد أن ضمتها صفة تهتف
بإعجاب : -تبارك الرحمن، ست البنات يا حسنها !

لم يلق إليها ولا نظرة فضول واحدة، ينشغل بالحديث مع
والدها الذي قال :

-مرحبا بكما ويشرفنا حضوركما، نحن نعرف السيدة صفة
من قريب حين انتقلتما الى حينا والحق يقال لم نرى منها سوى
ما يشرف حتى أنت بني سمعتك طيبة.

ردت صفة بفخر لمعت به مقلتها .

-الضابط أسد وحيدى وأدعو الله رؤية ذريته قبل الممات .

-أطال الله في عمرك أُمي.

عقب معاتبا، فأردفت مبتسمة:

لم اسمع عنكم وعن كريمتكم سوى الأخبار الطيبة، لذا قدمنا
إليكم ليتعرف عليها ابني ان شاء الله وادعوا الله أن يتم القبول
بينهما.

رد عليها الوالد بمودة : -مرحبا بكما، نعطيها فرصة للتفاهم
وليقدم الله ما فيه من خير.

أرشدتهما والدها إلى الشرفة المفتوحة كي يتعرفا إلى بعضهما
حيث نظر إليها أخيراً، ليجد المظهر موافق لمطالبه، فتاة

متحجبة، مستحية، دون زينة تذكر على وجهها لكن قلبه ما
يزال فارغا كأن التي أمامه لا تمت له بصلة ولا تعنيه بشيء .

ضغط على نفسه وقال بعد أن تنحى : -السلام عليكم .

رفعت أنظارها إليه ترد التحية ثم قال :

-سأخبرك عن نفسي، بعدها أمنحك فرصة لتفعل المثل .

هزت رأسها فاسترسل بنبرة عادية :

-أنا اسمي أسد ضابط شرطة قسم مكافحة المخدرات،

مدخولي تحسن الحمد لله وما زال سيتحسن مع الترقيات،

أملك شقة في إحدى البنايات التي بأول الحي وما أتمناه فتاة

تعينني على ديني وتحترمني وأمي وتهتم بالبيت بغيابي .

استفسرت منه بحيرة : - لا يسمح لي بالعمل؟

فكر قليلا ثم قال :

-مع أنني لا أحبذ عمل زوجتي، فأنا أظل في العمل أوقاتا طويلة، فمن سيتولى مسؤولية المنزل؟ لكن سنرى على حسب نوع العمل .

يبدو أنها لم تستسغ الجواب لأنها أو مأت بشفتين مضمومتين
ثم قالت :

-اسمي منال، واحد وعشرون سنة طالبة بالسنة الثالثة كلية العلوم، أتمنى في شريك المستقبل أن يكون ذو عقلية متفتحة
تواكب تطور العصر .

قال بفضول : - كيف؟

ردت مفسرة :

- أن لا يكون غيورا بتزمت يعني ارتدي هذا ولا ترتدي ذاك،
كلمي هذه ولا تكلمي تلك وأن لا يعقد الأمور بكثرة، هذا حرام
و ذاك حلال.

قطب يتساءل باهتمام وقد شغلت باله عن ضجره، بينما يتفقد
ملبسها باستغراب : - لكنك متحجبة حسب الشروط .

تكلمت تعبر عن نفسها بوضوح، فهي تخشى أن تقع بمثل
والدها فيكبل حررتها كما يفعل الأخير لذا يجب عليها أن تكون
معه واضحة منذ البداية كما نصحنها صديقاتها :

-والدي يجبرني على ارتدائه لذا حين أتزوج لن يتحكم بي لأنه
سيكون لدي زوج مسؤول، طبعاً لن أزيل الحجاب بأكمله لكن
سأغير طريقته لأنه لا يناسب العصر والموضة، صديقاتي دوما
يستهنن بي .

ضاقت مقلته بتركيز يحثها بهدوء: -وماذا أيضاً؟

نظرت إليه بنفس الطريقة، يبدو أنها تدرس آثار ما تبحث عنه
على ملامحه، فيتعمد الهدوء لا يمنحها شيئاً :

-من المهم أن تكون الشقة لنا لوحدنا .

لم يرغب بكبح مشاعره ورسم الدهشة على وجهه، يعبر عنها
بهدوء:

-لكن أنا لا أستطيع ترك والدتي تسكن لوحدها، إنها والدتي .

قلبت الأفكار في عقلها ثم قالت باستسلام حانق كأنه وافق على

هراءها السابق :

-لا بأس لكن من فضلك، أطلب منها عدم إخبار أحد من

عائلي حين نجتمع، أنها كانت خادمة .

وقف بحدة كأنه لدغ يقول بحزم :

-أنا آسف يا آنسة، رزقك الله بمن هو أفضل مني، السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته .

توجه إلى الصالون بخطوات غاضبة وهتف بجفاء حاول لجمه

ما استطاع : -أمي لنغادر!

انتفضوا جميعا واقفين ووالدته تسأله بقلق : - ما بك يا بني؟

كان ينوي التحجج باستدعاء من العمل، لكن تصرف الفتاة

التي لحقت به تدعي البكاء منعه عن ذلك ووالدها يسأل بجبين

مقطب: - ماذا حدث؟ منال لماذا تبكين؟

رفع أسد كفه يقول بحزم وقد تكونت لديه فكرة واضحة عن

الفتاة :

- من يخجل من أحد والداي اللذان أنجباني وقدا الغالي

والنفيس من صحتهما وعمرهما من أجل أن أصبح ذا شأن، لا

يستحق مني نظرة ثانية يا سيدي .

-ماذا حدث يا أسد؟

نطقها صفة بصدمة، فرد عليها مفصحا حتى يغادرا بسرعة
فأنفاسه ضاقت ويخشى التفوه بما يندم عليه لاحقا :

-الآنسة قالت تريد العمل قلت لا بأس إن كان لا يؤثر على
رعايتها للبيت ثم قالت تريد شقة لوحدها، فأقنعتها بأنك
وحيديتي كما أنا وحيديك ولن أفارقك مهما حدث لكن ما لن
أسمح به هو أن يقلل أحدا من شأنك، أنا فخور بك كل يوم
ودائما لكن الآنسة هنا لديها رأي آخر تطلب منك عدم البوح
بعملك السابق كخادمة في البيوت أمام أفراد عائلتها الكريمة .

تجمدت ملامحها، فسحب يدها وغادرا تاركين تماثيل قابعين
أماكنهم على وضعية الدهشة.

أوقفته في الشارع، تقول بحزن : -أنا آس

لمس فمها براحة كفه، يخبرها برقة ورجاء :

-على ماذا تعتذرين؟ عن عملك بكد كي تربيني على الكرامة
وكي لا نبسط أيدينا للتسول، تعتذرين عن ماذا بالضبط؟ عن
اتخاذك مكان الأب دون أن تقصري في مقامك كأم فأغرقتني في
بحر حنانك وتدليلك ثم أنفقت علي بسخاء الأب، لأكون ما
أنا عليه اليوم، هل تعتذرين لكوني ما أنا عليه اليوم يا أمي؟

ضمته بقوة، تهمس بفخر وهي تبكي :

-لا يا حبيبي، بل أنا فخورة جدا بك وقلبي يدعو لك ليل نهار
بالحفظ والتمكين .

ثم أبعدت نفسها تخاطبه بمرح وهي تمسح وجهها :

- لا تقلق، سأبحث لك عن أخرى وأخرى حتى نجد المناسبة،
فليس كل الفتيات سواء.

هز رأسه بينما تتأبط ذراعه، يهمس بخفوت لم تسمعه وهما
يمشيان نحو البناية حيث شقتهما : - لا أعلم يا أمي، لا أعلم !

بيت أمين

أنهيا العشاء وأمين يحكي لها عن مغامرتهم في الثانوية، يعجبه
طريقة إصغائها له باهتمام حقيقي، كطفلة منبهرة بل تهتم بكل
شيء يخصه بصدق.

أخذت كتبها من على طاولة غرفة الجلوس، فسقطت منه ورقة
تناولتها من على الأرض و طالعتها، فهتفت بإعجاب :
-واااو! والدتي فعلا موهوبة .

ناولته الورقة تكمل وأمين يقرأ الموضوع بإعجاب هو الآخر :
-هي فعلا أدبية وتملك الموهبة.

تحدث أمين كمن وجد ضالته :

-أظن بأنني وجدت طريقة ستجعل الخالة تنسى التلفاز ومن
اخترع التلفاز

رمقته بتساؤل، فرد عليها بمرح :

-سأخبرك لكن بعد كأس الشاي من يدك .

تبسمت بخفر، فأدارت له ظهرها، ليعود لتأمل نصف شعرها
 العجري المبعثر على ظهرها تحت الوشاح المغيظ ولمرة
 أخرى ثبت له قول وائل أنها أبدا ليست بشقيقته، فيسر خوفا
 عميقا، إن كان ألفها في ثلاثة أيام وسيألفها أكثر مع مرور
 الأيام.... ماذا حين يحين وقت الفراق؟

بيت سمير

قامت من على طاولة العشاء بنشاط وبدأت بجمع الأواني
 تحملهم إلى المغسلة، فتناظر سمير وشاهي فيما بينهما بريبة
 ترجمتها الصغيرة قائلة بفرح :

-أمل حبيتي سعيدة، هذا يعني ...

لاعبت بأطراف أصابعها، تكمل جملتها ملحنةً ووالديها
يضحكان بمرح :

-أنني سأنام في أحضانها وتحكي لي قصة أحد
الأنبياء،...هيايه...هيايه!

ضحكت أمل فهي تشعر بالسعادة من صميم قلبها حقا، تلك
التجربة في الثانوية وبجانبه مع حوارهِ الشيق جعل عالمها يتغير
ولو قليلا، إنه مختلف كما رأته في صغرها، وعت من أفكارها
على حديث والدها ذو معنى :

-لمن ندين بالشرف يا ترى؟

قطبت بعبوس فلكزته شاهي بجانب بطنه تهتف بسخط
مزعوم:

- لا تزعج صغيرتي حتى إن قررت التحدث ستختارني أنا
وليس أنت أيها الأشيب.

ضم تقاسيم وجهه يهتف و قد راقته له اللعبة :

- بل أنا بابا خاصتها، فاخرجي منها يا شرسة !

تسمرت أمل والصغيرة يراقبانها بذهول وشاهي تتخصر في
مشهد مضحك بتلك البطن المتنفخة كالبالون :

- انا أيضا ماما خاصتها، فماذا ستفعل حيال ذلك؟ ثم أنا فتاة
مثلها وسأفهمها.

تخسر هو الآخر بنفس طريقته، فانفجرت الفتاتين ضحكا
وحتى شاهي :

- فتاة؟ هل نظرت الى مرآة مؤخرا؟

- آآه !

أنت شاهي فتابع سمير يدعي الاستخفاف :

-إلعبى غيرها لن تفوزى هكذا .

- آآه آآه !

صرخت بألم فانتفضوا كلُّ في مكانه وسمير يهتف بجزع :

-أسف حبىبى، أنا كنت أمزح، أنت ما زلت وستظلىن أحلى

فتاة صغيرة .

أمسكت بذراعه مطبقة الفكين تقول بوجع :

-آه يا سمير خذني إلى المستشفى، فأنا لو شككت للحظة

أنك تتحدث بجدية، لقتلتك !

-شرسة !

هتف بنزق، فصرخت من جديد فأسندها متوجها بها إلى

السيارة بعد أن ألقى عليها أمل العباءة والوشاح والتقطت

حقيبة الولادة وقبضت على كف الصغيرة، لينطلق بهن

وصيحات شاهي الأليمة تشق آذانهم و صدورهم، فارتمت

دعاء في حزن أمل، التي تلقفتها تحضنها بقوة تتبادلان مدد

الأمان والصبر فيما بينهما .

*منزل القناصر *

-تصبح على خير حبيبي .

قالتها بيلسان بحنان فضمها يهمس لها بحب قبل أن يفارقها :

-أحبك يا قطعة من قلبي .

أغلق باب غرفته وسارت نحو جناحها حيث وجدت جنات

التي نظرت إليها فابتسمت بشقاوة، تسألها بمزاح وهي مستلقية

على السرير تتصفح هاتفها :

-ما كل هذا احمرار؟ هل كنت برفقة نزار؟

نشبت مخدة صغيرة وألقته باتجاهها ضاحكتين قبل أن

تمالك نفسها تستسفر منها بحيرة :

-هل رأيت أور؟ لم تكن على العشاء.

أومات جنات نفا، فقلبت بيلسان شفيتها تفكيراً في نفس
اللحظة التي دق فيها الباب ففتحت الأخيرة، يقابلها جسد
شقيقتها المرتجف.

اقتربت منها بجزع، تهتف :

-أور؟ ما بك؟ لماذا ترجفين؟ هل أنت مريضة؟

هزت رأسها بلا معنى، تقول بتوتر والكآبة ظاهرة على محياها :

-هل يمكنني النوم بجانبك الليلة؟

اتسعت مقلتا بيلسان وجنات خلفها باندهاش، فقالت بحزن :

-لا بأس، أعلم بأنه طلب مزعج ومجنون .

همت بالمغادرة فأمسكت بيلسان بكتفيها، تجيها بحنو :

-ليس طلبا غريبا ولا مجنونا، تعالي حببتي، فأنا وجنات ننام

على سرير واحد منذ أن تشار كنا السكن ولطالما سندنا بعضنا .

رمقت جنات بارتباك، فقالت الأخيرة مبتسمة بتفهم :

-لقد تمتعت بحنانها لسنين طوال، ومن حقلك أن تنالي نصيبك

منها، على العموم أنا مجبرة على التعود، فهي ستتزوج قريبا

ونزار لن يدع أحدا يقترب منها، أنا متأكدة... السلام عليكم

تصبحان على خير .

دخلت الى الغرفة الثانية، فضمت بيلسان شقيقتها ورافقتها إلى
غرفتها حيث استلقت بجانبها، لتفاجأ بأن أور تبكي بحرقة
وهي تحضنها.

طوقتها تسألها بخوف تمكن منها : - حبيتي ما بك؟ أخبريني .
همست ب بكاء حارق:

- أرجوك لا تسألني، فقط ضميني بقوة ودعيني أبكي .

أطاعتها بقلب غير مطمئن، تفكر فيما يحزنها هكذا وعلى أي
حال ضمتها بقوة تربت على رأسها بينما هي تبكي بحرقة كمن
يعاني الفقد .

الفصل الثلاثون

{ ما رأيت شيئاً من العبادة أشد من الصلاة في جوف

الليل.....الحسن البصري }

قبيل الفجر

جناح بيلسان

هل نامت بالفعل؟ بل غفت بعد مدة طويلة من البكاء، لماذا

ضعفت هكذا؟ هل لأنها لم تحب من قبل؟ لقد كانت مشغولة

بداية بالتعامل مع عقدها وحياتها البائسة بين بشر باردين ثم

علمها بحقيقة والدها السفاح لتبحث عن انتقام لم يكن

ليمنحها ما فقدته والآن بعد موت المجرم الأول اقتربت من

الإطاحة بالثاني لتحقيق انتقامها، فجأة أضحي كل ذلك لا يملأ
الهوة الفارغة في صدرها، فجأة أصبحت لا يهمها الانتقام بذلك
الهوس الذي جاءت به وكل ما يحرق قلبها "أسد"، وفقدانه
يشعل نارا في صميم قلبها، لطالما تحكمت برغباتها ووضعت
لنفسها قوانين قيدها بها لكن اللحظة هي لا تريد شيئاً غيره أو
على الأقل أن لا يكون لغيرها، الألم في صدرها يفتتها. تنفست
بعمق لتهدئ من نار عذابها يتناهى إلى سمعها نبرة شقيقتها،
فأرهفت السمع معتقدة بأنها تغني .

حركت رأسها تبحث عنها، فلمحتها على سجادة صغيرة،
ترتدي رداءاً أبيض واسع، يخفي سائر بدنها سوى الوجه
والكفين اللذين تحمل بهما كتاباً ما تقرأ منه بلحن رقيق ناسب

نبرة صوتها، تبدو لها مأخوذة بما تقرأه ومركزة، فأدارت جسدها على شقها لتتمكن من تأملها جيدا تحاول التقاط كلمة لتفهم ما تقرأه، لكنها حين لاحظت بكاءها قطبت تتساءل إن كان ما تقرأه يبكيها؟ تمنعت بملامح وجهها، لتكتشف أن بكاءها ليس ألما، إنما إحساسا بمعنى الكلمات، ما ذاك الكتاب يا ترى؟ لم تكن تعلم بأنها ركزت معها حتى أنهت بيلسان وردها والتفت إليها تبسم ونهضت لتقترب منها تمسدا على شعرها بحنو : -حبيبي؟ كيف تشعرين الآن؟

رمشت بجفניה دلالة على إجفالتها، فسألت بخفوت :

-ماذا كنت تغنين؟

قطبت بيلسان بحيرة، ففسرت:

-الكتاب؟

ردت بيلسان بيسمة هادئة :

-لم أكن أغني يا أختي بل كنت أرتل القرآن، ذاك الكتاب المقدس الذي أنزله ربنا تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغ به أهل الأرض، فيه كل تفاصيل الحياة كي نعيش في الجنة على الأرض وبعد الموت .

سألها بفضول : -لماذا كنت تبكين؟

ردت تفسر وكفها لا تفارق شعرها تربت عليه :

-يحدث ذلك حين أستشعر معاني كلمات ربي، فيرق قلبي لحب الله ورحمته أو يخشى وعيده وعظمة قدرته، يسمى

خشوعا، وذاك النوع من البكاء يثلج الصدر ويغسل الهم عن القلب ويريحه .

عقت بقلق: -أنا آسفة لأنني أزعجتك .

ردت برأفة بينما تجلس قربها : -لكنني لست منزعجة .

قالت بحيرة: -لم تنامي وقمت تقرئين الكتاب لترتاحي .

عادت للابتسام تجيبها دون أن تتوقف عن تمسيد خصلاتها

برقة: -اسمه القرآن حبيبي وأنا معتادة على الاستيقاظ قبل

الفجر لأصلي ما رزقني الله من فضله وأتلو من كتابه، إنها خلوة

بربي لأذكره وأتعبده .

راقبتها مقطبة ثم سألتها بمزيد من الفضول :

-تصلين في وقت النوم؟ ومتى تنامين؟ ثم كيف تذكرينه؟

-كل سؤال على حدة أور.

-ضحكت بيلسان تقول ثم أردفت :

-هناك صلاة مفروضة واجبة على المسلم، وهي في خمس

أوقات محددة، إن لم يقمها العبد عوقب عليها، الصبح، الظهر،

العصر، المغرب والعشاء ثم هناك السنن عن نبينا محمد عليه

الصلاة والسلام، يحبها ويقيمها، فأوصانا بها وهي كثيرة

ومتنوعة إن قمت بها يكون لك الأجر والفضل الكبير وإن

تركتها لا تعاقبين عليها لكن تخسرين بركة فضلها ومنها قيام

الليل أي العبادة من صلاة أو قراءة القرآن أو ذكره سبحانه

والذكر هو تسبيحه بأن تقولي وتعيدي، سبحان الله، الحمد لله،

الله أكبر، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم،
والاستغفار بأن تستغفري الله لذنوبك، تقولين أستغفر الله
العظيم وأتوب إليه وأن توحيديه وهذه أعظمهم بأن تقولي لا إله
إلا الله، وهناك الكثير من صيغ الذكر، أو يمكنك فقط الدعاء،
الكثير من الدعاء من أرقى العبادات أن تدعي لنفسك وتدعي
للناس من حولك وللمسلمين جميعهم، تدعين لهم بالخير
والصلاح والهداية وكلما دعوت لهم بالخير من قلبك رزقك
الله بنفس الخير يا حبيبتى وافضل منه لأن الله كريم .

تتبع كلماتها تسمع بتمعن، فقالت فجأة :

-هل يستجيب لك ربك؟ لكل أدعيتك؟

أومات تجيب بنفس بسمتها مع لمعة ندت بها مقلتها :

- طبعاً، الحمد لله وإن لم يعطيني ما دعوته به، فهو قد استجاب لي.

هتفت حائرة: - كيف أعطاك إن لم تحصلني علي ما طلبته؟

مالت على كوعها تلمس جانب وجهها بحنان، أمورا قد تبدو تافهة لكنها مهمة جدا لدى أور التي لم تحصل يوماً على ربة حنان على رأسها أو اهتمام بهمومها :

- حين أدعوه ربي ويعطيني ما طلبته يكون خيراً لكن حين أدعوه ولا يعطيني فهو خير أكبر لأنه اختار لي هو عز وجل، فهو أعلم بصالحي وليس كل ما يدعو به الإنسان في مصلحته قد يمنحه فيشقى به بدل أن يفرح به لذا معنى أنه منع عنه ما دعا به، أنه

رزقه نعمة أخرى أفضل ومناسبة إما هنا في الدنيا أو بعد
الممات .

تجلت الحيرة على ملامح أور، فاستطردت بيلسان مفسرة :

- سأعطيك مثالا بسيطا، أدعو الله عملا ما وأرى بأن هذا العمل
هو الأفضل لي وما ينقصني، وعندما يرزقنيه أكتشف بعدها أنه
لا يناسبني ويتعبنى فأشقى به بل وأصل إلى مستوى كرهه مع
أن الحقيقة لو رب العالمين منعه عني سأحزن وأقول ربي لم
يستجب لي لذا يحب أن نثق به ونحسن الظن به إن أتانا دعاءنا
نحمده ونشكره ونسأله حسن التصرف والبركة وإذا حدث
خلاف ذلك نحمده ونشكره لأنه منع عنا شرا بفضلته سبحانه .

رفعت أور كفها تلمس وجنتها تبدو لها وسط ذلك البياض
كفلقة قمر مضيئة: - أنت تحبين ربك، موقنة بوجوده .

ردت عليها وقد دمعت عينيها خشوعا وحباً لخالق رحيم
بمخلوقاته :

- بلى، وأحبه كثيرا، رضاه كل أملي ودعائي، كان أنيسي في أيام
الشقاء مع ذاك الرجل وكلما أحسست بالحسرة والحرمان،
أرسل لي من يرسم الابتسامة على فمي، دائما يعلمني بوجوده
وكلما رفعت كفي وناديت من قلبي يا رب ألقى صدئ لها
واستجابة كما بعث لي من يعرفني إليه ويعلمني كيف اتقرب
منه ومنذ أن تعرفت إليه وحافظت على ذكره وطاعته لم يعلم

اليأس إلى قلبي طريقا مهما واجهت من تقلبات الحياة لذا بلى
أنا أحبه، أحب ربي الله .

*بيت صوان *

لم تكن أوركيدا الوحيدة من أخذ بحلاوة القرآن في جوف الليل
الهادئ، دليلة أو (سكينه) أيقظها ألم فظيع في رأسها، فتفقدت
المكان حولها كما تفعل كل مرة تستيقظ فيها، فلم تتعود على
المكان بعد، ضغطت بكفيها على جانبي جبهتها ثم تحركت
لتقف على قدميها تشعر بتنمل في أطرافها التي تهتز كل حين
كأنهم ليسوا لها وتقدمت بخطوات متمهلة، تستند بالجدران
حتى توقفت مع أول خطواتها خارج الغرفة ورفعت وجهها

تستمع بالريح البارد يضرب صفحة وجهها مع صوت خرير
 مياه النافورة وتلك الأنوار الخافتة المنتشرة على الأرض،
 مشهدا أبهج نفسها المعلولة، هنالك لفت انتباهها صوت عذب
 بين الخفوت والجهر فخطت بتمهل تبحث عن مصدره ورويدا
 رويدا تتضح لها النبرة حتى وصلت عتبة الغرفة المقابلة حيث
 تسمرت قدماها، ترهف السمع لكلمات نفذت إلى قلبها رأسا
 تتذكر نزار الذي حاول كثيرا التأثير عليها منذ صغرها لكن
 والدها كان يحول بينهما وينهره بشدة وبلغ به الأمر تهديدها بأن
 يبعدها عن العائلة، لأنهم سيؤذونها، فهي مدللة التهامي
 ووريثته الوحيدة والجميع طامع بها، فأصغت إليه وابتعدت
 بالفعل لكنها سمحت لنفسها بالتسلل مرات لشرفة جناح نزار

تصغي إلى تلاوته العذبة كالتي تسمعها الآن، فتشعر بما تفتقده
من سكينة وهدوء نفسي يطير حال عودتها لحياتها الجامحة.

ارتعشت قدمها الواهنة، فجلست على حافة عتبة باب غرفته
وأسندت رأسها على الحائط، تطلق لدموعها العنان وكل كلمة
قالها نزار ترن في أذنها عن حلاوة القرب من الله، عن اطمئنان
القلوب في الصلاة والذكر، فتهدت تهمس

-آه، كم أحتاج إليك يا ربي، فهل تفتح لي بابك؟

-بكل تأكيد يا سكينة.

اهتزت بخوف، لم تلحظ متى وصل إليها، فانحنى يمسك بها،
مستدركا برفق :

- آسف لأنني أجفلتك، لمحت ظلك فأتيت إليك وسمعت

همسك، فلم أتردد في منحك الرد القاطع .

رمقته برجاء، تهمس بخجل ينتابها الإحراج:

- لكنني لم أصل يوماً وشربت الخمر والمخدرات ورقص ..

- لا يهم ما سلف يا سكينه.

قاطعها حين تذكر قصها بنفساتينها العارية، فاندلعت نار الغيرة

بعروقه:

-التوبة تجب ما قبلها، توبي لربك وما فات اجعليه وقودا

تنكسرين به بين يدي الله وأنت سائرة إليه.

دمعت عينيها، تهمس بشجن: -أريد أن أصلي يا صوان.

دهش يتأملها، لثاني مرة تلفظ اسمه فيشعر به مختلفا بنبرتها
و طريقة نطقها، هز رأسه يجيبها بينما يساعدها :

- يجب أن تغتسلي أولا، فرائحة المستشفى ما تزال عالقة
بشبابك .

ابتسمت برعشة تهمس بوهن :

-تحاول أن تكون لبقا ولا تخبرني بأن رائحتي نتنه، فثيابي لم
أغيرها منذ.

صمتت تنظر إليه بتوتر، فأكمل عنها باسمها بيأس :

- منذ ضربتني بطنجرة الضغط، اقتنيتها لتطبخي بها، لا أن
تقتليني بها.

وجمت، فتجاهل الأمر يقول وقد بلغا غرفة نومها :

- سأساعدك لتغتسلي .

شهقت بتعب، ترمقه بعينين واسعتين، فاستدرك بتسلية:

- سأملأ لك الحوض بماء ساخن وأحضر ما تحتاجينه فقط .

المستشفى

اقرب منها يخاطبها بإشفاق:

- هل تعبت؟ دعيني أحمل دعاء عنك قليلا.

أومات أمل نفيا تضم دعاء بحماية، تهمس بخوف :

- كأنهم تأخروا؟

أجابها يطمئن نفسه قبلها دون أن يستطيع الجلوس حتى من
فرط توتره :

-إنها طبيعة الولادة تأخذ وقتا طويلا وستقوم بالسلامة بإذن الله.
هزت رأسها تدعو لربها أن يحفظ عليها أكبر نعمه بحياتها،
تحب والدتها بالكفالة بشكل كبير ووالدها أيضاً بل العائلة
بأكملها حتى الجددين اللذين لم يتقبلاها لم تستطع كرههما،
فهما من أنجبا ماما خاصتها، تأملت سمير مشفقة عليه تعلم
مدى رعبه بتلك النظرة الخاوية المتوقعة لكل شيء وقطرات
من عرق لامع تسيل من مقدمة رأسه رغم برودة الجو، انتفضا
حين خرجت الممرضة، تقول بابتسامة رسمية :

-مبارك عليكم، أنجبت صبيا، سنخرجهما إلى غرفتهما الخاصة .

بعد قليل وفي الغرفة سمير يقبل رأس شاهي، يهمس لها بمشاعره الدافئة ويسألها عن حالها، فتجيبه بوهن :
-إنه أشيب مثلك .

-من؟

سأل بحيرة، فردت عليه بنزق تعب :

-ابن الجيران يا سمير! ألم تره بعد؟ خصلاته الناعمة شق كبير منها فضي مثلك .

ابتسم يتأمل تفاصيل وجهها الشاحب يخبرها بحب :

- لا لم أره بعد، لم أتذكر سواك .

عادت تبتسم بتأثر، تهمس بعينين مغمضتين :

- أيها الماكر كم أحبك .

تركها لترتاح واقترب من أمل المتسمرة مكانها تتأمل الصغير
بينما دعاء تغط في نوم عميق بين ذراعيها ثم نظر إليه فاكتنف
صدره شعورا غريبا لا يغمره إلا برفقة عائلته التي تكبر يوما عن
يوم، فيسعه ذلك يعوضه عن الوحدة وكل المرار الذي عاشه
بماضيه، وبالكاد يتذكر أنه قد مر به ألم في حياته السابقة قبل أن
تدخلها الشقراء الشرسة .

- يشبهك في كل شيء .

همست بها أمل، فرد بينما يجعد ذقنه :

-لم نرى عينيه بعد، قد يكون كدعاء، شيء مني وشيء منها .

هزت رأسها ترمقه بسرور، فقال وهو يتناول منها الصغيرة :

-احمليه، هيا! علّه يفتح مقلتيه، لنرى إن كانتا رماديتين، فأكون

أنا الرابع .

ابتسمت برهبة وأخذته برقة وحذر بالغ ثم كأنه شعر بهما فتح

كلتي مقلتيه على وسعهما لتلمع الفضة بهما، فضحكت أمل

ببهجة عارمة، تهمس بمرح :

-ستقتلك! استوليت عليه كليا .

اتسعت ابتسامته ولمعت مقلتاها فخرا ودفئا، يرد عليها :

-الأولى لها والثانية مناصفة بيننا والثالث لي إذن نحن
متعادلين .

نظرت إليه بتساؤل فأجاب بصدق أثر بقلبها يملأه بمزيد من
التقدير لهذا الرجل الذي لا مثيل له، هذا الرجل وبكل فخر
يكون والدها :

-أنت الأولى، تشبهينها كلك بعينيك، بياض بشرتك حتى
طبعك الشرس !

آخر الأسبوع

*منزل القناص *

الكل يجري على قدم و ساق لأجل إتمام آخر الترتيبات لعرس نزار وبيلسان اجتمعت الفتيات حول العروس في جناحها، جنات وأوركيدا مع خالتها والسيدة حليلة التي دعته بيلسان وأصرت عليها لحضور عرسها فجاءت ولبنى على مضض بينما سمرا كادت تطير فرحا لأنها ستزور منزل والدها أخيراً.

رفعت بيلسان الهاتف على أذنها، تحدث بنفسج : - لا مشكلة عزيزتي، أعلم جيداً قصتك مع المنزل، ولا عتاب بيننا، على

العموم لو كنت حضرت لكان الضابط واقف على رأسك كي

تغادري معه في أقل مدة !

ضحكت ثم أكملت بامتنان :

-وصلتني هديتك، شكرا لك، عليكم السلام ورحمة الله
وبركاته .

ناولت الهاتف لجنات والخالة تهتف :

-هيا يا فتيات لنخرج الى الحديقة، كل شيء جاهز والرجال قد

بدأوا احتفالهم من نصف ساعة، هيا تفضلن من فضلكن !

في الرواق بين الأجنحة، قائمة تهتف من بين أسنانها وهي تلحق

بفؤاد :

- ما الذي جاء بتلك المرأة إلى بيتي؟ ألا يكفي أنني سمحت

لك بالذهاب إليها في بيتها، بحجة الاطمئنان على بناتك؟

رد بحزم واجم :

- تعلمين يا قائمة أنني لا أنتظر منك الإذن لأفعل أي شيء، إن

كنت أطعتك بأمور، فلأنني مقتنع بها وليس خوفاً أو تسييراً

منك، فراقبي لأنه أصبح كثير الزلات .

همت بالرد، فإذا بعاصفة تعدو لتنقض على فؤاد، تهتف

بسرور : -بابا... اشتقت إليك .

تشنجت ملامح قائمة تنضح بحقد مغيظ بينما تصيح بنزق

وسط الردهة بالطابق السفلي :

- ما هذا التصرف الطفولي ؟ طبعاً! ماذا ننتظر من امرأة لم
تكمل تعليمها الجامعي أناس جهلة !
- قائمة!

صاح فؤاد بغضب، يضم صغيرته الخائفة إلى صدره،
فانصرفت تضرب الأرض بكعب حذائها الرفيع وأبعدها قليلا،
يخاطبها برقة أضحت من عادته مؤخراً إن كان مع سمرا أو
صهيب الذي يبدو عليه قد تعلم منها طريقة استدراج مشاعره:
- آسف صغيرتي الساحرة، لا تكثرني لها.

هزت كتفيها تقول باسمه بهدوء : - لا مشكلة أبي، لطالما نعتني
الناس بالساذجة، لا أعلم كيف أحسن التصرف .

أمسك وجهها بين كفيه، يجيئها بحنو :

- إن كانت طبيتك وبراءتك سذاجة، ليتهما سمة تنفسي بين
الناس .

ضحكت بمرح فقبل رأسها وحين شعرا بحضور التفتا ليجدا
لبنى ترمقهما بمقلتين لامعتين، تحملان الكثير من التعابير بين
اللوم والشوق والسخط و...الغيرة.

واعت على نفسها حين نطقت سمرا باسمها، فحركت نظارتها
الطبية تقول بجمود : -أمي أرسلتني لأبحث عنك.

-حقا!

تقدمت نحوها، فقال فؤاد :

-صغيرتي اذهبي إلى الحديقة الخلفية، هناك التجمع النسائي،
أريد لبنى لأحدثها على انفراد .

هزت رأسها وربت على كف أختها ثم اسرعت إلى وجهتها،
بينما فؤاد يشير إلى وجهة أخرى يقول :

-هلا رافقتني إلى مكان لم يزره أحد من قاطني هذا المنزل؟
ما تزال جامدة مكانها تفكر، فحثها بلطف :
-لن آخذ من وقتك الكثير .

استسلمت أخيرا و تقدمت نحوه، تُسر غيظا من شعلة حماس
أضرمت داخل أحشائها، فلم تستطع منع شعور كأنها كطفلة
صغيرة على وشك القيام بمغامرة مع والدها .

بيت أمين

- ادخلي أمي، هيا!

تبعثها بتردد، تقول :

- لكن بنيتي، زوجك في البيت، دعيني الآن وسأعود حين يخرج.

قالت وهي تقفل الباب :

- هو من طلب حضورك، لأنه أحضر لك مفاجئة .

دهشت من قولها وأمين يخطو إليها بجهاز حاسوب، فخاطبها يشير إليه : - هذه هدية لك منا أنا وخنساء .

فتحت فمها ترمق الجهاز كأنه من المريخ بينما أمين يسترسل :

-لكن دعيه هنا، لأن سالم قد يكسره .

سألت أخيراً بجهل : -ماذا سأفعل به؟

ابتسم أمين يجلس على كرسي بالبهو الصغير للشقة، مشيراً
لهما أيضاً للجلوس ففعلتا:

- كان لدي اشتراك انترنت لخطي فقط، لكنني غيرته بتغطية
الواي فاي المنزلية وهكذا سنقتسم التغطية .

دهشة الفضول، لم تغادر وجهها بعد، فاردف بابتسامة متأملة :

-قرأت المواضيع الثلاثة التي ساعدت بها خنساء، أنت
موهوبة يا خالة .

ابتسمت بحياء، ترمق ابنتها بعتاب، فتابع أمين:

- يجب أن تفخري يا خالة لا أن تخجلي، لديك موهبة أدبية ولا يجب أن تضيع، لذا فكرت في أمر يناسبك .

ساكنة تسر مشاعرها وأحاسيسها، تنظر إليه بفضول، امرأة عادية الملامح والملبس كأغلب نساء حيها، قامة متوسطة حجما وطولا ترتدي عباءة منزلية ساترة ووشاح من نفس لونه الأبيض كخفي رجليها وجوربيهما، فهي لم تكمل عدة الأرملة بعد وبعرف بلدها الأرملة تتقيد بملابس بيضاء طوال فترة عدتها .

- أن تشتركي في الجريدة الالكترونية الحرة، تكتبين على أي شيء تريدينه، فقط لا داعي للسياسة .

ضحك فضحكت خنساء كأنها صدى له أو صدى لأي شيء
يفعله، يرى نفسه بملامحها ونظراتها وردود فعلها بوضوح،
فينكره عقله بينما يلومه .

ابتسمت والدتها، تقول بتردد : - لا أعلم أنا ...

قاطعها يرد ببسمة مشجعة :

- لن اقبل منك سوى قبول هديتي، ستكتبين ما يفيد والناس
تقرأ وإن استطعت لفت أنظار القراء، سيخصصون لك عمودا
باسمك .

ظهر السرور على وجهها لكنها تحدثت تقول بحزن:

- لكنني لا أعلم كيف أتعامل مع ذلك الجهاز .

قامت خنساء لتضمها، تجيبها بسرور:

-أنا سأعلمك يا أمي .

قام أمين يقول قبل أن يغادر :

-الأفضل أن تبدأ بأول درس، عن اذنكما.

قالت الخالة وخنساء تقوم لترافقه إلى الباب كما تعودت

الفعل : -شكرالك بني، شكرا لك .

-لا شكر على واجب يا خالة، أنا في انتظار أول مقال لك

وسأكون أول قرائك .

-من بعدي طبعاً.

نطقها خنساء بسعادة، ففتح الباب يقول مؤكداً ثم همس لها:

-أكيد ... إنه دورك الآن .

أومات بحماس وظلت مكانها تشيعه بنظرات يظنها منبهة
وهي في الحقيقة عاشقة، فأغلق الباب يهمس بشجن:

-ارحميني من نظراتك هذه يا خنساء!

أما المعنية فقد جاورت والدتها لتعلمها كيف تستعمل الجهاز
وكيف تشارك بالمجلة لتطبق بقية الخطة التي اتفقت عليها مع
زوجها، والتي من خلالها سيحققان هدفهما بأن تثقف والدتها
نفسها وأن تتعلم ما يفيدها لتحسن من حياتها وتفلح بدنياها
وآخرتها:

-بعد أن ننتهي سأرشح لك بعض الكتب للقراءة، لكي
تسترجمي أكثر أدوات الكتابة ولكي تفيدي القراء بما تكتبينه
فيكون لك الأجر مع الاستمتاع بهوايتك .

وأكثر ما يسعدها تلك الحياة التي دبت بملامح والدتها،
ونظراتها الناضحة بحماس وسعادة لأول مرة تلمحها بها .

*منزل القناص *

-هيا أسرعى بيلسان .

ألقها أور بشقاوة تسحب بيلسان من بين النسوة بعد أن احتفلن
بها و غنين لها ورقصن بسرور .

-الى أين أور؟

أوصلتها إلى الشرفة الأرضية المفضلة لدى نزار حيث تفاجأت
بالمكان كيف أصبح كله مزينا بالورود وعلى الأرض، الكثير
والكثير من البالون الأحمر مختلف الأشكال بين الكروي
وعلى شكل القلب .

-تسلم مني يا نزار .

استدارت بيلسان، فإذا به يخرج من باب الشرفة يرتدي بدلة
سوداء ذات الثلاث قطع أضافت إلى وسامته أناقة راقية، أمسك
يد بيلسان وأور تضيف بعد أن قبلت وجنتها :

-إن أحزنتها ستواجهني يا نزار، أحذرك !

اتسعت ابتسامة نزار يرد بمرح :

-بل انا من سأواجه نفسي قبل أن أحزنها .

رقت نظرات بيلسان تستسلم لضمته، فانسحبت أور باسمه

بسعادة تبحث عن سبب شقاءها، فقال نزار بلطف :

-هل راق لك الشرفة؟

ابتسمت بخجل ترد عليه :

-جدا... هل كانت فكرتك؟

أوماً موافقا يجيبها :

-أجل وصهيب نفذ بمساعدة رضوان، أنا سعيد بأنه راق لك

والآن دعيني أرى فستانك .

تتبع قماش الفستان الحريري، مبتسما وقد راقه كونها اختارته
تقليديا من قطعتين سفلية وعلوية، وما إن شعر بتنفسها السريع
قرر مشاكستها : - أليس ضيقا، قليلا؟

أومأت كأنه يراها، ترد بخفوت متلبك :

- لا.... أنت فقط !

ثم صمتت وقد احمر وجهها ليسأل من جديد بمكر :

- أنا ماذا؟

لاحظت تسليته، فضربته بخفة على أعلى صدره، تهتف بنعومة
معاتبه : - نزار!

ضمها هامسا قبل أن يقبل جبهتها بنعومة : - يا قلب نزار .

كان نضال قادما يبحث عن توأمه ليبارك له، فتسمر مكانه
 للحظة انفقت فيها فقاعة الوهم أمامه وقلبه يصرخ ليستدير
 هاربا منه لكن صرخاته تزداد نبرتها لأنها آتية من جوفه
 وبالتحديد من صدره، فاصطدم برضوان الذي تأمل شحوب
 وجهه و لهاثه، يسأله:

- ما بك يا نضال، لماذا أنت شاحب؟

رماه بنظرات زائغة يهمس بصرخات قلبه التي صمت أذنيه :

-إنها زوجة أخي يا رضوان، أصبحت زوجة أخي وهنا
 يؤلمني .

ضرب صدره بقوة، يردف بدهشة:

- يا إلهي إنها حقيقة، إنها بين يديه! توأمي نزار! أصبحت زوجته حلاله!

صمت يضع كفه على فمه، يرمقه بمقلتين واسعتين فأمسك به رضوان مشفقاً، ومن يتفهم مشاعره أفضل منه! وقد مر بنفس موقفه يوماً ما، حين راقب حبيبته تزف لآخر دون أن يستطيع فعل أي شيء ولحظه الجيد، هذا الآخر لم يكن شقيقه أو حتى مثل نزار والجميع ضمنهم نضال يعلم بأن ما حدث الصواب، إنها لمعضلة ويجب عليه الاستسلام والتقبل ثم التعود :

- تعال معي يا نضال، هيا تعال!

لم يكذ يخطو به ليجد جرحه الغائر هو الآخر، يقف أمامه، فجحظت مقلتهاه بصدمة تأتأ على اثرها :

-م.. متى أتيتَ لماذا لم تخبريني؟ ثم ما هذا الذي ترتدينه؟

هتفت قائمة بغضب قد بلغ مداه وقرب على الإنفجار ولم ترى مرام التمثالين الشاحبين وهي تتلقف صغيرها من على الأرض، تتلمس منه الثبات الشكلي بينما ترد بهدوء قد أضحى متأصلا فيها، فهي لم تعد حتى تسلحت بأعتى الأسلحة وأقواها لتواجه عقدها المظلمة :

-السلام عليكم أماه، لم أخبر أحدا بمجيئي، لأنني تلقيت رسالة نزار متأخرة.

أشارت إلى ملابسها، تعيد سؤالها بحنق ونبرة نزقة :

-أين وجدت هذه الخيمة؟

بلعت ريقها، تفكر بأنها على أرض القناص، فمرحبا بها!

- ليست خيمة أماء، إنها عباءة وأنا الحمد لله تحجبت يا أمي .

جحظت عينا قائمة، تهتف بعصية :

- ت....ماذا؟ هل أصبحت تتصرفين من نفسك؟ أم هي كآبة

الطلاق أثرت على عقلك !

تنفست بعمق والأخرى لا ترحمها :

- ستذهبين لجناحك الآن وتغيري هذه الأسماك بأحد فساتينك

الجميلة وبعدها سنتحدث عن كل شيء .

ثم نظرت الى الصغير بين يديها مقطبة بضيق، تردف:

- يجب أن نبدأ بالبحث لك عن عريس مناسب، لن تهدري
جمالك وشبابك سدى .

أسدلت مرام جفنيها ياسا قبل أن تفتحهما بعزيمة حازمة:

-أمي، حجابي لن أنزعه وأنا اكتفيت من تجربتي السابقة
وسأعيش لأربي ابني، فاعتقيني لوجه الله أو سأرحل هذه المرة
دون رجعة.

بهت قائمة، فشلت أطرافها ومرام تستدير مبتعدة لتجدهما
أمامها، ابتسمت بسرور وحنين واقتربت من نضال تضمه
قائلة : -أخي، اشتقت إليك .

أيقظته من نار جحيمه، فضمها بخفة يغمغم بكلمات التحية أما
رضوان فتمالك صدمته وبسط يده ليصافحها لكنها لم تبادله
المصافحة تقول مبتسمة برسمية تسر بنفسها التوتر والارتباك :

-رضوان كيف حالك؟

هز رأسه دون أن يجد القدرة على التحدث، فتابعت :

-اين نزار والعروس لأبارك لهما؟ فهي ليست في تجمع
النسوة .

لم يجبها أحد، من يفعل؟ رضوان المسلوب قلبه، يبحث عنه
في نظرات خاطفته إن كانت تذكره! أم نضال المسلوب قلبه
دون أن يبحث عنه، فهو يعلم أين خاطفته وأين تغلق عليه! أم

يا ترى قائمة المسلوب سلطانها، فأين تبحث عنه؟ عند تهامي
الذي لم يبادلها حبها الشغوف يوما، فلعب بهما كالدمية أو عند
الهاشمي الذي ارتضت به كصورة عن حبيبها ولم يفعل هو أو
لدى ولديها اللذين خرجا من تحت سيطرتها، يفردان جناحي
الحرية والتمرد ليحلقا بعيدا عن مسارها !

-محمد! أنت هنا؟

هدر قلبه بصخب لم يتعود عليه إلا بعد لقائه بها، يتسم ببلاهة
يغفل عنها، فلم يكن يتوقع حضورها تلك الفتاة المختلفة عن
كل من يعرفه، فتركت في قلبه الأثر البليغ كما تركته ينام
ويستيقظ على ذكراها، يمنع نفسه بمشقة من الذهاب والتقدم

إليها عند والدها كما تربوا ونشأوا على فعله حين يتعلق الأمر
بالإعجاب بفتاة أو حبها لكن صوت العقل يحتم عليه الصبر
دون أن يقتنع القلب : - كيف حالك آنسة سمرا؟

رمقته بعتاب، تجيبه :

- طلبت مني مناداتك باسمك وأنت تناديني بآنسة، أخبرتك
أنفا، أنت الماكر بيننا.

راقته ال بيننا تلك، فهي تجمعها في خانة واحدة معها، بلع ريقه
يطرد تلك الأفكار الصبيانية من عقله بينما يسألها برسمية :

- كيف حالك مع والدتك ؟

شبكت كفيها ببعضهما، تقول بسرور أغرق فؤاده بموجة
سعادة، فيتساءل ما دخله هو كي يسعد بهذا الشكل، كأن
الموضوع يخصه هو!؟

-صدق كل ما أخبرتني به وتصالحت معها، فهي تحبني كثيرا
وأصبحت تعاملني بحنان فائض لم تعد كما كانت والحمد لله .
نطق والبسمة البلهاء تتسع لتشمل ملامح وجهه بشكل
مضحك : -الحمد لله.

اقتربت لتقف قبالة تبتداً ثرثرتها التلقائية، فيتراجع هو تلقائياً
خوفاً مما يشعر به نحوها، يجاهد لينظر حولها دون أن يركز
عليها وهي متأنقة بفستان تقليدي بلون الفستق مطرز، رغم
حشمتها إلا أنها تبدو أجمل مع شعرها الأسود الحريري المنثور

حول وجهها وعلى كتفيها ودون وعي تلفت يتفقد الحراس
والغيرة تحرق صدره .

-هل تعلم؟ لقد أخبرت صديقتي عن مغامرتنا وكيف أنقذتني
حتى صدعت رؤوسهن وهربن مني ومن بلاهتي .

ضحكت بمرح فعاد يتابعها ببلاهة أكبر وهي تستطرد:

-لكنهن طلبن مني رؤية البطل الفارس الذي أنقذني، فأخبرتهن
بأنك حارس ابن عمي وقد أطلب منك الحضور للثانوية يوما
ما،

ثم غمزت كما تعودت الفعل مع صديقتها، تضيف قبل أن
يقاطعها بحزم :

-أضحى لك معجبين يتطلعون لرؤيتك، صنعت لك صيتا ولا داعي للشكر .

-لا تفعل ذلك مرة أخرى، ولا مع أي شخص آخر .

هتف بجدية أجفلتها وأخافتها، فتراجعت تتساءل :

-ماذا؟

تمالك حرقة صدره، حتى لا يفقدها أو يرعبها، يفسر بهدوء :

-لا تغمزي أحدا ولا تتحدثي هكذا، بل لا تكوني هكذا !

لم يوفق يشعر بنفسه أفسد الأمر لأن عينيها دمعتا، فهم بإتمام

الحديث لكنها فرت هاربة من أمامه تبكي، ليمسك جبهته

بحنق يهتف :

- غبي! أنا غبي! ماذا أصابني؟

- إنه حقا الغباء يا صديقي!

استدار محمد بحدة ليجد زيد ضاحكا، يردف بينما يقترب منه :

- إنه الحب وهو بالفعل يصيبنا بالغباء، فلا تلقى له علاج، ظننته

أحاديث السفهاء من النساء والرجال لكنني اكتشفت بأنه

حديث القلوب، ومصابك أكبر يا محمد، هل تعلم لماذا؟

لم يكن بحاجة لجواب، فهو يعرف لكن زيد أخبره على كل

حال :

- انها ابنة القناص يا محمد .

الفصل الواحد والثلاثون

{رحم الله امرءاً نظر ففكر وفكر فاعتبر فأبصر وأبصر فصبر.
 لقد أبصر أقوام ثم لم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم، فلم
 يدركوا ما طلبوا، ولا رجعوا إلى ما فارقوا، فخسروا الدنيا
 والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.....الحسن البصري }

يئست من إيجاده فوقفت تتمالك أنفاسها، تلفت حولها
 تسحب الهاتف من فستانها الذي اختارته هي أيضا تقليدي
 الصنع متجاوزة نقاش اختيارها له محتشما كما ترفض
 الاعتراف برغبتها بأن يراها، مع أن النظرة في عيني بيلسان، تزيد
 من رغبتها حتى ترى مثلها في مقلتيه هو حتى لو كان خاطبا !

زفرت حين لم يجب هاتفه، فلمحت محمد وزيد يتحدثان،

توجهت إليهما تتساءل : - من فضلكما أين أسد؟

تناظرا فيما بينهما يستغربان أدبها، فهي سابقا تتأمر بعجرفة لا

يهمها أحد، فرد عليها زيد :

- أخبرني بأنه سيتمشى قليلا على البحر إلى أن ينتهي الحفل.

هزت رأسها تقول قبل أن تتعد :

- شكرا .

التفت زيد إلى محمد يعقب مقلبا شفتيه :

- سبحان مغير الأحوال وأسد أيضاً أشعر به مختلفا كأنه

مكتئب .

أجاب محمد بوجوم :

-كلنا يا زيد، أف! متى تنتهي هذه المهمة؟

أسرعت بخطواتها لتلحق به، فهي أيضاً تعلم باختلافه بعد ذلك اليوم الذي علمت فيه بأنه سيخطب فتاة أخرى، أصبح صامتا كئيبا. احترمت ذلك مع أنه يقتلها، احترمت ابتعاده عنها فهو الآن ملك لفتاة أخرى، وليس من شيمها أن تقلل من احترامها لنفسها ويكفي أنها أخبرته عن مشاعرها لكن اليوم لمحت نظرة حزن أو انكسار لا تعلم سببها، انشغالها مع شقيقتها لم يمكنها من سؤاله، أو حتى استفرازه ليتحدث.

لمحته جالسا على أحد الكراسي العمومية فمشت إليه ثم توقفت، تتأمل سهوه الواجم نحو الأفق، ما به يا ترى؟ سألت

نفسها قبل أن تستأنف خطواتها أخيرا ثم جلست جواره،
محافظة على المسافة بينهما.

شعر بها فالتفت يرمقها مقطبا والتقطت مقلتاه فستانها الأسود
المطرز بالذهبي، لكنه سرعان ما عاد إلى تأمل الأفق.

تحدثت بحذر، فهو فعلا كئيب وعلى غير عادته:

- ما بك أسد؟ لماذا أشعر بك حزينا؟

الصمت هو كل ما حصلت عليه لكنها لم تستسلم وهي

تضيف: - كيف هي خطيبتك؟

تنفس بصخب، فضمت شفيتها ثم اعتذرت: - آسفة.

التفت إليها مقطبا بحيرة، فتابعت:

-لأنني سألت فيما لا يعنيني لكن وجهك لا يعبر عن أحد قد
اختار شريكة حياته...وقام بخطبتها...

سأل بملامح فارغة : -لماذا؟ كيف يكون من خطب؟

هزت كتفيها، تجيبه بما تتخيل به نفسها لو حدث واختارت
شريك حياتها :

-لا أعلم! سعيد يضحك، مسرورا...ألم ترى نزار وبيلسان؟

عاد ينظر إلى البحر، فصمتت بيأس تنظر هي الأخرى إلى
البحر، ليقول بعد برهة : -أنا حزين من أجل أمي .

تفاجأت تدير إليه رأسها لكنه لم يصف كلمة فسألت بحيرة :
- ما بها والدتك؟

تحدث بوجوم :

-إنها امرأة رائعة، كافحت وعملت لتربيني أحسن تربية، فهي لم تكن متعلمة ووالدي توفي وأنا في الثانوية حتى قبلها كان كثيراً ما يمرض، لذا عمل كحارس لبيت كبير لعائلة مسورة، يعتني بالحديقة ويقوم بأعمال خفيفة على حسب ما تسمح به صحته، كانت العائلة بحاجة لمساعدة أو لنقل خادمة، فسارعت أُمي لتحصل على العمل، لم يكن أبي موافقاً حينها لكنها أقنعتته بأنهما سيحتاجان لكل سنتيم من أجل ابنتهما الوحيد وبما أنه يعمل لديهم، فذلك أفضل لأن العمل سيجمعهما معاً، فقضت سنوات خادمة من أجلي، كل شيء

فعلته وجاهدت من أجله بالحلال، لتجعلني أتعلم أحسن
تعليم وألبس جيدا ولا أحتاج شيئا أبدا .

نظر إليها بعينين لامعتين تجمدت فيهما الدموع بكبرياء،
يردف:

- حرصت على أن لا أشعر بنقص، فكانت تضحي برغباتها
وتكتفي بالثياب التي يهدينها ربات عملها أو حتى المستعملة
لتجمع المال وتشتري لي كتياب صديقي نوفل والذي هو أحد
أبنائهم، لم تسمح لي يوما بارتداء الملابس المستعملة كي لا
تتربى عداوة بيني و بينه، علمت بأنني أحبته واتخذته كصديق
حقيقي، فحرصت على صداقتي به لتدوم ولا أشعر بنقص أو

تجرح كرامتي، تصوري! امرأة أمية وعلمت كيف تربي ولدا
 صحيا على مستوى النفسي قبل الجسديوالآن ..
 عاد مستديرا بحدة الى البحر، فعقت بإعجاب وتأثر :
 -والدتك يجب أن يشيد لها تمثالا رمز الأم للتكريم، أنت
 محظوظ جدا .

ابتسم بحزن يعقب ببعض المرح الكئيب:

- لا يجوز تشييد تماثيل في ديننا، وصدقيني أُمي عندي أكبر من
 ذلك حتى، ولا يجزي القليل من تضحياتها.

هزت كتفيها بينما يلتفت إليها تقول : -أحسدك عليها، من
 المفترض أن تكون سعيدا، لا حزينا هكذا !

ثم شهقت تردف بجزع غريب عليها وصادم له:

- لا تقل بأنها مريضة؟

هز رأسه بدهشة، يرد عليها: - لا ... حفظها الله لي .

تنفست براحة صادقة زادت من دهشته ثم استطردت تستفسر:

- إذن ما المشكلة؟ أنا لا أفهمك .

هجم عليه الوجوم يكتسح أعصابه قبل وجهه، يجيبها:

- إنها حزينة جدا، أشعر بها، هي تظن بأنها تخفي كآبتها عني،

تدعي الابتسام والمزاح لكن عينيها تنطقان بالحزن واليأس،

وهذا يقتلني، أن أكون سبب تعاستها .

ما زال الأمر يفوتها، فتتساءل بحيرة:

-لماذا تفكر بأنك سبب تعاستها؟

توتر قليلا قبل أن يمنحها ردا مجملا :

-هي تحسب نفسها نقطة سوداء في سيرتي الذاتية ولن أجد عائلة مناسبة لقُدري ومكانتي ومهما فعلت لأقنعها بالعكس، لا ولن تقتنع وستظل تشعر بالخجل .

وضعت كفها على ذراعه، تقول بنفاذ صبر :

-أسد لقد مللت، أنا لا أفهم شيئا، لماذا والدتك تشعر بالخجل وما دخل عملها القديم أو حتى لو استمرت فيه بعد بزواجك؟ رفع حاجبيه، ينظر إلى كفها فمطت شفيتها تبعده، فقال بامتعاض : - ألم تفهمي شيئا مما قلته لك؟ أمي تظن أن كونها

كانت خادمة سابقا، سيجعل الناس بالمستوى الراقي يندونني
ولا يقبلون بنسبي .

قلبت شفيتها مقطبة ثم قالت مستغربة :

-منطق تفكير والدتك غريب، ضحت وعملت بكد لكي لا
تسولا ومنحتك كل شيء بحب واحتواء وحين حققت هدفها
بدل أن تفخر بنفسها وبك وتفرح، تشعر بالخزي، ما هذا
التناقض؟ هل أنت متأكد من كونه سبب حزن والدتك؟

تنفس بغيظ يرد دون وعي : - كل شيء بسبب تلك الفتاة.

سألت مجددا وباندفاع : - أي فتاة؟

أجاب بسخط : - تلك التي ذهبت للقيها كي أخطبها .

بلعت ريقها تعود للسؤال بحذر، فهو من شدة سخطه لم ينتبه

لما يقوله: -ماذا فعلت الفتاة كي تشعر والدتك بالخزي؟

اشتدت عروق فكيه، يرد بغل:

-اشتربت على أمي عدم التحدث عن عملها كخادمة أمام

أفراد عائلتها، هل تصدقين؟

-ممممممم...الآن فهمت وما كان ردك؟

فهمت أخيرا الموضوع برمته، فهتف ينظر إليها بغضب :

-أخبرتها لا عاش ولا كان من يقلل من قدر أحد والدي،

وسحبت أميي وغادرنا .

لمعة عينيها أيقظته وسرورها الذي أعاد الحياة لشرائينها مع
 شبح الابتسامة على ثغرها جعله يتجمد ليتذكر ما تفوه به وللمن
 ثم تنحى من التحديق بها، يقول بجمود :

-أمي وعدتني بالبحث عن فتاة مناسبة ومرت أربعة ايام ولم
 تحدثني في الموضوع وهذا ليس من عاداتها ولو كانت طبيعية
 لاقرحت علي العديد من الفتيات .

ابتسمت تمط شفيتها، معقبة بامتعاض : -والدتك مصرة على
 تزويجك .

هز رأسه مؤكدا : -هذا ما يقلقني، فتورها يخيفني .

قامت وكأن الحياة تزهر بين ملامح وجهها المبتهج، تطلب منه

باسمة : - خذني إليها الآن !

وقف بدوره، يستنكر : - ماذا؟

اتسعت بسمتها، تؤكد بثقة : - ألا تريد أن تخرج والدتك من

مزاج الحزن والكآبة، لتخطب لك فتيات عدة؟

رغم الألم الذي سببه حديثها في نفسها إلا أنها ضغطت عليها،

فوالدته امرأة بحق ثم قلبها تألم لحزنه بشدة، لم تتصور في

حياتها قبلا أن تتألم لألم أحد غيرها خصوصا رجل.

نظر إليها بريبة، يتساءل : - على ماذا تنوين أور؟

كانت ستسحبه من يده لكنها توقفت ورفعت كفيها تتأسف قبل
أن تشير نحو منزل القناص :

-أسفة، هيا أسد، لن أكل والدتك، لا تخف! لست بأكلة بشر .
استسلم يفكر بأنه تورط، وقلبه الخائن ابتهج حين لاحظ
فرحتها لعدم اتمام خطبته ومؤازرته لمصاب أمه، فماذا يا ترى
ستفعل لتساعدھا؟

ثانوية الحسن البصري

-صهيب، ماذا تفعل هنا؟

ألقاها وائل بحيرة، فهو يعلم بانشغاله في مناسبة عائلية، غير أن اليوم عطلة وكان تطوعا منه وأمين ليتقربا من الأولاد، فمن يحضر أثناء العطل من طلاب مساكن الداخلية وأكثر المحتاجين للمساعدة حتى يتحولون إلى فعّالين، فيتبعونهم غيرهم حينها فقط سيتمكنان من تغيير المكان إلى مساحة تتوفر على مرافق أو ملحقات أنشطة مفيدة للطلاب .

والبداية تعليمهم الرسم بالبخاخات وهم يثرثرون معهم عن مختلف المواضيع وقد يبدو الأمر عاديا و مجرد قضاء وقت في الهوايات و التسكع إلا أنها خطة محكمة لاستدراج الطلاب

ليعبروا عن أنفسهم وهكذا يوجهونهم إلى ما ينفعهم حسب
شغفهم و مهاراتهم :

-أوشك الحفل على الانتهاء يا أستاذ، العريس تسحب
ليخطف عروسه، فلماذا أبقى وأضيع الوقت؟ ثم أنا تواعدت
مع كرم وجلبت له مفاجأة وأنا مصر على الفوز وسحب الورقة
من الطرف الآخر.

ربت أمين على كتفه بتقدير، يرد عليه :

-جيد صهيب، المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف جزاك
الله خيرا .

انشغل وائل بما يفعله يلوم قلبه المتململ لغياب زرقاء العينين
 التي لم تحضر مؤخرا سوى الحصاص كما لم يستطع سؤالها،
 استغرب حاله وتعلقه بالفتاة لكنها فعلا مختلفة، ذكية لا تتوقع
 أبدا ما ستقوم به لاحقا أو ما ستقوله، لا ينكر إعجابه لعشقتها
 للرسم كإعجابه للأزرق والأبيض لونها المفضلين.

ابتسم صهيب يصافح كرم بضربة بالكف كما يفعل الشباب،
 ثم قال له بمكر: -أحضرت لك مفاجأة .

قطب ينظر إلى العلبة التي أخرجها من كيس هدايا وهو
 يستطرد: -هذا هاتف لك من الجيل الذكي والمتطور .

أمسكه كرم بصدمة، يفتحه هاتفه بذهول :

- ما... ماذا قلت؟ لي أنا؟ لكن... لماذا؟

ضحك صهيب من منظره، يجيبه :

- أجل، إنه لك، ولدي رقمين كلاهما باشتراك الانترنت،

سأهديك واحدا، فأنا لست بحاجة إليه لكن كرم ستدرس وإن

لم تنجح في الدورة الأولى، سأسحب الرقم منك .

هتف كرم بجزع :

- لا... لا! أقسم لك سأدرس وسترى !

ثم انقض عليه يضمه بقوة، متابعا بفرح :

- أنت أفضل صديق حظيت به في حياتي لكن صهيب !

حدق به ببهوت غير مصدق، يكمل :

-لماذا؟ إنه هاتف باهظ والرقم ستضطر للدفع عن كلينا .

ربت على كتفه، يقول بمرح :

-أنت صديقي ولا شيء يغلي عليك، اهتم أنت بنفسك هذا ما يهمني .

شغل الهاتف وبدأ بتفقد مميزاته وتطبيقاته ثم دخل صفحته على التطبيق، وكان مسرورا لكن ما لبث أن اختفت ابتسامته، فسأله صهيب :

-هيبه، ما بك؟

رد و بينما يريه صفحة صديقه :

-صديقتي تخاصمني .

ضحك صهيب، يعلق بسخرية :

- ألم تعد حبك؟ ولماذا تخاصمك؟

تحدث بعبوس يجيبه :

- بلى ما تزال حبي، لكننا وصلنا الى طريق مسدود .

لا يكف صهيب عن الاندهاش، فسأله مهادنا بدل أن ينفجر

ضاحكا :

- ولماذا؟ ما هي المشكلة؟

ضم شفثيه بانزعاج ثم أجابه :

- كنا في البداية نعبّر عن مشاعرنا لبعض وعن أحلامنا

للمستقبل حتى شعرنا بأننا نعرف بعضنا البعض جيدا، لا أعلم

متى تغيرت مواضيعنا لتصبح أكثر جدية عن السياسات والفتن
والحروب، فطلبت مني أن أكون أحد الأبطال وأتطوع
للجهاد .

جحظت عينا صهيب، يسأل برعب :

-تُ ماذا؟

رد عليه يهز كتفيه بقلة حيلة :

-كما سمعت، تريدني أن أتطوع للجهاد .

-كيف ذلك؟

سأل صهيب بحيرة، فقال بعبوس :

- سألتها نفس السؤال، فردت بأنها سترشدني إلى جهات معينة،

يدرّبون الشباب على الجهاد والقتال في سبيل الله .

تجمد صهيب يستفسر منه بحذر :

- لماذا سألتها؟ هل كنت تنوي طاعتها؟

هز كتفيه من جديد، يقول باستسلام مغيظ :

- وماذا أفعل؟ أنا أحبها وأريد أن أكون بطلا في نظرها ثم إنه

جهاد وقاتل في سبيل الله .

صمت صهيب يتنفس قليلا ليصفي ذهنه ويفكر جيدا ثم قال

بذكاء:

- كيفما كان قرارك، أخبرني كي أرافقك، أنا وأنت معا لكن لا داعي لإخبارها قد تظنك جباناً أو خائفاً .

عادت ابتسامته، يضرب على كتفه :

- هل أنت جاد؟

- طبعاً معا في كل شيء، يا صديقي .

ضحك يضمه من جديد ويؤكد له:

- معا في كل شيء يا صديقي .

تحدث معه قليلاً، فاستأذن ليغادر ثم تبعه ليتأكد أنه تخلص من أول عقبة، فاخترت قريباً من مكان اجتماع كرم بذلك الفتى الآخر الذي يجلب المخدر، فسمع الحوار الذي أراح باله قليلاً:

- لا تحضر الكمية الاضافية، لن أبيع بعد اليوم .

تحدث الآخر بسخط: - لماذا؟ هل اكتفيت من المال؟ فأنت

لم تجمع المبلغ الذي تريده .

كانت نبرة كرم ثابتة وهو يجيبه :

- ليس من شأنك، اتفاننا أن أساعدك في البيع حتى أكتفي وقد

اكتفيت، أنا حر .

رد الآخر بغل :

- من حسن حظك أن المصدر يتهاون مع من يريد الانسحاب

في ما يتعلق بالثانوية لإبعاد الشبهات، لذا أنت حر لكن لا تعد

وتترجاني لأشغلك .

قال كرم ساخرا قبل أن ينسحب : - لا تقلق يا رئيسي .

أسرع صهيب إلى أستاذه سحبهما إلى ركن و هو يلهث، فسأله

أمين بريية : - ما بك يا صهيب؟

رد بعد أن تمالك أنفاسه :

- هناك مصيبة، هول ألعن من المخدرات .

تناظر أمين ووائل في ما بينهما ثم قال الأول :

- ما هو يا صهيب؟

- سأخبركما يجب أن نبحث عن حل، كرم في خطر.

محل سالم

- شرفتموني يا شباب والمحل أنار بحضوركم.

تحدث أحدهم، يرد عليها باسمًا :

- إنه محلنا يا رجل ونحن أحببناك جدا وأصبحت أخا لنا في

الله..

ابتسم سالم بحبور، يسأل :

- كيف حال الشيخ بدر؟

أجابه بنبرة خفت قليلا :

- هو من بعثنا إليك، يريدك في مصلحة ولم يفكر بغيرك لأنك

محل ثقة بارك الله بك .

قطب، متسائلا :

- أنا في الخدمة، هل لي أن أعلم ما الموضوع؟

مال عليه يخبره، بنبرة أقرب إلى الهمس :

- التفاصيل ستعلمها من الشيخ بنفسه، أما الموضوع، فهي

أمانات يريد الشيخ إرسالها لأصحابها ويحتاج شخصا يثق به،

فلم يجد غيرك وبما أنك تملك رخصة القيادة سعد جدا

وأرسل بطلبك .

تجاوز حيرته، يقول بسرور :

- وأنا أسعد، لأن الشيخ وثق بي .

تحدث الآخر، يقول بمكر :

-وثق بك لدرجة أنه اختار لك زوجة من الأخوات الصالحات .

تسمر سالم مكانه مبهوتا يعقب :

-عروس؟.....زواج؟...أنا؟

ربت الأول على كتفه، يجيبه بمرح :

لماذا الدهشة؟ فأنت رجل تستطيع الباءة ثم الزواج عندنا أمر سهل ويسير، الزواج الصحيح الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحدث سالم بنفس الدهشة :

-كيف؟

رد الآخر متشدقا بعلم لا يفقه فيه شيئا :

-حضور الولي وأنت، تتبادلان الموافقة وسطنا و يتم الزواج،
فنحن لا نعترف بالحكومة وأنظمتها الجائرة التي تصعب على
الشباب ما منحهم خالقهم بيسر، فجلسة بيننا وتصحب
زوجتك معك .

صمت يفكر، فلم يمهله الآخر يقول :

-بعد قيامك بالمهمة، سنتحدث باستفاضة في الأمر، نحن
مغادرينالسلام عليكم.

*منزل القناص *

خطت تحمل بين يدها قطعة حلوى العرس وبحثت عنه
 فلمحته برفقة محمد، ضمت شفيتها بضيق تفكر كيف تلفت
 انتباهه ثم تنفست براحة حين تركه محمد وعاودت المشي
 فالتفت إليها كأنه شعر بها، قام يتسم ابتسامة طفل لا تناسب
 لا ضخامة جسمه ولا ملامح وجهه الخشنة، فتوترت تقول
 بحياء تمكن منها :

-أحضرت لك حصتك من الحلوى، خشيت أن تنتهي قبل أن
 تصلك وزملاءك .

مد يديه وتناولها منها، فسحبت بيديها سريعا ولم تسمح له
بلمس أطراف أصابعها، والتفت بتسوية ثنايا حجابها، وهو
يبتسم بمرح بعد أن تذوق الحلوى يقول :

-إنها لذيذة، لم أذق ألد منها من قبل ..

هزت رأسها وقد احمرت بشرتها القمحية، ليضيف بنفس
المكر يروق له حياءها : -والفستان أيضا .

نظرت إليه مندهشة، فتابع بجدية مدعية :

-جميل، قصدت جميل .

-شكرا لك .

حل الصمت بينهما تبدو على وشك العودة من حيث أتت،

فتحدث : - كيف حال صديقتك المصابة؟

لم تنظر إليه بينما تجيبه : - بخير والحمد لله، تقول أنها مرتاحة

في ضيافة أولئك الناس وتحسن بشكل جيد.

- الحمد لله، محظوظة هي بصداقتك والسيدة بيلسان .

غلبها حياؤها منه فاستأذنت، فنطق اسمها بقلبه قبل لسانه،

فالتفت إليه، ليشكرها بينما يرفع الصحن بخفة :

-شكرالك على الحلوى، أنا ممتن .

هزت رأسها وأسرعت، فدس الباقي في فمه مرة واحدة بحنق،

يهمس :

-متى تنتهي المهمة؟ بعدها بيوم، لا بل بساعة سأطلب يدك
ولن يمر الأسبوع حتى تكونين زوجتي، بإذن الله .

*جناح في الجهة الغربية للمنزل *

تبعته بوجل، تتطلع إلى الأروقة برهبة، فتكتشف بأن المنزل
الأقرب في وصفه إلى قصر قديم جدا ومخيف أيضا، وقفت
حين فعل ثم راقبته بينما يفتح بابا ما بعد أن سحب المفتاح من
جيبه. أشار لها بالدخول فتقدمت وتبعها ثم الباب، يقول :

-هذا جناح الجهة الغربية، تركوه لي بعد أن طلبته من العائلة،
فهو بعيد قليلا منعزل وله خصوصية .

استغربت من مغزى حديثه وهو يخطو إلى أحد البابين بعد قاعة استقبال متوسطة، مفتوح عليها مطبخ أنيق وصغير، انتظرها كي تتقدمه إلى الغرفة لكنها تسمرت مكانها، لا تدري لماذا شعرت بالخوف :

-لما جئت بي الى هنا؟

ابتسم يرد بحزن:

-لا تخافي مني لبنى، تعالى !

دخلت إلى الغرفة ثم توقفت على بعد خطوة من العتبة تتأملها بصدمة، زهرية الطلاء وأنثوية جدا بسرير على شكل محارة

وجدران مزينة بلوحات جل محاورها حول البحر، نظرت إليه
تقول ببهوت: هذه غر....

آخرستها المفاجأة، فأكمل عنها :

-غرفتك يا ابنتي، أحضرتها بكامل أشياءها ويمكنك التأكد من
ذلك .

تنفست بعمق تتفقد بعض صُدف البحر الملونة على المنضدة
وعلبة على شكل محارة، بسطت يدها نحوها بتردد لترفع
غطاءها تحديق بمصوغاتها الرقيقة الخاصة بالفتيات اليافعات
ثم نظرت نحو الخزانة فخطت إليها لتفتح أبوابها تتفقد
ملابسها التي تركتها في كندا، غير مصدقة !

استدارت إلى أدراج المناضد تبحث فيهم بلهفة لم تتحكم بها
تتزايد كلما وجدت كل شيء في مكانه تماما كما تركته، لمحت
ألبوم صور داخل أحد الأدراج فحملته بيدين ترتعشان تقلب
صفحاته، صوراً لها في مختلف مراحل العمر قبل رحيلها،
بعضها بمفردها وأخرى مع والدتها وأخرى مع أفراد العائلة،
فسقطت أول دمة تهمس بتقطع :

-م..... ماذا يعني هذا؟

رد بالم تجلى في مقلتيه البنيتين، ذواتا النظرة الصارمة:

فور قرارنا بالعودة إلى الوطن، قررت البحث عنكما
وإعادتكما إلي، فأحضرت كل شيء يتعلق بنا، بأسرتنا الصغيرة
فأنا لم أسمح بأن يمس أحد غرفتك بكل ما فيها ولا غرفتي مع

والدتك وكنت أقضي ليال كثيرة بين جدرانها هناك ثم هنا
أحرق بصوركما وأعبث بأشياءكما لأشعر بأنكما ما زلتما معي
صمت فعقت والصدمة لا تفارقها :

-لكنك لم تبحث عنا، ولم تسأل ولا لمرة واحدة .

تدحرجت الدموع مدارا على وجهها وهي تكمل بلوعة :

-انتظرتك وانتظرتك لتأتي، لم أصدق بأنك سترضى بانفصالنا
عنا، فتأملت بحثك عنا لتكتشف حياة سمرا وتكون نقطة
لصالحك على أمي، فتجبرنا على العودة إليك لكني انتظرتك
سدى ولم تأت حتى يئست وكففت عن الانتظار، فلماذا لم
تأت؟ لماذا؟

انتقلت إليه صدمتها لم يتوقع ما قالته البتة، فتقدم إلى أحد الأدرج، فتحه ثم سحب منه دفترًا وأشار به يسألها :

- أليس هذا دفتر مذكراتك؟

قطبت ترتجف بصدمة، فقد تعرفت عليه، دفتر مذكراتها، أنيس صباحها وبداية مراهقتها، تهدل كتفاها بحزن وندم، تفكر بأن له كل الحق، أن لا يسأل عنهما إن حقا قرأ ما كتبه، فهي كانت ساخطة وحاقدة عليه بسبب بروده واهتمامه بالعمل، فصاحت بما فكرت به :

- كل كلمة كتبتها، كان احساسى بها أفضع، أنت أهملتنى ولم تشعرني يوما بالحب، كنت ألحق بك في صغري كي تمن علي بقبلة أو حضن ولا أجدهما منك سوى نادرا، فتوقفت عن ذلك

حين بدأت أكبر، لم أقدر على محاربة شياطيني تجاهك، لماذا
كل ذلك البرود معي؟ فالظاهر أن لك مشاعر وتعرف كي تعبر
عنها، ألم تفعل مع سمرا؟

اشتعلت مقلتهاها بغيرة طفولية، فرد عليها بحزن وقد اقترب
منها:

-لن أبرر لنفسي، فأنا بالفعل أخطأت معك ومهما كانت
أسبابي فذلك لا يبرر إهمالي لك وعدم أخذك بحضني كل
صباح ومساء حتى صهيب اتخذ طريقك، فتجاهلت الأمر كما
تعودت الفعل، لم أعلم ماذا يفوتني حتى حضنتني سمرا حينها
علمت بأنني بالفعل كنت غيبا وتنازلت عن أموراً كبيرة ومهمة
جدا بسبب استنتاجاتي الخاطئة! واكتشفت أيضا أن قراري

بالابتعاد عنك وعن والدتك كي تنعما بالراحة والسكون بعيدا
عن الرجل الذي تحقدان عليه وتعتبرانه سببا في عذابكما قرارا
خاطئا بالمرّة.

أمسك ذراعيها بكفيه، يردف بشجن :

- كان يجب أن أبحث عنكما وأعيدكما بالإجبار وأضمك بين
ثنايا صدري بكل قوة لأشعر بالسكينة والحنان الذين لم
أتلقاهما يوما من والدي الذي هاجر بعد وفاة والدتي وتركنا
تحت رحمة جدي القناص، الجندي الصلب !

رفع كفه ليلمس وجنتها المحمرة بكاء، يضيف :

-لستِ الوحيدة المفتقرة إلى المشاعر يا لبنى، بل أنا أكثر منك
وهذا ما فعلته سمر! لأشعر بعِظم ما يفوتني... لذا...

فتح ذراعيه على طولهما، يكمل بأنفاس لاهثة :

-هل نبدأ صفحة جديدة؟ وتقبلين بوالد معطوب، يأخذ منك
في كل ما يمنحه لك! هل تقبليني يا لبنى؟ يا بكرיתי!

تسمرت تحديق في ذراعيه المبسوطين طلبا لها، ذاك الحضن
الذي لطالما تمنته ينتظرها! يطلبها! أسدلت جفניה بتعب تلقي
بنفسها في حضنه وهي تهتف بحرقة :

-أبي، أبي أنا أقبل، أبي!

بيت العم سعيد

تحركان رأسيهما بالتوازي إلى كلا الجهتين بينما تتبعان
خطوات سلوى الحادة تزرع أرض الغرفة الصغيرة ذهابا وإيابا
وتتأفف كل حين ويبدو أن كيل مروة قد فاض لأنها قامت تقف
بوجهها، قائلة بضجر:

-سلوى، أقسم إن لم تجلسي حالا وترحمي عنقي وعنق
المسكينة، ليكونن لي تصرف معك لن يعجبك البته !
ضمت يديها إلى صدرها، تجيب بضيق :

-وأنت ما دخلك؟ لن تشعري بي، فأنت لست حبيسة بيتك
ومكبلة الأطراف.

قالتها بزمجرة، فردت مروة بحاجب مرفوع :

-لستُ من تهور وادعى القوة والبأس الشديد، أم تراك نسيتِ

نصحي لك كل ليلة؟ وهذان السريران يشهدان .

ابتسمت سعيدة تراقب شجار الأختين المرح مهما بدا مغيظا

وسلوى تجيب بحزن :

-أنت محقة، لقد تهورت وأصبت بالأنانية لكني تلقيت درسا

صعبا وفهمت، والآن أريد إصلاح ما أفسدته ولا استطيع، فأنا

محبوسة .

لم تكذ تنهي جملتها حتى دخلت عليهن سيدة، تخبرهن :

-والدكما يخبركما بأن تجهزا نفسيكما، فبنفسج دعتنا على العشاء .

انتفضت تمسك ذراعي والدتها مجفلة إياها، تهتف :

-بنفسج دعتنا؟

ردت سيدة بقلق:

-بلى و هل أمزح في هذه الأمور؟

ثم نظرت إلى سعيدة، تقول بحنو:

-وأنت أيضا مدعوة يا سعيدة، جهزي نفسك .

ضحكت من فعلة سلوى الشقية حين خطفت قبلة من وجنة والدتها، فهي تعودت شقاوتها، ولم تعلم بأن ذلك الطبع فيها

غاب لمدة خلف العجرفة، ليعود بقوة بعد الصدمة ومرارة
الفقد أما هي فتخطو نحو الخزانة بسرور، تهمس بهجة
مضحكة : -شكرا يا بنفسج، أحبك يا بنفسج .

بيت سمير

اجتمع أفراد العائلة بمناسبة العقيقة، احتفالا بالمولود الجديد،
أهل شاهي وأسماء برفقة مفيد وصغيريهما، فتحاول الهروب
من مواجهة الجددين، لا تريد إفساد سعادتها بالصغير وسلامة
أمها : -لماذا تختبئين؟

ابتسمت على اثر نبرة مفيد الحنونة، تعلم بأنه لا يمرر مناسبة دون أن يمارس عليها مهنته وهي في الحقيقة ممتنة له، فهو كان دليلها في الكثير من التخبطات النفسية، ردت عليه محرجة :

- كنت أبحث عن أمر ما.

رد عليها متفحفا المكان الضيق الذي حشرت به نفسها تدعي الترتيب : - لا أظن بأن أحدا يريد معطفه الآن، فيبدوا أن الجميع منسجمون ولا ينوون المغادرة قريبا أم أن هذا الدولاب يحوي أمورا أخرى غير المعاطف؟

خرجت بسرعة تقفل باب الخزانة بارتباك ثم ردت بضحكة مدعية : - أضحيت أنسى كثيرا، سأذهب لأمي قد تحتاجني، عن إذتك !

حافظ على ابتسامته الجانبية الساحرة لأسماء التي انحسرت
خطواتها في الردهة حيث الخزانة الأنيقة الحائطية والمخصصة
للمعاطف، والأحذية، تسأله بـرجاء : -هل أخبرتك بشيء؟
أوماً مفيد نفيًا يطمئنها :

-ليست مستعدة بعد، دعيتها تأت إلي باختيارها .

هزت رأسها باستسلام، تدعو ربها أن يرزق أسرة شقيقها
السكينة والأمان.

أما أمل فما إن تقدمت خطوة نحو مدخل غرفة والديها دفعتها
والدة شاهي فارتد جسدها بينما تشهق رعباً لولا ناصر الذي
أمسك بكتفيها في آخر لحظة وقد أتى يبحث عن عمه وزوجته

مع صاحب البيت وشاهي ليودعهم قبل رحيله ليتفاجأ
بالوضع، فهتف حين استردت أمل توازنها تبتعد عنه محرجة
يغمرها الخجل والحزن :

- ما هذا الذي تفعلينه؟ هل جنت؟

جذب هتافه انتباه مفيد وأسماء مع بيان الخارجة من غرفة
شاهيناز، فردت باحتقار لم تستطع لجم نفسها والطمع يطفو
عبر حنجرتها يكاد يخنقها خنقا مميتا :

- أيتها المحتمالة الصغيرة! هذا هدفك إذن!

تكومت أمل على نفسها خوفا والأخرى، تستطرد بحقد :

-ضحكت على ابنتي البلهاء وزوجها الأبله منها ليكتبا لك
 حصة من ثروتهما، هذه كانت خطتك، قدموا لك مأوى
 يحميك من التشرد، تأكلين وتشربين وتصرفين من أموالهما
 كما تشائين لكنك لا تكتفين، وتسعين لتأمين مستقبلك أيضا !
 شخصت أعينهم حتى أمل بينما هي تكمل بلا رحمة :

-ابتعدي عنهما! فقد حظيا بأسرة وأبناء من صلبهما، لىسا في
 حاجة لمتشردة مثلك، تخدعهما لتسرقهما .

ما تزال مسترسلة بكبر و صلف، لا تمنح أحدا فرصة للتحدث :
 -لن تكوني ابنتهما مهما فعلت، لأنك لست من صلبيهما ولن
 تكوني أبدا، عكس دعاء والصغير، لن تبلغى مكانتهما أبدا، فلا

تنتقمي منهما بأخذ ما هو لهما وملكهما، فأنت كنت وستبقين

.... لقيطة!

-ماذا تقولين؟

زعزع صوته جدران البيت وقد لحق بآخر حديثها، فانتفض

الجميع حتى ناصر وبدأ الصغار بالبكاء خوفاً، اسودت ملامح

والدة شاهي حين لمحتة، يعود إليها إدراكها لما تفوهت به، فلم

تتحكم بنفسها وهي تقرأ أوراقا في درج منضدة، فتحتة صدفة

تبحث عن دواء شاهي حيث لفت انتباهها اسم أمل وملكة،

فسمحت لنفسها بمطالعتها ثم خرجت بسرعة لتبلغ زوجها

لكنها اصطدمت بها فحدث الانفجار : -غادري من فضلك!

صدمت تهتف بتقطع بينما تمسك بعنقها الطويل النحيف :

-ت....طر، تطردني...أنا حماتك من أجل...ه...هذه!

كانت بيان قد جاورت أمل، تضمها، تشعر بها ككيس اسمنت جامد لا حياة فيه وناصر يعقب بغضب أسود، يرى نفسه في تلك الصغيرة الجامدة والشاحبة كالأموات :

-احمدي ربك على أنه طردك فقط، لو كنت مكانه لفصلت رأسك عن جسدك يا سيدة المجتمع الراقي !

تلاحقت أنفاسها جزعا لكنها ثبتت تقول بكبرياء متعجرف وهي ترفع وجهها بأنفة : -هذا بيت ابنتي ولا أحد سيخرجني منه وبالتأكيد ليس متشردة مثلها .

تجمعت الأنظار حول شاهي الواقفة خلفها تماما، فردت
شاهي بملامح فارغة من أي مشاعر:

- هذا ليس بيتي، بل بيت زوجي بمن فيه .

فالتفت أمها إليها تصيح بسخط لا تصدق ما يحدث وهي التي
تسعي للحفاظ علي مصالحها ومصالح ولديها:

- أنت أيضا تبعين أمك من أجل ... ل....

ظهر الغضب علي قسماات وجه شاهي تمنعها من الاسترسال:

- أمي أرجوك لا تعيديها!

نظرت إليهم واحدا واحدا تتشنج من الغضب، قبل أن تضرب
الأرض بكعب حذائها وتخرج بعجرفتها تسبق زوجها الذي

لحق بها كأنها لم تدمر نفسية إنسان بريء لا شأن له في أصله
والذي بالمناسبة هو معروف، فأمل و إن كان انعدام النسب
ليس بذنب يتحملة من ابتلي به، هي يتيمة معروفة الأهل .

اقتربت منها شاهي، تضم كتفيها بقبضتها تخاطبها بحنو
ورجاء : -حبيبي لا تكثرني لما تفوهت به، فهي لا يهمها
سوى المال وأنت تعرفين ذلك جيدا، أنت ابنتي أنا ولا أحد
يستطيع إبعادك عني، لا أحد !

ارتعدت مقلتها تغيمان بتعبير مؤلم ثم تفحصت ملامح شاهي
الملبدة بالم يعكس آلامها كالمرآة قبل أن تستأذن بثبات واهم :
-أنا أعرف، عن اذنكم، أشعر بالنعاس .

آوت إلى غرفتها، فالتفت شاهي إلى سمير ترمقه باستجداء
فخطا نحوها ليضمها إليه تبكي على صدره حينها تدخل مفيد
بهدوء يعلم الله كيف حافظ عليه أمام أحد أفضع المواقف التي
شاهدها بحياته : - لا تركوها لحالها كثيرا، اجتمعوا حولها و
ثرثروا فوق رأسها، لا تدعوها لوساوس الوحدة، إنها صعبة
وقد لا تتحملها .

قرر الجميع المغادرة يصاحبهم الحزن وقد كدّرت فرحتهم
بالصغير، فودعتهم شاهي ثم انسحبت لتطل عليها تاركة مهمة
مرافقتهم إلى الباب لسمير الذي يشعر برغبة قاتلة في ضرب أي
شيء لكنهم لم يبلغوا البوابة الخارجية للمنزل حتى اهتز كما
فعل الجميع حين صاحت شاهي برعب وقد ركضت إليهم

بقدمين واهنتين : -سمير! أمل ليست في البيت، نافذة غرفتها
مفتوحة، أظنها هربت من هناك، سمير..... أمل!

الفصل الثاني والثلاثون

{لولا العلماء لكان الناس كالبهائم، إن هذه الفتنة إذا أقبلت
عرفها كلّ عالم، وإذا أدبرت عرفها كلّ جاهل....الحسن
البصري.}

*منزل القناص *

تسترق سمرا النظر بوجوم نحو المراقب لها بنفس وجومها
بينما تضمها عمتها فريدة المستغرقة بالحديث مع حليلة التي
قالت أخيرا بقلق تتململ :

-تأخرت لبنى كثيرا ويجب علينا المضي قدما .

ردت عليها فريدة بلطف :

- لا تقلقي، سمرا قالت بأنها مع والدها.

- وهذا ما يقلقني .

علقت حليلة فلمست فريدة كفها، تطمئننا بمودة لطالما
جمعتها قبل أن يفرق بينهما تقلبات الزمن:

-دعيهما يتفاهمان، كفانا خصاما وجفاء، دعي مشاكلنا بيننا
نحن الكبار، يكفي ما نال الصغار منها، لندعهم يغنمون ببعض
السعادة التي حررنا منها بحمقنا .

هزت رأسها بتفهم تمنى لابنتها السكون إلى والدها، فالصفحة
كانت قاسية والغباء ليس من شيمها حتى لا تفتح عينيها على
أخطاءها مع حبيتي قلبها :

- الأمر أننا تأخرنا .

ابتسمت تجيبها بسرور وهما على الطريقة المعبدة وسط
الحديقة بين المدخلين الخارجي والداخلي :

- لا مشكلة، محمد سيقلكن .

قلبت سمرا شفيتها بعبوس طفولي عند ذكر اسمه تستغرب
صياحه الغاضب عليها.

لمحن لبني قادمة إليهن متأبطة ذراع والدها مبتهجة كما لم
تكن يوما، فنظرت فريدة الى ملامح حليلة المندهشة
وابتسمت، تهمس لها برجاء :

- أتوسل إليك، دعي الصغار خارج حماقاتنا.

ودعوهم بعد أن اتفق فؤاد مع ابنتيه على موعد للقاء فضله
بمنزلهن، يرمي والدتهما بنظرات كانت يوما ما تأتيه بنتائج
مرضية بخلاف الحاضر، فحليمة لم تعد تلك الفتاة الحاملة
التي تستسلم لمجرد نظرات يخصصها بها وكانت رحلة إيصالهم
كعذاب لمحمد، المتفقد للمرأة كل حين يلوم غيابها كلما
لمحها تربع يديها على صدرها تشدهما بقوة وتعبس بحنق
ويبدوا أن والدتها لاحظت حالتها على عكس لبنى الباسمة
ببلاهة :

- سمر لماذا أنت عابسة هكذا؟

نظرت إلى والدتها تجيب بحنق استغربته الأخيرة:

- هناك أناس يصيحون دون سبب، لا أعلم لماذا هم غاضبون؟

قطبت والدتها تفكر بقولها ومحمد يراقب طريقه مبتسما
بحزن، يفكر أنها شفاقة بشكل على قدر جماله وصفاءه على
قدر صعوبته لكونه غير لائق ولا يجوز لفتاة التعامل به مع
رجال أجنبيين عنها، تدخلت لبنى بعد أن تذكرت شيئاً كدر
مزاجها الرائق :

-بلى، تلك الحية، سمعتها حين صاحت بوجهك، لولا تدخل
أبي لكنت أريتها مقامها .

عقت والدتها بجزع وغضب:

-هل تعرضت لك؟ أخبريني!

أومات نفا تجيب بمهادنه تخشى شجارا جديدا بين والديها
فتحرم منه :

-لقد كانت محقة، تصرفت بحمق .

تحدثت لبني بعبوس ناغم :

-لا تبرري لها، وكفي عن سذاجتك :

قالت تفسر وقد أرخت ذراعيها :

-لا أدافع عنها أنا فقط أشفق عليها .

رمقوها بغرابة حتى محمد أصغى باهتمام، وحليمة تسأل
بفضول :

-لماذا يا ابنتي؟

فنظرت إليها قبل أن تميل برأسها ترخيه على صدرها، تجيبه
بصدق :

- لاحظت أن صهيب ليس مقربا من أمه وابنتها التي عادت اليوم
تشاجرت معها، إنه لشيء بشع أن لا يحب الأبناء والدتهم، أنا
أشفق عليها .

ضمتها حليلة ومقلتها تدمعان بينما تهمس لها ولبنى تتأثر
بحديثها كالذي شعر بقلبه يتضخم و يتضخم يوشك على
الإنفجار :

- بلى يا ابنتي، إنه لأمر بشع .

اجتماع مغلق

ألقى جمال بالأوراق، يهتف بغضب تجلى بملامحه الخشنة
وهم جلوس حول طاولة الاجتماع :

-ثلاثة قنابل مفقودة! هل تعلمون ماذا يعني ذلك؟ إنه الهول،
إذا انفجرت واحدة فقط، واحدة سينتشر الهلع والكثير، الكثير
من الضحايا، أنا لا أصدق كيف تكتشفون العملية من مجرد
صدفة! أين الخطة المحكمة والمراقبون؟ هذا غير معقول!
رفع الوزير كفه يهدئ من روع جمال، فهو مثله يشتاط غضبا
كما يثقل عليه عبئ الضغوطات من كل جانب :

-اهدأ يا جمال، سنجد حلا بإذن الله .

تدخل ليث يقول بحزم :

-أظن يا سيدي أنه حان موعد التحرك.

قطب الوزير بفضول، يجيبه :

-ماذا تقترحون؟

رد جمال بجدية وعزم:

-نغير على كل الوحدات المراقبة في وقت واحد، عمليات

مداهمة واسعة، كل ما لدينا من أدلة يجب أن يظهر للعلن،

نزعزعتهم فيخطئون، حينها سننتزع منهم مكان القنابل الثلاثة

الباقية .

أمال مصطفى رأسه يفكر، فتدخل ليث مناصرا :

-الهجوم يا سيدي خير وسيلة للدفاع بتوفيق من الله ثم خطة محكمة ورجال ثقة وكل شيء سيكون بخير.

تحدث مصطفى بعد برهة تفقد بها وجوه باقي أفراد الاجتماع
الموافقين :

-غدا بإذن الله، يستدعى كل عنصر أمني من الفرق المطلوبة،
أريد خطة محكمة وتنسيق بدون ثغرات من كل الجوانب،
أريدها غدا مساء إن شاء الله على طاولة اجتماعي برأس هرم
النظام .

انفض الاجتماع، فسأل مصطفى جمال :

-كيف حال عائلتك يا جمال؟

رد بمرح لم يفلح في تلبسه بالكامل، فالتهديد الأمني لم يترك لهم مجالاً للفرح أو المرح :

-أختي الصغرى تزوجت وأضحى لها أسرة و حياة .

منعه عن النهوض عن كرسيه، يسأله باهتمام عن أسرة أحد أفراد الأمن المقربين منه، توفي أثناء أداء واجبه :

-وماذا عن أرملة شقيقك، تغمده الله برحمته .

تأكد مصطفى من أن جمال لم يتجاوز موت شقيقه بعد، لأنه حدث بنبرة يائسة:

-تسكن بيت العائلة تربي أبنائها وتؤنس وحدة أختي الكبرى وأنا أطل عليهم كلما سمح لي عملي .

هز رأسه، يسأله بغموض غلغه بمرح :

-ومتى ستتزوج أنت يا بطل؟

رد عليه ببسمة هادئة:

-بعد موت والدتي رحمها الله استلمت أختي معها أرملة أخي

مهمة الإلحاح علي علي فكرة .

ربت علي كتفه يقول باهتمام :

-جمال أنت تعديت منتصف الثلاثين، والعمر يطير .

ابتسم ساخرا يجيبه والحزن يسكن عينه نافذتي قلبه :

-وهل مثلي يتزوج؟ ألا يكفي أخي الذي ترك خلفه فتاة في

مقبل العمر مع ثلاثة أولاد في ذمتها، لقد اخترت الوطن وحماية

الناس من القنابل والهلع، لا ينال المرء كل شيء يا معالي
الوزير .

ضم مصطفى شفتيه ألما من أجله ثم قال :

-ابنتي ورد تقول دائما، يا أبي الموت ليس له أسباب .

أوما تفهما، فاستطرد مصطفى:

-مهنك ومهنة شقيقك رحمة الله عليه لا علاقة لها بموته ولن
تكون لها علاقة بموتك بعد عمر طويل إن شاء الله، الأجل، الله
يقرره وقد تعرض نفسك للخطر كل يوم دون أن يمسك خدش
ثم يسترجع الله أمانته وأنت نائم، أجل شقيقك كان مقدرًا منذ
الأزل كما جميعنا وحضره في وقت عمله، ولو لم يمت وهو

يفكك قبلة ذلك اليوم لمات في نفس اللحظة سواء على مكتبه
أو نائم، آمن بالله وتوكل عليه، تزوج وكون أسرة تستمتع بها،
إنه حقك الذي شرعه الله لك .

هز رأسه بتفهم ثم قال، يحاول الفرار من الموضوع المؤلم له :
-أرى بأنك مصر على تزويجي، هل وجدت لي عروسا أم
ماذا؟

-ابتسم يرد عليه : -بلى، ومناسبة لك جدا هي تحتاج للاحتواء
وأنت تحتاج إلى التفهم والاستقرار، لذا أجل، أنتما مناسبان
لبعضكما .

تحركت عضلة قلبه يتذكر حبة الطماطم الناضجة، لا يعلم

لماذا بينما يسأل بحيرة : -من؟

رد بغموض:

-فكر جديا، وإن قررت، سأخبرك من تكون؟ لكن حاول عدم

التأخر؛ لا أحب أن يفوز بها غيرك، ستكون خسارة كبيرة .

شيء ما يؤكد له بأنها هي، حماس ما أشعل صدره لكنه

سيؤجله، حاليا هدف واحد يملأ رأسه عن آخره، إيجاد

القنابل .

بيت صوان

-السلام عليكمالسلام عليكم.

اقترب منها باسمها ومتفائلا من تحسنها اليومي الطفيف، منذ أن بدأت بالصلاة وقراءة القرآن مع أنها تفضل الإنصات إليه وهو يرتله أكثر. فاجأته بالتزامها بمواقيت الصلاة وحين يصلي في الليل يجدها خلفه تصلي معه وحين يتمكن منها الوهن تجلس أرضا وتنصت لتلاوته،

أربعة أيام بدئ له فيها الفرق وما يزال الوقت طويلا كي تبرهن على تباتها وعزيمتها في التغيير، رق قلبه لها رأفة فقد نحفت أكثر من السابق كما وهن صوتها وارتعش .

رفعت يديها تدعو، فحافظ على هدوءه احتراماً لها حتى

انتهت، فأمن على دعائها بهدوء : -أمين يا رب العالمين .

نظرت إليه مبتسمة والشحوب لا يفارق محياها :

-متى أتيت؟....لم أشعر بك .

قام و ساعدها لتقف بدورها بينما يجيبها .

-كنت أحضر العشاء، تعالي معي .

ردت بخجل : -أسفة، لا أستطيع الطبخ ولا أعرف كيف !

نظر إليها وكفه على مكان الجرح في رأسه، يقول بسمه شقية لا

تليق بفكه القاسي : -لقد علمت ذلك بأصعب الطرق .

قطبت جبينها بذنب، تغطي فمها بكفها، فاستطرد :

- جرحي يلتئم، لا تقلقي، فقط لا تعيديها .

أومأت، تجيبه بخفوت واجم:- آسفة لم أضرب أحدا من قبل .

سحبها على مهل تجاه المائدة بجانب النافورة

- لا داعي للأسف، تفضلي معي لتأكلي .

جلست وجلس قبالتها يكشف عن الأطباق، فضمت تقاسيم

وجهها اشمئزا، ليحذرها بنبرة لطيفة :

- يجب أن تأكلي، أرى بأن المقويات لا تساعد في شيء .

قالت بتعب حزين، لا يظهر من رداء الصلاة إلا وجهها وكفيها،

وكم ساعد لون الوشاح الغامق، بإبراز الشحوب على وجهها

النحيف حتى برزت عظمتي أعلى وجنتيها :

-تعبت من الأكل ثم استفراغه باستمرار.

أجابها لائما :

-هذا لأنك في الأصل نحيفة جدا لذا يغلبك التعب بسهولة.

هزت رسها مؤكدة، فتابع بمكر وهو يلتقط الخبز ويقطع منه :

-لا أعلم ماذا يعجبكن في النحافة؟ تصبحن كأيدي المقشات .

فتحت فمها بدهشة مستنكرة، فدس قطعة خبز صغيرة محشوة

بجبن و عسل النحل داخله .

ثم أردف ليصرف انتباهها عن شعورها بالقرف :

-طبعا، كومة عظام مغلفة باللحم، لا جمال في ذلك .

بلعت ما بفمها، ترد بدفاع وقد اشتعلت دليلة كما يعرفها رغم

تعبها : -ماذا تقول؟ اسمها الرشاقة .

دس قطعة أخرى فلاكتها بسرعة تبلعها كي تتحدث :

-الوزن المثالي للمقاييس الصحية .

عقب معترضا وقد راقى له لعبة استفزازها وإطعامها بيده كما

يسعده تقبلها للطعام منه :

-أي صحة؟! أنتن حتى لا تأكلن شيئا، تحيين على حساب

السرعات الحرارية فأى صحة بالله عليك !

اتسعت بسمته برضا وهي تدافع عن مبادئها وبين كل جملة

وأخرى يدس الطعام في فمها .

بيت أسد

فتح الباب وطلب منها الانتظار ليتأكد من وجود والدته، وصاح

ينادي : -أمي ! أنت هنا؟

أسرعت تلبي، فهي ليست معتادة على مناداته لها عند الباب،

قبل رأسها ثم قال وهو يشير لها بالدخول :

-أمي ... أحضرت معي ضيفة .

تأملت صفة الفتاة بملامح مبهوتة بتلك القامة الضئيلة التي

تجمع ما بين الحسن الشرقي والبياض الغربي، بفستان محلي

الصنع مطرز بالذهبي أسود الطويل، يغطي سائر جسدها

كسواد خصلاتها القصيرة فيبرز أكثر بياض بشرتها.

اقتربت منها أور تهز رأسها بالتحية وأسد يردف :

-الآنسة أور، شريكتي في العمل .

هتفت والدته بصدمة : -هذه الفتاة ضابط؟

ابتسمت أور وأسد يجيب بمرح هو الآخر يحاول إخفاء توتره :

-لا أمي، هي شريكتي بمهمتي الحالية .

قطبت بجهل، فتدخلت أور بينما تطالع ساعتها الذهبية حول

رسغها :

-سنشرح لك لا حقا، لو سمحت سيدتي هلا أتيت برفقتنا،

يجب أن نسرع كي نلحق بالعشاء .

أضحت ملامحهما متشابهة، حائرين، فتابعت تقصد أسد :

-ثق بي، أريد منكما مرافقتي إلى مكان ما، لن تندما صدقاني .

التفت أسد إلى والدته، يرميها بنظرة تساؤل، فقالت ترفع

حاجبيها بفضول به حماس خفي تفهمه أسد وأذاع الدعابة

بصدره.

-لنذهب ابني، سأرتدي عباةتي .

همت بالذهاب لكنها تراجعت، تتساءل بينما تتأمل فستانها

بحيرة: -هل أرتدي شيئاً معيناً؟

فوجئ أسد وأور ترد عليها بلطف :

-كما تشائين سيدتي، كوني على راحتك .

انصرفت، فسألها أسد بقلق : -أور، أخبريني ما الموضوع؟

ردت بضجر مرح:

-يا الهي أنت فعلا شرطي.

أوماً بيأس والفضول مع القلق إزاء ما لا يعرفه يكاد يفتك به
و حين غادروا تعرفت على والدته في السيارة، فشعرت بالألفة
معها، إنسانة كثيرة الطرائف والمرح في حديثها ولم تستغرب
أور ذهولها حين معرفة هويتها ومستواها المادي والاجتماعي
كما لم تستغرب تردددها وخرجها، فاستحضرت أور بساطتها
لتجذب ودها وقد نجحت بسهولة لأن السيدة حقا تملك
شخصية محبوبة.

أشارت له إلى فندق يعد من أكبر فنادق البلاد حيث أوقف أسد
السيارة في المرأب الخاص، فتحت الباب وأمسكت كف صفية
لتساعدها على الخروج بتلقائية، فابتسمت لها تقول بمرح :
-شكرا يا ابنتي، يبدو أنني هرمت .

ظل أسد يستغرب حال أور، يفكر بأنه قد يكون حقا لا يعرفها
أو الخيار الأقرب أنها تمثل .

هاتف أحد ما ثم طلبت منهما مرافقتها و صفية تتأمل بانبهار
شكل الفندق، وساعة مساحته، حداثة معماره وديكوراته،
تغمرها الريبة ولم تكن الوحيدة بل أسد أيضا لكن ليس من
فخامته بل من مغزى قدومهم إلى ذلك المكان .

استقبلتهم امرأة ستينية وقورة وراقية بملبسها المحتشم، تبسم
 ما إن لمحت أور التي تلقت ضمتها برحابة، ثم عرفتهم إلى
 بعضهم قبل أن تدعوهم إلى قاعة المطعم الرئيسي للفندق.
 كان استقبالها حافل وهي تدعوهم للجلوس إلى إحدى الموائد
 الدائرية المنتشرة بالقاعة:

-تفضلوا من فضلكم، فأوركيدا مرحب بها وبضيوفها.

اتسعت ابتسامة أور، فاستغرب أسد يهمس لها بعبوس
 متسائل : -لقد نادتك بأوركيدا .

لم تلتفت إليه، تجيب بنبرة عالية لتسمعها السيدة :

-هي الوحيدة التي لا أمانع إن نادتنى بذلك الإسم .

شعرت صفية بالخجل، تقول لأور بعتاب :

-سامحك الله يا ابنتي، لماذا لم تخبريني بفخامة المكان،
لأرتدي شيئاً يليق به .

همت بالرد فسبقتها السيدة الأخرى تجيب بمودة :

-لماذا سيدتي؟ على فكرة أنا أحب العباءات المحلية الصنع
بشدة ولا أرتدي غيرها لكن ولدي جلب لي هذا المعطف من
تركيا، فلم أستطع سوى ارتدائه من أجله، لم أنجب سواه وهو
كثير السفر من أجل الأعمال

ثم مالت على صفية، تستطرد بمرح :

- ما إن يسافر في حفظ الله سأنزعه عني مباشرة، لا أجد راحتي
سوى في عباءة تقليدية .

ضحكت صفية لمرحها وقد ارتاحت بصحبتها وما هي إلا
لحظات وانضم إليهم ابنها مع زوجته وطفليه، اتسمت الجلسة
بالظرافة واللفظ مندمجين بالحديث عن أحوال البلاد وعن
الهجرة.

فكرت أور بأنه حان وقت هدفها من احضارهما، فنظرت إلى
أسد تحكي له :

- تعرفت على السيدة خديجة الوالي في بلدي المنشأ، كنت
أبحث عن عمل حتى أتمكن من متابعة دراستي، فالمنحة
بالكاد كانت تغطي تكاليفها .

ثم مدت كفها تربت على كف السيدة برقة صدمت أسد، فيتأكد
لديه إحساس كونه لا يعرف عنها شيئاً :

- كنت قد يئست من معاملة الناس الباردة، لا أحد يرحمك أو
يقدم لك يد المساعدة الا بمقابل، فجلست على الرصيف
لأريح قدمي، فجأة وقفت سيدة على رأسي، تسألني إن كنت
بخير! استغربت سؤالها فالجميع كان يمر أمامي كأنني وهم ثم
أعدت سؤالها فقلت لا تحرك من مكاني ذاك أرطن بسخط عن
عدم إيجادي عملاً، استوقفني تسأل بنفس طريقتها المراعية
عن العمل الذي أبحث عنه، فقررت إخبارها بظروفي يائسة لأي
عمل مهما كان، أعطني بطاقتها تخبرني بأن لديها مطعماً

وبإمكاني غسل الأواني به مساء بعد دوام جامعتي، كانت طوقا
 نجاة لي، عاملتني برأفة لم أرها من قبل .
 صمتت، فعقبت السيدة خديجة بإشفاق:

-لكنك ظللت منظوية، دائمة الحزن والغضب تبدين متغيرة
 كثيرا، ألم أخبرك يوما بأن أفضل علاج لك هو الوطن، وقد
 صدق حدسي والله الحمد .

نظرت إلى أسد بشكل آلي ثم تهربت بسرعة حين لمحت
 اللمعة العابرة بصفحة مقلتيه، لمعة خطفت أنفاسها ولفتت
 انتباه الكبيرتين بالسن والحكمة، إحداهما تجاوزت الأمر
 لتسأل بحيرة: -كنت تغسلين الأواني بمطعم؟ لكنك ثرية
 حسب قولك وأسد.

طرفت بعينها نحوه مجددا قبل أن تفسر لها :

-لم أكن قد تسلمت إرثي بعد يا سيدتي .

رفعت صفة حاجبها استغرابا، فتدخل ابن السيدة خديجة،
يعلق بفخر:

-وما المشكلة بغسل الأواني سيدتي؟ عمل شريف، أمي
عملت لدى عائلات أوروبية، كافحت لتعلمني وتضعني على
أول الطريق والحمد لله، بفضل الله ثم أمي أصبحت ما أنا عليه
وهذا الفندق شاهد على ذلك .

فهم أسد أخيرا، فرمقها بامتنان أطاح بصوابها وعبث بدقات
قلبها حتى لمعت مقلتيها بالدموع لا تصدق بأنها نالت منه

تقديرا إيجابيا مهما كان نوعه بينما الدهشة والبهوت لا يفارقان

صفية تهتف بعدن تصديق : - هذا الفندق لكم؟

أوماً بفخر، فقالت السيدة خديجة ببسمة جميلة وهي ترتب

طرفي وشاحها :

- كان زوجي من المهاجرين، تزوجت منه ولحقت به ولأننا

استقرينا بالعاصمة هناك عانينا من غلاء المعيشة ولم أكن

صاحبة شواهد دراسية، فأنا بالكاد أتممت الابتدائية لذا لم يكن

أمامي سوى خدمة البيوت لذا عملت بمنازل عدة، عملا حلالا

يكفيننا به الله السعي والتدلل لأحد والعيش بكرامة فلم لا؟! !

ثم نظرت إلى ولدها، مبتسمة تردف بحنو وحب :

- كل شيء يهون من أجله وربى الكريم كان عند حسن ظني به،
كبر ولدي ليصبح رجلا وابنا صالحا، رضي الله عليه وحفظه لي
من كل شر.

قام ابنها من مكانه متأثرا وقبل يدها كما رأسها، يجيبها بحب :
- وحفظك الله لي يا أمي .

لم تتمالك صفة نفسها فدمعت عيناها كما دمعت عينا كنة
السيدة خديجة التي لم تنطق بعد بحرف تنصت فقط وبتأثر،
أما أور فتناولت كأس الماء كي تتمالك إحساسها الجارف
وبعد برهة تحدثت أور كي تكمل خطتها تقصد صفة
المذهولة من الأمر برمته :

- على فكرة سيدتي، أنا لم أعرفك إلى كنة السيدة خديجة بعد .

كأنها الآن تذكرت وجود المرأة، فتأملتها بعين غير التي رمقتها

بها قبلا، تنتظر أور التي استطردت :

-السيدة وفاء النعيم، تعرفين عائلة النعيم؟

حينها تدخل أسد ينهي خطتها الماكرة كالبسة التي رسمها

على ثغره : - طبعاً، صاحب مجموعة النعيم الكترولنيكس، ترى

ماذا يقربك السيد عبد القادر النعيم؟

أجابته وفاء برسمة محترمة، مظهرها لا ينم عن بذخ أو ثراء بل

كلهم في الحقيقة أصحاب أخلاق عالية، لا يعتبرون المال

واجهه أو عنوانا لهوية الشخص بل هي الأخلاق والمعاملة
الحسنة.

-يكون والدي .

فقال بإعجاب زخرت به نبرته : -تشرفت سيدتي .

ثم شملهم بنظرة يضيف : -بل تشرفت بكم جميعا، في الحقيقة
يا سيدة خديجة لم تكوني الوحيدة التي كافحت وعملت
كخادمة لتربي وحيدها وتجعل منه رجلا مسؤولا .

أمسك يد صفية يربت عليها قبل أن يقبل ظهره، يردف بفخر :

-أمي أيضا جاهدت وكدت بالعمل كي نعيش بكرامة، لطالما
كانت بطلتي والمرأة الخارقة بعيني وأنا فخور بها .

سحبته تقبل جانب وجهه، تهمس له بتسلية أعلمته بأنها قد
عادت الى طبيعتها وكم أراح ذلك قلبه وأنعش روحه :
-أيها الماكر، يا حبيب قلب أمك .

مرت باقى الجلسة على نفس منوال حديث الود المتبادل بينهم،
وعندما عادا إلى شقة أسد دعته والدته لتقضي معهما بعض
الوقت لكن أور اعتذرت بلطف ووعدتها بزيارتها قريبا.
ما إن انطلق بالسيارة حتى قال بصدق دون أن ينظر إليها :
-شكرالك .

حدقت بجانب وجهه تهدئ من وجيب قلبها الهادر وانتظر
 ردها، فلما يئس التفت إليها ليجدها ترمقه بطريقة التوت لها
 عضلة قلبه حتى ارتجف، فتهرب بالقيادة : -أرجوك توقف.
 طلبت منه فتنفس بعمق قبل أن يوقف السيارة جانبا :
 -أنظر إلي أسد .

كان يعلم بأنه لن يتحمل نظراتها وما ستقوله لكنه التفت رغم
 رجفة قلبه... التفت لبرهة وهي تبلع ريقاها وتعتصر كفيها
 ارتبكا كما تريد قوله، فأخفض بلور النافذة يسمح لهواء الشتاء
 بلفح بشرة وجهه ينتظرها وقلبه يشعره بما سيسمعه منها
 وبلوغة: -أسد أنا أحبك.

*منزل القناص *

- أنا سأستأذن وآسفة على التطفل لكنني اشتقت إلى نزار جدا.

ألقته مرام وهي تستقيم واقفة وتلقفت صغيرها من بيلسان التي

حضنته منذ دخلت الجناح وعرفهما نزار إلى بعضهما ثم

ابتسمت، تسألها : - متى الرحلة؟

رد نزار وهو يضم كتفها :

سيقلنا رضوان، فوجهتنا قريبة، المدينة المجاورة، مدينة

بيلسان المفضلة لن نغيب كثيرا بإذن الله .

وصلوا إلى الباب، فودعتها بيلسان وعادت إلى الغرفة بينما

مرام تميل على صدره، تهمس له بحزن :

-نزار، ما تفعله لا يجوز! لماذا لم تخبرهم؟ خصوصا هي يا
أخي!

ضمها يقبل رأسها ثم رد عليها :

-ثقي بي مرام ثم الأعمار بيد الله، هيا اذهبي لترتاحي ولا
تستلمي لوالدتك، استعيني بالله ولن تخسري .

أغلق الباب وعاد أدراجه يتلمس طريقه داخل غرفته التي أصبح
يشاركها مع حبيبة قلبه وحب عمره.

وقف على بابها، يقول بمرح.

-بيلسانتي بعبير المسك، أستطيع أن أجذك بتبع رائحة
المسك، فتقودني إليك بسهولة .

ابتسمت بحياء تجاور النافذة المطلة على الحديقة، تجيبه
ببسة رائقة :

- أنت الوحيد الذي يشم المسك عن بعد، لو كان الجميع مثلك
لحرم علينا وضعه خارجا كالعطر.

ضحك بهدوء لا يبارح مكانه مجيبا بنفس مزاجها الرائق:

- أنا أشم رائحة المسك الخاص بك فقط بيلسانتي، لو وضعته
أخرى ما اكرث أنفي بأمر من قلبي .

أمالت رأسها متأثرة به ثم قالت :

- مرام... لم أتوقعها بذلك الشكل، إنها ...

صمتت، فاقترب منها يضم كفيها بحنو يكمل عنها ما هي
متحرجة من قوله : -ابنة قائمة وملتزمة !

هزت رأسها بتوتر بينما هو يضع طرحتها جانبا، يتعرف على
شعرها بيديه متتبعا طوله الى نصف ظهرها، يسألها كأنه نسي
أمر مرام : -ما لونه يا ترى؟

نطقت بارتباك : -بني غامق.

تنفس بعمق وضمها يريح رأسه على رأسها، يهمس بهدوء،
يكتنفه شجن يستحضر كل ما مر به بحياته وما يعيشه حاليا،
فيقف عاجزا أمام كرم الخالق، ولأول مرة يشعر بأنانية تتمكن
من قلبه كما لم تفعل، هل يسأل الله المزيد وقد فاجأه بما لم
ينتظره؟ أم يفعل كما أنعم الله عليه يقنع ويحمد الله كثيرا ومن

يعلم؟ قد يمنحه المزيد مجددا، ليس ب *قد* إنما هو الأكيد،

فهو الوعد الإلهي لمن شكر الزيادة:

-الحمد لله أننا صلينا منذ دخولنا، أبقى جوارى بيلسان ولا

تفارقيني، مهما حدث ظلي جوارى ولا تتركي جنبى أبدا، ربما

قد أقتنع ولا يصيبني الجحود .

قطبت بريبة تهم بالابتعاد فضمها لا يسمح لها مؤكدا قوله:

-لا فراق بيلسان، لا فراق! أنا أحبك بيلسانتي .

أمام المركز

- هيا صهيب، غادر الى بيتك لقد قمت بواجبك .

- حسنا السلام عليكم .

راقبه أمين يغادر بينما يخاطب وائل بينما يللمان العبوات

وبقية الأغراض : - رباه! يا صديقي، ماذا حل بالناس؟

هز وائل كتفيه، يجيبه :

تمكن منهم الشيطان فأعمى بصيرتهم، لكن الله بالمرصاد لا

محالة.

- انه الخداع باسم الله، ألا يخشون من يخدعون باسمه؟ إنه الله

جل جلاله، من يتحدى الله!؟

نظر إليه وائل وقد انتهى من تنظيم الأغراض داخل إحدى
خزانات الغرفة التابعة للبنية الملحقة بأساتذة الرياضة، يخبره
بوجوم :

-الحمد الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا .

-الحمد لله... أراك غدا بإذن الله .

صافحه مجيباً بود :

-يجب أن أعود إلى المنطقة الخلفية، فقد تركت بعض
العبوات للطلاب وطلبت منهم تركها هناك، لذا مضطر للعودة،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رد عليه قبل أن يتعد نحو مرأب الثانوية :

-أسرع فالظلام قد حل ، عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

توجه إلى الجهة الخلفية يحث خطواته، فبنفسج أوصته بعدم التأخر عن العشاء العائلي. راودت البسمة المرححة ثغره حين تذكر خطط زهرة ضرغام للإيقاع بنوفل قبل أن يتسمر مكانه يشعر بقدميه لا تطيعانه ليكمل خطواته، لا يصدق ما يراه أمامه.

إنها هي! طبعاً هي، بسرورها الجينز والمعطف الأبيض المنفوخ الطويل، ماذا تفعل هنا؟ وفي هذا الوقت؟ يديها بخاختين، سوداء ورمادية تطلي بها كل رسومها السابقة.

راقبها بصمت، لا تبدو له بحالة طبيعية، تتحرك بهستيرية واضحة وتنهج بقوة، فتمعن في الصورة التي تحاول إبرازها، شوهدت السماء الصافية بغيوم سوداء ورمادية.

ما بها؟ حبس أنفاسه حين عادت خطوة إلى الخلف حيث
تجمدت تتأمل نتائج نيرانها المشتعلة، فألقت العبوتين بحدة
وأمسكت بجانبى رأسها تشهق بحدة ثم جلست على الأرض
الباردة، تبكي بنحيب خافت.

فتحرك نحوها، يتساءل لماذا ينتحب صدره معها وقلبه يعتصر
ألما لحرقتها وهمس بخفوت :
-آنسة أمل .

رفعت وجهها بحدة، فألقت بقلبه في جحيم عذابها، مقلتها
تظهران تحت إنارة العمود حراوين كالدّم، كوجهها ذو
الملامح البائسة. حدقت بصدمة، تهتف بنبرة بكاءة :

-ماذا تفعل هنا؟

-بل ماذا تفعلين أنت هنا وفي هذا الوقت؟

استقامت واقفة بتعب واستدارت مغادرة دون كلمة، لحق بها
تاركا ما جاء من أجله خلفه :

-سأقلك إلى بيتك يا آنسة، الوقت تأخر .

-لا، شكرا.

ردت باقتضاب، فأوقفها يقطع طريقها، يقول بحزم :

-لن أتركك إلا على باب بيتك، فلا تجادليني .

تهدل كتفاها بانهزام مستسلمة، فأصابه حزنها في مقتل .

استقلت السيارة بصمت واحتل مقعده يقودها، وبعد قليل سأل
بحيرة: - عذرا على التدخل، ماذا يحدث معك؟

التفت ترمق النافذة، فافترض بأنها رافضة لذا احترم سكوتها
واكتفى بالقيادة حتى نطقت بوجود خوف :

- هل شعرت يوما بأنك على حافة قنطرة مهزوزة، بدايتها تلقي
بك الى الموت ونهايتها توصلك إلى بر الأمان ... لكن...

انحسرت كلماتها بسبب شهقة خفيفة من أثر البكاء ووائل
يلتقط كلماتها باهتمام بالغ : - كلما تحركت خطوة نحو البر
وتأكدت من ثباتها تهتز تلك القنطرة تحت رجلك بشدة،
فتعيدك إلى مكانك أقرب إلى الموت .

فكر قليلا حين لاحظ انتظارها لرده ثم قال يجاري قولها :

-ولماذا تهتز القنطرة من الأساس؟

كأن السؤال فاجأها لكنها ردت بجهل : - لا أعلم.

فقال : - اذن يجب أن تعلمي.

رمته بنظرة فضولية، فتابع مفسرا :

-يجب أن تتأكدي مما بنيت عليه القنطرة، وأن تتفقي

عواميدها الأساسية إن كانت قوية أم ضعيفة حينها ستجدين

الإجابة الوافية لسؤالك.

أدارت رأسها من جديد إلى النافذة، فأضاف حين اقترب من

العنوان الذي دلته عليه :

-أتمنى أن لا تكرري فعلتك لأنها خطأ كما لا يجوز لي
ايصالك بسيارتي أو أي شخص آخر سوى أفراد عائلتك، لكن
خوفي عليك ما اضطرني لذلك مجبراً، فمن فضلك لا تعيدي
الخطأ مرة أخرى فأنت ذكية وتعلمين بسرعة.

رمقته بنظرات ضائعة قبل أن تومئ بتفهم لقوله، فهي بالفعل
مخطئة

لمحا باب البيت مفتوحاً والأنوار تملأ الحديقة الأمامية بينما
يركن السيارة على مقربة من البوابة الخارجية وحين هم بفتح
الباب لاحظ جمودها بمكانها تحديق بالمنزل بعينين
شاخصتين.

تحدث بعد أن طال جمودها :

-هل تعديني بأن تبقي مكانك إلى أن أعود؟

حركت رأسها بخفة تكاد تلمح، فتنفس بضيق يترجل ولم يثق بحالة سكونها فأغلق السيارة آليا ثم خطا نحو البيت وعبر الحديقة إلى الباب الداخلي حيث انحسرت خطواته على عتبه.

تتناهى إلى أسماعه صوت نحيب كنحيب زرقاء العينين قبل قليل، فدق على الباب ولم يكد يرفع يده عنه حتى اندفعت سيدة تبكي بخوف تعرف على هويتها رأسا.

-نعم؟

ظهرتا له خلفها امرأتين كلتيهما، ترمقانه بفضول وريبة، فقرر

الحديث أخيرا : -سيدة شاهي، أليس كذلك؟

هزت رأسها بوجوم وعقله يعمل بسرعة ضوئية ينسق الخيوط،

ليصل إلى نتيجة مفهومة، فومضت الأحداث متتالية برأسه،

يعود لسنوات إلى الماضي، تذكر الفتاة الصغيرة وإعجابها

بشعره الذي كان سبب التصاقها به طيلة الوقت في حفل

الجمعية في الدار، الصغيرة التي تغزلت بمدى جمال تموجاته

ورافقته إلى أن غفت جواره، همس لسانه بالقطعة المفقودة

أخيرا لتملاً فراغها في الرقعة : -أمل!

هتفت شاهي بلهفة ضارية :

-أمل، هل رأيتها؟ هل تعرفها؟؟ أين هي؟

ابتسم بحزن، يومئ إيجابا بينما يرد عليها :

- لا تخافي سيدتي؟ إنها في سيارتي .

قطبت بحيرة وقد تماكنت نفسها تتفقد ملامحه بينما تسأله

بريبة : -هل أعرفك من مكان ما؟

رد عليها بنفس البسمة الهادئة :

-أنا وائل فضل الله من عائلة بنفسج التي تتعامل مع الجمعية،

أما أمل فأعرفها من الثانوية حيث وجدتها وأعدتها إلى البيت،

أنا أدرس لها مادة التربية الإسلامية... وأنا آسف حقا على

إيصالها بسيارتي لكنني لم أستطع تركها بالشارع في هذا

الوقت .

هزت رأسها، تقول بتعب وأسماء ترفع هاتفها لتبلغ الرجال
حتى يعودوا :

-بل نحن نشكر لك صنيعك يا أستاذ وائل، أين هي؟

أشار لها أن تتقدمه، فلحقت به الى مكان سيارته حيث خاطبها
برجاء قبل أن يفتح الباب :

-من الأفضل أن لا تناقشوها بشيء الليلة، دعوها تنام لتراتح،
فلقد بدت لي منهارة .

أومأت ثم انحنت تمسك بذراعيها، تحدثها بحنان فائض قبل
أن تسحبها إلى حضنها : -حببتي، لماذا تركتني يا أمل؟ لماذا
أحرق قلبى خوفا عليك .

بدت يائسة مستسلمة لوالدتها وهي تدخلها البيت ثم غرفتها
حيث استلقت جوارها بعد أن أزال حذاءها، تضمها بقوة
وتهمس لها: -نامي وارتاحي وكل شيء سيكون بخير .

ثم هددهتها حتى راحت بسبات عميق حيث يتحقق المستحيل
وتختفي الهواجس .

اعتذر وائل من سمير مجددا بعد أن أخبره بما حدث، فشكره
الأخير ممثنا ثم انطلق بسيارته وهو يفكر بأنه أخيرا تذكر من
تكون! لكن ذلك أبدا لم يلغى حيرته الحقيقية .

البناية حيث شقتي أمين وسالم

كان سالم يتسلق الدرج بعد أن عاد من مهمته التي قضاها بيسر،
 مستغربا من الأماكن الثلاث حيث ترك الأمانات، مكانين
 تحديدا خمارة وملهى ليلي، كما لم يفته سؤال الشيخ الذي
 أجابه بغموض مخيف أنه سيعلم بعد أيام معدودة ثم ما لبث أن
 خاض معه بموضوع الزواج، اعترف سالم لنفسه بأنه راوغ برده
 ليتهرب منه، مدركا مصيره للزواج مهما تماطل بالأمر مع أنه
 لن يحب غيرها أبدا، سيظل قلبه لها ولن تستحوذ عليه أخرى
 لكن الزواج ضروري ولا بد منه !

صدف شقيق شاغلة قلبه منذ الصغر بل منذ تعلم قلبه الفتى
 أبجديات المشاعر، فاستولت على قلبه بجمالها الرباني

المختلف وحسها المرهف في سائر تعاملها، لم يرى لها من
مثيل ولم تدخل أخرى قلبه أو تملأ عينه بعدها:

-السلام عليكم كيف حالك يا صهري؟

ابتسم أمين يضمه بخفة بينما يجيبه :

-الحمد لله يا أخي، أين أراضيك؟ لم نعد نراك البتة .

هز كتفيه يقول بنبرة عادية :

-إنه العمل، كيف حال شقيقتي معك؟

تحدث أمين يمنحه ما يريد من رد يناسب هوى قلبه :

-بخير والحمد لله ونعم التربية.

تكدرت ملامحه، ينصحه بضيق :

- لماذا يا أمين تسمح لها بالتعليم؟ دعها في بيتها تقوم بواجبها .

أجابه ببعض الحزم فرضه عليه الموقف :

- واجبها الدراسة حاليا يا سالم ثم هي زوجتي وأنا حر معها .

رفع كفه باستسلام، يعقب :

- حقك لا جدال .

قال أمين يسحبه تجاه بيته

- تعال معي لتراها ولتتعشى معنا.

رفض يقول بتعب :

- لا، ليس الليلة فأنا منهك وأنشد النوم، أبلغها سلامي .

هز أمين رأسه بيأس، رغم نبرته الودية التي رد بها عليه :

- كما تشاء .

خطا سالم إلى شقته ثم توقف يقول بتردد:

- أمين؟

عاد إليه أمين يستفسر بنظراته، فتابع بارتباك :

- أريد أن أسألك عن شيء ما لكن دون نقاش كثير، أحب

سماع رأيك فقط .

استغرب أمين طلبه لكنه وافق، فاسترسل :

- ما رأيك في زواج الفاتحة؟

التقط المغزى والموضوع برمته لكنه رد بمهادنة يسأل الله

السلامة :

-زواج الفاتحة عندنا غالباً ما يطلق على الزواج الذي لم يسجل في المحكمة وهذا الزواج إن اشتمل على الأركان والشروط وهدمت فيه الموانع فهو زواج صحيح، لكنه لم يسجل في المحكمة، فيترتب عليه مفسد كثيرة، إذ المقصود من تسجيل الزواج في المحكمة صيانة الحقوق لكلا الزوجين وتوثيقها، وثبوت النسب وغير ذلك، ورفع الظلم أو الاعتداء إن وجد، وربما تمكن الزوج أو الزوجة من أخذ الأوراق الغير موثقة وتمزيقها وإنكار الزواج، وإن كان العقد شفها ينكر أحدهما فتضيع الحقوق والأنساب، وهذه التجاوزات تحصل كثيراً وينتج عنها مشاكل لا حصر لها لذا احتراماً لقدسية

الميثاق الغليظ السعي لحفظ حقوقه من الضياع... لكن لماذا

تسأل يا سالم؟

-ها؟

رد ببلاهة لكنه سرعاً ما تدارك نفسه، يقول قبل أن يتعد متلافياً

الوجوم على ملامح صديقه :

-لا شيء، فقط من باب العلم بالشيء .

في مكان ما

-لقد تمت المهمة والأمانات كلها بأماكنها .

تحدث الثاني :

-جيد جدا يا بدر، أنت عنصر فعال وستكون لك جائزة كبيرة

بعد تحقيق الهدف... إلى اللقاء .

رحل الرجل المجهول، فهمس له مرافقه :

-أنا لا أفهم يا شيخ بدر، أليسوا هم من ساعدونا في إدخال

المواد والأموال، لماذا نغدر بهم؟

حدجه بنظرات زاجرة، يفسر له خبث خططهم :

-أولا هم لم يقدموا لنا خدمة ، بل قبضوا الثمن مرتفعا جدا
على كل عملية، ثانيا هم قوم منكرات والعياذ بالله يجوز
خداعهم كما يجوز محوهم من الوجود وهم سيكونون أول
هدفين في العملية بعدها الأهداف الحيوية في البلد.

ثم ابتسم، يردف بسخرية:

-لا تنس دس آذان فرقة الشباب بهذه الفتاوى.

هز مرافقه رأسه بينما ينطلقان بالسيارة وبدر يكمل بخبث :

-حين ينفجر مكانين للفجار، أصابع الاتهام ستوجه تلقائيا إلى
من؟

هز المرافق كتفيه يجيبه:

-إلى من يحرم الخمر والفواحش!

ضحك بدر يعقب بينما يحك لحيته الطويلة بانزعاج:

-وإذا فجرنا بعدها المناطق الحيوية في البلد من يتحمل

المسؤولية؟

ظهر الضيق على وجهه، يعقب:

-من يحرم الخمر والفواحش أيضا، لكن لماذا لا نكتفي

بالأموال التي ربحتها ونرحل، مالنا وهذه المخاطر يا بدر؟

-هذا اتفاقنا معهم، نثير الفوضى في البلد وأكدوا علينا الخطة

وأصروا على تحميل المسؤولية ل....

-من يحرم الخمر والفواحش!

أنهى عنه الآخر بسخرية مستخفة قبل أن ينفجرا ضاحكين،
فيعود بدر لحك لحيته بضيق:

- مللت من هذه اللحية، سحقا! متى ينتهي هذا العمل لأرحل
من هنا .

هز الآخر رأسه بلا معنى يتابع قيادة سيارته، لا يفكران بهول
مكائدهما غافلين عن أقدار خير الكائدين .

*بيت فضل الله *

-إنه يتهرب مني وأنا سئمت!

نطقها سلوى بضجر حانق، فسحبته بنفسج لتقع جالسة
بالقرب منها، تهتف بنزق :

-سئمت يا روح سيدة؟ لماذا؟ ماذا فعلت بعد؟ كفي عن
الدلال وأنصتي لي! إلا أرفع يدي عن موضوعكما، حينها أول
ما ستفعله عمتي ساجدة، ستخطب له أجمل وأصغر فتاة .

شعرت بالسخط والغيرة تنهش أحشائها، ترد بغل :

-سأكل من تقترب منه بأسناني، فلا تصلح للزواج بالمرة .

ضحكت بنفسج ترد بمزاح :

-أجل، هكذا أريدك، مقاتلة قوية لكن دون أكل الناس،
اسمعيني جيدا.

وفي الحديقة يدور حديث جدي بين نوفل وضرغام :

-غدا؟ أنت متأكد؟

رد بوجوم بينما يدس كفيه بجيبى سرواله :

-بلى.....الخطة ستوضع على طاولة الاجتماعات غدا مساء،

وجميع عناصر الفرق المعنية ستستدعى صباحا بإذن الله.....

الدنيا ستقلب على عقبها نسأل الله السلامة، فالمسألة واسعة

وخطيرة جدا.

هز نوفل رأسه يقول بخوف أجاد إخفائه :

-المشكلة في القنابل التي لا نعلم مصيرها إلى الآن، أما الأمور
الأخرى فسهلة بإذن الله، فأنا كنت أنتظر الوقت الذي سأغير فيه
على جماعة ديدو بفارغ الصبر .

رمقه ضرغام محذرا :

-لا تقتله يا نوفل، دعه يواجه عقابه، جميعهم منظمة ساعدت
بالكيد للوطن وأنت تعلم جزاء خيانة الوطن .

احتدت ملامح وجهه، بهتف من بين أسنانه بغضب :

-لا أعلم يا ضرغام، لا أعلم !

لمحها قادمة بالشاي، فقال بمكر قبل ان يتناول كأسه
وينسحب :

-جئت في وقتك، أنا في أشد الحاجة للشاي، شكرا لك .

راقب نوفل توترها يسر شعورا بالسعادة من تغيرها الواضح
وملاحظتها له تحاول الإثبات له بأنها متشبثة به، وبدل أن يطيع
قلبه العاشق لها ويسرع بالعقد عليها مجددا راقى لعقله اللعبة،
يستفزها بهروبها منها كي تفاجئه بتصرف آخر يزيد من سرور
قلبه، ليقرر استنزاف كل طاقتها حتى يكتشف آخر صبرها.

رمق الصينية بجمود ثم نظر إليها يقول بحزم :

-شكرا.... لا أريد الشاي.

تحرك مغادرا، فنادته برقة تحاول جاهدة اتقانها :

-نوفل انتظر !

استدار إليها مستفسرا، فتابعت بعد أن وضعت الصينية على
طاولة الحديقة :

-هل يمكننا التحدث قليلا؟

رد بجفاء تملكه ليستفز قوتها، فلا يحب منها تلك التصرفات
المائعة، ليست لها ولا تليق بها :

-ليس هناك ما يقال بيننا، فكل شيء انتهى، أنهيته بعجرفتك
وتكبرك علي، لاحقتك لسنوات وأنا أحاول مجاراتك وفهمك
دون جدوى....حتى الزواج اضطررت لإجبارك عليه، أنت لا
تحبينني و لا تثقين بي لذا رحمتك مني ومن علاقة تشكل عبئا
عليك .

عاد يستدير ليغادر، فأوقفه هتافها الحانق وقد فقدت صبرها
ونسيت كل نصائح بنفسج : -أيها الجلف الأحمق !

التفت إليها ببهوت، فوجدها أمامه مباشرة تهتف بغيظ وقد
عادت إلى طبيعتها تثير حماسه ومشاعره :

-أعترف بأنني كنت حمقاء لكنك أكثر مني حمقا، إن ظننت
بأنك أجبرتني على الزواج! هل تظن بأن من واجهت سهيل
المجرم و غيره من المجرمين ستعجز عن عدم إتمام زيجة
ترفضها؟

صمتت تلهث من الحنق، فرد عليها بخيبة : -لكنك لم تثقي بي
و كنت تتهربين مني طيلة فترة خطوبتنا وحتى بعد عقد القران،

حرمتمني من حقي في رؤيتك والتحدث معك، وحرمتني من
حقي بالفرح بزواجنا .

عقدت جبينها تعبر عن نفسها، فقد ألمها الوجد الصامت
بعينه :

-هذا لأنني كنت أخشى الضعف أمامك، فأتنازل عن كل
أحلامي كما فعلت فاتن بعد أن عشقت طه، أضحت لا تهتم
بكل طموحها ولولا تشجيعه لها بإصرار، لتنازلت عن كل
شيء فقط لتكون بجانبه وهذا أمر أعلم يقينا بأنك لن تفعله بل
ستستغل أول فرصة كي أترك عملي وأقعد بالبیت .

فارت دماؤه يواجها بغضب خلاف قلبه تتراقص خفقاته ظفرا
ونصرا :

-طبعا يا حمقاء فأنا أحبك! ولن أتوانى عن حمايتك وإن
اضطرت سأخفيك داخل جنبات صدري كي أحملك من
الأذى، أنت لا تعلمين كم الرعب الذي عايشته حين لمحتهم
يضربونك ويحبسونك، لن شعري بي أبدا، لأنك لا تبادليني
الحب الذي أكنه لك!

ارتفعت بأنظارها الى مستوى نظره، تنطق بقوة غاضبة هي
الأخرى ودون وعي:

-بل أنا أحبك يا أحمق!

*منزل القناص *

أسرعت بخطواتها عبر طريقة الحديقة بينما تستعيد حوارهما

مع كل خطوة تتقدمها :

- أعلم أور، لا أنكر وجود مشاعر بيننا، لكن ماذا بعد؟

- كيف؟ أنا لا أفهمك؟

- بعرفي لا سبيل لمشاعر تجمع بيني وبين فتاة أجنبية عني،

سوى الزواج .

- أنت لا تستطيع الزواج بي، لأنني لست مسلمة؟ ماذا إن كانت

مشاعري قوية إلى درجة تجعلني أسلم يا أسد... هل تقبل؟

- أنت لا تعينها أور وأنا لن يرضيني إسلامك من أجل الاقتران
بي، بل يجب أن يكون قرارك عن قناعة بإيمانك بالله وتوحيده
وليس بي أنا، سنظل ندور في نفس الحلقة دون جدوى لذلك
ابتعدت منذ البداية .

- بل هربت، لم أعهدك جباناً يا أسد.

- ليس جباناً، بل حكمة، في بعض الأحيان يفضل الهروب من
فتنة الأمور التي نحبها وهي الحدود الفاصل بيننا وبين فقدان
رضا خالقنا .

- لماذا لا تمنح لما نشعر به فرصة يا أسد؟ دعنا لا نتسرع، وما
أطلبه منك أن لا تتخذ خطوة الزواج الآن .

- أنت محقة، تلك الخطوة الآن خاطئة على أي حال، لأنني سأظلم إنسانة أخرى لا دخل لها في حرب مشاعري لكن أؤر هذا ليس وعدا مني، فلا تتقيدي به، لن أنكر تحرك مشاعري نحوك لكن الزواج علاقة مقدسة لا تقوم فقط على المشاعر .

ودون حرف زائد انطلق بها في صمت حتى وصلا وشكرها من جديد ثم ودعها : - ماذا أفعل بشرك يا أسد؟ أنا أريد حبك .

همست لنفسها قبل أن تتسمر قدميها تنصت لحديث صاحب، قادم من قاعة المعيشة ، توجهت إليها بفضول فوقفت تفتح فمها بدهشة من المشهد أمامها ولم تكن الوحيدة بل فتاة أخرى لم تتعرف عليها ترتدي حجابا كالذي ترتديه شقيقتها، تراقب

المشهد بغضب احمرت له ملامحها التي تشبهها باستثناء
مقلتها اللتين تميلان إلى الزرقة كوالدها.

فكرت أور بأنها بالفعل تبحث عن منفذ لحيرتها وحنقها، شيء
ما ينعش قلبها قليلا من كآبته، فوجهت حديثها لمرام :

-مرحبا، أنا أور ابنة عمة وخالة هذان المعتوهان .

ردت عليها مرام تحاول الحفاظ على هدوءها الذي تبخر منذ
عادت إلى عائلتها الكريمة، فتساءل مجددا عن الذي أعادها :

-تشرفت بمعرفتك وأنا مرام أخت وابنة خال هذان المعتوهان.

ضحك المعتوهان بشمالة يضربان كفي بعضهما ببعض :

-قالت عنك يا معتوه !

ليجيبه، رضوان : -وأنت أيضا يا معتوه !

ثم أطلقا ضحكة صاحبة إن استمرت ستوقظ كل الأموات قبل

النيام، لذا خاطبت أور مرام بمكر لمع في مقلتيها؛

-مهما تحدثنا الآن لن ينصتا إلينا لأنهما ثمليين، لذا وجب علينا

إيقاظهما أولا، ثم نلقي عليهما محاضرة، ما رأيك ؟

راقت لها الفكرة، فهي أيضا كانت فتاة يملأها المرح يوما ما،

ومن لم يكن؟ قبل أن تنهال عليه الحياة بمشاغلها وهمومها:

-هل لديك فكرة محددة؟

هزت رأسها بحماس تفرك راحتي كفيها ببعضهما :

-أصغي إلي، وسيكون درسا لهما لن ينسيانه أبدا، أعدك !

الفصل الثالث والثلاثون

{ ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام

طالبها...الحسن البصري }

هوت أور على الأرض ضاحكة ولم تستطع تمالك ضحكاتها،

تعترف بأنها لم تضحك بمرح كما فعلت الليلة أما مرام فتنفض

كفيها ببعضهما باسمه بفكاهة مرتسمة على وجهها :

-وماذا الآن؟

سألت مرام فشهقت أور بقوة كي تدخل الهواء إلى رئتيها،

تجيبها : -سنطلب الشرطة .

دهشت تعقب بقلق : -ماذا؟

رفعت رأسها تخبرها بأنفاس متقطعة من الضحك :

- لا تقلقي، سيُحجزان الليلة واحدة بسبب الفعل الفاضح في

مكان عام وإن حالفنا الحظ قد يؤدبان بوصلة ضرب .

قطبت مرام ترد بتردد: - هل أنت متأكدة؟

أومأت تلتقط ملابسهما ثم سحبتهما تجاه السيارة، تقول بتشفي :

-هما ثملين لم يتعمدا الفعل الفاضح، سأتصل بالشرطة

بنفسي .

اتصلت أور بالشرطة تبلغ عن سكيرين بثياب داخلية، يلهوان

حول إحدى النافورات العامة لأحد مفترقات الطرق المركزية

ثم عادتا للضحك بالسيارة حيث تراقبان رجلي الأمن يقبضان

عليهما ويصفدان رسغيهما بتلك الحالة، تأكدتا من وصولهما
إلى مركز من مراكز الشرطة وحجزهما لليلة كاملة ثم عادتا
أدراجهما .

- أنت أخت نزار من والده؟

سألت أور مرام التي أومأت ترد عليها بمودة : - بلى .

تطلعت إلى حجابها تعقب باستغراب : - ابنة قائمة و...
غريب !

ابتسمت بحزن تجيبها :

- ومتحجبة! الحمد لله على هدايته وفضله، وددت لو جاءت
أبكر، كنت لأتفادى عذابا كبيرا لكن الحمد لله على كل حال.

هزت حاجبيها بجهل تستغرب رغبته بمعرفة قصدها، لكن
نشأتها على عدم التدخل بشؤون غيرها منعتها عن السؤال.

بيت سمير

رمرت بجفنيها تعبا تتفقدتها لتأكد من وجودها بقربها ثم
مررت يدها على شعرها تقبل وجنتها بحب حقيقي تشعر به
نحو تلك الفتاة، لا تستطيع تفهم قسوة قلب والدتها لكنها حقا
تعشق أمل كما تعشق دعاء ووليدها الجديد وكما تعشق سمير،
قلبا يشق منهم ولا تتخيل الحياة من دونهم، كيف تفهم
والدتها لتكف عن تعذيب قلبها كل مرة تسيء فيها لأمل.

شعرت بحضوره فأدارت رأسها لتلمحه قرب الباب ينظر إليها
بقلق بالغ، فتحركت بروية لتخرج من الغرفة بهدوء.

-هددت الصغير حتى نام لكنه سيستيقظ قريبا أظنه جائعا .

أومأت تسند رأسها على صدره، تهمس بحزن :

-ودعاء؟

قبل رأسها يجيبها بينما يضم كتفها ليحثها على المشي نحو
غرفتهما :

-بكت كثيرا تلح على رؤية أمل لكنها نامت أخيرا .

-آه يا سمير! ما هذا اليوم؟

أبعدها قليلا يعتذر إليها :

- أنا آسفة حببتي لأنني تعصبت وط

رفعت كفها، تسكته لتقول بألم :

- بل أنا الآسفة حببتي، لقد تحملتهم لسنوات وما تزال تفعل

من أجلي لكن ماذا أفعل؟ هما والداي .

صمتت متألمة ثم أردفت :

- لكن على الأقل يجب أن نبعدهما عن أمل، لن تتحمل كلمة

أخرى، قد نفقدها يا سمير .

بكت بصمت على صدره، فهمس مطمئنا بينما نظرة التصميم

تلمع بعينه :

- سنجد حلا إن شاء الله.

الحجز

-انزويا واسكتا! نريد أن ننعم بقليل من النوم!

صاح بها أحد المحجوزين، يردف بسخط:

أين ملابسكما؟ هل قبض عليكما بقضية فساد؟ خسئت أنت

وهو!

انزويا بعيدا و جلسا على الأرض الباردة لا يشعران بشيء وهما

تحت تأثير الخمر غافلين عن فضيحتهما.

تحدث نضال بوجوم يرطن بما يشغل باطنه فلا يقضي عليه

سُكر الخمر رغم قضائه على تعقله :

- أتعلم ما هي مشكلتي؟

مال عليه رضوان يحط برأسه على كتفه دون رد، فاستطرد :

- بقدر ما أحب بيلسان، أحب نزار أكثر .

تدحرجت دمعين على خده يكمل ببؤس :

- توأمي الذي ناله من الحادث ما لم ينلني، لماذا كنت الناجي

الوحيد؟ لماذا؟ لماذا لم ينج هو الآخر؟ كنا سنتقاسم الحمل

معا وهذا الألم هنا :

ضرب على صدره يهتز فيتململ رضوان الذي يبدو كأنه

سيغفو :

- في أحشائي، كنا سنحمله معا فيهون علي وأهون عليه، كنا سننتقم معا وكلانا يحمي ظهر الآخر لكنها أحلام لن تتحقق، حملت كل شيء لوحدي، عبء الحقيقة، حقيقة أن توأم أبي من قتله وقتل زوجته وكان يريد قتلنا جميعا! من تسبب بالعمى لأخي، من دمر العائلة بأكملها ومن حرماننا من الأمان، لم أتحمل! كيف أفعل؟ كنت أخشى عليه من أن يخدعه أحد، لذا حافظت على نصيبه من الثروة ودفعت عنه الطامعات وحين وجد فتاة جيدة تناسبه تكون هي! هي من فتح لها قلبي أبوابه الحديدية الموصدة .

ثم أدار رأسه جانبا ليهمس لرضوان :

- أنا معقد، هل تعرف ذلك؟ لأن سبب حبي لها هو حبها لنزار،
هل تصدق ذلك؟

ابتسم بيأس ممزوج بسخرية حزينة، يلهث من فرط تعبها، يكمل
هتره :

- حبها لنزار أثبت لي مدى صدقها ووفائها وبسرعة رفعتني ذلك
من رتبة المعجب إلى العاشق، أنا عاشق لها لكنني لا أريدها أن
تترك أخي، لأنها إن تركته سأكرهها، هل لديك حل يا رضوان؟
لأنني أتألم بشدة ولا أعلم كيف أبعد عني هذا الألم؟

أزعجه فتحرك يستقيم في جلسته بالكاد، يقول ما يدور في خلد
هو الآخر، فكل منهما لا يسمع سوى همومه :

-هل رأيتها يا نضال؟ جميلة كما هي حتى بتلك الملابس
الفضفاضة، تشع كما النجوم البعيدة، رفضت مصافحتي
وأصبحت ملتزمة كنزار، يجب أن أكون مسرورا وراضيا،
فمram المتحررة كوالدها تغيرت وأصبحت نقيضتها، يعني لا
رجال ستعرض عليهم كالسلعة لمن يدفع أكبر ثمن ولا خوف
من تصرف قد يجعلني أحترق دون أن تلقي بالا بعذابي، إذن
لماذا أنا لست مسرورا؟

ثم أشار بسبابته كمن وجد ضالته، يردف :

-آه، لأنها من الأساس لا تحبني، ألم تخبرني بنفسها بذلك قبل
أعوام حين قررت والدها تزويجها واعترضت أنا، قالت
بالحرف أنا لا أحبك يا رضوان، أنت لست مسؤولا ولا رجلا

لأحبك ولم تردني سوى لأنني سأكون لغيرك، أنت أناني وأنا
 سأحرق قلبك وسأتزوج، سأزف لرجل آخر أمام عينيك ولن
 تستطيع فعل شيء، وفعلتها، تزوجت وأصبحت لرجل آخر
 أمامي واعتصرت قلبي بين كفيها حتى تفتت إلى أشلاء ثم
 داست عليها بكل قسوة.

- سأقتلكما! أسكتا وناما، نام عليكما جدارا يزهق رويكما!
 صاح الرجل مجددا يزمجر بغضب، فعقب آخر ساخرا بما
 أضحك الباقي:

- أتركهما يا رجل كل واحد منهما سكران يغني على ليلاه وها
 نحن نصغي لقصصهما حتى نغفو!

صباحا

بيت صوان

-تفضلي أختي، ادخلي.

دخلت شادية باسمه تحمل صغيرتها بعمر الثلاث سنوات

وصوان يجر حقيبة ملابسها الصغيرة، يستدرك بخفوت :

-كما أوصيتك شادية، لا أحد في العائلة يعلم بأنني وجدتهما،

هما ليسا مستعدين بعد ولولا ثقتي بك من بين الجميع ما

أحضرتك هنا لتعتني بها في غيابي .

اتسعت ابتسامتها بحبور، تجيبه بفرح:

-وأنا على قدر ثقتك بي أخي، ولا أحد سيعلم إلا بأنني أقضي
إجازة عندك فترة سفر زوجي .

قبل رأسها في نفس الوقت الذي خرجت فيه سكينه تحديق بهما
بريبة، خطأ إليها حين لمحها يسألها بينما يتفحص ملامحها
وبقية هيئتها يطمئن على صحتها : - كيف حالك يا سكينه؟

ردت بتردد تنظر إلى الفتاة الأخرى بحيرة مريبة :

-بخير الحمد لله.

-اقتربي شادية!

عاد ينظر إلى سكينه يردف:

-أحضرت لك ونيسة، فقد تم استدعائي في عملي ولا أعرف
كم سأغيب لذا طلبت من شقيقتي شادية أن تؤنسك كي لا تبقي
وحدك، فزوجها أيضا مسافر .

زمت سكينه شفيتها بغضب والتفتت تعود لغرفتها دون حرف،
فهزت شادية حاجبها جهلا وصوان يومئ بهدوء، يقول مشيرا
لباب ما:

-تلك غرفتك أختي، ارتاحي وستحدث لاحقا.

أطاعته دون نقاش، فشقيقها مهما ظهر هادئا طيب القلب، لكنه
حازم ولا يحب الثرثرة.

لمحها جالسة على طرف السرير تعض على إبهامها بغيظ،

فاقترب يستفسر منها؛

- ما بك سكينه؟

لم تجبه فقطع المسافة بينهما ليجلس قبالتها، نظرت إليه

بحاجبين معقودين، فأعاد سؤاله : - ما بك يا سكينه؟

قامت بضعف، تهتف وجميع أطرافها ترتعش :

- لماذا أحضرتها؟

- أخفضي صوتك!

أجفلت من ملامح وجهه الجادة، فانكمشت خوفا لتهوى على
 السرير من جديد، فزفر يسدل جفنيه ضيقا ثم عاد لجلوسه هو
 الآخر، يسألها :

-ماذا يحدث يا سكينه؟ لماذا يزعجك حضور شقيقتي؟

توالت دموع الخجل على وجهها، تسأله بحزن :

-هل ت.. تعلم بأني م.....مد..

رد بسؤال ليتأكد: -مدمنة؟

لا تعلم لماذا جرحها نطقه لتلك الكلمة؟ قبل أيام معدودة لم
 تكن تكثرث لا بماذا يشعر أو كيف يراها، لكنها الآن خجلة
 وباطنها رافض وبشدة علم أحد من عائلته بوضعها.

أومات ومزيديا من الدموع تتدحرج على وجنتيها، فقال غير راض عن نفسه ولا ما تشعره به من ألم لأجلها، فهو صوان الصخر صاحب المهمات الصعبة ومهمته واضحة عقاب تهامي وإعادة ابنة وابن عمه للعائلة، فلماذا أصبح الأمر يتجاوز ذلك؟

- أخبرتها بأنك مريضة وأنت الآن في فترة نقاهة وهي الوحيدة التي تعلم بزواجي منك، لا أحد غيرها من عائلتي يعلم .
فغرت فمها دهشة و فجأة سألت بريية :

- لماذا تزوجت مني صوان؟ أرجوك اخبرني.

هز رأسه رفضا يخبرها بيقين : - لا، أنت لست جاهزة بعد .

مالت نحوه لتمسك يده بين كفيها المرتعشتين، ترمقه بتوسل :

-أعدك بأنني سأتحمل، فقط أخبرني، هذا الجهل والغموض

يقتلني، أخبرني صوان، إن كان تهامي القناص ليس والدي فمن

يكون والدي؟ من أكون صوان من؟

هم بسحب يده لكنها شدت عليها، ترجوه بتصميم :

-أستحلفك بالله صوان، أرجوك !

تأمل دموعها وعقله في فوضى، يفكر بأن تركها على جهلها لا

يجدي وهو سيغيب بمهمة الله أعلم إن كان سيعود منها، يجب

أن يراها باسمه، أن يذهب إلى عمله ووجهها النحيف الباسم

آخر ما يعلق في خياله.

ضم كفها المرتعشة كارتعاش حنايا خافقه، يخبرها بجدية :

- أنت ابنة عمي يا سكينه .

تجمدت تحديق به شاخصة المقلتين بينما هو يستطرد :

-العائلة كلفتني بالبحث عن أبناء عمي بعد أن يئسوا بكل

الطرق ولا أحد منهم يعلم بأنني وجدتك سوى شادية وهي

كتومة أثق بها، وقد أجلت إخبارهم حتى تكوني جاهزة

للقياهم، لا يرضيني بل أرفض بأن يعلم أحدا منهم أن ابنة عبد

الواحد الصخر عارضة ومدمنة ترقص بالملاهي وهي ثملة !

انتفضت من مكانها فأجفلته ليكتشف ما تفوه به.

وقفت تمسك برأسها بين يديها تشعر بما يحدث كثير عليها،
نسبها مزور وهو يعرف عنها كل شيء ويشعر بالخزي منها،
طبعا سيشعر ولماذا تكثرت؟ صاح عقلها بل يجب أن تكثرت
فهم عائلتها! هل قال أبناء؟

هم بالاعتذار يخشى انتكاستها وهي على أول الطريق، كما
يدرك بأن ما يحدث عليها كثير، لكنها سبقته تستفسر كمن
اكتشف شيئاً لتوه : - قلت أبناء، هل لدي إخوة؟

مسد على جبينه يرد عليها : - شقيق واحد.

تعثرت الحروف على لسانها بينما تتساءل برهبة :

-أ.....ين.....هو؟

صمت ينظر إليها، فاستدركت : -هل ...و...جد...ته؟

أوما يجيبها بوجوم يحاول تلخيص الأمر :

-كبر في الشوارع، بعدها ألحقوه بملجأ لكنه كافح وأصبح
رجلا يعتمد عليه، الله كان به رحيمًا وسخر له أناس جيدين،
لكن لم أخبره بعد، فأنا وجدته مؤخرًا وتأكدت من هويته يوم
زفاننا .

رجليها لا تحملانها تشعر بالتعب طوال الوقت ومع تعب قلبها
أصبح الألم مضاعفًا، فهوت على السرير من جديد، فجلس
القرفصاء قبالتها، يخاطبها بإشفاق : -لا داعي للتفكير بأي
شيء سوى تعافيك بعدها ستعرفين كل التفاصيل، أختي تعلم
بأننا تزوجنا كي أبعدك عن ذلك الرجل الذي اختطفك من

والديك لكنها لا تعلم سبب مرضك، سأطل عليكما كل ما

سمحت لي ظروف العمل، اعطني بنفسك اتفقنا؟

رمقته بتيه وحيرة، فهزها قليلا يطالبها برد : -اتفقنا؟!!

حركت رأسها تهمس بألم : -إن شاء الله.

الوجع من أجلها بقلبه يتصاعد، فأضاف ليعيد إليها بسمتها :

-اعطني بنفسك وكلي جيدا، إياك أن تعرضي شادية لأحد

أفكارك الإجرامية، لن تتحمل المسكينة، فهي تخاف من

خيالها.

ابتسمت بحزن، فأدرك بأنه لن يحصل على أكثر من ذلك :

- شادية مع ابنتها في الغرفة الثانية يمينا، ارتاحي أنت أيضا، أنا
يجب علي الرحيل، لقد تأخرت .

الثانوية

ترجل من سيارته مترددا، محرجا، يتساءل عن الذي يفعله هنا!
هل جن أخيرا ورضخ لرغبة قاتلة أجبرته على القدوم ليراها
قبل أن يلتحق بالمهمة، صورة عبوسها وخوفها منه لا تنجلي
من خياله وها هو يقف قريبا من ثانويتها، ينتظر قدومها حيث
لمحها قادمة، تتوسط فتاتين مبتهجات لأمر ما :

-السلام عليكم .

ألقاها ببعض من التوتر، فهتفت سمرا بذهول تبسم قبل أن
تذكر ما حدث، فتزم شفيتها ببعض العبوس :

-محمد! ماذا تفعل هنا؟

ملامحه مرتبكة لا يصدق وضعه لنفسه بهذا الموقف المحرج
له، بينما مروة وخنساء تتابعان بصمت وتمعن وفضول شديد :

-قلت بأنك وعدت صديقاتك بإحضاري، لذا جئت وأيضا
لأعتذر إليك على ما حدث .

نسيت كل شيء مرة واحدة، وتقدمت خطوة بينما تجيبه
بحماس أغرق قلبه أكثر بعسل طيبتها :

- لا مشكلة، لكن لا تعدها لأنك أخفتني، المهم سأعرفك إلى أقرب صديقاتي.

أشارت لكل واحدة على حدة :

- هذه خنساء وهذه مروة، وهذا محمد الحارس الذي صدعت به رأسيكما .

هز رأسه لهما بالتحية، تبدو له واحدة منهما عابسة كأنها غير راضية على ما يحدث مما ضاعف من حرجه ولومه لنفسه بينما الأخرى التي دعته بخنساء تبدو أكثر مرونة توجه له الحديث بتحفظ :

- تشرفنا بلقاء حضرتك، شكرا لك لأنك أنقذت صديقتنا .

ابتسم بخجل وتحفظ هو الآخر يدفع بنفسه دفعا ليغادر، فهذا
يكفي !

- إنه واجبي يا آنسة وليس بالشيء العظيم .

تنحى محمد يبدو متوترا، فنظرت مروة إلى سمرا المحدقة به،
تلكزها بجانبها حتى أنت بألم :

- أأأأي !

التفت سمرا إليها ترمقها بعتاب، فتحدث محمد بأدب :

- إذن آنسة سمرا بما أنك تقبلت أسفي وتعرفت إلى صديقتيك،
سأرحل .

ضمت شفيتها بحسرة، تقول بصدق احمرتا له صديقتها كما
دفع بمحمد دفعا للفرار من قلبه المرهق :

-خسارة! كنت أود أن أعرفك إلى طلاب الثانوية جميعهم،
ليتعرفوا إلى البطل البارع الذي أنقذني .

-حمم! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما إن غاب بسيارته حتى سحبتها مروءة، تهتف بحنق:

-هل جنت؟ تتغزلين برجل!

فغرت سمرا فمها بدهشة وخنساء تضيف بإقرار:

-ويبدو أنه وقع بالفخ، أم أنه مجرد إحساس؟

أجابتها مروءة بنزق ساخر وسمرا ما تزال مذهولة:

- لا! ليس فقط احساسك يا حساسة، بل هو معجب ويكاد

يموت حرجا لأنه أقدم على خطوة لم يبدُ مقتنعا بها؛ بقدومه

هنا وهذا يجعلني أسأل عن سبب تأسفه لك؟

بلعت ريقها ترف برموشها ثم ردت عليها بتشوش:

- غضب وصاح علي بحفل العرس.

ضاقت مقلتا خنساء بتفكير ومروءة تسأل بسخرية وقد توقعت

ما قد يكون السبب: - لماذا غضب؟ ماذا فعلت أغضبه؟

فتحت فمها لترد لكنها تراجعت تنظر إلى مروءة بقلق،

فضحكت خنساء تمسك بمرقها بينما تخاطبها بمزاح:

-أخبرينا يا سمرا لا تقلقي لن أدعها تأكلك وصهيب هنا لن
تتجراً على لمسك !

لم تكذ تكمل كلامها حتى وصل صهيب جوارهن، يلقي
التحية بينما ينظر إليهن بحيرة، فسأل :

-ماذا يحدث ولماذا لم تدخلن المبنى بعد؟

-سمرا أنا انتظر!

نظقت مروة بعبوس استغرب له صهيب فتحركت سمرا
لتجاوره، ثم ردت على مروة بخوف مضحك : -لم أفعل شيئاً،
أخبرته بأنني صدعت رأسيكما بسيرته وأنكما ترغبان برؤية

الفارس الذي أنقذني وألقت جملة مازحة بأن لا داعي للشكر
عن الصيت والمعجبين .

تابع صهيب بحيرة لم يتبين بعد فحوى الموضوع ومروءة ترد
عليها بغضب :

- ما بك يتعدى السذاجة إلى الجنون، أتخيل طريقة حديثك
وهو رجل غريب عنك سيفهم كلامك غزلا وإعجابا .

اشتد عبوس سمرا وخنساء تسألها بيسمة مرحة :

-ماذا قال بالحرف يا سمرا؟

-حسنا أنا لا أفهم شيئا، من قال لمن ومن يتغزل بمن؟

عقب صهيب بنفاد صبر، فرفعت مروة يدها ليسكت، فعبس
بحنق بينما هي تركز على ملامح سمرا تتجلى بها أمارات
الذنب بشكل واضح وطفولي: -ماذا قال لك بالحرف يا
سمرا؟

زمت شفيتها تمطهما بقنوط ثم اعترفت بما اعترفت به لنفسها
قبلا : -حسنا لقد أخطأت وغمزت كعادتي أثناء الحديث
المازح معكما، لذا غضب وصاح بي أن لا أعيد ذلك ولا
أتصرف كما أتصرف عادة .

-يا إلهي!

-من هذا الذي غضب وصاح بك؟

عقت مروة بيأس تمسد جبينها وخنساء ترفع كفها تغطي به
 فمها بذهول ضاحك بينما صهيب يتساءل بغضب، فردت عليه
 الأولى بنزق : -هي تستحق، تتغزل برجل غريب وتغمزه
 أيضا؟ من حظها أنها وقعت برجل محترم لو كان بخلاف ذلك
 لاستغل سذاجتها وبرر لنفسه أنها المبادرة .

ارتفعا حاجبا صهيب يلتفت إلى أخته يسألها مدهولا:

-من هذا يا سمرا؟

فسارعت لتدافع عنه وعن نفسها:

-حارس نضال محمد، لم أقصد ما تقوله مروة كما أن محمد

اعتذر إلي عن طريقة تأنيبه لي .

قطب صهيب وقد هداً يقول ما يعرفه عن محمد:

-محمد رجل جيد أعرفه من سنتين تقريبا أو أكثر، لكن لا
تمازحي أحدا من الرجال يا سمرا، والغمز تصرف غير لائق مع
الرجال عموما .

زمجرت مروة بضجر وانصرفت تسبقهم إلى الثانوية، فمط
صهيب شفثيه دون تعقيب وتقدم هو الآخر بينما خنساء تتأبط
ذراع سمرا، تهمس لها بمرح :

:هيا يا سمرا أعانك الله على نفسك وما فعلته بالرجل المسكين
وهو يتلون بالخرج والتوتر .

جعدت ذقنها بتبرم انقلب إلى ذهول ثم حالمية مع استدراك
خنساء المازح : - جاء إلى هناك فقط ليعتذر إليك، أنقذك ولا
منقذ له منك الآن !

وغير بعيد عنهم

- كيف حالك يا أستاذة تسنيم .

ردت عليه محرجة من النظر إليه رغم نظارتها السوداء، وهما
يقطعان الطريقة بين البوابة الخارجية والبوابة الداخلية لمبنى
الإدارة : - الحمد لله أستاذ سامي، كيف حالك أنت؟

أجابها بلطف يحمد الله على أنها عادت للعمل ويبدو أن
أحوالها تتحسن : - بخير والحمد لله .

هو فعلا بخير حاليا، ابنه ووالدته يستعيدان صحتهما وخالته لم
تقصر أبدا، يشعر كأن عبئا كبيرا انزاح من على ظهره مع تحرره
من زواجه الفاشل وخروج سحر من حياته، لطالما علم بأن أمرا
ما خاطئ بحياتهما لكنه استمر في التجاهل والنتيجة!

نفض عنه أفكاره، يسألها بينما يتجاوزان عتبة باب مبنى
الإدارة : - كيف تسير قضيتك؟

أشارت بالتحية لبعض الأساتذة كما فعل هو ثم تناولت قلما
تمضي على كشف الحضور بينما تجيبه بصوت منخفض
قليلًا :

- سيخرج اليوم، حبس لأربعة ايام فقط ، الحمد لله، على الأقل
 جهزت فيها كل أوراق القضية، الجلسة الأولى بعد أسبوع
 والمحامي يقول بأنني سأحصل على الطلاق في الجلسة الثانية
 بإذن الله، يعني بعد شهر، أتمنى أن لا يتهور لأنني فعلا
 اكتفيت .

كان قد وقع هو الآخر وخرجا من البوابة الثانية المفضية إلى
 ساحة الفصول، بجيبها بجديّة :

- لن يستطيع، سيخاف على نفسه من السجن لكن على أي
 حال، اتخذي احتياطات واحذري .

هزت رأسها تهم بالولوج إلى الفصل في نفس اللحظة التي
 صدحت به نعمة هاتفه، فرد بقلق انقلب إلى غضب :

-ماذا؟ لا يا خالتي! لا تدعيها تلمس الصغير أنا قادم حالا!

تجمدت مكانها ترمقه بريبة جزعة، فطلب منها مستجديا :

-من فضلك أستاذة تسنيم راقبي فصلي سأحاول العودة

سريعا .

-لكن!

تساءلت فقطاعا يهتف قبل بينما هو راحل :

-سأشرح لك حين أعود.

بيت خالد

-انتظر!

نطقتها اسراء وهي تهزول لتلحق به قبل أن يغادر، أخذت منه
حقيبة يده ثم ناولته كوب عصير البرتقال، تخبره بمرح :

-الفيتامين سي أولا، سيمدك بالطاقة والنشاط .

شكرها وغمزها بشقاوة بينما يرتشف من الكوب، يفكر بأن
السعادة كلمة قليلة عن ما يشعر به معها وبرفقتها، علاقتهما
يحفها دفء من نوع مختلف خلاب، لقد كان غيبا حين كتم في
قلبه ما يزعجه بعلاقتهما، فلم يحاورها وترك للشيطان مرتعا

يلهو به لكن ليس بعد جلسة المصارحة بينهما، أصبح يحدثها
عن مشاعره كلما سمحت الفرصة ويسألها فعل نفس الشيء :

-هل تعلمين ما سيمدني حقا بالنشاط والحيوية؟

قالها بتسلية، فردت بعبوس زائف تغلف به حياءها :

-أعلم، أن أضمك؟

ضحك يجيبها بمزاح فحنقت: - أنت وقحة... لكن ...

شهقت بشدة تهم بالاستدارة، فسحبها ليضمها إليه مجيبا

بمرح : -ذلك يروق لي وهذا أيضا .

هم بتقبيل وجنتها لكنهما تسمرا على أصوات صياح ترتفع
 خلف باب بيتهما، فأسرع خالد ليفتحه ينظر إلى ما يحدث
 بصدمة :

- اذهبي من هنا، سامي أممني على ابنه وأنا أصون الأمانة، لست
 مثلك يا قاتلة يا عديمة الرحمة والقلب !

ردت سحر بصياح ساخط أعلى منها، تكاد تنقض عليها لتفتك
 بها : - هذا بيتي ولا أحده الحق ليمنعني عنه، خصوصا أنت،
 ارحلي واخرجي من بيتي !

شخصت عينا خالد واسراء حين هجمت الخالة كبيرة على
 سحر تشدها من شعرها، تصيح بغل :

-بيت من يا حية؟ كنت أتمنى هذه الفرصة وقد بعثها القدر،
 سأربيك يا عديمة التربية، كنت ستقتلين أختي وحفيدها؟
 يجب أن يعدموك يا مجرمة لكن ابن أختي طيب القلب ولم
 يهن عليه إدخال والدة ابنه إلى السجن .

أسرع خالد وزوجته يحاولان فض الاشتباك :

-يا خالة استعيذي بالله من الشيطان الرجيم، توقفي يا سيدة
 سحر!

هتفت الأخيرة بغل تجاهد لتفلت خصلات شعرها من بين
 كفي الخالة كبرة: -يا متطفلة! طردوك أولادك فلم تجدي
 ملجأ، فاستغلتي الفرصة يا شمطاء!

-سحر!

توقفوا جميعهم حين صدح صوته الغاضب، يزلزل المكان، ثم

تقدم ليخاطب خالد و إسراء باعتذار :

-أعتذر إليكما على هذا الموقف المزعج .

ربت خالد على كتفه يرد بإشفاق :

-لا عليك، المهم أنك أتيت، عن إذنك لأنني تأخرت على

عملي .

انسحب و زوجته، فقال لخالته بنبرة متأسفة :

-خالتي من فضلك ادخلي وأغلقي الباب .

أطاعته ترمي الأخرى بنظرة شماته أشعلت فتيل غيظها، فهتفت

بغل بينما ترتب شعرها : -أريد رؤية ابني، إنه حقي !

مسح على وجهه، يجيبها بهدوء مريب جامد.

-لدي ربع ساعة فقط سنتحدث فيها بالسطح هيا أمامي !

قسم الشرطة

-شكرا لك يا حضرة الضابط وآسفة من جديد .

كتمت أور ضحكتها بصعوبة حين لمحتها يقودهما شرطي

يلقي عليهما محاضرة في الأخلاق، فقد أتت بنفسها لأن محمد

استدعي هو الآخر كما سائر أفراد الأمن بالمدينة، لذا كلفت
بالتغطية على اسد ومحمد وزيد.

قابلاها بملامح ساخطة وخجلة من الفضيحة، فقالت ترفع
كفيها بسخرية : - لا تغضبا! على الأقل أتيتكما بشباب، كان
يمكن أن تخرجا من هنا دونها .

زفرا بحق دون أن يتجرأ على الحديث، فاستدركت تؤنب
رضوان : - ألم تعد بإيصال نزار وبيلسان إلى وجهتهما؟

ضرب رضوان على جبهته بضيق، فردت بغموض : - كلفت
محمد بإيصالهما والبقاء معهما إلى أن يعودا، لأن زيد قد
استدعي وأسد من أجل تدريبات دورية بشركة الأمن التي
يعملان بها

لم يعر أي منهما الأمر أي أهمية وأنهوا الإجراءات ثم انصرفوا،
تتظرهم محاضرة في المنزل ستقلب كيان كل واحد منهم على
حدة بمن فيهم أوركيدا!

بيت سمير

شعرت بلمسات حنونة وخفيفة على وجنتها، ففتحت مقلتيها
لتلمح دعاء تلمس بشرتها ببسمة حذرة، لاحظت حمرة عينيها
فهمست تسألها بنعاس : - لماذا بكيت؟ من أغضبك؟

تفاجأت بداية لكنها ردت بنبرة حزينة :

-لأن ماما بكت تقول بأنك هربتِ وتخاف أن لا تعودى، لذا

بكىت حتى تعودى بسرعة.

ابتسمت أمل تجيبها :

-وهل البكاء من أجل ما نريده يفيد بالفوز به؟

هزت دعاء كتفيها دلالة على عدم علمها، فسحبتها أمل قبلها

بقوة استجابت لها تقول بلهفة بريئة:

-أنت لن تهربي وتتركينا أليس كذلك؟

ظلت ترمقها قليلا قبل أن تجيبها بصدق :

-حين أعرف على أي أساس بنيت قنطرتي، سأكف عن

الهرب.

-ها؟!!

نطقت دعاء بجهل، فقبلتها أمل مجددا، تهمس بيسمة

متحمسة :

-يجب أن أقوم، لن أدرك أول حصة لكن يجب أن أسرع .

المركز

-شكرا لك يا أستاذ .

قالها جواد بامتنان لمحامييه بعد أن أنهى إجراءات الإفراج

عنه، فرد عليه :

-إنه عملي الذي يحتم علي تحذيرك من الوقوع بالمشاكل يا جواد، خصوصا معها .

اشتد غضبه، فقال بغل :

-أقسم سأجعلها تدفع ثمن ما فعلته، أنا جواد! تجعلني أضحوة بين الناس وترسل الشرطة ليقبضوا علي في عملي، لقد فقدته بسببها لكن سأدفعها الثمن غاليا .

تحدث المحامي بيأس وهما خارج المركز :

-احذر يا جواد، إن تعديت عليها مرة أخرى قد ترفع مستوى التهديد إلى محاولة قتل وإن أحضرت شهودا قد تسجن من

خمس إلى عشر سنوات، فهي الآن أثبتت عليك العنف ورفعت عليك قضية خلع وغالبا ستفوز بها في أولى الجلسات .

اتسعت مقلتيه يعقب بصدمة : - كيف يطلقونها مني بالإجبار؟
تحدث المحامي يفسر بصبر يحسد عليه :

- انه الخلع، يعني هي تخلعك متنازلة عن كل حقوقها لترفع الضرر عن نفسها، القانون مؤخرا عدل فيه تفاصيل ليضمن حقوق الزوجة بشكل كامل وكل ما كنا نستغله هو الثغرات في الإجراءات يا جواد .

هتف جواد بسخط بينما يلوح بكفه :

-افعل ذلك، لا أريد تطليقها، على الأقل حتى أربيها .

أوما بأسف يرد عليه :

- في حالة زوجتك لا يمكنني فعل شيء، لأنها اختارت محاميا
عقربا يحفظ النظام القضائي في المدينة كيف يسير ومنظما
لأقصى الحدود، لا يترك ثغرة إلا ويسدها وهي جاهزة لك، لذا
أنصحك بالمهادنة إن كنت ما تزال تريدها، تصالح معها كي
تتنازل عن القضية، ذلك أسلم لك .

ودع المحامي وانصرف، يهمس بتوعد :

- سأطلقها لكن بعد أن أشفي غليلي منها.

-أريد رؤية إبنى يا سامى لىس من حقك لا أنت ولا أى شخص
آخر بأن ىسلبنى حقى فى الاطمئنان عله.

نطقت عبارتها بتظلم باكى كان لىصدقه أى أحد آخر غير سامى
الذى رد علهابنبرة باردة :

-إسمعنى سحر، ابنى لا تحلمى بلمح طيفه بعد ما فعلته وإن
لم تتعدى سأرفع قضية أتهمك فىها بمحاولة قتل ابنى
ووالدى .

أسرت خوفها، تجبىه بتهديد متعجرف :

-تهديك لا يخيفنى وأنا لست جاهلة، كلمتى أمام كلمتك،
ومن ىعلم! قد تكون أنت من ىمدهما بحبوب منومة .

قبض على كفيه بشدة كي لا يجرها من شعرها كما فعلت خالته
 قبل قليل ثم قال بذكاء يريد التخلص منها، فقد فكر أنفا بأنها
 لن تكتفي ولا بد طمعها سيعيدها : - كم تريدن يا سحر؟

ردت وهي ترخي ذراعيها ترمقه بحذر : - ماذا؟

تكدرت ملامحه يقول بجمود :

- كم تريدن لتوقعي على تنازل أمام المحامي عن حضانة
 الصغير، ولا أرى وجهك بعدها أبدا.

ضمت شفيتها إلى الأمام تفكر، فقد جاءت متأملة بأخذ الصغير
 بعد أن تطالب بحقها منه، فيضطر بعدها للصرف على كليهما
 كما أخبرنها صديقاتها بأنها ستحصل على نفقة أكبر لو كانت

معها حضانة الطفل لكن الآن بعد هذا العرض السخي ستغير
خطتها.

لمعت مقلتاها بطمع، فلمعت مقلتاها هو باحتقار :

- كم ستعطيني؟

- مائة ألف درهم، تكفي؟

قلبت شفيتها تَبْخُصًا، فأضاف بقرف ارتسم على ملامح
وجهه : - مائة وعشرون ألفا وهذا آخر ما عندي، أو سأضطر
لتجريب حظي بالقضية .

حزمت أمرها تجيبه ببسمة ظافرة : - أنا موافقة .

الفصل الرابع والثلاثون

{ ما أَلزم عبد ذكر الموت، إلا صغرت الدنيا

عنده.....الحسن البصري }

بيت أسد

- تعال هنا لن تخرج دون فطور .

أنهى ارتداء حذاءه وأسرع ليجلس إلى المائدة المربعة
الصغيرة، يلتقط بعض الطعام :

- أنا مستعجل أمي، استدعينا لمهمة طارئة .

رمته بنظرة تسلية بينما تجيبه :

- ممم مهماتك أصبحت شديدة الجمال مؤخرًا.

كف عن المضغ ينظر إليها بريية، فضحكت مستطردة:

-لماذا أتعبتني بالبحث وهناك واحدة جميلة ملتصقة بك طوال

اليوم؟

تلاعبت بحاجبيها، فابتسم يحرك رأسه بيأس يكمل مضغ

طعامه:

-هل رأيت كيف تنظر إليك و... تنظر أنت إليها؟

عبس بصمت فاستدركت بعد أن وضعت له البيضة المقشرة

أمامه : - لا تدعي الغباء أمامي، ما الذي يمنعك عنها؟

فكر للحظة هل يخبرها لكنه لم يفعل وقام يقبل رأسها،

ويوصيها بجدية :

-أمي من فضلك حاولي عدم الخروج حتى أعود ، تجنبي الأسواق والتجمعات إلى أن أخبرك بالعكس .

نسيت أمر المرح تمسك بذارعيه تسأله بجزع :

-لماذا بني؟ أأست ذاهبا إلى عملك مع الفتاة أليس كذلك؟

هز رأسه نفيا، فضمته بقوة وقلبها يلهج بالدعاء قبل لسانها :

-حفظك الله من كل سوء، أستودعك الله الذي لا تضيع

ودائعه..

ضمها هو الآخر ثم قبل رأسها، يقول قبل أن يغادر :

-ادعي لي ولا تخافي، وافعلي ما أخبرتك به، أستودعك الله

الذي لا تضيع ودائعه .

*منزل القناص *

لم يكملا خطواتهما داخل بهو المنزل الكبير حتى هتفت مرام
بغضب:

- نعم الاستقبال يا أخي، لم ترني منذ أربع سنوات لأعود وأجد
كل شيء كما تركته .

زفر مسدلا جفنيه بقوة يضيق عليه ألم رأسه ونقمته بينما هي
تستطرد بعصبية مريرة دون أن تكثرت لتحديق رضوان :

- كما أنت، لاهٍ ومعتوه، لا يهملك سوى نفسك !

- مرام يكفي ما فعلتماه وأنا منزعج جدا، فاعتقيني لوجه الله .

قلها بضيق يمسد جانبي رأسه وهم بالمغادرة حين هتفت بنفس
 غضبها المرير : - حق الله! وهل تعرف الله وحقه! أو حتى
 تخشاه؟ أنت لا رب تتقيه ولا كبير توقره!

اشتدت أنفاسه فرد بقسوة لم يتعمدها ولم يدري كيف تفوه
 بها : - ليست ابنة قائمة من تعلمني الصواب أم أنك نسيت؟
 أجفلت مرام بينما رضوان تتغضن ملامحه لما قاله، فتدخلت
 أوركيدا معقبة بسخرية :

- بيلسان محقة في كل كلمة قالتها بحقك، أنت فعلا معتوه دون
 مشاعر

قطب بضيق أكبر، يزمجر بغضب مستأنفا خطواته :

-أتركوني لحالي وابتعدوا عني! لا شأن لكم بي!

-نزار يموت يا نضال!

تجمدت خطوته قبل أول درجة على السلم، وتسمر مكانه، فلم يتجرأ على الاستدارة و عينيّ رضوان تجحطان ينظر بهما بصدمة ولم تكن الجرأة كالعادة إلا من نصيب أور التي تأهبت بشراسة لتقف قبالة مرام تتساءل بلهفة ونبرة خطيرة :

-ماذا تقولين؟ هل جنت؟

أغمضت عينيها بمرار، فهي قد اكتفت من تصرفات نضال الهوجاء والرغبة ألحت عليها بإيلامه كما فعل وكما كان دائما يفعل، لأنه على عكس نزار لم يتقبلها يوما كأخت، يتباعد عنها

ويرمقها بكره كما يرمق والدتها وإن لم يفصح عن ذلك
بصراحة وما أوجعها أكثر هو تقبله لصهيب، فما ذنبها هي إن
كانت نتيجة خيانة والده لوالدته حتى إن كانت هي نتاج علاقة
شرعية؟ هي بحاجة إليه ونزار أيضا، لذا يجب عليه الاستيقاظ
من ضياعه والاستقامة:

-أنا صادقة، ونضال يعلم بأن نزار مريض، فعضلة قلبه
تضررت بعد الحادث، لكن ما لا يعلمه ما فهمته أنا من شرح
الطبيب أنه في خطر، ثلاث سنوات وهو على لائحة المحتاجين
للقلب لكن زمرة دمكما النادرة تقلص من نسبة حظه وتكاد
تكون منعدمة وقالها الطبيب بصريح العبارة آخرة مرة التقيته

بها، حالته متأخرة وكلما تأخرت أكثر تقل معها نسبة نجاح
عملية زرع القلب حتى إن وجد .

تسمر الجميع مكانه لا يستطيعون الإتيان بحركة، فخطت
ووقفت قبالة نضال تنظر إلى وجهه الذي تجمد وشحب
شحوب الأموات، تدرك بأنه في أقصى مراحل الصدمة
والفاجعة، ألم تكن هي حين علمت من طبيب نزار؟ وهو
سيكون ألمه أشد منها هي، فالجميع على علم بأنه رغم الجفاء
بينهما لا أحد يحب نزار كما يفعل نضال :

-تحافظ على حصته في الثروة وتدفع عنه الطامعات وتؤمن له
كل رفاهيات العيش لكن ماذا تعلم عن شخصه؟ أحلامه،
أمنيته ومشاعره؟

رفع أنظاره بيأس من كل شيء وبحزن عميق مكلل برفض
للواقع بينما هي تسترسل دون رحمة :

-لم تسمعه وهو يناجي ربه ليلا من أجلك !

ثم بكت تتابع بينما ترميه بنظرات خالية من الحياة :

-يتوسل إليه أن لا يقبض روحك وأنت على معصية، فتموت

على سوء خاتمة، سمعته يبكي بحرقة في سجوده من أجلك،

يسأله الهداية لك وماذا فعلت أنت؟ تحرق قلبه بضالك، إلى

متى يا نضال .. إلى متى؟

بلع ريقه يشعر بجفاف حلقة، بل يابس ملتصق ببعضه كأن

روحه تنازع لتخرج من جسده، فتجحظ عيناه بصدمة.

تحدثت أور بعدم استيعاب، تجادل كأنها ستقنعها برأيها،
فتعدل الأخرى عن ما قالته :

-لكن نزار لا يبدو كشخص على وشك الموت، بل هو مسرور
متصالح مع نفسه طوال الوقت، لا يبدو يائسا ودائم الابتسامة،
لا يمكن أن يكون كلامك صحيحا .

ابتسمت مرام بحزن تجيها :

-نزار مؤمن بربه يا أور، الإيمان بالله يمنح النفس الاطمئنان
والسكون، فكل إنسان تنتظره لحظة نهاية مقدره مهما اختلفت
الأسباب وهو مسلم مستسلم لأقدار خالقه، فلا يهمه كم يعيش
بل كيف يعيشه .

هتفت أور بذهول :

- كيف؟ أنا لا أفهم؟ كيف يسلم بأنه سيموت شابا حديث عهد
بالزواج ولا يثور ويعترض ويدعو ربه أن يشفيه ويطيل عمره؟
ألا يؤمنون بأنه يستجيب ويحقق المعجزات؟

أصابت الدهشة مرام، فهي لا تعرف بأنها غير مؤمنة لينطق
رضوان بعلم يعلمه كل المسلمين لكن قلة من يوقنون به :

- أور يجب أن تفهمي شيئا حتى إن أخبر أبرع الأطباء نزار بأنه
سيموت لا محالة، إيماننا بالله يمنعنا من اليأس بل يحثنا على
التفاؤل، لأن الموت لا يخضع لقانون أو منطق بل ينتظرنا
جميعا دون استثناء ولا يحتاج لسبب أو عمر، قد أموت أنا الآن
اللحظة هنا أمامكم ويعيش مريض على فراش مرض مميت

بعدي ولسنوات، ذاك هو الإيمان بالقضاء والقدر، فلا تهم مدة العيش لأنها مهما طالت ستنتهي، ولا يعني ذلك أن لا ندعو الله بما نرغب به، الشفاء وطول العمر، بالعكس الله يحب العبد الملحاح بالدعاء والمحسن الظن به دون كلل أو ملل أو يأس. صفتت مرام بمرار حزين، تعقب بسخرية :

-لديك العلم، فأين التطبيق؟ تقيمان الحجة على نفسيكما، فبماذا ستدافعان؟

تهرب بعينه من شعور الخزي والخجل، فبسطت مرام ذراعيها وهزت نضال، تهتف بغیظ : -لماذا أنت صامت هكذا؟ قل شيئاً !

نظر إليها بنظرات فاقدة للحياة، وبلع ريقه لينطق ببحة
مجروحة : - لماذا لم يخبرني؟

نفخت ثم ردت بضيق : - طلبت منه كثيرا أن يخبرك لكنه رفض
وبشدة يقول بأن ذلك لن يزيدك سوى حقا واشتعالا برغبة
الانتقام وأنت مدمر بما فيه الكفاية، لم أفهم قصده لكنه كان
مصمما.

شملهم بنظرات زائغة من الصدمة ثم انطلق خارجا وهو
يهمس بحرقه : - نزار آه يا نزار !

لم تعلم أور أن دموعا قد فرت من مقلتيها إلا حين اقتربت منها
مرام تخاطبها بإشفاق :

-حبيبتى لا تبكى، إنها تصاريف القدر، الحمد لله على كل حال .

أجفلت أور ورفعت كفها إلى وجنتها لتكتشف أنها تبكى،
فحركت رأسها باعتراض ورفض ثم انصرفت مهرولة كما
فعل، وجه لها رضوان الحديث بوجوم :

-لقد تقصدت إلحاق الوجيعة به، أليس كذلك؟

لم تجبه ترمقه بضيق حزين بينما يردف:

-لطالما كنت قاسية بثأرك، تأخذين حقلك دون رحمة .

رفعت رأسها، تجيبه ببرود قبل أن تغادر :

-أنت لا تعرفني يا رضوان، فلا تتدعي ذلك.

كانت تهزول كما أفكارها برأسها،

لا يمكن! نزار كيف؟ وماذا عن بيلسان؟ كيف ستتقبل الخبر؟

هل ستنطفئ سعادتهما؟ لماذا يحزنها الأمر؟

و لماذا أحشائها تتقطع من الألم؟ أسرعت أكثر تريد الخروج

من القصر تقرر البحث عن أسد، تحتاج إليه، أن تبكي على

كتفه حتى إن لم يسمح لها يكفيها أن تبكي أمامه، تخبره بخوفها

وحزنها تحتاج لأن تخبره هو بالذات وكل ما تعلمه أنه

سيخفف عنها، سيجد الكلمات المناسبة .

لمحت مشهدا ما فعادت إلى الخلف بسرعة تتخفى خلف

الجدار، تفكر سريعا فما كانت لتضيع تلك الفرصة، تزفر

بغضب أسود ثم استدارت لتقترب منهما من الجهة الأخرى
وسحبت هاتفها بخفة لتسجل المشهد صوتا وصورة عدها.

بيت سهيل

- آآه أرجوك! لن أعيدها، أتوسل إليك!

شد شعرها بقسوة كأن توسلها يزيد هيجانا:

- يا غبية! كم مرة أخبرتك بأن قمصاني حريرية لا تغسل

بطريقتك البيئة لن تترقي أبدا، ستظلين جاهلة من حي بائس! لا

أنوثة ولا جمال ولا شيء يدل على أنك امرأة!

تحاملت على ألمها ولم تتأوه وحين سمعت نحيب ابنتها ريفان

ثم صراخها وهي تسحب والدها :

- أتركها، أرجوك أبي، لا تضربها !

أفلتها بقوة دافعا إياها، فوقعت على الأرض واقترب من ريفان

التي انكشفت على نفسها رعبا، فأمسكها بقبضتيه يهزها بقوة

جعلتها تصيح برعب:

- أيتها الحمقاء الصغيرة، تدافعين عنها، أنت مثلها وتربيتها.

أسرعت إيمان تحول بينهما، متحملة الضربات منه وهي تضم

ابنتها في حضنها كي لا تتأذى حتى زمجر بسخط وأسرع يخرج

صافقا الباب بقوة .

- حفنة حمقاوات !

قبلتها بحنو تضمها بقوة، تهمس في أذنيها برقة :

- حبيبي لقد رحل ! ... أنت بخير ! ... نحن بخير !

ظلت ريفان تتشنج كما يحدث لها بعد كل وصلة عنف من

والدها تجاه والدتها تصدر أنينا موجعا، فرفعت ايمان رأسها

الى السماء تدعو الله بحرقة مظلوم:

- اللهم عليك بالظالمين فإنهم لا يعجزونك ، حسبي الله ونعم

الوكيل .

*ثانوية الحسن البصري نهاية الدوام *

تمهلت قليلا على الدرج حتى يلحق بها، تمنى سماع حديثه،
هو الذي أعاد إليها صوابها كما أعادها إلى بيتها، فسمعت نبرته

الرجولية الهادئة : -آنسة أمل، كيف حالك؟

ابتسمت، فلمعت الزرقة بعينها لكنه سرى ما أبعد عينه عنها
يستحضر الصغيرة المتشبهة به والمعجبة بشعره :

-بخير، شكرالك .

تجاوزها قليلا يقول بسمه هادئة: -على فكرة، لقد تذكرتك.

هزت كتفيها، تجيبه ببعض الخجل :

-لكن الغلبة تظل لي، فأنا سبقتك وتذكرتك.

سعد لمزاجها المتغير عن الكدر والبؤس، يمرر كفه على
شعره، يقول بمرح :- لم يعد لدي ما يثير اهتمامك .

ضحكت بهدوء ليستغرب اضطراب قلبه وقد تعود على
السكون ولم يثر شيئاً اهتمامه من قبل حد اضطراب دقات قلبه
بطريقة عجيبة، بينما هي تجيب قبل أن تسرع لتختفي كما تفعل
دوما :- الشعر القصير يطول.

أقلت الخنساء تحيتها على صديقتها وهرولت بخطوات
سعيدة تحملها إلى فارسها، لكنها تسمرت حين لمحت
الأستاذة كريمة تحدث فارسها وكم بدى لها الاختلاف شاسعا

بينها وبين المرأة الأكثر جمالا وأناقة وأنوثة غير أنها بمثل
مستواه الدراسي والعملي :

- أستاذ أمين، هلا أوصلتني معك إلى بيتي؟ أنا تعبة جدا ولا
أثق سوى بك.

تبسم ببعض الارتباك، يحاول الرد بلباقة :

- آسف آنسة كريمة، لا أقل نساء بالدراجة .

أمالت رأسها وضيقت مقلتيها، تحاصره :

تلك فكرتي عنك إلى أن بدأت تقل الأنسة خنساء كل يوم.

تجمدت ملامحه لكنه تحدث بهدوء :

-خنساء ابنة الجيران تربت معي في نفس البناية، أهلها أمنوني
عليها .

ومع آخر كلمته لمحها ليغرق قلبه في بؤس حزنها وألمها الغائر
بينما كريمة تبسم بظفر استغرب له آمين، تقول بلباقة :
-أنت محق، اعطني بنفسك .

استدارت ولمحت خنساء فاتسعت بسمتها، تحيها باقتضاب :
-مرحبا خنساء .

لم تسمعها مقلتها مثبتين على عينيه ترمقه بخيبة أليمة، تقدم
بالدراجة يشير لها إلى مكانها، فركبت وقلبها ينزف وجعا،
وبمجرد أن انطلق أطلق دموعها للريح يحملها معه محافظا

على كبريائها ولم تدري بأن دموعها خانتها وضربت وجنته
بقطرات تجلده بها وتهمس له بأنه وبطريقة ما خانها.

وعند بوابة الثانوية تسنيم تقول بدهشة بعد أن أخبرها سامي
باختصار ما حدث :

-باعت ابنها؟ يا إلهي من يفعل ذلك؟

رد عليها بسخرية مريرة :

- كانت ستقتله بالمنوم، أنت طيبة .

ضمت شفيتها، ثم قالت بأسف:

-أنا آسفة حقا والحمد لله على سلامتھما، حين تسمع بلاء
غيرك يهون عليك بلاؤك .

هز رأسه مؤكدا في نفس اللحظة التي وقف عليهما ظل، نظرا
إليه، فانتفضت تسنيم خوفا وهو يصيح بسخرية مغيظة ينوي
فضحها لينتقم منها :

-ألهدا طلبت الطلاق أيتها المنحلة؟ ألهدا دمرت بيتك وشتك
أسرتك لكن لن أكون جواد إن لم أربك يا ساق....
لم ينهيها لأن سامي بكل غل و حقد احتقن به صدره إن كان
تجاه جواد أو تجاه زوجته سحر، لكمه على أنفه لكمة أطاحت
بجسده على الأرض.

شهقت تسنيم بقوة، فهتف سامي وهو يسحبه من قميصه ليشفي
شقا من غليله :

-ارحلي! أوقفى سيارة أجرة، وارحلي.....هيا!

أطاعته برعب بينما هو يكيه اللكمة بعد اللكمة وقد تجمع
عليهم بعض الطلاب ولحظه كان البقية من هيئة الإدارة لم
يخلوا المبنى بعد فلم يروا ما حدث :

-أقسم إن اقتربت منها مرة أخرى سأقتلك يا حقير!

تركه مرميا يئن بألم ويهمس بخفوت حاقد :

-بل أنا من سيقتلها وسترى .

مساء *

*مركز التدريبات الأمنية *

نطق أسد بمرح يقصد نوفل والجميع يستعدون ببذلهم العملية،
تحتها واقيات ضد الرصاص وأسلحتهم مع الذخائر:

-أعد التفكير يا نوفل ستستمع أكثر معنا، فمن ستغيرون
عليهم حفنة جناء أشباه رجال، لا يقدرّون إلا على النساء، أما
البقية فمؤكد لن يستسلموا إلا بمعارك حامية .

أجابه نوفل بضيق وهو يربط حزام سلاحه :

-وما يَسُرُّكَ في ذلك تحديدا؟ أسد! انتبه لنفسك ولا تنهور !

اقترب منه أسد، يهمس له بينما يرفع قدمه على الكراسي
الحديدية ليحكم ربط حذاء عمله :

-من ينصح من؟ أعلم سبب إصرارك على موقع جماعة ديدو،
لذا خذ بنصيحتك ولا تلوث يديك بدمه العفن .

هز رأسه يربت على كتفه، فقد اتخذ فعلا قراره بعدم قتله
والسبب يعود لحبيته التي قلبت كيانه باعترافها، لطالما حلم
بها تخبره عن حبها لكن الواقع أجمل بكثير رغم هروبها بعد
اعترافها، أعادت الحياة إلى قلبه، فمنحته دفعة وشجاعة ليقوم
بعمله على أكمل وجه كما منحته السكينة ليفكر جيدا في قراراته
وغير بعيد عنهما صوان يتأكد من بذلة زيد الذي يرمقه ومحمد
بريبة :

- لا تبعد عني، كن دائما خلفي، اتفقنا !

لاحظ نظراته المرتابة، فتنحى يستطرد :

- اخترتك لتكون مساعدي، رأيت أداك وهو قريب من أدائي،

سنتفاهم جيدا.

ابتسم زيد بفخر يرد عليه باحترام :

- الشرف لي سيدي وأنا سأحمي ظهرك وأفديك بحياتي.

- لا!

نطقها صوان بجدية أعادت إليه الريبة، فاستدرك نفسه يقول

بينما يعقد حاجبيه :

- لا نريد ضحايا، سنقبض على رأس الأفعى ونعود جميعنا سالمين بإذن الله، هل تراجع خريطة الملهى من جديد؟
 أو ما زيد بشك بلغ أقصاه، فهذا الشخص أمامه بالتأكيد يخفي شيئاً ما، وفي الغرفة الأخرى ضرغام يحذر ليث بحزم :
 - لن تتدخل ليث، إذا احتجنا إليك سنطلبك لتنضم إلينا، هشام إنه مهمتك .

ضحك هشام يقدم التحية العسكرية بشكل مسرحي :

- أمرك سيدي الضابط ممتاز ضرغام، لا نعلم أي منا أعلى رتبة .

ادعى الضحك بسخرية بينما يجيبه :

- أنتما من سبقاني إلى الترقية، فتحملا التوجيه والتنسيق للفرق،

بدونكم بعد الله تضيع الخطط وتسود الفوضى، فاحترسا !

قال ليث بتصميم :

- لا تقلق! إن شاء الله كل شيء سيكون بخير، ضرغام! أصعب

مهمة هي لفريقك، لن يستسلموا بسهولة ويملكون أسلحة

ومتفجرات، التزموا بالخطة، أسد بارع كبقية الأفراد، فانتبه

لنفسك ولهم !

هز رأسه، يرد عليه بخشوع :

-الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

زفرت بضجر تلقي بالهاتف على المقعد بجانبها، تعلم بأنه لن يرد، فهو أخبرها بمهمته وهاتفه سيكون مغلقا.

رن هاتفها، فانتفضت تخطفه من مكانه وحين لمحت رقم شقيقتها تنفست بعمق ثم ردت بنبرة حاولت إخفاء التوتر بها:

-مرحبا بيلسان... كيف حالك؟

انساب صوتها الرائق ليثير في نفسها الشجن:

-أنا بخير عزيزتي... الحمد لله... وأنت؟

أجابتها معيدة رأسها على مسند المقعد:

-لا تشغلي بالك بي أنا بخير، المهم أنتما، كيف هو نزار؟

-إنه بجانبى يسلم عليك ويخبرك بأنه يصون الأمانة كما وعدك .

أغمضت عينيها تعتصرهما بحزن بينما تقول :

-جيد، أخبريه بأنني أصدقه.

فتحت عينيها حين جاءها صوت بيلسان مرتابا بعض الشيء :

-هل أنت بخير؟ صوتك لا يريحني .

تمالكت نفسها تجيب بنبرة ثابتة :

-أنا فقط تعب و سأذهب للنوم، اعطني بنفسك واستمتعا، الى اللقاء .

فكرت قليلا تنقر على المقود بسبابتها ثم انطلقت بعزم لكن
ليس إلى منزل القناص أما في الجهة الأخرى وبمدينة أخرى
وضعت بيلسان هاتفها على المنضدة، تقول بشك :

-صوتها لا يريحني، أظن بها خطب.

ضمها نزار فأرخت رأسها على كتفه، يطمئنها :

-لا تخافي إنها قوية، ادعي لها بالهداية فقد بدأت بالتغير فعلا،
وقلبي يشعرني بأنها ستهتدي بفضل من الله .

غامت ملامحها باستبشار، تقول :

-هداهما الله كليهما يا نزار .

ربت على وجنتها، يهمس بحنو :

-أين ما وعدتني به يا ماكرة؟

رفعت رأسها تقول بعبوس طفولي

-بل أنت الماكر، أخذت مني وعدا وأنا خائفة عليك.

أوماً بتسلية وقد أفلح بصرف انتباهها بسرعة عما يقلقها وكم

يسعده ذلك :

-لا! لن تملصي من وعدك، وأنا لن أحلك منه .

ردت عليه بقلق بينما تضم جانب وجهه :

-نزار! ما زلت مصرة على الذهاب إلى الطبيب، تعبك اليوم

أخافني .

ضمها إلى صدره، يقول بمرح عكس ملامح وجهه الساكنة :

- أخبرتك من قبل، أنا رجل عليل يا حبيبتى، نسيت حبة دواء
من سعادتى معك، فأنت تجعلينى أطير مع السحاب وأنسى
أننى إنسان على سطح الأرض .

رفعت رأسها لتنظر إليه بعشق يتضخم به قلبها كل لحظة
تمضيها برفقته، تهمس له برقة :

- أنا أحبك يا نزار، حفظك الله لي .

بيت أهل تسنيم

-تعالى يا تسنيم، والدك يريد التحدث معك

قالتها والدة تسنيم لابتها فى المطبخ، فخطت الأخيرة بتوتر

ودخلت غرفة المعيشة حيث يجلس كعادته، يطالع الكتب أو

يقرأ القرآن، يرتدى بدلة رياضية شتوية سوداء عليها رداء صوفى

على شكل عباءة رجالية، إلا أنها بشكل قليلا مختلف تسمى

ببلده سلهما. وقفت أمامه تنتظر، فتأمل وقفها بعبوس، يقول :

-اجلسي!

أطاعته وجلست قبالتها، ليستدرك بملامح عادية :

-سمعت حوارك مع شقيقتك، من سامي هذا؟ ولا تخفي عني

شيئا .

هزت رأسها ثم ردت بصدق دون أن تذكر التفاصيل:

-الأستاذ سامي زميلي بالعمل، حاول مساعدتي حين لاحظ

الكدمات على وجهي .

صمتت لتدخل الهواء الى رئتيها تشعر بالحر رغم برودة الليلة

الشتوية، فسألها والدها وقد عبرت ملامحه بعض أمارات

الرفض : - كيف كانت مساعدته؟

رفعت رأسها، ترمقه بحزن وهي تجيبه :

-سأبقى دائما منحلة في نظرك، لم أعصِ أمرك قبل جواد يا أبي
ولم أحضر لهذا البيت مشاكل من قبل، على العموم، الأستاذ
سامي من اقترح علي اسم المحامي وهو من نصحني باللجوء
إليك وأخبرني بالحرف أن التذلل لوالداي أهون بكثير من القوة
بأي مكان آخر ويوم ضربني جواد حتى أوشك على قتلي
اتصلت به لأن الوقت كان ليلا وهو من أوصلني هنا واليوم
أيضا حين تهجم علي قرب الثانوية هو من تصدى له ولقنه
درسا لن ينساه.

قامت تبكي بحرقة، فهدر بحزم : -توقفي!

تجمدت مكانها واستدارت إليه، فاستطرد بحزم :

- منذ الغد سيرافقك معاذ إلى عملك ويعيدك، لا تخرجي من
دونه ولا تطلبي المساعدة من رجل بعد اليوم حتى لو تطوع!
اجعلي حديثك معه نادرا أو حتى منعدا، فكما أوهمني
الزنديق بتشويه سمعتك سينشر عليك إشاعات بين الناس، فلا
تثبتي قوله لأحد مع أن ما يهم خالقك وليس البشر لذا احترمي
الحدود ولا تحدثيه حتى بعملك إلا عندما تقتضي الضرورة .
هزت رأسها بطاعة وانسحبت تسر راحة بقلبها، فقد التقطت
كلمة أوهمني وهذا يعني أنه لم يصدقه .

بيت أسد

أنهت الصلاة ورفعت كفيها تسأل الله أن يحفظ ابنها ويعيده
سالما غانما حين دق جرس البيت، فقطبت حيرة وقامت تسير
نحو الباب حيث أمسكت القفل بيدها تسأل : -من؟

-أنا أور سيدتي، هل تذكريني؟

عقدت جبينها وهي تفتح الباب ثم استفسرت منها بنبرة قلقة لم
تستطع التحكم بها :

-مرحبا يا ابنتي، هل هناك خطب ما؟

ردت أور تشعر بخجل شديد، تستغرب نفسها مؤخرا كأنها
تتحول لشخص آخر لا تعرفه :

- لا تخافى سيدتي، هاتف أسد لا يجيب، ف...

لم تنهي حديثها حتى ردت عليها صفة مبررة:

- إنه في مهمة يا ابنتي، ألم يخبرك؟

هزت رأسها إيجابا، فتذكرت صفة وقوفهما على الباب لذا

أمسكت كفها تدخلها مستطردة بمودة:

- تعالي، لا تقفي على الباب، تفضلي!

نظرت أور إلى غرفة الضيوف المفتوحة على ردهة صغيرة

حيث باب الشقة، تقول بتردد: - سيدتي.... أنا...

- كفي عن سيدتي هذه وقولي خالة أو صفة لا يهم.

ابتسمت تلحق بها، فلم تدخلها إلى الصالون بل تجاوزته إلى
المطبخ، تستدرك :

-الحمد لله على مجيئك، فأنا لوحدي ولم أستطع استطعام
لقمة وولدي غائب، سنؤنس بعضنا ونتناول بعض الطعام .

أجلستها إلى مائدة المطبخ الصغيرة، تثرثر في أي شيء وكل
شيء وهي تسخن الطعام وترص الأطباق بينما أور تصغي إليها
ببسمة هادئة على ثغرها، فهذا ما كانت تبحث عنه، من يصرف
تفكيرها عن المصائب، فلم تضجر بحديث الخالة الذي استمر
حتى وصلت لحقبة وفاة زوجها، فبكت لتبكي معها أور في
سابقة لم تحدث معها من قبل : -أسفة بنيتي، أحزنتك .

أومات سلبا تقول كأنها وجدت منفذا :

- لا! ليس أنت، الحياة بالفعل ظالمة وغير منصفة.

اقتربت منها صفة بكرسيها، تسألها بقلق صادق وهي تربت على ظهرها : - لماذا تقولين ذلك يا ابنتي؟ أنت ما تزالين صغيرة، يجب أن تتفألي .

نظرت إليها قليلا ثم ما لبثت أن انفجرت بكل ألمها تهتف كصبية ضائعة عن والديها :

- أنت لا تعلمين شيئا يا خالة، حياتي كلها جحيم وألم، لم أهنأ يوما، منذ وعيت على هذه الدنيا وأنا أتخبط فيها كالأعمى بل أضل، فابن خالي أعمى ومهدد بالموت ومع ذلك هو أفضل مني بكثير .

قربتها صفة لتبكي على كتفها وهي تومئ بإشفاق، تهادنها
 بالقول اللطيف : - اهدئي يا ابنتي، الله رحيم وهو قادر على كل
 شيء، يصلح الحال ويفرج الهم والغم .

شهقت ببكاء، تعترف ببؤس حيرتها البالغة :

-أنا لا أعرفه يا خالة !

سألها صفة ببلاهة : -من يا ابنتي؟

-الله، المكان الذي تربيت فيه لم يخبروني عنه .

نظرت إليها صفة بحيرة تتأمل الحرقرة المرسومة على ملامح
 وجهها الصغير، ثم سحبتها إلى غرفة الجلوس لترتاح أكثر
 حيث أجلسها هناك، تخبرها :

- سأحضر لك عصير برتقال تشربينه ثم تحكين لي كل شيء .

يجوب الشوارع دون هدف، لم يأكل ولم يشرب كأنه يعاقب نفسه، يفكر في كل شيء من بداية مصائب حياته، دخول قائمة إلى الشركة كمديرة مكتب والده، اكتشافهم زواجه وانجابه لطفلة منها ثم ثورة والدته، الحادثة وموت والديه ومرض توأمه، اكتشافه للحقيقة فحربه الضارية مع عمه، تغضنت ملامحه وزمجر يضرب المقود بغل.

-تهامي يا مجرم أنت السبب، أنت السبب! ستدفع الثمن لأريح الناس من شرك !

هنالك سولت له نفسه أمرا، فأنطلق بسرعة لا يفكر سوى في
أمر، قتل تهامي القناص.

بيت أسد

مسحت على أنفها بمنديل ورقي بعد ان سردت على صفة،
كامل أحداث حياتها ثم قالت بلكتها المميزة:

-تخلي يا خالة، يحدث هذا لنزار، كيف ستكون حالة
شقيقتي؟ إنها تحبه كثيرا .

عادت إلى البكاء، فتلقفتها صفة تضمها بإشفاق، تخاطبها
بحنو : -اهدئي حبيبتى، اهدئي! يا إلهي! الدنيا إما بلاء أو فتنة .

ثم أبعدها قليلا تردف بحزم مشوب بحنان :

- أنت لا شأن لك في ما حدث، بل العكس أنت ضحية ويجب

أن تنسى كل ما مضى وتعيشي حياتك بسلام، أما مصاب زوج

أختك، فالله رحيم به وبنا يا بنيتي والله وحده أعلم بأجالنا .

ثم بسطت كفها تضعه على موضع قلب أوركيد بينما تستطرد :

- يجب أن تؤمني بالخالق بنيتي وبحكمة أقداره، اقتربي منه

ليدخل نوره هنا، لأن ذلك النور هو الذي سيمنحك السكينة

والصبر والرضا، وهذا ما ينعم به نزار وشقيقتك .

تابعها أوركيد بتمعن بينما تضيف: -نحن يا حبيبتى ليس لنا سواه،

نتشبث به، نسأله نشكره على فضله علينا ونسأله رحمته، فيرأف

بنا ويحفظنا ويرحمنا، ذكره سبحانه وقراءة كلامه والصلاة له
وعبادته بالمجمل راحة للقلب وللروح والجسد، فنعيش بسلام
بعيدا عن ضنك المعيشة .

-ضنك؟! !

نطقت بتساؤل، فأومأت باسمه تجيبها ببساطة من الله بها
عليها : -بلى يا حبيبتى، قال الله في القرآن الذي أرسل به نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغنا به (ومن أعرض عن ذكرى،
فإن له معيشة ضنكا) أي يعيش في غم وهم وضيق منعدم
الحكمة واعمى البصيرة، معذب لا يجد الى الطمأنينة سبيلا .

هزت أور رأسها بتفهم، فلمحت الساعة الحائطية أمامها ثم
قالت بدهشة :

-أوه! تأخرت كثيرا، لقد انتصف الليل منذ ساعتين.

همت بالقيام، فمنعتها صفية، تقول برفض :

-أين ستذهبين؟ لا يصح أن تخرجي في هذا الوقت من الليل،

أنت فتاة يا ابنتي، قد يؤذونك .

-لكن يا خالة !

شدت على قولها مؤكدة :

-لا! ستبقين هنا وتنامين في غرفتي لأنني لا أنام عادة إذا غاب

ولدي في مهمة، أبيت أصلي وأدعو ربي كي يحفظه لي .

نطقت بخجل وإحراج : -لا داعي يا خالة، سأنام هنا .

أومأت رافضة توقفها لتسحبها إلى غرفتها :

-غرفتي أريح، هيا يا فتاة لا تتعيني !

استسلمت ثم أوقفها تشكرها بامتنان حقيقي :

-شكرا لك يا خالة، تحملت ازعاجي لك .

ربت على وجنتها، تجيبها بمحبة نبتت في قلبها نحو تلك

الفتاة : -لم تزعجيني أبدا بل أنستي وحدتي وهونت علي

غياب ولدي وسأدعو لك الله أيضا بالهداية وصلاح الحال،

هيا!

شعرت بامتنان حقيقي، تتأكد بأن مصدر رجولة أسد هذه المرأة

التي أنجبته وربته على القيم.

علا رنين هاتف البيت، فانتفضت صفة تمسك موضع قلبها

تنطق بجزع وأور تقطب بريية هي الأخرى : -بسم الله!

ثم أسرع إلى الهاتف ترد :

-السلام عليكم، بلئى !

راقبتها أور كيف ارتعشت يدها التي رفعتها إلى فمها ثم كيف

أقلت بالسماعة وجلست على الكرسي بجانب الطاولة، تنطق

بشجن ويدها على صدرها :

-إننا لله وإننا إليه راجعون، اللهم لا اعتراض على قدرك، اللهم

قدرت فالطف، اللهم احفظه لي يا ربي، اللهم قدرت فالطف

به وببي، ولا أقول إلا ما يرضيك، إننا لله وإننا إليه راجعون .

اهتز قلبها داخل صدرها، كانت تعلم! احساسها لم يخب وكل ذلك الضيق الذي شعرت به أنفا والذي حملها من الأساس إلى بيته ووالدته لأنها أحست بذلك! قلبها شعر بأنه سيحدث شيئا ما، لكن كيف أحس قلبها؟

اقتربت منها وجلست القرفصاء أمامها ثم أمسكت يديها تخشى السؤال، فاكتفت بالنظر إليها بتوسل أن لا تخبرها ما في بالها لكن صفة نطقت وتحدثت بثبات مستجمعة قواها كي تحافظ عليه :

-يقولون بأن أسد أصيب ويجب أن أذهب للمشفى حالا، يقولون أن حالته خطيرة، خذيني إليه بنيتي، خذيني إليه !

توالت دموعها على وجنتيها بسخاء وصورة وجه الخالة صفية
يبتعد ويبتعد إلى أن ابتلعه ظلام دامس وجملة واحدة عالقة
بذهنها تعقلها خلف قضبان اليأس لا فكاك :

-الموت لا يخضع لقانون ولا منطق.

الفصل الخامس والثلاثون

{هانوا على الله فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم... الحسن

البصري}

قبيل منتصف الليل بساعة

بيت صوان

وضعت صغيرتها على السرير بعد تعب مضني لتجعلها تغفو،
ثم اتجهت نحو غرفة سكينه لتطل عليها، تشغل بالها كثيرا
فصحتها واهنة ونحافتها بارزة كارهة للطعام لم تتناول من
وجبة الغذاء لقمة، فأوزعت ذلك لخبجها وتحفظها منها ولا
تعلم لذلك سببا حتى أنها لم تجب على حديثها سوى بكلمات

مقتضبة، دقت على الباب بخفة لكنها لم تلق ردا، فدفعت الباب بهدوء كي تطل عليها، لمحتها مستلقية على السرير تدير ظهرها إليها وكانت ستسحب حين سمعت أننا خافتا، فعادت مسرعة لتكتشف أن جسدها يهتز، لمستها بيديها فجذعت من حرارة جسمها ونادت عليها برقة :

-سكينة هل تسمعيني؟ أنت محمومة يا سكينة.

لم يصلها ردا سوى أنين خافت ضعيف، فهرولت إلى المطبخ لتحضر كمادات تساعد على تبريد حرارة جسدها ثم بحثت في خزانة الدواء والتقطت مخفض الحرارة وبعد ساعة من الزمن فتحت أخيرا عينيها بتعب تهمس :

صوان؟

ابتسمت شادية، تجيبها بإشفاق :

- أنا شادية، صوان في عمله، كيف تشعرين ؟

تأملتها قليلا تستحضر أين هي ثم فركت جبينها، تتساءل

بريبة : - ماذا حدث ؟

- ارتفعت حرارتك لكنك الآن أفضل والحمد لله .

هزت رأسها بتمهل ، فأردفت شادية برجاء :

- هل ترغبين بشيء ، هل أنت جائعة ؟

أومأت نفيا، فقامت شادية تحمل إناء الماء والكمادات .

- إذن سأدعك ترتاحين، شفاك الله يا ابنة عمي .

راقبتها تبعد ثم نادتها بتردد : - ش... شادية ؟

التفتت اليها باهتمام: - نعم؟ !

تنفست بوهن كأنها تعيد التفكير في طلبها ثم قالت برجاء :

-هلا قرأت القرآن جوارى؟

اتسعت ابتسامتها، ترد بسرور.

-طبعا سأضع هذا وأعود بسرعة.

الملهى

صف السيارة بعيدا ودخل مستخدما اسمه، فمنحوه الإذن

بسرعة دون تفقد أو تفتيش، لم يلتفت لأي من الفتن حوله حتى

النعيمات الصاخبة، التي تهز الأرض من تحت أرجلهم كما لم

يهمه مدى غرابة المكان مقارنة بباقي الملاهي المعتادة لديه،
يحملة الكره، الحقد ونقمة عظيمة، سيفقد أحد أعضائه مجددا
إنه لأمر موجه، يفتت قلبه ألما.

فتح باب مكتبه بحدة أجفل لها الملتفين حول طاولة القمار،
فقام تهامي مبهوتا، يتساءل كيف علم بالمكان وبوجوده به؟
فنطق بالسؤال دون وعي .

- كيف علمت بهذا المكان نضال؟

ضحك ساخرا، يرد وهو يتفقد المكتب باحتقار :

- هل تظن حقا بأن حقارتك ستظل مخفية؟ ستكون حينها غيبا
جدا إن ظننت بأن رائحتك العفنة لم تزكم أنوف الجميع.

صاح تهامي غضبا والجميع بمن فيهم سهيل يراقبون بحذر،
فنضال يبدو غير متوازن بالمرة والمشكلة أن الحراس لا
يدخلون المكتب ولا يُسمح لأحد بأن يدخل بسلاحه .

- كيف تتجرأ، هل أنت ثمل؟ أخرج من هنا!

في نفس اللحظة، ارتفعت أصوات صراخ صاخب، فالتفتوا
يلقون نظرة عبر الحائط الزجاجي، فلمحوا عناصر الشرطة
منتشرة، تقبض على مستعملي الغرف الخاصة كما كل من
يخرق قانونا من العاملين والزائرين، فصاح سهيل :

- ماذا تفعل الشرطة هنا؟ تهامي اتصل بوسطائنا، لماذا سمحوا
بهذا؟

استغل نضال دهشتهم واستل المسدس من تحت سترته،
مقتربا من تهامي لياغته وأمسكه من عنقه ووضع المسدس
على جانب جبهته، يقول بغل وهستيريا عينا محمرتين كأنهما
ستنفجران :

-أخيرا أيها المجرم، سأنتقم منك لعائلتي، لأبي وأمي ونزار،
سأنهي هذا العذاب لأرتاح .

جحظت عينا تهامي وانقطعت أنفاسه، فحاولوا التحرك إليه
لكنه حرك المسدس على رأسه يصيح بغضب جارف :

- لا أحد يتحرك! سترون جميعكم كيف سينفجر دماغه إلى
أشلاء كم شت أهلي وحرمني منهم.

كل جامد مكانه يحدقون به بحذر حتى حولوا أنظارهم إلى
الباب حين اندفع صوان إلى المكتب متفاجئاً هو الآخر
بالمشهد.

شعر تهامي و سهيل بظفر يظنان بأنه قادم من أجلهما، فقال
نضال محتقرا وقد ظن نفس ظنهم :

- أنزل سلاحك حالا، لأن هذا الحقير سيموت الليلة ولا أحد
سيوقف ذلك .

رفع صوان يده بحذر يدعي الاستسلام، فظهر محمد خلفه
ليقطب نضال بريبة وزيد يظهر له هو الآخر .

-محمد؟

بهت محمد ونضال يتفحص اللباس الأمني الموحد عليهم،

فتناظر هو وصوان الذي أعطاه الإشارة، ليحاوره بمهادنة :

-نضال، لا تضيع نفسك يا صديقي وكل ما عملت من أجله،

أمره انتهى، اتركه للعدالة وسيعدم كما تريد، أرجوك نضال لا

تلوت يديك بدمه النجس .

رد عليه نضال بحيرة وهو يشد على تهامي المصدوم كليا :

-ماذا تفعل هنا محمد؟ ألم تكن مع نزار؟ ومن أين تعرف هذا

الرجل؟ ولماذا ترتدي لباس شرطة؟

رد محمد بسرعة يفسر له :

-أنا لست حارسا شخصا، أنا ضابط وكنت في مهمة .

ثم أشار إلى زيد وصوان يردف :

-زيد أيضا ضابط وصوان من رؤسائنا الذين وضعوا خطة أنت مؤسسها دون أن تعرف وبمساعدتك كشفنا شبكة منظمة بين الدعارة والمخدرات والتهريب السلاح، نضال أنت قدمت خدمة كبيرة للوطن لأنك سهلت علينا أموراً كثيرة حين وردتنا معلومات عن خطط إرهابية، وهذا المجرم سيعدم لا محالة كل الاثباتات ضده مجموعة وأكبرها خيانة الوطن، أتوسل إليك يا نضال أفلته !

صاح بغضب يرد عليه:

-لا! أنا من سينتقم منه، أنت لا تعلم شيئاً يا محمد، نزار....
نزار يموت يا محمد .

ذرف دموعا صدمت محمد الذي لم يره يوما ضعيفا وهو يردف
بهستيرية وضحت للجميع مدى عدم وعيه حاليا أو خضوعه
لأي منطق :

-قتل أبي وأمي والآن أخي يا محمد... نزار يا محمد، يجب
أن أقتله كي تبرد ناري، أنا أشتعل وأحشائي تحترق !

تمكن صوان من حساب نتائج كل محاولة، فيمنحه محمد وقتا
أكبر يحاول مجددا مع نضال يرفض فقدانه، فهو أكثر الناس
معرفة به وبمدى الضرر الذي تسبب به لنفسه :

-نضال فكر جيدا، إن كان نزار سيموت حقا، هل تُراه حين
يعلم بسجنك بسبب من حرمه والديه وبصره وحياته،
سيرضى؟ أنت تعلم قدر حبه لك، سيحزن كثيرا وقد تسوء

حالته، يجب عليك استغلال كل يوم وكل لحظة في قضاءها
 برفقته، لا أن يعاني فقدانك أنت أيضا، فكر يا نضال... فكر !
 عض شفته السفلى يفكر في صدق قوله، يتذكر وجه نزار وهو
 يبستم ثم وجهه وهو غاضب منه بسبب حمقه وسوء تصرفه،
 فأرخى يده قليلا حينها التفت إليه تهامي كي يتزعم المسدس
 منه، فهو على يقين من خسارته لا محالة وذلك المسدس مع
 نضال كرهينة لديه تذكرة خروجه من هناك سليما .

اشتبك معه فدوى صوت رصاصة هزت جدران المكتب
 وقلوب الرجال، باستثناء مطلقها.

فيلا ديدو

أتهم الإشارة، فتحرك نوفل يلوح لأفراد فريقه بأصابعه إشارة
التقدم أو التخفي أو التجمد في المكان، تسللوا إلى غرفة
الحراس بداية بعد أن خدروا من على البوابة الخارجية مع
الكلاب ثم أغاروا عليهم بهدوء وصدفدهم ثم تقدموا نحو
الفيلا.

دخلوها بصمت، فديدو لم يُقبض عليه بعد، تفاجأت بهم
احدى الفتيات فصرخت برعب ونوفل يفقدها وعيها لكن
الصرخة كانت قد دوت وأخرجت فتيات أخريات حينها زفر
نوفل مشيرا لأفراد فريقه للخروج من مخابئهم يصيح :

- ديدو أنت مقبوض عليك، أخرج حالا! أنت مطلوب حيا أو ميتا، هل سمعت؟ ميتا! أما أنتن ستخرجن بهدوء مع أفراد الشرطة.

ثم التفت إلى زميله واثنين آخرين، يردف :

- ابحثوا في القبو وكل مكان عن فتيات مسجونات، أسرعوا واحترسوا!

صاح من جديد :

- من تخبرني عن مكان ديدو، سأعتبرها شاهدة .

هتفت واحدة بلهفة :

- انا أدلك على غرفته

أشار لها بأن تتقدمه، فدلته على جناحه ثم أمرها بالانسحاب
ورفع سلاحه متأهبا، فتح الباب بخفوت ولمح ظله يقفز من
الشرفة، فأسرع بعزم وقفز خلفه، فقد أثره بين أشجار الحديقة،
فشتم بغضب لكنه ما لبث أن تجمد مكانه يلتقط نبرته المقيتة :
-أوه، أنظروا من لدينا هنا! الكاو بوي صاحب شركات
البتروول، لا أصدق !

نظر إليه نوفل ليلمح المسدس بيده وهو يومئ بسخرية :

-ارمي سلاحك حالا أو ستفقد الشرطة أحد عناصرها، إذن أين
الفتاة التي دفعت ثمنها غاليا؟

ثم تذكر شيئاً، فاستطرد متسائلاً بينما يرفع سبابة يده الحرة
ليضعها على جانب فمه بميوعة :

-والآخر الذي كان معك، أين هو؟ هل هو شرطي أيضاً؟
خسارة الوسامة !

اشتد فكا نوفل غضبا، ينطق بغل تحت إضاءة أحد العواميد
المنتشرة بالحديقة :

-استسلم ديدو، لن تخرج من هنا سوى مكبل أو جثة، فاختر
لنفسك ما يناسبك.

ضحك بدلال يلوح بكفه، فيشعل غل نوفل بأحشائه أكثر،
يجيبه بسخرية :

-أنا على الأقل لدي خيارين أما أنت، فخيار واحد، الموت
عزيزي .

-في المرة المقبلة، أطلق الرصاصة مباشرة دون ترثرة النساء
الفارغات هذه !

كان ذلك صوت تامر الذي قبض على ديدو من الخلف،
فضحك نوفل يهتف بظفر :

-تامر يا صاح، ماذا تفعل هنا؟

سحب المسدس من يد ديدو الحانق ومسدسه مصوب إلى
رأسه بينما يجيب نوفل ببسمة مرحة :

- ما كنت لأتركك في الأوقات الحاسمة، فنحن شريكين أليس كذلك؟

أوما بامتنان يتسلم منه المسدس بينما تامر يردف بحرج :

-والحقيقة كنت خائفا عليك من أن تقتله وتتعرض لمساءلة قانونية .

نظر تامر إلى ديدو في تلك اللحظة، يربت على وجنته بضربات أقرب لصفع يكمل بتوعد :

-لكن إن أحببت أن تلقنه درسا ليبيكي رجولته المهدورة، فلا مانع لدي ولتكن ضرباتك كسحنات الكهرباء وفي مناطق مناسبة، فقط أسرع !

كان قد أبعد المسدسين ليتسلم منه ديدو باسماء بشراسة، يشكر
 تامر : -شكرالك .

لم تمض دقائق حتى اجتمع بعض العناصر يشاهدون ديدو
 يتلقى ضربات نوفل الالاسعة وهو يولول كالنساء، فكان مشهدا
 لن ينسوه بسهولة من شدة ما ضحكوا عليه.

*مخزن الأسلحة وصنع القنابل *

كانوا قد قبضوا على من يطلق على نفسه الشيخ بدر وآخرين في
 بيوتهم ولم يبق سوى الإغارة على مركزهم، المكان الذي فيه
 يخزنون الاسلحة، ويصنعون القنابل.

تقدم ضرغام فريقه مشيرا إلى أسد وأفراد تحت إمرته إلى
التخفي واللف حول المخزن للتصدي للفارين، اشتبكوا معهم
كما كان متوقعا، فلن يستسلموا دون قتال وكانت العملية تسير
على الخطة الموضوعة وحققوا نجاحا في التقدم عليهم،
فطوقوهم وحاصروهم ليسدوا عليهم جميع المنافذ، يصفدون
أيدي من لم يقتل ومع آخر عنصر من العدو حاصروه ليقبضوا
عليه بمؤخرة المخزن، باغتهم وألقى نحوهم قنبلة يدوية،
فأسرع من كان قريبا منه ليحتمي لكن وجود مواد قابلة
للاشتعال ضاعفت من حجم الانفجار، فقتل المجرم حرقا
وطال الحرق عناصر عدة منهم أسد الذي أغمي عليه رأسا

وضرغام الذي قاوم إلى أن سحبوه خارجا وثلاثة عناصر
آخرين كانوا معهما بالمقدمة.

أسرع إليهم ليث وهشام مع مجموعة من العناصر ذوي الرتب
العالية، فقد كانوا قريبين من الموقع، نظرا لكون الهدف أخطر
نقطة في الخطة فبادروا بنقل الضحايا سواء من الشرطة أو
المجرمين وتأكدوا من إنهاء المهمة وفتشوا المخزن الذي
اتضح مدى كبره واحتوائه كما لديهم من معلومات سابقة،
على كل القنابل التي صنعت باستثناء الثلاثة المفقودات .

بيت أمين

تزفر كل حين وقد نضبت دموعها فآلمها رأسها لذا قامت من
مكانها تشعر بالاختناق، فاتجهت إلى النافذة تفتحها علّ الهواء
البارد يطفىء من حرارة أحشاءها المشتعلة، لم تحدثه بعد ما
سمعتة وترجلت من دراجته بصمت كما دخلت غرفتها مباشرة
ولم تخرج منها بعد ذلك، ناداها لتتناول العشاء فرفضت تدعي
التعب والخزي يطوقها من كل ناحية، فمن تكون هي كي يحبها
ويرضى بها زوجة له، لا جمال ولا مال ولا حتى رشاقة، يحق
له أن يخجل أمام الأستاذة الأنيقة ذات الجمال والوظيفة
الرفيعة مثل وظيفته وهي تناسبه أكثر منها :

- آآه!

تنهدت بحرقه الغيرة ثم تنفست برتابة تضغط على معدتها،
تهمس بحزن :

- سأحرره من مسؤوليتي ليختار من يريد لها، لن أستغل طبيته
بعد كل ما قدمه لي ولوالدتي .

تناهى إلى أسماعها صوت حركة ما، فألقت نظرة إلى الشارع
تتسع مقلتاها من كم أفراد الشرطة وسياراتهم تملأ شوارع
الحي الضيقة، تتبعت وجهة الرجال المترجلين فخفق قلبها
رعباً وهم يدخلون بنايتهم.

هرولت خارجة من غرفتها حيث التقت به وقد فعل مثلها، تشير
إلى الخارج بخوف فأوماً مؤكداً، لتتنفض من صوت دقات
عنيفة على باب الشقة قبالتهم.

أسرعت لكنه حال بينها وبين الباب يقول بحزم:

-حجابتك! ولا تخرجي مهما حدث.

لمست شعرها فأومأت تتراجع وأمين يفتح الباب في نفس الوقت الذي فتح فيه سالم باب بيته يمسك به أحد العناصر

بحدة، يهتف :

-أنت مقبوض عليك يا سالم وسترافقنا حالا !

هتف سالم بدهشة وصدمة أصابت الباقي حوله :

-لماذا؟ ماذا فعلت؟

-ستعلم في المركز، تقدم هيا!

هتف أمين بينما خنساء التي أقلت أقرب وشاح على رأسها

تضم والدتها تتابعان الموقف برعب:

-لو سمحت، أي مركز؟

نظر إليه الشرطي بسخط، يجيبه:

-المديرية العامة للأمن الوطني، قسم مكافحة الإرهاب.

اشدت عضلة شفته السفلى، يهمس بقلق:

-هذا ما كنت أخشاه، مع من ورطت نفسك يا سالم؟

ثم استدار إليهما، يقول بمهادنة:

-رافقي والدتك إلى شقتي يا خنساء ولا تفتحا لأحد، سأرى ما

يمكنني فعله ولا تخافا... إن شاء الله خيرا.

نطقت خنساء بحزن حين نغزها قلبها من كلمة شقتي وإن
علمت بأنه لم يقصدها في ذلك الوقت العصيب:

- لا! سنبقى في بيتنا .

تنهد بقنوط، يسألها :

- أين هاتفك؟

تفقدت جيب منامتها وأرته إياه، فأوماً يقول :

، أبقيه مفتوحاً، إن طراً أي جديد هاتفيني حالا اتفقنا؟

هزت رأسها بخفة تحث والدتها الباكية على الدخول وحين

تأكد من إقفالهما للباب التفت إلى بيته وارتدى ثيابه وهاتف

صديقه وائل الذي وجدته هو الآخر في مصيبة أكبر، فاضطر

لتغيير وجهته نحو المستشفى، يهمس بضيق :

:اللهم سلّم... اللهم سلم !

الملهى

تجمدوا أماكنهم حين انطلقت الرصاصة من فوهة المسدس

والجميع يبحثون عن مكان استقرارها؟ حتى صاح تهامي بألم :

!آه رجلي! لقد أصبت رجلي يا أحمق !

هدر صوان بغضب :

- إن لم تغلق فمك القدر هذا، سأنتهي حياتك هنا والجميع

سيشهد بمقاومتك وبالمناسبة دليلة تعلم بأنها ليست ابنتك !

اتسعت مقلتا تهامي بخوف وذهول بينما نضال يعقب بسخرية:

- مرحبا بالحقائق، ماذا يا ترى في جعبتك من جرائم؟

رمق صوان نضال بملامح خطيرة بينما يجيبه :

-ليست عائلتك الوحيدة التي دمرها، دليلة أيضا قتل والديها

وأضاع شقيقها .

زمجر نضال بغل :

-إذن دعونا نقتله هنا! لماذا تمنحونه فرصة للعيش، يجب أن

يموت، أمثاله مكانهم في الجحيم .

رد عليه صوان بسخرية وهو يقترب من تهامي :

-ومن يقول العكس؟ جحيمة بدأ منذ اللحظة، فلا تشغل نفسك به !

شيء ما أكد لنضال صدق صوان، ربما هي نظرتة المخيفة التي رمى بها تهامي أو ملامحه المتشفية بشراسة توعدا بثأر واحد يجمعهما معا:

-خذوني إلى المستشفى، أنا مصاب !

صنف صوان رسيغه دون مراعاة لحالته، يهمس له بخفوت :

-الموت أضحي قريبا منك فلا تستعجل .

ارتجفت عضلة قلبه رعبا من ملامح صوان المخيفة بالفعل
 كأنه يرى من خلالها جحيمة المرتقب :

ربت محمد على كنف نضال يخاطبه بمودة وحزم :

-أحسنت يا نضال! أنت أفضل من التورط بجريمة قتل وبسب
 مجرم حقير، بل ما فعله بنفسك لا يليق بك، لطالما لاحظت
 ذلك وأنا ارافقك السنوات القليلة الماضية، لذا حاولت
 نصحك مرات عدة بطريقة لا تفقدني بها العمل معك، لكن
 الآن!

رف نضال بجفنيه، فحاصره محمد بملامح تحمل الكثير من
 المشاعر، الحزم والحب الأخوي الصادق :

-استقم يا نضال فأنت معذب بطريق الضلال لأنه ليس لك، دع
نور الإيمان يزيل سواد الحقد من قلبك، وأنظر إلى نزار كيف
ينعم بالسكينة ولم يكثر لمرض ولا انتقام، لأنه فاز
بالحكمة .

رمقه باهتمام، يصغي إليه وصورة تهامي يقبض عليه وينقاد
ذليلاً مهاناً تثلج صدره.

تكلف زيد بالقبض على الحاضرين مع ضابطين آخرين وحين
حان دور سهيل نظر إلى وجهه يهم بإمساك كفيه لكنه تجمد
وشلت أطرافه، يحدق به بعدم تصديق، يصرخ عقله بل جميع
كيانه (هو! إنه هو! الزمن أضاف إليه تجاعيد الكبر لكنه هو!
هل هذا معقول؟ بعد كل هذه السنوات! بعد أن تغلب على

عقده وشفى من جراحه ولم تعد لديه سوى ندوب يتجاهلها
 ليعيش بسلام، يقابل المجرم الذي كان السبب!) نسي الزمان
 والمكان وعاد سنوات عبر الماضي، يعيش تلك المشاهد
 مجدداً، استدراجه ثم اغتصابه، تلك اللحظة التي تحول فيها
 إلى وحش افترس براءته دون رحمة، فزمجر بقوة أفزعتهم وهو
 يحمله كأنه ريشة ويلقي به ليصطدم بالحائط :

-أيها الحقير !

ثم خطأ إليه وحمله من جديد لكن ليكيل له اللكمات في أي
 مكان يقابله، حاول محمد سحبه لكن عبثاً :

-زيد! ما بك يا رجل؟ زيد، ستقتله !

صاح زيد دون أن يكف عن ضربه :

-لن أترك الحقير! سأقتله، إنه مجرم ... عديمة الرجولة !

كان صوان قد اقترب منه هو الآخر يستغرب فعلته تلك لكن

حين لمح سهيل يفقد وعيه والدماء تسيل على وجهه، اضطر

لأن ينقض عليه، فلا ضخامة تفوق ضخامته سوى خاصة

صوان، ثبته كأنه يصد ثورا هائجا، يهتف بحدة :

-اثبت يا ضابط! أنا أمرك!

لهث زيد بأنفاسه ووجهه محمر وكم بديا متشابھين تلك

اللحظة.

حاول تمالك نفسه بمشقة يلقي التحية العسكرية استجابة لأمر

رئيسه : -أمرك سيدي !

أشار لمحمد أن يخرج سهيل من هناك، ففعل وانصرف
الجميع من ذلك المكتب الملعون، فتحدث صوان يسأله

بريبة : -هل تعرفه؟

أوماً بوجوم، فاستطرد : -ما الذي فعله؟

لم يجبه وقد اسودت ملامحه ينظر اليه بصلافة، فأردف بنفس
صلابته : -يجب أن أعلم إن كان السبب يستحق العقاب .

اشتدت ملامحه يقول بحقد، قبل أن ينصرف :

- لا أعلم إن كان اغتصاب طفل يستحق عقابا، سيدي !

بلع ريقه من هول ما سمع وكلما ظن بأنه صادف البشاعة
بنفسها، ولن يرى أسوأ منها تفاجئه الدنيا بأمرٍ أبشع .

المشفى *

تهول بسرعة تلتهم المسافة كي تصل إليه بعد أن أيقظتها
الخالة صفية من كابوس لتلقي بها إلى هول غير محتمل، لقد
أصيب! أسدها، حبيب قلبها أصيب! حالته خطيرة وهذا يعني
أنها قد تفقده! لا تدري كيف قادت السيارة وأقلت والدته
سالمة إلى المشفى.

دلتهم الفتاة في الاستقبالات على رواق ما يعج بأناس كثير
وامرأة ترتدي عباءة محلية الصنع تُعرف بها بلادها مع وشاح
طويل، لفته حول رأسها ثم أسدلت طرفا طويلا منه على
صدرها تهزول نحوهما تهتف بقلق :

-خالة صفية، خالة صفية !

ردت عليها صفية بلهفة :

-بنفسج بنيتي ! كيف هو ابني ؟ ... أخبريني !،

ردت عليها تضمها بحزن رغم ثباتها ورزانتها :

-أصيب هو وضرغام وآخرين، ما نزال ننتظر، لم يخرج أي
من الأطباء بعد .

ضمت كفيها، تدعو الله بقلب أم ملهوف على فلذة كبدها :

-اللهم أذهب البأس رب الناس، اشفهم جميعا وأنت الشافي،

لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما... يا مجيب المضطر

إذا دعاك .

التفت إليها صفة تبسط يدها نحوها، مشفقة على شحوب

بشرتها كالأموات :

-تعالى بنيتي لا تخافي ولا تحزني! الله معنا، أنا أثق به وأحسن

الظن به، سيحفظ لي ابني.

تقدمت خطوة بينما تقول بشك ووجوم قلبها يرتعش، ماذا

يحدث معها الوضع غريب عليها!

-هل أنت متأكدة؟

قالت بنفسج باسمة، فقد تعرفت عليها مع أنها استغربت
خوفها لكنها تجاوزته، تجيها بثقة :

-بلى حبيتي نحن نثق بربنا، يحفظنا ويحفظ لنا أحبنا وحتى
إن قدر نهاية أعمارهم، فما لنا سوى الصبر وطلب الرحمة من
ربنا، فكلنا إلى زوال، من منا سيقى عليها؟ لا أحد يبقى إلا
وجه الله ذي الجلال والإكرام، لذا نحسن الظن بالله دائما أن ما
يقدره خيرا لنا.

أسرع الجميع حين خروج الطبيب الذي أخبرهم بوفاة أحد
الضباط، فالتفوا حول ذويه يعزونهم ويذكرونهم بكونه شهيدا

تقبله الله، ثم دعوا الله أن يخلفهم في مصيبتهم خيرا ثم عاد كل^{٢٤}
إلى انتظار خبر يخص قريبه.

لم تعد تتحمل تجلس جوار صفية وبقية من نساء عائلة فضل
الله، رجلها تهتز بقوة، عادة ظنت أنها شفيت منها، لتكتشف أنها
اختفت مع مخاوفها لتهاجم عليها من جديد مع رعبها القاتل.
قامت فجأة وابتعدت لتهاجم أقرب شخص لقلبها، فمالت
بنفسج على صفية تهمس لها بخفوت :

-ماذا تفعل ابنة القناص معك يا خالة؟

ردت بحزن طاغ على جميع الحاضرين :

- كانت تعمل مع أسد، كيف؟ لا تسأليني لأنني لا أعلم، الفتاة حائرة تبحث عن مرسى وبر أمان وأظنها تميل لولدي وهو أيضا لكنه متحفظ تجاهها لأنها لا تؤمن بالله، فهمت ذلك الليلة.

هزت بنفسج رأسها، تقول بثقة :

شقيقتها من أفضل الناس الذين عرفتهم بحياتي، أحسبها عند الله مؤمنة صالحة، كما أنها طيبة القلب وأظن تلك الفتاة طيبة مثلها، فحاولي مع أسد إن أسلمت ظفرتما بأجرها وأظنك صادقة بشأن حبها لأسد، أستغفر الله لكن واجب علي نصحك للخير .

- أو مأت، تقول بأمل :

-أدعو الله أن يقوم بالسلامة وسأركز على الفتاة بعون الله، يا رب يا كريم .

-بيلسان؟

نطقت بشجن، تدرف الدموع بغزارة، فأجابتها شقيقتها بنبرة ناعسة، قلقة :

-أور؟ حبيتي ما بك؟

-بيلسان أنا أح.. أحتاجك .

-أنا آتية، هل أصبتِ بخطب ما؟ هل أنت مريضة؟

كانت بيلسان قد فارقت السرير ونزار يتنبه هو الآخر لصوتها
القلق فتحرك يعتدل ليجلس : -أنا أتألم، وخائفة بل مرعوبة،
أسد أصيب بالعمل وهو في خطر .

-ماذا؟ من ؟ أسد الحارس؟

بلعت ريقها تمسح بعضا من شلال الدموع على وجهها :

-ليس حارسا هو ضابط أصيب أثناء الإغارة على المجرمين،
أنا أحبه بيلسان، أحبه ولا أريد أن يصاب بمكروه، قلبي يؤلمني
جدا .

اتسعت مقلتا بيلسان، تحاول أن تفهم ونزار يفارق السرير هو
الآخر يتتبع صوتها ليصل إليها :

-هل كنت معه؟ هل أصبت أنت أيضا؟

أمسكت بالهاتف تشد عليه بقوة بينما تومئ نفيًا كأنها تراها:

-لا! لم أكن معه، بيلسان ماذا أفعل؟

بدئ وجه بيلسان به حيرة، عبرت عنها بقلق :

-حبيبتى أنا لا أفهم شيئًا لكن ادعي حبيبتى! ادعي الله وهو

الكريم ، مجيب الدعوات .

صدقت الجميع من شدة ثقتهم بالخالق الذي يتحدثون عنه،

لكنها تفكر بمنطقية عقلها، كيف تدعوه وهي لا تؤمن به ولا

تعرف كيف تؤمن به؟

- وكيف يستجيب لي وأنا لست مؤمنة بوجوده ولا أعرف كيف
أفعل؟

دمعت مقلتا بيلسان برأفة، تجيبها بحنو بالغ :

- بابه مفتوح دون شروط سوى إخلاص التوحيد له، أن تؤمني
بأن لا إله إلا الله، بمجرد أن تُسلمي بوحدانية ألوهيته وتؤمنين
من قلبك بأنه خالق كل شيء الذي بيده كل شيء تكونين مؤمنة
به، ثم تعبرين عن ذلك بلسانك تنطقين الشهادتين وتصبحين
من عباده الموحدين.

أغمضت عينيها، تقول بحزن عميق : - بيلسان؟

- نعم حبيبي !

ردت بيلسان بلوعة فقالت أور بيأس تشتعل بلبه جذوة أمل
تحارب لتسطع بسناها تشق الدجى حولها :

*-أريد أن أكون مثلك ومثل نزار...مطمئنة... متصالحة مع
نفسي... أن أتخلص من كوابيسي... أن لا أخاف من المصائب
ومن فقد... أن يرتاح قلبي... أريد السعادة بيلسان...

أريد السكينة... فإن كان الله يحقق كل ذلك فهو الخالق
بحق...وأنا أريد أن أكون من عباده... وأن يحبني كما لم
يحبني بشر... أن يرأف بي كما لم يفعل والدي الذي
أنجبني... كيف أفعل ذلك بيلسان؟ أخبريني*!

هتفت بسعادة لا تصدق ما تسمعه وعن بعد مسافة طويلة تمت
 تلك اللحظة لو تقلصت، وأضحت جوارها، تضمها بقوة
 وتشهد معها أول خطواتها على طريق الاستقامة :

-سهل جدا حبيبتى، انتظريني أنا ونزار سنأتي حالا بإذن الله .

أنهت الاتصال وعادت تجلس بالقرب من صفة التي لاحظت
 دموعها الغزيرة، فقالت تربت على كتفها :

-اهدئي يا ابنتي، كل شيء سيكون بخير، لا تقلقي !

نظرت إليها تقول بتردد:

-هاتفت أختي وأخبرتها بأنني أريد ان أدعو الله مثلكم.

ثم هزت كتفها مستطردة :

-سعدت كثيرا وأخبرتني بأن أنتظرها وأنا أشعر بالخجل .

سألته صفة بحيرة رغم سرورها الذي هون عليها كربتها

قليلا : -ولماذا الخجل؟

ردت عليها بحزن : -ستقطع رحلتها مع زوجها من أجلي .

تدخلت بنفسج باسمه كأن الحديث أخرجها من رعبها هي

الأخرى : -ولماذا نتظر بيلسان؟ فاستبقوا الخيرات .

قطبت ترمقها باستغراب، فقامت تسحبها مع صفة، تردف

بحماس نفض عنها بقية الكدر بقلبها، فيكفي ذكر اسم الله

الرحمن الرحيم حتى تتجدد الآمال وتنتعش الصدور وتطمئن

القلوب :

- هيا يا خالة، نساعدها ونعلمها ثم نصلي معا بدل الجلوس هنا
نغلي على نار وساوس الشيطان المقيمة.

حيّ أمين وائل من بعيد فأسرع إليه، يخبره بكل شيء كما فعل
هو، يهتف بقلق :

- أنا متأكد من أن سالم لم يفعل شيئاً مما تقوله، أرجوك يا وائل
لو استطعت مساعدتي لأعلم أين هو على الأقل أكون لك
شاكرا.

هز رأسه يقول بوجوم :

- ننتظر نوفل ونرى ماذا سيقول !

استعلمن عن مكان المغاسل، فتوجهن إليها حيث علمتاها
 كيف تتوضأ الوضوء الأصغر بعد أن أخبرتاها بأن الاغتسال
 عليه خلاف بين علماء الدين منهم من أوجبه ومنهم من استحبه
 في وضعها ذاك ولكل قول أدلته الشرعية، ثم اتجهن بها إلى
 قاعة الصلاة الخاصة بالنساء وهناك وقفت بنفسج قبالتها، تنظر
 إليها تكاد دقائق قلبها تنفر من صدرها، لا تصدق أنها تشهد
 إسلام شخص ونطقه الشهادتين لأول مرة:

-حبيبتى أصغى إلي جيداً بقلبك وليس عقلك فقط.

نظرت إليها أور تلاحظ لهاثها ومراقبة صفة المهمة، تقرأ مدى
 اهتمامها بهذا الأمر، هل يهمهما إسلامها لهذه الدرجة التي

تبدو على صفحتي وجهيهما؟ ولماذا؟ حقا غريب ما تراه
وتشعر به؟

-لو أن الله لا يحبك ما كنت اهتديت إليه، هو دعاك إليه، وضع
الأسباب بطريقك لتصلي لهذه المرحلة وهذه النقطة، ما
يحدث الآن الله وجهك إليه، لا تظني أنك من أحبته فبحثت
عنه بل هو علم الخير بقلبك وعلم بكل تفاصيلك الدقيقة التي
لا يطلع عليها أحد وكان معك كل لحظة يوجهك حتى وصلت
هنا! اغمضي عينيك واشعري بحبه لك من خلال الناس الذين
سخرهم لك حتى ينصحوك ويعلموك كيف توحدينه. اشعري
بحبه وحفظه وعنايته بك يا أور من خلال مخلوقاته، اتركي
العنان لروحك لتحلق بسماء خالقها ولقلبك العنان ليستمد من

خالقه السكينة والاطمئنان هما على دراية بخالقهما وسيذهلك
 كيف سيحملانك إليه بهداية منه على بساط الحب توازنه
 بجناحي الرجاء والخوف ثم الرسول محمد صلى الله عليه
 وسلم، من أرسله الله رحمة للعالمين، من بلغ رسالة ربه وأدى
 الأمانة، حين تتعرفين إليه ستحبينه جدا وتقتدين به..
 استشعري كل ذلك واشهدي من قلبك بوحدانية ألوهيته
 ورسالة نبيه وقولي، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 وأشهد أن محمدا رسول الله.

أغمضت عينيها بخشوع تستحضر كل الناس الذي دخلوا
 حياتها ليقدّموا لها المساعدة ولم تتوقع أي منهم، مصطفى
 الشهدي، بيلسان، السيدة خديجة ثم نضال ونزار وعمتها فريدة

وهو... أسد! ثم صفة و... والدتها التي تركت لها مالا لم تتركه لشخص آخر سواها وتوأمها حتى لا تفتقران ماديا، لماذا لم تفكر هكذا سابقا! كل ما حدث بالتوالي طريقا ممهدا لتصل إلى هنا! إنهم محقون، كل شيء يحدث لحكمة محددة بتصريف من خالق الكون، والله موجود! عند تلك اللحظة غمرتها موجة دافئة اقشعر لها بدنها والقلب يرفرف مكانه كأنه حقا سيحلق في السماء ويضرب بكل قوته ليحطم القيود، تلك القيود التي كسرت حيت تحرك لسانها وسالت معها الدموع سخية حارة ومختلفة:

- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله.

همست بها أور بخشوع نبضت به ملامح وجهها ودموعها لا
تنحسر، فانقضت عليها بنفسج تضمها بقوة تحمد الله وتشكره
باكية هي الأخرى ثم هنأتها لتلقفها صفة منها تفعل نفس
الشيء ثم قدمت لها بنفسج وشاحا تحمله في حقيبتها
للطوارئ، وساعدتها حتى لفته حول رأسها وكتفها ولحظ أور
الجيد أنها بحثت بين ملابسها حين قررت زيارة الخالة صفة،
إذ أنها خجلت من لقاءها بملابس غير لائقة بعرفهم، فاخترت
تنورة طويلة مع قميص بأكمام عليهما معطفا شتويا.

أخبرتها كيف تصلي معهما جماعة بما أنها لا تحفظ من
القرآن حتى الفاتحة وأن تصغي لهما بكل حركة ماذا تقولان بها
و حين تسبح بالسجود تطلق العنان لنفسها تشكو إلى ربها

همومها وتطلب دون حصر وقبل أن يشرعن في الصلاة أو صلتها
بنفسج مستبشرة:

-الاسلام يجب ما قبله يا حبيتي وأنت اللحظة على صفحة
بيضاء ودعاؤك نحسبه عند الله مستجابا بسرعة.

اتسعت مقلتا أور برجاء وبهجة متلهف، فأومات بنفسج تميل
برأسها متأثرة بلهفتها واستبشار ملامحها:

-لا تنسي ضرغام وبقية الضباط، تقبل الله منك .

بكت بحرقة ولمدة لا تعلم قدرها، تشكو الى ربها بالدموع
والنحيب ثم بعد أن هدأت قليلا، نطقت بخفوت مرتعش :

-ربي أنا لم أكن أعلم بوجودك مع أنني وبطريقة ما شككت،
ضللت بعيدا عنك لكنك جعلتني أحوم حولك، لن أسألك إن
كنت قبلتني لأنك لو لم تفعل ما كنت لترسل الي برسائك إلى
أن رضخت وفهمت بفضلك، أنا سعيدة بأنك ربي وسعيدة
بكوني أسجد لك وأشكرك على هذه السعادة التي بعثت نورها
بقلبي من مجرد وضع جبهتي على الأرض عبادة لك، فالآن
علمت بالبكاء الذي يغسل القلب، لذا أنا طامعة في كرمك الذي
أعلمتني أنت أنه لا حدود له، أتم عليّ سعادتي بحفظ أحبتي
وإن قَدَّرت استردادهم إليك فأمدني بالصبر يا ربي واحمني من
وجع قلبي عليهم، يا ربي يا رحيم أسعد قلبي وقلوب من ينتظر
خبرا عن أحببتهم واشفهم برحمتك يا رب.

- بشرى لکن، الحمد لله، تجاوزوا مرحلة الخطر !

انتفضتا على صياح أيور السعيد، فقامتا بنفسج و صفيه بلهفة
إليها غير مصدقتين، فردت بسعادة باسمه :

- أقسم لكما، الأطباء طمأنونا، جميعهم تعدوا مرحلة الخطر .

ضمت بنفسج صفيه بقوة، تحمدان الله ضاحكتين وحين
استدارتا لاحظتا بأن أوركيدا لم تقم من السجود بعد، لتقول
بنفسج بحزن :

- هذا ما أخشاه، نحن الذين تربينا على الدين نغفل ونتسرع
والذين أسلموا عن قناعة بعد ضلال يتعلقون بالله ويستغلون

كل صغيرة قبل كبيرة ويغرقون بالخشوع حتى النخاع، فوالله
ما كنت أسمح لأحد بأن يسبقني إليه!

ثم أردفت وهي تعود لترفع يديها وتكبر الله :

-وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، الله أكبر.

أصبحت المدينة وأصبح الملك لله والحمد لله، كما أصبحت
على غير ما أمست عليه، بيوت كثيرة استيقظت على بلاء عظيم
يكشفون أنهم كانوا يأوون فردا يدبر لأمنهم وسلامتهم ويكيد
لهم قبل غيرهم، قد يكون هناك من قُبِض عليه ظلما لمجرد
الشك لكن من يلومهم؟! إنها قنابل وخراب وهول عظيم، لذا

وَضِعَتِ المِشَاعِرَ جَانِبًا وَاسْتَحْضَرَتِ القِسْوَةَ وَالبَأْسَ،
 فَالشَّيْطَانُ قَدْ شَحَذَ هِمَّتَهُ وَجَهَّزَ جَيْشَهُ وَلَنْ يُغْلِبَ فَقَطْ بِالتَّمَنِيِّ
 لَكِنْ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ العَمَلِ الصَّادِقِ وَالأَخْذِ بِالسَّبَابِ وَمَنْ
 كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَتَشَبَّثْ بِرَبِّهِ هُوَ المُطَّلَعُ عَلَى القُلُوبِ وَالحَامِي
 الَّذِي لَا يَنْسَى عِبَادَةَ المَخْلِصِينَ لَكِنْ مِنْ سَخَرِ نَفْسِهِ جُنْدًا
 لِشَّيْطَانٍ فَلْيَتَحَمَّلْ مَا جَنَّتْ عَلَيْهِ أَطْرَافُهُ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ أَوَّلَ مَنْ
 سَيَخْذِلُهُ لِيَعُضَّ أَنَامِلَهُ نَدْمًا .

كَانَ شُرُوقُ الشَّمْسِ بِدَايَةِ الاسْتِجَابَاتِ وَاسْتِجْمَاعِ
 المَعْلُومَاتِ، فَالوَقْتُ يَدَاهِمُهُمُ وَالقُنَابِلُ الثَّلَاثَةُ لَمْ يَكْتَشِفْ
 مَكَانَهَا بَعْدَ .

الفصل السادس والثلاثون

{ لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة
للقلوب.... لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا
تسمعوا منهم... من دخل على صاحب بدعة فليست له
حرمة....الحسن البصري }

المستشفى

- كيف حالك يا بطل؟

ابتسم أسد بوهن، فأردف الوزير الذي قرر زيارة الضحايا بين
صفوف الأمن وتعزية أهل الشهيد :

- حمدا لله على سلامتكم، تشجع وقم بسرعة، عمالك ينتظرك !

-شكرا سيدي، كيف هو الضابط ضرغام والبقية؟

سأله بتعب، فربت على كتفه بينما يجيبه :

-هو بخير، رأيتك قبلك والباقي أيضا باستثناء الضابط لؤي لم

ينج، رحمه الله وتقبله شهيدا إن شاء الله.

وجم أسد تغيم ملامحه بحزن، فأردف الوزير قبل أن ينسحب :

-أنت رجل حقيقي يا أسد، اعطني بنفسك، شفاك الله وعافاك.

زفرت صفة بلهفة حين لمحت الوزير يخرج مع مرافقيه،

فأسرعت لترى ولدها أخيرا بينما أوركيدا متسمة مكانها لا

تعلم أتقدم خطوة أو تؤخرها حتى أجفلت على حديث

مصطفى الذي لمحها فاقرب منها ملاحظا الوشاح حول
رأسها : - كيف حالك أور؟

نظرت إليه، فتلونت ملامحها بمودة واحترام تبتسم بتعب بينما
تجيبه : - سيد مصطفى، أنا بخير، شكرا لك .

اتسمت بسمته بتسلية ، يرمي الوشاح بنظرات مرحة وهو
يعقب : - شكرا على ماذا بالضبط؟

أمالت رأسها دون الكف عن الابتسام، ترد بامتنان وخالصة
فهمها الوزير بوضوح : - لأنك بحثت عني ولأنك أعدتني إلى
أهلي .

هز رأسه مستقيما بجسده الشامخ، يجيبها بتقدير:

-بل شكرا لك ولنضال على ما قدمتهما للوطن من مساعدة،
الحمد لله على فضله الواسع، اعطني بنفسك ومبارك عليك
مولدك الحقيقي.

-ولدي! الحمد لله على سلامتك يا بني، كيف أنت يا قلب
أمك؟

لم تستطع ضمه بسبب الحروق بصدره وأماكن على ساقيه، يرد
عليها بوهن : - قدر الله ولطف بنا، الحمد لله لا تخافي علي أماه!
أومات تجيبه بتأكيد بينما تتفحصه بمقلتها الملهوفتين على
فلذة كبدها

-لست خائفة، فربي رزقني ابنا رجلا لا يهزمه حادث أو حرق
مادامت الروح في الجسد فستشفى بإذن الله..

أوما بتأثر، فاستطردت بمرح وهي تنحني لتقبل جبينه متجاوزة
انقباض قلبها ألما لبعض الجروح المتفرقة على وجهه :
-هناك من يريد رؤيتك.

قطب بحيرة، فالتفتت وحين لم تلمحها خلفها، استدركت
وهي ترمقه بتسلية:

-يبدو أنها خجلت، تلك الفتاة جميلة، أرسلها الله في وقت
كرب لتهونه علي وعلى بنفسج .

نطق بحيرة رغم توقعات خافقه : -من تقصدين؟

اتسعت ابتسامتها تلمح لمعة مقلتيه، تجيبه بمرح :

-ومن غيرها؟ اسمها الوحيد الذي لا أعلم كيف أنطقه...
وور؟

ابتسم أسد، يقول متنهدا بتعب : -أور !

ضحكت تومئ بسرور : -أجل، سأتعلمه لا تقلق .

ثم انقلبت ملامحها إلى حزن تردف بما شق قلبه كأنه في حاجة
ليغرق أكثر بها وكانت أكثر من ملأت خياله في أشد حالاته
حرجا بعد والدته، يستحضر خياله بشكل غريب بإلحاحه
وجهها ونبرة صوتها وهي تخبره بحبها له :

- حين عَلِمَت بمصائبك أُغْمِي عليها وظلت تبكي بحرقة، لم ترها كيف كانت ضائعة، خائفة ومنهارة تبحث عن حل لما ألم بها من كرب شديد، وفي النهاية لجأت لرب العباد وأسلمت له ولم تنهض من السجود حتى ظننت أن روحها فاضت لخالقها، أطال الله بعمرها يا رب .

جحظت عينا أسد بصدمة، يعقب : -أور؟ سجود؟

هزت رأسها عدة مرات بقم باسم مفتوح :

- كما سمعت، قررت أن تسلم لخالقها، فعلمناها أنا وبنفسج واصلينا معا ودعونا لكم بالحفظ والشفاء .

ما يزال جامدا على ملامح الدهشة ووالدته تستطرد بإشفاق:

-أتت إليّ بالأمس، فشعرت بالخوف عليك حتى أدركت بأنها
تبحث عنك أيضا، دعوتها لتتعمش معي وتؤنس وحدتي، فكما
تعلم لا أطيق الأكل ولا النوم بغيابك، تبادلنا الأحاديث عن
حياتنا وهمومنا وحزنت بشدة من أجلها، أم قُتلت غدرا بعد
أن بيعت بالإكراه ووالد سفاح ثم شقيقة لم تعلم عنها شيئا
وخال مجرم دمر حياة العائلة بأكملها، يا الله! كيف تحملت لا
أعلم، لينتهي الأمر بمرض زوج شقيقتها المميت، اللهم اشفه
يا رب، وسائر مرضى المسلمين .

نسي أمر آلام حروقه، يسمع العجائب من والدته، هل حقا
حكّت لأمه كل شيء عنها؟ أوركيدا لوغان! كيف؟ أغمي
عليها لأجله؟ خوفا عليه؟ أل هذه الدرجة تحبه حقا؟ الى درجة

أن يدفعها خوفها عليه إلى البحت عن الخالق، انتظر ماذا
قالت؟

-ماذا عن نزار؟

سأل بجزع، فأومأت بحزن :

-المسكين مريض بالقلب أو شيء من هذا القبيل ويقولون بأنه
مرض مميت، الله أعلم! الأعمار بيد الله، أدمى الخبر فؤادها ثم
جاء حادثك ليكمل على ما تبقى من عقلها .

وجم بشرود، فأردفت بإشفاق : -هل تعرفه بني؟ أراك حزين
لمصابه .

أوماً بينما يضغط على شفتيه، ثم قال :

- قليلا ما تصادف أمثاله، أحسبه عند الله مؤمنا، صادقا ورجل
دمث الاخلاق وذو حكمة، لا تستطيع سوى الشعور بالاحترام
والتقدير في حضرته مع أنه حُرْم نعمة البصر إلا أنه قانع راضٍ
بقضاء الله .

مالت عليه تقبل جبهته مجددا، تهمس بمرح عادت إليه من
أجل أن تغير ملامح الحزن على وجه ولدها وتغير الموضوع
كلها : - يبدو أنني وجدت العروس التي كنت أبحث عنها .
رفع حاجبا واحدا بتهكم، يعقب بنفس مرحها :

- صدقاً؟ ستعرضين علي عروس وأنا كُلي حروق، من
سترضى برجل محروق تعيش على أعصابها معه طوال
حياتها؟ لأنني لن أترك عملي يا أم أسد .

تخصرت بعد أن شهقت بشكل مضحك، تهتف:

-من هذا المحروق يا قلب أم أسد؟ أشر بأصبعك الآن!

اللحظة إن أردت أزوجك من أجمل الفتيات، بإشارة من أصغر

اصبع من يدك يحمن حولك، هكذا، هكذا.

تلاعبت بأصابعها مع آخر حديثها، فضحك بتعب حتى

هجمت عليه نوبة سعال، فانتفضت من مكانها تحضر له الماء،

ارتشف منه قليلا ليرتاح صدره، فقالت بحزم:

-لا مزيد من الضحك، نم وارتاح، هيا! وأنا سأرقيك بآيات

ربي المباركات .

حانت منه نظرة نحو الباب، يعبس متسائلا عن سبب تأخرها،
فيفكر بأنها لابد كانت بحاجة إليه حين علمت عن زوج
شقيقتها ثم عاد بأنظاره إلى والدته التي قالت بوجه مضحك :
-لكن لا بأس في الإبتسامة، أنت تعلم! من أجل الوسامة.

زينت ثغره ابتسامة واسعة تعكس سرورا أنساه كل الألم
والهول، فحبيبة قلبه وعذاب ضميره أسلمت ولا مانع يحول
بينهما مستقبلا، لكن أين بحق الله اختفت؟

غرفة ضرغام

-أبي حبيبي، هل أنت مريض؟

لانت ملامحه بحنو بالغ لإحدى حبيبات قلبه الخمس إن أضفنا
أيور وابتها، يجيبها : - قليلا يا صغيرتي لكني سأشفى بإذن الله
إذا دعوته بأن يشفني بسرعة .

قبلته على وجنته، فتحامل على ألمه من أجلها، من أجل ليلاه
الريقة الناعمة خلاف شقيقتها الأصغر منها والتي عقت بفخر
لا يناسب سنها الصغير : - أبي حبيبي أنت قتلت المجرمين
وحميت الضعفاء، أنت بطلي وأنا حين أكبر سأكون مثلك،
أشهر مسدسي وأقتل المجرمين، دُوشنُ .. دوشن ... دوشن
.. دوشن !

أشارت بيدها الصغيرة على شكل مسدس وبدأت بتمثيل
التصويب فضحك الجميع ورفعته بنفسج، تخاطبها بحزم
مازح :

-ياسمين! البطل مريض ويجب أن يرتاح لكي يعود إلى القبض
على المجرمين لا قتلهم، تذكرى هذا! ولن تكونى مثله فى
الشرطة أبدا، تذكرى هذا أيضا!

بدت صادقة بآخر كلامها، فعبست ياسمين لبرز شبهها الكبير
بوالدها، ليعود الجميع للضحك واقتربت منها ليلى تخبرها
برقة وأنوثة :

-يا حمقاء، أنت فتاة، كيف ستكونين شرطيا؟ اكبرى
وانضجى !

-ليلي!

-أمي!

نادت بنفسج بعتاب في نفس اللحظة التي تخلصت فيها ياسمين
بصبيانية لا علاقة لها بالأنوثة، تستنجد بعدالة أمها التي أردفت
بعتاب :

-اعتذري ليلي، هيا!

تنفست برقة الكون وعبوسها الذي يجعل ملامحها كقطعة
حلوى، تعتذر إليها :

-أنا آسفة، أنت لست حمقاء .

اقتربت منها ياسمين، تجيبها بتحذير أضحك الجميع بتعبيره
الناضح :

-مهما قلت، أنا سأصبح مثل أبي .

ثم التفتت إلى أمها كأنها تحذرها وتؤكد لها قبل أن تعود إلى
شقيقتها :

-تذكرى هذا جيدا .

وبعد مدة أشار ضرغام لبنفسج فاقتربت منه ليهمس لها
بسخط :

-متى سنبقى بمفردنا؟

عبست بخفة وتطلعت حولها ثم ردت عليه بهمس حائق :

- قبل ساعات فقط كنت في غرفة العمليات، أرح جسدك أنت
في حاجة للراحة .

قلب شفتيه ضيقا ثم عقب بحزن مدعي :

- أنت محقة، كنت على شفير الموت ..

تنفست بقوة وقد لمعت عينيها بدموع حبيسة كانت ستشعره
بالندم لولا أنها همست لنوفل بشيء ما جعله يخرج الجميع
بأدب وحين خلت الغرفة سوى من هما ضمت نفسها إليه
فطوقها، تهمس بالحمد مجددا وتدعو له الله بالحفظ قبل أن
تبتعد عنه تنظر إليه بحب :

-لقد خفت كثيرا، لولا رحمة ربي هون علي، حفظك الله لي
يا حبيبي وبارك بعمرك .

قربها إليه، يجيبها بنفس مشاعره القوية نحوها رغم مرح نبرته
ليصرف عنها غيمة الحزن :

-يدو أنني سأستمتع بفترة النقاهاة إلى درجة أنني لن أستعجل
الشفاء.

الرواق

تقف بحيرة لم تحسمها بعد، لا تميز أمامها من التعب حتى

تنبتهت على صوت شقيقتها، فلمحتها تهرول إليها بقلق :

-أور! حبيتي.

ارتمت في أحضانها، تبكي بدموع سخية مستغربة حالها، كأن

دموع حياتها التي لم تذررها اجتمعت وتدافعت لتتحرر دفعة

واحدة .

-اهدئي حبيتي، اهدئي .

همست بحنو، ثم أبعدتها قليلا لتمسح دموعها بينما تستطرد

بسرور :

-لقد أسلمتِ وتحجبت أيضا! أور حببتي، أنا سعيدة جدا، لا
أذكر أنني سُعدت يوما بخبر أكثر من هذا .

في تلك اللحظة تدخل نزار بعتاب مازح : -ولا يوم زفافنا؟
أمسكت يده بحنان ترد عليه :

-ذلك اليوم كان تاريخيا، أسأل الله أن يحفظكما لي .

رمقتهما أور بحزن عميق تتذكر حالة نزار، فعادت للبكاء .

-هل الحارس بخير؟

سألها بيلسان تستغرب حزن ملامحها، فلم تفكر سوى بأسد:

-ليس حارسا يا بيلسان، إنه ضابط وزيد أيضا ومحمد،

جميعهم ضباط كلفوا بمهمة الإيقاع بتهامي القناصر .

دهشا ونزار يعقب : -لطالما شككت بهم، وبما انتهى الأمر؟

وهل نضال على علم؟

مسدت على جبينها، تجيب بتعب :

-أظن أنكم لم تسمعوا الأخبار بعد؟

ما زالا صامتين بتساؤل، فاستطردت بعد أن تنهدت :

-الدنيا مقلوبة، في الحقيقة نضال دون أن يعلم أسس قاعدة

للإيقاع بتهامي وأنا قمت بجانب من التحقيقات حين كنت في

بلدي المنشأ وسهلت عليهم أموراً بانضمامي إلي المجموعة

هنا مع رجل آخر لا أعلم اسمه كان في السجن، كشفنا جوانب

منظمة خطيرة لتهريب المخدرات وتجارة الرقيق والدعارة

والسلاح والمصيبة الكبرى تخطيط جهة منهم للقيام بأعمال
تخريبية بالبلد، فصنعوا قنابل .

شهقت بيلسان بخوف، فاحتمت بنزار تلقائيا الذي ضمها إليه
عابسا بغضب :

-جمعوا الأدلة الكافية وقرروا الإغارة على الجميع ضمنهم
أوكار تهامي، وسائل الإعلام تضح بأخبارهم، إنها فضيحة
الموسم، اعتقالات واسعة لشخصيات منهم بمناصب مهمة
اتضح تورطها، فوضى كبيرة والبلد أعلن حالة طوارئ
واستنفار .

ثم تنفست بسخط، تكمل :

-أسد وزوج امرأة تقول بأنها صديقتك ... بنفسج !

-الضابط ممتاز ضرغام؟

هتفت بلسان بقلق، فأومأت أور تردف :

-أجل وآخرين، اشتبكوا مع مهربي السلاح الذين صنعوا

القنابل، فأصيبوا بحروق متفاوتة الخطورة .

غطت بلسان فمها ذعرا ثم استفسرت باهتمام :

-كيف هم الآن؟

نفخت بأسف، ترد عليها :

-توفي واحد، أما الباقي فقد تعدوا مرحلة الخطر .

نظرت إليها بحزن تعقب :

-رحم الله الفقيد ورزق الله أهله الصبر والسلوان .

تدخل نزار يسأل باهتمام : -هل قبضوا على عمي؟

ردت بسخط :

-أجل، الجميع في عهدة الأمن، لن يفلت منها، الإعدام لا
محالة تهمة خيانة الوطن تكفيه .

استغرق نزار في التفكير، فسحبته بيلسان تقول:

-دلينا على غرفة الحارس، أقصد الضابط لنزوره، بعدها

بنفسج يجب أن أطمئن عليها .

رافقتهما بتوتر وخطوات مترددة ودقت على الباب، فدق قلبها

لهفة وشعورا آخر باتت على علم بقوته.

فتح عينيه ما إن سمع دقات على الباب وكان قلبه على موعده
باللقاء : -السلام عليكم.

انتزع مقلتيه من على وجهها الملتف بوشاح أبيض نافس
شحوب بشرة وجهها كما تحكم برأفته ولهفته نحو حمرة
عينها والزرقة تحتها، ورد التحية مع والدته التي قامت
باسمة، تردف بسرور: -أين كنت يا ابنتي؟

ابتسمت تجيب بحياء جديد عليها كليا فاجأ أسد وبيلسان على
حد سواء : -كنت أنتظر بيلسان ونزار.

ثم التفت إليهما، تضيف: -أعرفكما إلى والدته الضابط أسد .

نطقها بتوتر وارتعاش ألم بنبرتها عند نطقها لأحرف اسمه،

فابتسموا جميعا مما ضاعف من ارتباكها :

-الحمد لله على سلامة الضابط، طهورا إن شاء الله.

حدثهم بيلسان بمودة، فأومات صفة تجيب بحزن مشفق وهي

تأمل نزار: -أشكرك يا ابنتي، بارك الله بك وبزوجك .

تحدث نزار يوجه حديثه لأسد :

-قمتم بعمل جيد والحمد لله أنكم كشفتم المصيبة قبل

حصول مالا يحمد عقباه، مع أنه يحزنني كون واحد منهم من

عائلي .

تذكر أسد مصاب مخاطبه، فأجاب باحترام وإعجاب
بشخصيته :

- كل نفس تحمل ذنبها يا سيد نزار، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَى.. كما أن السيد نضال القناص شقيقك وكان له الفضل
بعد الله بكشفهم .

ابتسموا بمودة، فقالت بيلسان بأدب :

- نستأذن لنزور بنفسج، علمت للتو أن زوجها أيضا مصاب .

حينها تدخلت صفيه تقول بحرج :

- لقد نسيت ولم أزر ضرغام بعد، طار عقلي! تفضلي ابنتي
سأرافقكما .

ثم نظرت إلى أورا تكمل بمكر لم تبديه :

-أبقي معه حتى أعود كي يطمئن قلبي، فنوبات السعال تفاجئه
بين الفينة والأخرى .

تلاحقت أنفاسها تعض شفتها بتوتر بينما هو يشكر حكمة
والدته بتصرفها وكذا عدم إغلاقها لباب الغرفة وحين خلت
حولهما، أشار لها بيده كي تقترب وهي الرابضة أقرب
للمدخل. تقدمت بخطوات متعثرة، ترمق قطعة القطن السميقة
أعلى فتحة رداء المشفى بكآبة أجفلت منها على قوله المازح :
-صدري كله احترق وأظن بأن مظهره بشع ومخيف.

لمعت عينيها بدموع، فرت منها واحدة، فأردف بحرقه نبعت
بصميم قلبه رغم حفاظه على مرح نبرته :

-دموع؟ من أنت؟ وأين أور؟

ابتسمت بحزن، فتنهد مسترسلا : -أنا آسف .

قطبت مستفسرة، فاستطرد بإشفاق:

-لأنك لم تجديني حين احتجتني، أُمي أخبرتني عن نزار، أنا
حقا آسف من أجله لكن الله رحيم .

أومات والدموع تتوالى دون إرادتها، فيضيف بمؤازرة :

-أنت أفضل وأنت قوية !

راقه اللون الزهري أعلى وجنتيها، فتابع بشكل مسرحي يقلدها
بتعب فبكاؤها حارق لقلبه ولا يتحمل مزيدا من الألم :
- تعال أنت هنا! وافعل أنت هكذا! لا يهمني! لا تقل أوركيدا،
أنا أور !

ضحكت من بين دموعها، فابتسم بحب لمعت به مقلتيه بينما
يطلب منها بقلب متضخم :

- آنسة أور لوغان! هل تقبلين برجل محروق زوجا لك؟

*المديرية العامة للأمن الوطني *

فتح الباب فاهتزت أطرافه رغما عنه، يراقب المشهد المكرر
بنفس الرعب، يلقون بجسد زميل لهم سحبوه بجفاء عنيف
ليعيدوه مضروبا ينزف من كل جهة، ثم ينادون باسم الآخر.

فتح عينيه على وسعهما ينتظر اسمه كأنه سيساق إلى جهنم ولم
يجد أي صلة تجمععه بزملائه في الحجز سوى أنهم تابعين
لشيوخ تختلف أساميهم منهم من ذكر الشيخ بدر، فندم على
اليوم الذي عرفهم فيه، يتساءل عن مصيره خصوصا إن كانت
قضية أمن الوطن حينها سيختفي وراء الشمس دون رجعة
والغريب أن خياله لا يكل يكرر عليه مشهدا واحدا كان يدحر
صوره قبلا ببأس يغذيه أقوال إخوته الذين اتضح له الآن أنهم

أعداؤه ومن ورطوه معهم بهلاك مميت، فيطفوا على سطح
ذاكرته شجاره مع والده ووقوعه على الدرج والنزيف من رأسه
الذي تسبب بوفاة.

انتفض بهول لم يشعر به قبلا يسمع صياحهم باسمه، فوقف
ولم يمهلوه ليصل إليهم بقدميه المرتعشتين، بل دفعوه بحدة
أعلمته بما ينتظره، فنادى يستغيث، يا رب أنى ظلمت نفسي
ظلما كبيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت .

بيت جواد

- يا جواد هداك الله، إلى أين أنت ذاهب بهذه الهيئة؟

رد بضيق وهو يقطع الطريقة بين الرواق وباب الشقة :

- أمي دعيني و شأني، يجب أن أربح مالا، فتلك الحقيبة تسببت
بفقداني لعملي.

هتفت والدته بسخط، تدعي على كنتها، لتسأل بعدها بلهفة
طامع:

- لا بارك الله فيها وجه والبوم، لكن كيف ستدبر مالا ووجهك
مكدوم هكذا؟

تغضنت ملامحه البشعة من أثر الضرب، يجيب بغل حاقد :

-من كانا السبب سيدفعان الثمن غاليا لكن أولا سأتدبر أمر المال وبعدها لكل حادث حديث إلى اللقاء أُمي .

خرج ضائقا يفكر بوجوب العودة إلى بور القمار الأولى، فملهى تهامي حتما أُخلي بعدما حصل، فشأنه شأن الناس شاهد الأخبار التي هزت المدينة من وقع أحداثها .

تذكر أحد المنظمين لطاولات اللعب، فاتصل به علّه يمهه بأماكن راقية يربح منها مبالغ كبيرة :

-كيف الحال عصام؟ لا بد أنك منزعج.

صمت يصغي إليه ثم قال مقطبا بريبة :

-كيف ذلك؟ ألم يقفلوا الملهى؟

صمت آخر ثم ابتسم بظفر بشع، يجيبه:

-مممم لديك المفاتيح وستنظم جلسات لحسابك وماذا إن

عادت الشرطة؟

اتسعت ابتسامته، يرد عليه :

-فليكن إذن! احسب حسابي، أنا قادم إلى اللقاء.

يا أيها الإنسان كفاك تجبرا، أين تسير بظلمك وضلالك؟ هل

نسيت أن للكون ربا قد سن فيه السنن؟ تغفل وأضعف خلقه

يسلبك إرادتك، فماذا تفعل إن نملة صغيرة شقت بين أعصاب

دماغك سبيلها، واتخذت من فتحة الأذن أو الأنف باب؟ قل

ماذا ستفعل إن هي قررت أن تقات أو تعيث بلحملك فسادا؟

ضعيف أنت، مسكين، فما لك أنت والكبر؟ تمهل وتفكر، فإن
 الحُمق مصيره الخسران ولا تنس بأن الله الحق اسمه العدل
 حرّم على نفسه الظلم، فحرمه بين عباده .

المديرية العامة للأمن الوطني

- لا بارك الله فيهم، لقد أنهكونا، حسبنا الله ونعم الوكيل نحن
 بريئون والله شاهد علينا.

تشدق بها الشيخ بدر بعد جلسة استجواب حامية يلعن غباءه
 الذي أخره عن الهرب وقد كانت التعليمات مشددة بأن لا
 يخرج من البلد حتى يعم الخراب، والآن هو مجبور على إتمام

التمثيلية حتى لا يرسلوا إليه من يصفيه لو أفضى بما بجعبته،
فهو ضائع على كل حال، لذا كل وقت يربحه في السجون
يمنحه فرصة للحياة والبحث عن طريقة يهرب بها قبل أن
يصدر بحقه حكم الإعدام.

أسنده مساعديه إلى زاويتهم حيث مال عليه أحدهما، يسأله :

- هل اكتشفوا شيئاً؟

هز رأسه بحقد يرد عليه بين كل أنين وآخر :

- لا! فما يريدونه لا يعلم مكانه سواي أنا وأنت.

- وسالم، هل نسيت؟

رد مبتسماً بلوّم، أضافت إلى قبحة بشاعة منفرة :

- سالم لا يعلم فحوى الأمانات.

ابتسم الآخر ثم سأله مجددا :

- هل ستفجر في وقتها المحدد سابقا؟

هز رأسه يتململ عله يجد وضعا مريحا لجسده المنهك،

فأردف الآخر :

- جيد، سيكون لدينا فرصة ليرسلوا إلينا من يقوم بتهريتنا حين

يتأكدون من التزامنا بالخطة.

هز رأسه ونظراته تغيم بشك :

- سنرى هل سيفعلون أم سينسون أمرنا؟

- حينها نخبر هؤلاء بهويتهم.

رد عليه مساعده بضيق، فارتفعت زاوية فم من يطلقون عليه
لقب الشيخ بدر، يعقب بسخرية:

- حينها يرسلون من يقتلك قبل أن يصدر هؤلأء في حقك حكما
بالإعدام .

ضأقت نفس مساعده يلومه :

- أخبرتك لنهرب فالأمر برمته خطير ولم تنصت لي .

فتح الباب مرة أخرى فصأح بدر بعلو صوته الواهن:

- حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل .

* منزل القناص *

دخلوا القصر، فاستقبلتهم جنات تقول مازحة :

- أقصر شهر عسل سمعت عنه.

قبلتها بيلسان بوجه باسم وأور ترد باعتذار :

- أنا السبب، أنا حقا آسفة.

هتفت جنات بدهشة وهي تلف حولها :

- أور تحجبتِ؟ ...متى... كيف!.... هل أنت؟

ابتسمت أور، ترفع كلتي يديها استسلاما :

- الحمد لله أسلمت وأنا في حاجة إليكما كي تُعلماني كل

شيء .

أمسكت جنات بكفها، تقول بفرح مبتهج استغربت له أو كما
تستغرب فرح كل من علم بإسلامها، تستعجب فرحهم من
أجلها: - من دواعي سروري، تعالي معي وأنت أيضا بيلسان.

ربت على كفه، فأمسك بيديها، يخاطبها بلطف :

-إذهبي معهما لكن لا تتأخري علي .

تأكدت من عدم وجود أحد حولهما وارتفعت على قدميها تقبل
وجنته، ثم همست بنفس رفته معها :

-وهل يستطيع قلب نزار الابتعاد عن صدر نزار .

ابتسم بتأثر يعقب :

-إن لم تسرعني بالهرب، سأراجع ولن أطلق سراحك .

هرولت ضاحكة، فهمس بهدوء بعد برهة : -يا قلب نزار .

-نزار؟

تتبع الصوت بتحريك رأسه، يتساءل : -نضال !

وقف يرمقه بتمعن وتفحص، يبحث عن نقطة اختلاف واحدة
تدل على مرضه واحتضاره كما يزعمون.

لم يشعر برجليه وهما تحملانه إليه ثم ذراعيه ترتفعان لتضماه
إليه بشدة، فتجمد نزار بداية وما لبث رفع ذراعيه وضمه هو

الآخر، يهمس له باستفساره القلق : -ما بك يا أخي؟

رد عليه بلوعة دون أن يطلق سراحه أو ينظر إلى وجهه :

-اشتقت إليك نزار، اشتقت إليك كثيرا.

ريبتة المشتعلة بصدرة أقلقتة لكنه يرفض الابتعاد عنه، فقد
اشتاق لنصفه الآخر، توأمه الذي لم يفارقه يوما بل لم يفارقه
لساعة كاملة قبل الحادث الذي دمر حياتهم :

-ماذا حدث نضال؟ لم أعب ليوم كامل حتى كي تشتاق إلي .
حاول نزار التحدث بمرح لكن نضال شدد على ضممه، يخبره
بشجن أسالت دموعه :

-بلى، اشتقت إليك واشتقت إلى والداي واشتقت إلى نفسي .
أبعده نزار قليلا، يسأله بقلق بلغ مداه :

-نضال ما بك؟ هل الأمر له علاقة بالقبض على عمي؟ ألم
يكن تارك وحصلت عليه؟

تفاجأ قليلا لكنه تجاوز الأمر متذكرا الفضيحة المنتشرة على سائر وسائل الإعلام، فقال وهو يمسك وجه أخيه بين كفيه ينظر إليه بلهفة، كأن فكرة فقدته تلقي عليه بسيل من العطش لرؤية ملامحه والتحقق بها علّ لهاث قلبه المكلموم يرتوي :

- صدقت، أخذت بثأري وانتهى الأمر... أخي، أريد أن أعود كما كنت قبل الحادث، هل تذكر؟ لقد كنت ظلك ألحق بك أينما ذهبت، أتعلّم دائما على يدك أنت، لأنني بطيء الفهم بيننا، فتضطر للشرح والتفصيل، أعد لي ذاكرتي التي فقدتها في الحادث، علمني ما نسيته يا أخي، وساعدني لأعيد نفسي، أتوسل إليك !

تحشرجت أنفاس نضال مع آخر حديثه، فرفع نزار كفيه
يضعهما على كتفيه يجيبه باستياء :

- أنت لست بطيء الفهم يا نضال، بل كنت تحبني لدرجة أنك
لا تسمع من غيري وحقك من أجلي ومن أجلي والداي أعمى
بصرك وبصيرتك، وحين ينطفئ ذلك الحقد ستعيد نضال،
الفتى الدمث صاحب الأخلاق الحسنة.

- لقد انطفأ ولم يعد تهامي يهمني وكل ما أريده أن تعود علاقتي
بك كما كانت، نلازم بعضنا بالساعات وأصغي إليك وأنت
تقرأ لي ثم أناقشك بشقاوة وأصدع رأسك حتى نقلب الجلسة
الى تحدي على لعبة تكسبها في النهاية ولا أهتم! هذا ما أريده،
أن أعود ظلك يا أخي .

قالها بلوعة أدمت قلب نزار المعلول، فسحبه مجددا يحضنه،
لا يصدق ما يحدث، فيحمد الله على فضله وعلى تحقيق أمانيه
قبل أن يحين موعد أجله :

-الحمد لله الذي استجاب لي، الحمد لله الذي رد علي أخي .
لمس وجهه بحنو، يستدرك بلطف وتأثر وقد دمعت عيناه هو
الآخر :

-أول شيء سنفعله الآن أن نستعد لصلاة الظهر، ستأخذني
وترافقني للمسجد القريب أليس كذلك يا نضال؟

هز رأسه مرات عدة ثم استدار نزار ليتقدم لكنه عاد ليمسك
كف أخيه يشد عليها كأنه يخشى أن يتوه عنه مجددا، وبعد

خطوتين رفع نضال ذراعه وضم كتف شقيقه ليفعل الآخر مثله
كما تعودا الفعل بالصغر، فكانت تلك فرحة نزار التي
اكتملت .

*جناح بيلسان سابقا *

-وماذا كانت إجابتك؟

نطقتهما جنات بحماس بعدما أخبرتهما بطلب أسد، فنطقت
بتردد : - طلبت منه مهلة للتفكير .

شهقت جنات بدهشة، فاستطردت بسرعة:

-لأستوعب ما يحصل لي لا غير .

تبرمت جنات، تقول بنفاذ صبر :

-هل أنت موافقة أم لا؟ إنه أمر واضح .

ابتسمت بيلسان بفخر وتقدير لقرار شقيقتها يتأكد لها رزانه تفكيرها : -الأمر ليس سهلا كما تظنين، الخطوة التي اتخذتها كبيرة جدا، حبي لأسد لا شك فيه لكنني أريد أن أهدأ ويهدأ هو الآخر، الدنيا لن تطير ثم هو بحاجة لفترة نقاهة طويلة حتى يتعافى جيدا .

قلبت جنات شفيتها السفلى تعبيرا عن تشكك، توضح لها ما تفكر به: -لكن ماذا إن اعتبر ردك رفضا وإهانة له .

ابتسمت أور بهدوء، فردت عنها بيلسان بثقة :

-بل العكس، سيكون فخورا بها كما أشعر أنا الآن .

رمقتها بدهشة لا تجمعهما عِلَّتَه، فأردفت بسمه رائقة :

-جوابك أكد له أن إسلامك لم يكن من أجله بل عن قناعة، لذا

تحتاجين وقتا كي تستوعبي الأمر العظيم الذي خطوت فيه أول

خطوة، أنا سعيدة من أجلك ومن أجله.

تذكرت جنات شيئا ما، فقالت :

-تذكرت، هل رأيتما الأخبار؟ خالكما قبض عليه مع آخرين

كثر، يا إلهي! إن صح ما قيل، فهو فعلا رجل وضع .

تنهدت أور تعقب بتعب وهي تلقي بنفسها على السرير :

- سادع بيلسان تحكي لك القصة لأنني منهكة وليلتي كانت
طويلة .

ضحكتنا على منظرها، فقالت بيلسان بحنو :

- غيري ثيابك أختي، أو على الأقل، انزعي عنك الوشاح .

رفعت كفيها تمس بجاني رأسها، تقول بلهفة :

- لا، إنه لا يزعجني وسأغير ثيابي لاحقاً.

أمالت بيلسان رأسها تنظر الى شقيقتها بتمعن من مكانها على

الأريكة المقابلة للسريير قبل أن تعود الى جنات تسرد عليها

تفاصيل ما حدث.

اتسعت مقلتا جنات تهتف بما يشغل بالها :

-زيد ضابط و كان في مهمة؟

أومات مؤكدة، فعقت ببعض الوجوم الذي كدر صفو
ملامحها :

-لن يعود أبدا، بعد ان انتهت المهمة !

قطبت بيلسان بريية، فتداركت ما تفوهت به :

-أقصد الجميع، لن يعودوا بعد أن أنهوا المهمة؟

هزت كتفيها بخفة بمعنى لا تعلم ونهضت لتدثر شقيقتها التي

راحت في سبات عميق ثم استدارت تشير لجنات كي ترافقها:

-هيا لنكمل حديثنا خارجا، لندها تنام بسلام .

الثانوية

نهاية الدوام

-تسنيم؟

أسرع يلحق بها مستغربا ما لاحظته من تهرب منها طوال فترة

الدوام، فانتظر نهايته ليستفسر منها :

-ما بك؟ لماذا أنت مسرعة هكذا؟

تلفتت حولها بارتباك على بعد مسافة بسيطة من بوابة الثانوية،

فطمأنها عما ظن أنها تتوجس منه خيفة:

-لن يتجرأ و يعود، إنه أجبن من ذلك .

قررت إخباره الصدق، تقول بارتباك قبل أن تعبر المخرج
لتسرع إلى سيارة شقيقتها :

-أعتذر إليك أستاذ سامي، لكنني لا أستطيع التحدث معك منذ
الآن إلا فيما يخص العمل أو ما تقتضيه الضرورة، لم أفكر من
قبل بما أقترفه من أخطاء أدفع ثمنها غاليا، أتمنى أن تفهمني
وشكرا لك على أخلاقك الحميدة وحسن معاملتك، مع
السلامة .

شيع ابتعادها بقلب متحسر وعقل مقدر لقرارها، فهو عين
الصواب ويجب عليه أن يفعل مثلها ويحترم حدود ربه، لقد
ساعدتها إلى أن احتمت بأهلها ولجأت إلى المحامي أيضا لذا
عليه التراجع والتزام حدوده بعد الآن .

-نوفل وعدني بالتدخل والله المستعان، فالأمر خطير جدا .

أخبره وائل بجدية وهما بالمنطقة المخصصة لركن وسائل النقل، فرد عليه أمين ممتنا :

-جزاك الله خيرا يا صديقي، واشكر الضابط نيابة عني، أعلم بمدى خطورة الوضع لكن يجب أن أريح قلوب أهله وأحاول مساعدته، فهو صديق العمر وبمثابة أخ لي وخنساء اضطرت للغياب من أجل والدتها التي لا تكف عن البكاء كأنها بعزاء .
قالها بوجوم لم يستغرب له وائل، فذلك الشاب صديق طفولته ونسيبه ومن الطبيعي أن يحمل همه ويحزن عليه ومن أجله .

*المديرية العامة للأمن الوطني *

-جمال، كيف الحال؟

قام من مكانه ليصافح ليث بمودة خالصة ثم ألقى نظرة نحو

مرافقه :

-أعرفك إلى الضابط نوفل وهذا العميد جمال يا نوفل .

-ومن لا يعلم بالأسطورة بتفكيك القنابل، تشرفت بلقائك

سيدي .

نطقها نوفل باحترام، فرد عليه جمال باسمه وهو يصافحه :

-الشرف لي لكن مسألة الأسطورة هذه، مجرد صيت متمادي

بتقديره .

ضحك ليث، يربت على ذراعه :

-بل انت بارع بتخصصك .

ضحك بهدوء يهز رأسه بلا معنى قبل أن تتحول ملامحه الى

الجدية حين سأله ليث :

-كيف الوضع؟

بنبرة ضائقة رد عليهما وهو يشير لهما بالجلوس بالمقعدين

أمام طاولة مكتبه :

-ثلاثة أنواع، المغفلين، المغييبين ورؤوس الأفاعي، النتيجة

صفر .

زم ليث شففيه بانزعاج ثم قال :

- أتيث لأستفسر عن أحد ما، سالم (..) أظنه من المغفلين .

- تعلمان بالوضع، لا نستطيع التهاون والجميع سيخضعون
لنفس المعاملة .

حينها عقب ليث بحزم يفسر له حتى لا يسيء فهمه :

- هذا مؤكد، ما أحضرنا، قريبه رجل ثقة أخبرنا بأنهم التفوا
حوله من قريب وحاولوا غسل دماغه بتحريف معاني الأحاديث
وتفسير الآيات القرآنية فكان يعود إليه ليستفسر منه، لذا أتينا
لنحضر استجوابه ونتأكد لو سمحت لنا بالتأكد .

هز رأسه بينما ينهض ويشير لهما ليرافقاه :

-الإسم الذي ذكرتماه في قاعة الاستجواب حالياً، وسأحضر معكها ونرى.

دخلوا إلى قاعة الاستجوابات حيث ضاقت عينا ليث من منظر سالم المنهك من الضرب يلهث بتعب بينما ينطق بتقطع :

-أقسم ل...م أ...س..اعدهم في شيءكنت أحضر الدروس الدينيةلم أفعل شيئاً ...ص....دقوني .

هم الشرطي بضربه من جديد، فرجع جمال كفه إشارة إلى التوقف، واقترب منه يحاول التأكد من صدقه :

-يا سالم، قريبك أرسل من أجلك ويبحث عنك، لا تخذله وقد يروح هو أو أحد من أهلك ضحية لما سيحدث، إنها ثلاثة

قنابل وسوق واحد في المدينة يستقبل الآلاف يعني تقدير عدد الضحايا ضخمة ومخيف، فكر جيدا وساعدنا إن أردت أن تخرج من هنا .

نظر اليه سالم بعينين متفختين محمرتين، فتحهما بمشقة،
ليجيب بصدق وندم :

- أقسم لك لم يجمعني بهم سوى الموعظة، لو علمت أنهم مجرمين ما صاحبتهم، لا بارك الله بك يا بدر أنت لا شيخ ولا علاقة لك بالصلاح، ليتني لم أعرفك وأنا الذي سعدت برضاه عني ومدحه لي، أنا غبي أحمق! حتى حين طلب مني نقل أمانات أسرع في التلبية كالبلبل...أ...

-ماذا قلت؟

هتف بها جمال كما اقترب ليث ونوفل وحتى الضابطين
الآخرين باهتمام، فنظر إليهم سالم متوجسا لذا ربت جمال
على كتفه بعد أن أسنده ليجلس :

-أعد ما قلته عن الأمانات؟

أوما يرد بجزع وارتياب :

-كلفني بنقل أمانات له وأعطاني سيارة لأقلها، واستغربت
مكانيين بالتحديد وحين سألته رد بأنني سأعلم قريبا ولم أعر
الأمر اهتماما ظننت أنه يسعى لإصلاح الناس بالخفاء .

سأل جمال بلهفة :

-كم عدد الأمانات وأين أوصلتها؟

-أوصلت صندوقا للسوق العتيق والثاني الى خمارة الفندق

(...) والثالث إلى مكان سألت عنه أخبروني بأنه ملهى وهذا كل

ما يربطني بهم، أقسم لكم صدقوني !

تناظر وليث فقال الأخير مستبشرا :

-أملي علينا العناوين يا سالم وإن صدقت تخفف عقوبتك .

البناية حيث شقة أمين

أسرع متسلقا الدرج بخفة، فلقد غاب اليوم بأكمله ويشتاق

إليها، إلى رؤية الانبهار بمقلتها كلما لمحته لتتهرب بخجل

تحمر له وجنتيها بعدها مباشرة.

فكر بوجوب التحدث معها ليستفسر عن سبب غضبها مما
أخبر به الاستاذة كريمة، فهو في عين نفسه لم يخطئ ، كان
يحافظ على حريتها في الاختيار لا أن يربطها به مكرهة، فيسأل
نفسه عن سر سعادته بغضبها، ليأتيه الرد جاهزا من قلبه أنها
تجبه.

ابتسم وهو يضغط على الجرس منتظرا بحماس حتى إن لم
يحضر أخبارا عن سالم وسيكون الحزن هو الغالب لكنها
موجودة وسيرها ولكم يسعده ذلك.

فُتح الباب فأطل وجه شقيقته، تهتف بسرور وهي تنقض عليه :
-أخي... اشتقت إليك.

تجمدت أطرافه من الصدمة للحظة ثم ما لبث أن طوقها بلهفة،
يشم رائحة والدته قبل أن يبعدها قليلا يتفقد ملامحها متسائلا :

-إيمان، أنت هنا، كيف؟

ضمته من جديد ثم قالت بنفس سرورها:

-قبضوا على سهيل، استجاب لي ربي وخلصني منه، أتت
الشرطة إلى البيت صباحا، قلبوا عاليها سافلها وبشروني بالخبر
السعيد، فأخذت ابنتي وخرجت من هناك بثيابنا وأول طلب
سأطلبه منك أن تشتري لي ولابتي ثيابا كي أنزع عني هذه، لا
أريد أي شيء يخصه، الله كريم، الله كريم يا أخي.

الفصل السابع والثلاثون

{من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس

أخافه الله من كل شيء.....الحسن البصري}

بيت صوان

-إذا أتعبتك ضعيفا على الأرض، فهي تحبو .

أومات سكينه بتأثر، تضم إليها الرضيعة وهي تجلس على حافة

النافورة بينما تجيبها :

-لا تتعبنى .

ثم ابتسمت، تستطرد بلطف :

-لم أكن أعلم بأن للصغار رائحة، منعشة، لم أحمل طفلا بين يدي في حياتي

أجابتها شادية الجالسة على كرسي غير بعيد عنها، تحمل على ركبتيها طبق أرز تعزل منه الزوائد، مستغربة بدهشة :

-كيف ذلك؟ أنا حتى لا أذكر متى تعلمت تنظيف الصغار وتغيير الحفاضات وإطعامهم، عائلتنا كبيرة جدا والصغار كثير تبارك الله .

وجمت سكينه بحزن تعقب :

-لم يكن لدى عائلتي صغارا سوى صهيب الذي أذكره، وكل في حاله مع أننا نسكن في مكان واحد منذ وعيت على نفسي .

تركت شادية الطبق جانبا تقول مقطبة ببعض الحزم :

- لا تقولي عنهم عائلتك، نحن عائلتك والجميع يبحث عنك

وعن أيوب، جدي وجدتي سيطيران فرحا، حين يعلمان بأن

صوان قد وجدكما، ستعلن الأفراح في بلدتنا لوقت طويل إن

شاء الله .

تنبعت سكينه لحديثها، فسألتها بفضول وحيرة :

- هل رأيت والداي؟

زمت شفيتها تومى نفيا :

- شخصيا لا، فهما توفيا قبل ولادتي بسنة، لكن صورهما تملأ

كتاب صور العائلة، الأكبر سنا يعرفونهما جيدا، فعمي عبد

الواحد رحمه الله كان فريدا بشخصيته المحبوبة على حسب ما أخبروني به، يحب الصغار كثيرا ويخصص من وقته لهم الكثير، فتعلقوا به خصوصا صوان، كان رفيقه كظله وهو أكثر من تأثر بما حدث لهما ومن أجلهما التحق بالسلك الأمني .

حملت سكينه جسدها مع الصغيرة ووقفت ثم اقتربت وجلست جوارها على كرسي آخر مصنوع من جريد النخيل، تسألها بفضول يكاد يفتك بها :

-شادية! هل تعلمين شيئا عن قصتنا؟ أعني كيف مات والداي وضعت أنا وأخي؟

توترت بينما تمسح كفيها بالقماش فوق ركبتيها، تجيب بارتباك :

-العائلة بأجمعها تعلم بقصتهما، نتعلمها مع الحروف صغاراً،
وعدونا اللدود، الشيطان بعينه، تهامي القناص .

فغرت سكينه فمها، تتساءل بعفوية :

-أبي؟

-لا!

أجفلت سكينه من حدة شادية التي استدركت بغضب :

-بل خاطفك وقاتل والديك، سأقص عليك ما أعرفه

وليساعدني الله في مواجهة صوان .

*المديرية العامة للأمن الوطني *

تجمعت الصفوف استعدادا لحرب لم تكتمل بعد، فصاح
جمال بحزم :

-اسمعوني جيدا، الفندق (...) تم إخلاؤه قبل ساعتين وهم
يتأكدون حاليا من إخلاء المساحات الخضراء والمرافق التابعة
له ومع أن المسافة بينه وبين بقية الفنادق حوله بعيدة بشكل
كافٍ لكن أعلمناهم بإخلاء الجهات الأقرب له أما الملهى فهو
خال بأكمله، لحسن حظنا أن من بناه ابتعد به من المدينة كي
يضمن الخصوصية، أهم هدف هو السوق العتيق، يجب أن
أدخل إلى المحل بنفسى معى مساعدين متخفين لأننا لا نعلم
إن شعر صاحب المحل بنا ماذا يمكن أن يفعل .

ثم رفع يده محذرا :

- لا أحد يتحرك من مكانه، ما لم أجد القبلة في المحل، وعلى

أساس إيجادها سيتم إصدار أوامر أخرى، مفهوم !

- نعم سيدي !

- هل هناك أسئلة؟

صاح بحزم فردوا مرة واحدة :

- لا... سيدي !

- إذن توكلنا على الله.

المشفى *

يحرك رجله بألم يتأفف بسخط كل حين، فكر في كل الحيل
التي قد تخرجه من ورطته، يتذكر صوان وما قاله عن دليلة،
فيتساءل إن كان يعلم بما ارتكبه في حق عائلتها وما علاقته بعبد
الواحد الصخر!

- آخخخ يا غبي! الصخر! كيف نسيت؟ كيف لم أتذكره؟

فُتِح الباب ليدخل أحد الحارسين، يضع صينية الأكل بجانبه ثم
التفت ليخرج لكنه توقف نادى عليه تهامي:

- يا ضابط!

عاد إليه مجيباً بضجر:

-لست ضابطا بعد، ماذا تريد؟

تحدث بمكر، يدعي الاهتمام :

-اقرب، تعال وكل معي لأخبرك بما أريده .

نفخ الحارس بضيق، فاستطرد :

-إنها منفعة لك، تعال هيا، مد يدك .

أطاعه مستسلما وجلس على طرف السرير، يشاركه الطعام،

فتابع تهامي بحذر :

-كيف العمل معك ؟ تتعب كثيرا، أليس كذلك؟

هز رأسه، يجيب بسخط :

-عمل كثير ومقابل قليل لكن أفضل من غيره ..

- ما رأيك إن بهدية تهبط عليك من السماء، لنقل مليون ؟

تجمد الحارس ينظر إليه بذهول فأضاف تهامي بينما يضيق

عينيه :

- بل مليونين، أجل، مليونين لترك هذه الوظيفة الشاقة

وتؤسس لنفسك مشروعاً ينفك .

عاد الحارس للمضغ بتمهل، يتأمل وجه تهامي الذي أضاف

بتصميم :

-ها، ما رأيك؟ الحديث أخذ وعطاء وإن رفضت كأننا لم

نتحدث من الأساس .

أشار بيده معقبا بجمود :

-والمقابل تهريبك قبل أن ينقلوك الى السجن، أليس كذلك؟

أوماً بحذر، فاستطرد الحارس يفكر يصوت عال :

-العرض مغرٍ صراحة لكن !

التقط تهامي بيضة يناولها اياه بينما يقاطعه بتوسل متدلل :

-اتركنا من ؛لكن؛ الأمر سهل جداً، ألكمك على وجهك أو

حتى أفقدك وعيك حينها لن تتحمل مسؤولية أي شيء وتربح

مليونين، فكر جيداً قبل أن يحين موعد مغادرتي من المشفى .

قام الحارس، يجيبه بعبوس حازم :

-لا شيء أفكر به، جهز نفسك لكن ليس بخطتك بل سأهريك

بنفسي ولن أفارقك حتى أقبض الثمن، هذا اتفاقنا أو انس !

رد بسرور لا يصدق حظه، فلطالما اشترى ذمم الناس
بالرشاوي :

-مؤكد، كما تريد، فقط أخرجني من هنا .

-سأعلمك بالخطة، انتظري !

تركه الحارس بملامح تلمع باللؤم والسرور، يغلق باب الغرفة
قبل أن يتوجه إلى الجالس على أحد مقعدي الحارسين يجاوره
زيد، يخبرهما بتهكم :

-كما توقعت سيدي، تفضل ! كل شيء مسجل هنا .

تناول الهاتف من الحارس، يجيبه بنظرة ذات معنى:

-أحسنت، جهز نفسك وسأخبرك متى تقوم بإخراجه من هنا .

أدى التحية العسكرية وانسحب، فعقب زيد بدهشة :

-ستساعده على الهروب، سيدي؟

ابتسم صوان بشراسة مخيفة، يرد عليه :

-بل سأستعيره ليدفع ثمن حق طال انتظار أصحابه له وبعدها

سنعيده لهم، مممم، لست متأكدا إذا كان سيعود حيا أم جثة

هامدة .

قطب زيد فاستطرد صوان وهو ينهض :

-رافقني، هناك حديث آن أو انه لتسمعه .

السوق العتيق

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رفع صاحب المحل رأسه يتسم حين لمح رجلين بجلباين
ولحى طويلة إلى الصدر على رأسيهما طاقة بيضاء، مظهر
شائع لدى علماء الدين والفقهاء الربانيين، فتشبهوا بهم
المنافقين والشياطين يدعون ما ليسوا عليه لدس الواقعة بين
المسلمين وتشويه واجهة صورتهم بأذهان المسلمين وغير
المسلمين :

-عليكما السلام ورحمة الله وبركاته، بماذا أساعدكما ؟ مسك
أو عود من الديار المقدسة، أم يا ترى جلاب أنيق من آخر ما
وصلني، مباركة ببركة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

أخفى جمال تبرمه ببراعة ورسم بسمة رسمية على شفثيه بينما
يتفقد المكان بعينين متربصتين :

-لهذا قصدناك، كنت أبحث عن مسابح الكهرمان ودلوني على
محللك.

هز رأسه، يقول باسمًا بظفر :

-طبعا لدي لكنها في المخزن داخلا ، سأحضرها وأعود.

دخل فأعطى إشارة لباقي الأفراد بأن يدخلوا لتفتيش المكان
قبل أن يلحق به ليطوق عنقه بخفة في المخزن، يهمس له بنبرة
غل مهددة والآخر يحدق به مصدوما :

-أين القبلة؟ تحدث قبل ان أُخْرِجَ روحك .

احمر الرجل مختنقا، فأرخى كفيه عن عنقه قليلا، يصغي لرده:

-لن توقفوا القدر لأن الله يعيننا ويبارك لنا، الله أكبر! .. آه!

شد جمال على عنقه مجددا، يجيبه بغضب :

-وهل الله يبارك بالمجرمين قتلة الأبرياء؟ الأطفال الصغار

والنساء والشيوخ؟ هل الله يبارك الخراب والهول و الرعب؟

الله بريء منكم ومن جرائمكم ويوم تُعرض عليه بأعمالك

السوداء، ويسألك بأي حق قتلت نفوسا بريئة وبأي حق همدت

البناء وحرقت الشجر والدواب، بماذا ستجيبه وهو العليم؟

لم يستسلم ينطق بشياطينه التي أوهمته صدق ضلاله وقد تم

غسل دماغه كليا بالباطل :

- أنت منهم، كافر فاجر، لن تفهم .

ضحك جمال، بسخرية مريرة يحاول إقناعه رغم حرج التوقيت :

- ألا تقول بأنك تعبد الله وتطيعه؟ هل تقرأ القرآن كلام الله
(بسم الله الرحمن الرحيم {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [32: النجم] فكيف تحكم على نفسك بالتقوى وعلى
بالكفر والفجور؟

بسم الله الرحمن الرحيم {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا} والآية الأخرى {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خُلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عَظِيمًا { كل النفوس التي تنوي قتلها، أين ستذهب بذنوبها؟
وكيف ستوفي حقوقها؟ ويوم العرض أمام الله حين يطالبونك
بحقوقهم فيك، ماذا ستفعل؟ أجبني !

ظل جامدا مكانه وحدقتيه تهتزان بهستيريا، فتتبع جمال
وجهتهما ليبتسم بظفر ثم ضغط على منطقة بين عنقه والرأس
ليفقده وعيه.

وضعه على الأرض وأسرع إلى الخزانة، فتحها وفتش بكل
أرففها ليجدها خلف مجموعة من السلع، هنالك ثبت مكانه
وتنفس بعمق، ثم بسط يديه ليفتح لوحة تحكمها، هامسا
برجاء :

- بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم بك استعنت فأعني يا معين،
اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ
سَهْلًا.

اطلع على المؤقت، فانقبضت عضلة قلبه وسحب جهازه
اللاسلكي، يعلن الخبر :

- وجدت الهدف، أعيد، وجدت الهدف، والتوقيت الصفر،
ستين دقيقة، انطلاق البحث، أمامكم خمس وثلاثون دقيقة
لتبحثوا إن لم تجدوا شيئاً، أخلوا المواقع، أكرر خمس وثلاثون
دقيقة وفقكم الله، انتهى!

ثم عاد إلى القبلة أمامه وباشر عمله بتفكيكها قبل موعد
تفجيرها المحدد.

بيت أمين

- بلى وائل، جزاك الله خيراً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وضع الهاتف على المائدة أمامه وأرخى جسده على الأريكة

متنهداً، فسألته شقيقته المراقبة لكآبته :

- هل هي أخبار عن سالم؟

أوماً واجماً، يرد عليها :

- بلى، شقيق وائل قابل سالم، الله المستعان... وائل يطلب مني

الصبر والانتظار .

هزت رأسها أسفاً بحزن، تعقب :

- كيف تورط معهم؟ لقد كان فتى جيدا، أقصد كان مثلك، فما الذي حدث؟

نظر إليها، يجيبها مكر الملامح :

- بعد زواجك تغيرت الكثير من الأمور، من بينها سالم .

قطبت بتوتر متسائل، فاستطرد بوضوح :

- زواجك كان صدمة له أختي وليس لنا فقط، اكتشفت ذلك حين لمحته يبكي بحرقة في السطح.

تهربت بعينها، تعلق بارتباك :

- ماذا تقول أمين؟ أنت وهو أصغر مني بسنتين .

هز رأسه بتهكم :

-حقاً؟ بعد كل هذه السنوات، هذه حجتك؟

أومات تقول بيأس :

-لا لقد كانت حجتى بالماضي، أما الآن فحجتى سهيل الذي

تكفل بجعلى أكره الزواج والرجال، الحمد لله رزقني ابنتي وأنا

مكتفية بها، يجب أن أعالج جراحها قبل جراحي .

تنهد بحزن من جديد، يستطرد :

-على العموم لا ينفع الحديث في الأمر الآن، يجب أن نهتم

بقضية طلاقك من ذاك المجرم وأنا متابع قضية سالم.

هم بالقيام، فمنعته بقولها المستاء :

-وأنت من يهتم لأمرك؟

نظر إليها بجهل، فأردفت:

- ما بك يا أخي؟ ماذا جرى بينك وبين خنساء؟

مسح على وجهه بينما هي تكمل:

- وجهك ووجهها ينضحان بنفس اليأس والضيق ولا تتحجج

بشقيقتها كما فعلت هي .

حرك كفه يلوح بها:

- قمت بتصرف حسبته صحيحا لكنني اكتشفت النقيض

بنظراتها .

قطبت بحيرة، فقص عليها ما حدث لتعقب إيمان بتبرم:

- خنساء المسكينة؟

كان دوره ليحتار، فاستطردت تستفسر منه بجدية :

- أمين، سأسألك سؤالاً وأريد منك إجابة صريحة محددة:

- ما هو؟

- هل تريد خنساء زوجة لك؟

تفاجأ بالسؤال، فصمت يفكر حتى أردفت إيمان بنظرة ذات

معنى :

- هل السؤال صعب لهذه الدرجة؟ بماذا تشعر تجاهها؟

تحدث مسهباً حين واثته الفرصة :

في البداية ظننت أنني أحبها مثلما أحبك كأخت لي، فاهتممت

بها وراقبتها من بعيد وحاولت تلبية رغباتها دون أن تدري،

خصوصا مع ظروف أسرتها الشبيهة بظروفنا قبل وفاة والدي،
لهذا تزوجتها دون تفكير حين أحضر سالم رجلا غريبا يرمقها
بطريقة أشعرتني بالغل ورغبة بقتله وقتل سالم معه .

ابتسمت إيمان بينما هو يتابع :

-أخبرتها بأن مكانتها كمكانتك غالية وأن لا تخاف من شيء
أبدا، فهي آمنة معي .

تلقت حوله ينظر إلى أرجاء بيته، يسترسل بعاطفة دافئة :

-ملأت البيت حياة بضحكاتها التي تطلقها على أي شيء أقوله
أو أفعله وبتهورها في بعض المواقف وحمرة وجنتيها حين

تكتشف تهورها، فتحبس أنفاسها وتفر من أمامي متحججة بأي
سبب .

زفر بحزن، ينهى حديثه بقوله الواجم : -وأشعر الآن بأن نورا
انطفأ مع ابتسامتها الغائبة وأجد نفسي أبحث عنها كل حين
لأتذكر أنها ليست هنا مع أنها على بعد خطوات لكني أشعر
بها بعيدة جدا، فماذا بحق الله يحدث لي يا إيمان؟

اتسعت ابتسامتها، تقول بحنو : -أنت تحب خنساء يا أخي .

رمقها بنظرة فارغة من الأمل، يجيبها : -وبماذا يفيد؟ هي
ليست سعيدة معي ثم ما تزال صغيرة على هذه المشاعر لتعرف
صدقها من مجرد انبهار افتتان .

ضحكت إيمان بفكاهة لا تذكر متى راودتها، أنستها سهيل
وجحيم سهيل بينما أمين يحدق بها باستغراب :

- أنت لا تعلم، أليس كذلك؟

- أعلم ماذا؟

قطب بفضول، فردت عليه ضاحكة :

- خنساء تحبك منذ كانت تحبو والله أعلم، أنت حلم طفولتها
وفارس أحلامها، ببركة من أمي رحمها الله قبل سنوات، لا
تناديهما سوى بكنتي الجميلة، فكبرت خنساء لا تحلم سوى بأن
تكون زوجة لك .

ارتفع حاجبا أمين بهوتا وإيمان تردف باسمه بتسلية :

- حين أوصيتك بها يوم زواجكما خشيت أن تُصدم في حب حياتها، لأن ذلك صعب جدا وبعدها حدث مع تلك الأستاذة لابد أنها تظن نفسها عبئا عليك وذاك يا أخي سيجرحها بشدة.

سأل بدهشة : - هل أنت متأكدة؟

هزت رأسها تربت على ركبته بتأكيد :

- مؤكدا يا أمين، يجب أن تعبر لها عن مشاعرك وتفسر لها موقفك يا أخي.

ظل ينظر إليها لا يصدق ما يسمعه، هل حقا تراه فارس أحلامها؟ إذن نظراتها كانت حبا وليس انبهارا، تسارعت دقات قلبه من فرط سعادته وابتسم يخبر شقيقته :

- غدا بإذن الله، سأخرجها لتحدث، فالآن تأخر الوقت.

الملهى

- أووووه!

انطلقت صيحات الاستنكار حين كسبت أوراقه من جديد،
يتشوق بمرح وهو يجمع غنيمته بلهفة :

- أين الروح الرياضية يا سادة؟ إنه الحظ وأشعر به حليفي
الليلة.

ضحكوا بتهكم، فاستفسر منهم عصام :

- هل نبدأ بلعبة جديدة؟

أوما رافضا، يجيب بينما ينهض من مكانه :

-أنا اكتفيت، إن كان حظك مزدهرا، فلا تستنزفه يا ع... .

سكن الجميع ينصتون إلى صخب، فقام عصام بعد أن أشار
لهم بالهدوء، يطفىء الأنوار، فتحدث جواد بقلق :

-ألم تقل بأن الشرطة لن تعود؟

رد عليه بضيق ساخط :

-أظن أنهم عادوا للتفتيش، لا تخف هذه الغرفة لا تظهر في

تصميم البناء، سنظل هادئين إلى أن يغادروا .

زفروا بسخط وحنق مُجبرين على الصبر حتى يهدأ المكان
ويستمكنون من المغادرة.

مكتب صوان

يمسك زيد بالأوراق بين كفيه، يقرأهم ثم يعيد قراءتهم من جديد بمقلتين مصدومتين وفم مفرغ غير مصدق بينما صوان يجلس قبالتة، مراقبا لردات فعله وكم هو شبيه به وبشباب عائلة الصخر، فوالده تميز بهيئة مختلفة عن عائلة الصخر وقد ورث حسن جدته الشمالية مع سمرة أهل الجنوب، فكان فريدا بوسامته ومن يصدق بأن حسنه ذاك كان سبب شقائه، بل تشتت أسرته ووفاته مع زوجته.

بلع زيد ريقه، يرمقه بضياح : - كيف حدث وضعت عنكم؟

تحدث بهدوء يسرد القصة من بدايتها، فقد حان وقتها وكم طالت السنوات حتى لاح له خط النهاية أخيرا :

- عمي عبد الواحد رحمه الله كان أول من يخرج عن مجال عمل العائلة ويحصل على شهادة هندسة المعادن، فالعائلة كلها تعمل في مجال الزراعة والماشية، قبيلتنا مشهورة بإنتاج أجود الخضروات والماشية بالجنوب، لم يعارضه أحد، فجددي يحب أبناءه جدا ولم يكن ليحرم أحدهم مما يريد، كان عمل عمي يقتصر على البحث عن أراضٍ خصبة بمعادن يقوم عليها بدراسة يحدد الكمية والنوع إلى آخره ثم يعرضها على شركات التنقيب التي تحجزها من الدولة وتدفع له نسبته وكان ذلك سبب لقائه بتهامي القناص.

قبض على كفيه بشدة، يردف بحقد :

-عرض عليه شراكة تجمعهما هو بالمال وعمي بالعمل، فوافق، صاحبه و تقرب منه لا يفارقه حتى أقنعه بالانتقال إلى المدينة بسبب بعده عن العمل واضطراره لقطع مسافات كبيرة، أطاعه بالرغم من عدم موافقة العائلة ورحل، اعتبره صديقا مقربا وكان يصدقه في كل شيء، بل ويستشيريه وتهامي حينها كان غير مستقر يتنقل بين كندا والوطن، وعلى خلاف عمي كانت الخالة نجاة تكرهه لأنه يدس الشكوك بقلب زوجها نحوها، وكثيرا ما كانت تهاتف أمي تحكي لها تأثر علاقتهما بسببه، فتدهورت صحتها أثناء حملها وتوفت وهي تلد شقيقتك .

هتف مذهولا: -لدي أخت؟

أوما يجيب بنفس هدوءه المريب :

-أجل و لقد وجدتها هي الأخرى، دعني أكمل حديثي .

هز زيد رأسه، يحثه على المواصلة، فقال :

-آخر خبر وصلنا منهم موت الخالة نجاة، بعدها انقطعت

أخبارهم، فسافر إليهم جدي وأبي وجدوا بيتهم خاليا، فسألوا

في العمل، لينصدموا بوفاة عمي عبد الواحد في حادث صباح

يومهم ذاك، كانت ضربة قاضية لعائلتنا وجددي برفقة أبي

يتسلمان جثتا عمي وزوجته من المشرحة التابعة للمستشفى

الرئيسي للمدينة، فهو لم يكن قد دفنها بعد وهذا أمر آخر

غامض بالنسبة إلينا، بحشنا عنك وعن شقيقتك، كنت في الرابعة

من عمرك، وسكينة في شهرها الثاني، أصابنا اليأس فتركنا

المهمة للشرطة وتابعنا الأمر من بعيد، لذا كان الهدف لكل أفراد العائلة البحث عنكما وتهامي، التحقت بالشرطة تعلمت وتدربت، ولم يكن لدي هدف سواه، فتعرضت لحوادث كثيرة وأنا أبحث عنه.

تتبع ندبة جرحه ثم استطرد :

-لم يكن من الصعب ايجاده، فعائلتهم غنية ومشهورة لذا راقبتهم وتتبع أخبارهم بصبر وحذر حتى علمت الحقيقة كاملة .

صمت صوان وقد أصابه التردد تلك اللحظة، لكن زيد حثه باهتمام :

-تحدث سيدي، سأتحمل، فما رأيته بحياتي يجعلني أتحمّل
أي شيء.

هز رأسه وأخبره :

-الحقير شاذ وكل تقربه من عمي لأجل فحشه، خطط جيدا
ونفذ ليعده عن عائلته ثم دخل بينه وبين زوجته لكن عمي لم
يتحمل ذنب موت الخالة بسببه وحاول الحقير التقرب منه بعد
موت الخالة، فصدم عمي من الحقيقة وانقلب ضده مباشرة ولم
يتسلم جثة الخالة لأنه أراد الانتقام منه أولا بعدها يحضرها إلى
القبيلة، لتدفن تحت أرضها لكن المجرم سبقه وقتله، قرأت
أقوال الشهود على الحادث أكدوا على وجود طفل ورضيعة في

السيارة لكن الشرطة نفت ذلك، لاكتشف بأنه خطف شقيقتك
وأخذها إلى كندا بعد أن نسبها إليه بأوراق مزورة .

نطق زيد دون وعي : -الفتاة التي تزوجت منها؟

أوما صوان بوجوم :

-أنا تزوجت منها كي أبعدها عنه دون ريبة ولكي أخبرها بكل
شيء بعد أن أجهزها نفسيا، ومشكلتي الصعبة كانت أنت،
بحث عنك في كل مكان قد يكون له علاقة بالمجرم دون
نتيجة، كنت قد يئست حين قابلتك هنا، قلبي تحرك تجاهك
وشعرت بالألفة من مصافحتك غير الشبه الكبير بيننا ولم
أتردد، جمعت المعلومات عنك واستعنت بإحدى قناني الماء

خاصتك لأقوم بتحليل الحمض النووي والتتأج أمامك بما لا
يدع للشك من مجال، أنت أيوب عبد الواحد الصخر.

السوق العتيق

-اللهم لك الحمد.

تنفس الصعداء أخيرا وقد انتهى من تفكيكها وإبطال المؤقت،
مسح عرقه السائل على جبهته وجانبي رأسه ثم جمع قطعها
وخرج من هناك بسرعة، يسأل العناصر بالمكانين الآخرين .

-هل وجدتم شيئا؟

تلقي جوابا بالنفي، فصاح بجديّة .

- أوقفوا البحث وأخلوا المكان وابتعدوا المسافة التي اتفقنا

عليها، أسرعوا!

الملهى

أطرقوا آذانهم حتى تأكدوا من انسحاب الشرطة وخلو المكان

بمدة، فقال جواد بينما يقوم من مكانه :

- كنت سأنام من تعبى، هيا يا سادة، لنرحل!

تدخل أحدهم يحذرهم :

- ألا يجدر بنا الانتظار قليلا بعد!

أوما رافضا بضيق :

-دعونا نخرج بهدوء إلى القاعة الكبيرة منها نتأكد من خلو المكان .

قاموا جميعا ينصرفون وبعضهم ما تزال كؤوس الخمر بأيديهم، مال عصام على أذن جواد، يهمس له بخبث :

-لم تسأل عن الرفقة الليلة أم أنك لا تقبل سوى من ديدو؟
ضحك يشير لوجهه المكدوم يرد بتهكم:

-من بديدو أو غيره، من ستقبل بهذا الوجه المكدوم، ستفر مني خوفا يا رجل .

ضحكا معا بينما عصام يعقب:

-زوجتك ليست بسهولة أبدا.

هتف بسخط حانق وهو يلوح بيده :

- أقسم سأقتلها بيدي هاتين، تلك السا... .

لكن القدر أسكته إلى يوم يبعثون، فالملهى والندق دوى فيهما
انفجار، سُمِعَ صداهما في أرجاء المدينة الكبيرة وفي لحظة
واحدة رحلت أرواح بما كسبت يديها .

مكتب الوزير، الثالثة صباحا

- يا لبنى، بقاؤك في المكتب إلى هذا الوقت من الليل، لا يجوز!
قالها الوزير بنبرة معاتبه، فحركت نظارتها الطبية تحمر تلقائيا :

- العمل كثير سيدي ...و..

-السلام عليكم .

استدارا فلمحا جمال، يدخل عليهما بوجه جامد، فتقدم إليه
العميد مصافحا:

-جمال، أحسنت عملا .

رد بجمود يتلبسه وهو يقعد على الأريكة في الجهة الأخرى
لغرفة المكتب :

-لو أحسنا فعلا لأوقفنا جميع القنابل.

ربت على كتفه يرد باسمه قبل ان يجلس جواره :

-هون عليك يا جمال، الحمد لله لا ضحايا، البشر أهم من
الحجر .

لاحظ تعبهُ وجمود ملامحهُ، فأدار رأسهُ إلى التي ترمقهُما

بتردد :

- بما أنك فعلت ما برأسك ولم تغادري، سأستغل كرمك

واطلب منك المشروب المفضل لدى ابنتي ورد، تذكرينه؟

لمعت عينيها مع ابتسامتها واحمر خديها، لتسلب أنظار جمال

وهي تجيبه:

- حليب دافئ محلى بعسل.

انصرفت، فقال جمال بحيرة :

- هناك شيء ما تغير بها، لا أعلم ما هو بالضبط؟

- أصبحت سعيدة؟ هذا ما تغير بها .

ارتاب من قول الوزير الغامض، فسأله بلهفة حاول مداراتها :

-هل لي بمعرفة السبب؟

-رجل؟

ألقي بها بمكر ودهاء، لتتسع ابتسامته الماكرة حين سأله جمال

بحسرة جاهد على إخفائها لكن نفسه المرهقة لم تكن داعمة

له : -خُطبت؟

رد بمرح أثار حنقه : -وهل يجب أن يكون خاطبا أو زوجا؟

زفر بنفاد صبر، فرفع الوزير يديه، استسلاما، يقول :

-والدها، تصالحت مع والدها.

سأل من جديد بفضول .

-لماذا؟ هل كانا متخاصمين؟

قهقهه بهدوء يجيبه :

ذلك يا صديقي يجب أن تعرفه منها لا مني .

ابتسم جمال، فدخلت عليهما بالحليب الدافئ وتابعتها باهتمام

وهي تضع الفنجانيين أمامهما :

-شكرا لك لبنى، جهزي نفسك ليوصلوك إلى بيتك .

-لكن سيدي.

-لا تناقشيني لبنى، هيا!

هزت رأسها، تقول بمودة محاولة تجاهل نظراته المختلفة رغم

تباعدها تثير شيئاً ما في صدرها :

-أستاذن إذن، سأغادر .

منحأها هزة رأس في نفس اللحظة التي هل عليهم فيها فؤاد
القناص، دهشت بداية لكنها أسرعت إليه تقبله على وجنته كما
علمتها سمرا، تسأل عن سبب مجيئه، فتقدم وألقى تحية
متحفظة :

-السلام عليكم .

-عليكم السلام.

قالها الرجلين معا بعدما وقفا وفؤاد يسترسل :

-أتيت كي أقلها، فالوقت قد تأخر جدا .

اتسعت ابتسامتها، فأسعدت قلب الوزير الذي اطمأن عليها :

- أنت محق لكنها مجردة ومخلصة لعملها.

أوما لهما برسمية وحثها على المشي بلمسة خفيفة على ظهرها، فغادرا ليعود مصطفى إلى جمال يسأله :

- هل فكرت بزواجك؟

رد عليه بعدم يقين :

- لا أعلم، أظن انني بدأت أشعر بأهمية الزواج لكن.... لا أعلم حقا .

ابتسم يسأله بمرح :

- ما رأيك إن أخبرتك من تكون العروس؟

فتح عينيه تأهبا، فاستدرك مصطفى ضاحكا:

-لبنى... الفتاة التي انصرفت مع والدها قبل قليل، فما رأيك؟

شرد قليلا ثم رد عليه بتصميم:

-توكلنا على الله.

سيارة فؤاد

تجلس في مقعدها مرتاحة البال والخاطر، يسعددها باهتمامه بها
وقدومه الليلة من أجلها خيالا لم تتوقع حصوله، والدها يهتم
بها وخائف عليها، تنبتهت إلى حديثه فالتفت إليه:

-هل الرجل الذي كان برفقة الوزير هو المتخصص بتفكيك
القنابل جمال الأبيض لا غير؟

أومأت بحياء، فقد ذكرها به تستغرب حاله وردة فعل صدرها،
وفؤاد يستطرد بإعجاب :

- إنه بارع بمجاله، بطل حقيقي، يطلقون عليه لقب الأسطورة .
أنصت إليه بتركيز، تومئ كل حين حتى أوقف السيارة،
يخاطبها بحنو بالغ :

- حاولي أن لا تجهدى نفسك بالعمل صغيرتي، وإن تعبتي
اتركيه أنت لست بحاجته .

مالت عليه مقبلة وجنته، تطلب منه برحاء :

- رافقني، سأصنع لك طعاما شهيا تأكله .

سعد بطلبها، لكنه رد عليها بتردد :

-وماذا عن والدتك؟ أن لن يزعجها حضوري؟

ضحكت بخفة، تقول :

-أمي لن تظهر لك سوى الجفاء مهما فعلت، تعاقبك على
طريقتها وأنت عليك أن لا تستسلم، فهي لا تنتظر منك

الاستسلام، هيا بنا !

غمر قلبه سرورا من نوع آخر، والأمل يتعاضم داخله باستردادها
يوما ما، فترجل يرافقها إلى المنزل يدحض أي فكرة أو وسوسة
بالتراجع عن جمع شمل أسرته من جديد .

الفصل الثامن والثلاثون

{من أخلاق المؤمن: قوة في دين، وحزم في لين، وحرص على العلم، وقناعة في فقر، وعطاء في حق، وبر في استقامة، وفقه في يقين، وكسب في حلال..... الحسن البصري}

بيت حليلة

-لبنى تأخرت كثيرا يا اب....

بترت كلمتها حين لمحت مرافقها، فردت لبنى بضحكة متوترة:

-أبي جاء إلي ليقلني من العمل، فدعوته ليأكل معي، فأنا جائعة وظننتكما نائمتين .

هزت رأسها بجمود ثم قالت :

-الحمد لله أنك بخير، ساوي إلى فراشي .

همت بالاستدارة لكن لبني أمسكت يدها تطلب منها برجاء :

-بما أنك مستيقظة، تعالي وكلي معنا لأحكي لكما عن الهول

الذي كان سيصيب المدينة لولا ستر الله، ألم تسمعا صوت

دوي انفجار؟

قطبت حليلة فسحبتهما وأشارت لوالدها إلى المطبخ حيث

اتخذ كل واحد منهما كرسيًا إلى الطاولة هناك دون أن تكف

عن سرد الأحداث. نزعت معطفها وبدأت بتسخين الطعام

الذي اكتشفت أنه جاهز من يدي والدتها المتهربة من نظراته

المحاصرة لها بنية واضحة لا يوفر لقاء إلا ويعبر عنها، فتشعر
 بقلبها المستنزف ولسنوات ينهار تحت وطأة حصاره الغير
 عادل. فؤاد القناص ومنذ أن التقى بوالدة ابنتيه من جديد وهو
 يتأكد من عدم نسيان قلبه لحبها أبدا وكل يوم يزيد شوقه إليها
 وإلى جمع أسرته تحت كنفه، لن يتنازل عن ابنتيه مهما حدث
 وبالتأكيد لن يتنازل عنها هي!

وقد فكر كثيرا الليلة الماضية، ينعت نفسه بالغباء! كيف أضاع
 على نفسه سنوات في البعد عنهن؟! والجواب يأتيه في الحين
 يجاوره على السرير، "قائمة" استغرب شعوره الذي برد
 تجاهها حين استرجع دفء أولاده، فيصيح به عقله بحق، لأن

شعوره تجاهها كان رغبة لا غير وحين استشعر حب أولاده
والتقى بحب حياته وفترت الرغبة اصطدم بالحقيقة.

تنبه على حديث ابنته وهي تنضم إليهما على الطاولة :

- شعرت بالخجل كون عمي منهم، يا إلهي لقد شعرت
بالخزي.

قالت والدتها بعبوس ضائق:

- لطالما كان مجرما والله لا يرضى بالظلم .

ثم رمت فؤاد بانزعاج تستطرد :

- للأسف هناك شريك له أو لنقل شريكة لم يقبضوا عليها هي
الأخرى.

قطب فؤاد بريبة، يسأل ولبنى ترتبك :

-ماذا تقصدين؟ ما بلغني أن كل شركائه قُبض عليهم وأمواله الرسمية حُرِّز عليها ولولا مساعدة نضال وأوركيدا بالإطاحة به وهذه مفاجأة أخرى لكننا واجهنا مشاكل لا حصر لها بسبب نسبه بالمجموعة، فالتُّهم الموجهة إليه صدمتني، لطالما علمت بأنه شقي لكن لم أظنه مجرماً .

ردت حليلة بتهكم مرير :

-ومتى كنت تعرف ما يحدث حولك؟

حبست لبنى أنفاسها من تصاعد عصبية والدتها تشكر لوالدها عدم استسلامه، يجيبها بيسمة واجمة :

- أنت قطعاً محقة .

تلبكت، فقامت تدعي الحدة :

- أنا ساوي إلى فراشي .

انسحبت فابتسمت لبني ترمقه بامتنان، فأمسك بكفها يقول

بحنو تعلمه على يدي سمرا :

- لا تخافي، لن أتركك مجدداً، مهما حدث .

ثم نهض يستطرد :

- سأغادر أنا أيضاً .

فكرت لبني بسرعة، تهتف :

لماذا؟ الفجر أذن، صل وانتظر سمرا، ستطير فرحا إن
استيقظت لتجدك هنا .

تأمل صدق لهفتها، فرد باسمها بما أضحكها :

-حاضر حبيتي، كما تشائين سأصلي بغرفة سمرا، تلك
الساحرة الصغيرة، ستجدني قرب أنفها حين تستيقظ .

*منزل القناص، صباحا *

-صباح الخير .

ألقاها نضال وهو يسحب كرسيها ليجلس عليه، مستطردا
باهتمام:

- كيف حالك أخي؟

إبتسم نزار بحنو وبيلسان مقطبة بحيرة مثل خالتها وجنات

لينتبه الباقي بقلق، يرمقون نضال بحنق، فتابع يفسر :

- تعب ونحن في المسجد فجرا، طلبت منه أن نقصد طبيبا لكنه

رفض، لذا أسأله عن حاله؟

ضحك نزار غافلا عن الذي حدث، يسخر منه :

- لم يعهدوك حنوننا يا توأمي، امنحهم بعض ليعتادوا، لن أقول

على نضال الجديد لكن نضال القديم .

ابتسمت بيلسان بتوتر وشك عكس حالتها التي سعدت بعودة
التفاهم بينهما، فرمت مرام رضوان بنظرة ذات معنى، تقول
بسخرية هي الأخرى لتصرف الأذهان عنهما:

-على فكرة يا رضوان، مسجد الحي من أكبر مساجد المدينة،
يتسع للآلاف من الرجال .

ابتسموا بمرح ورضوان يجيب بعدم فهم يتوتر لمجرد توجيهها
حديثا إليه، فترك السكين من يده :

-الجميع على علم، بتلك المعلومة يا مرام.
وضعت قطعة الخبز من يدها، ترد بضيق :

- لا! أنت لا تعلم، من يعلم يعقل ومن يعقل يطبق، وحين عاد نضال و نزار من الصلاة أنت كنت عائدا من سهرة .

هم بالتحدث يرتبك أكثر لكنها تابعت دون أن تمنحه مجالا :

- أعلم كنت في سهرة عمل، تتفق مع نجمات الرقص والأغاني

على أعمال لصالح شركة إنتاجك، عملك مضني وشاق جدا

وأنت تتحمل رؤية فتيات كاسيات عاريات غير المشروبات

الروحية التي يفرضونها عليك، أنت فعلا مسكين.

نبرتها المتهكمة بسخط دفعت بهم إلى الضحك رغما عنهم

حتى رضوان، يتمنى أن يكون ذلك منها غيرة عليه :

- ما كل هذا الضحك؟ أضحكوني معكم.

قالها صهيب وهو يتجه نحو كرسيه المعتاد جوار نزار، ليجد عليه نضال، فيردف بحيرة :

-بالمناسبة، هذا المقعد لي .

رفع نضال حاجبه الأيسر، يرد عليه ساخرا :

-وهل الكراسي هنا مسجلة بأسماء أصحابها؟

ضحك وهو يرفع الخصلات الحريرية من على جبهته لتعود الى مكانها ما إن يتركها، يجيبه غامزا بينما يشير إلى نزار :

-هل عدتما لبعضكما؟ مبارك عليكما، عشتُ لأرى بعيني،

كنت قد صدقت بأنها قصة خيالية يحكيها نزار بوقت فراغه.

تبرم نضال يجيبه أمام النظرات المرححة :

-ها ها ها! يبهرنى حسك الفكاهي! لن أقوم من مكاني
والأفضل لك أن تبحث عن مكان آخر وتسجله باسمك وبورق
رسمي هذه المرة.

هز رأسه ضاحكا بسعادة تعكس سعادة نزار فتحرك ليجلس
بمكان آخر حين دخل عليهم فؤاد الذي يبدو مثلهم على
ملامحه أمارات السرور، فتذكر كلمات سمرا حين سألها كيف
غيرت والده بتلك السرعة؟ لتبتسم مجيبة بكلمة واحدة؛ أحبه
؛ تلك البريئة بسذاجة علمته كما علمت شقيقتها درسا عظيما
في الحب والمنح بصدق دون مقابل لذا ومنذ تلك اللحظة وهو
يطبق الدرس ليجد النتائج مبهرة.

اقرب منه يقبله على كتفه، يحييه :

-مرحبا أبي، كيف الحال؟

ربت على و جنته، بحنو يرد عليه :

-بخير بني، ألس متأخرا على مدرستك؟ لأنني أوصلت

سمرا في طريقي إلى هنا.

سأله بدهشة :

-قابلت سمرا؟ أين؟

-ليس الآن، ستأخر على مدرستك.

-لماذا لا تجيبه يا حضرة الوالد؟

تجمعت الأنظار حول قائمة، الوالجة عليهم بملامح مسودة،

تردف بسخط :

- لماذا لا تخبره بأنك قضيت الليلة في بيت أم البنات؟

وقفوا جميعا يترقبون حربا غير هينة وهي تسترسل بحقد أعمى
تلبسها منذ تأكدت من فقدانها لحبها الذي من أجله فعلت كل
شيء، وفجأة خلت حياتها منه وباقي الخيوط تتسرب من يدها
وستخسر لكنها لن تكون قائمة إن سمحت بذلك .

- من المفترض بك أن تكون قدوة لابنك ولا تدع أهواءك تلقي
بك إلى الانحراف .

ابتسمت أور الوحيدة التي لم تفارق كرسيها بسخرية، وفؤاد
يرد بهدوء بارد :

- كنت عند ابنتي يا قائمة، فكفي عن هذا الهراء .

صاحت بغضب ترتعش له أطرافها :

-ابنتيك؟ وأين نمت يا فؤاد؟ جوارهما أم على الأريكة أم أن

طليقتك كانت كريمة معك وسمحت لك بالنوم جوارها؟

-أمي!

هتف صهيب دون وعي أمام نظراتهم المتسعة من فجاجة

قولها، فتدخلت أور لا لأي شيء سوى من أجل صهيب، لن

تسمح بأن يفقد أناس جيدين من أجل امرأة فاسدة حتى لو

كانت والدته : -قائمة أنتِ آخر من يتحدث عن الأخلاق .

تغضنت ملامح قائمة تنفجر بوجه من تعتبرها السبب بنقمتها

ومن أوقع بحبيبها وسلمه للشرطة:

-اصمتي يا ابنة السفاح! وكفي عن إدخال أنفك في كل صغيرة
وكبيرة .

تجمد الجميع وهي ترفع سبابتها أمام وجه أور الغير مكترثه
على الإطلاق، تنظر إليها بهدوء على كرسيها :

-مهما ادعيت الخير والإيمان!

وحركت سبابتها على شكل دوار وهمية، تقصد الوشاح
الملتف حول وجهها، تكمل بصلف :

-ستظلين ابنة مجرم حقير، سجله التاريخ سفاح نساء .

شعر نزار بتصلب بيلسان من خلال كفها، فسحبها إليه يضمها
بحنان وقد تدحرجت الدموع على وجنتيها، فهم نضال

بالتدخل في نفس اللحظة التي أمسك فؤاد مرفق زوجته بحدة
لتراجع لكن أور أوقفته بينما ترفع كفها إليه مشيرة لتقول ببرود
متشفى :

-في الحقيقة أنت محقة في شيئين اثنين، أولهما أن الرجل الذي
أنجبني سفاح قاتل نساء وقد نال عقابه .

ثم هزت كتفيها بخفة أدهشتهم كأنها لا تتحدث عن نفسها،
مسترسلة بنفس هدوءها المريب :

-ثانيهما أنني بالفعل أدخل أنفي في كل شيء وأنا من كشفت
تهامي القناص للشرطة حتى قبل أن يستعينوا بنضال، أنا من
بحث خلفه في بلدي المنشأ وأنا من وجدت شحنة مواد
التفجير المهربة.

لا أحد استوعب الهدف من حديث أور المبتسمة باستمتاع
أمام وجه قائمة الموشك على الانفجار غلا وحقدا :

- لأنه من باع والدتي للسفاح قاتل للنساء وأنت كنت موافقة
وباركت الزواج.

ثم بسطت ذراعيها، تكمل :

-ليتها كانت آخر جرائمه، بل باع جميع إخوته ودمر حياتهم .

شلت أطراف قائمة واحتبست أنفاسها بغته تخشى بل ترتعب

من مسار حديثها : -دمر زواج توأمه وبعدها دبر له حادثا أودى

بحياته مع زوجته وتسبب بالعمى لنزار.

بلعت ريقها بمرارة ثم تابعت بتصميم :

-وترك نضال مدمرا يلهث خلف الانتقام مثلي تماما !

جحظت مقل الجميع باستثناء رضوان المتابع بعبوس غاضب

ونضال المسدل لجفنيه قهرا ونزار الذي يضم إليه بيلسان

يستمد منها القوة كما تفعل هي، أما قائمة فشحوبها يحاكي

الأموات :

-الخالة فريدة أيضا باعها لكن حظها كان أفضل من توأمها .

صمتت ثم نهضت لتخطو وتقف قبالة فؤاد، تحاصر نظراته

بينما تكمل بسخرية :

-هل تظن بأنك خارج دائرة حقارته، يا خالي فؤاد؟

قطب وأنفاسه تتلاحق ينتظر صدمة يشعر بها فظيعة بحجم
مصائب إخوته :

- دمر زواجك بنفس طريقة شقيقك الهاشمي، ألم تفكر في
ذلك ولا لمرّة واحدة؟

صاحت قائمة بغل :

- اخرسي! أنا و فؤاد تزوجنا عن حب، هو اختارني وطلبني
للزواج!

علّق نضال حينها بتهكم: - أجل كما اختارك والدي.

تدخلت مرام تشعر بعصبية لوالدتها رغما عنها، مهما كان تظل
والدتها :

-من فضلكما لا تسيئا إلى سمعة والدتي؟ لا أظن أنها تزوجت
أحدهما بالإكراه.

هزت أور رأسها بأسف صادق، تعقب:

-أنا آسفة مرام، لا أنكر أنني أشعر بمودة نحوك ونحو صهيب
لكن وقت الحقيقة قد حان ويجب أن يعرفها الجميع.

تجلت الحيرة على ملامحهم وأور تردف بضيق:

-تهامي دمر حياة أختيه برجلين، ودمر حياة أخويه بواحدة لا
غير، قائمة!

صاحت تهم بالتهجم عليها وقد فقدت تعقلها، فأجفلت
الجميع:

- أيتها الحقيرة! إلام تخططين؟ كيف تجر...

أمسك بها فؤاد يحدجها بنظرات قاتلة جمدها مكانها قبل أن يلتفت إلى أوريستفسر منها : - لماذا أشعر بأنك تملكين دليلا قاطعا؟

ابتسمت ساخرة، ترد عليه :

- لأنك في داخلك، تعلم ماهية زوجتك المصون.

سحبت هاتفها وفتحت المقطع المصوّر ثم أدارت الهاتف ذي الشاشة الكبيرة إليه، فصدحت الأصوات الماكرة، اللئيمة تلقي بقلوب حاضرة إلى هاوية صدمة حارقة:

"تهامي حبيبي اشتقت إليك، أصبحت تغيب علي كثيرا .

-قائمة، ابتعدي عني، لست بمزاج مناسب لك اليوم.

-لا تحدثني هكذا! ولا تنس من أطاعتك كالدمية تحركها كما

تريد، فلا تستخف بي لأن صبري عليك نفذ .

-بل كفي أنت عن تهديدي كل مرة نلتقي بها، إن وقعت تقعين

معي يا حلوة بل أنت ستخسرين أكثر مني، ستخسرين

أولادك .

-لا تهددني!

-ليس ظريفا أليس كذلك؟ إذن احترسي مني، فمراى حين تعلم

بأنك أوهمتِ والدها بتعديه عليك وهو ثمل حتى تجبريه على

الزواج منك ثم خدرته مرات عدة خلال زواجك به كي تحملي

منه لن تسامحك أبدا، كما سيفعل الصبي الأبله حين يعلم أنك
أوقعت بوالده وأخفيت عنه حياة ابنته الصغرى، فقط كي
تتحكمي بنسبته في المجموعة ويا سلام لو علم بالمرّة التي
حاولت فيها قتله ولم تفلحي!

-أيها النذل! هذا جزائي لأنني عشقتك وفعلت كل شيء
خطت له أنت!

-صدقيني لن يهتم من المخطط، وأنا نذل، حقير ومنحط،
أعلم ذلك، هلا ابتعدت عني الآن؟!

للحظة وبعد أن انتهى المقطع حلّ عليهم هدوء بارد كالصقيع
جمّد الأجسام مكانها من صدمتها لكن وفي لحظة واحدة
سحب فؤاد زوجته من شعرها الأشقر، فتصرخ بأعلى صوتها

دون أن تحرك في أي منهم ساكنا حتى ولديها، ابني بطنها تسمرا
مكانيهما كتمثالين قُدا من حجر.

صنع وجهها بقوة أخرستها ثم تابع جذبها دون رحمة تجاه
السيارة وطوال المسافة بين غرفة المعيشة والحديقة الخارجية
حيث السيارة لم تقف فيها قائمة على رجلها مرة واحدة يجرها
بحدة ممزقا شرابها الفيزون حتى أدمت ركبتها ولم تكن تلك
نهايتها ولم يتجرأ حارس أو خادم على التدخل .

الثانوية

نهاية الدوام الصباحي

-سمعت الدوي طبعاً لقد أخافنا جميعاً .

قالتها مروة بخوف اقشعر له بدنهما، فردت سمرا :

-كما أخبرتكما، هذا ما حدث .

طافت مروة المساحة خارج الثانوية بأنظارها قبل أن تعود

لصديقتها متسائلة باستخفاف مزعوم :

-على فكرة، ألم تهاتفى صهيب لتستفسري عن سبب غيابه؟

ردت سمرا بدهشة :

-أجل، لقد نسيت !

همت بسحب الهاتف لكن خنساء تدخلت مستغربة :

-هل ذاك محمد؟

نظرن إلى وجهه إشارتها، فردت سمرا بتوتر مرتبك :

-بلى، إنه هو، لماذا أتى؟

ابتسمت خنساء ترد ساخرة :

-بل قولي لمن أتى؟

نفخت مروة بحنق تخاطب سمرا بضيق :

-سمرا، لا يجوز ما يفعله، سيتسبب لك بالمشاكل .

-أي مشاكل؟

سألت سمرا ببلاهة وقلق، فردت عليها مروة بنفاد صبر :

- يا ربي صبرني! سُمعتك يا فتاة، سُمعتك! الناس سيتحدثون

عنك بالسوء، انضجني يا سمرا!

هزت رأسها بحنق طفولي واتجهت نحوه بينما مروة تلتفت إلى

خنساء، تعاتبها بضيق:

- لا تملئي رأسها بتلك الأمور، ليست متزوجة مثلك .

أصابها الوجوم، تجيب بيأس:

- ولا أنا!

- ها؟

- لا شيء .

تداركت نفسها، فهي لم تخبر صديقاتها عن نوع العلاقة بينها
وبين أمين وشردت واجمة حتى أجفلت على قول مروة :

-زوجك يشير لك، مع السلامة.

نظرت نحوه بتوتر تفكر بأنها لم تحدثه منذ أن قبض على
شقيقها، تشتاق إليه بشدة، فعودتها إلى بيت أهلها كما أشعرتها
بالكرامة أشعرتها بفراغ كبير :

-كيف حالك؟

لا تستطيع سوى الابتسامة في وجهه الحبيب إلى قلبها، يحملها
الشوق، فتنسى كل شيء آخر وتسرع دقائق قلبها تتوتر دون أن
تدري أنها تتورد تلقائيا :

- بخير الحمد الله.

قالت بخفوت ليردف بيسمة محبة :

- ما رأيك لو نتناول غداءنا خارجا اليوم؟ أريد التحدث معك .

ماذا يريد يا ترى؟ هل حانت لحظة الفراق؟ فشقيقها في السجن

الآن ومع تلك التهمة الخطيرة الله أعلم متى سيخرج؟ التهديد

زال ولا داعي لتبقى زوجته .

- خنساء؟

أجفلت، فهتفت دون وعي :

- لماذا؟

ابتسم يقرأ التوجس بعينيها، يجيبها بهدوء :

-أريد التحدث معك فقد اشتقت إليك.

-ها؟

فتحت فمها ببلاهة، لتسع ابتسامته يسحبها من كفها :

-سنوقف سيارة أجرة، هيا !

غير بعيد عنهما خطت إليه بملامح لم تعلم كيف تسبغ عليها

الجدية، خصوصا وهو ينتظرها والشوق واضح على وجهه

المبتسم ببلاهة لم تكن من صفاته إلا بعد لقيه بسمرا :

--كيف حالك سمرا؟

-بخير الحمد لله.

ردت ثم أردفت بسرعة:

-لماذا أنت هنا محمد؟

تفاجأ بسؤالها، فرد بتلعثم، فهو نفسه لا يعلم لماذا جاء بعد أن انتهت مهمتهم بنجاح :

-في الحقيقة أنا...، هل أزعجتك؟

أمسكت بخصلة من شعرها، تلفها على اصبعها، مجيبة ببعض العبوس رغم طريقة تعبيرها المضحكة :

-هذا لا يجوز، تعلم...ممم سمعتي؟

عاد للابتسام بهدوء، يسألها بمرح :

-من لقنك تلكما الكلمتين؟

زفرت تهز كتفيها بنفاذ صبر تجيبه :

- مروة انظر يا محمد !

تمالك نفسه كي لا يضمها ضاحكا، يستغرب أفكاره الغير

منطقية منذ أن التقى بها بينما هي تردف بصدق :

- قالت أن الناس سيتحدثون عني بالسوء وأنا لا أريد ذلك .

هز رأسه باسمها و موافقا، يقول باعتذار :

- هي محقة، صديقتيك صالحتين وتحبانك بصدق .

- بالتأكيد.

ردت بشكل قاطع، تستطرد دون تفكير مجددا :

- حتى أنهما أخبرتاني بأنك لا بد تحبني لذا..

بترت حديثها حين لاحظت تجمده، فضاقت مقلتها تسأل
بقلق :

- ما بك؟ هل غضبت؟ لست من قال !

قطب يجاريها :

- ما رأيك أنت؟

- في ماذا؟

ردت بجهل، فبلع ريقه يهمس بتوتر :

- ستوقفين قلبي قبل أنت تفهمي وأنا مسرور بذلك كالأبله .

- ماذا قلت؟

سألته مستغربة، فوضح لها :

- ما رأيك أنت في ما قالتاه؟

قلبت شفيتها تجيب بشرود :

- أمي لن تقبل بزواجي حتى أنهي دراستي.

ابتهج يسألها بما أجفلها :

- يعني مشكلتك بقبول والدتك فقط؟

- ماذا تقصد؟

عقت ببلاهة، فزفر محمد بضجر حائق، يخبرها بوضوح :

- سمرا، أنا أريد الزواج منك، هل أنت موافقة؟

توترت واحمرت وجنتيها، فرفع كفه يمسح على وجهه

مستغفرا، ينتظرها حتى قالت بتلبك وهي تمسد على جبهتها :

- لا أعلم، أقصد، ماذا أقول؟ فأنت رجل جيد أنقذتني
وتسعدني رؤيتك لكن لا أستطيع رؤيتك هكذا وأمي لن تقبل
زواجي الآن، فما الحل برأيك؟

أصابته النعمة من نفسه التي تفلت منه، حين نطق بوله مراهق :

-تسعدك رؤيتي يا سمرا؟

أومأت وقد احمرت بشدة، فاستقام بوقفته يحزم أمره ويجبرها
على الرضوخ له : -هل تعديني بأن توافقي حين توافق
والدتك؟

ضحكت بخجل تومئ مرات عدة فيتحرك معها شعرها اللامع
تحت أشعة شمس الظهيرة، فيجعد جبينه يتردد قليلا قبل أن
يندفع من قلبه:

-سمرا، أنت تهتمين بما يجوز وما لا يجوز، هل تعلمين بأن
الحجاب فرض؟

ضغطت على شفيتها محرجة، ثم أومأت والذنب يلون
قسماتها، فابتسم بحب يضيف آخر حديثه قبل أن يدفع نفسه
دفعاً ليغادر:

-استودعك الله يا سمرا، اعتني بنفسك .

*منزل القناص *

-أخيرا وجدتك!

رفع صهيب رأسه، فسقط قلب نضال في قعر الماضي، متذكرا
آخر أصغر منه يجلس مثل تلك الجلسة البائسة ويبكي بنفس
الحرقة.

قعد بجانبه على الأرض خلف بناية المنزل الكبير بزاوية نادرا
ما يزورها أحد، يستطرد:

-أتعبت نزار وهو يبحث عنك لولا أني وعدته بأنني سأجرك
مهما كلفني الأمر ما كان اكتفى حتى يقع من طوله، فأنت تعلم
بضعف صحته .

- آسف .

نطق بيأس، فقال نضال بينما ينظر أمامه :

- صهيب؟ هل تعلم بأنني لطالما غرت منك؟

نظر إليه بدهشة، فالتفت إليه يستطرد بصدق :

- أنت من حصلت على مكاني جواره، فأنا ابتعدت ونأيت

بنفسي عنه، أحسست بحزنه ويأسه لكنني لم أستطع

الاستسلام، كان يجب أن أقتل كل إحساس جميل قد يضعفني

فأتوانى عن انتقامي، أظن أنه كان يراني بك، فاتخذ منك أخاه،

يعاملك تماما كما كان يعاملني، لذا في خضم ظلمتي ووحديتي

كنت أغار منك لكن في نفس الوقت أحببتك لأنك وبطريقة ما

تسعه ولم أستطع سوى أن أحبك أكثر لأنك كبرت لتصبح
نسخة عنه .

مسح دموعه، يعقب برجاء : -هل حقا أنا مثله؟

ضم كتفيه، يشد عليه بحنو بينما يرفع كفه الحرة يقرب بين
سبابته وابهامه : -لندع ما سأقوله سرّا بيننا، أنت أفضل منه .

رمقه، بعدم فهم، فاستدرك بحزم مصطنع :

- لا تخبر أحداً أحذرك! نزار رباك لتكون أفضل منه وقد أفلح

في ذلك، فأنا لم أرَ بحياتي فتى رزينا صالحا لا يجلب المشاكل

لأهله ويملك من الرجولة ما يجعله يبحث عن أخته ثم يدافع

عن حقوقهما لدرجة أن يقف في وجه والديه من أجلهما، أنت
بكل تأكيد أفضل منا جميعا.

راقبه صهيب باهتمام، فلطالما شكل نضال بكل تلك الهالة
حوله لغزا محيرا له : -لذا يجب أن تفهم أن كل شخص يتحمل
ذنبه ولا يحمله معه آخر، والدتك أخطأت لكنك لست السبب
في أي شيء وإن أردت رأي ..

ضم شفته قليلا ثم أطلق سراحها يردف :

-لو حدث هذا قبل أيام، كنت نصحتك بنسيان والدتك
وبعيش حياتك بشكل عادي،... على من أكذب! لو حدث
هذا قبل أيام ما كنت حدثتك من الأساس !

قالها بشيء من السخرية الساخطة دفعت بصهيب إلى الابتسام
من بين علامات كآبته :

-لكن الآن، أنصحك بأن تمنح والدك وقتاً ليهدأ ثم تسأله عنها
وتطلب منه أن يطلق سراحها وينساها، أما أنت

تفاجأ صهيب من قوله، فنضال أكثر شخص توقع منه الحقد
على والدته :

-فيجب أن تودها، تنصحها وتراعيها لكن بحذر، فبعد كل
شيء هي قائمة ويجب الحذر منها.

قالها بتردد حذر، فسأله صهيب بحيرة :

-ما سبب تغيرك نضال؟

رفع حاجبيه، متنفسا بعمق:

-بل قل سبب تراجعى، على أى حال، اصطدمت بحائط صلب
يستحيل اختراقه اسمه الموت، فاكتشفت بأن الحياة قصيرة
جدا ولا تستحق أن نهدرها لا في حزن ولا انتقام، فبعد أن نفذت
انتقامي فهمت بأنه كان من الممكن تنفيذه دون أن أخسر نفسي
وأخي وأمر آخر أن هذا الانتقام لم يعد لي لا والداي ولا بصر
أخي... فقط أهدر أيامي في ضلال وحزن ومعاناة .

هز رأسه تأكيدا، فقال نضال بسممة سمجة :

-إذن، هل ستخبر نزار بمدى روعتي في جعلك تنسى حزنك
وباقى تلك الأشياء التي تظهرني عنده كبطل؟

ضحك بحزن يومئ إيجابا، فشعث شعره يستدرك بمزاح :

-هيا، لنرى إن كنت سأخدع أختنا المشتركة كما فعلت معك،

فهي لا تطيقني من الأساس، هل أخبرتك بماذا فعلت في أول

يوم عادت فيه؟ هي وتلك السوداء التي بالمناسبة أسلمت

وتحجبت... نحن عائلة غريبة، هل أصبحت ثرثارا أم ماذا؟

هز صهيب رأسه مؤكدا ما يزال مبتسما بوجوم، فدفعه في كتفه

بمرح ثم سحبه من جديد يضمه وهما يتجهان نحو المنزل،

يتشدد:

-إنها المشاعر البائسة، تجعلك كالنساء تولول وتثرثر .

المطعم

-ألن تأكلي شيئاً؟

قالها أمين يتسم ثم مال تجاهها، يردف بنبرة أذابت قلبها :

-لقد نحفت كثيرا مؤخرا، لم أعهدك نحيلة .

تذكرت الأستاذة الرشيقة، فوجمت تجيبه بحزن :

-أعلم بأنني لست رشيقة .

اندهش يهتف بذهول حقيقي :

-من؟ أنت؟ هل تنظرين الى المرأة؟

-ها؟

عادت إلى ذهولها الذي يصيبها كلما قال بحقها كلمة مدح،
فاستدرك معاتبا :

-خنساء؟ هل هذا ما فهمته من جوابي على الأستاذة؟

تكومت ملامحها في عبوس، تجيبه بخفوت وإحراج :

-لم تقل سوى الحقيقة، فقد تزوجت مني كي تنقذني من مصير
مجهول وذاك جميل لن أنساه لك أبدا .

هتف بحزم فاجأه، قبلها :

-لا أريد ان تحفظي لي أي جميل يا خنساء، اسمعيني جيدا !

صمت مندهشة، فتنفس ليهدأ ثم ستأنف قائلا :

-أنا لا أنكر أنني تزوجت منك لأجل حمايتك لكن لن أنفي
سعادتي بانتمائك لي وبكونك أصبحت تخصيني .

فغرت فمها بعدم فهم وهو يسترسل :

-لم أكن أريدك أن تُجبري على الزواج بل أن تكوني موافقة
سعيدة ثم يُقام لك حفل زفاف يليق بك، أريد أن تُحفظ لك
حقوقك، حَقك بالدراسة وحَقك باختيار الزوج وبقية حقوقك
كإنسان ثم ككل الفتيات، لذا فضلت عدم إعلان زواجنا كي لا
تُحسب عليك زيجة حين تقررين الانفصال عني .

هتفت دون وعي :

-لكنني لا أريد الانفصال عنك .

ابتسم بسرور تجلى بملامح وجهه، فصمتت محمرة، يغمرها
الحرج ليقول بحب لمعت به مقلتيه :

-وأنا متمسك بك أكثر منك، وكنت أخشى العكس، لكن
خنساء؟

رفعت حاجبيها تساؤلا، فاستطرد :

-أحبك ولا أريد الانفصال عنك، بل أريد قضاء حياتي كلها
معك .

لم تتهرب بعينيها و لم تتوتر بل تجمدت ترمقه بمقلتين
واسعتين من الصدمة وفجأة ودون سابق إنذار مالت على
الكرسي فاقدة وعيها .

بيت صوان

-سكينة كفي عن البكاء، صوان سيقتلني، ظنتك هدأت بعد
نومك.

مسحت دموعها الصامته، تجيبها بحزن :

- كلما تذكرت ما فعله بعائلي ثم كيف كنت أحبه وأتمتع بماله
أشعر بالخزي والخيانة، لوالداي ولشقيقي ولنفسي .

ربت على ظهرها، تهدى من روعها بإشفاق :

-هوني على نفسك، أنت لم تكوني تعلمين، لقد خطفك
رضيعة، فمن الطبيعي أن تربي على حبه .

رفعتا رأسيهما حين سمعتا صوت الباب، فهمست شادية بجزع
تمسح لها دموعها بتوتر مضحك :

- أرجوك سكينه لا تفضحيني! صوان طبعه صعب، من
فضلك.

أومات تتنفس بعمق كي تتحكم في دموعها وقامت شادية
تستقبله بسرور متلبك :

- أخي، كيف حالك؟ الحمد لله على سلام...

بترت عبارتها حين لمحت شابا خلفه يكاد يتصف بنفس
ضحامة صوان والشبه بينه وبين شباب عائلتها الواضح جعلها
تهتف دون وعي :

-أيوب، ابن عمي، أيوب!

دُهِش زيد يراقبها بتمعن وسكينة تنتفض من مكانها، مرتعشة،
ففقدت توازنها ليسرعا معالكن صوان كان السباق يمسك بها
قبل أن تهوي على الأرض، فنظرت الى صوان بجزع وضياع
جعله يضمها إليه، هاتفا من بين أسنانه بحنق :

-شادية، ما كانت وصيتي لك؟

انكمشت على نفسها، تجيب بتقطع مرتبك :

-أ...نا...ه...ي...سألتنى .

حدجها بنظرة حادة جعلتها تحمل صغيرتها من على الأرض
كأنها تحتمي بها، فتدخل زيد بإشفاق إن كان على الفتاة

النحيقة بين ذراعيه والتي من المفترض بها شقيقته أو على
الأخرى ابنة عمه التي تحمي برضيعتها ولكم تملأ قلبه
السعادة ببهجة فياضة وهو يفكر ب... ابن عم، ابنة عم، شقيقة
... عائلة .

- هل هي بخير؟

أبعدها صوان قليلا يتأكد منها، فأومات له بضعف ليسندها
حتى تقف وهي تسأل بتوتر :

- هل هو؟

هز رأسه يشير لزيد أن يقترب فخطا نحوهما بارتباك لا يناسب
ضخامة جسده وصوان يقدمهما إلى بعضهما :

-سكينة هذا شقيقك أيوب.

أمسكت بصوان بينما ترمق الآخر متأملة، فابتسم أيوب بوجهها

يخاطبها بحنو، مشفقا عليها كثيرا، يكاد قلبه يذوب رأفة كما

لم يفعل علي نفسه وهو لا يعلم أي منهما أكثر تضررا:

السلام عليكم أختي، أنا شقيقك وسأكون سندك بعون الله، ولن

أسمح بأن يمسك أحد بسوء ما دمت علي قيد الحياة.

دمعت عيناها بتأثر، فتركت صوان الباسم بفخر كأخته وارتمت

بحضنه تبكي بضعف، فوقعت رهبة الموقف في القلوب،

فسكنت أطرافهم يراقبون وأيوب يستطرد، قائلا:

- سأخبرك بشيء غريب، أنا لا أعرفك لكنني أحبك، قبل ساعات فقط حين أخبرني صوان بأن لي عائلة وهم يبحثون عني وأن لي شقيقة أحببت العائلة بكل أفرادها حتي دون أن أراهم فأنا لطالما حلمت بأن أملك أسرة، أم، أب وأخوة والآن أرى المستحيل يتحقق أمامي فلم أشعر سوي بالحب الذي كنت أكنه لكم في خيالي.

أما صوان، فقد تآثره بذلك المشهد شيء ما داخله طعن قلبه طعنة لم يضاهي ألمها ألم السكين التي غرست ذات ليلة مظلمة في حلقه، فبلع ريقه وهو يرفع كفه واضعاً إياه على موضع خفقات ارتفعت حتى أوشكت على شق اللحم فوقها علّ القلب يفر إلى من نصبت نفسها ملكة على عرشه.

تنحى يقترب قائلًا، لينهى عناق الأخوة المثير للحرقة بداخله
بشكل مستفز له شخصيا :

- سنقصد القبيلة بعد غد بإذن الله .

- التفتت إليه سكينه تقول بغل فتذكره بدليلة الغاضبة :

- لا! ليس قبل أن نقتص من المجرم أم أنك نسيت وعدك
للعائلة؟

ابتسم بحبور يستحضر الآن شبهها بوالدتها، تلك النحيقة
تحوي داخلها قوة وبأس الصخر.

- لقد قبضنا عليه وبعد غد إن شاء الله، سأتمكن من تهريبه إلى
القبيلة كي ينفذ القصاص هناك لكن هناك أمر ما.

رمقوه بتساؤل، فأردف :

-العائلة لا تعلم بزواجي منك، فماذا سأقول لهم؟

صمتوا يفكرون و قد أصابت الرعشة قلبها لا تتصور بعدها
عنه، فقد ألفته ولا تتخيل يوما يمر دون أن تراه، كما أنها لم
تشعر بالأمان والاهتمام إلا برفقته.

تحدثت شادية بمكر :

-لكنك لم تتزوج منها .

تعجبوا، فعقب صوان بضيق :

-كيف ذلك؟ وعقد الزواج والزفاف .

قالت تفسر:

- أنت تزوجت من فتاة ليس لها وجود، هذه بقربك، لا أسمها
دليلة القناص ولا وليها ذاك المجرم فهل هذا زواج صحيح من
الأصل!

عقد صوان جبينه، يقول بضيق:

- ليست هذه المشكلة، فليس من أركان عقد النكاح ولا من
شروطه التسمي بالاسم الصحيح، بل يكفي تعيين المرأة المراد
خطبتها والعقد عليها، فإن حصل خطأ أو تزوير في الاسم فلا
يؤثر ذلك على صحة النكاح.

مطت شادية شفيتها بتفكير وزيد يستفسر منه:

- وما المشكلة إذن؟

بدا لهم صوان متوترا يمسد جبينه تارة ويلوح بها تارة بما يدل
على الفوضى برأسه :

-وليها، الحقير لا يمت للإسلام بصلة غير أنه....

بلع ريقه وصمت فما أخبر به زيد عن شذوذ تهامي لم يخبر به
ولا ينوي إخبار أحد، ليكمل وزيد يتابعه بتركيز :

-هذا ما فاتني ولم أتذكره لأن ما برأسي كان عظيما، ما أعلمه
عن تهامي القناص أنه لا يصلي، والزواج بعقد هذا الولي الذي
لا يصلي يبنى على اختلاف أهل العلم في تارك الصلاة، فمن
قال: إن تارك الصلاة كافر كفراً مخرجاً عن الملة، وإن كان
مقتنعاً بوجوبها، فإنه يرى أن العقد في هذه الحال لا يصح، وإنه
يجب إعادة العقد، لأن الكافر لا يصلح أن يكون ولياً

للمسلمة، ومن رأى أن تارك الصلاة مع إقراره بوجوبها لا يكفر
كفراً مخرجاً عن الملة، فإن هذا العقد عنده صحيح، إلا عند
من يرى أنه يشترط في الولي العدالة، فإن العقد أيضاً ليس
بصحيح، لأن هذا الولي ليس بعدل، بل هو فاسق من أفسق
الفاسقين والعياذ بالله... غير أن تهامي خاطفها وليس بوليها من
الأساس!

جعد زيد أنفه، يقول بانزعاج:

- ما هذه الفوضى؟

ثم ما لبث أن فكر في شيء ما، يهتف بقلق:

- لكن كيف يفوتك شيء كهذا؟ زواجكما ليس صحيحاً.

فهم عليه، فنطق دون وعي بما جعل شادية تفر الى المطبخ،
وسكينة تحمر خجلا على غير عاداتها:

-أنا عقدت عليها فقط !

لكن أيوب عقب بضيق مشيرا لشعر سكينة :

-ليس هذا ما بدا لي قبل قليل ثم لا يجوز لك أن تراها بشعرها
المكشوف، أختي ارتدي حجابا ساترا ولن تختلي به بعد الآن .
هزت سكينة رأسها بضياع تبتسم ساخرة من نفسها، حتى أن
عينها لمعتا بدموع الخزي، دموعا لم يفهما سوى صوان
الذي أشار لها بعينه أن لا تتجراً وتعبّر بلسانها عن ما قرأه على
وجهها، فتحركت تستدير نحو غرفتها تفكر بأن شقيقها يطلب

منها التحجب أمام صوان، فماذا إن علم عنها التبرج وشرب
الخمير والمخدرات، هل سيظل يحبها ويخاف عليها كما
الآن؟

عبس صوان بوجهه يتخصر، فاستدرك زيد رافعا كفيه باعتذار :
-إنها حدود الله يا ابن عمي، إن أردتها زوجة لك تقدم واطلبها
كما تقتضي الأصول.

منزل القناص

-مرام؟ أو شكت على إغراق الحديقة .

لم تنظر إليه، تنطق بخزي :

-إنها فرصتك لتشفى يا رضوان .

أجابها بحيرة ودهشة يهل عليها دون أن يتجرأ على الجلوس
حتى بطرف الكرسي الذي تحتل منتصفه :

-أتشفى؟ بك أنت؟ لماذا؟

ردت ببيكاء يائس :

-لأن حديثي معك دوما مؤنب ولأعاقبك تزوجت من الرجل
الذي اختارته لي أُمي ومع أنني دفعت الثمن غاليا عدت
لأتشدق عليك بالنصيحة من جديد، أنت تلهو مع الفتيات!
أنت تشرب الخمر! ... لم أكن أدري ...

شهمت بىكاء أوجع قلبه مع أن الحديث قبله أسعده بشكل
غريب، كونها تعترف له بأنها تزوجت كي تعاقبه :

-لم أكن أعلم بأنني نتيجة خداع وكذب، وهم خُلق بالإجبار
من أجل الطمع، نضال محق بكرهي.

-لكنني لا أكرهك!

تتبع مصدر النبرة، فلمحته قادم برفقة شباب عائلتها، نزار،
بيلسان، أوركيدا، جنات، وصهيب الذي جلس ملتصقا بها
يضمها، فالتفوا حولها ونضال يستطرد:

-لقد كنت ناقما على نفسي وليس عليك، فلا تعتبره كرها،
النتيجة أنك أختي ولن أتوانى عن حمايتك..

ثم نظر إلى صهيب يكمل بمكر أسعد الأخير وابتسم له :

-لن أدع أحدا يكون أفضل مني !

تدخلت أور، تعتذر إليهما :

-أنا حقا آسفة، لم أقصد أن أحزنكما .

هزت رأسها كما فعل صهيب، ترد ببسمة واجمة :

-لم تكذبي وعرضت الدليل، هي أخطأت ولسنوات كانت

لديها الفرصة تلو الأخرى لتتوب وتصلح من نفسها .

قام نضال، يصفق فهو لا يطيق هذه المواقف المثيرة

للعواطف :

-اسمعوني يا شباب، أنا لا أريد حزنا في هذا المنزل من جديد،
ما رأيكم إن أقمنا حفلا؟

تنهدت مرام غافلة عن حزنها لوهلة، تعقب أمام زفرات الباقي
الضجرة : -يا إلهي يا نضال! لقد قررت الالتزام يا رجل،
حفلات من جديد؟

ضحكوا بينما يتخصر بشكل مضحك وحتى بيلسان التي نست
كل هم مرت به في حياتها تستمتع برفقة زوجها وتستبشر
بصلاح حال أختها ونضال.

-مرام يا عزيزتي، إن كنت حقا تحبينني فلا تستفزيني، أنا أقصد
حفلا عائليا هنا في الحديقة، نحضر مشاوي وعصائر لكن
بأيدينا، لنستمتع فالحياة تجري بنا ولا تنتظر أحدا.

ثم نظر إلى صهيب يردف :

-ولا تنس دعوة لبنى وسمرا، سنسعد ونصر على السعادة

ونقضي معا لحظات لا تنسى.

قطب نزار، فمالت عليه بيلسان تهمس له مستفسرة :

-ما بك نزار؟

رد بنفس همسها يدعي التَّبَسُّم: - لا شيء يا قلب نزار .

ألم يعجبك اقتراح نضال؟ إن كنت غير مو... .

أمسك يدها، يقاطعها بهدوء :

-لا.. بل العكس أنا أحببت فكرته جدا.

ثم صمت يتساءل داخليا: "ماذا تخفي يا توأمي؟"

اليوم التالي المستشفى *

-وور بنيتي! كيف حالك؟

تقبلت أور ضمة صفية وقبلها الكثيرة على وجنتيها، تبسم
بسرور وأسد يصحح لأمه من فرط بهجته بقدمها :

-أور... يا أمي... أور .

نفخت والدته، بضجر تجيبه :

-وور، أور، المهم هي فهمتني، الحمد لله على أنك أتيت، فهذا
الولد ممل للغاية وأنا سأنفجر يجب أن أخرج وأتنفس القليل
من الهواء النقي .

ابتسم أسد يلتقط خطتها، فقال ساخرا بمرح:

-النافذة كبيرة أماء، لماذا لا تفتحونها؟

ضربت على صدرها بخفة تستنكر:

-بهذا البرد القارص، وأتسبب لك بمرض أكبر مما أنت فيه لا

سمح الله !

ثم خرجت تبرم بشفتيها، فاقتربت أور من السرير تسأله

باهتمام : - كيف حالك؟

لم يجب سؤالها، يقول بدلا من ذلك .

-ظننتك لن تأتي .

تحركت أصابعها تجاه أنبوب السيروم تلمسه بإبهامها بينما

تجيبه بلكنتها المميزة التي تضي على نبرتها رونقا خاصا :

- كنت أريد أن أمنح نفسي وقتا لأستوعب كمّ التغييرات في حياتي، ناهيك عن ما يحصل، الكثير من الأحداث لكن جل ما كنت أفكر فيه ليلا، بل كل لحظة هو القدوم لرؤيتك، أشتاق إليك كثيرا ولا أدري ماذا أفعل؟

تنهد أسد ينتزع مقلتيه من على كفها، ليوجه لها الحديث الحازم رغم هدوء نبرته :

- إن كنت ستسمعيني هذا الغزل كل مرة نلتقي فيها، فهو العذاب بعينه إن لم تكوني زوجتي وهذا لا يجوز من الأساس يا أور .

ابتسمت، تعقب بتبرم ضاحك :

-حسنا أنا أتعلم، فلا تستعجلني ولا تتوقع مني أن أكون
كبيلسان سريعا .

هز رأسه باسماء، يجيبها :

-لقد كِدت تخدعيني بحيائك أول أمس، هنا أمام والدتي ولم
أنس وجه شقيقتك أيضا ، كانت مبهوتة مثلي .

زمت شفيتها إلى الأمام دليلا على الحق، فتنحى يبعد ناظريه
عنها بينما يكمل بدفء:

-ثم أنا لا أريد أن تكوني كشقيقتك!

نظرت إليه باهتمام وهو يكمل بصدق لمس قلبها:

-بل كوني أنت، بصفاتك وبخواصك موحدة لله، أنتظر
شخصية مبهرة لا مثل لها، شخصية أور العابدة والمحبة
لربها .

لمعت مقلتيها بتأثر وقلبها ينبض بقوة، فقلت تتهرب من
حالتها تلك .

-والدتك سيدة مهية ورائعة تفرض عليك الحياء أمامها أما
أنت، فحبيبي وقريبا ستصبح زوجي .

تحدث بحزم مجددا وقد عبست ملامحه :

-ما إن أستطيع التحرك جيدا ستتزوج! والى حينها لا أريد لمح
طيفك .

دهشت، تهتف بصدمة : -ماذا؟ لماذا؟

رد بغیظ وقد أرهقته سرعة دقات قلبه المستنفرة :

-بدو أنني سأفقد أعصابي وعقلي وأنت لا تعلمين لماذا؟ !

ثم حذرهما بسبابته :

-إياك أن تُحدثي أحدا هكذا، سيفهمونك خطأ.

قالت بحيرة وتلقائية :

-ومن غيرك سأناديه حبيبي أو أخبره بأننا سنتزوج؟

هتف بحنق وفكیه يصطكان ببعضهما : -ولا أنا!

قطبت، فتنهد بقله حيلة :

-أقصد حتى نتزوج، بعد الزواج أطلقى العنان لنفسك وقولي
ما تشائين، لكن قبل ذلك اليوم، لا تخبريني تلك الأشياء... الله
وضع حدودا تعلميها حتى يبارك لنا علاقتنا يا أور... أ لست
تريدين ذلك؟

ابتسمت وقد فهمت قصده تجيبه بعاطفة ستجهز على ما تبقى
من ثباته:

-بلى، فأنا أحب الله، ستجيب لي كل ما دعوته، أراح قلبي
وأنقذك من الخطر وحفظك لي وها نحن نخطط لنتزوج .
-يا إلهي أور، توقفي !

أمالت رأسها معذرة بصمت ثم كأنها تذكرت شيئاً :

-بيلسان أخبرتني بأن أطلب منك مهرا غاليا جدا .

ضم حاجبيه استغرابا، يعلق :

-غريب! شقيقتك لا تبدو ممن يهتمون بالمال.

-ومن ذكر المال؟ أنا أملك منه الكثير .

نسي حديثها الأول ملتقطا آخره، فعقب :

-على ذكر المال يا أور، أنا لن أقبل منك سنتيما واحدا، لن

أحرم عليك مالك، استمتعي به لكن مصاريفنا المشتركة، أنا

أقوم بها وهناك أمر آخر يا أور، المسكن الذي أعيش فيه ليس

بقصر ولن أفترق عن أمي .

صمت، فردت بينما تهز كتفيها بخفة :

-المال لا يهمني أمره، وإن أردت أن أعيش معك في بيتك، فأنا موافقة وإن لم يعجبك عملي سأبقى في البيت من أجلك وأستطيع متابعة العمل من البيت أغلب الوقت، ثم لماذا سأفارق بينك ووالدتك؟ علاقتكما بالنسبة لي معجزة، لا وجود لها في المكان الذي تربيت فيه.

ثم ابتسمت تكمل بما أثلج صدره وحقق له السعادة :

-أنا لم أولد بملعقة ذهب في فمي، بل كافحت لأعيش وتعلمت من قساوة الحياة أن المال لا يحقق السعادة، بل كثرته تجلب المشاكل والمهر الذي أطلبه أن تُحفظني سورا من القرآن الكريم.

الفصل الأخير

{قرأت في تسعين موضعا من القرآن أن الله قدر الأرزاق
 وضمنها لخلقه وقرأت في موضع واحد : الشيطان يعدكم
 الفقر ... فشككنا في قول الصادق في تسعين موضعاً و صدقنا
 قول الكاذب في موضع واحد.....الحسن البصري}

بيت سمير

غيرت ثيابها واستعدت للالتحاق بفترة الرسم، وقد أصبحت
 الجهة الخلفية مرتعا للهوايات الجيدة مع أن هناك طلاب لم
 يتخلوا عن التدخين بعد وما يزال الطريق أمامهم طويلا لكنها
 البداية وكل أمر جيد يحتاج لبداية فقط . التقطت أذنيها نبرة
 والدتها الغاضبة، فتسمرت تستمع، تلك العادة السيئة التي لا

تتملكها سوى حين يتحدث والديها عنها، الخوف والرعب من
 الفقد يجعلها تسهو عن بعض الذنوب التي تعلمت على يدي
 سمير بأن فظاعة عقابها عظيمة على قدر سهولة اقترافها
 وتبريرها من النفس .

-أمي من فضلك، أخبرتك من قبل، أولادي خط أحمر وأنت
 لا تقبلين بأن يحرمك أحد مني، لكنك لا تفكرين بنفس الطريقة
 في ما يخصني! إنها ابنتي أمي... ابنتي! افهمي هذا أتوسل إليك
 لقد تعبت!

تلاحقت أنفاس أمل، تنفعل مع انفعال والدتها، فترتفع كفها
 تريحها على صدرها :

-أجل أمي، قدر أمل بقلبي حتى أكبر من قدري أنا بقلبك، ولا أريد الخوض في الموضوع مجددا.

صمتت شاهي ثم أكملت بمرارة استشعرتها أمل من صوت والدتها المرتعش :

-من تولت أمر تربيتي؟ ومن اعتنت بي؟ سوى الخالة فتحة خلال انشغالك المستمر، ماذا تعلمين عني؟ عن دراستي، هوايتي؟ أكلتي المفضلة! ما أكره وما أحب، لا شيء حتى حين كسرتُ يدي لم تسأليني من و كيف كسرت؟ ولا إن كان يؤلمني؟ بل أنبتني لأنني أفسدت سهرتك!

تنهدت شاهي بتعب وأمل جامدة مكانها:

- الأمومة ليست الحمل بطفل من لحمك ودمك، بل الأمومة عطاء، ومنح الحب والاهتمام، الحضور بحياة أولادك، مرضهم قبل صحتهم، حزنهم، قبل فرحهم، أن تعرفي عنهم الصغيرة قبل الكبيرة وتشعري بأحاسيسهم قبل أن ينطقوا بها .
تهدج صوت شاهي وهي تردف بما لمعت له عينا أمل بدموع متأثرة:

- أنا لا أتصور ليلة أوي فيها الى فراشي دون أن أقبلها فألمح ابتسامتها المحبة المريحة لقلبي ولا أستطيع أن أضع طعاما في فمي قبل أن أتأكد من شبعها، أو أن تمرض لا قدر الله، فلا أضمها بين أضلعي أسمع دقات قلبها، هي ابنتي أنا ولن يأخذها مني أحد، فأرجوك أمي، أتوسل إليك رغم كل شيء أنا أحبك،

فأقل شيء أطلبه منك، ابتعدي عنها! وضعي بحسبانك أن
 سمير نفذ صبره، فلا تنسي بأنك لست والدته ليتقبل تدخلك
 بحياته فقد غضب جدا من بحثك بين أغراضه بغرفة النوم
 واطلاعت على أمورهِ الخاصة، ليس لك حق عليه سوى
 الاحترام أما أمل فهي ابنته التي لن يتوانى عن حمايتها بأي
 شكل من الأشكال .

أنهت الاتصال، فعادت أمل بخطوات هادئة، تبسم بتأثر بينما
 تمسح دموعها، تماكنت نفسها تتنفس بعمق ثم قررت
 المغادرة لمدرستها :

-أمي....أنا ذاهبة الى المدرسة .

خرجت من غرفتها، تتساءل مقطبة بحيرة :

-أمل؟ أليست الفترة المسائية لليوم شاغرة؟

هرولت نحوها ببسمة متسعة تقبل وجنتيها بينما تجيبها :

-سأذهب للجهة الخلفية في الثانوية، ينضم إليها من يريد الرسم

على الجدران وهوايات أخرى لكنها المفضلة لدي، هناك

تطلقين العنان لخيالك والعبوات في يديك تصوره، أمر ممتع .

رقت نظرات شاهي لسرورها فربت على وجنتيها بحنو :

-اذهبي إذن، لكن اعطني بنفسك جيدا ولا تتأخري .

التفت تغادر بينما تجيبها بمرح :

-أعلم بأن السيارة ما تزال تتبعني إلى أي مكان، فلا تحاولي .

غادرت وشاهي تضحك لتهمس متنهدة :

- آسفة حببتي لكنني أظل خائفة عليك .

*منزل القناص *

- أبي؟ أريد التحدث إليك.

أشار له فؤاد قبل أن يزيل نظارته، فدخل عليه غرفة الاستقبال
للجناح الغربي وجلس قبالته، يفرك يديه ببعضهما، قائلاً بتوتر:

- أبي، أريد السؤال ...ع...عن..

- عن والدتك؟

قالها فؤاد بشيء من الوجوم بينما يضغط على عينيه بإصبعيه،
ينفض عنهما التعب، فالصدمة كانت قوية وبصعوبة تمالك

نفسه حين ظن بأنه قتلها ولولا أولادها لكان أودعها هي
والمقطع عند الشرطة لتُسجن.

تحدث صهيب بتقطع متردد :

-أنا، مهما كانت ...تظل أُمي .

ابتسم فؤاد بحزن، يراوده تساؤل ما كأنه شعور طفولي يود
الاستعلام والتأكد من مكانته لدى أبناءه :

-لو كنت مكانها، هل كنت لتمسك بي رغم عيوبي؟

-أجاب بتلقائية :

-مؤكد! سأحزن كثيرا لكنك تظل أبي، لن أتخلى عنك .

هز رأسه متأثرا ثم قال :

-نزار نعمة بحياتنا، أنا ممتن له .

نظر إليه صهيب مستفسرا، فأردف :

-لطالما كانت والدتك تشتكي من التصاق نزار بك منذ

ولادتك، أما أنا، فكنت مرتاحا جدا لأنني كنت أحب أخلاق

نزار وحنانه، كنت أتمنى أن يمنحك ما لا أملكه لأمنحك إياه،

وكنت محقا تربيت لتكون رجلا مسؤولا ولم تبلغ العشرين من

عمرك حتى، أنا فخور بك يا بني.

ابتسم بتقدير، ثم تلكأ :

-بل بكم جميعا، لبني وسمرا ولن أضيع لحظة واحدة من

حياتي القادمة من دونكم إن شاء الله.

قام صهيب ليضمه مطلقا سراح دموعه التي لا يجد سواها

ليروح بها عن الضيق والحرقة بصدرة :

- أنت رجل يا صهيب، والرجال لا يكون .

رفع رأسه لينظر إليه، متسائلا بتوسل :

- وماذا عن ...

- هل تثق بي؟

طالبه برجاء، فهز رأسه بتمهل، ليكمل بصدق :

- إذن انس أمر والدتك حاليا ولا تخف عليها، فما كنت لأسمح

لفضيحة أخرى تهزكم.

الثانوية

أنتهى من الحديث مع أحد الطلاب، وتوقف يتأمل ما ترسمه مع أنه ما يزال رافضا حضورها إلى هناك ولم يفلح بإقناعها كما فعل مع عدد من الفتيات استجبن لنصائحه ونصائح أمين وأساتذة آخرين انضموا إليهما، منهم فئة نسوية يعترف لهن بدورهن المهم جدا مع الفتيات.

يبدو أن أمل يتجدد بها الأمل، لاحظ ذلك من لوحاتها المبهجة بالأزرق والأبيض :

-يا جميلة، ترسمين سماءا زرقاء مثل مقلتيك، هل تعلمين بأنهما جميلتين.

انتبه لما يحدث، فالتفت نحو الفتى يبدو عابث النظرات وقبل
أن يتمكن من التدخل، هتفت بغضب وهي تشير بالعبوات في
وجهه:

- وهل تعلم بأنك تافه، ألا تخجل من نفسك؟ تهدر الوقت
والمال والصحة بينما والديك ينتظران منك النجاح بالدراسة،
لماذا سأعجب بك يا ترى؟.... فشلك وتسكعك مع الفشلة
أمثالك أم منظرك الحقير وأنت منتشي، إذهب ونظف نفسك
من القذارة وكن رجلا حينها قد ينظر إليك أحد باحترام! إذهب
من أمامي قبل أن أُطليك.... هيا!

استسلم الفتى، يرطن بنزق قبل أن يتعد:

أنا ذاهب، يا إلهي ما هذه الفتاة!

استدارت تهم بالعودة إلى الرسم لكنها تراجعت خطوة يغمرها

التردد والذنب بينما تنظر إليه باعتذار، فضحك يعقب :

- هذا المكان لا يناسبك يا آنسة أمل .

فرت بخرجها منه إلى الرسم، تجيبه بخجل .

- لا أحضر إلا بحضور الأساتذة .

لوح بيده يجيبها بهدوء :

- أرحتِ بالي، على الأقل!

فكرت قليلا ثم قالت وهي لا تتوقف عما تفعله :

- أنا أذهب للبحث عن المتشردين كي أدلهم على الدار دوما،

أظن ذلك أخطر من الرسم هنا.

ضغط على شفثيه، يجيبها ببعض المرح :

- أصحاب السيارة السوداء التي تلاحقك دوما، أقوى مني ومن

الأساتذة هنا .

تفاجأت وقد توقفت كفاها لبرهة ثم استأنفت قولها الماكر :

- صحيح هم أقوى، لكن هل هم أهل للثقة؟

ندمت فورا حين تغيرت نبرته للجدية، يستفسر بقلق :

- لماذا؟ ماذا فعلوا؟ هل حاولوا شيئا ما؟ سأحدث والدك .

انتفضت ترفع كفاها لتمنعه عن ما مهاتفة والدها وقد سحب

محموله ينوي الاتصال به :

- أستاذ وائل أنا لم أقصد!

- لا، الأمر ليس لعبة، من الأفضل لوالديك أن يكونا على علم

ب... ب

هتفت بجزع، تقاطعه :

- لا من فضلك .. أقسم لك، لم يفعلوا شيئاً، لا يحدثونني من

الأساس ثم والدي لا يمزح بحمايتي وقد يتشابك معهم لمجرد

الشك .

قطب بحيرة، يسألها : - وما سبب ما قلته إذن؟

توترت تتهرب بعينها وقد احتقنت الدماء بوجهها حرجا،

فابتسم يستطرد : - آنسة أمل؟ هل كنت تحاولين إثارة قلقي؟

أطرت برأسها ثم استدارت تبحث عن حقيبة ظهرها، فأشفق
على خجلها، وقرر تغيير الموضوع كله، فمسار الحديث على
أي حال لا يناسبه هو الآخر: -أرى بأنك أصبحت أفضل .

تشجعت متمالكة خجلها، تقول بتقدير :

-لقد تحققت من دعامات قنطرتي .

فكر قليلا ثم رفع حاجبيه يسألها : -وكيف هي؟! !

هزت رأسها باسمه بشكر لمعت به ملامحها مع تعبير آخر

يرفض وائل القفز إليه حتى يتأكد من عواميد قلبه هو!

-ثابتة كالجبال .

غادرت فتحرك قبالة ما رسمته يتفحصه ويفكر بأن ما يشعر به
 نحو تلك الفتاة ليس بعادي، يُشهد الله أنه يتفادى النظر إلى
 وجوه الفتيات بالفصول وينظر إلى الصف بشكل شمولي، لكن
 زرقاء العينين استولت على شيء مهم داخله، فيجد نفسه أسير
 تأنيب كلما سعد قلبه وهو مقبل على حصة قسمها أو كلما
 فرت منه نظراته غفلة نحوها قبل أن يلجمها بقوة خوفه من
 خالقه: - ما سبب عبوسك؟

لفتت نبرة أمين الرائقة انتباهه، فاستدار إليه ينظر إليه بتفكير قبل
 أن يصارحه: - أتمنى أن يلقي مشروع فصل المدارس ومنع
 الاختلاط بها صدي لدى وزارة التعليم ويدخل حيز التنفيذ
 وكم أتمنى أن أشهد ذلك خلال حياتي وفترة عملي.

لاحت الحيرة جلية على محيا أمين واقترب منه، ليجيبه بحيرة:

-وأنا أيضا مثلك ونحن نفعل ما نستطيعه في خضم الظروف
المفروضة علينا .

هز وائل رأسه موافقا يعقب :

- رأيتك تفعل مثلي وفصلت بين الطلاب والطالبات داخل
القسم، كما لا نجتمع بوقت الفسحات في قاعة واحدة مع
الأستاذات، لكن هذا لا يكفي !

ثم هز كتفيه يثرثر بما يبعده عما يشغله :

- لا أعلم لماذا عدم المراعاة هذه وبيد إسلامي؟ في الوقت
الذي دولة مثل بريطانيا وأمريكا أعلنت عن دراسات تعدت

الخمسة آلاف جميعها تثبت فعالية ونجاح المدارس المنفصلة
عن المختلطة بنسبة كبيرة وتتزايد هذه النسبة مع مرور وقت
أكثر على الدراسة ويشيدون بأهمية التخطيط للفصل بين
الجنسين وقد شرعوا فعلا بالتنفيذ في ولايات عدة.. أمريكا
وبريطانيا يا رجل!

ضحك أمين بمرح:

-وألمانيا أيضا، أذكر أنهم قالوا بالحرف، الاختلاط يحد من
الإبداع ولا تنس الصين بدورها بدأت فعلا بتوفير مدارس
منفصلة .

ثم ضاقت مقلتاه بتفكير، ليسأله بوضوح:

-لكن ماذا هناك وائل؟ أشعر بأن الأمر يزعجك بشكل شخصي.

ضم وائل شفته السفلى بينما يدس كفيه بجيبى سرواله ثم قال له ببعض المرح :

-في الحقيقة كنت لتفهمني أكثر لو كنت تعتبر الأنسة خنساء زوجة لك وليست بمقام أختك .

ابتسم أمين عفويا يجيبه بنفس المزاج المرح :

-تم إثبات خطأ نظريتي وصحة نظريتك يا أستاذ وائل .

ضحك وائل بينما يعقب :

-مبارك عليك يا أمين، الآن ستفهم قصدي، ماذا لو نظر إليها
أحد الأساتذة كما لا بد تسلب أنظارك في القسم ولحظك أنها
زوجتك ويمكنك النظر إليها دون تفكير في الذنب .

صمت أمين للحظات يفكر بقوله وقد تخيل لبرهة اهتمام أحد
زملائه أو حتى الطلاب بخنساء، فتفر منه نظراته رغما عنه
نحوها كما يحدث له، فشعر بضيق ورفض لكنه تمالك نفسه،
يجيبه:

-أنت محق، لا أحب أن ينظر إليها رجل بعين الإعجاب أو
حتى بعين التدقيق لأي سبب كان، وهذا محفز قوي طبعاً بعد
خوفي من الله لأن أتقيه في حرمانات غيري، فيحفظ علي حرمتي .

-لكن تظل الفتنة أكثر قوة وتأثيرا مع المداومة يا أمين،
الاستمرارية تكسب المواقف اعتيادية وتطور في الدرجات أو
لنقل الدركات لأن اتباع الفتنة انجراف نحو الهاوية .

عقب وائل بضيق، فأوماً أمين موافقا ثم استفسر منه بذكاء :

-هل هناك طالبة معينة؟

حرك رأسه بلا معنى، يقول أمام نظرات أمين المراقبة باهتمام :

-نعم وهذا ما جعلني أتفكر في الوضع برمته، لكن كما قلت

نحن نحاول في خضم المفروض علينا، والمسلم المصلح لا

يعدم الحيلة بفضلٍ من الله وهذا خير دليل .

أشار إلى المكان حولهما، يكمل مستبشرا:

-بدأنا بنية صالحة وتوكل على الله، وسنصل بإذن الله ومن
يدري قد نحقق كل أمانينا مهما بدت مستحيلة، ما دمنا
متوكلين على الله ونحاول !

أجابه أمين مشيرا إليه بسبابته، ضاحكا:

-تغير الموضوع حتى لا أسألك عن هويتها، لكن لا بأس، لا بد
ستتصرف حسب الأصول وستدخل البيت من بابه وحينها
سأعرف بإذن الله .

لمعت مقلتا وائل وابتسم بشرود يفكر إن كان حقا سيتخذ
خطوة الاقتران بها؟ !

*اليوم التالي، على الطريق *

-شكرا لك، يمكنك العودة إلى عملك، ولقد اتفقت مع مدير السجن سيتغاضى عن أمر تأخر استلام المسجون، الليلة بإذن الله سيكون عنده .

تسلمه منه مخدرا ونقله إلى سيارة ترانزيت أعطى مفتاحها لأيوب، ثم عاد هو إلى السيارة التي يقودها هو بسكينة وشادية مع صغيرتها.

كانت الرحلة طويلة وشاقة وبسبب مرض وضعف سكينة اضطروا للتوقف مرات عدة وبالطبع يضطران إلى التأكد من نوم تهامي.

ولم يفت أيوب الاستفسار عن مرض سكينته، فقد رق قلبه لها
 من ضعفها واستفراغها المتكرر كما تساءلت شادية بدورها
 عن السبب الأصلي، فتوترت سكينته ترمق صوان برجاء
 وخجل، ليرد عليهما بمزاح خشن لم يلق به أبدا :

-أصابها تسمم، شقيقتك تربت على الحمية والقليل من الطعام
 وحين أطعمتها طعاما حقيقيا، معدتها لم تتحمل فأصببت
 بتلك معوي حاد وهي الآن تتعافى بفضل الله.

ارتخت ملامحها التعب امتنانا وشادية تبسم بحماس لأن هناك
 من تسلل إلى قلب شقيقها الصخر.

انقلبت رتابة أيام القبيلة من سكونها إلى هرج ومرج، فصوان
 وجد ولدي عمه عبد الواحد الصخر وسيحضرهما كما

سيجلب المجرم ليقتصوا منه وسط قبيلتهم، تلك المكونة من أربع عوائل أساسية وبقيتهم دخلاء خالطوهم واستقروا بينهم لذا جميع أسر القبيلة تمتُّ لبعضها بصلة.

خرجت عائلة الصخر بجميع أفرادها للاستقبال على أبواب بلدتهم حيث جهزوا الذبائح صدقة لوجه الله على روي ابنهم وزوجته وشكرا لله على عودة الحفيدين، فانضم إليهم باقي أفراد القبيلة في منظر مهيب تقشعر له الأبدان.

تقدم الجد عائلته الكبيرة بفخر يرفع رأسه إلى السماء، فحفيده الذي أثبت انتمائه إلى عائلة الصخر قد حقق حلمهم الذي طال انتظاره وعاد إليه بحفيديه، كما سيقصص من المجرم الذي استفرد بابنه بعيدا عنه ودمره.

لمحوا السيارة، فصاح الرجال بالتهليلات ولكم كانت لحظة مؤثرة دمعت فيها أعين النساء وعلا فيه فخر الرجال، يتذكرون استقبالاً مشابهاً لنعشي عبد الواحد وزوجته، صدمة لا تغادر الأذهان وشتان ما بين استقبال واستقبال.

اتسعت مقلتا سكيئة، ترمق عدد الناس المهول، رجالاً عليهم جلابيب بيض ونساء بملابس محلية الصنع ساترة وأغلبهن يضعن عليهن لحافاً أبيض يغطين به نصف وجوههن، فتستحضر بذاكرتها أيام الاحتفالات بالتراث الوطني حين كانوا يستخدمونها لتعرض مثل تلك الملابس.

لم تتوقع هذا الكم الهائل من الناس، فضمت نفسها تحد من ارتعاش بدنها حتى فكرت للحظة أن تتراجع، أن تفر بجلدها،

فما يحدث معها كثير وكان هو قارئاً لكل انفعالاتها مشفقاً
 بقلب تحرك نحوها ونبض بسببها خفقات خاصة، فخاطبها
 بمهادنة :

-إنها عادة القبيلة، يؤازرون بعضهم في مسرّاتهم ومصائبهم، لا
 تخافي، شادية لن تتركك للحظة وأنا سأتابعك من بعيد .

نظرتة الواثقة تكفيها ونبرته الخشنة الحازمة تشعرها بالأمان،
 فأومأت له ليترجل من السيارة متوجها إلى رأس عائلته، جده
 قبل رأسه ثم التفت إلى والده وفعل الشيء نفسه، قبل أن
 يخبرهما :

-لقد وفيت أخيراً بوعدى لكما، وأتيت بولدي عمي عبد
 الواحد، كما أتيتك بالمجرم وكل الفضل لله عز وجل .

ربت على كتفه بفخر، يجيبه :

-وأنا لم أشك بصدق وعدك يوما يا ولدي، أنت الصخر ابن
الصخر بعون الله منصور .

استدار صوان يشير لأيوب ولشادية التي تأبقت ذراع سكينته،
فلا تبدو بأنها تسند جسدها الواهن، تهمس لها بدعم :

-لا تخافي، أهلنا يحبونك قبل أن يروك، فاطمئني .

أومات ممنونة لها بينما صوان يقدم أيوب لجده والباقي وتلك
اللحظة طفا توتر زيد الذي أخفاه بتجلد يتردد بمد يده ليصافح
جده لكن الآخر سحبه إلى حضنه وضمه بقوة يشم به رائحة
فلذة كبده :

-مرحبا بك يا ولدي يا ابن الغالي، الحمد لله على سلامتك،
الحمد لله على كرمه، أمد من عمري حتى عدت إلي وقرت
عيني برؤيتك .

أبعده قليلا يتأمله بلهفة، يربت على وجهه كأنه يتحقق من
وجوده أمامه فعليا ثم نظر خلفه يرمق المتكومة على نفسها في
حزن شادية، ليحثها صوان :

-تعالى يا سكينه! جدي هذه سكينه .

ارتعش جسدها رهبة والجد لم تفته اللمعة في عيني الصخر ولا
كفيه المنقبضتين كأنه يلجم نفسه عن الإسراع إليها، فارتخت
شفتيه يتسم بحبور يضم إليه حفيدته، لا يصدق تصاريف
القدر العجيبة :

- لا تخافي يا ابنتي، أنت بين أهلك وعائلتك الذين يحبونك
ويبحثون عنك منذ زمن، فشدي أزرك بنا.

- عبد الله! اين أحفادي؟

هتفت الجدة بلوعة، تهوول بمشقة تستند على عكازها
الخشبي، وقفت تلهث من تعبها، فأسرع إليها صوان يقبل
رأسها ثم أسندها ليعرفها إلى حفيديها وهنالك بكت وجيعة
قلبها تبسط يدها إلى أيوب وقد خارت قواها ولم تستطع إضافة
خطوة أخرى، فاستجاب لها أيوب يشعر بدموع تحرق ضفاف
مقلتيه، لم يتخيل في حياته البائسة أنه سيحظى بعائلة من لحمه
ودمه يحبونه بهذا الصدق ويبحثون عنه بهذا الوفاء.

ضمته تبكي بحرقة عبّرت عنها بأهازيج نابعة من صميم أوجاع
قلوبهم :

يا ابن الغالي اسمع منا فقد حرمونا من والدك كبدا

وما تركوك ذكرى لنا وقد سلبونا عزة كبريائنا

أصبح الحزن عنواننا وقد بات السُّهد من طبعنا

لكننا لليأس أبدا ما استسلمنا وأرسلنا الصخر إليك مرسالنا

رمز الوفاء و البأس ربينا، فأوفى يا كبدي وعاد بروحنا إلينا

فليس إلا الفرح سيسكن أرواحنا بعودة الغوال إلى أحضاننا .

علت الزغاريد فرحا ثم تركته قليلا لتمسك بسكينة، تتأمل

ملاحها بتمعن قبل أن تهتف :

- يا خديجة، تعالي هنا!

تسمرت سكيئة بخوف مترقب لامرأة خمسينية تبرز من بين النساء الكثر خلف الجدة، ترمقها بتمعن كما تفعل الأخيرة التي قالت بسرور أنارت له تجاعيد وجهها :

- أليست صورة من والدها؟ سوى العينين هما لأختك نجاة لا محالة.

رقت نظرة المرأة بحنو، بينما الجدة تردف وهي تهزها بخفة :

- أنت فاتنة مثل والدك رحمه الله، حُسنكما موروث عن الجدة الشمالية لكن لماذا أنت نحيفة هكذا؟ لا أحد من عائلتي والديك نحيف! لا مشكلة سنهتم بك يا ابنة الغالي.

قالتها ساحبة إياها إلى حضنها، تشد عليها بلهفة وكم ارتاحت
سكينة بين أضلع العجوز التي التقطت بنظرها الحكيمة نظرة
صوان المراقبة بلمعة لا تخطئها، فاسعت بسمتها ولم تك
تطلق سراح حفيدتها حتى التقطتها خالتها خديجة والدة صوان
كما توالى الضمات على أيوب من أعمامه وأخواله وأبنائهم.

هتف الجد رافعا يده ليصمت الجميع :

-بسم الله نذبح الذبائح، صدقة لوجه الله .

-لا!

صاح بها صوان، فتجمعت حوله الأنظار المريبة ثم أردف
بقسوة :

- بعد إذناك جدي، القصاص أولاً، بعدها نفرح كما تشاؤون.
 ابتسم الجد، يهز رأسه باستحسان، فاستدار صوان برفقة أيوب،
 متجهين إلى السيارة الكبيرة مع شاب من عائلتهما، سحبوه
 دون رحمة وهو ما يزال غائبا وألقوا به على الأرض، فشهقت
 سكينه بدهشة مرعوبة لفتت أنظار الناس، فهتف صوان حتى
 يلتمسوا لها العذر :

- هذا الدينء، قتل عمي وأضاع ابنه ثم خطف ابنتهما .
 أشار إلى سكينه فشهقت النسوة، ينظرن إليها بإشفاق وهو
 يردف: نسبها إليه بأوراق مزورة وأخذها إلى عائلته على أنها
 ابنته، فتربت بينهم، لهذا هي مشفقة عليه فقد نشأت على أنه
 والدها .

تماسكت بمشقة ترفض فقد كبريائها، فضغطت على نفسها
لتحافظ عليه، لا تنكر بأن استقبال أهلها لها شجعها وحب
أناس لم تعرفهم من قبل بذلوا الغالي والنفيس ليبحثوا عنها
دون يأس، مهتمين بها يريدونها لأنها ابنتهم و فقط أثر بها، لكنها
نشأت سنوات طوال لم تعرف فيها لها والدا سوى هذا الملقى
على الأرض مهانا أمامها.

سحب صوان قنينة ماء صغيرة من جيب سترته وأفرغها على
أنفه، فتحرك منتفضا يفتح مقلتيه على وسعهما وآخر ما يتذكره
علبة عصير أخذها من يد الحارس شرب جلها ليروي عطشه
من فرط خوفه.

احتل قلبه الفزع وهو يرمق الرجال ولم يتعرف إلا على صوان
ودليلة التي كانت قد خطت أقرب إليه :

-دليلة حبيبتى، لا تصدقي كذب أحد عليك، أنت ابنتى، ألا
تذكرين كيف اهتممت بك؟ أنقذيني يا ابنتى! لا تدعيهم
يؤذونني! دليلة!

رفعت كفها وغطت به فمها، تشهق بحرقة سالت لها دموع
موجعة لقلبها، تحرك رأسها يمينا ويسارا ثم خاطبته بلوم
وحزن عميق:

-لماذا!!؟ لماذا خطفتني من أهلي؟ لماذا حرمتني من والداي،
ثم عائلتي؟ أنت لم تكترث لي يوما، تدفع إلي بأموالك ثم
تهملني لأفهم أخيرا بأنك فعلت ذلك متعمدا لغاية في نفسك،

لماذا لم تشعر بذرة ندم على ما فعلته بوالدي وتتأكد على الأقل

بأنني وشقيقي بكنف عائلتنا... لماذا أضعتني وأخي؟ لماذا؟

فتح شفثيه يلهث بملامح مكفهرة، يرى الهلاك قريبا منه لا

محالة، فرفعت رأسها ترميه بنظرات محتقرة، تستدرك :

-اسمي سكينه الصخر ابنة عبد الواحد الصخر، أنا لست ابنتك

وأنت قاتل عائلتي وخاطفي ومُشرد شقيقي الذي بالمناسبة قد

وجده صوان هو الآخر .

أشارت إليه، فتبعها يرمقه بجزع وأيوب يهز رأسه مبتسما

بشراسة وتوعد : -أجل، أنا الضابط زيد، المتخفي بهوية

حارس بمنزلك، هل رأيت تصاريق القدر؟ ساعدت بالإطاحة

بك حتى دون أن أعلم بأنني ممن دمرت حياتهم .

تحرك صوان يصيح بغضب :

- يا حكماء القبيلة، القضية كلها كانت أمامكم منذ بدايتها
وهذه نهايتها، فما الحكم الذي ترونه عادلا لنطبقه ؟

صاح الشباب بحماس دفعة واحدة : -الموت! الموت !

جحظت عينا تهامي، يلهث برعب بينما يرى النهاية تلوح له مع
غروب شمس ذلك اليوم، فيتوالى شريط حياته أمام عينيه بأيامه
لا يرى فيها عملا قد يشفع له، تحرك رجل يبدو بهيئة وقورة
ليهمس بشيء ما للجد الذي أوماً، فتحرك صوان نحوه دون أن
ينتظر الإشارة لسمع منه وقد بدى صوان غير راضي لكن
متفهم : - يا شباب عائلة الصخر، تقدموا كل يأخذ بحق عمه
وخاله لكن!

تلكاً وما تزال أمارات الرفض تشع بها ملامح وجهه :

- حين أقول توقفوا! الجميع عليه أن يتوقف!

كانت غاية صوان أن يموت ضرباً، كي يُلقى في زنزانه ميتاً ولا تُعرف هوية قاتله، فهو لا يستحق حتى شرف الموت شنقا لكن الرجال بقبيلته، منهم رجال الدين وغيرهم يتسمون أيضاً بالحكمة، نصحوهم بتركه للقضاء، فهو هالك بتهمة خيانة الوطن غير باقي التهم لذا سيكتفي بما سيلقاه من شباب عائلته حتى لا يقوى على الحراك .

تراجعت سكينه وقد انجلت قوتها الواهية، فسحبتها الجدة وخالتها مع باقي النسوة من عماتها والعائلة متوجهات بها إلى منزل الصخر الكبير، لعائلة الصخر.

وبعد وقت من الزمن تكفل صوان بإعادته وتسليمه للسجن الذي تغاضى مديره عن إصاباته البالغة، فصوان كل خطواته محسوبة وطوال حياته العملية نمت علاقات تنفعه في تحقيق خطته وسيتابعه من بعيد حتى يتأكد من موته، ولم يكن يغزوا خياله طوال طريق عودته، سوى صورتها تدعي القوة وكلها يرتعش، يتذكر أيامه القليلة معها فتزور البسمة الدافئة محياه كأنها عابر سبيل طال انتظاره .

دخل الجد منزله متنفسا الصعداء بعد أن قام بواجب الضيافة مع أفراد القبيلة، يمسك بيد حفيده لا يفارقه وجلس في قاعة الجلوس لبيته حيث أرسل في طلب سكينه التي أتته بخجل لم

يكن ضمن صفاتها من قبل لكنه شيء ما تغير داخلها، لتتغير هي نفسها، وهي الآن سكينه ولم يعد للدليله وجود.

ضمها إليه يربت على رأسها بينما يخاطبها بمرح :

-هل قدمن لك طعاما يا ابنتي؟

أومأت، فأردف بحنو :

-أسبوع بإذن الله وستستردين عافيتك، الأكل هنا صحي ولا نستعمل أسمدة كيماوية، سيشفى التلبك وتصحين بفضل من الله .

ابتسمت بحزن، في نفس اللحظة التي ارتمت عليهما شادية بخفة وشقاوة، تقول ضاحكة :

- هكذا يا جدي، من وجد أحبابه نسي أصحابه.

ضحك العجوز، فاهتزت التجاعيد في وجهه ترقص لسروره،

ثم رد عليها :

- بنيتي ألن تكبري أبدا؟ انضجى لقد اصبحت أمًا .

هزت كتفيها بطفولية، تسبل رموشها بمرح بينما تجيبه وهي

تطوق عنقه بحب، لتضع رأسها على صدره :

- مهما كبرت سأبقى أصغر أحفادك ومدللة جديها ومكانها

على حجرهما .

ضمهما الاثنتين إليه يتمنى لو يخفيهما وبقية أحفاده بل جميع

أفراد عائلته داخل قلبه فلا يصبهم أذى قط .

- جميع أحفادي لدي مدللين وأحبهم.

ابتسمت سكىنة بتأثر تتنعم بأحضان لم تعلم بوجودها ولا بانتمائها لها.

أطلت عليهم خالتها خديجة قبل أن تدخل لتدعوها :

- تعالي معي حبيتي، سأدلك على غرفة والديك كي ترتاحي وتتعشي.

رافقتها بلهفة وفضول لترى غرفة والديها علها تجد هناك لهما صوراً تملأ بها الوجهين الخالين بخيالها وتركت خلفها شادية تهم بالقيام لكن جدها منعها يهمس لها بمرح ونظرات ماكرة :

- ما رأيك إن زوجنا شقيقك الصوان؟

ضحكت تجيبه بنفس مكره :

- هناك من تسلل لقلب الصوان يا جدي لكنك تعلم طبعه وإن

أردت نصيحتي، الغيرة دواء شافي لجفاء شقيقي .

قالتها تقبله على و جنته وانسحبت تفر ضاحكة نفس ضحكته

السعيدة، يخطط لمشهد قد يجعل حفيده يطالب بحقه في ابنة

عمه لكن صاحبة أذن متنصتة لم يعجبها الحديث فهي أيضا

تريد حقها في ابن خالها .

المركز

-صهيب لماذا أتيت بي هنا، هل تريد سجني أم ماذا؟

أجابه صهيب ضاحكا بمرح وهو يدفعه بخفة ليدخلا المركز
بحثا عن نوفل فضل الله .

-تبهرني ثقتك بي يا كرم !

هز الآخر رأسه بريبة، فأشار له إلى مكتب حيث عرفه إلى نوفل
الذي طلب منهما مرافقته إلى قاعة ما، تفقد كرم القاعة بفضول
ومقلته تلتأ لأن بانبهار يتابع التجهيزات المعلوماتية الذكية،
ينطق دون وعي :

-هذا رائع، بأي شهادة يعملون هنا؟

قالها بحماس، فرد عليه صهيب مازحا :

-أعجبك لهذه الدرجة؟

أوما، يرد بصدق :

-لو حصلت علي تلك الأجهزة سأقوم بعمل مبهر، فأنا أحب

الحواسيب والبرامج الالكترونية، أم أنك نسيت؟

لاعب بأصابعه، فضحكا ونوفل يقول :

-عليك أن تدرس جيدا لأن المدرسة الوطنية العليا

للمعلومات وتحليل النظم توجب مجموعا عاليا لتلتحق بها .

قال بإحباط يائس :

-حتى لو حققت المجموع، تلك المدارس لا تقبل بأبناء
العامة..

رد عليه نوفل متفاجئاً :

-من أخبرك بذلك؟

أجابه بسخط :

-صديقتي أخبرتني بأن أحد أقربائها نجح بمجموع عالي ولم
يقبلوه بإحدى المدارس العليا ليعلموا بأنهم لا يقبلون سوى
أبناء الطبقة الغنية.

زفر صهيب بيأس، ليقول نوفل ساخراً :

-صديقتك من موقع التواصل الاجتماعي !

أوماً بتردد، فاستدرك نوفل :

-تعال معي، أريد ان أريك أمرا ما .

اقتربا من أحد العاملين على تلك الأجهزة وربت نوفل على كتفه، فهزله رأسه ثم اظهر له حسابه على الموقع فهتف كرم

بذهول :

-هذا حسابي، كيف؟ هل فككت كلمة المرور؟

تحدث نوفل مفسرا :

-القسم يحصل على إذن التسلل الى أي موقع على الإنترنت حين يشتون خطرا يهدد الأمن الوطني وكما تسلل إلى صفحتك

تسلل إلى آلة التصوير بحاسوب محدثك، هل تريد أن ترى
صديقتك؟

فغر كرم فمه مبهوتا، فوكزه صهيب بخفة أجفله قبل أن يومئ
موافقا ليحرك المهندس اصبعه، فظهرت الصورة واضحة
لرجل يبدو أربعيني.

-من هذا؟ مستحيل !

عقب كرم بعدم تصديق، فأشار له المهندس ليقترب وطلب منه
أن يكتب أي شيء مضحك، فكتب عبارة مضحكة أرسلها،
فابتسم لها الرجل بينما يكتب له الرد مباشرة ثم طلب منه
المهندس أن يخبره بأنه لن يحدثه بعد اليوم ولا ينسى الصيغة
كأنه يحدث أنثى حتى لا يرتاب.

فعل كرم ذلك فإذا به يغضب الآخر يكتب بسرعة محاولا
 إقناعه بعبارات توصل من صديقة يائسة من خداع حبيبها،
 فتراجع كرم إلى الخلف مصدوما لا يستطيع الإتيان بحركة،
 ليمسك نوفل بكتفه يخاطبه بنبرة مراعية :

- أنت محظوظ يا كرم، رزقك الله صديقا يحبك بصدق
 ويخاف عليك، فلو أطعت هذا الرجل لألقيت بنفسك في
 جحيم العصابات والمجرمين، لقد كان يحاول غسل دماغك
 ليرسلك إلى صفوف الإرهابيين الذين يفجرون أنفسهم بغباء
 وسط الناس بالأسواق وبقية المرافق الحيوية ليعم الخراب،
 فيقتلون آلاف الأبرياء من الصغار والنساء والشيوخ منهم
 المرضى والعاجزين الذين لا يدلهم في سياسة ولا حروب، هذا

غير ذنب الانتحار المحرم، احمد ربك على أن بلادك آمنة، وإن أردت الإصلاح ابدأ بنفسك وتوقف عن مصادقة الفتيات وأحب ربك الذي رغم معصيتك لحدوده أنقذك من الهلاك. غمره الإحراج ونوفل يكمل بصدق:

- وإن أردت أن تبني ابحث لك عن مساحة لك وابني فيها كي تكتمل اللوحة الجميلة، لا أن تهد ما بُني بتعب الآخرين، الله عز وجل يقول {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} نهى عن سائر أنواع الإفساد، كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان .

هز رأسه ببهوت لم يغادره بعد، فسأل نوفل المهندس بود :

- كمال؟ ماذا يعمل والدك؟

نظرا إليه يرد عليه بحيرة :

-والدي بقال ... لماذا؟

هذا الرجل أخبره بأن المدارس العليا التابعة للجامعات الحكومية، لا تقبل سوى بأبناء طبقة الأغنياء.

ضحك الآخر بامتعاض، يجيبه :

-هذه إهانة بحقي ولتعبى المضني حتى تحصلت على مجموع عالي، المدارس العليا الحكومية لا يدخلها سوى أصحاب الجامعات العالية، قد يدخلها بعض الطلاب بالمحسوبة هذا يحدث لكن عدد قليل بالنسبة لعدد الدفعات المطلوبة... أما

المدارس الخاصة، فمعروفة ورسومها عالية لا تتطلب
مجموعا محددًا .

شكره نوفل ثم التفت إلى كرم، يحذره :

-اعتبر من الدرس واعتني بنفسك، فنحن سنقبض على هذا
الرجل لكن غيره كثر مُندسين بين الناس العادية .

وكان حقا درسا لكرم لن ينسأه ما حيي وخرج من المركز على
غير ما دخل به، فرب صدمة تغير حياة إنسان إلى الأفضل .

*بعد أسبوعين *

*بيت فضل الله *

-هيا يا رجل! العروس ستخرج .

أسرع نوفل ، يعدل سترته بينما يجيبه بسخط :

-أنت أسوأ مساعد للعريس يا وائل .

رد عليه ضاحكا بينما يغمزه؛

-صديقك تخلى عنك وجلس جوار ضرغام، فارضي بمن

تطوع لمساعدتك.

-من هذا الذي تخلى عنه؟

-هتف بها أسد يتجه إليهما باسماء ليبارك لصديقه يضمه إليه
بينما يخفي احساس وجع الجروح بصدرة التي لم تلتئم جيدا
بعد :

-شكرالك لأنك حضرت، أعلم بأنك ما تزال في فترة النقاهة .
قاطعته بمرح :

-أي نقاهة يا رجل؟ هل نسيت انني سأتزوج بعد أيام؟
لمس كتفه بخفة، يعاتبه بحزم مرح :

-لا تنتظر مني الحضور يا صديقي، لقد طلبت منك التأجيل،
هما أسبوعين لا غير، فأنا لم أحصل على إجازة من قبل
وسأستغل كل لحظة فيها مع زوجتي، فسامحني .

هز أسد رأسه، يجيبه ضاحكا :

- لا ألومك لأنني سأفعل مثلك .

التفتوا إلى البوابة الداخلية لمنزل فضل الله حيث لمح عروسه

تتهادى في فستان أبيض ناصع مطرز بخرز مثل لونه بطرحة

واسعة من الدانتيل وضعتها فوق حجابها تخفي بها وجهها

ونصف جسدها العلوي، فأضافت إليها ألقا خطف قلبه قبل

بصره بينما هي غافلة عن إحساسه تمسك يد والدها بتوتر.

مال عليه أسد يهمس له :

- اذهب يا صديقي قبل أن تهرب منك مجددا !

لم ينظر إليه وتقدم تجاههما، صافح العم سعيد واستلمها منه،
مطرقة برأسها ترتعش، فعاد بها يهمس لها بتأثر :

-لن تحرميني رؤية لون مقلتيك، فالبياض في فستانك سيجعله
براقا شفافا، خاطفا للأنفاس .

أوقفها أمام مدخل قسم النسوة بالحديقة حيث رفع طرحة
الفستان لتنظر إليه بعينين واسعتين تلمعان جمالا كما توقع،
بلعت ريقها ارتباكا من نظرة الانبهار في عينيه، فتنفس بعمق ثم
صاحبها لتلتقط لهما صورا للذكرى ثم افترقا لمدة لن تطول،
فهو لن يسمح لها بالتأخير حتى ينطلق بها إلى وجهتهما.

عاد الجميع إلى منازلهم بعد اكتمال الاحتفال وبقيت هي في
الحديقة بعد أن استوقفها منظر البنفسج، أخذت من غيرها

أنفاسا متتالية، تفكر بخطوتها القادمة، فقد اتفقت مع الطيبة على أنها مستعدة لاستئناف حياتها ومع تطوع بنفسج بالتكفل بسائر مصاريفها حتى تجد عملا، لا تعرف ماذا تفعل؟ وهل تستجيب لأسرة العم سعيد الذين طلبوا منها البقاء معهم، فبعد زواج سلوى سيخلو عليهم البيت، فألحوا عليها بالبقاء معهم حتى أن العم سعيد حذرها بأنه يعتبرها ابنته الرابعة له ولن يسمح لها بالسكن لوحدها، شعرت بحب كبير له ولأسرته وامتنان حقيقي، تسترجع شعور الانتماء لعائلة من جديد.

اقشعر بدنها ليس من برودة الجو انما مع سماع نبرة صوت شاغل أفكارها الذي حرس على التزامها بالجلسات النفسية،

ولم يوفر طريقة ليشجعها على استعادة حياتها الطبيعية إلا
واستعان بها :

-الجو بارد وأنت لا ترتدين معطفك .

التقطت رفضه الذي تجلى على محياه، فابتسمت بحزن بعد أن
عادت تنظر إلى الحديقة بصمت ليستدرك، بحيرة :

-لماذا أنت حزينة؟

-أشتاق إلى أهلي .

رقت نظراته يرد بمراعاة :

-إسألني الله لهم الرحمة وإن أردت إسعادهم، عيشي سعيدة
وتذكرهم بعمل صالح تهدينهم أجره، كالصدقات .

هزت رأسها ثم قالت تستشيرهُ :

-الطبيبة أخبرتني بأنني جاهزة لاستئناف حياتي.

صمتت لا تعلم كيف تصيغ سؤالها، فسألها بحيرة ينظر لكل

شيء حوله إلاها : -وماذا عنك؟ هل تشعرين بأنك جاهزة؟

رفعت رأسها إلى السماء تتنفس بعمق، فتضاعف انعقاد جبينه

حيرة وقلق عليها :

-لا أعلم، أحيانا تأتيني نوبات ذعر، فأتخيل نفسي أسيرة

أولئك الوحوش مجددا .

رد بعجالة :

- لا! أزيلى تلك الأوهام من رأسك، بفضل الله أنا الآن حر،
 حصلت على عفو سامي ولن أعود للسجن، سأظل أتابعك من
 بعيد ولطالما في نفس، لن أسمح لأحد بأن يمسك بسوء وقبل
 ذلك ربي الله هو معنا وسيحفظنا بإذنه.

تعلقت بشفتيها بسمة متأثرة، تشعر بتضخم قلبها الصغير وكم
 تشتاق للاحتماء به وأن يصبح هو عائلتها، فارسها المغوار :
 - أنت إنسان وفي ومخلص.

تذكر كل شيء في لحظة يغمره شعور الخزي والندم، فيجيبها
 بوجوم وحزن .

- لا! لست كما تقولين، أنت فقط تأثرت بقول رشيد رحمه الله،
فبنيت لي صورة الفارس بخيالك بينما أنا بعيد عنها كل البعد،
ادخلي إلى خيمة النسوة ولا تبقي هنا وحدك.

استدار مغادرا بحزن غائر لكنه تجمد مكانه حين نادته بنبرة
باكية متوسلة : - سيد تامر؟

التفت يتأكد من نطقها لاسمه، فاستطردت بما أطاح بكل منطق
حاصر به نفسه ورفض به رغبته بالزواج بها حتى تبقى جواره
ويراعيا كما يجب :

- أنا خائفة ولا أعلم ماذا أفعل؟

لمحها شاردة تتأمل البحر عبر النافذة، فأخبرها باسمها ببهجة
تشع بها ملامحه :

-هل تعلمين بأن ضرغام حين خطف بنفسج يوم عرسهما
أحضرها هنا؟ خدع ياسين وعمران وأرسلهما مع زوجتيهما
إلى مدينة أخرى .

علت ضحكته وهي تحمر خجلا وتوترا، فاقترب منها يستشعر
قماش الفستان الذي غيرت به فستان الزفاف، مستطردا بهدوء
عكس نبضاته الثائرة : - لماذا أنت خائفة؟

ابتسمت ترمقه بخجل بينما هو يستطرد بلمحة من حزن :

- لا تنسي بأنك حرمتني رؤيتك في عقد قراننا الأول ومن فرحة
التحدث إليك أو ربما طبع قبلة أولى على ظهر كفك .
لمحت حزنه، فأمسكت بكفه تعتذر إليه :

- أنا آسفة نوفل، من فضلك انس تلك الفترة، لقد أسأت فهم
الوضع ودافعت عن أحلام جانبية كانت ستفقدني أكبر أمانى .
رفع كفها الذي أمسكت به يده وقبّلها برقة ثم طالبها بتوسل :
- من فضلك أنت لا تجرحيني مجددا سلوى، إياك وتهديد
حياتنا معا، وجع الجرح منك أنت بالذات صعب ومؤلم،
عديني يا سلوى عديني !

دمعت عيناها، فضمته بقوة بعد أن استشعرت من نظرات عينيه
وملامح وجهه مدى الوجع الذي سببته لقلبه، لقد كانت عمياء
عن معاناته معها ومع عقده حيال مشاكل والديه وهي بكل
غباء نكأت جرحه ورشته بالملح وحين ظنت أنها فقدته
انكشفت الحقيقة أمامها بكل تفاصيلها :

-أنا حقا آسفة، وأعدك! لن أكون السبب في جرحك أبدا.

بعد يومين

الثانوية

إذن، هل ستأتين إلى العرس؟

نطقها صهيب وهم يغادرون الثانوية، فردت مروة بنفي قاطع:

-لا!

-لماذا؟

نطقها صهيب بحنق لم يتحكم به، فردت بنزق بينما تحرك

نظارتها :- أنا حرة، ثم ذلك المنزل أو لنقل القصر يخيفني .

رفعوا حواجبهم دهشة، فعقبت سمرا ببلاهة :

-أنت تخافين؟ من تخدعين بقولك؟

تبرمت مروة بامتعاض ثم لوحت بكفها :

-صاحبه السابق قتل فتيات صغيرات بعد أن اغتصبهن ثم دفنهن في قبوه وعمك المحترم كان سيفجر المدينة، أشعر بأن هناك روح شريرة تتلبس أصحاب ذلك القصر، إنه مشؤوم.

وجم صهيب متذكرا والدته، فوكزت خنساء مروة ترميها بنظرات معاتبة وسمرا تتساءل بخوف :

-هل هذا صحيح صهيب، هل هو فعلا مشؤوم؟

نفض عن رأسه الأفكار السلبية ورد مدافعا:

-عمتي قالت نفس الشيء، وطلبت من أبي والشباب البحث عن مسكن آخر لكن نزار رفض وأخبرها بأن من يدعو الله

دخول الجنة بغير سابقة عذاب ولا حساب يجب عليه أن
يتصف بصفات أربع:

صمت يأخذ نفسه ليكمل بعد أن حثته سمرا بفضول :
- ما هي؟

(-الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم
يتوكلون) والحديث الشريف طويل ابحثن عنه لتقرأنه كله، لا
تتطين بشيء مجددا أو تقلن عنه مشؤوما كما أن هناك حديث
آخر من كلمتين "الطيرة شرك".

ثم التفت الى مروة وخنساء، يسألهما متأملا :
- هل ستأتیان؟

- لا!

هزت مروة كتفيها تنطقها باستخفاف، فقالت خنساء بضجر

حانق : -أخبريه بالسبب وارحمينا !

قطب حيرة، فاستدركت بحنق ملول :

-والذي رفض، حاولت بكل الطرق.

-هل العم سعيد يتطير بالقصر هو الآخر؟

سألت سمرا باستغراب، فضحكوا ومروة تجيبها :

-لا، بل لا يحب مالكيه، إن كان السابق أو الحالي .

قالتها مشفقة ومحرجة من صهيب وسمرا، فهمس لنفسه :

-هدفي الأساسي من الآن فصاعدا، الخروج من القصر .

-ماذا قلت؟

سألته خنساء في نفس اللحظة التي قالت فيها مروة بجبين

مقطب : -الحقي بزوجك، هناك من يحوم حوله.

التفتوا تجاهه حيث الأستاذة تحدثه، فضمت خنساء شفيتها إلى

الأمام بعبوس مفترس ثم زفرت من أنفها نفسا حارقا كالتنين،

لتستدرك مروة بعبوس محذر:

-اهدئي خنساء! نحن بمكان الدراسة وتلك السيدة أستاذة هنا،

وأبي يقول لي دائما، من يملك الحجة ليس بحاجة لا إلى

صراخ ولا غضب ويسترد حقه بهدوء وأدب.

رمقتها بعدم فهم، فنظرت إلى الخاتم الجديد الذي يزين كفها
بينما تضيف : - وأنت لديك الحجة الدامغة، فظلي هادئة.

ابتسمت بظفر واستعادت هدوءها، ثم تركتهم تخطو تجاههما
وكلما اقتربت منهما خطوة ازدادت ثقتها بنفسها، فبحبه الذي
أصبح يعبر عنه دون حرج عزز ثقتها بنفسها وغزله الذي لا
يتحمله قلبها فتُسرِع دقاته حتى تظن أنه سيتوقف يبعث بنفسها
السكون والأمل والإغماء! ذلك اليوم أخرجت بشدة حين
استفاقت على الطاولة ليقابلها وجهه القلق وبعد أن اطمأن
عليها وتمالكت هي نفسها، اتفقا أن يظل كل منهما في بيته إلى
أن تلحق بالجامعة السنة القادمة ثم يقيمان حفلا يليق بها.

-خنساء، سنغادر حالا! الأستاذة تستفسر عن برنامج الامتحانات لنصف السنة .

كان قد اقترب منها يخبرها بقلق، فابتسمت له لتعقب الأستاذة ببعض الريبة :

-هل أوخرك عن شيء ما أستاذ أمين؟

وبإصرار طفولي تأبطلت خنساء ذراع زوجها بيدها التي تحمل بها الخاتم، تقول ببسمة دلال أثرت به بطريقة لأول مرة تراود قلبه، يستغرب شجاعته وهي التي فقدت وعيها من تغزله بها :
- لا مشكلة، سأنتظر .

اضطربت كريمة، ترمش بجفניהا علّها تستوعب وخنساء تنظر
إليها بحرج وخجل تحاول مداراتهما بثقة واهية، ليتفهم أمين
ما يحدث أخيرا، فيتدخل مخاطبا الأستاذة بأدب بينما يربت
على يد زوجته بحنو :

-لم أخبر أحدا سوى وائل والمدير، أنتظر تخرج الأنسة خنساء
لأعلن للجميع هنا زواجي منها يا أستاذة كريمة.

ثم التفت إليها يكمل برقة أفقدتها كل شجاعتها تشعر بأنفاسها
الخائنة ستقطع مجددا.

-تفضلي حبيبتى، لقد أنهينا حديثنا.

ترددت فهمس بتسلية وهو يساعدها على الركوب خلفه :

- لا تخوضي نزالا لست أهلا له .

احتل مقعده ووجهها يحمر بشدة، فضحكت تتمسك به حتى لا تقع فتخرج نفسها أمام التمثال المصدوم .

- كريمة، كريمة، ما بك؟ هل أنت بخير؟

حركت هناء كفها أمام عيني زميلتها المصدومة، فرفت بجفניה ثم نظرت إليها تسألها بحيرة :

- هل كنت تعلمين بأن الأستاذ أمين تزوج من خنساء؟

رفعت زميلتها حاجبيها دهشة، تجيب باستغراب :

- حقا؟! إنه أمر غريب، لا لم أكن أعلم، هل أنت متأكدة؟

رفعت كفها لتمررها على ديل شعرها ثم تقدمت زميلتها،

تجيبها بدهشة لم تغادرها بعد :

-أجل، هو أخبرني بنفسه وهي تحمل خاتمه.

ضمت هناء شفيتها استغرابا ثم طالعت وجه صديقتها، تسألها

بلطف: -هل أنت بخير؟

هزت كتفيها، تجيب ببعض الوجوم تخفي به حسرتها :

-دهشت لا أنكر لكنه حر ولم يعدني بشيء لألومه.

*منزل القناص *

-أور، ما أجملك أختي، تبارك الله .

ضمتها بيلسان وصفية تزغرد بسرور، فهتفت جنات بضيق:

-لا دموع، لا نريد إفساد الزينة أرجوكن !

أبعدتها بيلسان لتبارك لها، تدعو لها بالتوفيق وصلاح الزوج،

فتلألأت مقلتيها بتأثر تشعر بأنها سعيدة جدا، فحبها الأول

سيكون من نصيبها وشقيقتها وأفراد العائلة حولها، إنها

محظوظة جدا كما لم تتوقع يوما أن تكون .

دخلت لبني تحمل وردة أوركيدا بيضاء كبيرة، تلوح بها باسمه

بينما تقول :

-أبي ينتظرك على باب الجناح، هيا!

ابتسمت برقة تمسك بالوردة تتأملها، لا تنكر بأن خالها يتغير
ويحاول أن يكون إنسانا محبا ومراعيا.

-إنها فكرة نضال!

نظرت إلى لبنى الضاحكة تشير إلى الوردة بينما تفسر لها:

-هو أحضرها، قال بأنه لم يجد السوداء فأحضر البيضاء، فهي
التي تليق بك حاليا على كل حال.

هزت بيلسان رأسها بيأس ممتعض، وأوركيدا تضحك بمرح
ثم خطت خارج جناحها حيث وجدت خالها ينتظرها باسمها

بدعم ما إن لمحها وبسط ذارعه ليضم يدها بعد أن قبل رأسها،
يهمس لها بصدق:

-مبارك عليك صغيرتي، إن أزعجك يوما أو أساء إليك، لا
ترددي وأخبريني، اتفقنا؟

نظرت إليه تهز رأسها تفكر بأنه حتى إن لم يكن يقصد قوله
ستقبلها منه، فهي بحاجة لذلك وبشدة، أن تشعر بوجود السند
والعائلة .

وكما فعلوا بحفل نزار شيدوا خيمتين بالحديقة الأمامية
والخلفية للفصل بين الرجال والنساء بينما العريس وبعض من
أفراد عائلتها ينتظرونها بالبهو .

لمحته ينتظرها أسفل الدرج يرمقها بعشق خالص وهي تنزل
بفستانها الأبيض الذي اختارته على ذوق والدته الذي وافق
ذوقها ببساطته واحتشامه ولم يدفع ثمنه سواه.

وقف بها خالها أمامه يوصيه بها كما تقتضي هبة الموقف،
فرفع أسد نصف الطرحة الشفافة ليكشف عن وجهها ثم أثنائها
على النصف الآخر السميكة لا يصدق بأنها حافظت على
حجابها تحت الطرحة يوم عرسها وقد فكر بأنها ربما قد تفعل
كما يفعلن بعض الفتيات ويتخلين عن حجابهن يوم عرسهن
خصوصا هي حديثة عهد بالإسلام ولذلك نظر إلى بعض صور
الفساتين التي عرضتها عليه والدته بمجلة واختار التي بها
طرحة سميكة من الخلف فقط تحسبا لما فكر به وكم كان

حريصا ومهتما بكل ما يخصها وهو الذي لم يهتم من قبل
بشيء يخص النساء.

نفض عنه تفكيره ذاك واستغرق بتأمل حسن ملامحها الغير
متكلفة بزينة فاقعة، فيهمس لها بإعجاب:

- سبحان من سواك .

ابتسمت ترمقه بنفس عشقه ثم ردت عليه بصدق تكاد نبضات
قلبها تتوقف من فرط سرعتها :

- أنت أيضا وسيم في البدلة السوداء كما العادة.

ضحك وهو يدس كفها تحت ذراعه ليصحبها نحو الحديقة
بينما يجيبها بمرح :

- ما زال الغزل منك يفاجئني .

وفي قاعة الرجال مال رضوان على نضال، يسأله ما خطر على
باله مرات عدة رغم عدم استحسانه لفتح الموضوع مجددا:

-سؤال لطالما حيرني، لماذا لم تعجب بأور، فهي نسخة عن
شقيقتها إذا استئينا الصبغة السوداء بشعرها وملابسها والجرأة
التي تتسم بها شخصيتها .

ابتسم بحسرة لا يعلم كيف يغير ما استوطن لب قلبه، يجيبه
بامتعاض:

- من هذه التي تشبه شقيقتها؟ بلسان ليس لها مثل، أنظر إلى
ملامح أخي لتأكد من ذلك ولا تفتح هذا الموضوع مجددا،

فأنا أكثر واحد سيحمي علاقتهما من أي تفكك أو مشاكل
وسأقتل من يحاول التدخل بينهما ليهدم سعادتهما... بيلسان
ابنة عمي وزوجة أخي وانتهينا .

ندم رضوان على ما قاله، فسكت يفكر بأن صبر نضال الظاهر
على مصاب أخيه لا بد يخفي مشاعر مؤلمة تنهش أحشاءه
بصمت. علا رنين هاتف نضال فقام والتوتر يستولي عليه
وانسحب خارجا بينما نزار يصل لتوه فجلس يسأل عنه ليرد
رضوان بينما يهز كتفيه :

- لا أعلم! رن هاتفه، أظنها مكالمة مهمة لأنه قام بسرعة
متوترا .

قطب نزار بحيرة وقلق فاستقام واقفا يستأذن وغير بعيد عنهما

يخاطب مصطفى الشهدي فؤاد بتقدير :

-شكرا لك سيد فؤاد على دعوتك، إنه لشرف لي تلبيتها، أسد

رجل بحق وسيحافظ على كريمتم إن شاء الله .

أجابه فؤاد بنفس الاحترام :

-بل الشرف لي يا معالي الوزير وأتمنى أن يتفقا ويسعدا

بحياتهما .

هز رأسه ثم استدرك :

-في الحقيقة هناك موضوعا مشابهها، أريد التحدث فيه معك .

ضم فؤاد ما بين حاجبيه تساؤلاً، فاستطرد الوزير بينما يشير إلى
الجالس جواره، يرمقهما بتمعن:

- بدون مقدمات، يسعدني التقدم بطلب كريمتك الأنسة لبنى
لرجل اعتبره أخي الصغير قبل أن يكون صديقي، العميد ممتاز
جمال الأبيض، أظنك سمعت عنه.

تفاجأ فؤاد لكنه تمالك نفسه، يجيب مؤكداً:

- طبعاً ومن لم يسمع عن الأسطورة في تفكيك القنابل، أنت
بطل يا عميد ممتاز.

- العفو سيدي!

نطقها جمال باحترام نال إعجاب فؤاد الذي قال باسمها بفخر:

- سأستشيرها وإن وافقت سأبلغكم لنحدد موعدا للقاء .

شكره الوزير ثم مال على جمال، يهمس له بمرح:

- نلت إعجاب الوالد، أتمنى أن تنال إعجاب ابنته أيضا .

خيمة النساء

- آآه! اجلسي يا بيلسان رجلي تؤلمني، لم أعد قادرة على

الوقوف، هذا الكعب، لا أدري كيف يتحملنه الفتيات؟

ردت عليها بيلسان ضاحكة بينما يجلسن إلى طاولة قريبة من

المكان المخصص لمجلس العروس :

- تعودي عليه كي لا تقعي يوم عرسك .

لمعت مقلتا جنات ببهجة خالصة، تقول باستغراب :

-من يصدق بأن أخت خطيبي تكون دليلة، إنها مفاجأة صادمة .

-بل الصادم أن زيد يحبك، متى حدث ذلك؟ أنت خائنة !

رمتها بيلسان بنظرات معاتبة، فأمسكت يدها، تتوسل إليها

بملامح طفولية :

-لا تغضبي يا بيلسان، لم يحدث شيئاً مهما بيننا أحكيه لك،

و حين اكتشفت أنه ضابط، ظننت أنه لن يعود ولم أتخيل أبداً

أنه سيهاتفني ليخبرني برغبته بالزواج مني، لا أعلم من أين

حصل على رقمي؟ عقت بيلسان بسممة مسرورة :

-إنه شرطي لن يعجزه رقم هاتفك، إذن متى سيخبر عائلته؟

هزت كتفيها، تجيبها :

-اليوم، هذا ما أخبرني به، هو مسرور للغاية لأنه عاد إلى أهله .

نظرت بيلسان نحو مقعد العروس، فقالت بينما تنهض عن

كرسيها:

-سعدت من أجله الحمد لله... آه نسيت سلة الورود في البهو،

سأحضرها سريعا وانتبهي لأور إذا احتاجت لشيء.

ترك خيمة الرجال ينوي المغادرة فهو لم يكن ينوي القدوم من

الأساس إلا بسبب مصطفى حتى يحدثا والد لبنى بأمر رغبته

بالزواج منها.

قطع نصف الطرقة يقترب من الجهة حيث بناية المنزل وبوابته
الداخلية، يتمنى اللقاء بها قبل أن ينعطف ليكمل الطرقة نحو
الخارج، فلم يصدق حظه وهي تخرج من البوابة لتفاجأ به كما
شعر هو، ينطق بسمه مبتهجة :

-آنسة لبنى .

تجاوزت اجفاله تقطب بحيرة بينما تجيبه :

-العميد ممتاز جمال، كيف حالك؟

ابتسم، يجيبها بأدب :

-بخير شكرا لك، العرس في منتهى الرقي والبساطة، مبارك
لكم .

هزت رأسها شاكرة :

-بارك الله بك وشكرالك .

ولأنه تهرب من النظر إلى وجهها لمح فستانها، فعقب عفويا :

-هيئتك تختلف كليا عن العمل .

-عفوا!

انعقدت ملامحها بحيرة، فوضح قصده :

أقصد ملبسك جميل .

احمرت وجنتيها تلقائيا تتلفت بخجل وتفرك كفيها، تفكر برد

لبق حتى تنسحب، فاستدرك بسرعة يلوم غبائه جراء توتره :

-أحب اخبارك بأمر ما كي لا تتفاجئي به .

سكنت تنتظر بفضول، فأردف يخبرها بينما يفر من احمرار
وجنتيها الجذاب لعينه :

- قبل ساعة تقريبا، وكلت الوزير ليفتاح والدك برغبتي في
الزواج منك، فما رأيك؟

-ها؟

نطقت مبهوتة، هي؟ زواج؟ هل فعلا يتقدم لها هي؟ لقد
صدقت بأنها تزوجت من العمل يعزز شعورها بأنها لم تخلق
للزواج عدم تقدم أحد إليها من قبل :

-لماذا أنا؟

ابتسم يقدم لها أغرب جواب لم تتوقع سماعه بحياتها :

-مصطفى دوما يمدح أخلاقك الحسنة أمامي ثم نصحني
بالزواج منك لأنك جوهرة نادره ولم يكن معالي الوزير يدرك
بأنك لفتي انتباهي إليك مع أول احمرار لوجهك .

البهو

تقدم نزار بخطوات متمهلة يتلمس طريقه بعصاه الرفيعة وحين
تناهت نبرة صوت شقيقه الغاضبة إلى أسماعه تتبع مسارها
يشك في تصرفات توأمه حتى أنه شك بعلمه عن مرضه، توقف
حين اتضحت كلماته لمسامعه :

-دكتور هاريسون لقد وعدتني بأنك تستطيع تأمينه من السوق
السوداء وأنا انتظر ووافقت على المبلغ الذي طلبته، يجب أن
تسرع فصحة أخي في تدهور .

-لقد توقعت !

عقب نزار بدهشة غاضبة، فأنهى نضال المكالمة يرمقه بملامح
مرتبكة بينما نزار يهتف بغضب شديد اكفهر له وجهه :

-السوق السوداء يا نضال؟ هذا هو حلك؟ يعني أنت لم تتغير .
قطع المسافة بينهما ليمسك بكفيه، يخبره بلوعة :

- لا، لا يا نزار، أقسم لك أنا لم يعد يهمني شيء بهذه الدنيا
سواك، حتى أنني فكرت كيف أمنحك قلبي يا أخي، أنا سأفقد
عقلي!

نفض يديه عنه وقد ألمته نبرة صوته اليائسة، يرفض أن يخسر
شقيقه نفسه أو حياته بسببه هو، لذا خاطبه بغضب وخيبة:

- وهذا الذي كنت ستفعله! هل تعلم مصدر القلب يا نضال؟
السوق السوداء تعني رجل يبيع حياته من أجل إطعام عائلته أو
صبيا خطفوه أو اشتروه من عصابات المتاجرة بالأعضاء، كيف
تشارك في مثل تلك الجرائم، بماذا تفرق عن عمك يا نضال؟
بداله نضال على غير هدى وهو يضمه يتوسل إليه، كأنه يعاني
آثار صدمة متأخرة:

- لا تغضب مني أخي، أتوسل إليك! أنا أريد منحك قلبي
فكيف أفعالها دون أن أخسر آخرتي أو تغضب علي أنت!
تنفس نزار، يتمالك أعصابه يحاوره بهدوء :

- يجب أن تعلم شيئاً مهماً يا أخي، حتى إن وجدوا قلباً مناسباً،
فالعملية نسبة نجاحها ضعيفة لأن وضعي الصحي تفاقم وهذا
لا يعني أنني مستسلم للموت بل أتثبت بكل ثانية يمنحها لي
ربي وأجاهد لأعيشها كما يرضى، في النهاية جميعنا سنموت
ولا أحد منا يعلم متى يحين أجله؟

نطق نضال بشجن وقد فرت دمعين من مقلتيه بكبرياء حزين :
- أنا أتألم نزار، لا أريد فقدانك، أنا لا أستطيع، لا أستطيع !

تنفس نزار بعمق يشد على ذراعيه، يخاطبه بحزم :

-بل ستستطيع يا نضال! إن سبقتك أنا إلى الآخرة، ستكون
رجلا مؤمنا تعني بالعائلة وتعني بأسرتي كأنني على قيد
الحياة، إنها دنيا يا نضال لا تدوم لأحد، فلا تُعلق بها قلبك، بل
عش عليها تخلف ربك كما أمرك واستعد لتركها في أي وقت،
عدني يا أخي! عدني كي يطمئن قلبي .

حضنه يشم رائحته يود أن يلتحم به، فلا تفرقهما لا الدنيا ولا
الآخرة، يهمس له بألم :

-أنا أعدك، أعدك! لكن عدني أنت أن تقاوم بقوة إلى آخر
نفس .

-نزار؟

تصلبت أطرافهما ونبرة بيلسان المستجديه والمصدومة
تضرب كلاهما بمقتل !

منزل عائلة الصخر

اكتظ مجلس الرجال بأبناء عائلة الصخر، يجلس بصدوره
جدهم منتفخة أوداجه بفخر وهناء يرمق أبناءه وأولادهم
مجتمعين يتبادلون الحديث، فحانت منه نظرة عبر النافذة
الضخمة للمجلس يلمح سكينة الملتصقة بشادية طوال
الوقت، تقطعان الطرقة قرب المجلس وقد تحسنت صحتها

كثيرا ثم نظر تجاه صوان فابتسم بحنو، حفيده الصخر يعشق
ولا يعلم كيف يعبر عن عشقه ولا كيف يتحصل عليه ولقد آن
أوان تحريك المياه الراكدة :

-ماذا يا شباب؟ ألن تسعدوا قلوبنا؟ وتتزوجوا؟ لقد اشتقنا
للأفراح في بيتنا والفتيات ما شاء الله كثيرات وبسن الزواج.
ضحك الكبار والشباب الغير متزوجين يتناظرون في ما بينهم،
باستثناء صوان المترقب بصمت لا يظهر ما بقلبه من توتر.
اتسمت نظرات الجد بمكر يستدرك :

-أولهن ابنة ولدي عبد الواحد الغالي رحمه الله، ولن يفوز بها
إلا من يستحقها ويكون بها جديرا .

تأهب صوان بحذر، يتفقد الشباب إن كان سيتقدم إليها أحد
حتى أجفل على نبرة أيوب المرححة :

-ستراقبها إلى أن تُزف لغيرك يا ابن العم، أم أنك معتمد على
زواجك الباطل منها !

تفقد وجوه الشباب، فلمح أحدهم يعرف نيته جيدا يتحمس
ويهم بالحديث، قرأ على وجهه ما يضمره ولماذا! فانتفض
يهتف بجدية:

-سكينة أنا أحق بها يا جدي؟

اتسعت ابتسامتهم والشباب يهللون له فرحا بينما الجدد يجب
بفرح: -يجب أن نسألها أولا يا ولدي !

رفع صوان رأسه بزهو وقلبه يهدأ يعلم بأنها لن ترفضه، وغريب
كيف يشعر بذلك وتنتعش له أحشاؤه !

- هو متأكد من موافقتها فهي ستقبل بأي أحد منا ليتستر على
فضائها.

انتشر العبوس رأسا بين الرجال وأيوب يهم بالقيام، يهتف
بغضب : - ماذا تقول أنت؟ هل جنت؟

أمسك به صوان وأعاده مكانه بكل هدوء بارد والآخر الباسم
باستفزاز، يكمل بث سموه كما اتفق مع شقيقته، فيفوز كل
واحد منهما بما يرغب به :

-الآنسة المصون كانت تعمل عارضة أزياء، وأزياؤها
المكشوفة منتشرة بالمجلات والانترنت .

سكن الجد ينتظر رد فعل حفيده وعلى أساسه يتصرف، فقال
الأخير بنبرة ونظرات مهددة بخطورة لا ينكر الآخر بأنها هزت
قلبه يوحى له بمعرفة ما يدور بخلده كما يعده أنه لن يناله ولن
يكون له مادام بصدرة نفس :

-سكينة نشأت في كندا وهناك عمل العارضة ليس محرما في
عرفهم والذي نشأت وتربت في كنفه شجعها بل وسخر لها كل
الوسائل كي تشتهر، ليس ذنبها أنها خُطفت وتربت تحت يدي
سافر وما يهمننا الطريق الذي اختارته منذ أن علمت بالحقيقة
ووضعت وسط بيئة صالحة .

ثم تركه بوجه جامد لينظر إلى جده يردف بجدية حازمة :

-البذرة الصالحة تبرز مع أول أزمة على طريق الصلاح كما
تنكشف البذرة الفاسدة حتى بدون أزمات .

نطقها بنبرة ذات معنى أخرست كل الخطط من بدايتها
خصوصا حين أضاف ما صدمهم سماعه من صوان تحديدا :

-ويل لمن يتحدث عليها بكلمة، سكينه ابنة عمي عبد الواحد
وابنة خالتي نجاة ثم ستصبح زوجتي إن شاء الله وهي أحب
الناس إلي .

أطرق الآخر برأسه يخفي عبوسه، والشباب يعودون للتهليل
فرحا، فضمه أيوب هامسا باستحسان :

-نعم الرجال أنت يا ابن العم.

أراد صوان إبعاد الأنظار عنه وعن سكينه فضربه على كتفه،

يمارحه : -وأنت، ألن تتزوج؟ لم تعد صغيرا.

هز كتفيه يقول باسمه بنفس المرح :

-لا! ابتعد عني أنا خاطب!

تحلقت حوله الأنظار وجده يسأله بفضول:

-هل أنت حقا خاطب يا بني؟

حك رأسه بقصته القصيرة، يرد بحرج، فقد كان ينوي مخاطبة

صوان أولا كي يساعده في الأمر :

-بلى يا جدي قررت ذلك قبل أن أعرف الحقيقة من صوان
بأيام قليلة .

ثم التفت إليه يردف بما يهمهم معرفته :

-هل تذكر الشاب الذي قتله السفاح وهو يحاول إنقاذ زوجة
الشرطي منه؟

أوماً صوان يجيبه :

-نعم اسمه ابراهيم، كنت حاضرا في ذلك اليوم هناك ورأيت
جثمانه رحمه الله وتقبله شهيدا الدفاع عن الحق .

أمن وهو يهز رأسه ويكمل :

-من أنوي الزواج منها بعون الله تكون شقيقته اسمها جنات.

ثم التفت إلى الجد، يخبره بإشفاق :

- كان الشاب كل عائلتها، قتل وهو ينقذ امرأة من الخطف وهي الآن تسكن مع فتاة تربت معها كأختها .

صمت عن باقي التفاصيل فأزره صوان لأن بعض تلك الحقائق لن تعجب العائلة خصوصا كون صديقتها تقرب لتهامي، فكانت نهاية الاجتماع العائلي، جنات لأيوب وسكينة لصوان وشابين آخرين أعلننا رغبتهمما بالزواج من فتاتين احدهما من العائلة والأخرى من عائلة أخرى من نفس القبيلة، والزفاف في أقرب فرصة مناسبة .

*جناح العروسين *

صل بها بعد أن غيرا ثيابهما وحين خرج من الحمام وبحث
عنها لمحها تضع جبينها على بلور النافذة الضخمة للغرفة
الخارجية ساهمة، فخطا إليها بتوتر واضح، يتأمل هيئتها بشباب
ملفتة ترك التدقيق بها ليناديها بحيرة :

-أور؟

نظرت إليه بحزن، تجيب حيرته :

-أظن بيلسان علمت بحالة نزار.

هز رأسه يؤكد على كلامها، مشفقا :

-أظن ذلك أيضا، لأن شقيقتك لم تكن طبيعية بالمرّة، بدأت
الحفل بسرور انقلب إلى حزن وشحوب .

اقتربت منه تمسك بذراعه كأنه أمر اعتادت على فعله، فضم
بدوره كفيها بتلقائية كم حلم بفعل ذلك كثيرا من بين أحلام
أخرى راودته بشأنها :

-أدعو الله أن يشفى ويعيشا بسلام وسعادة .

-آمين .

ظلا طويلا على نظراتهما المتبادلة بصمت وأيديهما متشابكة
ببعضها حتى قطعت وصال عاطفة العينين بنبرتها الرقيقة :

-أسد؟

-مممم؟

أمالت رأسها تستدرك بملامح عاتبة فتميل معها خصلاتها

القصيرة : -متى ستحفظني القرآن كما وعدتني؟

تتلاحق نظراته لتفحص ملامحها دون أن يرتوي، يجيها

بلطف: - طلباتك أوامري يا زوجتي الحبيبة، بما أنك حفظت

فاتحة الكتاب ثم آخر أربع سور به، سنكمل من هناك إن شاء

الله كما أن أمي اتفقت مع بنفسج لتساعدك أيضا في تحسين

لغتك العربية وتعليمك قواعد التجويد .

أومأت مبتسمة بسكون يملأ جوفها ثم قالت فجأة بينما ترفع

ذراعيها:

-احملني وخذني إلى البحر أريد التمتع بجماله معك تحت نور القمر .

ضحك عاليا يعقب بمرح :

-بحر! الآن؟ نحن بجناح في فندق، كيف سأحملك طوال تلك المسافة بين الناس؟

رمقته بحيرة تتساءل بصدق :

-لماذا؟ أأست زوجي! وما دخل الناس بنا؟

ارتفع حاجبه بينما يسحبها من كفها ليقربها منه مهددا بجديّة:

-إن أردت الذهاب إلى البحر لا مانع لدي مع أن الوقت متأخر، لكن ارتدي ملابسك وحجابك وسأصحبك دون

فضائح بليلة زواجنا الأولى يا زوجتي العزيزة، ما يحدث بيننا
لا يجب أن نستعرضه وسط الناس وليس لذلك علاقة بهم بل
خاص بنا نحن الإثنين.

تبرمت بشفتيها تلوح بكفها:

- حسنا أنت محق!

ثم ما لبثت أن رفعت كفيها مجددا تقول بسملة طفولية:

- احملني هنا إذن.

ضحك عاليا من صميم قلبه، يقول بينما ينحني لينفذ طلبها :

- أنت مجنونة وأنا أحب جنونك هذا .

جناح نزار وبيلسان

كلما حاول ضمها ابتعدت عنه، تنظر إليه بحزن غائر، الدموع
تملاً عينيها وقلبها ينبض بالأسى ... رباہ إنه نزار، زوجها
وحبيب قلبها، أمانها وسكون هواجسها! رباہ إنه نزار!

-بيلسان حبيتي!

همس بها باستجداء دون حديث فشهقت من صميم قلبها
المجروح، تفيض مقلتهاها بمزيد من السيول دون أن تكون لها
متنفسا وسط ضيق جحيم الفقد.

-لم أخبرك لأنه كلام الأطباء وهم مخلوقات لا علم لهم
بالغيب، الله وحده مقدر الآجال ولا أحد يعلم بأي يوم أو أرض

يموت... أأست مؤمنة يا حببتي! هذا امتحان وابتلاء لقوة
إيمانك فلا تخسريه!

حركت رأسها تبلى ريقها بمشقة ثم خطت إليه ترتمي بحضنه
تبكي بقوة دون أن تستطيع التعبير عما تشعر به وماذا تقول وأي
كلمة هذه التي توازي الألم بجوفها!

-الغيب بيد الله يا بيلسان ونحن نؤمن بأقدار الله، أنا لن أموت
قبل أو بعد يومي كما لن تفعلني أنت مهما تعددت الأسباب،
كوني قوية يا حببتي ولا تستسلمي إن سبقتك أو سبقتني لا مفر
لنا سوى إلى الله .

سحبها بروية إلى السرير وحثها لتستلقي فتمسكت به تخشى
الفراق وهو استجاب لشعورها الأدمي وضمها يربت على

رأسها يقرأ لها آيات القرآن حتى غفت على صدره، والشهقات
الخفيفة تهز حلقها كل حين بينما هو ظل يفكر بأن ثقلا كبيرا
انزاح من على كتفيه، فهي الآن مهما غيبتها الصدمة لابد
ستستوعب بعدها وهو سيساعدها إلى آخر نفس بصدرة.

الخاتمة

تعرفوا على الحسن البصري

{الحسن البصري هو أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري وهو عالم منقطع النظير وهو العابد الزاهد فقد كان يصوم الأيام تطوعا وكان يقرأ القرآن بتمعن وقيل أنه كان يبكي من قراءة القرآن حتى تأثرت وجنتيه من الدموع، وفي نفس الوقت كان المقاتل الشجاع المجاهد في سبيل الله وقد شارك الكثير من الحروب، وهو من أكثر الشخصيات المهمة في عصر صدر الإسلام ، فهو الإمام والواعظ والقاضي ، وهو أيضا زعيم التلاميذ من صحابة النبي عليه الصلاة والسلام وقد ولد في بيت النبي حيث كانت والدته أم المجاهدين امرأة خادمة لأم سلمة

زوجة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكانت أقواله درر
الكلام لذلك قدمت لكم أفضل ما قاله من حكم وكلها فضلى
« لو خرج عليكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
عرفوا منكم إلا قبلكم..... الحسن البصري »

*بعد سنوات من الزمن *

سجن العاصمة

-حمدا لله على سلامتک.

بادله ضمته بحرارة، يرد عليه باسماء .

-شكرا لك، آآه، الحمد لله على نعمة الحرية، لا يقدرها إلا

فاقدها، كيف حال خنساء ووالدتي؟

نضحت مقلتا أمين بسعادة خالصة، ينطلق بسيارته بينما يجيبه

بمرح : -هما بخير تتحدان مع إيمان وابنتها ضد العبد لله

المسكين، لم أظن يوما أنني سأقول هذا لكن أتمنى أن يكون

الجنين في بطن خنساء صبي، لنعدل الميزان قليلا .

ضحكا وسالم يسأله من الارتباك :

- وكيف حال شقيقتك؟

التفت اليه ثم عاد الى القيادة يجيبه :

- بخير الحمد لله، لكن الصغيرة تتأزم نفسيا بين الفينة والأخرى.

رد عليه سالم بوجوم :

- ذاك الحقير أُعْدم قبل سنتين وما زال تأثيره على الناس مستمرا .

هز أمين رأسه :

- سيزول، السنوات كفيلة بذلك إن شاء الله، المهم كيف حالك

؟ وما هي خطتك للمستقبل؟

تعلقت البسمة بوجه تناطح الحزن، قائلا بأمل :

- الحمد لله على لطفه بي، لولا أنهم وجدوا القنابل وصدقوني

لكنت سُجنت مدى الحياة، سأعود لتجارتي و الرزق على الله .

تحدث أمين مشجعا :

- الحمد لله، خير ما تفعل .

ربت على ركبتة، يخاطبه بامتنان صادق :

- جزاك الله خيرا على ما فعلته لأجلي ولأجل عائلتي، لن أنسى

جميلك هذا ما حيت .

ليجيبه أمين بجدية :

-أي جميل يا رجل؟ أنت أخي وشقيقتك زوجتي، نحن عائلة
يا سالم .

أوماً مبتسما بهدوء غامض، فقد حانت اللحظة التي ظل يحلم
بها طوال السنوات التي سجن بها.

استقبلته شقيقته بطنها المنتفخة، تضمه بحرارة :

-حمدا لله على سلامتك، اشتقت إليك أخي.

قبلها على رأسها ثم استسلم لحضن والدته، تهمس دامعة
العينين :

-الحمد لله الذي أمد في عمري ورأيتك وضممتك إلي .

رفع وجهها إليه بمقلتين لامعتين بدموع حبيسة، يسألها ما ظل
يراسلها به طوال السنوات الماضية كلما منحت له فرصة
للتواصل مع ذويه يكون همه واحدا لا غير :

-سامحيني يا أمي، أتوسل إليك لا تدري بقلبك ذرة من غضب
أو حزن علي، أطال الله بعمرك وحفظك من كل سوء .

ضمته من جديد، تهمس بلوعة :

-الحمد لله أنك عدت سالما، غفر الله لنا جميعا يا ولدي ..
وعفا عنا.

لمح إيمان تطوق ذراع فتاة نحيفة تبدو متحفزة ترمقه بغرابة
بينما تنظر إليهما بتردد، فابتسم مقتربا منهما يخاطبهما بلطف :

- كيف حالك إيمان؟

أومأت بخجل، تجيبه بخفوت :

- الحمد لله على سلامتک، أنا بخير، شكرالك .

ثم نظر إلى ابنتها، فاستطردت :

- هذه ابنتي ريفان .

ابتسم يوجه لها الحديث :

- مرحبا ريفان .

ازداد عبوس الفتاة بعدائية واضحة لا تمنحه ردا، فابتسمت

باعتذار حزين، ليهز رأسه أن لا بأس ثم قال :

- يبدو أن ريفان لم تحبني، لا مشكلة! سأعرفها بنفسى خطوة
خطوة .

رمتة المعنية بنظرة مستخفة قبل أن تترك والدتها والشقة
بأكملها، فهزت إيمان رأسها بوجوم تعتذر، ليسدل جفنيه أن لا
تقلق قبل أن يستدير قائلا لوالدته :

- سأستحم وأعود، أشم رائحة طعام شهى وأنا جائع لسنوات .
أما فى المطبخ فأمين يجاور زوجته المتألقة ببسمة رائقة، يرتب
على بطنها المنتفخة بينما يخاطبها :

- ألم أحذرك من التهور؟

أراحت رأسها على كتفه، تربت على كفه فوق بطنها وهي

تجيبه: - وماذا فعلت أنا؟

قبل أعلى رأسها يفسر لها بلطف :

- هرولت إلى شقيقك دون أن تنتبهي إلى نفسك، ماذا لو تأذيت

أو أجهضت كالمرّة السابقة، ماذا سأفعل أنا؟

رفعت رأسها قليلا لتأمل وجهه بينما تتدلل عليه برقة :

- على من تخاف أكثر أنا أو ابنك ؟

ضحك بمكر ضاربا جبهتها بجبهته بخفة، يجيبها بمرح :

- عليه طبعاً!

ضربته على صدره بعبوس تهمة بالابتعاد عنه، فلم يسمح لها
بمسك بكفها، قائلاً بعد أن تمالك ضحكاته :

-جميل محياك حين العبوس !

ثم أسبغ على نظرتة إعجاباً خاصاً بها بينما يردف بحب:

-ومع اكتنازه ازداد جمالا !

أفترت شفتها عن ابتسامة عذبة تسأله بجرأة :

-هل تقصد بأنك تحبني رغم وزني الزائد؟

ضحك بمرح يرد عليها:

-رحم الله تلك الأيام حين كان يغمى عليك من مجرد كلمة

غزل واحدة.

رفعت رأسها مع حاجبيها، تسبل برموشها مرحا :

-ممممم...تعودت على ذلك .

فأوما يدعي الحزن :

-كل خوفي من أن تتعودي على حبي لك حتى يمسي عاديا
لديك .

ضمته بما سمحت لها بطنها، لتجيبه بصدق أثر بقلبه فيتضاعف
حبه لها :

-أنا أحببتك منذ وعيت على الدنيا ولم أمل يوما حتى حين
يئست من مستقبل يجمعنا معا، فكيف سأفعل الآن؟ وما لي أثق
بنفسي وأنا شبه بالون منتفخ من كل جهة؟ لأنني أرى نفسي من

خلال عينيك، أنت تراني جميلة، فأرى نفسي جميلة وكذلك
هو الحب بيننا، أراه بعينيك متألقا فتلقى له صدى بعيني، لذا يا
أستاذ أمين.... احرص على تألق حبك لي كي تحافظ عليه بيننا
متجددا .

خفت نبرتها مع آخر حديثها، فهمس لها وهو يتعد عنها بخفة
حين سمع خطوات حماته القادمة :

-أحبك يا خنسائي.

الجامعة

-يا الهي يا صهيب، أنت لا تطاق، إنه استاذي المتابع ويسأل
عن بعض النقاط في الرسالة .

زفر بحنق ارتفعت له الخصلات الحريرية التي سئم من
تصنيفها إلى الخلف دون جدوى وقد أوشك على تقصيره
مجددا حتى يهنأ لأيام قبل أن يطول بسرعة مستفزة:

-ولماذا لحق بك خارجا ألا يكفي الوقت الذي قضيتماه
بالقاعة؟ !

قطبت بضيق تجيبه بحنق :

-اذهب واسأله !

استدار قائلا بغضب:

- سأفعل!

- توقف! هل جنت؟ هي بضعة أشهر الباقية، أتوسل إليك

دعها تمر بسلام

رفعت كفيها تتأكد من حجابها فلمحته شاردا بعبوس، فلوحت

أمام عينيه: - ما بك؟!

رد عليها بنقمة:

- كل شيء بدأ مع انتزاع عويناتك، لا أعلم من نصحك بذلك؟

ما بها نظارتك؟ سميكة وتخفي تلك الألوان الغريبة.

زمت شفيتها تراقبه بضجر وهو يردف:

-الناس يمتلكون لونا واحدا وغالبا ما يكون أسودا أو بنيا !

تلكأ قبل أن يكمل باستياء بينما هي ترفع حاجبها الأيمن :

-كيف تجمعين بين لونين اثنين؟ ودو...ن أن

يمت.....ز...جا!

نطقها بسهولة يتأمل مقلتيها، فصاحت زاجرة بما انتفض له :

-صهيب!

بلع ريقه حرجا والذنب يلون ملامحه بأسى ونقمة عظيمة لا

يجد لمشكلته حلا : -دعينا نعقد القران يا مروة.

ردت بحنق ملول :

- لن أعيد كلامي، لا زواج قبل أن تنفذ شرطي بإيجاد عمل
بعيدا عن أعمال القناص وسكن لنا بعيدا عن قصر القناص .
ابتسم، فتأهبت تتهرب من تأثر قلبها به وهو لا يساعدها يضغط
عليها لتوافق إلحاحه :

- أحببت حين جمعتني معك في كلمة لنا .
ابتسمت بحياء، فأردف ببراءة :

- عقد قران يا مروة لأستطيع النظر إليك والتحدث معك
براحتي، أما العمل فلا أستطيع التخلي عن والدي لكنني أعمل
بك، استحق كل سنتيم أحصل عليه، ارحميني يا مروة!

صديقتاك تزوجتا حتى زميلتنا أمل والأستاذ وائل زفافهما
الليلة .

رفعت رأسها باستفزاز، تتشددق :

-لأنهن تزوجن من رجال كبار عليهن .

ثم تنهدت تردف :

-وأنا اخترتك شابا من عمري .

-هل أسمع نبرة حنق بصوتك أم ماذا؟

استنكر، فبرمت قبل أن تنصرف، فابتسم بحب هامسا لنفسه

بوله : - سأظل على إلحاحي حتى لو انتظرتك سنين طوال،

لأنني أعشقتك يا مروة، أعشقتك !

على باب الجامعة

_محمد أنت تحتال علي كل مرة أتواعد فيها مع مروة وأتأخر

عليها فتصيح بصوت يؤذي أذناي .

أمسك بمرفقها ليقربها منه هامسا بركة:

- لا تستيقظي بكل هذا الجمال والبراءة، فأنسى الدنيا بحالها،

ليس ذنبي ... إنه ذنبك!

-ها!

سألت بشرود تتأمل ملامح وجهه عن قرب، فأوماً بحب يخفي

مرح مقصده :

-أجل، إنه ذنبك، فاعتذري لأنك وبختني.

-آس...فة!

نطقها بتقطع صادق، فضم كفها بحنو يهمس لها بمرح :

-يا إلهيلقد جمعت براءة الدنيا في نفسك.

تركها بعد أن طبع قبلة على ظهر ذلك الكف واستطال بنصفه

العلوي ليسحب أكرة الباب :

-هيا اذهبي قبل أن أُلغي عملي وأختطفك، أسرعي! ولا

تحدثي أي رجل حتى لا ينظر إليك بإعجاب فاضطر لكسر

أنفه !

أومات تهم بالخروج ثم توقفت وعادت ترمقه بحنق :

- أنت احتلت علي من جديد، أف! ... محمد ... أنا غاضبة
ولن أعود لبيتنا مع ابني، سنبيت عند والدتي بعد عودتي من
العرس .

ضحك بمرح يجيب بتسلية بينما تترجل :

- سأصالحك لكن في بيتنا !

- لا!

ابتعدت نحو الجامعة بينما تهمس بدفء :

- محتمل لكنني أحبه .

بيت عائلة الصخر

-امي، هل أخذها إلى المستشفى؟

ردت بينما تربت على يده بحنو:

-لا داعي يا بني، ثم الولادة ليست بكريه كي تخاف عليها هكذا.

هز رأسه ووالدته تعود إلى الغرفة حيث تلد سكينه للمرة الثانية،
فشعر بربته خفيفة على ساقه فأحنى رأسه والصغير يرمقه
بخوف يستفسر منه:

-لماذا تبكي أمي؟ هل يضربها أحد؟

اغتصب ابتسامة قلقة بينما يحمله عن الأرض، يجيبه بمراعاة:

- لا يا صغيري، من يتجرأ على ضرب أحد من عائلة الصخر؟
يبدو أن الصغير لم يقتنع لأنه يفكر في مدى صحة الأمر وسكينة
تصرخ بكل ما أوتيت من قوة حتى توقف صراخها، لتصدح
صرخة الصغيرة تعلن عن نزولها للدنيا، فهتف شقيقها
بفضول:

- ما كان ذلك؟

ضحك صوان يضم ابنه إليه متنفسا الصعداء، يخبره بسرور:

- إنها شقيقتك يا عبد الواحد! شقيقتك الصغيرة.

أطلت عليه جنات بعد مدة برفقة الطيبة التي تحدثت بابتسامة
رسمية:

-مبارك عليك حضرة العميد، أصلحها الله وبارك لك بها .

-بارك الله فيك، أشكرك يا دكتور .

قالها صوان قبل أن يسرع إلى حبيبته، فقامت إليه والدته تحمل
الرضيعة كي يراها وعينه على المستلقية تغمض عينيها من
التعب :

-تبارك الله قطعة من القمر، بارك الله لك بها يا ولدي .

أنزل ابنه على الأرض ليمسك بالصغيرة بين يديه، يتأملها
بدهشة ورحمة ثم أذن لها بأذنيها بخفوت قبل أن يعيدها لوالدته
التي قالت بسرور : - سأذهب بها إلى المجلس ليراها جدك
ووالدك، مبارك يا ولدي .

جلس جوارها بينما يطلب من ابنه ببعض الحيلة :

-عبد الواحد! جدك حين يرى الصغيرة سيُفِرَق هدايا على

الصبيان، أسرع لتحصل على واحدة.

قام الصغير يجري بفرح بعد أن قبل والدته، فدنى من وجهها

يهمس لها وهي تقاوم النوم بمشقة، تشعر بوهن يكتسح سائر

أطراف جسدها :

-هذه آخرة مرة، سأسمح لك فيها بالحمل، أنت تتعبين

وتتعبين قلبي معك لن أتحمل !

ابتسمت بوهن تجيبه :

-صوان الصخر لا يتحمل؟ كذاب لكن وسيم .

ضحك بخفة يعقب على قولها؛

- أنت الوحيدة التي تراني وسيما يا سكينه .

كانت ستقول شيئاً ما لكنها عبت بوهن تجيبه:

- من الأفضل لك!

ضحك عالياً ثم قبل رأسها، فقالت بعدما تنهدت :

- لا مشكلة، على العموم البيت تبارك الله يضحج بالأطفال،

وكلهم أبنائي .

رقت نظراته واقترب يريح جبينه على أعلى رأسها، فيشعر بألفة

أدمنها وأضحت سر سعادته :

-أحبك يا ابنة العم هل تعلمين ذلك؟ اعطني بنفسك من أجلي
إن كنت حقا تحبينني.

أومأت بوهن وقد أسدلت جفنيها تستسلم للنوم، فتأملها قليلا
ثم هم بالقيام ليشعر بأصابعها تضغط على ذراعه بوهن، فعاد
جوارها يسمع همسها المتسلل من بين موجات استسلامها
للنوم :

-ابق معي، لا تتركني !

تلك الكلمات دوما ما تلقيها بها على مسامعه كأنها تستغني به
عن الدنيا فتسرع نبضاته حبا شغوفا لها، ابتسم يقبل جبينها
بخفة ثم اعتدل بوضعية مريحة وضم كفها ولم تمض دقائق
حتى لحق بها إلى عالم الأحلام .

كانت خارجة من المجلس تبسم بسرور متوجهة إلى المطبخ
حين سحبت على حين غفلة، فشهقت متفاجئة بينما زوجها
يدخلها غرفتهما ويقفل الباب يخاطبها بغضب :

-إذن أنت لا تريدين العودة معي إلى المدينة ؟ ها؟

عبست جنات تجيبه بضيق:

-أجل أنا لن أعود معك، لأنك تقضي الوقت جله في العمل
وأبقى وحدي في البيت .

كان غضبها حقيقيا وهي تردف باستياء :

-أنت تمنعني من زيارة بيلسان وحين تأت لزيارتي تستاء، لذا
البقاء هنا أفضل لي، على الأقل وسط أناس يؤنسون وحدتي.

أمسكها بقوة أَلمتها، فتشجبت ملامحها تقرأ الغيرة الحارقة
على ملامح وجهه الغاضب جدا :

- أنت وحيدة يا جنات وأنا حي! ثم كيف تريدني مني السماح
لك بالذهاب إلى ذلك القصر حيث !

صمت يغلي بغيرة حارقة، فردت عليه بحدة خافتة :

- يا الهي يا أيوب، ما تزال تذكر! كنت متأكدة! لقد كان يتأسف
لي، لأنه علقني ب...

- ششش!!

منعها من الاسترسال، فضمت شفيتها تحرق بعروق جبهته
الناضبة بقوة : - لا تذكره أمامي!

- أنت من فعل! افهم يا رجل! أنا لا أحب غيرك ولا عائلة لي
سواك وأهلك... وبيلسان أختي قبل أن تكون صديقتي التي
اعتنت بي في أصعب ظروفى، سأكون ناكرة للجميل إن قطعتها.
أرخى يديه عن ذراعها قليلا، يقول بضيق :

- أنا لا أمنعك عنها لكن لا أريد لذلك الرجل أن يلمح طرفك
ولا أن تلمحي طرفه .

رفعت يدها لتضم جانب وجهه، ترجوه برقة:

- لمَ لا تفعل مثل صوان؟ اطلب الانتقال إلى هنا حينها ابنتنا
نجاة لن تحزن كل مرة نعود فيها إلى المدينة وسأكتفى
بالتحدث مع بيلسان في الهاتف، أرجوك اقبل حبسبي.

ابتسم يقول بتسلية : -أعيدي ما قلته!

-ها!

التفت لطبع قبلة على كفها ثم وضح لها: -آخر كلمة.

ضحكت بدلال وقبل أن يهم بما ينويه فرت منه هاربة من الغرفة
وهو يتوعدها .

بيت حليلة

-يا أمي، أنت تبعدينه عن أولاده وهذا لا يجوز .

رمقتها بحدة، فأسدلت لبني جفنيها ياسا، تفسر بلين :

-لأنه يقضي هنا جل الليالي ولا يذهب إلى القصر إلا لمما،

لماذا لا تنتقلين إلى هناك؟ فجناحك جدده والدي رغم أن ما

كان به أثاثك القديم، من فضلك أمي... فكري!

تنهدت حليلة، تجيب بضيق:

-هل فؤاد من أرسلك لتفدحي في ما فشل فيه؟

أومات سلبا تقول:

-لا! أبي لم يطلب مني شيئا، أنا قلقة عليك، تظلين هنا لوحدك

أما في القصر، فالعائلة حولك وقلبي يطمئن أكثر.

ضمت والدتها شفيتها، تفكر فأضافت لتقنعها بينما تمسك

بذراعها وهما على إحدى أرائك غرفة الجلوس:

-من فضلك أُمي، أريحي قلبي وقلب سمرا.

رن جرس الباب، فقامت تفتح ليهل عليها وجه زوجها مبتسما
يلقي السلام :

-السلام عليكم .

-وعليكم السلام .

قبل جبينها ودخل يسلم على والدتها التي سألته بمودة :

-كيف حالك يا بني وحال أهلك؟

-بخير الحمد لله يا خالتي حليلة .

هزت رأسها تسترسل معه في الحديث ولبنى تجهز الطعام فوق
المائدة:

- كيف حال السيدة هالة وزاهدة؟

- الحمد لله، هم في الحقيقية يفكرون بالانتقال إلى المدينة هنا .

رد عليها، فقطبت حائرة ليستطرد بفخر لم يستطع مداراته :

- ابن أخي رحمه الله، يتخرج من الثانوية هذه السنة وهو مصر

على الالتحاق بالمعهد الملكي للشرطة، والدته مرتبطة بهم

كثيرا ولن تستطيع الانفصال عن أي أحد منهم لذا سأبحث لهم

عن بيت هنا.

هزت رأسها بتفهم : - شبل أليس كذلك؟ الذي يريد الاقتداء

بأبيه رحمه الله وبك أما فراس ففي السنة الأولى ثانوية وآخر

العنقود عماد بالثانية إعدادي؟! !

أوماً ببهجة تبرق بها مقلتيه، فاستدركت :

-تبارك الرحمن وأين ستبحث لهم السكن؟ صعب جدا إيجاد

بيت كبير للإيجار في هذه المدينة المكتظة.

-تفضلا الغداء جاهز !

جلسا إلى المائدة وجمال يتساءل بفضول :

-أين حبيبة والدها بالمناسبة؟

ابتسمت لبني ترد عليه :

-ريهام؟ نامت أخيرا.

قطب يسأل بقلق :

-هل عادت الحمى؟

أومات سلبا، تجيبه :

- لا الحمد الله .

- الحمد لله .

غمغم بها جمال، فتدخلت حليلة تطمئنهما :

- لا تخافا الأطفال يمرضون كثيرا، ستشفى بإذن الله .

التفت لبني تقصد زوجها بسؤالها :

- ستبحث عن بيت للإيجار اليوم أيضا؟

هز رأسه يجيبها بعد أن بلع ما بفمه من طعام :

- يجب أن أجد بيتا مناسبا قريبا .

حل الصمت عليهم لبرهة قبل أن تنطق حليلة بينما تحزم

أمرها :

-جمال!

-نعم يا خالتي!

نظرا إليها، فأردفت :

-ما رأيك في هذا البيت؟ هل هو مناسب لهم؟

رمقاها بدهشة ولبنى تتساءل باستغراب :

-ستؤجرين البيت لأهل جمال؟

أومأت نفيا، توضح :

-بل أغيرهم إياه إلى أن تحتاجه إحداكما، في النهاية هو لكما
أنت وسمرا.

ما تزال الدهشة عنوان ملامحهما وجمال يستفسر بحيرة :
-ماذا عنك خالتي؟

ابتسمت بلطف، تجيبه :

-سأريح قلب ابنتي وأنتقل للعيش مع والدهما .

تبسمت لبني هي الأخرى تهتف بفرح :

-وافقت يا أمي؟

هزت رأسها ترسم على محياها بسمة هادئة :

- سأفعل إن شاء الله، هكذا البيت سيكون شاغرا لذا من
الأفضل أن يُستغل.

تدخل جمال يعقب بخرج :

- لكن خالتي أنا لن أَرْضِيْ بأن تمنحيه لأهلي دون إيجار.

- لا يا بني، نحن لسنا في حاجة للمال والحمد لله والبيت
سيكون شاغرا على كل حال وإن أردت، أخبرهم بأنك دفعت
الإيجار هدية لهم وهكذا لن يشعروا بالخرج، فأنت عمهم .

صمت يفكر، فاستأذنت حليلة لتغسل كفيها وترتاح بغرفتها :

- ما بك حبيبي؟ بما تفكر؟

التفت إليها يجيبها بحيرة :

-أبحث عن طريقة أقنعهم بها، شبل ووالدته لن يقبلا بسهولة.

ردت مبتسمة :

-أنا أنصحك بالصدق.

هز حاجبيه تساؤلا، فأردفت :

-أفضل طريقة أن تخبرهم بالحقيقة واشرح لهم الظروف، لا

أظنهم سيرفضون مبادرة طيبة من أنسباء عمهم المفضل .

اقترب منها برأسه، يخاطبها بمرح :

-أنت محقة لكنني عمهم الوحيد، لذلك من البديهي أن أكون

المفضل.

-يا سلام!

عقت ضاحكة، فقال بتسلية بينما يتأمل وجهها المحمر :

-نضج من جديد، هل أنت سعيدة لهذه الدرجة؟

تهربت منه فأمسك بوجهها يطبع قبلة سريعة على وجنتها،
يستطرد ضاحكا :

-أحب وجهك حين يصبح كحبة طماطم ناضجة .

المقبرة

تقف بشموخ ترمق بوابة المقبرة دون أن تستطيع الدخول
كعادتها فقط تجاور السيارة، ترسل له رسالتها التي لا تعب
شفتيها وتدعو له ثم تعود أدراجها، تنفست بعمق رافضة

إطلاق العنان للدموع، فقد حرصت على تنفيذ وصاياها
 بالحرف حتى تعيش كما يجب، صابرة محتسبة لا تذر نفسها
 رهينة الأحران.

رفعت يدها تتأمل خاتم زواجها قبل أن تنظر إلى البوابة مجددا،
 لتخاطبه بلسان فؤادها لا يسمعها حتى الرابض قريبا منها، يضم
 كفا صغيري توأمه :

(حبيبي نزار، هذه آخر رسالة تنبض بها خفقات زهرة البيلسان
 ؛ قلب نزار؛ بدماء دافئة تندفع بها أحاسيس علمتها إياها، فأنا
 قد قررت أخيرا وبعد سنتين أن أنفذ آخر وصاياك وأتقدم
 بحياتي بما يناسب ظروفى وظروف طفلينا، ولأنني تأخرت،
 أطلب منك أن تسامحني، فليس عدم إيمان مني لكن كنت في

حاجة ماسة لوقت كاف أتعود فيه على عدم وجودك بحياتي،
 ما زلت أتذكر كل كلماتك لي يوم علمت بمرضك، أخبرتني
 أن لكل إنسان مهلة في هذه الدنيا وسيعود إلى خالقه، وهذه
 المدة لا يقرر نهايتها مرض ولا حادث ولا صحة بل الواحد
 القهار يقدرها، لذا وجب علينا عدم الاعتراض على أقداره
 سبحانه وأن نعيش في كنفه وطاعته، فلا نقف على حزن أو بلاء،
 أبشرك يا حبيبي أن وصيتك الثالثة ما يزال على العهد، لم ينقضه
 ولم يتراجع، بل يتمسك بالصراط بقوة كأنه يخشى الانفلات
 منه عند أي غفلة مهما كانت تافهة، ولولا أنني قلب نزار كما
 كنت دائما تنادينني لصدقت بأنه أنت من شدة ما تشبه بك،
 أعترف لك بأنه صان الأمانة وأوفى بالعهد، فلم يترك لي عذرا

أتعلق بحباله، لذا قررت المجيء لآخر مرة لأنني لن أستطيع
 خيانتة حين أكون بعصمته لكنك ستظل في صميم القلب لن
 تهجره حتى إن نفيتك من عقلي حتى ألقاك عند ربي، أدعو الله
 لك بالرحمة والغفران وأن يجمعني بك في جنته بعد فناء
 الدنيا).

تراجعت لتستند بالسيارة، فاقرب منها يخاطبها بهدوء دون أن
 ينظر إليها :

- نزار سيبقى حيا، ذكراه ستعيش ليعرفه أولاده من بعده، فهما
 يجب أن يعلما أي والد صالح أنجبهما، لذا أنا أحررك من كل
 مسؤولية أمام الله ولن أعتبر جهدك لغرس حبه داخل أولاده
 خيانة لأنني أحبه أكثر منك وسأحرص على إحياء ذكراه بيننا .

رمقته بتأثر وهو يشير إلى أحد التوأم بينما يستطرد :

-لقد أحسن حين وافقني بتسمية الصبي نزار، هكذا سيظل
اسمه يتردد في أرجاء المنزل دوما .

اعتدلت تشكره ممتنة مع أن الحرج يغمرها على آخرها :

-جزاك الله خيرا، نزار كان محقا حين آمن بصدقك ووثق بك .

-خذي يد سجدة واتركي لي نزار .

هزت رأسها وغادروا، فالأحياء مهما جالسوا الأموات لا بد أن

ينصرفوا لدنياهم، ليبقى الأموات في حضرة أعمالهم إن كانت

صالحة تجسدت في مؤنس حسن الوجه مدافع عنهم، وإن

ساعت كانت سوادا يضيف لوحشة القبر ظلام العذاب، فيا أيها

الحيُّ اغتتم حياتك قبل مماتك، فبيدك تحكم على مؤنس
وحدتك ووحشتك كيف يكون؟! !

مساء

بناية خالد وسامي

تطلعت إسراء إلى عبائتها، تتأكد من عدم ظهور فستانها وخالد
يغلق الباب بينما يمسك بكف ابنه أما ابنته فتنظر إلى انعكاسها
في المرأة على باب المصعد، تبسم بفرح ورضا على فستانها
الزهري، تلهو بخصلاتها السوداء الشبيهة بأبيها.

لاحظ خالد شرود زوجته، فاقرب يربت على مرفقها بخفة
لتدير إليه رأسها، تبسم بامتنان :

- أفكر بصداقتي بتفاوت، وأنت لم تمنعني عنها طوال السنوات
الماضية.

مال على أذنها، يجيبها بخفوت مرح :

- كلما داومت على اخباري بمدى حبك لي، لا يهمني أحد.
ابتسمت بعدوبة لزوجها الملح الذي لا تغيره الأيام :

- كل يوم وكل لحظة .

لمعت مقلته بشقاوة يمازحها قبل أن يفتح باب المصعد :

- لولا الصغيرة السعيدة بفستانها لعدنا الى بيتنا الآن.

رمقته بعتاب قبل أن ينظرا إلى الخارجين من المصعد، صافح
سامي صديقه في الوقت الذي قبلت فيها تسنيم وجنة اسراء
والصبي برفقتهما يرمق ابنة خالد تتبختر بفستانها الأنيق، فقال
سامي باسم : - أرى أنكما مغادرين .

هز رأسه يرد عليه بود :

- أجل، مدعوون لحفل زفاف .

أما تسنيم فتخاطب اسراء بامتنان فقد توطدت صداقتها بعد
أن تزوج الأستاذ سامي من الأستاذة تسنيم وانتقلت للعيش قبالة
شقتها : - شكرا لك على الكيك بالشوكولا، منير أعجب به
بشدة، أما جنا فلطخت وجهها به كاملا من قلة صبرها على
لذته .

ضحكتا فتحدث منير، يقول بعبوس طفولي :

-خالة إسراء؟ لماذا بسنت لا ترتدي مثلك؟

لم تترك الصغيرة مجالاً لأحد كي يرد، تجيبه بسخط :

-وأنت ما شأنك

-بسنت؟

نهرتها والدتها بخجل، فردت تدافع عن نفسها :

-أنا صغيرة والصغيرات يرتدين فساتين ليظهرن جميلات

كالأميرات .

ضحكوا باستثناء منير الذي قال كأنه لم يسمعها :

-هل العرس به أولاد ذكور؟

ربت خالد على ذراع سامي، يهمس له بمرح :

-أحسنت الاختيار يا رجل، ابنك على طريق قويم.

ابتسم بدفء يرمقها بفخر، تلك التي أصبحت زوجته بعد

مشاكل مضمّنية، فزوجها اختفى فجأة دون سابق إنذار، فلم

تستطع الطلاق بسرعة، ليكشفوا بعدها عن ضحايا في انفجار

ملهى كان من بينهم، فتحولت من طالبة للطلاق إلى أرملة ولم

يكن يهتم حقيقة، على قدر ما كان يتوق لتتحرر من ذلك الحقيقير

حتى يسعى إليها وقد فعل بعد أن تحدى وساوسه، وكم

تحولت حياته معها إلى هناء وسعادة لا يكدرهما سوى بعض

الهواجس بين الفينة والأخرى.

تنبه إليها تقول بتسلية:

-ابنك سيجلب لك مشاكل مع صديقك .

ضحك بعد أن ضم كتفيها بينما يدخلان بيتهما:

-قد يكتمل إعجابه الطفولي بها وحينها سأؤكد من حصوله

عليها إن شاء الله ، فلا أحلى من اجتماع الأعبة.

ضحكت تضع الهاتف على المنضدة في ردهة الاستقبال

وشرعت بحل طرفي حجابها بينما تخطو مباشرة لتطمئن على

حماتها التي لا تغادر سريرها بسبب المرض وضعف الكبير،

غير غافلة عن الذي تلكأ في خطواته بالردهة فتخفي وجومها

تحت قناع متقن للبسمة الصافية.

كفه جوار هاتفها لا يستطيع لجم نفسه وهذا ما كان يخشاه
ودفع به للتردد سنتين كاملتين حتى قرر أنه يحبها ولا يستطيع
الاقتران بغيرها ليس وقلبه معلق بها، لذا سأل ربه التوفيق وأن
لا يصدم مجددا بحياته، فلن يتحمل نكبة أخرى لكنه الوسواس
من الشيطان اللعين يعيد عليه تساؤلات عدة، ماذا لو أخطأت
مجددا وخانت ثقتك كما خانت ثقة والدها؟ فيرد عليه بالمنطق
والحجة الدامغة، لكنها دفعت ثمن الخطأ غاليا وعلى يدك
رفضت الانصياع للحظة ضعف شاركتها إياها واختارت
الصواب وعادت إلى أهلها، لا يكاد يهنأ قلبه حتى يعود عليه
بسؤال آخر موجه لكن ماذا لو أخطأت بحقك أنت، فهل
ستتحمل المزيد من الآلام وهل ستقدر على العفو والتسامح؟!!

أغمض عينيه يستعيد بالله من الشيطان الرجيم و قلبه يعدد عليه
 حججه المتينة ليطرد الوسوس إلى حين حتى تضمحل يوما ما
 بيقين تبنيه هي بصدق وإصرار مع السنوات، تثبت له أنها زوجة
 مخلصه وبشر أخطأ كما يخطئ جميع بني آدم وهي من خيرهم
 إذ عادت وتابت وأصلحت فإذا كان الله غفورا رحيفا يسعد
 بتوبة عباده لماذا لا يتقبل هو الإنسان الضعيف الخطاء الراجي
 من الله الغفران مثلها؟

بلى حجة قلبه دوما قوية ومع اصرارها هي يتنفس بعمق ثم
 ينحي تلك الهواجس عن عقله يعترف بأنها نقصت كثيرا عن
 حدتها ببداية زواجهما لكنه يدعو الله أن تندثر ولا يكدر صفو
 سعادتهما معا أي هاجس.

-سامي!

التفت إليها مجفلاً، فمنحته بسمه صافية، فهي أكثر منه تعلم ما يعترية وقد وافقت على الزواج منه بعد تأخر استغربته منه، دام لسنتين فما كان يوحيه إليها من اهتمام يدل على عاطفة يكنها لها لكنها فهمت بعدها وأدركت ما قد تواجهه من شكوك معه، إن كان والدها ما يزال يمنحها نظرة عتاب من حين لآخر مهما حاول مداراتها، حقا العباد يصعب عليهم النسيان مع أنهم ينسون أهم ما يجب عليهم تذكره أن الله اسمه الغفار يقبل التوبة عن عباده، لكنها لا تياس تظل تثبت له صدق قلبها وحكمتها التي تعلمتها بأشق الطرق وعورة:

-افتح هاتفى من أجلى وابحث عن ملفات الأهداف
والكفريات المنشودة أنا لم أفهم شيئاً منها بما أن خالتي نائمة
وأنا سأجهز العشاء.

للحظة تمعن بملامحها وقلبه ينقبض ندما لكنه لم يلتقط أي
كدر على محياها بينما ترسل له قبلة عبر الهواء والبسمة تملأ
وجهها، فابتسم لها باعتذار رغم ذلك قبل أن تدخل للمطبخ،
فيلتقط الهاتف يفتحه ويبحث عن الملفات ولا يجد عليه سوى
كل الوضوح كما العادة... تهدأ الهواجس مع تمنياته الحارقة
بأن تندثر كليا يوماً... ما.

قاعة الأعراس

-دعاء حبيبتى؟ إذهبي الى قاعة الرجال ونادي على أبىك، لقد
 حان الوقت كي يصطحب أختك، هرولت إلى وجهتها فلم
 ترى أمامها واصطدمت بصبي ما ووقعت، نظر إليها الصبي
 فضحك وهرول تاركاً إياها على الأرض وقد قفزت دمعات من
 رماديتها، لمحت كفا ولد يمدّها إليها، قائلاً بلطف :

-أتأسف لك عنه، فهو من عائلتي لكنه متهور .

أمسكت بيده تقف على رجليها تسوي فستانها بينما تقول
 باسمه وما تزال بقايا دموع على وجنتيها: - لا مشكلة، أغلب
 الأولاد متهورون، أنا دعاء أخت العروس، من أنت؟

ابتعد خطوة للخلف بينما يرد عليها :

- أنا زاهر فضل الله والعريس يكون ابن عمتي رحمها الله.

هزت رأسها، تقول وهي تسرع: -شكرالك.

-توقفي!

تجمدت مكانها خوفا من مقلتيه السوداوين اللتين اتصفتا

بحدة، فاستطرد : -ذاك طريق قاعة الرجال.

بلعت ريقها تمسح على وجنتيها بعد أن أعادت خصلاتها

الشقراء إلى الخلف وردت بنبرة مترددة فالولد يشعرها بذنب

ما اقترفته : -أعلم، ماما... طلبت مني إحضار بابا .

أوما زاهر يقول برفض :

- لا يصح أن تدخل إلى قاعة الرجال، ابقى هنا سأستدعيه لك .

هم بالذهاب، فهتفت مستغربة : - وهل تعرفه؟

ابتسم بتهكم يجيبها : - وهل سأحضر زفافا لا أعرف أصحابه؟

تعب من هاتفه الذي لم يستطع أن يصلها به، فدسه في جيبه وتمشى في الرواق من جديد عله يلمحها أو شخصا ما قد يدلّه على مكانها حتى ظهرت مروة خارجة من القاعة تحمل صغيرته فأسرع إليها : - مروة؟

استدارت إليه، فاستطرد بينما يأخذ منها صغيرته يقبلها :

- سلوى بالقاعة؟

أومات نفا بإشفاق، فقطب يردف :

- أين هي؟ هاتفها لا يجيب !

هزت كتفيها تقول:

- أخبرتني أنها ستلتقي بصديقة ما في الجمعية ومن هناك ستأتي

إلى هنا مباشرة، أظن أن بطارية هاتفها فرغت، فلا تخف

.... ستصل في أي لحظة.

هز رأسه يمنع شعورا بشعا من أن يستولي على قلبه، يتذكر

مشهد اختطافها وضربها لا يفارقه مهما مضت الأيام

والسنوات .

أجفل على نبرة مروة تهتف براحة : -لقد وصلت .

التفت الى المدخل الرئيسي، يلمحها والجة تهروول فأنزل ابنته

لتمسك مروة بكفها وتكمل طريقها إلى وجهتها، أما نوفل

فتقدم بخطوات غاضبة يسحبها إلى احدى الزوايا -أين كنت؟

حدقت به بتوتر بينما تجيبه؛

-التقيت بالمرأة التي..... التي.

هتف بحنق :

-التي لقنتُ زوجها درسا حين تطاول عليك! ولماذا تأخرت؟

كان بيننا اتفاق يا مروة، سماحي لك بمساعدة المعنفات

وتحمل ضغط الخوف عليك، لا يعني أبدا ترك ابنتك وإغلاق

هاتفك فلا أجذك بأي مكان، إن ضاع أولادك، فبماذا يفيد إنقاذ
الآخرين؟

توقع سخطها لأنه أعاب أحد سلوكياتها لكنها فاجأته ترتفع
لتقبل وجنته بسرعة، تجيبه بنبرة آسفة :

-آسفة حبيبي لقد أخطأت وأعترف، لن أعيد خطأي، أعدك بأن
لا يؤثر عملي على بيتنا .

رمقها يقطب بحيرة، فظنت بأنه لم يهدأ بعد، فأضافت بنبرة
ناعمة تعمدتها كما تفعل كلما أدركت بأنها أخطأت ويجب أن
تهادنه بالقول حتى يسامحها سريعا ويتحمل بقية جنونها، فقد
اكتشفت مع مرور الأيام بأن نوفل مستعد حقا لتحمل تهورها
الذي يفلت منها بيت الفينة والأخرى إذا فقط أشعرته بقيمته

كحب حياتها وأهميته بقلبها وكلما اعتذرت عند زلاتها
واهتمت بما يثير قلقه عليها لمست منه تفهما أكبر ومساحة
أوسع لتتحرك بها بما يهمها في عملها :

- لا تغضب وسأفعل أي شيء تطلبه مني .

رفع حاجبه الأيسر يردد بمكر : - أي شيء؟

هزت رأسها عدة مرات، فحرك رأسه معقبا :

- سأؤكد من صدق وعدك لاحقا.

ضحكت بخفة وأسرعت إلى قاعة النساء بينما يشيعها بنظرات
محبة وبسمة رائقة تتعلق بشفتيه .

أخبروه بأن العروس ستخرج ويجب عليه استقبالها ليتسلمها
من والدها، لا يصدق أنها أخيرا ستكون من نصيبه، زرقاء
العينين. عدل سترته وانتظر خروجها وحين لمحها ابتسم
بمرح، فقد كان يتوقع بأنها لن تكون عادية المظهر كباقي
الفتيات.

صافح والدها الذي خاطبه بحزم وعبوس يخفي بين طياته
احتراما لما يشكله من شخص جيد بحياة ابنته :

- أستأمنك على جوهرة، فاعطني بها يا وائل.

أجاب وائل وهو يمسك بكفها لتتأبط ذراعه، فيلاحظ نظرات
سمير نحو تلك الحركة التي تبدو عادية لكن ليس لوالد يحب
ابنة كفلها ولا يحل له لمسها :

- سأحميها يا سيدي بإذن الله، أعدك.

مال على أذنها يهمس بمرح وهو يسير بها نحو قاعة النساء؛

- لأول مرة أرى عروسا بستان عرس أحمر ووالدها يوشك

على قتل عريسها .

ببسة خجلة دافئة أجابته بعد أن لوح لوالدها وعيناها

تلمعان بدموع حبيسة؛

- رأيته ونال إعجابي عن الأبيض، أما أبي فأنت بالنسبة له

الضمير الحي الذي لا يستطيع إلا أن يحترمه وفي نفس الوقت

لا يطيقه !

ضحك بمرح يجيبها بهدوء :

- هو كفيك لكن ليس بوالدك، أعلم بأن الأمر صعب لكنه غير مستحيل، وكونه جهز لك الطابق الثاني من منزله بعد أن تحجبت ليمنحك مجالا أكبر للراحة هو الصواب أي كان من نصحه بذلك .

تنفست لتمنع الدموع المستفزة من النزول من عينيها ثم قالت :
- لقد كان حريصا حتى قبل أن تلفت انتباهه بطريقتك، إنه أب رائع وما يؤلمه الآن ويؤلمني أنه لا يستطيع ضمي وتقبيل جبيني بينما يسلمني إليك .

أوقفها قرب مدخل النساء حيث تنتظرهما والدته وبعض نساء العائلة، يخبرها بحنو :

- أجره عند الله عظيم إن شاء الله ويتعاضم بحفاظه عليك، وما
يهم أنه بخير وأنت كذلك فيطمئن كل واحد منكما على
الآخر... اسعدي حبيتي فبسعادتك تسعدينه أيضا، فيهدا قلبه .

قاعة الرجال

همس هشام قرب أذن ليث :

- هل لاحظت سعادة تامر، لا أصدق أنه تامر بعينه؟

هز ليث رأسه، يجيب بنبرة عادية :

- سبحان مغير الأحوال، الله قادر على كل شيء لكن اتعلم يا
صديقي؟

رمقه بتساؤل، فأردف :

-أنا سعيد من أجله، فمهما كان هو ضحية والده، لو كانت ظروفه أفضل من يعلم؟ قد يكون كشقيقه حمزة.

أوما هشام بينما يتساءل :

-على ذكر حمزة هل تصالحا؟

ابتسم بمرح يرد عليه:

-وهل حين تضع ورد شيئا برأسها لا تنفذه؟

ثم عبس بامتعاض يكمل:

-مع أنني اشترطت عليها أن لا تقابله نهائيا، فمهما تغير شعوري نحوه لا أريد الاحتكاك به كثيرا حتى أغلق باب

الوساوس برأسي، يصعب علي نسيان كل شيء مهما أحسنت
الحكم عليه حاليا .

جلس تامر إلى مائدة ليث وهشام مع بقية من خيرة عناصر
الشرطة يفكر بأنه لم يكن ليحلم بالجلوس معهم وعلى حجره
صغيرته من زوجته وحبية قلبه سعيدة، تلك الفتاة أحبته بصدق
وأصرت عليه ليكتشف بعد زواجهما أنه أكبر مغفل حين حاول
الفرار من شعوره نحوها.

استأمنته على نفسها ومنحته كل شيء عن حب لم يتذوق
طعمه إلا معها.

وقف أمامه ولد، يسأله بفضول : - هل هذه ابنتك؟

ابتسم بينما يجيبه : - نعم .

تأملها يفكر ثم سأله مجددا : - ما اسمها؟

- اسمها آية !

- ممم ... اسم جميل .

ضحك تامر، يسأله بدوره : - وأنت ... ما اسمك؟

- علي !

- تشرفت بك يا علي .

أرى انك تعرفت على ابني الصغير يا تامر .

نطقها ليث، فرد عليه تامر بمودة :

- أجل، حفظه الله لك .

أمن على دعائه ثم استدرك يقصد صغيره :

-علي، أين أحمد؟

هز كتفيه، يجيبه بامتعاض

- تعرف على فتى اسمه زاهر وهما معا

-قال ليث بجذل :

-ولماذا لا ترافقهما؟

رد بضيق وعينه على الصغيرة الساكنة على حجر والدها تثير

فضوله :

-حديثهما يثير الضجر وأخبراني بأن ألعب مع الصغار .

انفجر ليث و صحبته ضاحكين من حنق الولد الذي أعجبته
الصغيرة، فجلس قرب تامر يلاعبها فاستغن بها عن مرافقة من
بعمره .

*منزل القناص *

-رضوان ابتعد عني!

هتفت بها مرام بغضب وهي تدخل الى غرفتهما في جناحهما
فيجيبها بملامح مرتبكة : -مرام....اهدئي واسمعيني!

-لا تحاول رضوان! أنت تخدعني ولا توفي بوعودك لقد
تزوجت بك مؤخرا حين تأكدت من أنك حقا تركت الخمر

وحياة اللهو بعد سنوات من إلحاحك والتزامك بالطريق
السوي.

أرخت طرفي حجابها تزفر بقوة بينما هو يرجوها بنبرة متوسلة :
-لقد غيرت نشاط الشركة من إنتاج الأغاني، فاقترصرت على
الأناشيد الدينية وإنتاج البرامج، ماذا أفعل كي أرضيك؟
هتفت بحزن :

-أن تترك تلك الشركة بأكملها، أنت لست في حاجة إليها .
-لكن!

اقتربت منه ترجوه بدورها : -من فضلك رضوان، ستجد وقتا
أكثر لي ولابني الذي أهملته مؤخرا.

-ابننا نا اعقلي هذا!

نطق رضوان بضيق، فأومأت تبسم وقد نفضت عنها الغضب :

-بلى! ابنا وشقيقه أو شقيقته.

ارتفع حاجبا رضوان، يهتف ببلاهة :

-كيف؟

ضحكت وأمسكت بكفه لتضعها على بطنها :

-لهذا انتظرتك كي أبلغك بالخبر السعيد وأنت تأخرت.

عبست لائمة وهو يستوعب أخيرا، فضمها يدور بها هاتفا :

-مبارك علينا... حبيبي أنت... مبارك علينا!

المنزل الصغير قبالة البحر

-هل البيت لعائلتك؟

أوماً وائل باسماء بدفء، يرى سعادتها بأمرور بسيطة، فعقبت
بينما تتفقده بتفحص :

-إنه خلاب، أثائه والطلاء والرائحة، كله جميل .

-بل عينيك الجميلتين .

ابتسمت بخفر، فأشار لها لتقترب منه :

خطت إليه تتهادى في رداء مبهر لعينيه اللتين جاهد ليحافظ
عليهما من الحرام، فكانت جائزته تفوق ما توقعه أو حلم به:

أنت عروس جميلة جدا آنستي؛ وأنا أغرمت بك منذ لمحتك
بالثانوية .

احمرت بشدة، تهمس بنبرة ترتعش حياء:

-لم تخبرني قبلا.

ضحك يقول بينما يضم وجهها :

-لأنك لم تكوني زوجتي وأهلك لم يقبلوا بعقد القران، فما
كنت لأتجرأ على الحرام فأعاقب بالحرمان منك.

ذهلت ترمقه ورفعت يدها إلى شعره الذي أصرت عليه أن لا
يقصه، حتى أعاد تموجاته الرطبة، تقول بانبهار أعاد عليه

صورتها وهي صغيرة ترمقه بنفس الانبهار المتلألئ بزرقه
عينها .

-إنه رائع وسأساعدك على الاعتناء به من الآن فصاعدا .

ملأت البهجة محياه يقول بحب فاضت به جنباته :

-الشعر وصاحب الشعر لك، اعطني بهما جيدا .

بيت أسد

أسرعت في ترتيب المطبخ ثم اتجهت إلى غرفتهما، تدعو الله

أن تجد التوأم نائما كي تستطيع التحدث إلى زوجها قليلا قبل

أن يغلبهما النوم تعباً يعانيان منه كلاهما .

دخلت تفتح الباب بخفوت ليصدمها المشهد، أسد على أحد
السريرين غارق في النوم يتوسط طفليه واحدا على رجله
والثاني على بطنه، فزفرت بيأس ووضعت قناني الماء على
المنضدة لتحرك ولديها بخفة وهدوء إلى مكانيهما ثم جلست
جواره تتأمل ملامح وجهه التي تعشقها ولا تتصور حياتها من
دونه، أشفت عليه من التعب، فتركته ينام و أطفأت الضوء تهم
بمغادرة غرفة ولديها حين شعرت به خلفها، يهمس بتسلية :

-هل صدقت بأنني نائم؟

ابتسمت تخبره بحق مزعوم وهي تخطو نحو غرفتهما :

-وما أدراني بأنك ممثل بارع؟

ضحك وطبع قبلة خفيفة على رأسها بعد أن أمسك بذراعها :

- كنت أدعي النوم كي أخدع الصغار وليس أم الصغار .

زفرت تقول بضجر بينما تسحبه لتغلق باب غرفتهما حيث

جهزت لهما متكئا نال إعجابه :

- تعال لدي حديث طويل بما أننا لا نجد وقتا للتنزه وحدنا،

فلقد اشتقت إليك قبل أن يغلبنا النوم من التعب .

هز رأسه بسرور، يشير لها كي تتقدمه بينما يجيبها بنظرة ذات

معنى :

- أنت محقة تعبنا من الزفاف وغدا إذن شاء الله لدي مهمة، على

فكرة كيف حال شقيقتك؟ ما تزال متوترة؟

-أجل، عرضت عليها إحضار توأمها لدي لكنها رفضت
وعمهما أيضا رفض .

استلقى على المتكأ المريح بينما يجيها بنبرة مهادنة :

-إنه أنسب شيء تفعله يا أور، لا تخافي عليها ستتجاوز الأمر،
لقد قطعت شوطا كبيرا.

أومات بحزن تضمه بقوة تخشى الفقد أكبر مخاوفها، فتظل
تدعو ربها بكل سجدة أن يحفظ أفراد عائلتها من كل شر وأن
يبارك بأعمارهم ولم تكد تمر دقائق حتى راحت في سبات
عميق، كما فعل هو يغلبهما التعب من مشقات الحياة وذلك
الذي أثار سخطها حين استيقظت وزوجها كان قد رحل إلى
عمله.

في مكان ما

-يا أور! أغلقي الهاتف أنا مشغول!

-أقسم إن أقفلته، سأتي إليك أينما أنت الآن!

زفر أسد، يهتف بضيق : -انتظري إذن!

صوب بالمسدس قبل أن يتدحرج إلى الجهة الأخرى ينضم

لنوفل المتخفي خلف سيارتهما، فقال الأخير بعد أن أطلق

رصاصة على أفراد عصابة مخدرات أغاروا على مخزنهم، فلم

يستسلموا : -زوجتك؟

هز رأسه، يطلق رصاصة هو الآخر ثم عاد ونوفل يلومه :

-كيف نسيت إغلاق هاتفك يا أسد؟ هل جنت؟!

ضغط على شفثيه معتذرا بجمود ثم حدثها بالهاتف:

-تحدثني وأسرعني!

قالت وهي تعيد الطفلين، كل يركض في اتجاه والطاولة أمامها
ممتلئة بقناني الحليب مع الكثير من الحفاضات والبسكويات .

-أنا لا أجذك أسد، تعود وتخرج وأنا نائمة!

صوب من جديد ثم هتف بحنق:

-أنت صرت كثيرة النوم حببتي، ماذا أفعل؟

-أيقظني! لماذا لم توقظني بالأمس؟

هتفت بحنق، فضحك قبل أن يلتفت إلى نوفل الذي صاح
بعبوس غاضب يوشك على قتله هو! ثم يقتل زوجته
المجنونة!

-احمي ظهري!

هز رأسه يهتف قبل أن يضع الهاتف جواره على الأرض؛
-دقيقة يا أور!

ارتضى على الأرض بدوره يضغط على الزناد مرات عدة
ومتتالية ليغطي على انتقال نوفل إلى جهة قريبة منهم في إطار
خطة كبيرة لأفراد آخرين يهجمون على العصابة من الجهة

الأخرى ثم عاد إلى مكانه يلتقط الهاتف ليدسه بين أذنه وكتفه
في نفس الوقت الذي يحشو فيه مسدسه :
- أين كنا؟

قطبت تسأل بريبة وهي تغير الحفاض لصغيرها والآخر يقلب
قنينة حليب فانتفضت تبعده عن الطاولة :
- هل ذاك صوت رصاص؟ أنت في مهمة؟
رد بضجر: - وأصبحت تنسين أيضا.

هتفت بسخط انكمشت له ملامح وجهه:
- أنت تحظى بكل التسلية وأنا هنا في حرب ضارية !
- ماذا؟

صاح بصدمة، فأردفت تفسر بنبرة باكية بتدلل :

-أنا وسط فوضى لا تتخيلها بين حليب مسكوب وحفاضات

قدرة وطفلين يسعيان لتدمير الذات كل لحظة وأنت تطلق

الرصاص من مسدسك، فمن منا يحظى بالتسلية؟

فكر يقلب شفثيه ثم قال بإقرار : -حسنا... أنت محقة .

أخرج سماعة البلوتوت من جيب سترة العمل ليكون أكثر

حرية ودس الهاتف في جيبه ثم خطا بحذر نحو مدخل المخزن

في نفس اللحظة التي خرج فيها أحدهم فانقض عليه يكيل له

اللكمات وصوت الأخرى يملأ أذنه بنبرتها المستنكرة :

- أنا اشتقت إليك أسد، لم نتحدث كما يجب منذ مدة، أريد

رؤيتك التحدث معك، أن نخرج معا لوحدنا، أنا مللت!

- أعلم حبيبتى .

رد عليها، فصدّم المجرم يرمقه بريبة، فاستغل أسد غفلته

بتسديد لكمة على وجهه أطاحت به على الأرض ثم أمسكه

يصفد رسغيه، مسترسلا بحديثه مع زوجته :

- أنا أيضا أشتاق إليك وبشدة لكنه العمل.

- اه اه اه اه!

تنهدت أور تستلقي على الأرض مستسلمة تهتف بنزق :

- يجب أن تساعدني أسد، العمل يشغلك عن أولادك .

دفع بالمجرم إلى سيارة الشرطة يلمح زملاؤه يسيطرون على

الوضع، فيجيب زوجته بمكر مرح :

-عرق التوائم بعائلتك أور وليس عائلتي.

اتسعت ابتسامته حين صاحت باستنكار :

-لم أنجبهم لوحدي على فكرة !

عقب يستفزها ببروده :

-لم أنكر لا سمح الله يا زوجتي العزيزة !

-لأجل زوجتك أطلق سراحى يا سيدي !

لكمه من جديد، يصيح عليه قبل أن يقفل الباب بحدة على

وجهه:

- لا تذكرها بلسانك القدر !

ضحكت أور، فعقب بضيق: - أعجبتك الفضائح؟

- إنه عقابك، تحمل !

سأل منزعجا بينما يولي ظهره لسيارته : - أين أمي بالمناسبة؟

قلبت شفقتها والتوأم يحومان حولها وعليها :

- والدتك عند عائلة فضل الله، تساعدهم بترتيب الفوضى التي

خلفتها تجهيزات العرس .

تخصر وملامحه تنكمش تعباً وزفر بقوة أثارت شفقتها

وخوفها، فهمست بخوف : - أسد؟

رد عليها وهو يعلم سؤالها من نبرة صوتها المنخفضة قبل أن
تنطق به : - نعم حببتي، أنا أعتني بنفسى من أجلك ومن أجل
الصغار لكن الأقدار بيد الله.

تهدجت نبرتها وهي تقول:

-أحبك أسد، فعد باكرا.... أستودعك الله.

ابتسم بدفء يجيبها قبل أن يغلق الخط :

-وأنا أحبك أور، وسأعود باكرا اليوم بإذن الله، أعدك! فلدي

حديث ليس كأي حديث يقال.

-من المتهور الآن يا أسد؟

قلد نوفل طريقة نطق أور لأسد بلكنتها الأجنبية، فقال الأخير
ضاحكا:

- أنت تغار، فزوجتك لا تهاتفك إلا من أجل وغد يضرب
زوجته أو شقيقته .

ضحكا بصخب قبل أن يكتم نوفل ضحكته بمكر ليجيبه :

- على الأقل لا تهاتفني وأنا أغير على العصابة، سأشي بك عند
العميد ممتاز ضرغام .

هز كتفيه يهتف، بتسلية وهو يسحب قنينة ماء من حقيبة
السيارة : - يا طفل!

فابتسم الآخر بشقاوة يعيد تقليد اسمه من فم زوجته ليضحكا
معا بصخب.

تمت بحمد الله